

عمان
في التاريخ



أسماء الباحثين لندوة عمان في التاريخ سبتمبر ١٩٩٤ م
 د / إبراهيم الزين صفرون: أد / أحمد شلبي: د / أمال
 محمد خليل: د / أمل الزباني: أد / جاد محمد طه: أد /
 جويس زاربنس: أد / خالد العزي: د / خليل شاكر
 حسن: أد / رافت غنيمي الشيخ: د / رضا جواد
 الهاشمي: د / رمزية محمد الأطرقجي: أد / زبيدة عطا: د
 / سحر السيد عبدالعزيز: د / سعد بن سعيد الحميدي: د
 / الهندس / سعد بن محمد الصقلاوي: د / سمير
 محمد طه: د / سنى محمد الطاشي: د / السيد عبدالعزيز
 سالم: د / سيدة اسماعيل الكاشف: د / شاكر محمود
 عبدالمع: د / صالح محمد العنابد: د / صباح إبراهيم
 الشخلي: د / طارق نافع الحمداني: د / عبدالعز محمد
 امين: د / عبدالحمد المواقي: الفاضل / عبدالله بن ناصر
 الخارثي: د / عبدالله محمد عبدالرحمن: د / عبدالمطيف
 الرميحي: أد / عبدالفتاح حسن اسوعله: د / عبدالقادر
 حمود القحطاني: د / عبدالنعم عبدالحميد سلطان: أد
 عبدالنعم محمد حسنين: أد / علي منصور نصر: د
 غازي رجب محمد: د / فرحات علي الجعيري: د / فؤاد
 شهاب: د / فوزي رشيد: د / لطفي جعفر فرج: د
 محمد باقر الحسيني: د / محمد حرب قرزات: د / محمد
 رمزي: د / محمد سعيد شكزي: د / محمد صابر عرب
 أد / محمد محمود السروجي: أد / محمد عي الداود: أد
 مصطفى الشكعة: د / مصطفى عبدالقادر النجار: د
 مصطفى عقيل: د / منير يوسف طه: د / ناهض
 عبدالرزاق دقتر: الاستاذ / يوسف الشاروني: أد
 يوسف حسن غوانمه: أد / يوسف نعييه.

أسماء المشاركين في الندوة:

الفاضل / احمد جلال تدمري: أد / احمد عبدالرحيم
 مصطفى: أد / احمد عبدالرزاق: أد / اسامة ناصر
 النقشبندي: الاستاذ / اسماعيل الحاج عبدالجليم:
 الفاضلة / أمة راشد الحمدان: أد / امين قزاق سيد: د
 التيجاني بن حمادي بوريقفة: د / خالد الخليفة: أد
 رجب عبدالجليم: د / سمير صيقل: أد / سيد احمد علي
 الشاصري: د / شيرين عبدالنعم محمد حسنين: أد
 صالح علي بامره: أد / عبدالرحمن راشد الشمالان: أد
 عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: د / عبدالعزيز بن
 صالح الهلابي: أد / عبدالكريم كريم: أد / ليلى ابراهيم
 احمد: أد / محمد حسنين ربيع: أد / محمد جاسم
 حمادي المشهداني: أد / محمد عميره: أد / محمد المختار
 ابن احمد: د / محمد مرسي عبدالله: د / مفيد العابد: أد
 / ناصر العولقي: أد / نيقولا زيايه: أد / يوسف فضل
 حسن: أد / يوسف محمد عبدالله: أد / يوفان ليبي رزق.
 اللجنة الرئيسية المشرفة على اعداد كتاب «عمان في التاريخ»:
 - معالي / عبدالعزيز بن محمد السوراس: سعادة /
 حمد بن محمد الراشدي: سعادة الشيخ / يحيى
 ابن عبدالله اللبھاني: الشيخ / احمد بن سعود
 السبياسي: الشيخ / سيف بن سعود المطاطي:
 الشيخ / محمود بن زاهر الهناتسي: سعادة
 الشيخ / احمد بن عبيد الكعبي: الفاضل / محمد بن
 سعيد الوهبي: الفاضل / سيف بن حمد
 المسكوري: الفاضل / خليل بن حمدان طيش:
 الشيخ / مهنا بن خلفان الخروصي: سعادة
 الشيخ / سالم بن محمد العبري: الفاضل / عبدالله بن
 ناصر الرحبي.

عُمان

في التاريخ

عُمان

في التاريخ

عُمان في التاريخ - دار اميل للنشر المحدودة.

حق تأليف ونشر الكتاب - ١٩٩٥ وزارة الاعلام ، سلطنة عُمان ودار اميل للنشر المحدودة - لندن.

حق تصميم الكتاب - ١٩٩٥ وزارة الاعلام ، سلطنة عُمان ودار اميل للنشر المحدودة - لندن.

ما لم يذكر غير ذلك ، فإن الصور والرسومات محفوظة حقوق نشرها لوزارة الاعلام ، سلطنة عُمان.

جميع الحقوق محفوظة ، وبدون الاذن المسبق من المؤلف والناشر فإنه لا يجوز أن يخضع أي جزء من هذا الكتاب لاعادة الانتاج أو التخصيص للاسترجاع أو البث بأي شكل أو وسيلة سواء أكانت الكترونية ، ميكانيكية أو عن طريق النسخ أو التسجيل أو غيرها.

الفهرسة في بيانات النشر.

يمكن الحصول على تسجيل فهرس لهذا الكتاب لدى المكتبة البريطانية

. ISBN ١٨٩٨١٦٢١١٥

دار اميل للنشر

٢٠ شارع بركلي ، ميدان بركلي ، لندن نيليو ١ اكس ٥ ايه آي .

هاتف : ١٧١ ٤٩١١٧٩٩ - فاكس : ١٧١ ٤٩٣٥٥٢٤ .

المحتويات

٨	التقديم
١١	المقدمة
١٣	الباب الأول
١٥	موقع عمان
٢٦	سكان عمان واقتصادياتها
٤٢	مكونات الجغرافيا السياسية لعمان وأثرها في العصر الحديث.
٦٧	الباب الثاني
٦٩	عمان في فجر العصور التاريخية
٨١	المجتمع العماني في العصور القديمة
٩٢	صورة من الحضارة العمانية في العصور التاريخية القديمة
١٠٥	الباب الثالث
١٠٧	عمان من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية
١٢٨	آل المهلب العمانيون ودورهم السياسي والحربي حتى نهاية الدولة الاموية
١٤٧	العمانيون ودورهم في أحداث ثغر الهند
١٥٢	عمان والدولة العباسية
١٦٥	عمان في عهد بني نبهان
١٧٩	الصلات التجارية بين عمان وشرق افريقيا في العصر الوسيط
٢٠٦	الباب الرابع
٢٠٨	الاباضية
٢٣٢	الحركة الثقافية والعلمية في عمان منذ ظهور الاسلام
٢٥٩	العمارة والتحصينات العمانية
٢٩١	العواصم السياسية العمانية
٣٠٣	الملاحه والملاحون العمانيون
٣٢٨	الأسطول العماني ودوره في تاريخ عمان
٣٣٨	صناعة السفن في عمان
٣٧٠	الباب الخامس
٣٧٢	قيام دولة اليعاربة وجهود ناصر بن مرشد في توحيد البلاد
٣٩٧	التفوق البحري العُماني وأثره على العلاقات الخارجية في عصر اليعاربة
٤٢٢	أحمد بن سعيد وقيام دولة البوسعيد
٤٨٥	المؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقيا في ظل الدولة البوسعيدية
٥٠٧	الملاحه والتجارة خلال القرن الاول من حكم دولة البوسعيد
٥٢٣	التنظيم الاداري في الدولة البوسعيدية
٥٤٧	الفهرس
٥٥٧	الملحق
	- أسماء الباحثين والمشاركين في ندوة عمان في التاريخ من ٢٤ - ٢٧ / ٩ / ١٩٩٤ م
	- اللجنة الرئيسية المشرفة على اعداد كتاب عمان في التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنا أنزلناه قرآنًا عربياً لعلكم تعقلون، نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾.

عمان في التاريخ.. خلاصة جهد توثيقي تاريخي لأحداث تواترت وقائعها في جغرافية عمان على مر العصور نرفعها باقة ورد معطرة بالعرفان بالنيابة عن الشعب العماني للمقام السامي لحضرة صاحب الجلالة السلطان المعظم قابوس بن سعيد بن تيمور «سلطان عمان» «حفظه الله» وقائد نهضتها المباركة ومسيرة الخير فيها.

هذه المسيرة التي نقلت عمان من عصور التخلف والجهل والمرض الى أعتاب القرن الواحد والعشرين.

لقد كان وعدكم يا صاحب الجلالة أن تقيموا الدولة العصرية على أرض عمان الحبيبة. وأن هذا العمل التاريخي الكبير ماهو الا لبنة في تشييد هذا الصرح الشامخ الذي تجسد في :

١ - المحافظة على الهوية العمانية العريقة بانتمائها العربي الاصيل وایمانها العميق برسالة الاسلام السمحاء.

٢ - ترسيخ الوحدة الوطنية بين أبناء عمان على أرضية المساواة في الحقوق والواجبات ومبدأ تكافؤ الفرص، وسياس (الله، الوطن، السلطان).

٣ - إزالة أسوار العزلة التي عاشت وراءها عمان لتصافح الجميع بيد تغترف من إباء الأجداد، وعزيمة تستمد صلابتها من الايمان بالله، ومن عراقة التاريخ وضراوته.

وفي عهد جلالكم رفعت عمان شرايعها في العلاقات الدولية لتجسد مبادئ التعايش السلمي في إطار :

١ - عدم التدخل في شؤون الغير وعدم قبول التدخل في شؤونها من أحد.

٢ - سياسة حسن الجوار.

٣ - الاحترام المتبادل للسيادة الوطنية.

٤ - تبادل المصالح.

ان كتاب «عمان في التاريخ» جاء ثمرة جهد وتجارب مع تطلع شعب واعتزازه بماضيه العريق.

لم تحاول في هذا الكتاب ان ننشئ تاريخا، فالتاريخ العماني منقوش بدماء الشهداء على مر العصور، مجسد بعزائم الأجيال وتضحياتهم في رواسي الجبال وشوامخ القلاع ولكننا اخترنا المنهج العلمي طريقا والقلم العربي فكرا لتسجيل ملامح هذا السفر الخالد.

ولم نتجه الى تجميع الشذرات ولكن البحث المتواصل والتقصي الدقيق على يد علماء أجلاء واساتذة أفاضل حملوا أمانتهم التاريخية في اتحاد المؤرخين

العرب واشقائهم في بعض الاقطار العربية أسهموا في هذا الجهد الكبير عرفانا منهم لأبناء المهلب بن أبي صفرة وقبله مالك بن فهم وبعدهم من أشاوس الرجال الذين ما رأوا - كما يروى تاريخهم - خيرا إلا نصره ولا شرا إلا ردوه، فلهم من أبناء عمان كل الوفاء والامتنان.

وأود أن اشكر كل الجهات الحكومية والأهلية على جهدها وتعاونها، وجامعة السلطان قابوس على احتضانها الندوة الكبيرة «عمان في التاريخ» والتي شارك فيها عدد كبير من العلماء المختصين بالتاريخ العماني من معظم الاقطار العربية والاسلامية وبعض الدول ذات الصلة بالتاريخ العماني.

وأخيرا وليس آخرا أود أن اسجل شكري للجنة المشرفة على إعداد هذا الكتاب وتطوير مراحل إخراجها، فلولا جهدهم ومثابرتهم لما تفادينا العديد من التكرار والثغرات.. ولا بد لي في هذا المقام إلا أن اسجل تقديري الشخصي لصاحب السمو السيد / فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد - وزير التراث القومي والثقافة - على رعايته حفل افتتاح ندوة «عمان في التاريخ» وكان لذلك الاثر الخاص في تقدير المشاركين وتكريمهم.

والله من وراء القصد وهو الهادي الى سواء السبيل.

عبدالعزیز بن محمد الرواس
وزير الاعلام
رئيس لجنة الاشراف على اعداد
كتاب عمان في التاريخ



المقدمة

ظهرت الحاجة في الآونة الأخيرة الى اصدار كتاب يتناول تاريخ عمان في شيء من التفصيل، ويحكي هذا التاريخ على مدى العصور التاريخية المتعاقبة، ويضم الحضارة بجانب التاريخ، لأنه لا يوجد في الواقع حتى الآن كتاب يتناول هذه الأمور كلها، وحتى اذا تناولها أو تناول بعضها فإنه يوجزها ايجازا لا يشفي غلة الظمآن الى التعرف على عمان تاريخا وحضارة، أو يأتي بسرد لتاريخ عمان حسب النسق والمنهج القديم الذي أصبح لايساير مناهج البحث التاريخية الحديثة، وفي الأحوال كلها فان حضارة عمان لم تنل حظها الكافي من البحث والدراسة حتى الآن.

ولذلك فقد وفقت وزارة الاعلام كل التوفيق حينما استفادت من عدد لا بأس به من الأبحاث والدراسات التي تلقتها من عدد من الباحثين والمؤرخين العرب في اصدار هذا الكتاب.. فكونت لجنة من المهتمين بالدراسات التاريخية قامت بمناقشة هذه الأبحاث وراجعتها مراجعة دقيقة، ثم تم الاستخلاص النهائي لهذا الكتاب من هذه الأبحاث بعد أن عرضت ونوقشت في ندوة علمية عقدت خصيصا بجامعة السلطان قابوس في شهر ربيع الآخر ١٤١٥هـ/ سبتمبر ١٩٩٤م وعلى مدى اربعة ايام متتالية وبمشاركة نخبة من المؤرخين العرب يمثلون شتى الجامعات العربية بالاضافة الى اساتذة وطلبة الجامعة.

وفي الحقيقة فقد كانت الأبحاث المقدمة تتناول موضوعات مختلفة ومتفاوتة، وبعضها يتناول أشياء تتكرر في بحث آخر، وهذا أمر طبيعي، وكان من الضروري أن تنقى هذه الأبحاث مما فيها من تكرار، ويتم الربط بينها، أو بين الفقرات أو المعلومات التي تستخلص من بحث لتضم الى بحث آخر، ليكتمل الموضوع الذي نتناوله بالعرض اكمالا مفيدا وشاملا، وحتى يأتي الكلام في سلسلة متصلة الحلقات، وحتى لا تكون الأفكار والحقائق وكأنها جزر منفصلة أو شظايا لا يمكن تجميعها أو السيطرة عليها، وكان ذلك من أصعب الأمور بالنسبة لعملية الاستخلاص والربط والتنقيح والتصحيح.

ويجب الإشارة أيضا الى أن طبيعة استخراج أو استخلاص هذا الكتاب من أبحاث عديدة، واستخلاص الفصل الواحد بل وربما النقطة الواحدة أو الموضوع الواحد من أكثر من بحث، ربما يؤدي الى شيء من التكرار ان لم يكن في الأسلوب فربما يكون في المعنى أو الحقائق التاريخية التي يوردها باحث للتدليل على شيء معين، ثم يوظفها باحث ثان للتدليل على شيء آخر، ومن ثم

يظن القاريء أن هناك شيئاً من التكرار، وهو تكرار قد تلافيناه جهد الطاقة، ولم يبق منه إلا اليسير والناذر الذي لا يسيء إلى الكتاب، وإنما قد يلتفت نظر القاريء المتفحص.

كما أن طبيعة استخلاص هذا الكتاب من بصوث عديدة والحفاظ في نفس الوقت على النص كما هو في حدود تحقيقه للهدف الذي رسم من أجله هذا الكتاب، لا بد وأن يؤدي إلى نتيجة أخرى هي تباين الأسلوب واختلاف العرض، فهناك فصول ترى فيها سهولة الأسلوب وتدفق العبارات، وأخرى لا ترى فيها ذلك بنفس القدر. وقد عولجت هذه العقبة حتى يأتي الكتاب وكأنه من تأليف شخص واحد، وحتى لا يشعر القاريء كثيراً بهذا التفاوت في الأسلوب أو العبارات، وفي نفس الوقت لا يمكن أن ندعي بأن المعالجة كانت كاملة تماماً في هذا المضمار، نظراً لطبيعة الكتاب والنشأة التي ولد عليها.

ومع ذلك فقد تم الاحتفاظ للباحثين بأسلوبهم ونص عباراتهم، أن لم تكن هناك حاجة لتعديل بعضها، أو إضافة جمل وأحياناً فقرات، وخاصة أثناء ربط الفقرات أو الفصول ببعضها حتى يتضح المعنى ويستقيم الأسلوب، ولكن هذه الإضافات جاءت في أضيق نطاق، وحسبما ظهرت الحاجة إليها.

وعلى أية حال فقد بذل القائمون على أمر هذا الكتاب جهداً مضنياً في سبيل تذليل العقبات والصعوبات التي قامت عند استخلاص هذا الكتاب، بل وفي مراجعة مادة الكتاب كلمة كلمة، والتوجيه بشأن بعض المعلومات، والتنبيه بإضافة بعض المواد حتى يظهر الكتاب في صورة لائقة، ومن ثم جاء هذا الكتاب على هذا النحو الممتاز. فإذا كان هناك توفيق فما التوفيق إلا من الله سبحانه وتعالى، لا نطلب العون إلا منه، فهو نعم المولى ونعم المعين.

لجنة الإشراف على كتاب

«عمان في التاريخ»

الباب الأول

جغرافيا عُمان

الفصل الأول : موقع عمان

الفصل الثاني : سكان عمان واقتصادياتها

الفصل الثالث : مكونات الجغرافيا السياسية لعمان واثرها في العصر الحديث

البحوث المقدمة والمستخلص منها هذا الباب

- عمان في كتب الجغرافيين العرب، للأستاذ الدكتور يوسف غوانمة، عميد كلية الآداب جامعة اليرموك بالأردن.

- طبيعة العلاقة بين عمان والسلطة المركزية للدولة الإسلامية في القرن الأول الهجري للأستاذ الدكتور خليل شاكر حسين، اتحاد المؤرخين العرب ببغداد.

- عمان كما وردت في كتابات الرحالة في العصور الوسطى، للاستاذة الدكتورة زبيدة عطا، جامعة المنيا بجمهورية مصر العربية.

- العُمانيون ودورهم في أحداث ثغر الهند في القرنين الأول والثاني الهجريين، للدكتور سعد بن سعيد الحميدي، الأستاذ المساعد بكلية اللغة والعلوم الاجتماعية فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالجنوب - مدينة أبها - المملكة العربية السعودية.

- عمان وتجارها مع الشرق الأقصى وشرق إفريقيا في العصر الإسلامي، للدكتورة سحر السيد عبدالعزيز سالم، جامعة الإسكندرية.

- دراسة في مكونات الجغرافيا السياسية لسلطنة عمان، للدكتور محمد رمزي، جامعة دمشق.

- البحث التاريخي والأثري في محافظة ظفار، سلطنة عمان، اعداد البروفسور يوريس زارينز، جامعة ولاية ساوث وست ميسوري، الولايات المتحدة الأمريكية.

الفصل الأول موقع عُمان

أهمية موقع عمان عبر التاريخ :

تقع عمان في أقصى جنوب شرقي الجزيرة العربية، وحدودها الجغرافية تاريخيا واضحة من الوجهة الطبيعية، فاطرافها الشمالية تمتد الى مسندم على ساحل مضيق هرمز، وتتداخل اراضيها مع رمال الربع الخالي من الغرب والجنوب الغربي، ويفصلها عن البحرين وقطر رمال بينونة، وعن حضرموت رمال الاحقاف المتصلة بالربع الخالي^(١) وقد ادى هذا الموقع الى ان اصبحت لعمان شخصيتها الجغرافية الخاصة، واصبح اتصالها بالبحر من سماتها الواضحة، وتميز ساحلها الذي يطل على هذا البحر بكثرة الخلجان الطويلة العميقة ذات الجوانب الصخرية العالية الشديد الانحدار، أما داخل عمان فمعظمه هضبة مرتفعة، متوسط ارتفاعها نحو ١٥٠٠ متر ولها سلسلة فقرية هي الجبل الاخضر الواقع الى الجنوب الغربي من مسقط، والذي ترتفع قممه الى نحو ثلاثة الاف متر. وتكثر في الهضبة الاودية السحيقة ذات الجوانب الشديد الانحدار، ويتجه بعض هذه الاودية الى خليج عمان وبحر العرب، واهمها وادي سمائل الذي يصب قرب مدينة مسقط، وهو من اعظم الاودية هضبا، وينتهي البعض الآخر الى صحراء الربع الخالي. ويوجد بها سهل ساحلي يشرف على خليج عمان يسمى سهل الباطنة، تنساب اليه المياه من الهضبة، وتقوم به زراعة انواع من الحبوب والفواكه بالاضافة الى اشجار النخيل، كما يوجد بها سهل ساحلي يطل على البحر العربي يسمى جريب تغذيه مياه الآبار والافلاج ويزرع فيه بعض اشجار النارجيل والموز والعديد من الفواكه والخضروات، وفي غربي هذه الهضبة توجد واحات عديدة، من أشهرها واحه البريمي.

وهكذا تتنوع الاقاليم الجغرافية في عمان تنوعا مفيدا، فمن سهول ساحلية الى جبال بها سفوح يسكنها الانسان منذ أقدم العصور، الى اودية تنحدر من هذه الجبال كانت أيضا مستقرا للانسان العماني القديم، الى صحارى كانت متنفسا للقبائل الضاربة في الصحراء. وهذه الاقاليم الجغرافية المتنوعة تنتظمها مساحة كبيرة من الارض تقدر في الوقت الحالي بـ ٢١٢ الف كيلومتر مربع، بيد أن عمان الحالية لا تمثل بلاد عمان في السابق، حيث أنها كانت تشمل بعض الاقاليم المجاورة لها من الاقطار العربية المتاخمة^(٢)، وكانت مساحتها في القرن الاول الهجري تمتد جنوبا حتى الشحر وغربا حتى الربع الخالي، وتتصل بالبحر من الجهات الشرقية والجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية كما أنها تتصل بالبحرين من جهة الشمال^(٣).

واذا كانت الجغرافيا الطبيعية لعمان تميزها على هذا النحو عن سائر أنحاء الجزيرة العربية، فإن موقعها الجغرافي أيضا له أهمية كبرى، ذلك لأنه لعب دورا هاما في قوة البلاد الذاتية^(٤)، فلم يكن مجرد عامل جغرافي فحسب وإنما هو راسمال طبيعي وسياسي ومورد أصيل من موارد الثروة القومية، كما أنه يمثل شبكة من العلاقات والوضعيات الاقليمية التي تؤثر في المحيط الاقليمي والقومي، لاسيما وأن

عمان تتمتع بموقع بحري هام، إذ تمتد سواحلها الى أكثر من ١٧٠٠ كم^(٥)، وتطل كما هو معروف على خليج عمان ثم البحر العربي الذي يتصل بالمحيط الهندي. كما تتحكم عمان في مضيق هرمز من الناحية الجنوبية، وهو المضيق أو الممر المائي الوحيد الذي يصل الخليج العربي بالبحر العربي والمحيط الهندي.

وقد أدى هذا الموقع الممتاز لعمان الى نتيجة هامة، ألا وهي تفوقها البحري، خاصة اذا ما علمنا أن الاتصال البري بينها وبين المناطق المجاورة لها كان صعبا، فقد كان بين البحرين وعمان على سبيل المثال برية ممتنعة^(٦)، بالإضافة الى كثرة القفار، وقلة السكان، فكان على العمانيين أن يسلكوا الطريق البحري، فنبغوا في ركوبه والاستفادة منه، حتى أصبحت بلادهم تلعب دورا أساسيا في تجارة الخليج العربي والمحيط الهندي بعد أن أصبحت قاعدة الخليج الاولى التي تتحكم في مدخله من الجهة الجنوبية، وحلقة الوصل الرئيسية بين عالمين، عالم الشرق الاقصى ممثلا في الهند والصين وجنوب شرق آسيا من جهة، وشرق افريقيا ومصر، ومنها الى الغرب الأوروبي من جهة أخرى.

وهذا الخليج الذي تتحكم عمان في مدخله من الجهة الجنوبية كما سبق القول لا يعد شعبه من بحر الهند أو المحيط الهندي، وإنما هو بحر مستقل عنهما، ويشتمل على ثلاثة بحار هي بحر فارس وبحر البحرين وبحر عمان، وكلها بحر واحد، تطل بلاد فارس على ساحله الشرقي، وبلاد العرب على ساحله الغربي، وتتصل مياه هذا الخليج بالمحيط الهندي المؤدي الى الشرق الاقصى من جهة وإلى بحر العرب فالخليج البربري (نسبة الى بربرة الصومالية) الذي ينتهي ببلاد سفاله في (موزمبيق) ويتفرع منه بحر القلزم (السويس) من جهة ثانية^(٧).

وإذا كان لموقع عمان كل هذه الأهمية، فإن ذلك لابد أن ينعكس على سير الاحداث التاريخية، ولابد أن يؤثر في تحديد موقعها السياسي، وبما يتصل بها جغرافيا من البلدان، بكونها تمثل جزءا من بلاد العرب لوقوعها في الزاوية الجنوبية الشرقية من جزيرة العرب^(٨).

وتأسيسا على ذلك، فقد كان ما يحدث في مركز الدولة العربية الاسلامية ينعكس على عمان وعلى بقية الاقاليم العربية الاخرى، كما كان أمن عمان ومصالحها يتصل بأمن ومصالح الدولة العربية الاسلامية ويستفاد من ذلك، أن موقع عمان كان أداة ربط وتفاعل بدولة الاسلام ولذلك كتب عنها كثير من الجغرافيين والرحالة، وخاصة في العصور الاسلامية.

عمان في كتابات الجغرافيين العرب :

ذكر الجغرافيون العرب عمان في مؤلفاتهم، وركزوا على أهميتها الملاحية والتجارية وعلاقاتها بالصين والهند والسواحل الشرقية الافريقية، وبعض جزر المحيط الهندي، بالإضافة الى اشجارها وزراعتها، وأعطونا وصفا لمدنها وقراها ودونوا مشاهداتهم هم أنفسهم أو تلك التي سمعوها أو نقلوها عن غيرهم، وقد تضمنت هذه المواد معلومات قيمة عن بلاد عمان.

فالتاجر سليمان (ت ٢٣٧هـ / ٨٥١م)^(٩)، يتحدث في كتابه (سلسلة التواريخ) عن حركة السفن والمراكب التجارية المنطلقة من (سيراف)^(١٠)، ومنطقة عمان باتجاه

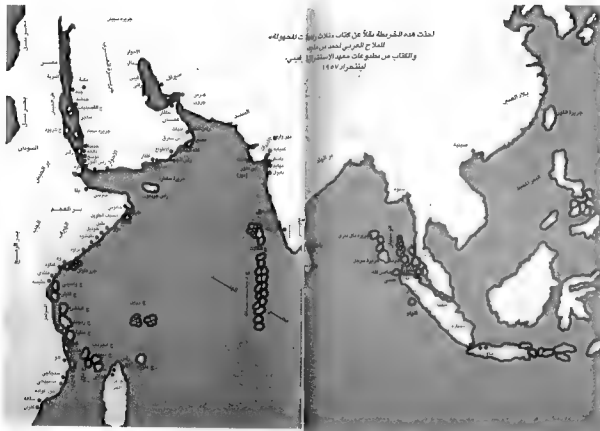
الهند والصين فيقول: ان أكثر السفن التجارية الصينية تحمل من سيراuf وان المتاع يحمل من البصرة وعُمان وغيرها الى سيراuf، فبعباً في السفن الصينية هناك، ثم تقلع السفن الى (مسقط) وهو آخر عمل عُمان، والمسافة من سيراuf الى مسقط نحو ٢٠٠ فرسخ.. وفي هذا البحر جبال عُمان، حيث يوجد فيها الموضع الذي يسمى (الدرودر) وهو مضيق بين جبلين، تسلكه السفن الصغار، ولا تسلكه السفن الصينية... وفيها ايضا الجبلان اللذان يقال لهما: (كسير وعوير)، ولا يظهر منهما فوق الماء الا الجزء اليسير، فاذا جاؤت السفن الجبال تصل الى (صحار)... وفي العادة فان السفن ترسو في (مسقط) حيث تتزود بالمياه العذبة، ثم تقلع السفن الى بلاد الهند، وتمر في طريقها الى (كوكم ملي)^(١١)، وتقطع السفن تلك المسافة في مدة شهر ان كانت الريح معتدلة، وكانت سفن الصين تنقل الحرير الى بلاد العرب.

ويذكر أبو زيد الحسن السيراufي في كتابه (أخبار الصين والهند) ان بلاد عُمان كانت تشتهر بالربابنة والادلاء لتزويد المراكب الصينية والهندية والعربية بهم^(١٢)... اما عن علاقات عُمان بجزر الشرق الأقصى فيقول بأن في جزيرة «كلا»^(١٣) مجمع الامتعة من الاعواد والكافور والصندل والعاج والرصاص، والابنوس، والبقم^(١٤)، والافاويه^(١٥) كلها، وتنقل هذه السلع من هذه الجزيرة الى عُمان بالاضافة الى ان المراكب تجهز بصنوف السلع العربية في طريقها الى الهند^(١٦).

ويتحدث ابن خرداذبة (ت ٢٧٢هـ / ٨٨٥م) في كتابه «المسالك والممالك»، عن بلاد عُمان، فيذكر ان خراجها يبلغ ٢٠٠ الف دينار سنوياً، ثم يوضح أهمية موقعها في التجارة الدولية انذاك، حيث كان التجار يقصدونها في طريقهم من (الابلة)^(١٧) في جنوب العراق الى الهند والسند والصين... اما السلع التي كانوا يجلبونها من بلدان الشرق الأقصى فكانت: المسك والعود والكافور والدار صيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي... ثم يعودون في طريقهم الى أوروبا عبر البحر الاحمر وخليج القلزم ومصر، واثناء عودة هؤلاء التجار كانوا يجلبون معهم الخدم والجواري والغلمان والديباuf والجلود والخز والغراء والسمور والسيوف^(١٨).

أما الهمداني (ت ٣٢٤هـ / ٩٤٥م) فيذكر في كتابه (صفة جزيرة العرب) بان اليمن تقع في جنوبي الجزيرة، وفي شمالها تقع الشام، وغربها تقع شرم ايلة وماطر دته من السواحل الى القلزم وفسطاط مصر، وشرقيها تقع بلاد عُمان والبحرين وكافطمة والبصرة، وفي وسطها تقع الحجاز وارض نجد والعروض^(١٩)... وعند حديثه عن البحر المحيط ببلاد عُمان والمتصل ببلاد الحجاز يقول بان هذا البحر يحيط ببلاد اليمن في ارض الزنج والحبش^(٢٠)... اما كورة ارض عُمان فهي صحار، واما قراها فأكثر مجامعها مورد من اوديتها^(٢١)، واما الذين سكنوا عُمان من الازد فهم: يحمذ، وحدان، ومالك، والحارث، وعتيك، وجديد^(٢٢).

ويذكر الاصطخري (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م) في كتابه (مسالك الممالك) ان ديار العرب لا يشركهم في سكنها احد غيرهم، ويحيط بها فارس (الخليج العربي)، الذي يمتد من عبادان، التي يصب عندها ماء دجلة والفرات في البحر الى البحرين، وينتهي في عُمان ثم ينعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن حتى ينتهي على سواحل اليمن الى جدة، ثم يمتد على طول الحجاز حتى ينتهي في ايلة (العقبة الحالية)^(٢٣).. ويعطينا الاصطخري وصفا جيدا لعُمان فهو يقول: عُمان مستقلة باهلها كثيرة النخيل والفواكه كاللوز والرمان والنبق وغيره اما قصبه بلاد عُمان فهي صحار وتقع



على البحر وبها متاجر البحر وتقصدها المراكب، وهي اعمر مدينة بعمان واكثرها مالا، ولا تكاد تعرف على ساحل البحر بجميع بلاد الاسلام مدينة اكثر عمارة ومالا من صحار^(٢٤)... بالإضافة الى أن بلاد عمان تحتوي على مدن كثيرة، أما مساحتها فتبلغ ٣٠٠ فرسخ^(٢٥)، والمسافة بين عمان والبحرين مسيرة شهر واحد، ومنها الى ارض مهرة نحو شهر كذلك^(٢٦).

ويذكر برزك بن شهر يار (توفي قرب منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) في كتابه (عجائب الهند بره وبحره وجزايره) أن اهل عمان اشتهروا بالملاحة وكان منهم الربابنة نذكر منهم: يزيد العماني ناخوذة الزنج.. ويحدثنا هذا الربان بأنه قد شاهد في بلاد الزنج جبلين عظيمين بينهما واد وفيه آثار النار، فسأل عنه فقيل له: أن هذا الوادي تجري فيه النار في وقت من السنة وتأتي على كل مافيه من نبات وحيوان وامنسان، ولاشك أن هذه النار هي مانسميه الان بالبراكين^(٢٧).

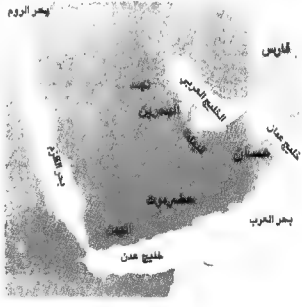
اما ابن الفقيه الهمداني (ت ٣٦٥هـ / ٩٧٥م) فيقول في (كتاب البلدان) بأن ارض عمان هي صفوة الارض من الارضين وهي بمنزلة الرأس منها^(٢٨)، ويستطرد قائلا: بأن حشوش الدنيا ثلاثة: عمان والابلة وسيراف^(٢٩)، وانها تشتهر بالسلك، وبالقنى (الرماح) والنخيل، ويعدد من اصناف تمورها المشهورة: الغرض والبليق والخبوت^(٣٠). ويقول ابن حوقل (٣٨٠هـ / ٩٩٠م) في كتابه (صورة الارض)، بأن ديار العرب يحيط بها بحر فارس (الخليج العربي) من عبادان وهو مصب دجلة في البحر فيمتد الى البحرين حتى ينتهي الى عمان ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن، حتى ينتهي على سواحل اليمن الى جدة، ثم يمتد على الجار ومدين حتى ينتهي الى ايلة^(٣١)، ومن الاماكن التي يذكرها في سواحل عمان رأس الجمجمة^(٣٢)، ومدينة صحار.

ويتحدث عن عمان فيذكر بأن عمان ناحية ذات اقاليم مستقلة بأهلها فسحة كثيرة النخيل والفواكه من الموز والرمان ونحو ذلك، وانها بلاد حارة ومع ذلك فيسقط على رؤوس بعض جبالها تلج خفيف.. اما قصبتها فمدينة صحار الواقعة على البحر، وبصحار من التجار والتجارة مالا يحصى كثرة، وهي اعمر مدينة بعمان واكثرها مالا، ولا يكاد يعرض على شط بحر فارس بجميع بلاد الاسلام مدينة اكثر عمارة ومالا من صحار، ولعمان مدن كثيرة^(٣٣).

الاسم شبه الجزيرة العربية حسب تقسيم العرب في العصور الوسطى

بحر الروم

وقد قسم المقدسي (ت بعد ٣٩٠هـ / ٩٩٩م) في كتابه (احسن التقاسيم) الجزيرة العربية الى اربع كور جليلية واسعة، واربع نواح نفيسة، اما الكور فهي: الحجاز واليمن وعمان وهدجر، والنواحي هي الاحقاف والاشحار واليمامة وقرح^(٣٤)، ويقول بأن كورة عمان كورة جليلية مساحتها ٨٠ فرسخا مربعا^(٣٥)، كلها نخيل وبساتين، ويستقي أهلها من ابار قريبة ينزعها البقر اكثرها في الجبال^(٣٦)... اما قصبة عمان فهي مدينة صحار، ومن مدنها: نزوى السر، ضنك، حفيت، دبا، سلوت، جلفار، سمد، بسيا، منح^(٣٧)... ويتحدث عن مدينة صحار قائلا: بأنه قصبة عمان، ليس على بحر الصين اليوم (القرن الرابع الهجري) بلد اجل منه، عامر اهل حسن طيب



نزه، ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات... وهي ايسر من زبيد وصنعاء اليمينية، بها اسواق عجيبة وهي بلدة ظريفة ممتدة على البحر، اما دورها قمبينة من الاجر والساج^(٣٨)، وهي اينية شاهقة نفيسة واهلها في سعة من العيش... وصحار دهليز الصين، وخزانة الشرق والعراق، ومغوة اليمن، ويستقي اهلها من ابار عذبة وقناة حلوة وبها مسجد جميل يقع على البحر في آخر الاسواق، له منارة حسنة طويلة، ومحراب بلولب يدور فتراه مرة اصفر ومرة اخضر وحينما احمر^(٣٩).

ويتحدث المقدسي عن المدن العمانية الاخرى فيقول بان (نزوى) تقع في الجبال وهي مدينة كبيرة ببناء بيوتها من الطين ويقع الجامع في وسط السوق، ويشرب سكانها من انهار وابار، واذا غلب الوادي في الشتاء دخل الماء الى الجامع^(٤٠) ... اما (السر)^(٤١)، فهي اصغر من مدينة نزوى تلتف حولها اشجار النخيل ويقع جامعها في وسط السوق، ويشرب اهلها من انهار وابار.



منظر لنزوى

وهناك مدينة (ضنك) وبها عدد قليل من اشجار النخيل، واما (حفيت) فهي كثيرة النخيل، وجامعها في وسط اسواقها، وتقع (سلوت) على يسار نزوى اما (دبا) و(جلفار) فهما من نحو بلاد هجر^(٤٢)، وهناك مدن: سمد وبسيا ومنح والقلعة^(٤٣)، وضنك^(٤٤)، وعند حديثه عن (مسقط) يقول بانها اول ما يستقبل المراكب اليمنية، وقد (رايته موضعا حسنا كثير الفواكه)، اما مدينة (توام) فقد غلب عليها قوم من قريش فيهم باس وشدة^(٤٥).

وفي حديثه عن تجارات الجزيرة العربية يذكر ان التجارات فيها مفيدة، لان بها فرضت الدنيا وسوق منى، والبحر المتصل بالصين، وجدة والجار خزانتي مصر، ووادي القرى مطرح الشام والعراق، واليمن معدن العصائب والعقيق والادم والرقيق.. فالى عمان يخرج الات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج والسمنسمس والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والابنوس والنارجيل والقند والاسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبلور والفلل وغير ذلك. وتزيد عدن بالعنبر والشروب والدرق والحيش والخدم

وجلود النمر وبتجارات الصين تضرب الامثال^(٤٦).

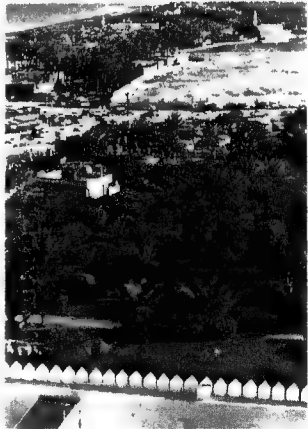
اما مكابيل عمان فكانت في زمن المقدسي: الصاع والمد والمكوك، ولهم بالمرابك صاعان يعطون باحدهما جرايات الملاحين، ويتعاملون بالكبير وارطالهم هو المن المعروف في جميع بلاد الاسلام^(٤٧) ... ويتعامل اهالي عمان بالدينار ويساوي ثلاثين درهما والدراهم المستعملة في عمان تسمى (الطسوة)^(٤٨)، وفي العادة كان الاهالي يدفعون عن كل نخلة يملكونها درهما واحدا للسلطان^(٤٩)، اما خراج عمان فكان يبلغ على رأي قدامة بن جعفر ٣٠٠ الف دينار سنويا، وفي العادة كان يؤخذ من التجار القادمين الى عمان العشر، واحيانا كان للسلطان في عمان الثلث من اموال التجار، وكان التجار يتعرضون في بعض الاحيان الى تفتيش دقيق^(٥٠).

ويقول ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) في كتابه (سفر نامه) عن عمان فيقول

بانها ولاية فاذا سافر المسافر جنوب الحسا يبلغها، وهي في بلاد العرب، وثلاثة جوانب فيها صحراء لا يمكن اجتيازها.. وهي حارة الجو يكثر فيها الجوز الهندي المسمى نارجيل، والى الجنوب من عمان تقع عدن، والى الشرق منها عبر البحر تقع جزيرتا كيش ومكران^(٥١).

اما ابو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) فيقول في كتابه (جزيرة العرب المأخوذ من كتاب المسالك والممالك) بان (ظفار) منازل العرب العاربة، ودار الملوك العظام من التبابعة والاقبال (الهياطلة)، والعياله، وان بها السيوف والثياب من القصب والسعيدى والوشى والمغمر والحبر، والبرود والاردية العدنية والصنعانية، والعنبر والجزع والعقيق والرقيق والبخت والابل المهرية والذيل العرب، والنضار، وغير ذلك من اصناف الامتعة والتجارات^(٥٢)... ويذكر ان في بلاد عمان مغاوص اللؤلؤ، وكان الغواصون يتقاضون عن كل يوم من قيراط الى نصف درهم.. وفي العادة فهم يفوصون من بكره النهار الى نصفه، ثم يأخذون في شق الصدف الى آخر ذلك النهار، ولؤلؤ مغاص عمان من النوع الجيد ذو قيمة مرتفعة بحيث ان بعض حبات لؤلؤ عمان كانت تباع بعشرة الاف الى

أعلى قلعة صحار
أسفل منظر عام لصحار



خمسة عشر ألف دينار^(٥٣).

وفي حديث البكري عن بلاد عمان يذكر أن فيها سهولا ساحلية وكلما بعدت عن الساحل تجد الحزون والجبال، اما مدنها فيذكر منها مدينة (مسقط) وتقع على ساحل البحر وهي مدينة حصينة، يحيط بها جبل فيه مياه سائحة اجريت الى المدينة، وهي مدينة كثيرة النخيل والبساتين وضروب الفواكه، وطعام اهلهما الحنطة والشعير والارز والجاورس^(٥٤)، ومدينة (صحار) وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر ومياهها من الابار، ثم مدينة (نزوى) وهي اكبر من صحار، وهناك مدينة (صحم) وماؤها من العيون، وبها نخل كثير، ويزرع فيها قصب السكر^(٥٥).

ويذكر البكري ان خراج عمان ٨٠ الف دينار سنويا، ومنها يمكن للمرء ان يسافر بحرا الى سواحل الجزيرة العربية وافريقيا والصين والهند، وهي ذات تجارات واسعة، وقد بنيت فيها الخانات خدمة للتجار القادمين اليها والمقيمين فيها من البلدان الاخرى، وقيل في الامثال: (من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان)، وبسبب ثراء اهلهما فقد اهدى صاحب عمان بعد سنة ٤٢٠ هـ الى الكعبة محاريب فضية زنة المحارب ازيد من قطار، وقناديل فضية متقنة الصنع، وقد سميت المحاريب في جوف الكعبة مما يقابل بابها^(٥٦). ويتحدث الادريسي (ت ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) عن بلاد عمان في كتابه (نزهة المشتاق في اخراق الآفاق) فيقول: ويتصل بأرض مهرة بلاد عمان وهي مجاورة لها من جهة الشمال.. وبلاد عمان مستقلة بذاتها عامرة بأهلها، كثيرة النخيل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والتين والعنب ونحو ذلك.. ومن اشهر مدنها مدينتا (صور) و(قلهات) على ساحل البحر، وهما مدينتان صغيرتان لكنهما عامرتان، يشرب اهلهما من مياه الآبار، ويصاد بهما اللؤلؤ بكميات قليلة، والمسافة بين صور وقلهات مرحلة، اما في البحر فدون ذلك^(٥٧)... ويوجد على ساحل عمان رأس الجمجمة^(٥٨)، وهو جبل عال على ساحل البحر، يقع جنوب غبة الحشيش، وهناك صعوبات ملاحية في ساحل عمان بسبب وجود جبال وصخور ضخمة مغطاة بالمياه تنكسر عليها عادة بعض المراكب ان اقتربت منها، وتشتهر في منطقة رأس الجمجمة مغايص اللؤلؤ^(٥٩)، ويوجد في مواجهة سواحل عمان جزيرتان هما، جزيرة ابن كاوان طولها ٥٢ ميلا بعرض تسعة اميال، وجزيرة كيش.. ويوجد بالقرب من جزيرة ابن كاوان (الدردور)، وهو موضع يدور فيه الماء كالرحى دورانا دائما، من غير فترة ولا سكون، فاذا سقط اليه مركب او غيره لم يزل يدور حتى يتلف.. وهناك مضيق على مقربة من جبلي كسير وعوير، تسلكه السفن الصغيرة ولا تسلكه السفن الصينية، وهذان الجبلان غائران تحت الماء لا يظهر منهما شيء، وربابنة السفن يعرفون مكانيهما ويتجنبوهما، ويوجد على ساحل عمان فيما بين سيراغ ومسقط انف قائم في البحر وبازائه جزيرة صغيرة^(٦٠).

ويتحدث الادريسي عن صناعة السفن في سواحل عمان وبالاخص في مدينتي صحار ومرباط وهو نوع من السفن يستخدمون في صناعتها خشب النارجيل وسعف النخيل وكانوا يربطون تلك الاخشاب بعد صنعها بجبال يصنعونها من ليف النارجيل، كما كانوا يفتلون من خوصه حبلا^(٦١)، ويوجد في عمان دهن مشهور يستخدم في سد خروق تلك المراكب بعد خرزها^(٦٢)، بالإضافة الى سفن اخرى اكبر كانوا يصنعونها من اخشاب محلية او مستوردة، وتلك المراكب كان العمانيون يركبون المحيط الهندي وبحر العرب فيصلون الى سواحل افريقية والهند والصين

يتناول المصانح والأدعة المختلفة، ويعودون مسلح تلك البلدان^(١٢) ومن مدن بلاد عمان عَمَّان (السيب)، وهي قرية ساحلية ذات كثافة سكانية قليلة شتاءً إلا أن الحياة تنح فيها صيفاً بسبب قدوم الفراعصة إليها للبحث عن التلؤلؤ في سواحلها فليها معاص التلؤلؤ المختار، وهي مشهورة بجيد التلؤلؤ المستخرج منها^(١٣)

أما مدينة (صحرار) فيذكر الأديبي أنها من أقدم مدن عمان وأكثرها أموالاً قديماً وحديثاً، ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد كما لا يحصى عددهم، وإلى هذه المدينة يطوف جميع بضائع اليمن ويجهز منها بأنواع التجهيزات، أما أهلها فهم في سعة من الحيش ومتاجرهم مزينة أما رعايتها فتشتهر بكثرة النخيل والفواكه منها المور الرمان والسكرجيل وكثير من الثمار النعنية الحنية وكثارت المراكب تبصر من صحرار إلى بلاد البحر، إلا أنه، تنقطع فيها بعد بسبب أعمال الفرسنة البحرية المنطقة من بعض الجور القليلة لسواحل عمان فتصير تلك المراكب التي عدن^(١٤)، أما (مسقط) فيذكر أنها مدينة مشهورة من سواحل بلاد عمان والمناصة بينها وبين صحرار نحو ٤٥ ميلاً^(١٥)

وفي مواجئة ساحل عمان الشمالي توجد جزيرة كيش وهي جزيرة مربعة مساحتها ١٢ ميلاً في مئطها وبها حصن جيد بالإضافة إلى دروع وأصنام والتدوير وكروم ثم يتحدث عن شهرتها بمغليش التلؤلؤ^(١٦)، ومن مدن عمان الساحلية بالإضافة إلى صحرار ودما ومسقط بلدنا (الحيل) و(جفار)، ويوجد في سواحل البندقي، الأخرى، إلى صحرار معاصي التلؤلؤ وبها في البحر طرف حمل كبير عائم في البحر يظهر منه التلؤلؤ في بعض الأماكن ويحب في غيرها، إذا سجد عند الجبل منافع للمراكب المحسرة إذا اقتربت منه وربما انكسرت وتحطمت بمياهه^(١٧)

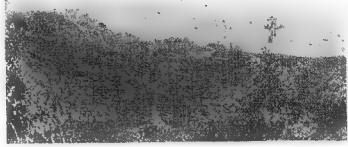


الارض العربية
الأديبي

ثم مستطرد في الحديث عن ملاد عمان فيقول بأن مهابته تبلغ ٩٠ ميلاً^(١٨) وهي حارة صفاً إلا أنه يدرج بأن جيب شمس تلج قليل شتاءً، ويوجد بين بلاد عمان وبلاد محار مرار متصلة والطريق منها إلى مكة براً صعبة جداً الكثرة الفقار وقلة السكان، ويتصل بدارص عمان من الغرب والشمال درص الينامة^(١٩) أما ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م) فيقول في كتابه (معجم البلدان) عن بصر أوله وتضيف ثانياً وحده سور، سد كورة عمانية هي ساحل نهر اليس واليهمة وعمان في الأقاليم الأول طولها ٧١ درجة و ٣ دقيقة وعرضها ١٩ درجة و ٤٥ دقيقة^(٢٠)، وتقع طرفي بلادها جسر وتشقل على بلدان كثيرة وهي ذات بحيل وزروع والعصبة عمان مدينة صحرار ولد قبل اليعول (ص) أي لاعلم أرفضا من أرض العرب بلان لها عمان على شاطئ البحر، العصبة منها الفصل أي حرم من حصن من غيرها^(٢١)، وإلى جنبيه من (صحرار) يقول يساهها قصبة عمان على الجبل^(٢٢)، ثم يكرر ياقوت مادكنه المقدسي من قبل عن هذه المدينة وهي أهميتها بالنسبة لعمان ولتجارة مع الشرق^(٢٣)

ثم يتحدث عن بروي فيقول السور هو الوشم، ورووي جبل معمار ليس بالساحل^(٢٤) وحوله عدد من القرى الكبار يسمى حصونها بهذا الاسم. تشتهر مملكة بروي بالثياب المصقة بالحديد وهي ثياب جيدة مائة لا يعل مئطها في بلاد العرب، ويصنعون مار من سيف تلك الثياب أشباهاً مرتفعة وبياض فيها، وقد رأى الحموي بعضها منها واستحسنها ولاحظ أن هذه الثياب الجميلة والملازم الخلقة تجلب من بلاد عمان إلى البلدان الأخرى^(٢٥) ويذكر ياقوت الحموي بأن (مسقط) بالفتح وسكون السين، وفتح الكاف تطلق

على عدة اماكن منها: (مسقط الرمل) في طريق البصرة ومسقط مدينة من نواحي عمان على ساحل البحر، ومسقط ايضا رستاق بساحل بحر الخزر دون باب الايواب (٧٧) ... ومن مدن عمان مدينة (قلهات) وتقع على ساحل البحر واليها ترافا سفن الهند وهي مدينة ليست بالقديمة في العمارة ويرى باقوت انها تمصرت بعد الـ ٥٠٠ هـ وهي من اشهر مدن عمان واحسنها عامرة اهله بالسكان فرضة بلاد عمان على المحيط الهندي وبحر العرب (٧٨).



الطبيعة الخلابة في ظفار

وهناك مدينة (ظفار) بالضم ثم الفتح والتشديد وفاء وآخره راء، بلد بعمان عامر كثير الغنم والجبن والسمن يجلب منها الى ما يجاورها من البلدان (٧٩)، ومن قراها كلبا او كلبة وهي موضع من نواحي عمان على ساحل البحر (٨٠)، ثم خورفكان بليدة على ساحل عمان يحول بينها وبين البحر الاعظم جبل، وبها نخيل وعيون عذبة (٨١).

ويقول ابن سعيد المغربي (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ م) عن ظفار في كتابه (كتاب الجغرافيا) ظفار قاعدة التبايعه فخرت، وهي من حيث الطول ٧٢ درجة والعرض ١٥ درجة، ثم يلقاك على الساحل مدن الشحر... وهي بلاد العنبر واللبان، ومن مدنها (مرباط) وتقع على جون يدخل الى الشمال على طول ٧٤ درجة وعرض ١٤ درجة ونصف، وفي شرقيها على الجون نفسه تقع مدينة (ظفار) المحدثه... ومدينة ظفار كانت في زمن ابن سعيد المغربي (القرن السابع الهجري) قاعدة بلاد الشحر وفرضتها المشهورة يجلب اليها خيل العرب ومنها يحمل الى بلاد الهند... ويقال ان في ارض هذه المدينة الكثير من عقاقير الهند مثل: النارجيل والتنبل والفوفل والعباس... ويقع في شمالي هذا الجون رمال الاحقاف والى الشمال من الاحقاف تمت جبال اللبان من الغرب الى الشرق (٨٢).

اما القزويني (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) فيقول ان ظفار تشتهر بالجزع الظفاري الجيد واشجار اللبان الذي لا يوجد في الدنيا الا في جبالها، وهو غلة لسلطانها، فياتي اهالي ظفار ويجرحون اشجارها بالسكين فيسيل منها اللبان، فيجمعونه ويحملونه الى مدينة ظفار، فيأخذ السلطان قسطه ويعطيهم الباقي (٨٣)

حلسة هادئة على ظلال اشجار حور الهند في ظفار



ويقول ابن الماور (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) في كتابه (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) ان بلاد عمان تعم بالخمر، وتجارتها واسعة ومن مدنها قلهات ومسقط وصحار والمسافة بين قلهات الى (طوي) ثلاثة فراسخ والى مسقط ستة فراسخ (٨٤)، وتشتهر بلاد عمان بصيد السمك، فيأكل اهالي البلاد السمك والتمر... ويذكر ابن الماور ان مسقط كانت



عملية جرح شجرة
اللبنان

مرسى مدينة صحار^(٨٥)، ففيها كانت ترسو المراكب القادمة من اطراف البلاد، ثم تحمل تلك المراكب بصنوف السلع المختلفة في طريقها الى بلاد كرمان وسجستان وكانت تلك السلع تتفرق في بلاد خراسان وما وراء النهر وزاولستان والغور وكرميل^(٨٦).

ولعظم تجارة عمان وكثافتها فقد كان يوجد في مدينة صحار ١٩٢ قباناً لوزن البضائع للطلاب والمطلوب^(٨٧)، وهذا يدل على دور عمان الكبير في التجارة الدولية في القرون الوسطى.

ويتحدث الدمشقي (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م)

في كتابه (خبة الدهر في عجائب البر والبحر) عن اللؤلؤ ومغاصاته فيقول: والغوص يكون في اربعة مواضع، جزيرة خارك من عمل فارس وارض عمان وقطر وجزيرة سرنديب... واللؤلؤ نوعان: كبير يسمى الدر، وصغير يسمى اللؤلؤ واجود الدر المذرج الصافي الشفاف الكبير الحجم الرزين النقي ويتفاوت في الوزن من نصف مثقال الى مثقال ونصف... واجود اللؤلؤ النقي المستدير واللؤلؤ له الوان، فمنه اصفر

مستدير ومنه احمر ومنه اخضر ومنه ازرق^(٨٨)... ويذكر الدمشقي ان بلاد عمان تشتهر (بالصبر) وهو صمغ من شجر له ورق كورق السوس، وعلى حربي الورقة شوك صغار وهو اطول واغلظ من ورق السوسن، وعليه رطوبة تلصق باليد، وصمغ عمان اسود ملمع.. ويستخرج من بلاد عمان (المقل الازرق) وهو صمغ اشجار كبيرة تنبت في المنطقة الواقعة بين الشحر وعمان، وهو صمغ يشبه الكندر طيب الرائحة^(٨٩)... وينبت في عمان اشجار اللبان خصوصاً في منطقة ظفار



قلعة بهلا

بالاضافة الى هذه الاشجار تنبت في اماكن من بلاد اليمن^(٩٠).

ويذكر الدمشقي ان عمان تقع على ساحل بحر الهند، ومايلي البحر توجد سهول ورمال، ومن ورائه حزون (ارض غليظة صعبة المسالك) وجبال.. وتشتهر بلاد عمان بالخنيل والموز والرمان، فكانت قصبتهى اولا مدينة (صحار) فخربت، وبني بعد ذلك مدينة (قلهات) واصبحت فرضة بلاد عمان... ومن مدن عمان (صور) وهي مدينة ساحلية و(مسقط) وتقع على البحر كذلك، وكان الناس ينزلون فيها في اخصاص ايام الفوص على اللؤلؤ، ومن مدن عمان (ادم) وهي مدينة برية مسورة ومدينة (ميح)^(٩١) بالحاء المهمة، وهي مدينة مسورة تجري اليها مياه من المرتفعات المجاورة، ومدينة (نزوى) وتقع في واد بين جبليين، و(قلعة بهلاء) الواقعة على راس جبل ممتنع ثم مدينة (جلفار)... وتشتهر بلاد عمان بالافلاج وهي شبه الانهار وتجري مياه هذه الافلاج الى المدن والقرى الساحلية وتستخدم في ري الاراضي وزراعتها ويصّب بعضها في البحر^(٩٢).

اما ابو الفداء (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) فعندما يتحدث عن الجزيرة العربية في كتابه (تقويم البلدان)، يذكر ان البحر الذي يحيط بجزيرة العرب من جهة الغرب هو بحر القلزم وهذا البحر يمتد من اطراف اليمن الى ايلة، ومن الشرق يحيط بها بحر فارس (الخليج العربي) الذي يمتد من البصرة الى البحرين ثم يمتد حتى يتجاوز بها بحر عمان، ويذكر ان عمان تقع على قم الخليج الفارسي (الخليج العربي) حيث الطول ٧٤ درجة والعرض ١٩ درجة و ٤٥ دقيقة^(٩٢)... ويحيط بها من الجنوب بحر الهند الذي يمتد من عمان الى سواحل مهرة، ويستدير على اليمن الى عدن ويصف مدينة (مرباط) فيقول: انها تقع على ساحل خليج ظفار، وينبت بجبالها شجر اللبان ويجهز منها الى البلاد^(٩٣).

ويذكر الحميري الذي توفي في القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد في كتابه (الروض المعطار في خير الاقطار) مدينة صحار، ويقول انها مدينة كبيرة بارض عمان وهي قصبتها، تقع على ساحل البحر مساحتها فرسخ في فرسخ، ويستقي اهلها من الياور، ويقول بانها اقدم مدن عمان واكثرها اموالا قديما وحديثا ويقصدها في كل سنة من التجار ما لا يحصى عددهم، وتجلب اليها جميع بضائع اليمن، وتجهز منها بانواع التجارات... وكانت مرسى لراكب الصين والهند فتسافر منها تلك المراكب بعد ان تحمل بالسلع المختلفة وظل الامر كذلك حتى قام عامل جزيرة (كيش) بانشاء اسطول غزا به بلاد اليمن الساحلية فاضر بالمسافرين والتجار ولم يترك لاحد مالا فتسبب في اضعاف البلاد وانقطعت السفن عن عمان... وكانت صحار قبل ذلك مجتمع التجار، ومنها يتجهز لكل بلدة، وهذا مما زاد في ثروة اهالي البلاد وسعة عيشهم.. ويزرع في منطقة صحار النخيل والموز والرمان والسفرجل وكثير من الثمار الطيبة^(٩٤).

وفي حديث الحميري عن بلاد عمان يقول: هي بلاد مستقلة في ذاتها عامرة باهلها كثيرة النخيل والفواكه والموز والرمان والتين والعنب... وتبلغ مساحة عمان ٨٠ فرسخا في مثلها^(٩٥). . والى البحر منها سهول ورمال، وماتباع منه حزون (ارض غليظة) وجبال ولها عدة مدن منها مدينة (عمان)^(٩٦)... وتقع على ساحل البحر وهي مدينة حصينة وعلى الجانب الآخر يحيط بها جبل فيه مياه سائحة قد اجريت الى المدينة، وهي كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه... وبمدينة عمان الخانات والحمامات التي بنيت خدمة للتجار القادمين اليها، وطعام اهالي عمان الحنطة والشعير الارز والجاورس وللمدينة عمان سور به ابواب من حديد وبها اسواق كثيرة وهي فريضة الصين، تحمل اليها الامتعة من سيراف وتكون الحمولة في قوارب صغيرة ثم تحمل تلك البضائع في مراكب كبيرة عظيمة فتسير في البحر العظيم بالريش الطيبة باتجاه الهند والصين.

اما (مسقط) فيذكر انها في طريق عمان على البحر يمر عليها من اراد بلاد الهند والصين، فيسير مع الشمال لتقاء الجنوب حتى يصل الى مسقط، وتقع هذه المدينة بين جبلين وترسو فيها السفن حيث تستقي من ابارها العذبة، وتحمل تلك السفن الحجارة من مسقط لرمي

منظر حديث من
مدينة مسقط



الدلافين
والحيتان من
الاحياء البحرية
التي عاشت
منذ زمن في
المياه العميقة
بالمحيط الهندي



العدو اذا خرج عليها، وتبعد مسقط عن شحر حضرموت مسافة ٩٠ فرسخاً (١٨).
واخيراً فإن القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) يذكر في سفره (صبح الاعشى في
صناعة الانشاء) بلاد عمان فيقول: ان قاعدتها مدينة (عمان) (١٩).. وتقع على البحر
تحت البصرة وهي مدينة جليلة بها مرسى السفن من الهند والجزيرة وليس على
بحر فارس مدينة اجل منها وهي ديار الازد وتبلغ نحو ٣٠٠ فرسخ، كثيرة الفواكه
والنخيل، ولكنها حارة جداً وكانت قسبة بلاد عمان قديماً مدينة (صحار) بضم
الصاد وفتح الحاء وهي في زمن القلقشندي (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر
الميلادي) خراب (٢٠).

وهكذا تعددت الكتابات التي وردت عن عمان عند الجغرافيين العرب بدءاً من
القرن الثالث وحتى القرن التاسع للهجرة، وكما ترى فقد أعطينا هذه الكتابات
معلومات وفيرة عن موقع عمان وأهميته، وعن علاقاتها المكانية، ومحاصيلها الزراعية
وشروعاتها الاقتصادية، ومدنها الهامة، وعلاقاتها التجارية بمختلف دول العالم
المعروف وقتذاك.

وهذه الصورة المشرفة التي وردت عند هؤلاء الجغرافيين اكتمل اشرافها وزاد
ببإبانها بما ورد عند الرحالة الذين جابوا البحار
وطوفوا ببلدان المعمورة شرقاً وغرباً، وكانت
عمان إحدى محطاتهم التي رسوا فيها
وزاروها وتحدثوا عنها وأعطوها وصفاً
تفصيلياً لما رأوا وشاهدوا، فماذا قالوا؟

عمان في كتابات الرحالة في العصور الوسطى:

كانت عمان إحدى الحواضر الإسلامية
الهامة التي تمتعت بتاريخ يضرب بجذوره في
عمق الزمن ويعود الى الاف السنين.. فتلك



الدولة البحرية كانت قسبة للخليج ومرت بموانئها تجارات الهند^(١٠١) والصين والجزيرة العربية ومصر، وكانت حلقة وصل بين شبه الجزيرة العربية والعالم القديم.. تمتعت اجزاء من اراضيها بترية خصبة افاض الرحالة في وصف خيراتنا وثمارها... ولقد التقت على اراضيها تأثيرات حضارية متنوعة من حضارات العالم القديم كحضارة ما بين النهرين والصين والهند ومصر بل وصل اليها اليونان والرومان وكتبوا عن موانئها.

فقد زار المنطقة كثير من الجغرافيين والرحالة وكتبوا عن انطباعاتهم ولقد اختلفت نظرتهم باختلاف الفترات الزمنية التي عايشوها من حيث مراكز الحضارة والازدهار بالإضافة الى الاهمية التجارية لموانئها كانت تختلف عبر العصور.. فمثلا رحالة الفترة الاولى وغالبيتهم من الجغرافيين كابن حوقل والاصطخري غلبت على معلوماتهم التأثيرات الخاصة بوصف المكان الجغرافي بالإضافة الى المعلومة التاريخية^(١٠٢).

اما رحالة القرنين الثالث عشر والرابع عشر كماركوبولو الايطالي أو ابن بطوطة فقد تركوا لنا وصفا تفصيليا عن البلاد واحوالها وموانئها وعبادات وتقاليدها سكانها.

وقد ذكر هؤلاء الرحالة ان العمانيين كانوا من اوائل التجار الذين جابوا البحار وحملوا صادرات العالم المختلفة... فابوعبيدة عبدالله بن القاسم اول من ذهب الى الصين في العصر الاسلامي وكان ذلك عام ١٣٢ هـ / ٧٥٠ مما اكد على اهمية موقع عمان وعلى اهميتها التجارية انذاك فهي تقع على مفترق الطرق البحرية بين الصين والهند شرقا والعراق شمالا وشرقاً والبحر الاحمر غرباً^(١٠٣)... مما ساعد العمانيين على القيام برحلات الى الصين والهند حيث كانوا يشتركون من الصين الحرير والكافور والمسك والتوابل والخزف... ومن الهند خشب الساج والارز والمواد الغذائية وفي المقابل يصدرون بضائع الشرق من الكتان والقطن والصوف والمصنوعات المعدنية والحديد الخام وسبائك الذهب... اما اهم صادرات عمان نفسها فكانت الخيول واللبان. فاذا رجعنا الى ماكتبه رحالتنا ونبدأ برحالة ومؤرخ^(١٠٤)... هو المسعودي الذي قام بالعديد من الرحلات بداية من ٣٠٩ هـ عبر فارس وكرمان والهند والمليبار والمنصورة وسرنديب... وذهب الى الصين وطاف البحر الهندي من مدغشقر وعاد الى عمان وقام برحلة اخرى الى اذربيجان والشام ثم استقر بمصر^(١٠٥)... وعند زيارته لعمان بهره النشاط التجاري وخاصة مدينة صمار التي تمتعت بشهرة واسعة في التجارة... ولقد وصف رحلته في المحيط الهندي فذكر ان المحيط يمتد من الحبشة الى اقصى الهند والصين وانه يمتد ثمانية الاف ميل وان غالبية البحارة على السفن من اهل عمان وهم احسن البحارة وانهم ارباب المراكب ولديهم خبرة بالبحر وبصيد اللؤلؤ من بحر عمان والخليج، ويقول انه بجانب اللؤلؤ كان يوجد في هذه المنطقة العقيق والياقوت ومعدن الذهب وان ارض عمان اشتهرت بالنحاس خاصة، بالإضافة الى الطيب والعنبر والساج والخشب^(١٠٦).

كما يذكر أن الصيد كان من حرف اهل عمان الرئيسية، وذكر نوعا من الأسماك هو غالباً الحيتان وكانت المدن الساحلية التي كانت تتمتع بحركة تجارية في عمان قلهات وصحار وكان الفرس يسمونها مزون.. اما مسقط فلم تكن قد اكتسبت شهرتها بعد فيذكر انها فرضة يستقى ارباب المراكب الماء من آبار عذبة بها.

اما الشحر فهم عرب من قضاة وهم مهرة ايضا في التجارة ويشير الى ان لغتهم دخلت عليها لكنة، والمدينة بها افضل الجمال وكذلك كان لديهم افضل عنبر، ولقد عدد



الخيول العربية
الأصيلة في عُمان

له تجار عمان انواع العنبر... ويذكر ان بمنطقة تسمى الحلال مكانا به علامات منصوبة من خشب على البحر وهي علامات للمراكب المتجه الى عمان.

فاذا مضينا عبر الزمان ووصلنا الى القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي والتقينا برحالة آخر هذه المرة ايطالي المولد والجنسية هو الرحالة الشهير ماركوبولو والذي عاش سبعة عشر عاما في بلاط المغول وزار عمان اثناء عودته وهنا نجد ان الوضع اختلف عما رآه المسعودي في القرن الرابع وان ظلت عمان تتمتع بأهميتها البحرية ونشاطاتها التجارية، ولكن الذي اختلف هو أهمية المدن فان صحار بدأت تفقد أهميتها القديمة وحلت محلها ظفار وقلهات (١٠٧).

وكانت اول مدينة مر بها اثناء رحلته هي مدينة اسكبير (الشحر) (١٠٨)... وأشار الى شهرتها التجارية حيث كان يصدر منها اهم منتجات عمان وهو اللبان.. وبعد اللبان الابيض افضل انواعه وانهم يحصلون عليه من شجرة صغيرة يقوم الناس بجرح جسمها فيسيل منها سائل بعد نزع لحائها، فمن هذا الجرح ينضج اللبان ثم مايلبث ان يتجمد، ويذكر ان حاكم هذه المدينة يحتكر تجارته فيشتره بسعر عشر بيزنطيات (دوقيات ذهبية) لكل قنطار ثم يبيعه للتجار بربعين بيزنطية.

ويذكر ان الخيول ايضا تمثل جانبا هاما من صادرات هذه المدينة وكانت تباع بأسعار عالية وتصدر للهند

اما عن حاصلات عمان فيذكر ان أهمها النخيل، وينتج أجود أنواع البلح وكان لديهم شراب من الارز والسكر والبلح، وان كان يذكر انه لم تكن هناك العديد من الزراعات بل اقتصروا على الارز والدخن وأنهم كانوا يستوردون المواد الغذائية.

وبالاضافة الى التجارة وهي حرفةهم الأساسية، فهناك صيد الاسماك..

والسمك يمثل بالنسبة لهم مصدر طعام رئيسي بحيث انهم يجففونه ويجعلونه طعاما لماشيئتهم وابقارهم التي تعودت على تناوله.

وبالنسبة لظفار فيذكر انها كانت ميناء هاما تصدر منه الخيول الى الهند وكذلك كان يصدر منها اللبان ويدخل في دائرتها مدن وقلاع عديدة.

وهنا يرد ذكر مدينة قلهاة وأهميتها التجارية ويذكرها باسم قلاياتي وهي غير بعيدة عن مسقط، ويذكر أن المدينة تتبع ملك هرمز الذي يعتقد انه تابع لحاكم كرمان، وأورد أن الحاكم كان يلجأ إليها حين يتعرض لخطر من أي مدينة أخرى لحصانة موقعها، وهي كظفار لا تنتج الحبوب بل تستوردها.

ويتحدث عن ميناء المدينة، والمرجح انه يتكلم عن مسقط فيذكر ان السفن تنقل الى هذا الميناء القماش والتوابل حيث يبيعها التجار ويحصلون في المقابل على الخيول.

ويذكر ان للميناء قلعة في موقع منيع عند مدخل الخليج بحيث لا يستطيع مركب الدخول اليه او الخروج منه بغير اذن، وكان يجبي رسوما من التجار، وكان ذلك الحصن بمكانه المنيع لا يشكل بالفعل مفتاحا للخليج فقط بل للبحر نفسه، لأن المقيم في الحصن يمكنه في كل الاوقات اكتشاف السفن التي تمر، اذ يهيء ملجأ للسفن المعدة للتطواف، ويمكن حمايته عن طريق رؤية السفن التي تقترب من الشاطئ وكان الأمير الذي يملك هذا الحصن يمنح السيادة على تلك البحار.

ويعيش سكان هذه المنطقة على البلح والسمك سواء الطازج او المملح ويقولون ان البلح هو الطعام الاساسي ويخلطونه بكل انواع الطعام الاخرى ويأكلونه مستغنين عن الخبز^(١٠٩).

وفي القرن الذي تلي القرن الذي عاش فيه ماركو بولو، وهو القرن الرابع عشر للميلاد، يأتي الرحالة المغربي ابن بطوطة ويعطينا وصفا رائعا لبعض بلاد عمان وعادات أهلها، فذكر انه زار الهند ومنها أبحر الى ظفار مع مساعدة الريح في شهر كامل، وأنه سبق ان قطع المسافة ايضا من كاليكوت الى ظفار في ثمانية وعشرين يوما وان المدينة تحيطها الصحراء... وهو يصف المدينة كما رآها... فقصر السلطان بداخل المدينة، ومن عادة السلطان أن تضرب الطبول أمام قصره كل يوم بعد صلاة العصر كما انه جعل يوم الجمعة مجلسا للمشاورة مع الأمالي، وكان يلتقي بجنده كل يوم اثنين وخميس... وكان السلطان اذا خرج خرج بسلاحه ومماليك الى خارج المدينة حيث يؤدي الى بهجمل عليه حمل مستور بستر ابيض منقوش بالذهب فيركب هو ونديمه في هذا الحمل بحيث لا يرى... وكان له وزير يدير اموره... أما الناس فكان جل اعتمادهم في طعامهم على الأسماك، التي كانوا يستعملونها أيضا طعاما لماشيئتهم^(١١٠).

وهنا يعطينا ابن بطوطة بعينه الفاحصة وصفا للمجتمع وأهل المدينة، فيذكر أن أهل المدينة أشبه الناس بأهل المغرب وأنهم أهل تقى، وأن في كل دار من دورهم سجادة من الخوص معلقة في البيت ليصلي عليها صاحب الدار، كما يفعل أهل المغرب وحتى اسماء جواريمهم تتشابه مع المغاربة، ومن عوايدهم الحسنة التصافح في المسجد في صلاة الصبح والعصر، ويستند أهل الصف الأول الى القبلة ويصافحهم الذين يلونهم، وكذلك يفعلون بعد صلاة الجمعة.

وهو يصف الأمالي أيضا بالتواضع وحسن الخلق وفضيلة محبة الغريب وكانوا يلبسون القطن الذي يجلبونه من الهند، ويشدون القوط في أوساطهم عوض السروال وأكثرهم يشد قوطه في وسطه ويجعل فوق ظهره أخرى من شدة الحر، ويغتسلون



كثير من قلعات

عدة مرات في اليوم.

ويذكر أن من عادة أهل المدينة إذا وصلت مركب من الهند أو غيرها أن يخرج عبيد السلطان إلى الساحل ويصعدوا في سنبوق (مركب) ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله وللربان... وللكراني وهو كاتب المركب ويؤتي لهم بأفراس يركبونها وتضرب أمامهم الطبول من ساحل البحر إلى دار السلطان، فيسلمون على الوزير وأمير جندار، فيبعث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثاً، وبعد الثلاثة أيام يأكلون بدار السلطان.

كذلك يذكر الأماكن المشهورة لدى أهل البلدة فيعبد المساجد وأن بها زاوية مشهورة لرجل صالح من أهل ظفار يسمى أبي محمد بن بكر بن عيسى وأنه إذا استجار بالزاوية شخص لم يتعرض له السلطان... ويذكر أنه أثناء زيارته استجار بها كاتب السلطان وأقام بها حتى تم الصلح بينهما.

وفي طريقه إلى عمان نزل بحاسك، وأملها صيادو أسماك، وذكر بأن بالمدينة شجر الكندل الذي يستخرج منه اللبان... وأن لديهم نوعاً من السمك يشبه كلب البحر، وأن

منازلهم من عظام السمك وسقوفها من جلود الجمال... ولقد اشار ايضا الى السارية التي تهدي المراكب الى عمان... ويذكر ان غالبية البحارة وعدد كبير من التجار الذين التقى بهم أثناء اسفاره كانوا من العمانيين وانهم كانوا يتناولون أكلة عمانية مطبوخة من الذرة وعسل النمر كان يصنعها عادة التجار العمانيون كما ذكر ان صاحب المركب التي كان يركبها في رحلته كان من جزيرة مصرية^(١١١).

وأشار أيضا الى أهمية مدينة قلعات البحرية، وذكر أن المدينة حصينة، فلا يسمح بدخول أي فرد قبل الرجوع الى حاكم المدينة فاذا سمح له بالدخول أخذوه عند وصوله وقابل حاكم المدينة الذي استضافه، كما ذكر أن حاكم المدينة كان تحت سيطرة قطب الدين تمهتن ملك هرمز... وأن هذه المدينة حسنة الأسواق ولها مسجد حيطانه من القاشاني وقد انشأته الصالحة بيبي مريم.

أما أهلها فطعامهم الأرض الذي يجلب من الهند بالإضافة الى الاسماك، ولهم لهجة خاصة بهم ولقد زار ابن بطوطة مدينة مجاورة لها تسمى طيوي، وذكر أن لها بساتين وأنهار وأشجار وقال انه بين عمان^(١١٢) وهذه المدينة مسيرة ستة أيام في الصحراء.

وحين يتحدث ابن بطوطة عن بقية بلاد عمان يذكر انها تمتاز بخصوبة اراضيها وبساتينها وان عاصمتها تسمى نزوى وهي مدينة في سفح جبل تحيط بها البساتين والأنهار، وأن أهل المدينة يوصفوا بالشجاعة والنجدة وهم اباضية المذهب ويصلون الجمعة ظهرا اربعا فاذا فرغوا منها قرأ الامام آيات من القرآن، وعادة أهلها ان يأكلوا في صحنون المساجد، فيأتي كل فرد بما عنده ويجتمعون للاكل في صحن المسجد ويأكل منهم كل من تواجد بالمسجد.

ويذكر ان حاكم المدينة عربي من قبيلة الازد ويعرف بابي محمد بن نيهان ويذكر ان اسم ابي محمد سمة كل سلطان بعمان، وعادة ان يجلس خارج باب داره في مجلس، ولا صاحب له ولا وزير ولا يمنع احدا من مقابلته سواء كان غريبا او من اهل المدينة.

ويذكر من المدن التابعة لعمان قريات^(١١٣)... وكلبا^(١١٤)... وصحار وكلها اراض خصبة.

فمن الواضح ومن استعراض ماعرضه هؤلاء الرحالة ان أهمية عمان التجارية عبر تلك الحقبة التاريخية ظلت قائمة بل زادت أهميتها عند نهاية الفترة وتعددت المدن فبعد ان كانت صحار أصبحت ظفار وقلعات ومسقط، وكان ملاحوها وهم أشهر ملاحي الخليج وسفنها وتجارها يجوبون البحار حاملين تجارتهم ناقلين الحضارة والخير الى كل مكان وصلت اليه اقدامهم.



طفل عماني
بالزي التقليدي



وجه عُماني

الفصل الثاني سكان عُمان واقتصادياتها

التركيب السكاني لعُمان في فجر الاسلام:

يذهب البلاذري الى أن أغلب سكان عمان كانوا من الازد^(١)، وهم من عرب اليمن من قحطان، وكان يقيم الى جانبهم عدد لا يستهان به من غيرهم، بيد أنهم كانوا متفرقين في البوادي وغيرها^(٢). فمن أهل عمان «بنو بارق»، وهم بطن من خزاعة من بني عمرو مزيقياء من الازد، منهم حذيفة بن محصن البارقي الذي أسلم وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل عمان مصدقا، أي جابيا للزكاة^(٣).

ومن سكان عمان أيضا «العنكيون» وينسبون الى الازد بن عمران بن عمرو مزيقياء من الازد^(٤). ومن سكان عمان «بنو ناجية» الازديون أيضا، وينسبون الى ناجية بن الجماهر أو الجماهير بن الاشعر من قضاة^(٥). وهناك من سكان عمان «بنو ناجية» أيضا، وهم غير هؤلاء، وذلك أن الآخرين ينسبون الى سامة بن لؤي فهم نزارية عدنانية ولا يمتون الى بني ناجية الازديين الا بتشابه الاسم^(٦).

وتذكر المصادر أن بني «حديد» من القبائل الازدية التي كانت تقطن عمان وأنهم انضموا الى لقيط ذي التاج ثم انفصوا عنه حينما جاءت جيوش أبي بكر لقمع المتمردين هناك^(٧). ولاننسى «بنو علاف» واسم علاف ريان بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف^(٨). ومنهم معاوية ومحمد أبنا الحارث العلافيان وغيرهما^(٩). وقد كان من بين هذه القبائل من قام بدور ضخم في الفتوحات الاسلامية.

ومن القبائل العربية غير ذات الاصل اليمني بعمان والذين أشار اليهم عثمان البلاذري، بأنهم «من سكان البوادي»، بنو مازن بن شيبان^(١٠)، قال ابن دريد: «ليس فيهم أحد له ذكر، الا أن أبا عثمان النحوي ينسب اليهم لأن أمه منهم»^(١١).

ومن قبائل عمان «بنو مالك» بن فهم بن دوس بن زهران، ويذكر ابن دريد أنهم من قبائل دوس العظيمة^(١٢). ومنهم صليبي^(١٣)، وهم بنو زاكيا وثلثة بن مالك وينسبون الى بني عمرو بن مالك بن فهم والذين منهم سبعة بن غزال الذي قدم على أبي بكر في أمر أهل عمان^(١٤). ومن قبائل عمان الحث من كنده وينسبون الى مكان بهذا الاسم^(١٥). والتناغم قبيلة أيضا ينسبون الى تنعم^(١٦) وهذا قليل من كثير من القبائل التي سكنت عمان وكونت مراكز عمرانية استقرت فيها منذ ازمة بعيدة.

مراكز العمران البشري في عمان :

لا يمكن بأي حال تجاهل دور عمان ومدنها الساحلية في ربط ساحل عمان بالداخل مع سكان الجزيرة العربية من حيث كونها مستقرا للهجرات العربية الداخلية، وبالخارج عبر الموانئ والجزر المنتشرة هنا وهناك والتي أسهمت بدور حضاري فعال في مناشط مختلفة. أما المدن والموانئ التي كانت تشكل مراكز عمران هامة في عمان فهي كثيرة منها جلفار (رأس الخيمة)، ودبا، وصحار، ومسقط، وتنعم، وحما، وسلوت وغيرها.

١ - جلفار (رأس الخيمة) :

بضم أوله وتشديد اللام (١٧)، ذكرها المقدسي (ت ح ٣٧٥ هـ) وأنها من مدن عمان (١٨)، ووصفها بقربها من البحر وأنها تضارع حينئذ هجر (١٩) (البحرين) ربما في المساحة والأهمية. ولابد أنها كانت تساهم إلى جانب نظيراتها من المدن العمانية الأخرى في كونها سوقا للمستوردات من الصين والهند واليمن من «آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج، والسمسم والعاج، واللؤلؤ والديباج، والجزع واليواقيت، والابنوس والفانجيل، والقند والاسكندروس والصبر والحديد والرصاص، والخيزران والفضار والصنبل والبلور والفلقل» (٢٠)، ثم تحمل هذه الأشياء إلى أسواق العراق والشرق (ربما يعني إيران). ويمكن الزعم بأن موانئ الساحل العماني ومن بينها جلفار كانت تشكل بورصة تجارية تجتمع فيها تحف الشرق الأقصى لتوزع في الشرق الأوسط. ويذكر ياقوت الرومي أن جلفار «كثيرة الغنم والجبن والسمن» وأنه «يجلب منها إلى مايجاورها من البلدان» (٢١).

٢ - صحار:

هي أهم مدن عمان وبها قصبتها مما يلي الجبل، أما تؤام ففيها قصبتها مما يلي الساحل. وقد تبارى الجغرافيون في وصف صحار، فيصفها الإدريسي بأنها أقدم مدن عمان وأكثرها أموالا قديما وحديثا... وذلك على مكانتها التجارية الرفيعة والمتفوقة بقوله: «ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد مالا يحصى عددهم وألبها يجلب جميع بضائع اليمن، ويتجهز منها بأنواع التجارات وأحوال أهلها واسعة ومتاجرهم مريحة...» (٢٢).

كما دلل المقدسي على هذه الأهمية وتحدث عن محاسنها ومحاصلها وأسواقها ومساجدها مما سبق ذكره في شيء من التفصيل (٢٣). وقد نقل ياقوت كلام المقدسي عن أهمية عمان وأحوالها في كتاب معجم البلدان (٢٤). وتقر بعض المصادر اسم صحار بأنه اسم صحار بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل صحار اسم مشتق من الصحرَاء (٢٥)، ويسمى المسعودي سنجار في قوله: «ومن عمان وقصبتها سنجار والفرس يسمونها مزون» (٢٦) وبينها وبين مسقط وهي قرية منها يستقى أرباب المراكب الماء من آبار هناك عذبة خمسون فرسخا (٢٧).

٣ - مسقط :

هي المدينة التي كانت تلي صحار في الأهمية، وبينهما مائتان وثلاثون كيلومترا (٢٨) واجمعت المصادر على وجود بئر من المياه العذبة بمسقط كان يتزود منه التجار والبحارة بالماء مما رفع مكانة مسقط التجارية (٢٩)، وذكر ابن بطوطة أن مسقط اشتهرت بنوع من السمك عرف بقلب الماس (٣٠).

منظر لمسقط من
ناحية قلعتي
الجلالي والميراني
التاريخيتين

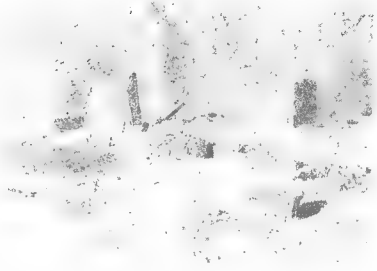


٤ - نزوى :

يذكر كل من الاصطخري وابن حوقل انها كانت مقرا انحاز اليه الشراة عندما وقع خلاف بينهم وبين طائفة من بني سامة بن لؤي وكانوا من كبراء البلاد، فخرج من بني سامة رجل يعرف بمحمد بن القاسم من بني سامة الى الخليفة المعتضد، فأرسل مددا بقيادة رجل يسمى ابن ثور فدخل عمان، ونصر بني سامة فانحاز الشراة الى نزوى^(٢١).

٥ - دباء :

تقع دباء ما بين عمان والبحرين^(٢٢) نحو هجر، تقع على مقربة من البحر على حد قول المقدسي^(٢٣)، وكانت سوقا من أسواق العرب قديما^(٢٤)، وبينما تركزت حركة الزدة في البحرين وكذلك في اليمن واليمامة فاننا لم نسمع عن مرتدين انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في عمان، اللهم الا حادثة واحدة في دباء عندما وقع خلاف حول زكاة إحدى سيدات



دبا البيعة

هذه المدينة، فخشى حذيفة بن محصن الغلفاني أو البارقي أن يكون هذا الخلاف نوعا من الارتداد، فأغار عليهم وسبب أهل دبا، وانتهى الأمر بأن ذهب وفد من عمان الى الخليفة الراشد أبي بكر يعلنون له أنهم على اسلامهم، ولم ينتقلوا عنه، وأن حذيفة الغلفاني قد أساء فهم أهل دبا، فأمر الخليفة أبوبكر برد سبي دبا بعد أن عنف حذيفة تعنيفا شديدا^(٢٥).

هذا عن أهم المدن والموانئ التي كانت تمثل أهم مراكز العمران في عمان في العصور القديمة والاسلامية، أما الجزر التي كانت تابعة لعمان وتمثل هي الأخرى مراكز عمرانية هامة فكثيرة.

أهم الجزر التابعة لعمان :

كانت هناك جزر تتبع عمان في الخليج العربي، وحكمها في كثير من الأحيان أمراء من أصول عربية عمانية، وكان لها دور في الحركة التجارية مع الصين والهند وجنوب شرق آسيا وساحل شرق إفريقيا، وأهم هذه الجزر :

١ - جزيرة زيرباد :

وعنها يقول ياقوت الحموي: «جزيرة زيرباد من نواحي فارس، قال ابن سيران في تاريخه: في سنة ٣٠٩هـ توفي عبدالله بن عماره صاحب جزيرة زيرباد وقد ملكها خمسا وعشرين سنة وملكها بعده أخوه جعفر بن حمزه ستة أشهر وقتله غلمانه وملكها بعده بطال بن عبدالله بن عماره»^(٢٦).

وظل عرب عمان من آل عمارة يحكمون جزيرة زيرباد حتى بدايات القرن الرابع الهجري^(٢٧) ، وآل عمارة ينتمون إلى بني الجلندي الأزدية العمانيين. وفي ذلك يقول الاصطخري عن العرب الذين استوطنوا فارس وسواحلها المطلة على الخليج العربي «ومنهم آل عمارة ويعرفون بالجلندي، ولهم مملكة عريضة وضياء كثيرة وقلاع على سيف البحر بفارس متاخمة لحد كرمان ويزعمون أن ملكهم هناك قبل موسى عليه السلام»^(٢٨).

٢ - جزيرة قيس أو «كيش»:

يصفها ياقوت الحموي بقوله «وقيس جزيرة وهي كيش في بحر عمان، دورها (محيطها) أربعة فراسخ، وهي مدينة مليحة المنظر، ذات بساتين وعمارات جيدة وبها مسكن ملك ذلك البحر، صاحب عمان، وله ثلثا دخل البحرين، وهي مرفأً مراكب الهند، وير فارس وجبالها تظهر للنظر... وفيها أسواق وخيرات... وفيها مفاص للؤلؤ»^(٢٩).

وكانت قيس تتأرجح بين السيادة العربية والفارسية. وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى قيس بن عمارة من آل عمارة المعروفين بالجلندي^(٣٠). وقد ورثت جزيرة قيس المكانة التجارية التي كانت عليها سراف من قبل، فقد هاجم حكام قيس سراف ووضعوها تحت سلطانهم، ففقدت سراف منذ ذلك الحين أهميتها التجارية^(٣١)، وخلفتها جزيرة قيس وأصبحت من الموانئ الرئيسية في المنطقة.

ويرجع ياقوت الحموي إلى العرب فضل سيادة قيس التجارية على سراف وهو في ذلك يقول. «فمنذ من ابن عميره جزيرة قيس صارت فرضة الهند إليها منقلب التجار، خربت سراف وغيرها، ولقد رأيتها (سراف) وليس بها قوم الا صعاليك ما أوجب لهم المقام بها الا حب الوطن»^(٣٢).

ويذكر ابن بطوطة أن مكانة قيس التجارية بدأت في الاضمحلال في القرن الرابع عشر الميلادي وانتقل الالتماع التجاري منها إلى هرمز^(٣٣).

٣ - جزيرة جاسك:

ويصفها ياقوت بقوله «جزيرة كبيرة بين جزيرة قيس، هي المعروفة بكيش، وعلان، قبالة مدينة هرمز، بينها وبين قيس ثلاثة أيام، وفيها مساكن وعمارات، يسكنها جند ملك جزيرة قيس، وهم رجال أجلاء أكفاء لهم صبر وخبرة بالحرب في البحر وعلاج للسفن والمراكب ليس لغيرهم»^(٣٤).

ولقد ساعدت معرفة أهل عمان بالرياح الموسمية على تفوقهم الملاحي وسيادتهم على عالم التجارة البحرية في الخليج العربي والمحيط الهندي، فتوقيت رحلة الذهاب في الصيف، وتوقيت رحلة الاياب في الشتاء تكشف بما لا يدع مجالاً للشك عن صدق المعرفة الجغرافية العمانية بحركة الرياح الموسمية، كما تكشف أيضاً عن حسن استخدام التجار والملاحين العمانيين لهذه الرياح واستغلالها لمصالحهم ورحلاتهم التجارية البحرية أفضل استغلال^(٣٥).

ثروات عُمان الاقتصادية:

اشتهرت عمان^(٣٦). بمصايد اللؤلؤ شأنها في ذلك شأن معظم المدن المطلة على

الخليج العربي وجزره، ويروي المسعودي في مروج الذهب تفاصيل عملية الغوص على اللؤلؤ في بحر فارس من بلاد خارك وقطر وعمان وسرنديب ويذكر صفات اللؤلؤ المستخرج من هناك^(٤٧).

ويروي صاحب عجائب الهند أن أحد الغواصين من أهل عمان يدعى مسلم بن بشر استخرج لؤلؤة عرفت باليتيمة باعها للخليفة العباسي هارون الرشيد بسبعين ألف درهم، وباع له أخرى بثلاثين ألفاً، وعاد إلى بلده عمان بمائة ألف فصارت له دار عظيمة وضياع^(٤٨).

وقد أشار إلى هذه الدرة اليتيمة كل من الاصطخري وابن حوقل. كذلك يروي الحميري في الروض المعطار أن رجلاً عمانياً قدم إلى مكة بلؤلؤتين لم ير مثلهما، فباعهما بألفي دينار ذهباً، من رجل سمرقندي، وخرج من مكة في يومه فلما كان بعد عدة أيام قدم من قبل صاحب عمان رسول يطلب الذي باع اللؤلؤتين، ويتهمه بأنه سرقهما من قصره، وطلب المشتري فلم يعثر له على أثر إذ كان قد رحل بهما إلى دمشق فأهدى أحدهما إلى صاحب دمشق فكافأه عليها بعشرة آلاف دينار، ثم رحل إلى سمرقند فأهدى الثانية إلى صاحبها فكافأه عليها بخمسة عشر ألف دينار. ويذكر الحميري أن هاتيم اللؤلؤتين من مفاص «عمان»^(٤٩).

ويذكر ابن الفقيه أن عمان اشتهرت أيضاً بالقنى^(٥٠). وعرفت بتمورها الطبية طوال العصر الإسلامي^(٥١) ويؤكد ذلك ابن بطوطة الذي ذكر شهرة عمان في تصدير التمور إلى الهند وما حولها^(٥٢).

ونضيف إلى ما سبق أن ذكرناه عن ثروات عمان الاقتصادية شهرة أهل عمان بعنايتهم بتربية الخيل العربية الأصلية وهي شهرة بلغت الهند، فكان أهل الهند يسعون إلى شرائها من عمان ومن غيرها، وفي ذلك يقول ابن بطوطة عن أهل الهند: «والخيل التي يبتغونها للسبق تجلب إليهم من اليمن وعمان وفارس، وبيع الفرس منها بألف دينار إلى أربعة آلاف»^(٥٣).

كذلك اشتهرت عمان منذ أقدم حقب التاريخ بإنتاج النحاس وظلت تحتفظ بهذه الشهرة في العصر الإسلامي^(٥٤). ومن حيث الثروة السمكية ذاعت شهرة عمان بأسماكها، وفي ذلك يقول ابن الفقيه: «ويقال ريف الدنيا من السمك ما بين ماهيرديان إلى عمان»^(٥٥). ويؤكد ذلك في موضع آخر من كتابه^(٥٦) كما يؤكد ابن بطوطة عندما يذكر شهرة مسقط بصيد الأسماك^(٥٧).

ومن الجدير بالذكر أن بعض الأحاديث التي نسبت إلى الرسول ﷺ في فضائل عمان توضح ارتباط أهل عمان بالبحر، وبالصيد ففي حديث مازن بن غضوبة قال: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ادع الله تعالى لأهل عمان: فقال: اللهم أهدم وأبهم، فقلت: زدني يا رسول الله، فقال: اللهم ارزقهم العفاف والكفاف، والرضا بما قدرت لهم. قلت يا رسول الله: البحر ينضج بجانبنا، ادع الله في مريتنا وخفنا وظلفنا، قال: اللهم وسع عليهم في مريتهم وأكثر خيرهم من بحرهم، قلت زدني، قال: اللهم لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم، قل يا مازن آمين..^(٥٨).

أما بلاد مهرة، وقصبتها الشحر، وهي التي اعتبرها كل من الاصطخري وابن حوقل ضمن عمان^(٥٩) فكانت تنتج اللبان، الذي ذاعت شهرته في الآفاق، وكان أهلها يشتغلون بصيد الأسماك وتربية الإبل وزراعة التمور^(٦٠). وكان يتوفر ببلاد

الشجر بالإضافة الى ماسبق العنبر، فقد ورد في كتاب سلسلة التواريخ: «وفي عرضه بحر الزنج وبلادهم وعنبر هذا البحر قليل، ذلك أن العنبر أكثره يقع الى بلاد الزنج وساحل الشجر من أرض العرب، وأهل الشجر أناس من قضاة بن مالك من حمير وغيرهم من العرب»^(٦١)....

ويشير كل من ابن خرداذبه والمقدسي الى الكندر الذي كان من أهم ثروات مهرة الزراعة^(٦٢) وتتضمن المصادر العربية أسماء أنواع متعددة من ثروة عمان الزراعية، كالنخيل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والنبق^(٦٣) . أما جزيرة قيس التي كثيرا ما خضعت لأمراء من أصول عمانية فقد اشتهرت باستخراج اللؤلؤ^(٦٤) .

وهكذا تتميز عمان بوجود كثير من مصادر الثروة، وذلك منذ العصور التاريخية القديمة وفي العصور الاسلامية وما تلاها من عصور، مما ساعد على وجود حرف وصناعات مازالت موجودة حتى الآن، كما ساعد على تنشيط التبادل التجاري بينها وبين غيرها من البلدان.

الفصل الثالث

مكونات الجغرافيا السياسية

لعمان وأثرها في العصر الحديث

بعد أن عرضنا لسكان عمان وثرواتها في العصر الاسلامي، كان لزاما علينا أن نعرض لاهم المكونات الجغرافية السياسية لعمان وأثرها عليها في العصر الحديث. وهذه المكونات التي نشير اليها والتي نخصص لها هذا الحديث عديدة، منها المكان الجغرافي وما يعكسه من اهمية استراتيجية، والعناصر الطبيعية والمناخية للارض العمانية وما تفرض على الانسان العماني من صور تفاعل وتعامل مختلفة بقيمتها الاقتصادية والسياسية، والسكان العمانيون الذين يشكلون بمكوناتهم المختلفة وبقدرة ثقافتهم التعليمية والتعليلية العامل الرئيسي الذي تنعكس اثاره سلبا او ايجابيا على الاوضاع الاقتصادية والسياسية للسلطنة.. وعلى المكانة التي تحتلها في المعترك الدولي، اخيرا الكلام عن التركيب الجيولوجي للسلطنة واثره على بناء الموارد الطبيعية من تربة زراعية وثروات معدنية وانعكاس ذلك كله على القيم الاقتصادية والسياسية للسلطنة^(١). وطبيعي أن الكلام عن هذه الجوانب الجغرافية الاساسية وتوضيح اثارها على البناء السياسي، سيقى دون اي شك مزيدا من الضوء على سبل التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للسلطنة، وعلى قوانين هذا التطور فتتضح الامور اكثر، وتستقيم الاحكام والاستنتاجات، ويصبح النجاح حليف من سيرسم ويخطط لمستقبل هذا البلد، ويعمل من اجل تقدمه ورفعة شأنه.

المكان الجغرافي وجوانبه السياسية (جيوپوليتيكية المكان):

وتبرز الاهمية الاستراتيجية لموقع عمان من اول وهلة تقع فيها العين على اية خارطة للعالم، فهي تحتل قلب منطقة تتوازن عندها مناطق العالم الاسلامي، وعند شواطئها تنتهي الحدود الشرقية للوطن العربي المطلة على المحيط الهندي الاستراتيجي الذي يربط الشواطئ الافريقية بشواطئ المحيط الهادي. وان حقيقة المكان الجغرافي الذي تحتله عمان من قلب منطقة الشرق الاوسط، وعلاقات هذا المكان التي تربط كما ربطت من قبل السلطنة بالعوامل الحضارية والسياسية حولها، هي المنطلق الذي يجب الانطلاق منه لشرح التفاعلات السياسية التي تدور حول الاقليم وتؤثر فيه من الداخل كتفاعلات ذاتية، ومن الخارج في صورة الضغوط التي مارستها وتمارسها حتى الآن القوى الدولية في الميزان الدولي العام من اجل السيادة العالمية ومن اجل التوازن العالمي للقوى. فمن هذا الموقع المركزي للسلطنة بين الشرق والغرب عند مدخل الخليج العربي الذي اصبح يعرف فيما بعد باسم خليج البترول، تشارك السلطنة وايران في التحكم في مدخل أغنى مناطق انتاج البترول في العالم، وذلك عن طريق مضيق هرمز الذي يمر به اكثر من ٦٠٪ من



خارطة تبين موقع
عُمان في العالم

امدادات البترول العالمية النفطية (٢)، كما يمر به نحو ٩٠٪ من واردات اليابان النفطية و ٧٠٪ من واردات السوق الأوروبية المشتركة و ٥٠٪ من حاجة الولايات المتحدة الأمريكية. وقبل أن يكتشف البترول في عُمان، وتصبح إحدى مناطق القلب للطاقة في العالم، كانت بفضل استراتيجية موقعها، منطقة صراع بين القوى التجارية البحرية العظمى حينما كانت ممرا بحريا مهما لتجارة التوابل والبخور والحرير وغيرها من السلع النادرة والثمينة والتي كانت آنذاك تفوق في ندرتها وغلائها النفط... فلا عجب أن تتعرض وفي كافة حقبة التاريخ لصراعات مريرة بين القوى المتنافسة في محاولة لاحتوائها وبسط نفوذها الاقتصادي والسياسي عليها، الأمر الذي يقطع بأهمية السلطنة الاستراتيجية مما جعلها من أهم مناطق المواجهة في حركة الصراع العالمي المعاصر وذلك قبل انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي والتحولت التي جرت فيما كان يعرف بالمعسكر الشرقي.

وقد جعل هذا الموقع الاستراتيجي الهام السلطنة مشار اهتمام القوى العالمية وزاد من أهمية هذا الموقع الاستراتيجي مرور تجارة البترول العالمية من مضيق هرمز الذي يقع الجزء الصالح للملاحة فيه ضمن الأراضي العمانية ونظرا للأهمية البالغة للبترول كسلعة استراتيجية تعد عصب الحياة في الغرب اتخذت هذه القوى كافة السبل لإبقاء الامدادات البترولية بعيدا عن الخطر أو التهديد من خلال استقرار التوازن الدولي بشكل يبعد التلاحن بين القوى العظمى في العالم وذلك قبل انهيار الاتحاد السوفييتي وتداعياته الواسعة (٣).

ويمكن تلمس الجوانب والآثار السياسية للمكان الجغرافي لعُمان ضمن حدود ثلاث مراحل في تاريخ السلطنة، انعكست خلالها هذه الآثار بصفات مختلفة. وتبدأ المرحلة الأولى منذ نشأة الحضارات العليا القديمة في الأطراف الشرقية والجنوبية

الشرقية من شبه الجزيرة العربية، وتمتد المرحلة الثانية خلال القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، وأخيرا تظهر المرحلة الثالثة المعاصرة ابتداء من القرن التاسع عشر وتمتد الى اليوم.

المرحلة الأولى :

فمنذ اوائل التاريخ القديم كانت المناطق المجاورة للاطراف الشرقية والجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية مكانا لنشاط عدة سلطات سياسية مركزية قوية، تحتكر وتستقطب الطرق البرية والبحرية والتجارية التي تنصب اليها من اجزاء العالم القديم المعروف في آسيا وافريقيا واوربا، وبذلك كانت هذه المناطق من المراكز التي تساهم في حركة التجارة العالمية.

وكانت بابل واشور من اوائل الامبراطوريات التي احتكرت التجارة البرية الاسيوية، من الخليج العربي حتى الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وجاءت بعدها الامبراطورية الفارسية لتمتد على سطح ارضي واسع وتسيطر على تجارة المنطقة.

وحينما اصبحت الدولة الاسلامية اكبر دول العالم في العصور الوسطى والقدمية، اخذت اطراف الجزيرة العربية على الخليج العربي وعلى خليج عمان تسترجع مكانتها بالنسبة لطرق التجارة العالمية القديمة، وقامت بغداد في هذا الجزء من البلاد الاسلامية بالدور الذي قامت به بعد بضعة قرون، كل من اسبانيا والبرتغال وانجلترا وهولندا، ففي بغداد كانت تنصب عبر الخليج العربي ومواقعه التجارية على خليج عمان ومضيق هرمز، تجارة العالم من الصين واندونيسيا والهند وشرق افريقيا بواسطة البحر، ومنها كانت تتجه السلع الى الاسواق الاوروبية بواسطة اساطيل البندقية وجنوا المنطقة من موانئ البحر المتوسط.

المرحلة الثانية:

وهي مرحلة الركود التجاري التي اعقبت احتلال البرتغال لموانئ شرق افريقيا وعدن ومسقط وذلك خلال الفترة من ١٤٩٨ - ١٥٠٧ وقد اصبحت الموانئ العمانية في الخليج العربي وشرق افريقيا بأضرار بليغة من جراء الهجمات البحرية البرتغالية والفسوة والتدمير اللذين اتصف بهما هذا الحكم والذي وضع نصب أعين شعاع محاربة الاسلام واقامة محطات صليبية في شرق افريقيا وخليج عدن ومسقط.

الا ان هذا التغلغل البرتغالي الذي استمر اكثر من قرن ونصف قد فشل في تحقيق اهدافه لاسباب عديدة من اهمها:

- المقاومة العمانية المستميتة.
- المنافسات الجديدة بين الدول الاوروبية (البرتغال وبريطانيا وهولندا وفرنسا).
- الانتكاسات التي مني بها البرتغاليون وخصوصا هزيمتهم في معركة وادي المخازن في المغرب، التي اضعفت من حكمهم في آسيا وافريقيا.

المرحلة الثالثة :

ظل الركود مسيطرا على معظم مناطق اطراف الخليج العربي الى ان جاءت فرنسا الجديدة بعد ثورتها في اواخر القرن الثامن عشر تدق الأبواب، واندفع نابليون للسيطرة على طرق التجارة العالمية البحرية، وقطع طريق الهند على بريطانيا، فاستاقت المنطقة من غفوتها وعسادت تطرح نفسها من جديد على

مسرح الصراع الدولي المعاصر.

ومنذ ذلك التاريخ تفاعلت وتنافست وتصادمت عدة قوى في المنطقة للحصول على مكان يمكن التحكم فيه في منطقة الخليج بوصفها الحلقة الرئيسية في تأمين أو تهديد الإمداد والمصالح في اطراف المحيط الهندي وفي الشرق الاقصى. وقد بلغت هذه التفاعلات درجة شديدة من التعقد والتشابك قل مثيلها بالنسبة لاقاليم جيوبوليتيكية اخرى في العالم، فقد انطوت على تكوين تحالفات متكررة من جانب القوى الاجنبية مختلفة تماما في عضويتها في كل مرحلة من مراحلها الزمنية، فكثر ما اكان الحلفاء في فترة، يتحولون الى اعداء في فترة اخرى.. وكانت هذه الاختلافات التي تعكس طبيعة المنافسة الحادة من اجل السيطرة على المنطقة، تلعب على خلفية مايدور من احداث سياسية ذاتية داخل السلطنة وفي المناطق المجاورة لها، فتتأثر بها في احيان وتؤثر فيها في غالبية الاحيان بحيث توجهها وجهة مقصودة تخدم استراتيجية طرف من الاطراف المتصارعة.

ولقد كتب الكثير من التاريخ السياسي للسلطنة خلال هذه المرحلة، الا ان التعقد والتشابك في الازوضاع السياسية والتيارات المتصارعة على المنطقة وفي داخلها قد ادخلا شيئا من الصعوبة على دراسة هذه الازوضاع والتيارات، فجاءت بعض الدراسات بعيدة عن الموضوعية في التفسير والتحليل والاستنتاج، رغم وضوح الخطوط العامة للاحداث وبساطتها، بحيث يمكن اعادة عرضها عرضا موضوعيا موجزا يتناول مكونات القوى والازوضاع الذاتية في المنطقة مع مكونات القوى الاوروبية المتصارعة عليها وخطوط ضغطها وقواعد انطلاقها... ثم دور كل من هاتين المجموعتين من القوى في تكوين الصفة الجيوبوليتيكية للمكان الذي تحتله السلطنة وتطور هذه الصفة منذ القرن التاسع عشر.

وتطبيقا للسمة الاساسية للاستراتيجية الانجليزية التي كانت تهدف باستمرار الى اقامة او دعم دول حاجزة تفصل بين املاكها ومصالحها وطرقها الامبراطورية، وبين الدول والاطراف التي تتهدد هذه الاملاك والمصالح، فانها كانت تشرك هذه الدول الحاجزة معها في الدفاع وتحملها جزءا من تكاليفه عن طريق جعلها مناطق تابعة ومربطة ومعتمدة في وجودها على تدعيم بريطانيا لها، وكان الاسطول البريطاني دائما هو الاداة المرنة لتنفيذ هذه الاستراتيجية، ولما كانت حركته لتنفيذها تحتاج باستمرار الى قواعد متقدمة تكفل وجوده ماديا، فقد كان على بريطانيا ان تدعم نفوذها بامتلاك مثل هذه القواعد، فبدأت بتنفيذ ذلك عام ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م حين احتلت جزيرة بريم في مضيق باب المندب كخطوة لتطويق التهديد الفرنسي الذي مثلته حملة نابليون على مصر عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م، ثم احتلت جزيرة سقطرة في عام ١٨٢٤ واحتلت عدن عنوة في عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م.

ونتيجة للاتفاقيات التي وقعتها بريطانيا مع مشيخات الخليج العربي اصبح لها بحلول النصف الثاني من القرن التاسع عشر سيطرة واضحة على الطرق البحرية في الخليج.

وحينما ظهرت المانيا بعد عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م كقوة عسكرية منتصرة على منافسيها في اوروبا، انتبعت الى اهمية الموقع الاستراتيجي للمناطق الواقعة على اطراف الخليج بالنسبة للطرق البحرية التي تربط دول اوروبا بمناطق النفوذ التابعة لها، وبخاصة موقع عمان المسيطر على مضيق هرمز فانضمت المانيا الى جانب الدولة

العثمانية اعمالا لاستراتيجيتها وقتئذ، والتي تتمثل في اتخاذ تركيا كجسر تصل عبره الى المحيط الهندي فتدق بذلك اسفينا بين روسيا من ناحية وحليفها فرنسا وبريطانيا من ناحية اخرى، وفي عام ١٢١٩ هـ / ١٩٠١ م منحت الدولة العثمانية امتيازاً الى المانيا لد سكة حديد من برلين الى بغداد تمر بالموصل وبغداد والبصرة وتنتهي بالخليج العربي وقد قاومت بريطانيا هذا المشروع ولكنها توصلت مع الدولة العثمانية عام ١٩١٢ الى مشروع اتفاقية للمشاركة الانجليزية في المشروع المذكور، الا أن اندلاع الحرب العالمية الاولى حال دون توقيعها والمصادق عليها من قبل البلدين.

وعندما بلغ ضعف الدولة العثمانية اشده في مطلع القرن العشرين، اصبحت الفرصة متاحة للدول الاوروبية لتحقيق اهدافها في ممتلكات (الرجل المريض)، فقامت من اجل ذلك صراعات واحلاف متغيرة كان القاسم المشترك لاهدافها القضاء على الدولة العثمانية وتقسيم ممتلكاتها.

وجاءت النهاية عقب الحرب العالمية الاولى (١٣٣٢ - ١٣٣٧ هـ / ١٩١٤ - ١٩١٨ م) التي نجم عنها انهيار الدولة العثمانية (وتأسيس الجمهورية التركية على اراضيها الحالية في الاتفول وجزء من ترافيا) وزوال سيطرتها على ممتلكاتها في الاقطار العربية^(٤)، وقد مكن ذلك بريطانيا من ترسيخ نفوذها على طريق الهند لحماية امبراطوريتها الهندية مما ضاعف من اطماع بريطانيا في المنطقة العربية بهدف بسط حمايتها بشكل مكشوف لكي تكون المنطقة العربية قلعة وقاعدة تهمي الطريق الى اطراف امبراطوريتها وتؤمن في الوقت نفسه السيطرة على مناطق اطراف الخليج العربي التي بدأت تفقر منها روائع النفط.

ولكن الحركات القومية العربية بين الحربين العالميتين بالاضافة لما طرا على الازوضاع السياسية في العالم من تبدلات ودخول منافسين اقوياء جدد الى ميادين الصراع والتنافس، جاءت كلها لتندرز باحتمال خروج هذه المراكز من سيطرة بريطانيا فيما لو بقيت تحتكر السيطرة لنفسها، ففضلت مجبرة القبول بمشاركة بعض الدول الاوروبية لها في الهيمنة والانتفاع، اضافة الى الولايات المتحدة الامريكية التي اصبحت لها مصالح اقتصادية وسياسية في المنطقة تتمثل في البترول وفي التوازن، ويجب حماية هذه المصالح تطبيقا لاستراتيجية خاصة بها تنفذها من خلال خطط التحالف الغربي العام في المنطقة، وبواسطة الاحلاف المحلية الخاصة... وبذلك اصبح الولايات المتحدة الامريكية تمثل آخر الاطراف الغربية الراسمالية التي دخلت ميدان الصراع^(٥)، فبعد نزعم الولايات المتحدة الامريكية للعالم الغربي بعد الحرب العالمية الثانية، ونمو مصالحتها في العالم، وبخاصة في اطراف الخليج العربي في صورة شركاتها البترولية العملاقة اصبحت مناطق اطراف الخليج ومنها عمان باهميتها البترولية وبأهميتها موقعها، احد المناطق الرئيسية لاهتمامات الولايات المتحدة الامريكية وجهودها من اجل تحقيق التوازن الدولي مع الاتحاد السوفيتي آنذاك.

وقد ادركت سلطنة عمان اهمية موقعها وأهمية المنطقة التي تقع بين ظهرانيها وسط طوفان العلاقات الدولية المتشعبة والمرتبطة بشبكة من المصالح للدول الكبرى في المنطقة... لذلك سعت عمان بعد عام ١٩٧٠ من اجل جعل الخليج منطقة سلام وتسعى جاهدة لنشر علاقات المصالحة والوفاق في كل المنطقة... ولا ينصب هذا التركيز على الجانب العربي من ضفتي الخليج بل يمتد الى الضفة الايرانية ايضا... وهذه السياسة ليست مجرد استجابة سلبية للاوضاع الجغرافية بل استجابة



صاحب الجلالة السلطان
قابوس المعظم

لدواعي مصلحة استمرار عملية التنمية والتحديث... والمتتبع لمواقف عمان يجد انها اولت اهتماما بالغاً بتقوية علاقاتها الدولية من خلال علاقات متوازنة مع جميع دول العالم دون النظر لطبيعة نظمها السياسية والاقتصادية... ومع بدء عصر النهضة انطلقت عمان في مسيرتها التنموية الشاملة يساعدها في ذلك الخصائص التي تميزها عن بقية دول الخليج من حيث المساحة وعدد السكان.

وفي هذا الاطار فانه مما لا شك فيه ان من اهم السمات المميزة للسياسة الخارجية العمانية هي انها ترتبط الى حد كبير ليس فقط بالخبرة التاريخية لعمان كدولة قديمة لعبت دور القوة الاقليمية المؤثرة في هذه المنطقة خاصة في النصف الاول من القرن الماضي، ولكنها تركز ايضا على عوامل ذات ارتباط وثيق بما يفرضه عليها موقعها من اعتبارات من ناحية وما تصنع لنفسها من اهداف في المراحل المختلفة لمسيرتها من ناحية ثانية... وفي هذا المجال فانه يمكن الاشارة باختصار الى مايلي:

اولاً: ان الادراك العماني المبكر لاهمية موقع عمان على مدخل الخليج العربي، وبضلع طويل على خليج

عمان والمحيط الهندي من جهة، ولطبيعة التنافس الدولي خاصة بين بريطانيا وفرنسا خلال القرن التاسع عشر من جهة ثانية، جعلها تلجأ الى استخدام علاقاتها الخارجية كوسيلة لتحجيد او الحد من تأثير بعض القوى الدولية عليها وذلك عبر اقامة علاقات مع القوى المنافسة لها من ناحية، وعبر توسيع نطاق علاقاتها مع القوى الدولية المؤثرة الاخرى من ناحية ثانية... ومن ثم فانه لم تكن مصادفة على اي نحو ان تكون لعمان علاقات دبلوماسية، بل واتفاقيات متبادلة مع كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ثانياً: ان من اهم المؤثرات التي تترتبت على الموقع العماني هو سائرته البحر والسواحل العمانية الطويلة، من تأثير على عمان جعلها تهتم دائماً بتقوية وتطوير قواتها البحرية... وهذه القوة البحرية كانت احد عناصر التأثير في الدائرة الاقليمية من جهة، وفي تأمين الدولة العمانية ودعم موقفها الاقتصادي والسياسي من جهة ثانية... والعودة الى فترة امتداد الدولة العمانية الى شرق افريقيا بل الى الشاطيء الآخر للخليج احياناً توضح ذلك الى حد بعيد.

ثالثاً: انه استمراراً لادراك اهمية الحفاظ على توازن العلاقات الخارجية فان السلطنة قد حرصت منذ بدء مسيرة النهضة المعاصرة بقيادة جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم على مد نطاق علاقاتها الدبلوماسية الى اوسع نطاق ممكن، مع استمرار التمسك بأن تركز هذه العلاقات سواء في قيامها او استمرارها على اساس الاحترام المتبادل واحترام السيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والعمل بحسن نية لخدمة المصالح المشتركة، وذلك بصرف النظر عن طبيعة النظم السياسية

والاجتماعية للدولة الاخرى... وقد احتفظت عمان بعلاقات ودية مع الغرب والشرق وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي فان علاقات طيبة تسود الصلات بين عمان من جهة وروسيا الاتحادية واقطار اوربا الشرقية وآسيا الوسطى والصين من جهة اخرى ناهيك عن علاقاتها الوثيقة ودورها المتميز بين الاسر الدولية، والى جانب ذلك فان عمان قد الزمت نفسها بسياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز على المستوى الدولي وبالسعي الى تحقيق الامن والسلام والاستقرار على المستوى الاقليمي، وذلك عبر مسانمتهم به السلطنة وقيادتها من علاقات واسعة النطاق واحترام كبير من جانب مختلف الدول.

رابعا: لعل من اهم الجوانب التطبيقية التي جسدت التقاعل بين الموقع وبين السياسة العمانية هو موقف عمان ازاء الحرب العراقية الايرانية (١٤٠٠ - ١٤٠٨ هـ) (١٩٨٠ - ١٩٨٨ م) وفي هذا المجال كان لموقف عمان اثره الكبير ليس فقط في الحد من التوتر في الخليج العربي وحصر نيران الحرب ومنعها من الانتشار والاسهام العملي احيانا في تخفيف وحل بعض الصعوبات التي ترتبت على استمرار الحرب، ولكن ايضا استطاعت عمان عبر سياستها الواقعية والبعيدة النظر الحفاظ على اتصالات دائمة ومفتوحة مع الطرفين - العراق وايران - بل ومحاولة التقريب بين الطرفين... وفي الوقت الذي دعت فيه السلطنة بشكل دائم ومستمر الى حل النزاع سلميا - وهو ماتحقق فعلا - وعلى اساس من الشرعية الدولية والحفاظ على الحقوق المشروعة والمعترف بها للطرفين، وبما يسمح بالحفاظ على العلاقات الوثيقة والدائمة بين شعوب المنطقة والتي تركز على الجوار والدين والمصير المشترك، فانها قد حرصت - السلطنة - ايضا على الحفاظ على سلامة واستمرار الملاحة في الخليج ومضيق هرمز خدمة للتجارة العالمية، مع العمل بكل السبل على تجنب المنطقة مخاطر الاستقطاب الدولي الذي يمكن ان يجر عليها الكثير من السلبيات التي هي في غنى عنها.

ذات الموقف المتزن وقفته السلطنة حين غزت العراق الكويت في صيف ١٩٩٠ ونظرت للقضية نظرة هادئة دون تشنج مع وقوفها الملن والعمل الى جانب الشرعية العربية والشرعية الدولية وكان يحدها في ذلك احساسها بالمصالح الوطنية وكذلك المصالح القومية فضلا عن مصلحة كل من الكويت والعراق باعتبارهما بلدين شقيقين في نهاية المطاف... ولعل احدث المواقف العمانية التي جسدت بالوعي التقاعل بين الموقع والسياسة هو ما اعلنته السلطنة حين اندلعت احداث اليمين الدامية في مايو ١٩٩٤ من الحرص على ضرورة وقف الحرب وانتهاج سياسة الحوار حفاظا على تماسك الجبهة الداخلية كما اكدت عمان في اتصالاتها ومشاوراتها قبيل المعارك او بعدها على الحرص التام على سلامة واستقرار اليمن وتعزيز وحدته الوطنية.

خامسا: انه اذا كانت السلطنة قد بذلت كل جهودها لسلامة الملاحة في مضيق هرمز بشكل آمن ومتصل حتى في فترة حرب الناقلات (١٤٠٦ - ١٤٠٨ هـ) (١٩٨٦ - ١٩٨٨ م) فان الامتداد الجغرافي للسلطنة على خليج عمان، والمحيط الهندي قد مكنها من تقديم احد البدائل الهامة امام نقل النفط في الدول الاخرى المنتجة له في مجلس التعاون لدول الخليج العربية للوصول الى خارج مضيق هرمز دون المرور فيه وذلك من خلال طرح مشروع مد خط انابيب لنقل النفط من مناطق انتاجه داخل الخليج الى الموانئ العمانية في خليج عمان، وهو مشروع حظي باهتمام مجلس التعاون لدول الخليج العربية وان كان قد توارى ولو قليلا الآن على الاقل.

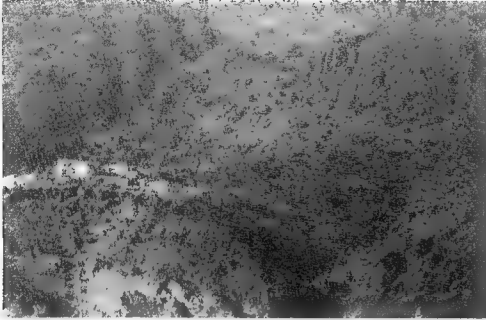
ساسا. انه لم يكن غريبا على اي نحو في ظل الخبرة التاريخية والمعاصرة لسلطنة عمان، ان يكون محور سياستها في ظل النهضة المعاصرة التي يقودها جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم، هو العمل من اجل تحقيق التضامن ووحدة الصف العربي، ودعم العمل من اجل تسوية النزاعات عبر الحوار الايجابي وبعيدا عن استخدام القوة او التهديد بها، والالتزام بالقواعد التي حددتها المواثيق العربية والدولية في هذا الشأن، وهي القواعد المسلم بها والمقبولة دوليا. وجدير بالذكر ان السلطنة قد قامت بدور حيوي في مجال العمل من اجل استعادة العلاقات بين الدول العربية وبعضها لحيويتها والتنامي والامثلة في هذا المجال اكثر من ان تحصى، ومن الاهمية بمكان التأكيد على ان التطورات التي شهدتها المنطقة خاصة خلال العقد الاخير، قد اثبتت سلامة وبعد نظر المواقف والسياسة العمانية بالنسبة لاكثر من قضية وفي اكثر من مرة، وهو ماكان له اثره الايجابي في علاقات السلطنة ومكانتها اللائقة في المنطقة وخارجها والذي ترجم في جانب منه في دعم وخدمة تحركها على طريق التنمية والبناء. وعلى الرغم مما تتعرض له العلاقات المكانية عادة من تغيرات قد تكون جذرية نتيجة لمتغيرات التكنولوجيا في مجالات النقل والمواصلات والنشاط الاقتصادي، فان غالبية هذه المتغيرات قد دعمت اهمية المكان الجغرافي للسلطنة وزادت في التأكيد على هذه الاهمية.

الارض وجوانبها السياسية (جيوبوليتيكية العناصر الطبيعية والمناخية) (٦):

لا تكتمل صورة أحداث الجغرافية السياسية للسلطنة ولا تتوضح مكوناتها دون التعريف بالخطوط العريضة للارض العمانية التي تشكل المسرح البيئي الذي تجرى فوقه ومن حوله الاحداث السياسية، وتتصارع القوى، ويمارس الانسان العماني على خشبته نشاطاته الاقتصادية والسياسية المختلفة، متأثرا بالخصائص العامة لعناصر هذه الارض الطبيعية والمناخية، ومؤثرا فيها في الوقت نفسه بطرق تختلف حسب خلفيته التكنولوجية. وتتعدد أشكال الارض ومظاهر السطح وتنوع البيئات في عمان تنوعا مفيدا ومؤثرا في مجال التسايرخ والحضارة والسياسة، وأولى هذه البيئات التي تتكون منها هي البيئة الساحلية.

وتستأثر هذه البيئة الساحلية بقسط كبير من توجهات الانسان العماني، فعند سواحل عمان تنتهي كتلة شبه جزيرة العرب القديمة التي يسميها البعض «كتلة الدرع العربي»، ومن الخصائص الاساسية لسواحل عمان

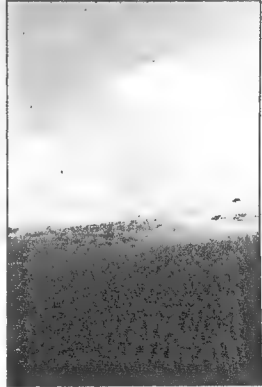




الجبال من مظاهر
التضاريس المعيزة
في عُمان

وشواطئها التي لعبت دورا هاما في نشاطات الانسان لفترة طويلة، انها في كثير منها قليلة العمق وغير صالحة لانشاء الموانئ البحرية الكبيرة. وهي تمتاز ايضا بكثرة الاسنة المائية الضحلة المتعمقة في اليابس لعدة كيلومترات والتي تعرف بالآخوار، وقد لعبت هذه الآخوار دورا هاما في حياة السكان وأحداث تاريخهم ونشاطهم الاقتصادي والسياسي، فرؤوسها كانت مواقع مناسبة قامت عليها مستوطناتهم التي شكلت آنذاك قواعد انطلاق للصيادين في صراعهم مع البحر، وفي مياهها الضحلة وجد الانسان العماني الحماية التي يتشدها ضد أعدائه في البحر وفي البر، ومنها شنت جموع العناصر الوطنية المقاومة هجماتها الخاطفة على السفن التجارية الأجنبية المنتمية للقوى الاستعمارية، والتي كانت تفرض سيطرتها وحمايتها بالقوة على المنطقة وعلى ما يجاورها من أطراف منطقة الخليج العربي والأطراف الجنوبية من شبه الجزيرة العربية.

ومن الظواهر الساحلية وجود «السبخ» الواسعة والمنبسطة التي تغمر مياه المد أجزاء واسعة منها، مما يجعل التربة فيها رطبة وذات ملوحة مرتفعة لاتسمح بقيام أي



الصحراء احد
مظاهر التضاريس

نشاط زراعي فوقها.

وعلى مسافة قريبة من الساحل تمتد الشعاب والشطوط الجيرية المرجانية الصالحة لوجود محار اللؤلؤ الذي لعب دورا في التخفيف من حدة المشاكل الاقتصادية لفترة طويلة من الزمن.

وانذا ما انتقلنا من البيئة البحرية بسواحلها وآخوارها وسبخاتها ودورها في تشكيل حياة الانسان بمظاهرها الاقتصادية والسياسية، الى بيئة اليابس، فاننا سنجد بيئات

طبيعية تختلف كل الاختلاف عن تلك البحرية من حيث مظاهرها الاقتصادية والسياسية، فهي تمثل الوجه الثاني من حقيقة صراع الانسان العماني مع الظروف البيئية وهو يكافح في صنع صور حياته وأحداثها.

وتشمل البيئة هنا السهول الساحلية الضيقة والمناطق الجبلية المرتفعة المشرقة عليها بسفوح تقطعها الاودية السيلية، وخلف هذه المناطق المرتفعة وباتجاه الداخل من أرض شبه الجزيرة العربية، تمتد البيئة الصحراوية القاحلة التي تضم أشكالاً متعددة من الأراضي الصحراوية ترصعها الرياض الصغيرة المتناثرة ذات التربة الرطبة الصالحة للزراعة.

وتتكون الجهات الداخلية من السلطنة، وهي على العموم مرتفعة، من هضبة قديمة يصل ارتفاعها الى أكثر من ١٣٠٠ م، ينتصب وسطها الجبل الاخضر الذي يصل ارتفاع بعض جهاته الى أكثر من ٣٠٠٠ م، وتحدد الاودية التي تتجه من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، سفوح هذه المناطق المرتفعة المنحدرة باتجاه السهول الساحلية.

وتشكل هذه السهول الساحلية، مع المناطق الجبلية المرتفعة، بوديانها وبسفوحها التي قطعت على شكل مدرجات، والتي تتلقى بسبب ارتفاعها ووقوعها في نطاق الرياح الموسمية الصيفية كمية لا بأس بها من الامطار لاتقل في حدها الأدنى عن ٢٥٠ مم، المجال الواسع الذي يمارس فيه العمانيون نشاطهم الزراعي والرعي وذلك بزراعة أنواع مختلفة من الفاكهة كالغريب والرمان والخوخ والجوز والزيتون واللوز، الى جانب شجر التوت الذي يكون احراشاً كثيفة^(٧). وبالإضافة الى الامطار الموسمية تستفيد هذه الزراعات من مياه الافلاج والعيون المندفعة.

ويعتبر الجبل الاخضر أحد الاماكن الرئيسية لانتاج الفواكه، حيث ينفرد بانتاج أنواع خاصة منها ككتك التي تحتاج الى مناخ معتدل نسبياً. أما السفوح الجبلية الدنيا والسهل الساحلي المعروف بالباطنة، فيصبح نخيل التمر فيه مهما جداً، بل يعتبر المحصول الاساسي الذي يقوم عليه نشاط السكان الزراعي، والى جانب النخيل ينتج السهل الساحلي التبغ وقصب السكر والقطن بالاعتماد على الري من مياه الينابيع الجبلية بواسطة القنوات.

ويقوم بعض السكان في الواحات الداخلية وعلى السفوح الجبلية برعي الاغنام والماعز، كما يتجه بعض السكان نحو البحر للعمل في صيد الاسماك والتجارة، فضلاً عن بعض الصناعات النسيجية والنحاسية والجلدية والفخارية البسيطة التي تشتهر بها بعض المدن، وبخاصة مدينة نزوى.

من هذه الخلفية الجغرافية تتضح أمامنا مجموعة من الحقائق ذات الصلة المباشرة أو غير المباشرة مع صفات مكونات الجغرافية السياسية للسلطنة. فالبنيات الجغرافية البحرية والجبلية والصحراوية اشتركت في رسم المسرح الجغرافي الذي مارست الجماعات البشرية، في ظل عناصره الطبيعية والمناخية نشاطاتها الاقتصادية والسياسية، وبالتفاعل مع هذه العناصر كانت الحصيلة التي تتمثل في الميراث الحضاري والنمط الحياتي الذي سبق فترة ثورة النفط.

وبما أن السلطنة تشكل في قسمها الأكبر جزءاً من الاقليم الجاف، فإن مشكلة المياه فيها تتطلب العناية من أجل توسيع مساحة الزراعة وتكثيف الانتاج الزراعي. فضلاً عن ارتباط عضوي يشد الناس في هذه البقعة جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن الى

أرضهم إيماناً منهم بأن الشعوب التي ترتبط بالأرض لامتوت مهما مر بها من تقلبات في الحكم والسيادة.

كما أن المناخ الذي يمكن وصفه على العموم بأنه جاف في جزء كبير من السلطنة بآثاره الواضحة في نمط الزراعة ومحاصيلها ووسائلها وتكتيك تطويرها وتحسينها، يشكل إلى جانب الانهار والمياه الجوفية المرتبطة به، أحد المكونات الجغرافية الأساسية للتركيب الاستراتيجي للسلطنة وذلك من منطلق مفهوم الجغرافية السياسية، حيث يساهم في تحديد مناطق العمران والمساحات الزراعية والقابلة للزراعة والاستخدام السكاني فيها، فهو يخلق عمراناً كثيفاً ومستقراً في الواحات ومناطق ينابيع المياه الباطنية، وفي أطراف الأودية العديدة وفي السهول الساحلية الضيقة الممطرة، وأخيراً في أطراف المرتفعات والهضاب التي تستقبل كميات لا بأس بها من الأمطار، وفي المقابل فإنه يفرض نمط السكن المخلخل والمتنقل في المناطق القاحلة.

وقد كانت هذه الظروف المناخية وكذلك المظهر المائي الذي يرتبط بها، من العناصر الجغرافية ذات الفعالية الشديدة في تحديد الصفات الأساسية للبناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في السلطنة، فظروف الحرارة والجفاف جعلت للموارد المائية أهمية حيوية تعادل أهمية المكان والموقع الجغرافي.

فحسب حجم الموارد المائية يتقرر حجم السكان، ومقدار ونوع ما ينتجون من موارد زراعية وحيوانية، ولكي يبقى الحجم السكاني متوازناً بصورة من الصور مع موارد المياه المتاحة، تبقى السلطنة مشغولة بشكل دائم بتعديل الميزان الطبيعي في مصادرها المائية بشتى الوسائل، كمحاولة ضبط الأودية والسيول ذات الجريان الموسمي، واستخدام الوسائل العلمية للحصول على المياه الجوفية التي تجمعت من مياه الأمطار الحالية، وهي قليلة على العموم، أو من أمطار العصور الجيولوجية القديمة المطيرة، وأخيراً إقامة المنشآت لتحلية مياه البحر.

ونتيجة لهذه التأثيرات المتبادلة بين هذه العناصر الجغرافية الطبيعية وبين الإنسان، تأخذ الحياة مظهر التجسم في الواحات التي تظهر فيها المياه الجوفية، ويسود النشاط الرعوي حيث تسمح الأمطار الصيفية بنمو الأعشاب، وبزراعة محدودة يمارسها سكان الأودية كعمل أضيائي لا كحرفة أساسية.

فإذا كانت العناصر الجغرافية الطبيعية المعيقة قد ساهمت في ضعف الاتصال بين السهول والوديان الصغيرة والواحات وجعلت نمط السكن والعمران متقطعاً، فإنها لا يمكن أن تكون المسبب الأساسي لهذا التفتت والانعزال، ولابد من أن تكون هناك أسباب أخرى عارضة معاصرة، تسهم بذلك وترتبط بالظروف السياسية التي مرت بالسلطنة.

وعلى الرغم من تأثير عناصر الجغرافية الطبيعية في ضعف الاتصال بين أجزاء عمان إلا أنه كانت هناك عوامل أخرى أدت إلى تقوية هذا الاتصال. فالتاريخ يثبت أن الأطر العربية من حضارة ومشاعر، وهي عوامل تكامل ووحدانية وتقارب كان لها من القوة ما مكنتها في يوم من الأيام من التغلب على كل المعوقات الطبيعية، ومن ربط أقاليم السكن والعمران الموجودة في المنطقة برباط قومي وديني متين، وأن تثبت بأن الإنسان بمجموعة قيمه وتراثه وأيديولوجيته لا يعجز عن توحيد أقاليم طبيعية مختلفة ضمن وحدة، وربطها بشكل قوي مهما تباعدت هذه الأقاليم عن بعضها، ومهما صعبت الظروف المناخية والجغرافية، فما بالك إذا تسلح هذا الإنسان، إلى



جانب ذلك بالتكنولوجيا المعاصرة المتطورة في مجمل أعماله ونشاطاته.

السكان والجوانب السياسية لأوضاعهم (جيوبوليتيكية السكان)^(٨) :

أما بالنسبة للمكونات البشرية لجغرافية السلطنة السياسية، والتي تتمثل بالسكان من حيث حجمهم ونموهم وتوزيعهم وبنيتهم المختلفة العمرية والتنوعية والاقتصادية والاجتماعية والاستيطانية، ومن حيث مستوياتهم الثقافية والتعليمية وقدراتهم الانتاجية وعلاقتهم الاقتصادية، فمما لاشك فيه ان هذه المكونات هامة وأساسية لانها تشكل رأس المال والرصيد والعنصر الذي بنشاطاته المتنوعة على المسرح الطبيعي تتكون الجوانب الرئيسية للقيم الاقتصادية والسياسية للسلطنة، وبتنميتها وتطويرها يصل المجتمع العماني الى تحقيق طموحاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويزيد من رصيده السياسي في منطقة تعد بحق من أكثر مناطق العالم عراقة وحيوية ونشاطا.

وما يجري الآن في السلطنة من تغيرات جذرية، وتحولات سريعة في الهياكل الاساسية والركائز الاقتصادية والاجتماعية

والسياسية يستوجب تأمين المزيد من القوى البشرية ذات المواصفات الجديدة التي تستطيع بحجمها وبنوعها تلبية متطلبات هذه التغيرات والتحولات، وأي خلل في التوازن بين هذه التحولات وحاجاتها من القوى البشرية سينعكس بشكل سلبي على تطور الأوضاع الاقتصادية والسياسية في البلاد، ويدفعها الى مزيد من الاعتماد على العمالة الخارجية رغم المساويء والخطار والآثار الضارة التي يمكن أن تنتج عن ذلك.



ونظراً لأهمية المكونات السكانية في التعامل مع الواقع الراهن في السلطنة ورسم ملامح المستقبل من خلال برامج وخطط التنمية فقد حرصت السلطنة على تحديث البيانات السكانية باعتبارها أمراً بالغ الأهمية في توفير بيانات متجددة حول السكان بهدف استخدامها سواء في وضع خطط التنمية أو في رصد وتقييم نتائج هذه الخطط. يظهر ذلك في التعداد الذي أجري أواخر ١٩٩٣ وطبقاً لنتائجه تبين أن عدد السكان في السلطنة بلغ ١٨٠,٧٤ - ٢,٠ نسمة^(٩)، ومن هذا العدد بلغت نسبة المواطنين ٧٤٪ والمقيمين ٢٦٪. وبلغ عدد الذكور العمانيين ٧١,٠٧٥ بنسبة ٥١٪ والإناث ٤٦,٠٦٠ بنسبة ٤٩٪ وهي نسبة طبيعية طبقاً للمعايير المتعارف عليه دولياً^(١٠). وفي ضوء القيم التي طرحها التعداد يمكن الإشارة إلى المدى الذي وصلت إليه أشكال الرعاية التي يحظى بها المواطن العماني وانعكاسات ذلك على خفض معدل الوفيات حيث أشادت منظمة الصحة العالمية في تقرير آخر لها بالنجاح الذي حقته السلطنة في هذا المجال.

ومن المتوقع في ظل المستويات المراهنة لمعدلات النمو السكاني في السلطنة أن يصل عدد السكان العمانيين إلى ما لا يقل عن ١,٦ مليون نسمة بنهاية عام ١٩٩٥ أما في نهاية القرن الحالي فإن العمانيين سوف يصل عددهم إلى حوالي مليوني نسمة. ومع افتراض ثبات عدد السكان غير العمانيين عند مستوياته الحالية فإن إجمالي سكان السلطنة سوف يكون مع مطلع القرن الحادي والعشرين في حدود ٢,٥ مليون نسمة. كما أن اكتشاف النفط وتزايد انتاجه منذ عام ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م قد شجع على تزايد عدد المهاجرين القادمين إلى السلطنة، إضافة إلى عودة أعداد كبيرة من العمانيين الذين كانوا قد خرجوا من عمان في السابق طلباً للعمل. وتظهر خارطة التوزيع السكاني في السلطنة أن معظم السكان يتركزون في محافظة مسقط ومنطقة الباطنة.

حيث بلغ عدد سكان محافظة مسقط ٥٤٩,١٥٠ نسمة والباطنة ٦٦٧,٥٦٤ نسمة وبلغ عدد سكان محافظة ظفار ٩٤,١٨٩ نسمة ومحافظة مسندم ٢٨,٧٢٧ نسمة والظاهرة ٢٢٤,١٨١ نسمة والداخلية ٢٢٩,٧٩١ نسمة والشرقية ٣٤٤,٢٥٨ نسمة والوسطى ١٧,٠٦٧ نسمة^(١١).

أما التوزيع الفعلي للسكان بين الريف والبادية والمدينة في عمان اليوم فقد اختلف اختلافاً كبيراً عن صورته القديمة، ومع بداية النهضة العمانية المباركة بقيادة حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم أسهمت الثروة النفطية في دفع عجلة التنمية بصورة كبيرة، وكان من نتائج ذلك أن حظيت بعض الأماكن - أثناء تنفيذ مشاريع البنية التحتية - بنسبة أكبر من مخازن خطط التنمية، فاندفعت الجماعات من البادية والريف إلى المدن وبخاصة مسقط، التي وصل عدد سكانها إلى ما يزيد عن ربع عدد سكان السلطنة^(١٢). فعدت مجمعا حضريا ميثروبوليتانيا كبيرا^(١٣). وهناك أيضاً صحار وصلالة ونزوى وصور، وكلها مدن نمت على حساب الريف والبادية المجاورين لها.

ولم يفت الحكومة إدراك مايعنيه أمر مغادرة أهل الريف والبادية لمناطقهم متوجهين إلى المدينة المجاورة - التي قد لاتعني نهاية المطاف للمهاجر، إذ أنه قد يتجه صوب مسقط التي ستتوء بحملها من ناحية، كما أن الريف والبادية سيفرغان من

أهلها من الناحية الأخرى. وهامي مشاريع تنمية المجتمعات المحلية مستمرة بهدف توزيع الاستثمارات جغرافياً ليعود بالنفع على مختلف مناطق البلاد وسائر أهلها^(١١)، وحتى يزول التفاوت في مستوى المعيشة بين السكان يجري الآن التركيز على المناطق الأقل تقدماً في ذات الوقت، وسوف يؤدي تنفيذ هذا الأمر إلى دعم وتنمية المراكز السكانية الحالية وإلى المحافظة عليها من خطر الهجرات الجماعية إلى المراكز الحضرية الكثيفة السكان. وأوضح من كل هذا أن أمراً آخر مما قد تحقق في نهاية المطاف، ألا وهو: المحافظة على البيئة من الاندثار ومن التلوث.

والسلطنة من بين دول الخليج العربية التي ما أنفك أهل الريف والبادية فيها مرتبطين بمناطقهم، ولذلك فقد كانت نسبة سكان الريف حتى مطلع الثمانينات تصل إلى ٧٥٪ من مجموع عدد السكان، ومن المتوقع أن تكون هذه النسبة قد انخفضت خلال الثمانينات بسبب الهجرة الداخلية. إلا أن دراسات الإسقاط المستقبلي (في ضوء ارتباط العماني «بالبلاد» وفي ضوء مشاريع تنمية المجتمعات المحلية) تبين أن هذه النسبة لن تقل عن ٥٠٪ في مطلع القرن القادم إن شاء الله.

ومعروف أن سلطنة عمان شبه جزيرة يحيط بها الماء من جهات ثلاث والبر من الجهة الرابعة، وهذا البر هو صحراء الربع الخالي، وهي صحراء ليس من السهل التغلب عليها وعبورها، فحمت عمان من جهة البر وجعلت منها معقلاً لبدأ إليه، ووجهت الشعب العماني نحو البحر وماوراءه، لذا كان لعمان أذرع طويلة تصل إلى جهات متعددة الطرق. إيران والهند والصين، وإلى شرق أفريقيا. واستمر الحال كذلك إلى مطلع السبعينات. وطوال ذلك الوقت كانت عمان تدفع جزءاً من أبنائها إلى الهجرة الخارجية، وكانت أهم المناطق المهاجر إليها في منتصف هذا القرن تنجّه إلى دول الخليج العربية التي ظهرت الثروة النفطية فيها أبكر من عمان. وكان أهل عمان يفلحون سهول الباطنة وجريب كما يروون مزارعهم الصغيرة في الواحات المتناثرة في داخلية البلاد وشرقيها، واحترف الباقون مهناً أخرى أهمها الصيد والرعي. وكانت القوافل التجارية تجوب أعالي البحار التي شهدت للعمانيين بالتفوق، وظل هذا الحال كما هو عليه.

ولكن الوضع تبدل بعد اطلالة فجر النهضة التي برزت في عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، حيث وجدت السلطنة نفسها فجأة - مثلاً مثل بقية دول الخليج البترولية - في وضع لم تعد الوطنية فيه قادرة على سد حاجة التنمية الشاملة التي بدأتها، على الرغم من عودة أعداد كبيرة من أبناء عمان إلى وطنهم، ملين الذاء الذي وجهه إليهم قائد المسيرة المظفرة... واضطرت البلاد وإزاء هذا الوضع (وقد تحتم للحاق بركب القرن العشرين) إلى الاستعانة بأعداد كبيرة ومختلفة من

صيد الأسماك من
المهن التقليدية



العمالة الأجنبية، حيث تمكنت في فترة وجيزة من عمر الزمان وفيما يشبه المعجزة من تغيير أوضاع السكان وبخاصة الأوضاع الاقتصادية، وإذا كان متوسط دخل الفرد في السلطنة لا يزال أقل من دخل أشقائه في دول الخليج الأخرى إلا أنه قد زاد ويزيد في حد ذاته وباضطرار. وقد أدى هذا التزايد إلى انتشار مجتمع استهلاكي لآخر ما تقدمه البلدان الصناعية المتقدمة من مستحدثات وسلع في المجالين العام



لازال العمانيون
يحفظون بوساطتهم
التقليدية في صيد
الاسماك

والخاص. وهكذا تحولت عمان من مجتمع تقليدي الى مجتمع ينطلق نحو التطور بشكل سريع.

هذا وليس للكثافة الزراعية في السلطنة أهمية كبيرة، لأن دور النشاط الزراعي في اجمالي الناتج القومي محدود، فهو من الانشطة التي تأثرت بطغيان الموارد البترولية على غيرها من الموارد الزراعية والرعية والصيد. وأحسن مدلول لشكل توزيع السكان في السلطنة هو ذلك الذي يشير الى العلاقة بين حجم السكان والمساحات المكانية المعمورة فيها، مع مايتوفر من الموارد التي تمثل الاساس الاقتصادي للسكان وتظهر خارطة التوزيعات لمراكز العمران في السلطنة تغير صيغة التبعثر التقليدية القديمة التي فرضتها الظروف البيئية والمعاشية السابقة، الى صيغة جديدة طابعها التركيز الشديد في الحواضر الكبرى والمراكز الحضرية الحديثة على حساب تفريغ البادية والريف ومناطق التجمع الصغيرة القديمة. فسكان السلطنة يتوزعون حاليا في مواضع محدودة ذات خصائص مكانية جغرافية اقتصادية تشجع على التركيز الكبير الحجم. وعلى الرغم من أن السلطنة، لازالت الى حد ما تتفرد عن بقية دول الخليج العربي البترولية، فان المجمع الحضري في محافظة مسقط قد اصبح يضم نسبة كبيرة من مجموع السكان تصل الى الربع وهذه النسبة بازدياد مستمر، حيث تسهم الثروة البترولية التي تأخرت في السلطنة عن بقية دول الخليج في تسارع هذا الزيادة.

ويدل شكل توزيع السكان حسب الفئات العمرية على أن المجتمع العماني هو مجتمع شاب فتي تغطي عليه فئات الأعمار الصغيرة، حيث بلغت نسبة من هم اقل من ١٥ سنة ٥١,٨١٪ كما بلغت نسبة من هم بين ١٥ - ٥٩ سنة من العمر ٤٣,٥٣٪ ونسبة من هم اكبر من ٦٠ سنة من العمر ٤,٦٦٪.

وتشير ظاهرة ارتفاع نسبة فئة صغار السن الى ارتفاع مستوى الخصوبة من جهة والى انخفاض نسبة الوفيات من جهة أخرى^(١٥).

هذا وقد بقيت عمان تقليدية في حياتها واقتصادها ومجتمعها الى أن بزغ فيها فجر النهضة فغير من معالم وقيم الحياة فيها، وأدخل الى انساانها والى اقتصاده

ومستوطناته انماط حياة جديدة لم يعد الانسان فيها ممثلاً للجانب المستضعف في بيئته الجغرافية القاسية بظروفها، بل أصبح الجانب القوي الذي يتعامل مع هذه البيئة بمفاهيم وأسلحة جديدة، ومن موقع القوة القائم على العلم والتكنولوجيا والسيادة، حيث يمارس تجربة تنمية شاملة ومستمرة، معتمداً في ذلك على اقتصاد متين، فالمقومات الجغرافية الحالية لمكونات الأوضاع الاقتصادية والسياسية، والتي يصنعها الانسان العُماني الجديد، أصبحت تختلف كلياً عن صورتها السابقة. والمنطقة في تغير، وهذا التغير في حركة دائبة وسريعة على المسرح الجغرافي، وبالتالي فإن انعكاساته على مكونات الجغرافية السياسية هي الاخرى سريعة وهامة أيضاً.

كما انه كان لانتشار الحضارة الاسلامية بشكل مميز في السلطنة، واختصاصها بنصيب وافر من مجموعة مكونات هذه الحضارة في الدين واللغة والبناء الاجتماعي، أثر واضح في مظاهر السلوك الاجتماعي والسياسي للأفراد والجماعات وفي تعاملهم، وكما أن المؤثرات البشرية والحضارية العربية التي تعود بعمرها التاريخي الى الجذور العربية الاصلية، لازالت تسهم بشكل كبير في تشكيل الرابطة القوية التي تشد الافراد الى بعضهم، وتقارب بين أقاليم السكن المتباعدة جغرافياً لتأتي الصورة الاجتماعية للتركيبة السكانية العمانية في النهاية مؤكدة بأن الانسان بمجموعة قيمه وتراثه وأيديولوجيته وبأخذه بأسباب التقدم، يستطيع أن يقهر عوامل التباعد والجمود والتخلف والضعف، لينطلق فيوحد ويبني المجتمع القوي المتطور، وليضيف الى مواقعها قيماً اقتصادية وسياسية جديدة تزيد من أهمية بلاده الاستراتيجية.

التركيب الجيولوجي وجوانبه السياسية (جيوبوليتيكية الموارد الطبيعية)^(١٦):

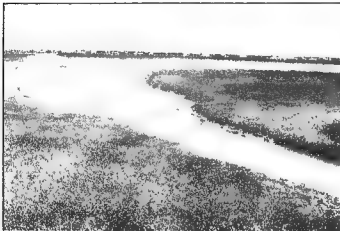
تشكل البنية الجيولوجية والتركيب الصخري عنصراً له فعاليتها في قوة أو ضعف التركيب والوضع الاقتصادي والسياسي للسلطنة، وتتركز أهم نتائج التركيب الجيولوجي على جيوبوليتيكية عمان في موضوعين:

١ - نمط التصريف المائي السطحي والجوفي، وبناء السهول الفيضية وهما ركائز الحياة المستقرة.

٢ - الثروة التعدينية، وهي واحدة من أهم أسس النشاط الاقتصادي الحديث. فبالنسبة لنمط التصريف المائي، فإن نطاق التركيب الصخري البلوري القديم الذي يشمل جزءاً واسعاً من السلطنة، يتسم بصخور قليلة المسامية، صلبة التركيب،

ولهذا فإن السيول والانهار القصيرة الموسمية تجري سريعاً على سطوحها، ولاستطيع أن تعمق مجاريها وأوديتها. وبما أن غالبية هذا التركيب القديم يقع في داخل المنطقة الجافة، فإنه يفتقر الى أي جريان سطحي دائم. وفي المناطق الحوضية الارسابية داخل النطاق البلوري، يمكن أن تتجمع المياه التي تسقط على هيئة سيول غير منتظمة، وتكون بذلك مصادر الحياة في الواحات، كما هو الحال في واحات منطقة

محور، إحدى
الجرر العمانية التي
تتضرر بالثروة المائية



البريمي وما يجاورها، وتكثر الواحات في مناطق التقاء التكوينات البلورية بالارسابية، كما تسمح السيول بنمو نباتات خشنة في مساراتها مما يساعد على ظهور نمط الرعي المتنقل على طول أودية هذه السيول، ويرتكز هذا النمط عادة على سكن دائم في الواحات القريبة بحيث تصبح أودية هذه السيول المجال الحيوي الذي ينتقل فيه الرعاة.

وإذا كانت المياه ومشكلات الاستقرار الزراعي تشكل تحدياً للشعب العماني، فإن الثروة البترولية في المنطقة قد جاءت في الوقت المناسب لتخفف من ضغط تلك المشكلات، وتسهم في تقديم ما يساعد على مزيد من الاستثمار في اصلاح الاراضي وتدير المياه. إذ تشير المعلومات الى أن نسبة الناتج المتحصل من النفط الى اجمالي الناتج القومي المحلي لا تقل عن ٧٥٪، وذلك رغم الجهود التي بذلت من أجل تنويع الناتج القومي المحلي. كذلك فإن صادرات النفط في السلطنة تكاد تكون الصادرات الوحيدة، كما أن إيراداته تمثل نحو ٩٤٪ من إيرادات الحكومة.

وبما أن البترول قد أصبح يشكل الثروة المعدنية الرئيسية في السلطنة، يصح إذن حصر الكلام في مجال الموارد الطبيعية عن جيولوجيا البترول لبنين مدى تأثير واقع وجوده والقضايا المترتبة على هذا الواقع في اقدار السلطنة وأحداثها التاريخية والسياسية.

إن الكشف عن البترول وانتاجه وتصديره يعد ثورة غيرت معالم الحياة وملامح الاقتصاد في السلطنة تغييراً جذرياً، فقد نقلته نقلة سريعة وخلال فترة قياسية قصيرة من اقتصاد تقليدي شحيح بموارده ومردوداته الى اقتصاد الغنى والرفاه. وكان لهذه القفزة الاقتصادية اثارها العظيمة على الاوضاع السكانية نوعاً وكماً، فقد ازداد عدد السكان وتبدلت تراكيبهم العمرية والنوعية وزاد حجم الهجرة الوافدة، وبرزت أنماط جديدة للأنشطة الاقتصادية.

وكان الاقتصاد العماني قبل ذلك يعتمد على الغوص لاستخراج اللؤلؤ وعلى الصيد البحري وعلى التجارة والزراعة والرعي، ولأن البيئة الداخلية الجبلية والصحراوية فقيرة بمواردها ومحفزاتها الاقتصادية، فقد كان البحر هو قبلة نشاط الانسان العماني وعماد اقتصاده.

ولكن في نهاية الستينات وكما أشرنا بدأ استثمار البترول الذي لا يختلف اثنان حول الاهمية الكبرى لعائداته على الاقتصاد والمجتمع العماني، وأفرزت المداخل النفطية تحولات اقتصادية واجتماعية واسعة وخلقت أوضاعاً جغرافية وحضرية وعمرانية جديدة



مشهد لغربية حصاد ثمار النخيل (التمر)



تجفيف البسور

على البلاد. فقد تحول السكان من النشاطات التقليدية إلى القطاعات الاقتصادية الحديثة، ودخلت السلطنة في مرحلة تنمية واسعة شملت مظاهر الحياة كافة.

وتحقيقاً للسياسة التي اختطتها السلطنة في تنويع مصادر دخلها القومي وعدم الاعتماد على النفط وحده، فقد سلك الاقتصاد العماني ثلاث أنشطة بادية للعيان لتحقيق هذه الغاية، وهي الزراعة والصناعة والسياحة. فبالنسبة للزراعة يشكل القطاع الزراعي أحد المحاور الهامة لجهود التنمية في السلطنة. فمساحة الأراضي الصالحة للزراعة تقدر بنحو ١٩٨ ألف هكتار بينما تقدر مساحة الأراضي المزروعة التي تتوافر لها مياه الري بنحو ٥٥ ألف هكتار. وتشير إحصائيات هذا القطاع إلى وجود مجالات للتوسع في الإنتاج الزراعي، تقوم على تحسين إدارة المياه والارتقاء بمستويات الانتاجية الحالية لمعظم المحاصيل عن طريق تحسين المعاملات الزراعية وتطوير الأطوار المؤسسي للقطاع بما في ذلك التمويل والإرشاد والتسويق، وذلك فضلاً عن تنفيذ مشاريع استثمارية جديدة ذات طبيعة هيكلية ومؤسسية. ولقد قدر معدل النمو السكاني المستهدف للقطاع بحوالي (٦,٦٪) خلال سنوات الخطة الخمسية الرابعة (٩١ - ١٩٩٥) وذلك مقابل معدل نمو سنوي بلغ متوسطه (٥,٣٪) خلال الخطة الخمسية الثالثة (٨٦ - ١٩٩٠) (١٧).

وفي عقد التسعينات كثفت الحكومة العمانية جهودها من أجل زيادة الانتاج واستثمارات أفضل في المجال الزراعي واتخذ هذا الاهتمام مظاهر عديدة تمثلت في اجراء التعداد الزراعي الشامل الذي يستهدف توفير البيانات الزراعية والحيوانية داخل التجمعات السكانية وفي البوادي حتى يمكن وضع الخطط والبرامج في ضوءها وظهر هذا الاهتمام في تكثيف العمل الإرشادي على مستوى السلطنة بهدف رفع الانتاج وكذلك في برنامج التنمية وتطوير الجبل الأخضر، هذا فضلاً عن برامج تحسين وتطوير وتنويع زراعة الخضار والفاكهة ومحاصيل الحبوب والإعلاف.

أما الصناعة فقد حققت في الماضي معدلات نمو مرتفعة نسبياً ويعتبر هذا القطاع مجالاً مناسباً يقوم القطاع الخاص بإداء دور أساسي في تنميته. كما تقدم الحكومة دعماً للصناعة في صورة منح وحوافز وقروض ميسرة وإعفاءات. وقد ارتفعت الأهمية النسبية لقطاع الصناعة في الناتج المحلي الإجمالي من ٨,٠٪ عام ١٩٨٠ إلى ٣,٤٪ عام ١٩٨٥ (١٨).

وخلال السنوات الأربع الأولى من الخطة الخمسية الرابعة (١٩٩١ - ١٩٩٥) بلغ معدل النمو الذي حققه القطاع الصناعي ١٥٪ سنوياً متجاوزاً بذلك المعدل المستهدف بالخطة وقدره ١٢٪ سنوياً.

وقد هيأت التشريعات والسياسات الصناعية التي صدرت في عامي الصناعة ٩١ و ٩٢ قوة دفع هائلة من أجل تحقيق معدلات النمو المطلوبة ومن هذه التشريعات توجيه الدعم لكافة المؤسسات والشركات بعد أن كانت مقصورة على الشركات المساهمة العامة فقط وتشجيع الشباب من خريجي الجامعات والمعاهد الفنية الذين يقومون بمشروعات صناعية لزيادة تكلفتها عن مائة ألف ريال عماني من خلال منحة لا ترد بنسبة ٤٠٪ من التكلفة الاستثمارية للمشروع بالإضافة إلى قرض بدون فائدة بنسبة ٤٠٪ من تكلفة المشروعات الواقعة بمحافظات مسقط أما المشروعات الواقعة خارجها فإن المنحة تزداد نسبتها إلى ٦٠٪ من التكلفة.. هذا إلى جانب قيام الحكومة بإنشاء مناطق صناعية مخططة بأسلوب علمي تشجيعاً للمستثمرين في المجال

الصناعي بعد النجاح الذي حققته تجربة منطقة الرسيل الصناعية في مسقط العاصمة. أما السياحة فقد بدأت السلطنة خطواتها الأولى في هذا المجال الذي يعد بمردود كبير في ضوء الامكانيات السياحية الكبيرة في السلطنة من الآثار والتنوع المثير في المناخ والجو على امتداد الساحل والداخل في شمال السلطنة وجنوبها. وقامت الحكومة العمانية بالتعاون مع منظمة السياحة العالمية التابعة للأمم المتحدة بوضع استراتيجية لتنمية هذا القطاع حتى عام ٢٠٠٥م وذلك من أجل تنمية وتطوير قطاع السياحة.

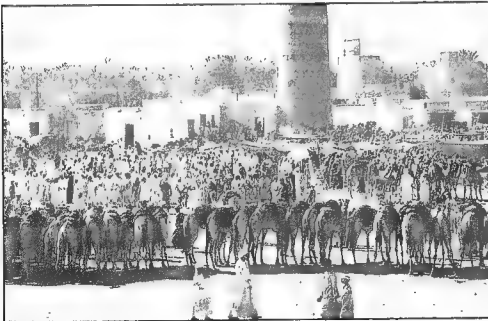
وقد راعت الاستراتيجية السياحية ضرورة استقطاب سياحة مرشدة ورشيدة تضمن المحافظة على العادات والتقاليد والبيئة العمانية.

كما قامت بالتنسيق مع المنظمات العربية والدولية للاستفادة من الخبرات الفنية والعلمية المتخصصة في هذا المجال والتي زارت السلطنة لاجل الاستفادة من تصوراتها وآرائها على ضوء الواقع والبيئة العمانية والاستفادة من خبراتها للخروج بسياحة رشيدة تتلائم والواقع العماني.

ومما سبق تبين أن مستقبل الاقتصاد العماني يكمن في تنويع مصادر الدخل من زراعة وصناعة وسياحة.

ومما تجدر الإشارة اليه في هذا المجال، هو أن السلطنة قد بدأت تستعد لعصر ما بعد النفط، طالما أن النفط معرض للنضوب وليس متجدداً، وذلك بتنويع مكونات الاقتصاد ومصادر الدخل عن طريق زيادة التخصيصات للاستثمارات الصناعية، وتنشيط الجهود في هذه المجالات وخاصة ماكان منها على صعيد الدراسات المجدية، ونقل وتطوير التكنولوجيا.

على انه يجب الاعتراف والقبول بأنه ليس من الأمور السهلة أن يتحول المجتمع العماني، وخلال فترة زمنية قصيرة، من حياة البحر والصحراء والاقتصاد التقليدي المستند عليهما الى حياة صناعية حديثة الاقتصاد ذات قاعدة تكنولوجية وعلمية. لذلك وحتى تستقر الأمور في مسارها الأمثل المنشود لا يستبعد ولن يستغرب أن تصاحب



لحدى سباقات
الجمال التي تنظم في
عُمان باستمرار

عمليات هذا التحول بعض السلبية، ذلك لأن طريق التوجه نحو التصنيع غير خال من المشاكل والمضايير، وتعرضه مجموعة من التحديات، فعملية التطور الصناعي تحتاج الى كوادرن وطنية مزودة بالمهارات والخبرات الضرورية، وخلق هذه الكوادرن يحتاج الى قدرات جيدة، والى متسع من الوقت، والى مزيد من الدراسة والترتيب حتى لا تؤدي التنمية الصناعية الى أي مشاكل ليست في الحسبان.

وأخيرا ومما تقدم تتوضح مجموعة من الحقائق ذات الصلة المباشرة وغير المباشرة بالاحداث التاريخية والسياسية التي يصنعها الانسان العماني بنشاطاتها الاقتصادية المختلفة، معطيا لهذه الاحداث قيمها الاقتصادية والسياسية.

والمنطقة كانت حتى وقت قريب من المناطق الفقيرة في العالم.. يبيئها الطبيعية قاسية بمناخها وبتربتها الفقيرة وبندرة مياهها السطحية العذبة... بيئة لم تترك لانسانها الخيار في تشكيل نمط حياته ونشاطه الاقتصادي، بل أجبرته في البدء على الاتجاه صوب البحر فسافر عليه وتاجر وغاص في اعماقه لاستخراج لآله، ونصب شبابه في مياهه لاصطياد اسمائه التي كانت عماد غذائه، حتى اكتشف النفط في السلطنة.

الا ان ظهور الثروة البترولية ووصول الانتاج الى معدلات متقدمة اعطى السلطنة اضافة جوهرية لاهمية الموقع التقليدي تتمثل في توفير مايلزم من رأس مال للتوسع في الاستثمارات الزراعية والصناعية والتجارية. فقد وصل متوسط الانتاج اليومي من النفط في السلطنة في عام ١٩٧٠ الى ٣٣٢ الف برميل، اما في عام ١٩٧٥ فقد بلغ الانتاج ٣٤١ الف برميل، وعند نهاية الخطة الخمسية الثانية في عام ١٩٨٥ ارتفع الانتاج الى ٤٩٨ الف برميل، اما في عام ١٩٨٩ فقد وصل الانتاج الى ٦٤١ الف برميل. وعليه فقد بلغت قيمة الناتج المحلي من النفط في عام (١٩٧٠) ٧١,٦ مليون ريال عماني. وعندما ارتفعت اسعار النفط بعد عام ١٩٧٣ ارتفعت هذه القيمة في عام ١٩٧٥ الى ٤٨٦,٨ مليون ريال عماني، وتوالت الارتفاعات في قيمة الدخل من النفط حتى قفزت في عام ١٩٨٥ الى ١٦٣٩,١ مليون ريال عماني، بينما وصلت هذه القيمة في عام ١٩٨٩ الى ١٤١٧,٢ مليون ريال عماني نتيجة لانخفاض اسعار النفط رغم ارتفاع الانتاج^(١٩).

وفي عام ١٩٩٣ زادت عمان انتاجها النفطي من ٧٥٠ الف برميل الى ٨٠٠ الف برميل يوميا لتعويض الانخفاض في الاسعار اذ انخفضت عائدات صادراتها النفطية التي تشكل اكثر من ٧٥٪ من مصادر دخلها بمعدل ٨٪ في عام ١٩٩٢م لتصل الى مليار و ٥٩٠ مليون ريال أي اربعة مليارات و ١٣٠ مليون دولار مقابل مليار و ٧٤٠ مليون ريال أي اربعة مليارات و ٥٢٠ مليون دولار في عام ١٩٩٢م.

ومن جهة أخرى، فان ظهور البترول قد اُضاف الى مقومات السلطنة الجغرافية اشكالا جديدة من الابعاد الاستراتيجية ضمن مفاهيم الجغرافية السياسية العالمية التي تتمثل في الصراع الدولي حول المنطقة وهو صراع جرى تحجيمه الى حد بعيد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتداعياته، الا ان السلطنة بموقعها الاستراتيجي والحيوي وباعتبارها منتجا له فعاليته وسط الدول المنتجة أصبحت طرفا فعالا في جيواستراتيجية البترول.

هوامش الباب الأول

●● الفصل الأول

- (١) عبدالله يوسف غنيم، اقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة، الكويت ١٩٨١م، ص ٤٢.
- (٢) عادل رضا: عمان والخليج العربي، القاهرة ١٩٦٩، ص ٩٦.
- (٣) عبدالرحمن العاني: عمان في العصور الإسلامية الأولى، بغداد ١٩٧٧م، ص ٢٧.
- (٤) احمد الجميلي: سلطنة عمان دراسة في الجغرافيا السياسية، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٨، ص ٧.
- (٥) محمد رشيد عباس التطويرات السياسية في عمان وعلاقتها الخارجية، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٠.
- (٦) الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال، طبعة ١٩٦١م، ص ٢٧، ٢٨، ابن حوقل صورة الأرض، طبعة بيروت، ص ٤٧، ٤٥.
- (٧) السيد عبدالعزيز سالم، التجارة البحرية في الخليج في صدر الاسلام، بحث القى في مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية بقطر ح ١٩٧٦م، ص ٤٠٠.
- (٨) الادريسي، جزيرة العرب، من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بغداد، سنة ١٩٧٦، ص ٤٣.
- (٩) التاجر سليمان سلسلة التواريخ، طبع باريس بدار الطباعة السلطانية، ١٨١١م، ص ١٥، ١٦، ٢٧، ٢٨.
- (١٠) سمرقاف: مدينة جليلة على ساحل بحر فارس، كانت قديما فرصة الهند (ياقوت، ج ٣، ص ٢٩٤).
- (١١) كوكم ملي ميناء يقع على الطرف الجنوبي لساحل ملبار وهو الساحل الغربي لبلاد الهند. انظر د/ رجب محمد عبدالحليم الصائين والملاح والتجارة ونشر الاسلام، مسقط سنة ١٩٨٩، ص ٦٧، ٧٢.
- (١٢) زاوية سليمان سلسلة التواريخ، الكتاب الثاني للسرياني المكتوب سنة ٥٦٥هـ في نهاية كتاب التاجر سليمان، ص ٦٧.
- (١٣) كلة: جزيرة وبها ميناء يحمل نفس الاسم ويعمل ايضا اسم كلة بار ويقع على الساحل الغربي بشبه جزيرة الملايو في ولاية كندا Kodah الحالية، انظر د/ رجب محمد عبدالحليم نفس المرجع، ص ١٠٦.
- (١٤) البقم: صيغ معروف وهو العنبد، او شجر يصبغ به، وهو لفظ مغرب، انظر لسان العرب لابن منظور دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ج ١٢، ص ٥٢.
- (١٥) الأفاوية: ما يعالج به الطبيب كما ان التوابل ما تعالج به الاطعمة، انظر: لسان العرب لابن منظور ج ١٣، ص ٥٣.
- (١٦) التاجر سليمان، المصدر السابق، ص ٩٠.
- (١٧) ابن خردادبة: المسالك والممالك، ليون، بريل، ١٨٨٩م، ص ١٤٩، الايلة، بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة وهي اقدم من البصرة (ياقوت، ج ١، ص ٧٧).
- (١٨) ابن خردادبة، المصدر السابق، ص ١٥٤، ١٥٥.
- (١٩) الهمداني: صفحة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الاكوع، منشورات دار البعثة، الرياض، السعودية، ١٩٢٤، ص ٣، ايله مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وهي آخر الحجاز واول الشام (ياقوت، ج ١، ص ٢٩٢). كاظمة فرجة تقع على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، تبعد من البصرة مرحلتان (ياقوت ج ٤، ص ٤٢١).
- (٢٠) الهمداني، المصدر السابق، ص ١٠.
- (٢١) الهمداني، المصدر السابق، ص ٣٦٥.
- (٢٢) الهمداني، المصدر السابق، ص ٣٧٤.
- (٢٣) الاصطخري: مسالك الممالك، طبع ليون، ١٩٢٧م، ص ١٢، ١٣، عبادان موضع تحسنت البصرة قسرب البحر المال، وكانت عبادان قبيطة لحمران بن ابيان مولى عثمان بن عفان، اقطعه ابياسم الخليفة عبد الملك بن مروان (ياقوت، ج ٤، ص ٧٤).
- (٢٤) الاصطخري، المصدر السابق، ص ٢٥.
- (٢٥) الاصطخري، المصدر السابق، ص ٢٥، وهكذا ذكر الاصطخري ان مساحة بلاد عمان تبلغ ٣٠٠ فرسخ وذكر المقدسي في كتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ٩٢ ان مساحة كورة عمان ٨٠ فرسخا مربعا. والحققة انه ليس هناك تناقض بين الروايتين على اعتبار ان الاصطخري ذكر مساحة بلاد عمان كلها، بينما ذكر المقدسي مساحة احدى كورهما، وهي كورة عمان، وتسمى ولاية باسم الدولة نفسها امر وارد في التاريخ القديم والحديث، والكورة او الولاية او المحافظة اقل في المساحة بطبيعة الحال من مساحة عموم البلاد، هذا من ناحية ثانية فان الاصطخري وغيره من الجغرافيين العرب لم يقصدوا بالارقام التي دونوها في كتبهم ذكر المساحة الدقيقة او المساحة الكلية للبلاد التي زاروها او كتبوا عنها، انما كانوا يقصدون في الواقع مساحة الجزء المعروف شاهده ومساها فيه، اما بقية البلاد او الاجزاء الداخلية والصحراوية والبرية التي لم يروها، فقد كانت لا تدخل ضمن تقديراتهم في الغالب. وعلى ذلك فان التلاشات فرسخ او الثمانين فرسخا لم تكن في الواقع الا مساحة الجزء المعروف من عمان او طول الجزء الذي سار فيه من نقل عنه كل من الاصطخري والمقدسي في بلاد عمان التي يزيد طولها وبساتيها مساحتها عن ذلك بكثير، وخاصة في العصور الإسلامية حيث كانت تمتد حدودها في تلك العصور من البحرين الى حضرموت.
- (٢٦) الاصطخري، المصدر السابق، ص ٢٧.
- (٢٧) برك بن شهریار، كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزايره، بريل ١٨٨٢ ١٨٨٦م، وصور في طهران ١٩٧٩، ص ١٥٠، ١٥١.
- (٢٨) ابن الفقيه الهمداني، كتاب البلدان طبعة ليون، بريل، ١٣٠٢، ص ١٩٧.
- (٢٩) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص ٢٠٥، والحشوش هي بساتين النخيل الكثيفة (القاموس المحيط مادة حش).
- (٣٠) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص ١٦، ٢٠، ٩٢، ١١٤، ١٢٥، ٢٥٢.
- (٣١) ابن الفقيه، المصدر السابق ص ٢٩٤.

الباب الأول - جغرافيا عُمان

- (٢٢) يقع على الساحل بين صور وظفار جنوب غبة الحشيش
- (٢٣) ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت (ب) ص ٢٧ - ٣٠
- (٢٤) المقدسي، احسن التقاسيم ط ٢، طبعة لينن، بريل، ١٩٦٧، ص ٦٨.
- (٢٥) الرقم الصحيح ثمانون ألف درج
- (٢٦) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٢٧) المقدسي، المصدر السابق، ص ٧٠.
- (٢٨) الساج ضرب من الشجر يعظم جدا ويذهب طولاً وعرضاً وله ورق كبير (قاموس المحيط مادة الساج).
- (٢٩) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٣٠) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٤١) السر، بلدة العراقي والتي بمناطق الظاهرة.
- (٤٢) ربما يقصد أن ديا وجلفار في الطريق إلى بلاد هجر.
- (٤٣) هناك أكثر من بلدة تسمى بالقلمة، احدها بلد بناحية جبال الحدان والاخرى قلعة العوامر قرب ازكي.
- (٤٤) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٤٥) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٤٦) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٧.
- (٤٧) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٨، ويذكر البكري انهم استخدموا الكلية والمب والكليجة تساوي ٩ امانان. البكري، جزيرة العرب من كتاب الممالك واسالك، تحقيق عبدالله يوسف الفهم، دار السلاسل، الكويت، ١٩٧٧، ص ٢٧.
- (٤٨) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٩.
- (٤٩) المقدسي، المصدر السابق، ص ١٠٥.
- (٥٠) المقدسي، المصدر السابق، ص ١٠٥.
- (٥١) ناصر خسرو، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٤٤.
- (٥٢) البكري، جزيرة العرب من كتاب الممالك واسالك، تحقيق عبدالله يوسف غنيم دار السلاسل الكويت، ١٩٧٧، ص ٢٥.
- (٥٣) البكري، المصدر السابق، ص ٣٦.
- (٥٤) البكري، المصدر السابق، ص ٣٧.
- (٥٥) البكري، المصدر السابق، ص ٣٧.
- (٥٦) البكري، المصدر السابق، ص ٣٨.
- (٥٧) الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، الجزء الثاني، طبع روما بايطاليا، ١٩٧١ م، ص ١٥٥.
- (٥٨) انظر هامش رقم ٣٢
- (٥٩) الادريسي، المصدر السابق، ص ١٥٦.
- (٦٠) الادريسي، المصدر السابق، ص ١٦٤.
- (٦١) الادريسي، الجزء الخامس، يوصف الهند وما يجاورها من البلاد، تحقيق مقبول احمد الجامعة الاسلامية، عليكرة الهند، ١٩٥٤ م، ص ١٢.
- (٦٢) الادريسي، الجزء الخامس يوصف الهند، ص ٢٢.
- (٦٣) الادريسي، الجزء الخامس يوصف الهند، ٢٧ والجزء الثاني، ص ١٦٧.
- (٦٤) الادريسي، نزهة المشتاق، الجزء الثاني، ص ١٥٦.
- (٦٥) الادريسي، المصدر السابق، ص ١٥٦ - ١٥٧.
- (٦٦) المسافة الصحيحة بين مسقط وصحار مائتان وثلاثون كم.
- (٦٧) الادريسي، المصدر السابق، ص ١٥٧.
- (٦٨) الادريسي، المصدر السابق، ص ١٦٢.
- (٦٩) مساحة عمان وفق الرقم الصحيح حالياً هي ٢١٢ ألف كم مربع، انظر حاشية ٢٥
- (٧٠) الادريسي، ص ١٥٨.
- (٧١) تقع عمان بين خطي طول ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وتسع وخمسون درجة وخمسون دقيقة.
- وتقع بين خطي عرض ست عشرة درجة وثلاثون دقيقة وخمس وعشرين درجة
- (٧٢) ياقوت، معجم البلدان دار احياء التراث بيروت ١٩٧٩، ج ٤، ص ١٥٠.
- (٧٣) صحار، مدينة تطل بحر عمان (خليج عمان)
- (٧٤) ياقوت، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٩٣ - ٣٩٤
- (٧٥) نزوى مدينة بداخلية عمان
- (٧٦) ياقوت، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٨١.
- (٧٧) ياقوت، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٢٧.
- (٧٨) ياقوت، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٩٣.
- (٧٩) ياقوت، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٤.
- (٨٠) ياقوت، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٧٦.
- (٨١) ياقوت، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٠. والفور عند العرب السواحل كالخليج، واصله هور فحرب الى خور (ياقوت، ج ٢، ص ٤٠٠).
- (٨٢) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل الحديدي، المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٠ م، ص ١٠٣.
- (٨٣) القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص ٥٩.
- (٨٤) ابن الجاوي: صفة اليمن ومكة وبعض الحجاز، صححه أوسكار لوفقرين، منشورات المنية، ط ٢، ١٩٨٦، ص ٢٨٤ .. ويقول ابن الجاوي: ان اصل كلمة مسقط هو «مسكته» ويقال: لا وصل اليها الصحابة سكت كل من كان بها

- قسمت «مسكن» ثم صحت الكلمة إلى «مسقط».
- (٨٥) المقصود بعمان مدينة صحار.
- (٨٦) ابن الجاور، المصدر السابق، ص ٢٨٤.
- (٨٧) ابن الجاور، المصدر السابق، ص ٢٨٥.
- (٨٨) الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب الدهر، بغداد عن طبعة بطرسبرج، ١٨٦٦ م، ص ٧٧، ٧٨.
- (٨٩) الدمشقي، المصدر السابق، ص ٨١، ٨٢.
- (٩٠) الدمشقي، المصدر السابق، ص ٨٢.
- (٩١) ربما يقصد بها مدينة منع الحالية.
- (٩٢) الدمشقي، المصدر السابق، ص ٢١٨.
- (٩٣) أبو الفداء، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠ م، ص ٢٧.
- (٩٤) أبو الفداء، المصدر السابق، ص ٧٨، ٩٩.
- (٩٥) الحميري، الروض المطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، ط ١، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٥٤، ٣٥٥.
- (٩٦) انظر هامش رقم ٢٥.
- (٩٧) لعله يقصد للهاث.
- (٩٨) الحميري، المصدر السابق، ص ٥٥٩.
- (٩٩) لعله يقصد مدينة مسقط.
- (١٠٠) للقلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، نسخة مصورة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة (ب)، ج ٥، ص ٥٥.
- (١٠١) ياقوت شهاب الدين أبي عبيدة الحموي، معجم البلدان، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٥٠.
- (١٠٢) كتب عن اهمية عمان التجارية والطرق المؤدية لها كل من ابن خردادبة (أبو القاسم عبيدالله) المسالك والممالك، بغداد، الهمداني (أبو بكر بن محمد) مختصر كتاب البلدان، الهمداني (أبو محمد الحسن بن يقوب) كتاب صفة جزيرة العرب.
- (١٠٣) الهمداني، كتاب صفة جزيرة العرب، ص ٤٨. ابن خردادبة المسالك والممالك، ص ٦٠.
- (١٠٤) الحسن بن علي بن الحسين بن علي المسعودي البغدادي المولود وإن كان البغضي قد أرجح أصله للمغرب، المسعودي (أبو الحسن) علي بن مسعود مرو الذهب ومعادن الجواهر، بيروت، ص ٦٥.
- (١٠٥) المسعودي، مرجع الذهب، ص ٦٥.
- (١٠٦) المسعودي، مرجع الذهب، ص ٦٠. تحدث حسن صالح شهاب في كتاب أضواء على تاريخ اليمن ص ١٥٢ عن اللؤلؤ وصناعاته في منطقة الخليج وعن صادرات عمان. عامر علي عمير المرهوي: عمان قبل وبعد الإسلام، عمان، ١٩٨٠، ص ١٤، ١٥.
- (١٠٧) ماركوبولو ولد في البندقية ١٢٥٤ والده تاجر إيطالي صهبي إلى بلاط قوبلاي خان. خان التتار حيث عاش ١٧ عاماً، ماركوبولو رحلات ماركوبولو، القاهرة، ١٩٧٧.
- (١٠٨) ماركوبولو، ص ٣٣٩.
- (١٠٩) ماركوبولو رحلة ماركوبولو، ص ٢٤.
- (١١٠) ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة، ص ٢٦٥.
- (١١١) ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة، ص ٢٧٠.
- (١١٢) لعله يقصد بها المنطقة الداخلية من عمان.
- (١١٣) القرطيات: مدينة قريات بدون تعريف.
- (١١٤) كلياً، ربما أنه يقصد مدينة كلبا الحالية الواقعة على الساحل بدولة الإمارات العربية المتحدة.

●● الفصل الثاني

- (١) فتوح البلدان، تحقيق ونشر، أم جي، ديلوفيه، الطبعة الثانية، بريل، لايدن، ١٩٦٨، ص ٧٦.
- (٢) القلقشندي: تهذيب الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق ونشر إبراهيم الأبياري، ط ٢، دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٤٠٠/ ١٩٨٠ م، ص ١٦٦. قارن ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، نشر وتحقيق، لطفي بروفنسال، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٤٨، ص ٣٤٧. وابن الأثير، الباب في تهذيب الأنساب، ج ١ نشر دار صادر، بيروت، ١٤٠٠/ ١٩٨٠ م، ص ١٠٧، ١٥٧.
- (٣) البازدي، فتوح البلدان، ص ٧٦. وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، نشر دار صادر، بيروت، ص ٤٣٥. قارن الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٦ م، ص ٢١٤. وابن حزم، الأصبغة في تمييز الصحابة، ج ٢، تحقيق علي محمد الجبالي، دار نضرة مصر، القاهرة، ص ٤٤.
- (٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٦. وابن حزم، نفس المصدر، ص ٣٤٨، ٣٥٠.
- (٥) ياقوت، نفس المصدر، ج ٢، ص ٤٣٤. ابن كثير، البداية والنهاية ط ٢، نشر مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٤، ص ٢٢٩. وقد خلط ابن كثير بين لقيط ذي الناج وبين بني الجندى ملوك عمان وذلك على خلاف بين مع بقية المصادر، انظر أيضاً نفس المصدر ص ٣٢٢. الطبري، ج ٢، ص ٣١٤.
- (٦) قارن، القلقشندي، نفس المصدر، ص ١٦٨، ٢٢٩. وعمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ج ٢، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢/ ١٩٨٢ م، ص ١١٦٦.
- (٧) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، نشر دار بيروت، بيروت ١٤٠٠/ ١٩٨٠ م، ص ١٩٤، ١٩٥.
- (٨) قال خليفة بن حديد بن أسد بن عاذ بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبيدالله بن زهران بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث، ومنهم راشد بن عمرو الحديدي، انظر كتاب الطبقات، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، ط ٢، دار طبعة الرياض، ١٤٠٢/ ١٩٨٢ م، ص ٢٠٢.

الباب الأول - جغرافيا عُمان

- (٩) المصدر السابق، ص ٢٠١.
- (١٠) النظر أيضاً، البلاذري، نفس المصدر، ص ٤٣٥ وخليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، ط ٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٢٩٦. والقاضي أطهر، أبوالمعالى، العقد الثمين، ص ١٢١.
- (١١) الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ٢٥١.
- (١٢) المصدر السابق، ص ٤٩٧.
- (١٣) قال ابن نوي، سموه منيبي للأصطلاحهم لكل من حاربهم، نفسه، ص ٥٠١.
- (١٤) المصدر السابق، نفسه، ص ٥٠١.
- (١٥) المصدر السابق، ص ٢٤٢، وياقوت، نفس المصدر، ج ٢، ص ٢١٧.
- (١٦) ابن نوي، نفس المصدر، ص ١٢٧.
- (١٧) هناك قرية أخرى تسمى «جلفار» بضم الجاء وسكون اللام وذكر ياقوت أنها قرية من قرى «مسور»، انظر، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥٤، ولم نجد ذكرها عند غيره.
- (١٨) انظر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق ونشر أم جي، دي غويه، ط ٣، بريل، لايدن ١٩٦٧، ص ٧١.
- (١٩) المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٢٠) المصدر السابق، ص ٩٧.
- (٢١) ياقوت، نفس المصدر، ج ٢، ص ١٥٤.
- (٢٢) الأريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ص ١٥٦، ١٥٧. نقولا زيادة: الساحل الشرقي للجزيرة العربية، بحث مقدم لدولة قطر، سنة ١٩٧٦، ص ٢٥٧ وما يليها.
- (٢٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٢، ٩٣.
- (٢٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، طبعة بيروت ١٩٥٧، ج ٢، ص ٤٩٤.
- (٢٥) المصدر السابق، ص ٣٩٣، ٣٩٤.
- (٢٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٠ سيده كاشف، عمان في فجر الإسلام، ص ١٢، ١٣.
- (٢٧) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالصمد، ج ١، ص ١٤٩.
- (٢٨) الأريسي.
- (٢٩) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١١ المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١٤٩.
- (٣٠) رحلة ابن بطوطة، طبعة بيروت، ١٩٦٠، ص ٦٤٨.
- (٣١) الاصطخري، المسالك، ص ٢٧، ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٤٤ ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٧١ وينو سامة بن لؤي أسرة صفانية نزارية تنسب إلى سامة بن لؤي بن غالب، ومن أهم من برز من رجالها على مسرح السياسة، الفضل بن الحراري الذي خرج على الإمام عزان بن تميم وهو يعاني ازدي. وكان لبعض أفراد بني سامة الفضل في نشر الوجود العربي والسيادة التجارية للعرب على الساحل الشرقي للخليج العربي، فكان جعفر بن أبي زعفر من بني سامة بن لؤي من بين وفد ملوك فارس على هارون الرشيد. مما يؤكد انتشار الحضارة العربية العمانية على الساحل الشرقي للخليج العربي وسيلاته في المجالات الاقتصادية. وقد استمر وجودهم في فارس حتى أوائل القرن الرابع الهجري (فاروق عمر فوزي، انتشار العرب في أقاليم الخليج العربي الشرقية ص ٦٤، ٦٨، محمد أبو الفرج العنق، النقود العربية الإسلامية المخرومة في مدن شرقي الجزيرة العربية، بحث مقدم إلى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، قطر، ١٩٧٦، ص ٣٠٤، وما يليها).
- (٣٢) الحميري، الروض المظفر، ص ٢٢٢.
- (٣٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٢.
- (٣٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٥٥ سيده كاشف عمان في فجر الإسلام، ص ٣٢.
- (٣٥) إرجع السابق، ص ٢٣، وأرجع إلى حاشية رقم ٢ في نفس الصفحة، ولزيد من التفاصيل عن حركة الردة بعمان وآراء المصادر العربية والعمانية في ذلك (ارجع إلى فاروق عمر فوزي، الخليج العربي في العصور الإسلامية، الطبعة الأولى ١٩٨٢، ص ٤٢).
- (٣٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٦٢.
- (٣٧) فاروق عمر فوزي، انتشار العرب في أقاليم الخليج العربي الشرقية، ص ٦٦.
- (٣٨) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٨٥.
- (٣٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٢٢.
- (٤٠) فاروق عمر فوزي، انتشار العرب، ص ٦٦.
- (٤١) نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، طبعة دار الكتاب اللبناني ١٩٦٢، ص ٢٢٥ أحمد الشامي، العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلاد الشرق الأقصى، ص ٣٣٢.
- (٤٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩٥.
- (٤٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٧٢.
- (٤٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٥. وعن تبعية جاسك لحاكم جزيرة قيس العرب، أرجع إلى فاروق عمر فوزي، انتشار العرب، ص ٦٦.
- (٤٥) عبادة كحيلة، العرب والحبس، ص ٤٧ صلاح الدين الشامي، الرحلة العربية في المحيط الهندي ودورها في خدمة المعرفة الجغرافية، مقال بمجلة عالم الفكر، العدد ٤، ١٩٨٢، ص ٢٢.
- (٤٦) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٣٠، ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٥٢.
- (٤٧) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١٤٨.
- (٤٨) ابن شهر يار برزك النخذه الرام هرمزي، كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزايره، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٠٨.
- (٤٩) عن نسخة ليدن ١٨٨٢، ١٩٠٩.
- (٥٠) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١٦.

- (٥١) المصدر السابق، ص ٢٠.
- (٥٢) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٧١.
- (٥٣) المصدر السابق، ص ٢٢٨.
- (٥٤) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١١٢.
- (٥٥) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١١٤.
- (٥٦) المصدر السابق، ص ١٢٥.
- (٥٧) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٦٤٨.
- (٥٨) سيده كاشف عمان في فجر الاسلام، ص ٣٧.
- (٥٩) الاصلطري، المسالك والممالك، ص ٢٧، ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٤٤.
- (٦٠) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٤٤.
- (٦١) سلسلة التواريخ، باريس ١٨١١، ص ١٨٢، ١٨٢٣.
- (٦٢) ابن خردادبه، المسالك والممالك، ص ١٤٧، المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٩٨.
- (٦٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٤٤، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد ٣، ص ٢٩٣.
- (٦٤) ابن خردادبه، المسالك والممالك، ص ٦٢، ابن بطوطة، الرحلة، ص ٥٩٤.

●● الفصل الثالث

- (١) استهدفت هذه الدراسة، التي يغلب عليها الطابع الجغرافي بشكل عام، اظهار الدور الهام الذي تلعبه اهم المكونات الجغرافية في البنية السياسية للسلطنة، وما تضيفه هذه المكونات الهامة على هذه البنية من ابعاد استراتيجية، ولا يعني هذا أبداً ان هذه المكونات تنفرد وحدها في صياغة ورسم المركز الاستراتيجي للسلطنة، فلعوامل الجغرافية الأخرى التي لم يتسع البحث لعرضها دور أيضاً.
- (٢) كل ١١ دقيقة تمر بهذا المصيق نافقة بمط ضخمعة تنجه من الخليج الى المحيط او عكس ذلك.
- (٣) ومرحلة تاريخ شرقفا العربي تثبت مصداق ذلك، لاعتباراً من القرن الرابع عشر. اخذت قوى الاستعمار في تثبيت أقدامها في عدة مناطق في الوطن العربي، ففي عام ١٥٦٩م عقدت فرنسا مع الباب العالي معاهدة تسمح لها بحماية الأجانب في الامبراطورية العثمانية، وتلت ذلك عدة معاهدات وبخاصة في القرن التاسع عشر، اتاحت لكل من فرنسا وروسيا القيصرية وبريطانيا التدخل لتثبيت مواقع نفوذها.
- (٤) جاء في الصفحة ١٦ من كتاب دانيال بوران الاحتكارات البترولية وسياساتها الدولية مايلي: لقد اشارت الحرب العالمية الأولى خشية الولايات المتحدة الأمريكية من ان تشغ فيها المادة البترولية وهكذا بدأ صراع عنيف وقاس استمر زهاء عشر سنوات بين الشركات الأمريكية والبريطانية ليعضن كل جانب احتياطات جديدة بترولية، وكانت منطقة الخليج العربي اهم مناطق هذا النزاع.
- (٥) كانت الشركات البترولية الأمريكية الكبرى لاتولي اهتمامها للإنتاج البترولي خارج امريكا الشمالية وذلك حتى الحرب العالمية الأولى، ولكن منذ عام ١٩٢٠ بدأت خمس من الشركات الكبرى الأمريكية بمزاومة الشركات البريطانية والهولندية في منطقة الخليج العربي.
- (٦) يقول الدكتور امين محمود عبيداه في الصفحتين ٦٨ و ٧٥ من كتابه، دراسات في الجغرافية السياسية للعالم المعاصر مايلي: وتساعدنا دراسة التركيب الطبيعي للأقليم السياسي في تقرير أهمية هذا الاقليم بالنسبة للأقاليم الأخرى، وأن أي نوع من التضاريس يستطيع أن يترك طابعه على النحو السياسي، وأن أقوى دول العالم قد أصابت حظاً كبيراً من التقدم نتيجة غزاة الماخ فيها لنشاط الإنسان.
- (٧) د. محمد سعودي، الوطن العربي، ص ٢٧٧.
- (٨) السكان هم ثروة الدولة البشرية وهم الذين يصنعون واقعها السياسي، ولولا السكان ماكان إنتاج أو عمران أو حضارة أو كيان سياسي، وتقدر قيمة السكان بمقدار حيويته وفعايلتهم. ونسبة العناصر الشابة فيهم، والعاملين من رجالهم وسناتهم، ومتوسط أعمارهم ومن العوامل التي تساهم في زيادة فعالية السكان تلاحمهم وترابطهم، ووفرة العناصر القيادية وكفاءتها، ومستويات التعليم والتدريب الفني.
- (٩) الكتاب الإحصائي السنوي، اصدار وزارة التنمية بالسلطنة، الإصدار الثاني والعشرون، أكتوبر ١٩٩٤، ص ٤٦.
- (١٠) المرجع السابق.
- (١١) المرجع السابق.
- (١٢) المرجع السابق.
- (١٣) ضمت مسقط لعدد من المدن الأخرى لتصبح محافظة مسقط.
- (١٤) مسيرة الفجر، وزارة الإعلام.
- (١٥) الكتاب الإحصائي السنوي اصدار وزارة التنمية بالسلطنة، الإصدار الثاني والعشرون، أكتوبر ١٩٩٤، ص ٥٥.
- (١٦) مما هو متفق عليه في المجالين الاقتصادي والسياسي يساهم بعين على كل دولة أن تعتمد بالضرورة على مواردها الطبيعية وقدرتها الاقتصادية في بناء قوتها السياسية وأن هناك موارد معدنية كالبتترول والفحم وحام الحديد واليورانيوم ذات أهمية حيوية في إيجاد أساس جغرافي له أبعاد استراتيجية لدولة من الدول.
- (١٧) خطة التنمية الخمسية الرابعة (٩١ ١٩٩٥) الصادر عن مجلس التنمية، يوليو ١٩٩١، ص ٢٠٢.
- (١٨) خطة التنمية الثالثة (٨٦ ١٩٩٠) الصادر عن مجلس التنمية، ص ١١٩.
- (١٩) انظر الكتاب الإحصائي السنوي لسلطنة عمان، الإصدار الثامن عشر، يونيو ١٩٩٠، ص ٣٦٦، ٤٦٥، ٤٦٦.

الباب الثاني

عمان في العصور التاريخية القديمة

الفصل الاول : عمان في فجر العصور التاريخية

الفصل الثاني : المجتمع العماني في العصور القديمة

الفصل الثالث: صور من الحضارة العمانية في العصور التاريخية القديمة

البحوث المقدمة والمستخلص منها في هذا الباب

- عمان في العصور الاسلامية الوسطى، للدكتور / علي منصور نصر،
جامعة البحرين.
- جوانب من تاريخ عمان القديم وعلاقاتها الحضارية، للدكتور / رضا
جواد الهاشمي، جامعة بغداد.
- نشأة الدولة العمانية وتطورها في الاطار الجغرافي والتاريخي،
للدكتور / محمد حرب فرزات، جامعة دمشق.
- عمان في النصوص السمارية، للدكتور / فوزي رشيد، اتحاد المؤرخين
العرب. بغداد.

الفصل الأول

عمان في فجر العصور التاريخية

أصل تسمية عُمان :

عمان: بضم أوله وتخفيف ثانية وآخره نون: اسم كوره عربية على ساحل بحر العرب والمحيط الهندي، طولها أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها تسع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقة في شرقي هجر. وقد اختلفت الآراء في أصل هذا الاسم، فالبعض يرجعه الى قبيلة عمان القحطانية، والبعض يأخذه من معنى الاستقرار والاقامة، فيقول ابن الاعرابي: العمن أي المقيمون في مكان، ويقال رجل عامن وعمون، ومنه اشتقت كلمة عمان، ويستطرد فيقول: أعمن الرجل أي دام على المقام بعمان^(١).

أما الزجاجي فيقول: أن عمان سميت باسم عمان بن ابراهيم الخليل عليه السلام، بينما يذكر ابن الكلبي: أنها سميت باسم عمان بن سبا بن يفتان بن ابراهيم خليل الرحمن لأنه هو الذي بنى مدينة عمان^(٢). أما شيخ الربيوة فيقول: أنها سميت بهذا الاسم نسبة الى عمان بن لوط النبي عليه السلام^(٣)... وقيل أن الأزد سمت عمان (عمانا) لأن منازلهم كانت على واد لهم بمأرب يقال له عمان فشبهوها به^(٤).

ومن أقدم المؤرخين الرومان الذين ذكروا عمان بهذا الاسم يلينوس الذي عاش في القرن الاول للميلاد (٢٣ - ٧٩ م) فقد ورد في كتاباته اسم مدينة تسمى عمانه، OMANA وكذلك ورد هذا الاسم عند بطليموس الذي عاش في القرن الثاني للميلاد، ويظن جروهمان أن عمانه المذكورة عند هذين المؤرخين هي صحار التي كانت تعد المركز الاقتصادي الأكثر أهمية في المنطقة في العصر الكلاسيكي^(٥).

وقد عرفت عمان بأسماء أخرى، فقد أطلق عليها السومريون ودول بلاد ما بين النهرين اسم (مجان)، ربما نسبة الى صناعة السفن التي كانت تشتهر بها عمان، حيث ورد في النقوش الساميرية بأن مجان تعني هيكل السفينة، كما سماها الفرس باسم (مزون).

وورد اسم عمان في المصادر العربية على أنها اقليم مستقل. فقد أشار الأصبخري وابن حوقل الى ذلك في قولهما: وعمان ناحية ذات أقاليم مستقلة بأهلها فسحة^(٦). أما ابن خلدون فقد كان أكثر وضوحاً في تعريفه لعمان، فقد ذكرها في جملة الأقاليم العربية التي ظهرت كدول مستقلة في جزيرة العرب وهي اليمن والحجاز والشحر وحضرموت وعمان، ووصف نظام حكمها، فقال بأنها «إقليم سلطاني منفرد»^(٧).

ومهما كان الامر، فإن اسم عمان كما هو ملاحظ يعود الى عصور تاريخية قديمة، وإذا رجحنا أن عمان حملت هذا الاسم نسبة الى واد في اليمن يسمى عمان، أو الى قبيلة يمنية تحمل نفس الاسم، فإن ذلك يدل على قدم الهجرات العربية التي توالى من

اليمن الى عمان، وإلى أن عمان كانت تصطبغ بالصبغة العربية منذ أقدم العصور. ولكن كيف نتعرف على تاريخ هذا القطر العربي في عصوره التاريخية القديمة؟

دراسة التاريخ العُماني القديم :

إن الحديث عن تاريخ عمان في العصور القديمة ذو شقين، يتوجب الشق الأول منه الاستفادة من المصادر المدونة، وبخاصة كتابات الأخباريين والجغرافيين منها، ولكن هذه المصادر لا تستطيع التوغل بالباحثين في أعماق التاريخ العُماني... وفي حالة الاستفادة من بعض المصادر الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) أو بعض المصادر الصينية، فإن معلوماتنا تقترب من حدود العهد الميلادي أو قبله بقليل (٨).

أما الأحداث التاريخية ونشاطات العُمانيين خلال العصور الحجرية القديمة أو الحديثة، أو خلال العهود التاريخية منذ مطلع الألف الثالثة ق.م وما بعدها، فقد كان حالها مثل كثير غيرها من مناطق الجزيرة العربية والخليج العربي، مجهولاً تماماً... وكانت بعض المعلومات المتفرقة التي تتساقط من بين ثنايا الكتابات المسمارية تشكل بصيص الأمل الوحيد أمام الباحثين للتفتيش عن ماضي الأحداث لهذه المنطقة الهامة من مناطق التمدن البشري القديم.

إن العقود الأخيرة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية دفعت بالدراسات التاريخية القديمة للخليج والجزيرة العربية، والمعتمدة في الأساس على المصادر المسمارية العراقية القديمة، لتتبوأ مكانة هامة على صعيد الدراسات التاريخية والأثرية، مثلما شجعت علماء الآثار والمنقبين لبدء أعمال تنقيبات أثرية واسعة في شتى مناطق الجزيرة العربية، وعلى الأخص مراكز الاستيطان القديم على الأطراف وفي الواحات ومناطق السواحل، وهي التي توفرت لها إشارات نصوصية عديدة تشير إلى انهماكها في نشاطات ملاحية وتجارية واسعة (٩).

وهكذا أعانت المصادر المسمارية على البدء في قيام مرحلة جديدة في دراسة التاريخ العربي القديم عموماً، أو فصوله المختلفة، والتي يحتل التاريخ العُماني فصلاً هاماً منها. وتعد أعمال الاستكشافات والتنقيبات الأثرية الشق الثاني من الحديث عن تاريخ عمان القديم، وبخاصة وأن النتائج التي أسفرت عنها الجهود الخيرة للعقود الأخيرة اثبتت بصورة قاطعة عراقة وأهمية التاريخ العربي القديم عامة ودوره العظيم في بناء الحضارة الإنسانية ودعم مقوماتها بعناصر القواصل والدوام.

وتجدر الإشارة في هذا الخصوص إلى العناية الفائقة التي تبتذلها الاقطار العربية، ومنها عمان، في مجال الدراسات الأثرية... حيث تعتبر مجلة الدراسات العُمانية - The Journal Of Oman Studies - التي تصدر عن وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان خير دليل على ذلك، فقد صدر العدد الأول منها في عام ١٩٧٥ هـ - ١٩٧٥ م ولا تزال تواصل الصدور، وتعد بحوثها وتقارير البعثات الأثرية المختلفة العاملة في عمان، من أهم المراجع وأوثقها بخصوص التاريخ والحضارة القديمين لهذا الركن الهام من الوطن العربي (١٠).

منطلقات دراسة التاريخ العُماني القديم :

تحتل عمان الاجزاء الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية، فهي تطل على البحر

الباب الثاني - عُمان في العصور التاريخية القديمة

العربي مثلما تحققتن خليجا مهما يعرف باسمها، يعد حلقة الوصل الرئيسية بين الأرض العربية وبين شبه القارة الهندية... ورغم أهمية عمان في شؤون الملاحة والمواصلات البحرية، فإن علاقاتها ببقية اقسام الجزيرة العربية تعززت خلال الفترات المبكرة للتاريخ العماني من خلال طرق برية نشطة، وجدت تأكيداً لها في عدد من المخططات الاثرية^(١١).

وإذا كانت الاشارات النصوصية المسمارية تؤكد على أهمية مجان (عمان) في تصدير النحاس الى العراق، وهو الامر الذي توفرت دراسات اثرية حقلية في عمان لتأكيد في السنوات الاخيرة^(١٢). فان التاريخ والحضارة العمانية القديمة يشكلان جزءاً من النشاط التاريخي والحضاري العام لمنطقة الخليج العربي، والذي لعب الطريق القديم بمراكزه الحضارية دوراً بارزاً في صياغة مكوناته. وفي رأينا تعد هذه النظرة المنهجية المدخل الصحيح والفقرة الرئيسية في منطلقات الدراسة للتاريخ العماني القديم.

أما المنطلق الثاني فيتمثل في دور العمانيين في الملاحة البحرية القديمة، فمن بين الامور المعروفة بخصوص الملاحة البحرية القديمة، انها شهدت ازدهاراً ملحوظاً في الخليج العربي، بينما تعطلت لوقت طويل في البحر الاحمر واقسام من البحر العربي وذلك لاسباب تتعلق بتقنية صناعة السفن ومهارات الملاحين^(١٣).

كانت الملاحة العمانية القديمة تتميز عن غيرها من مراكز الخليج العربي بعظم سفنها، وربما أيضاً لأهمية تجارتها من النحاس الذي كان يجد أسواقاً راجحة له في مدن بلاد وادي الرافدين. فالنصوص المسمارية تقرر مجان بسفن معينة تدعوها، سفينة مجان، ولكن الاشارة النصوصية التي تذكرها وهي في قصيدة سومرية تتعلط برحلة جلجامش الى أرض الحياة، أريد من ورائها أن تكون سفينة مجان مثلاً لا عظم السفن وأشدها^(١٤). ويتأكد هذا الفهم للسفن المجانية من مقدمة قانون أورنمو التي يتفاخر فيها بتمكنه من إعادة هذه السفن لترسو في رصيف مدينة (أور) والاكثر من تردها وجعلها مشهورة^(١٥). ويبدو ذلك منطقياً من نوع البضائع التي اقترن ذكرها في المصادر المسمارية بمجان وأبرزها النحاس والحجارة والاختشاب^(١٦). وبذلك يمكننا القول بأن شهرة البحرية العمانية في القرون القليلة الماضية تستند الى خبرة ملاحية طويلة تستمد مقوماتها من تاريخ عمان القديم، مع ملاحظة المتغيرات في اتجاهات الرحلات ومواد التجارة بين زمن وآخر.

والمهم في هذا المنطلق هو أن التجارة والملاحة البحرية لاتشكلان نشاطاً اقتصادياً فحسب، وانما هما في الأساس عامل رئيسي للتقاعلات الحضارية ومد جسور الصداقة والتفاهم وتعزيز المصالح المشتركة بين أمم وثقافات عديدة، ناهيك عن دورها في تعزيز الترابط الحضاري العربي القديم.

وإذا قبلنا بإشارات النصوص المسمارية، فانها تخبرنا عن نظام سياسي وإداري محكم يقوده ملك اسمه «مانو دانو» وذلك في حدود القرن الثالث والعشرين ق.م. ومن فترة معاصرة لزمن الملك (نرام سين) من ملوك الدولة الاكدية في العراق، وهو الذي ترك لنا هذه النصوص.

كما أن نصوصاً أخرى من زمن سرجون الاكدي جد نرام سين، تتحدث عن مزيد من السفن المجانية (العمانية) التي وصلت الى بلاد اكاد^(١٧). حيث يتناسب ذلك مع

وجود دولة قوية مزدهرة تنشط على يديها الاعمال التجارية والملاحة البحرية الواسعة.

أما المنطلق الثالث لدراسة التاريخ العماني القديم فيتوجه صوب استكشاف الأهمية الاستراتيجية التي احتلتها عمان على صعيد العلاقات العربية من جانب، وبينها وبين العالم الخارجي من جانب آخر.

وهذه العلاقات كانت في غالبيتها علاقات تجارية كان عمادها رحلات منتظمة، تقوم بها السفن العمانية وقوافل الجمال العربية من بلدان الجزيرة العربية ومنها عمان الى البلدان الاخرى، وخاصة تلك البلدان التي تربط بها برية.

وعندما تعطلت الملاحة في البحر الاحمر نتيجة لانتشار الصفور المرجانية على سواحلها ولعدم توافر الرياح الموسمية نشطت تجارة القوافل العربية التي نقلت بضائع الجزيرة العربية والهند الى أسواق الشام ومدن ساحل البحر المتوسط ومصر^(١٨).

ولكن تجارة القوافل العربية هذه لم تكن لتحقيق هذه المكانة والاهمية في تاريخ الاقتصاد العربي القديم الا بفضل تدجين الجمال سفينة الصحراء الذي أصبح منذ مطلع الالف الاولى ق.م. حيوانا عربيا مستأنسا على نطاق واسع يخدم عملية النقل والمواصلات بين أقسام بلاد العرب من جانب، وبينها وبين مراكز الحضارات على أطرافها في العراق والشام ومصر من جانب آخر^(١٩).

وبسبب موقع بلاد عمان الذي تفصله مفازة صيهد (الربع الخالي) عن بقية أقسام الجزيرة العربية، وإلى وقت تدجين الجمال الذي يقع في مطلع الالف الاولى ق.م.، وكذلك بسبب مواد التجارة ومراكزها وأسواقها، فإن معظم النشاطات التجارية والملاحة العمانية كانت موجهة صوب مناطق الخليج العربي وبلاد وادي الرافدين، وهو ما تؤكد المصادر المسمارية ونتائج أعمال التنقيب الأثرية في المراكز الحضرية القديمة لمنطقة الخليج العربي وعمان. فقد كشفت أعمال التنقيب الأثرية عن مقابر دائرية الشكل في جزيرة صغيرة مقابل مدينة أبوظبي، تعرف باسم أم النار^(٢٠). ثم توالى اكتشافات مقابر مماثلة في منطقة هيلي القريبة من بلدة العين، ومقابر بديع بنت سعود وجبل حفيت^(٢١)... مما يجعل الاقسام الجنوبية للخليج العربي تتحرك ضمن دائرة حضارية واحدة.

وهكذا يعطينا الشق الاول وهو الكتابات التاريخية جوانب هامة من تاريخ عمان القديم تتعلق بأنشطة سكانها البحرية والتجارية وعلاقاتها بما يحيط بها من بلدان. أما الشق الثاني الذي يمكن أن نستقي منه أيضا بعض جوانب من التاريخ العماني القديم فهو الحفريات والتنقيبات الأثرية.

التنقيبات الأثرية :

بدأت تتكشف مجاهل تاريخ عمان القديم أمام البعثات العلمية للتنقيب عن الآثار، وترجع أقدم الآثار التي وجدت على الساحل العماني الشرقي والغربي الى الالف الخامسة ق.م^(٢٢)... وهناك دلائل واضحة على تشكل مجتمعات صغيرة في عصور مبكرة من التاريخ على ارض عمان تعود الى الالف السادسة قبل الميلاد، كشف النقب عنها في موقع القرم قرب مسقط، حيث عثر على مقابر وبقايا اطعمة وامتعة شخصية... فقد عاش معظم سكان ذلك الموقع على استخراج المواد الغذائية من



الآباريات

الاسماك والمحار من الشواطئ القريبة بينما كان آخرون صيادين عاشوا على قنص الغزلان من الوديان ومن اعماق المناطق الداخلية... ويدل وجود اثار القبور على وجود مؤسسة للحياة الدينية لها طقوس معترف بها، اما العثور على حلل للرجال وللنساء فيقوم دليلا على بلوغ درجة ما من التقدم التقني^(٧٣).. وفي ١٩٧٢ - ١٩٧٣ بدأت أعمال التنقيب الاثري في سلطنة عمان، وقامت البعثات العلمية بالتنقيب في مواقع متعددة بحثا عن شواهد من الالف الثالثة ق.م، وتأتي هذه الكشف حلقة جديدة في سلسلة التنقيبات التي جرت في منطقة الخليج منذ مايقرب من اربعة عقود.

ولكن من اهم اعمال التنقيبات التي جرت في منطقة الخليج العربي تلك التي جرت في جزيرة ام النار قرب ابوظبي (١٩٥٩) حيث عثر على مستوطنة يمكن ارجاعها الى مرحلة مبكرة من الالف الثالث ق.م. وفيها اثار مساكن وقبور ومشاعل لصنع الفخار^(٧٤)... ويبدو ان ثقافة عامة كانت منتشرة على نطاق واسع، فقد عثر على اثار بعض القبور الحجرية تليه الشكل قرب جبل حفيت على مقربة من العين، وفيها فخار يمكن تاريخه بنحو ٣٤٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م. وقد وجد مثل لهذا الفخار في موقع بات^(٧٥)... بالقرب من عبري كما وجدت نماذج منه في موقع ابراء^(٧٦)... وممالفت النظر في بناء هذه القبور، التقنية المتبعة في تغطية السقف القببي الشكل بالحجر الكلسي، وتقسيم داخل القبر الى حجرتين او ثلاث... وفي هذا كله تعبير مادي عن معتقدات دينية انعكست في التقاليد الاجتماعية وفي الحياة اليومية للناس، ينبغي البحث عن مصادرها والعوامل المؤثرة فيها.

فاذا اضفنا الى الكشف الاثرية في بلاد الخليج العربي ماكشف عنه في تبة يحيى في كرمان وباجور في بلوخرستان، كان بالامكان اعادة رسم طرق الاتصال والتبادل بين الحضارتين الكبيرتين اللتين قامتا على ارض الرافدين والجزيرة (سومر واكاد)، وفي وادي السند^(٧٧)... وقد كان لدليمون في شمال الخليج ولجان في جنوب الخليج دور كبير خلال اكثر من الفي عام من التاريخ القديم في تأمين هذا الاتصال، ويلاحظ فريق

من الباحثين الألمان مع الاستاذ شليبهاكه (فورتسبورج) ان تحرك دول الرافدين في الخليج للحصول على المواد الأولية يقابله تحرك مصري في الخليج المقابل (البحر الأحمر) للوصول الى منتجات بلاد بونت (اليمن والساحل الأفريقي المقابل)... وفي هذا التحرك المتبادل بدأت تتشكل في الألف الأولى ق.م. أسس حضارة جديدة في جزيرة العرب تقوم على تجارة البخور والمر والطيب ونقلها بين المحيط الهندي وحوض البحر المتوسط (٢٨)...

وتكشف التقارير العلمية التي نشرت مؤخراً (١٩٨٧) عن محصلة التنقيبات الأثرية التي أجريت في بعض مناطق عمان (المنطقة الوسطى من الباطنة) خلال عقد من السنين، لتؤكد ماقدّمناه في البدء من وجود خلفية تاريخية قديمة لتشكيل مجتمع له فعالية اقتصادية سياسية وكيان سياسي منظم للتعامل مع الدول والمجتمعات الأخرى.. ففي دراسة نشرها ب. كوستا و.ج. ويليكنسن (٢٩)... حول الظهير الواقع وراء صحار، قدم المؤلفان صورة أخيرة عن الفعاليات التعدينية والزراعية والتجارية للمنطقة التي ترجع بأصولها الى مراحل بعيدة من العصور القديمة وامتدت الى العصور الإسلامية.

كما ذكرت المصادر الرافدية القديمة (السومرية والأكادية) بلادا تقع بين ديلمون (البحرين) وملوخوا (يرجح انها السند) هي مجان التي كان من الواضح انها مصدر أساسي لاستيراد النحاس.

وعلى الرغم من تضارب الآراء، فما لرجح هو أن البلاد المذكورة هي عمان، التي تؤكد الدراسات العلمية انها تحتوي على كميات كبيرة من النحاس في شمال البلاد، كما دل على ذلك أيضاً تحليل الصخور المخضرة وظهور سيليكات المغنيزيوم المهدرجة فيها، وكان النحاس يستخرج بسهولة من الصخور ومن مناجم محفورة، كما امكن استخراج بعض انواع الكبريت (٣٠)... وقد قدم الباحثان كوستا وويلكنسن في دراستهما المذكورة (٣١)... تقريراً علمياً وافياً ودقيقاً يؤكد وجود تقاليد فعالية تعدينية قديمة جداً في هذه المنطقة، وبخاصة تعدين النحاس... وتقع منطقة التعدين وراء المنطقة الزراعية بنحو خمسة وعشرين كيلومتراً من الساحل، على سفح جبال الحجر الغربي... ودل العثور على آثار حجرية في المنطقة على استقرار مجتمعات صغيرة في مطلع الألف الثالثة ق.م. في الظاهرة عملت في التعدين... وكانت المواد الأولية تستخرج من المناجم، ويصهر المعدن في مصاهر بسيطة، وبنيت مساكن بسيطة لتأمين استقرار العمال.

وقد استمر استغلال هذه المناجم في عمان الى العصور الإسلامية الوسطى... وكان الموقع الرئيسي لها منذ نهاية العصر الساساني الى القرن الثاني عشر للميلاد هو موقع عرجا حيث وجدت آثار منشآت عمرانية يمكن أن تكون لها علاقة بالتعدين، كما عثر على آثار فخارية وخزفية يمكن تأريخها بهذه الفترة... ومما لفت الانتباه العثور على عرق من النحاس على عمق ٩٠ م تحت سطح الأرض مع قطع من الخشب وجبال، وقد درست هذه البقايا لتأريخها بطريقة التأريخ بالفحم المشع (١٤ C) فأرجعت الى القرن التاسع الميلادي.. وقد اشار المسعودي (القرن الرابع للهجرة/ العاشر الميلادي) الى مناجم للنحاس في عمان... ولكن الأهم من ذلك وهو وجود قواعد تنظيمية خاصة بالتعدين من مصادر عمانية اشار اليها المؤلفان وهي تعود الى القرن العاشر للميلاد ايضاً... وكانت مناجم التعدين تستثمر في وادي الجزي (بالقرب من

صحار) من القرن الثاني عشر... ولكن ايا من هذه المراجع لا يقدم لنا اية معلومات تفصيلية، ومما لاشك فيه - كما يؤكد المؤلفان - في انها تدور حول موضوع التعدين، وهي تتضمن مثلاً عقوداً بين المالكين للموقع وبين المستثمرين، وهي عقود طويلة الاجل تمتد الى مائة عام مثلاً... ولكن الوثائق نفسها تصمت عن اعطاء اية معلومات عن اليد العاملة او التقنيات المتبعة^(٢٢)...

ولم يكن استخراج النحاس وتعيينه واستخدامه قاصراً على عمان في تلك العصور التاريخية السحيقة السابقة على الميلاد أو بعده، فقد تميزت الالفان الرابعة والثالثة ق.م. باستخدام مراكز الحضارات القديمة للنحاس على نطاق متزايد، وبخاصة في كل من مصر والعراق، وصنعوا منه بعد خلطه مع القصدير سبائك البرونز حتى شاعت تسمية اصطلاحية على هذه الحقبة من تاريخ الحضارات القديمة هي العصر البرونزي.

وقد وجدت مصر في مناجم نحاس سيناء المصدر الجيد والقريب لتلبية حاجاتها لهذا المعدن، لذلك يقلب على الكتابات التذكارية لفرعون مصر، الحديث عن حملات تجارية صوب هذه المناجم وتأمين طرق المواصلات اليها وتوفير الخدمات اللازمة لتسهيل مهمة العاملين على استخراج النحاس أو نقله الى امهات المدن المصرية. وتكرر الاشارات النصوصية الى اهتمام المصريين بمناجم النحاس في سيناء منذ عصر ما قبل الاسرات والى الاسرة العشرين، أي لمدة تقرب من ألفي عام وذلك من حوالي منتصف الالف الرابعة ق.م. والى مطلع الالف الاولى ق.م.^(٢٣)...

وقد نجم عن سعي المصريين لتوفير هذه المادة، وكذلك سعيهم الحثيث والمتواصل لتوفير أخشاب الارز اللبنانية، دفع اهتمامات التجارة المصرية القديمة وتوجهات سياسة الدولة صوب سيناء والسواحل اللبنانية... بينما وجد العراق ضالته من هذا المدن الهام من مصدرين هما عمان عن طريق الرحلات البحرية في الخليج العربي، وكذلك بلاد الاناضول.

ولكن بموجب البيانات النصوصية المتوفرة منذ مطلع الالف الثالثة ق.م.^(٢٤)... وكذلك الدلالات الاثرية للمستوطنات البشرية المنتشرة في مناطق واسعة من سواحل وجزر الخليج العربي^(٢٥)، فإن النحاس الذي عرفه العراقيون منذ مطلع الالف الرابعة ق.م. وصلهم من مناجم النحاس في عمان وعن طريق الرحلات البحرية في الخليج العربي. وقد شجع على تطور العلاقات التجارية بين العراق وعمان أن طريق الرحلات البحرية عبر الخليج العربي كان طريقاً سالكا أمام وسائط النقل القديمة، وهو ما أشرنا اليه من قبل، مقابل انعدام أي واسطة أو طريق آخر للاتصالات بين الجانبين.

ومما ساعد على تطوير العلاقات التجارية خلال الالفين الرابعة والثالثة ق.م. والمستندة أساساً على النحاس، توفر مواد أولية أخرى في عمان أو غيرها من مراكز الخليج العربي، أو تستجليها رحلات التجارة في الخليج العربي، وهي الاحجار بأنواعها المختلفة ومنها الاحجار الكريمة، وكذلك الأخشاب، حيث كان النحاس والخشب والاحجار في مقدمة أهم المواد التجارية التي سعى العراق لتوفيرها من تجارة الخليج العربي.

ومع منتصف الالف الثانية ق.م. أخذ استخدام الحديد ينتشر بصورة متزايدة، وبخاصة في صناعة الاسلحة، وكان ذلك من نتائج انتشار الاقوام الهندية الاوربية

في بلدان الشرق الأدنى القديم، وبخاصة بعد غزو الهكسوس لمصر حوالي القرن السابع عشر ق.م، وغزو الكشيين للعراق في حدود القرن الخامس عشر ق.م، وانتشار الحيثيين واليتانيين في شمالي سوريا وبلاد الرافدين، ورغم استمرار الطلب على النحاس، لكن انتشار الحديد وتقوّه كسلاح على النحاس والبرونز سحب جانباً من التجارة الدولية الواسعة في النحاس لصالح الحديد، وربما يفسر ذلك سبب انصراف الاشوريين عن الاهتمام بتجارة الخليج العربي (٣٦)...

وكما سبق القول فقد أخذ تدجين الجمل واستخدامه الواسع من قبل سكان الجزيرة العربية للنقل والمواصلات، يقلل من أهمية النقل البحري في الخليج العربي، وفتح آفاقاً وأسواقاً جديدة أمام تجارة عرب جنوب الجزيرة العربية عامة ومنهم العمانيون، مثلما تطلب هذا الواقع الجديد في الأسواق والمتغيرات السياسية والبشرية والفكرية لعالم الشرق الأدنى القديم خلال الألف الأولى ق.م، شيوع مواد تجارية جديدة، حيث أصبح الطلب على البخور والطيوب والأفاوية يأتي في مقدمة السلع التجارية الهامة.

وعليه، فقد أخذت التجارة والسلع العمانية تتوجه في جانب كبير منها صوب الغرب والشمال ولتتحد مع تجارة قوافل جنوب الجزيرة العربية الواسعة فيما يعرف بطريق البخور.

ومما يعزز هذا الرأي انتشار كتابات المسند في مواقع عمانية وخليجية كثيرة، كما أصبحت المواشي والجمال والطيوب والذهب من بين سواد التجارة العربية القديمة للألف الأولى ق.م، والتي سعى الاشوريون وغيرهم للحصول عليها (٣٧)...

وقد زاد التجارة العربية أهمية مقدراتها على توفير سلع أجنبية للأسواق التجارية تتعدى السلع العربية المحلية، مثال ذلك سلعة القرقة التي لعب العمانيون دوراً بارزاً من دون شك في توفيرها للأسواق من مناشئها الهندية، وذلك بفضل قدراتهم المتطورة تاريخياً على ركوب البحر، وتهيؤ شروط ملاحية مشجعة للانتقال بين خليج عمان وبين شواطئ الهند الغربية، حيث يمكن الوصول بعدها الى مكان القرقة وأنواع أخرى كثيرة من السلع والمنتجات الهامة.

وبموجب المتغيرات المشار إليها سابقاً، نرى أن لفظة مجان أصبح لها مدلول جغرافي واسع خلال الألف الأولى ق.م، بحيث شملت جميع الأقسام الجنوبية من الجزيرة العربية من مضيق باب المندب وإلى مضيق هرمز، وهي منطقة تشابه كثيراً في خصائصها الطبيعية ومناخها وأمطارها ونباتها وحيوانها، كما أنها هي أرض الطيوب والبخور والنحاس والذهب والاحجار الكريمة، لذلك فوجيء الاشوريون بالمواد التجارية التي اعتادوا الحصول عليها عن طريق رحلات تجارية في الخليج العربي، تأتي من مناطق جنوب الشام ومصر. حيث يتوجب علينا ان نأخذ بعين الاعتبار طريق الرحلات في النيل والذي يستكمل بطريق البحر الأحمر متوجها الى بلاد الطيوب (بونت في لغة المصريين) والتي يرجح أنها في جنوب الجزيرة العربية. كذلك تجدر الإشارة الى أن كثيراً من مدن فلسطين والساحل اللبناني، وبخاصة غزة، كانت تعد مصرية في عرف الاشوريين، فلربما قصد الاشوريون بمصر لا بلاد وادي النيل فحسب، وإنما أقسام من سوريا الجنوبية وفلسطين، وعليه تكون مجان الى الجنوب منها، وهي امتدادات طريق البخور التجاري الذي يأتي من جنوب الجزيرة العربية واسمها مجان سابقاً ثم عمان واليمن فيما بعد (٣٨)...

الباب الثاني - عُمان في العصور التاريخية القديمة

وقد يصطدم هذا التفسير باعتراض مفاده عدم ذكر اسم مجان في المصادر اليونانية التي تكلمت عن الجزيرة العربية وأقسامها المختلفة، وجوابنا على ذلك أن اليونان تعاملوا مع بلاد العرب من الخارج، لأنهم لم يدخلوها، لذلك أطلقوا تسميات واصطلاحات خاصة بهم لما وجدوه أو سمعوا به، فكانت العربية الصخرية والعربية الصحراوية والعربية السعيدة إلى غير ذلك من تسميات، مثلما أطلق هيرودت تسمية البحر العربي على البحر الأحمر، والبحر الأحمر على الخليج العربي^(٣٩)...

وعموماً فإن مراكز الحضارات والاحوال السياسية والعسكرية وكذلك سلع التجارة الرئيسية، وطرق المواصلات ووسائل النقل، كانت ولا تزال تلعب دورها في توجهات الطرق التجارية العالمية، وتخلق أسس العلاقات المختلفة بما فيها العلاقات الحضارية.

ولكن الذي أفادت منه عمان خاصة وجنوب الجزيرة العربية بشكل عام، انها مع ضعف الطلب على النحاس وجدت البدائل في الطيوب والافاوية، ومع تعثر طرق الملاحة في الخليج العربي، نشطت طرق القوافل لتفتح آفاقاً جديدة للاتصالات بما فيها الاتصالات مع بلاد وادي الرافدين، وعندما ضعفت أهمية خطوط القوافل مع ازدهار طرق الملاحة البحرية في البحر الأحمر والبحر العربي، ازدهرت منطقة جنوب الجزيرة العربية بكامل أقسامها ثانية، بمدنها وموانئها الهامة، والتي لا تزال شهيرة ومتواصلة الأهمية إلى وقتنا الحاضر.

هذا ولم يكن نشاط الانسان العماني في العصور التاريخية القديمة قاصراً على التعدين والاشتغال بالتجارة والملاحة، وإنما كان له أيضاً نشاطه في مجال الزراعة، ذلك أن الدول القوية في التاريخ القديم أو الحديث تجد مبررات قوتها دائماً في اقتصاد متنوع مزدهر، تشكل الزراعة، وبخاصة في اقتصاديات العالم القديم، أبرز أركانها. ورغم أن التفاصيل الكاملة لوضع الدولة القديمة في عمان وأركانها ونشاطاتها غير معروف حتى الآن، ولكن صورة الزراعة المتطورة، اضافة لما عرضناه من أمر التجارة المزدهرة، تمثل وجهاً ناصع البياض لنشاطات هذه الدول القديمة في عمان.

ويتأكد الحديث عن الزراعة القديمة المتطورة في عمان في ضوء دليلين هما: الاول، ونسبته من اشارات بعض النصوص المسمارية التي تحدثت عن استيراد مواد زراعية من مجان (عمان) فما ترجم إلى البصل، اضافة إلى القصب والاشخاش، تعد من المنتجات الزراعية التي اشتهرت بها التجارة العمانية الخارجية مع العراق^(٤٠)... أما الدليل الثاني، فيتمثل في بقايا عشرات الاميال من قنوات الري القديمة المنتشرة في مناطق شتى من عمان والتي تعرف محلياً باسم الافلاج. ونظراً لأهمية موضوع الافلاج من زاويته التاريخية وجوانبه التقنية وعلاقاته بمراكز حضارية عربية أخرى، سنأتي على ذكره بشيء من التفصيل.

الافلاج والعيون المائية :

رغم أن الماء عنصر أساسي لحياة بني البشر، لكن يقصر لوجده أن يكون شرطاً لحضارة بني البشر، الا بعد أن يفرغ عليه الانسان من فكره وجهده، فيتحكم بالمياه جزءاً أو خزناً، أو تحويلاً لمسيرها، لتصبح بعدئذ واسطة في عملية البناء الحضاري. ويصدق هذا الامر على المناطق وقرية المياه كوادي دجلة والفرات ووادي النيل، أو المناطق شحيحة المياه كعمان، مع ملاحظة اختلاف السبل والطرائق التي اعتمدها

الناس في هذه البلدان لتنظيم الاستفادة من المياه.

ففي كل من اليمن وحضرموت وعمان تشكل الجبال حواجز تمسك بأمطار الرياح الموسمية التي تهب عليها من المحيط الهندي، فتروي مساحات كبيرة، أو تنتقل في هيئة سيول عبر الوديان بين الجبال إلى مناطق مختلفة، أو تغوص في باطن الأرض لتجد لها طبقة صخرية خازنة للمياه، فتزيد من منسوب المياه الجوفية، أو تتفجر هنا وهناك عيوناً وينابيع تقوم حولها أسباب الحياة والتمدن، وبسبب ازدهار الزراعة وكثافة الغطاء النباتي للاقسام الجنوبية من الجزيرة العربية، فقد أطلق عليها الكتاب الكلاسيكيون تسمية العربية السعيدة.

وعلى العموم فإن المصادر المدونة تقدم لنا الكثير من الاشارات عن تقدم العرب في مضمار الري، وهو ما أكدته نتائج التحريات والتقييات الاثرية في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية والخليج العربي، لتقص جميعها عن مستويات علمية متطورة وحذق يفوق التصور وخبرة فريدة في التعامل مع الماء من شتى مصادره وتوفيره لخدمة عملية البناء الحضاري العربي القديم^(١١)...

والفالج لغة بمعنى النهر وقيل النهر الصغير وقيل الماء الجاري من العين أو هو الساقية، والفلاجت سواقي الزرع والجمع افلاج^(١٢)...

والبدء العام لعمل هذا النظام المبدع في الري، هو تسريب المياه الجوفية عبر قنوات تشيد في باطن الأرض يختلف انحدارها عن مستوى انحدار الطبقة الصخرية الحاوية للمياه الجوفية، حتى وصول القناة إلى حدود سطح الأرض على مقربة من القرى الزراعية والمدن، فتتوزع المياه للأغراض الحياتية المختلفة. وعليه فنظام الافلاج يتطابق عمله مع ما وصفه اللغويون بالقناة وتعني أنبوب الماء المصنوع الذي يجري تحت الأرض ويسمى أيضاً كظاماة ونفق وأردب^(١٣)... وتشيد الافلاج على أشكال مختلفة، فقد تكون القناة مخفية في

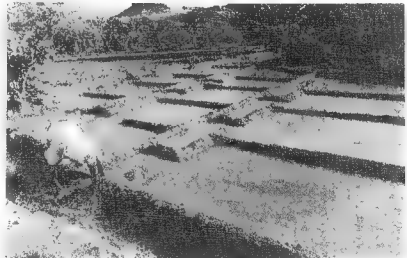
باطن الأرض حتى نقطة وصولها للاستغلال البشري، وقد تظهر وتختفي ثانية وقد يقيم اصحاب الفلاج مساقط ماء عند بعض نقاط القناة للاستفادة منها في تشغيل طواحين حجرية^(١٤)...

وتكثر مشاريع الافلاج في عمان على جانبي سلسلة جبال عمان المعروفة باسم الجبل الاخضر، وبذلك فهي تنتشر في مناطق الداخلية والشرقية من عمان وفي



حاسب من طلع
بركة السور

مطام الري التقليدي
عن طريق الافلاج في
سلطنة عمان





تلج دارس
في نزوى

سهول الباطنة المطلة على خليج عمان والبحر العربي، وسهول الظاهرة المطلة على صحراء الربع الخالي، وبذلك نجدها في المنطقة المحيطة بصحار على خليج عمان وفي البريمي وعبري وغيرها من منطقة الظاهرة^(٤٥)...

ومثلما برع مهندسون عرب قدامى في أعمال الري عرفوا بالقناقن^(٤٦)... فإن قبائل عمانية اشتهرت أكثر من غيرها في شق الأفلاج وصبانتها في الوقت الحاضر^(٤٧).

ورغم أن التقاليد التقنية في إنشاء هذه الأفلاج وكذلك اعتمادها الوسيلة الوحيدة لري مناطق مهمة وواسعة في عمان، تشير إلى قدم مشاريع الري هذه في عمان، فإن الأفلاج المكتشفة لم تقدم الأدلة الأثرية الكافية للاحاطة بالجانب التاريخي وتحديد الفترات الزمنية لبناء هذه المشاريع، ولذلك نستعين ببعض البيانات التاريخية القديمة في محاولة للكشف عن الأبعاد التاريخية لهذه الأفلاج.

يذكر هيرودوت بأنه كان في البلاد العربية نهر كبير اسمه كورس يصب في البحر الأحمر، ويضيف بأن ملوك العرب كانوا يصنعون أنابيبا من جلود الثيران أو حيوانات أخرى ليوصلوا ماء النهر إلى جهات في الصحراء حيث توجد آبار يزودونها بالماء وتقع هذه الآبار على مسافة رحلة اثني عشر يوما^(٤٨).

وفي رواية عربية عن القزويني يصف فيها أرم ذات العماد في منطقة الاحقاف في الجزء الجنوبي الغربي من عمان فيقول: «ثم أجرى الملك إليها نهرا مسافة من أربعين فرسخا تحت الأرض فظهر في المدينة فأجرى من ذلك النهر السواقي في السكك والشوارع وأمر بحافتي النهر والسواقي فطليت بالذهب»^(٤٩).

كما يشير ابن الجاور لوجود آبار عديدة في عدن منها بئر الزعفران وإلى أن ماء بئر الزعفران كان ينقل إلى سائر بلاد اليمن^(٥٠).

وعموما فإن هذه الروايات التاريخية تلمح بوضوح إلى شيوع نظام الأفلاج بين العرب أولا، كما أنها ترجعه إلى فترات قديمة أقبلها حدود القرن الخامس ق.م.، وهو الزمن الذي عاش ودون فيه المؤرخ اليوناني هيرودوت.

وإلى ذلك نضيف بأن حفائر الأثريين الدانماركيين في البحرين كشفت جنوب مدينة عوالي عن سلسلة من مشيدات حجرية دائرية الشكل تشبه قوّهات المداخل تظهر فوق سطح الأرض قليلا، وبعد التدقيق في تفاصيلها تأكد للبعثة الدانماركية بأن هذه القوّهات تشير إلى امتداد قناة حجرية شديدة على عمق عشرين قدما من سطح الأرض، لتنتقل المياه من مصادر العيون في التلال الوسطية لجزيرة البحرين وتسير صوب الأراضي الزراعية في المناطق المنخفضة عند أطراف الساحل الغربي للجزيرة^(٥١) وبذلك فهي نموذج لفلق قديم كان واسطة لنقل المياه الوفيرة من مكان إلى آخر يحتاج

اليها، ورغم عدم توفر دليل أثري لتاريخ هذه القناة، إلا أن شهرة جزر البصريين تاريخياً، وكذلك المنطقة الساحلية المقابلة لها في الأحساء والقطيف، في شؤون الزراعة والسقي، يدفعنا لافتراض تاريخ قديم لمشاريع الري هذه... أن الدليل التاريخي الوحيد المتوفر حتى الآن بخصوص قنوات الري الجوفية هذه - الأفلاج - جاءنا من قناة شيدها الملك الأشوري سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق.م) في منطقة أربيل بشمال العراق^(٥٢).

إن منطقة أربيل التي شهدت مشروع ري سنحاريب هذا تشبه في بعض خصائصها الطبيعية منطقة الظاهرة أو الباطنة في عمان من حيث السلاسل الجبلية والوديان الفسيحة المجاورة، وكذلك استقبال الجبال في البلدين لكميات وفيرة من الأمطار. وكانت منطقة أربيل إحدى أبرز المناطق القديمة في العراق التي شاع فيها على نطاق واسع نظام الري بالقنوات، والذي يعرف محلياً باسم الكهاريز، حتى أن مجموع القنوات التي مسحها إحدى الهيئات العاملة على تطوير الزراعة والري في المنطقة، بلغ حوالي ثلاثمائة وخمسة وستين (٣٦٥) قناة أو كهريزاً، تعطّل جريان الماء في معظمها بسبب الإهمال وتراكم الأوساخ والترتبة وبقي ستون كهريزاً يعمل بشكل جيد إلى زمن إعداد هذا التقرير^(٥٣).

وعليه فإن قناة سنحاريب تمثل النموذج الأقدم لقنوات الري هذه في أربيل، حيث نقلت المياه من أطراف الجبال إلى مدينة أربيل وبذلك فإن نظام الري بالقنوات الجوفية، الكهاريز أو الأفلاج ينقل صورة حية من صور التفاعل الحضاري وتبادل الخبرات والتجارب بين العراق وبين الخليج العربي.

وربما تكشف أعمال التنقيبات المتواصلة في عمان وغيرها من مناطق الخليج العربي، عن دلائل أثرية تكشف عن الأبعاد التاريخية لنظام الري المتطور هذا، خاصة أن عمان وغيرها من مناطق الجزيرة العربية والخليج العربي بحاجة ماسة أكثر من غيرها إلى مثل هذا الأسلوب في الري، بسبب انعدام الأنهار الكبيرة ودرجات الحرارة العالية. وليس من قبيل الصدأ أن يسمى العمانيون الأفلاج بالدوديات حيث تنسب الأساطير العمانية بناءها إلى النبي سليمان بن داود^(٥٤)... فإن في ذلك إشارة واضحة إلى قدم نظام الأفلاج الذي يجب إقّة أنه يقدم الزراعة في عمان.

الفصل الثاني

المجتمع العماني في العصور القديمة

العمانيون وتجارهم مع بلاد وادي الرافدين في العصور القديمة:

إذا كنا لانعرف شيئاً كثيراً حتى الآن عن الظروف التي تكونت فيها هذه المجتمعات العمانية القديمة، فإن التقدم في البحوث الأثرية عن التاريخ القديم لبلاد الخليج العربي وحضاراته كشف النقاب وبخاصة في العقود الأخيرة من هذا القرن عن جذور حضارة عربية عريقة في عمان وبعض مناطق الخليج كانت لها صلات وثيقة بحضارات السراغدين والشرق العربي من جهة والساحل الهندي من جهة أخرى... وأنه ليس من المبالغة القول أنه كان من غير الممكن أن يستمر المجتمع العماني في وجوده وفعالياته الاقتصادية (الزراعية الحرفية التجارية) وفي التعامل مع المجتمعات المدنية المعاصرة في البحر والبر، دون أن تكون له بنية اجتماعية سياسية ما، ودون أن يكون له شكل من أشكال نظام الدولة... وأن كثيراً من الشواهد تدل على أن عمان كانت لها منذ أقدم العصور علاقات هامة مع دول سومر وأكاد وبابل وآشور... وأن موانئها وتجارها كانت محل اهتمام الدول الكبرى التي سيطرت على مقدرات الشرق العربي منذ العصر الفارسي الأخميني إلى ظهور الإسلام.

وإذا ما عدنا إلى فجر التاريخ عندما أسست أقدم الدول في بلاد الرافدين ومصر وسورية (الآلاف الثالثة) كانت مجان وهي من القوى الاقتصادية البحرية الهامة معاصرة لها... وكان شروكين وبعده حفيده نرام سين^(١) حريصين على إقامة علاقات تجارية دائمة ومنظمة مع مجان لتأمين الحصول على المواد الضرورية في ذلك العصر وأهمها النحاس الذي كان يصنع منه السلاح والأدوات المنزلية والأواني والحلي... ويفترض وجود مراسي للسفن على سواحل مجان كما وجدت مراسي للسفن في أكاد، لاستقبال المراكب ذات الحمولة الثقيلة والمعدة للأسفار البعيدة.

إن هذا المجتمع الذي مارس التجارة البحرية على نطاق واسع وأسهم في تقديم مادة أولية هامة للاقتصاد العالمي المعروف آنذاك بذل جهداً كبيراً في عمليات التعدين وفي صنع السفن وفي تنظيم العلاقات التجارية مع البلاد الأخرى.

وكان لا بد أن تتضارب المصالح الاقتصادية بين الدول في بعض الأحيان مما كان يؤدي إلى الصدام والحرب، وهو ما أشار إليه نص نرام سين عند الحديث عن الحرب التي خاضها ضد مانو (ماريوم) دانو سيد مجان... ولكن الصلات بين دول الرافدين ومجان استؤنفت بعد ذلك على أسس تجارية، فكانت البضائع تصل من مجان على مراكب محملة بسبائك النحاس والذهب والحجارة الكريمة، وبأصناف من القصب والأرائك الخشبية وألواح الخشب والتمور والزيت المعطرة، إلى مدن أور ولجش ولارسا.



عُمان وعلاقاتها
التجارية في العصور
القديمة

فقد استتجلب جوديا حاكم لجش من مجان وملوخوا اي من عمان ووادي السند الذهب والنحاس وججر الديوريت والمرجان والعطور وخشب الابنوس لتشييد معبد ننجرسو^(٧)... ولكن لجش لم تستطع ان تحتفظ بتفوقها في التجارة البحرية في الخليج بعد صعود سلالة أور الثالثة ومن المرجح ان صراعاً دائماً نشب بين دول الرافدين لانتزاع الملاحه مع مجان من ايدي امراء لجش^(٨).

اما نصوص محفوظات لارسا التي تعود الى مرحلة ثالثة فتقدم لنا معلومات اكثر تفصيلاً عن موقع مجان في حركة الاقتصاد العالمي من خلال علاقاتها مع دول الرافدين وبخاصة مدينة اور^(٩)... ومايتضمنه عدد من الرسائل الموجهة الى ايا ناصر احد كبار التجار والملاحين في اور وكيل استيراد النحاس من ديلمون (الرسائل UET ٢٢,٢٩,٧١,٨١) يوضح كيف ان النحاس كان يستورد من مجان عن طريق ديلمون.

وتدل الوثائق على ان الكميات المستوردة كانت كبيرة... ففي نص (UET V 796) تذكر كمية من ١٣٠٠٠ مينا من النحاس حسب معيار الوزن في ديلمون (النقل او المئقال ٨ غ والمينا ٨ × ٦ بصورة عامة) وهي على شكل سبائك Ku-gutarem = baiumm, جوباروم، كل منها يزن ٤ ورنات (ثالثت) = (UET 678).

وفي نص آخر يذكر ان شخصا يدعى (لوان ليل) تلقى في السنة الثانية من حكم ابي سين آخر ملوك أور الثالثة (UET 1511) كميات من الصوف واشواب نفيسة وزيتا وبضائع جلدية ليشترى بها كمية من النحاس جيء بها على مراكب من مجان... وكان (لو ان ليل) تاجراً مرموقاً، تولى في ايامه التعامل التجاري مع مجان مباشرة.

وفي نص ثالث يعود الى السنة الرابعة من حكم ابي سين (UET 1689) يذكر ان التاجر نفسه تلقى كميات من الاقمشة والصوف من مخازن من معبد نانا لتسديد ثمن كمية من النحاس استوردت من مجان.

ويشير الدكتور أوبنهايم الى ان النحاس لم يكن هو المادة الوحيدة المستوردة من مجان بل كانت تستورد مواد أخرى مثل قطع الاحجار الكريمة والعاج والبصل، وكانت له شهرة معروفة اذ كان يذكر بصل مجان بعد ان كان يذكر في العصر الصرغوني بصل ديلمون.

ويتحدث أوبنهايم عن الاسلوب الجديد في التعامل التجاري، فبدلاً من الحملات التجارية العسكرية التي تنظمها الدولة في العصر الصرغوني مثلاً، صارت البيوتات التجارية الكبيرة تشرف على التعامل التجاري مع مصادر المواد الأولية... فكان التجار يرافقون مراكبهم سواء في عصر اور الثالثة ام في عصر اسرة لارسا الى ديلمون ثم الى مجان ليشرف التاجر بنفسه على تسليم البضائع المحملة معه من اور وعلى تسليم البضائع المستوردة.

وطالما انه لا توجد وثائق مكتوبة من مجان فانه من الصعب معرفة بنية المؤسسة التجارية واسلوبها في التعامل مع الاطراف الاخرى... الا ان الوثائق التي تقدمها المصادر الرافدية تبين لنا بوضوح درجة اهمية ماكان يدعى ماجان الكبرى في النظام الاقتصادي في الشرق القديم والجزيرة العربية طوال عصر اور الثالثة^(٥)... وهي كما يتضح من الشواهد السابقة، وحدة جغرافية - اقتصادية - سياسية كانت معروفة منذ الالف الثالثة (1193 UET) وظلت محتفظة بوجودها بشكل او باخر حسب الظروف الدولية.

فبعد سقوط اسرة اور الثالثة تدهورت العلاقات التجارية المباشرة مع مجان، وحلت ديلمون الاكثر قرباً الى بلاد الرافدين في موقع الوسيط بين هذه الدول وبين الشرق. وتتناقص بعد ذلك الشواهد على وجود علاقات تجارية مباشرة... وذلك لان الظروف الداخلية في سومر واكاد ثم في بابل، انعكست على العلاقات التجارية الخارجية... وبعد تدهور لارسا وحلول بابل في زعامة بلاد الرافدين ازداد التوجه بدرجة اكبر نحو الغرب (أمورو) ونحو الشمال... فانقطعت العلاقات مدة طويلة مع بلاد مجان.

وفي العصر الاشوري يتحدث نص^(٦) من ايام سنحريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق.م) عن عودة العلاقات التجارية الى نشاطها السابق بعد ركود طويل، وحملت من جديد البضائع التي اقتصت بها بلاد مجان عن طريق ديلمون الى موانئ بلاد الرافدين، ومن هذه البضائع الادوات البرونزية مثل الرفوش والمجارف واسنة الرماح وادوات برونزية اخرى، وكذلك مواد اخرى مثل التوابل والعطور والخشب مما كان يستورد من الشرق عن طريق مجان وديلمون.

وهكذا يبدو ان الموانئ التي كانت تعوق الاتصال مع الشرق قد تلاشت بعد الف عام... فما الذي حدث من تحرك للشعوب في المنطقة وماهي التبدلات التي لحقت بالظروف الدولية، وماهي انعكاساتها على مجان (عمان) ومجرياتهما فيها... انه لا يعرف على وجه الدقة شيء مما حصل.

ويأتي شاهد جديد على استمرار الاتصال بين اشور وبين بلاد الخليج حتى اواخر العصر الاشوري (القرن السابع ق.م)... ففي نقش من ايام اشور وبابل من معبد اشتار في نينوى يذكر الى جانب خوندارو ملك ديلمون راميت باث (Ra - a (Bat)) ملك بلاد تدعى كوبي/ جوبي وهذه البلاد هي على الأرجح جوبين المعروفة منذ

ايام جوديا بكونها الى جانب ديلمون ومجان وملوخا مصدرا للحجر ولالواح الخشب^(٧)... ثم ورثت الامبراطورية الاخمينية في القرن السادس ق.م. بعد سيطرتها على مقدرات دول الشرق الادني القديم كله، التقاليد التجارية العريقة المعروفة في منطقة الخليج، وفتحت البلاد للتبادل فيما بين الهند وحوض البحر المتوسط دون اي عائق حتى الغزو المقدوني.

وإذا كنا في هذا الحديث عن نشأة المجتمع العماني وتطوره في العصور التاريخية القديمة قد أشرنا الى نصوص من عهد آشور وبابل، فإن هناك نصوصا أخرى أقدم من ذلك أشارت الى عمان وتحديث عن نشاط أهلها وعن علاقاتهم القديمة ببلاد الرافدين، وهذه النصوص هي ماتعرف بالنصوص المسمارية.

عمان في ضوء النصوص المسمارية وغيرها من النصوص القديمة:

من الحقائق التاريخية التي لا تقبل الشك هو أن التجارة البحرية كانت قائمة بين مدن الخليج العربي وعمان من قبل أن يتكون القسم الجنوبي من العراق في حدود (٥٠٠٠ ق.م) لأن المعلومات المتوفرة عن تجارة العراق القديم قد أكدت وبوضوح كامل بأن السفن التجارية التي كانت تأتي الى موانئ المدن العراقية القديمة هي سفن لا تعود ملكيتها الى المدن العراقية بل ان ملكيتها كانت تعود الى ميلوخا ومجان ودلون.

وهذه الحقيقة لوحدها تؤكد بأن هذه المدن كانت تمارس التجارة البحرية وكانت تمتلك من السفن الشراعية مايسد حاجتها. ولذلك عندما تكون القسم الجنوبي من العراق وبدأت قراه الزراعية تتحول تدريجيا الى مدن، برزت حاجته الى الاحجار والاششاب والنحاس والاحجار الكريمة، ولذلك بدأت السفن العائدة الى ميلوخا، ومجان، وجوين ودلون تأتي بتجارته الى المدن العراقية لبيعها هناك، لأن القسم الجنوبي من العراق يفتقر تماما الى الاخشاب التي تمثل المادة الضرورية في صناعة السفن، ولذلك ماكان بإمكانه في بداية تكونه أن يبني له أسطولا تجاريا ما لم يستورد الخشب بسفن غير عراقية.

ولهذا السبب بالذات نجد أن جميع الملوك الذين تحدثوا عن تجارة العراق مع مدن الخليج العربي، قد ذكروا بأنهم قد تركوا سفن ميلوخا ومجان ودلون ترسو في موانئ مدنهم^(٨). وهذه الحقيقة لوحدها اعتراف صريح من قبل الملوك العراقيين بأن التجارة في الخليج العربي لم تكن تحت زعامة المدن العراقية بل انها كانت تحت زعامة المدن الثلاث التي مر ذكرها.

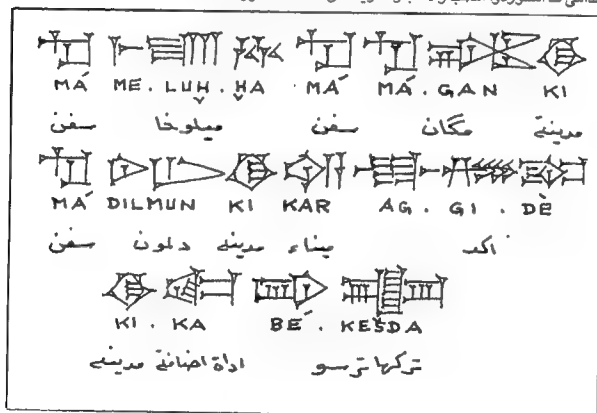
والناحية الأخرى التي تؤكد ان السفن التجارية العراقية لم تشترك في ممارسة التجارة في الخليج العربي الا بعد فترة طويلة نسبيا من بداية ممارسة المدن المذكورة للتجارة هي كلمة تاجر باللغة السومرية، حيث كانت تلفظ (دام - جار) والمختصين بالدراسات المسمارية يؤكدون انها مقتبسة من الكلمة الجزرية «تامكاروم»، وهذا ما يؤكد ان سكان ميلوخا ومجان ودلون قد مارسوا التجارة وعرفوها من قبل السومريين.

وقبل أن نقدم الأدلة المادية على ماتقدم علينا أن نحدد المدن العمانية التي كان لها الباع الطويل في العلاقات التجارية فيما بين المدن العراقية وبين مدن منطقة الخليج العربي:

ملو خا:

ان الاسم ملوخا في النصوص المسمارية يتألف من المقاطع التالية «مي» وتعني «الكثرة»، لأن هذه العلامة تستخدم للتعبير عن الجمع و«لوخ» تعني النقي أو المصقى «نا» هي أداة الاضافة، وبذلك يكون معنى الاسم ميلوخا «المواد الكثيرة النقاوة». وهذه التسمية تنسجم الى حد كبير مع نوعية المواد التجارية التي استوردها سكان بلاد وادي الرافدين من مدينة ميلوخا، حيث ذكر لنا الملك سرجون الاكدي بأنه قد استورد من ملوخا خشب الصاج وحجر المرمر^(١)، وذكر لنا الامير كودي (٢١٤٤ - ٢١٢٤ ق.م.)، ثاني حكام سلالة لكش الثانية التي حكمت خلال الفترة (٢١٦٤ - ٢١٠٩ ق.م.)، بأنه قد استورد من المدينة المذكورة الاحجار الكريمة مثل الكارنيول والملايس لازوي (حجر اللازورد) ومعادن النحاس والزنك والذهب كذلك^(٢)...

واذا تأملنا هذه المواد نجد ان معظمها يمتاز بالصفاء والنقاء لأنها من المواد والاحجار الثمينة، ولذلك سميت هذه المدينة ميلوخا أي «المواد الكثيرة النقاوة»، لأن الكتابة المسمارية لا تكتب أسماء المدن كما نفعل نحن في الوقت الحاضر، بل تختار صوراً تتناسب دلالاتها مع أسماء تلك المدن ولذلك كتب العراقيون القدامى مدينة ميلوخا بالعلامات المسمارية المعبرة عن المواد الكثيرة النقاوة، وهذا هو السبب المباشر الذي جعل سكان بلاد وادي الرافدين يسمون المناطق البعيدة والتي استوردوا منها بشكل خاص الذهب والاحجار الكريمة تسمية ميلوخا. وخير دليل على ذلك هو اطلاق الاسم ميلوخا منذ منتصف الالف الثانية قبل الميلاد على منطقة اثيوبية، لان العراقيين القدامى قد استوردوا الذهب والاحجار الكريمة من المنطقة المذكورة.



النص للملك سرجون الأكدي وترجمته: لقد ترك سفن ميلوفا وسفنا من مدينة مجاز وسفنا من مدينة تلون ترسو في ميناء أكد

وهكذا من خلال النصوص المسمارية ومن خلال تسلسل المدن التجارية التي تطرقت إليها تلك النصوص تأكد لنا بأن أبعد محطة تجارية استورد منها العراقيون القدامى أو وصلوا إليها هي ميلوخا. ومن خلال نوعية المواد التي استوردوها سكان وادي الرافدين من ميلوخا من خلال تسلسلها مع المحطات التجارية الأخرى تأكد لنا بأنها تتمثل بالقسم الجنوبي الشرقي من عُمان، أي رأس الحد. وفصلاً عن ذلك فإن عدداً من الباحثين يعتقدون بأن مدينة ميلوخا تقع في الجانب الآخر من الخليج العربي، أي في غرب الهند، حيث المنطقة التي انتشرت فيها حضارة الاندوس. وعلى الرغم من أننا متأكدون من أن موقع هذه المدينة هو رأس الحد إلا أن هؤلاء الباحثين على حق كذلك، لأن العراقيين القدامى كما يثبت ذلك الواقع قد أطلقوا الاسم ميلوخا على جميع المناطق البعيدة جداً عن موطنهم والتي استوردوا منها الذهب كذلك^(١٦).

وما يؤكد ذلك هو أن النصوص المسمارية قد بدأت منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد فما دون تطلق التسمية ميلوخا على منطقة أثيوبية في القارة الأفريقية، لأن سكان بلاد وادي الرافدين وبالأخص الآشوريين قد بدأوا تجارتهم معها منذ التاريخ المذكور، لأن هذه المنطقة الأثيوبية كما نعلم بعيدة جداً عن بلاد وادي الرافدين.

وما يماثل ظاهرة ميلوخا خلال الفترة العربية الإسلامية ما يعرف باسم «جزر واق واق» حيث أن المعلومات المتوفرة تؤكد أن الكتاب العرب قد قصدوا بهذه التسمية جزر اليابان، ولكنهم مع ذلك قد أطلقوا نفس هذه التسمية في مصادر عربية أخرى على عدد من الأماكن البعيدة عنهم كذلك، وبناء على ماتقدم فإنه مهما تظهر أماكن أخرى تحمل الاسم ميلوخا فإن ذلك لا يؤثر إطلاقاً على الحقيقة التي تؤكد أن الاسم القديم لرأس الحد كان ميلوخا فعلاً.

هذا ومن خلال استيراد العراق القديم حجر اللازورد من مدينة ميلوخا، ومن خلال معرفتنا الأكيدة بأن مناجم حجر اللازورد الذي استخدمه سكان بلاد وادي الرافدين كانت ولا تزال موجودة في أفغانستان، لذلك يمكننا التأكيد على أن تجار ميلوخا كانوا الوسطاء الوحيدين في تزويد تجار العراق بهذا الحجر الأفغاني الثمين لأن النصوص المسمارية جميعها أكدت بأن العراق القديم لم يستورد حجر اللازورد من أي مدينة كانت سوى مدينة ميلوخا.

وما يؤكد بأن حجر اللازورد كان يأتي فعلاً من أفغانستان هي تسمية حجر اللازورد باللغة السومرية، حيث كانت تلفظ «زارد - جن»^(١٧)، وهذه التسمية السومرية تعني بلغة أفغانستان القديمة «مثل الذهب»، والسبب في هذه التسمية يعود إلى أن الحجر المذكور تظهر في بعض أنواعه خطوط صفراء تشبه الذهب تماماً، ولذلك سماه الأفغانيون القدامى لندرته من جهة ولوجود هذه الخطوط الصفراء فيه من الجهة الأخرى، تسمية «مثل الذهب».

وقبل أن نختم حديثاً عن ميلوخا يجدر بنا الإشارة إلى أن النص المسماري الذي يسمى برشاء مدينة أكد، قد وصف سكان هذه المدينة بأصحاب الأراضي السوداء. ومن المحتمل أن هذا الوصف هو إشارة إلى خصوبة التربة هناك أو لكثرة أشجارها مثلاً ووصف القسم الجنوبي من العراق بأرض السواد لكثرة أشجار النخيل فيه.

مجان:

لقد أجمع المختصون في تاريخ العراق القديم وفي الدراسات المسمارية على أن

الاسم الحديث لمدينة مجان القديمة هو عمان، وبشكل دقيق تتمثل مدينة مجان (عمان) بشبه جزيرة رؤوس الجبال^(١٣).

فقد استورد سكان بلاد وادي الرافدين بشكل خاص حجر الدايوريت من مدينة مجان، والآثار المصنوعة من هذا الحجر والكتابات المسمارية تؤكد بأن السفن العمانية كانت تجلب هذا الحجر بطلب من التجار العراقيين منذ زمن الملك سرجون الاكدي (٢٢٤٠ - ٢٢٨٤ ق.م)، وقد فضل العراقيون القدامى هذا الحجر كثيراً بحيث ورد في كتابات الحاكم كوديا (٢١٤٤ - ٢١٢٤ ق.م) بأنه أفضل من أي معدن معروف وحتى انه أفضل من الذهب^(١٤).

هذا وقد استخدم هذا الحجر في العراق القديم في صناعة الاختام الاسطوانية والاوزان، والسبب في استخدامه في هذين المجالين راجع الى صلابته الشديدة وعدم تكسره بسهولة وراجع ايضا الى ندرته في العراق وصعوبة الحصول عليه من قبل الناس العاديين، وهذه الحقيقة بالذات تسد الطريق أمام المتلاعبين بالاوزان والمزورين للاختام الاسطوانية.

واضافة الى حجر الدايوريت فقد استورد العراقيون القدامى أنواعاً مختلفة من الأخشاب التي كان يحصل عليها تجار المدينة المذكورة من بلاد الهند ذلك ان العلامات المسمارية التي كتبت بها مدينة مجان قد أكدت لنا بأن المدينة المذكورة كانت مشهورة بصناعة السفن التجارية، لأن اسمها كان يكتب بالعلامتين «ما» التي تعني سفينة و«جان» التي تعني هيكل، وبذلك يكون معنى الاسم كاملاً «هيكل السفينة» وهذا المعنى الاسم المدينة يؤكد على انها كانت تمارس صناعة السفن. ومما يزيد التأكيد على هذه الحقيقة هو أن عمان خلال الفترة العباسية وحتى أوائل القرن التاسع عشر كانت مشهورة أيضاً بصناعة السفن، وخير مثال على ذلك انطلاق رحلات السندباد البحري منها.

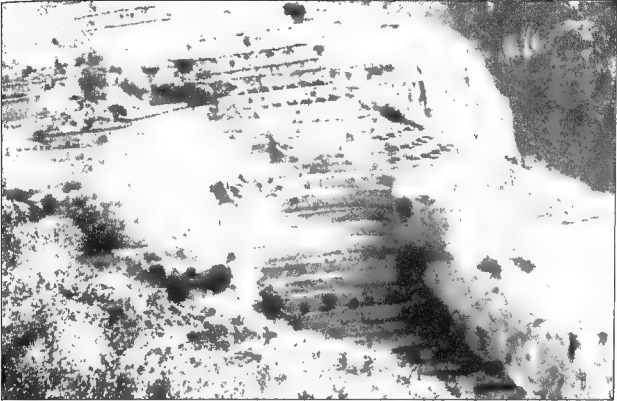
وبناء على هذه الحقائق يمكننا القول بأن مدينة مجان هي التي كانت تزود دلمون (البحرين) بالسفن وتزود غيرها من المراكز التجارية في الخليج العربي خلال فترات العصور القديمة

جوبن :

لقد ورد في كتابات الحاكم كوديا اسم مدينة جوبن مباشرة بعد مدينة ميلوخا ومجان. وذكر بانها موطن شجر الخالوب، أي شجر البلوط وهذا النوع من الأخشاب كان يستورد كذلك من مدينة مجان، ولذلك فقد حدد علماء الدراسات المسمارية موقع مدينة جوبن في منطقة الجبل الاخضر، لأن هذه المنطقة هي المنطقة الوحيدة في جنوب شبه الجزيرة العربية التي تمتلك أشجاراً يحتاج العراق الى أخشابها في بناء حضارته^(١٥). علماً بأن اسم هذه المدينة لم يذكر في المصادر المسمارية التي سبقت فترة حكم الأمير كوديا (٢١٤٤ - ٢١٢٤ ق.م)، ولذلك نعتقد بأن هذه المدينة التجارية قد تكونت وبدأت تلعب دورها التجاري في الربع الأخير من الألف الثالثة قبل الميلاد. وقبل هذا التاريخ كانت مجان تقوم بمهمة تصدير أخشابها.

دلمون :

لقد أجمعت الآراء على أن التسمية «دلمون» تتمثل بجزيرة البحرين، وكانت دلمون مجرد محطة تجارية تربط فيما بين المدن التي مر ذكرها وبين المدن العراقية، ومما



منظر من
الجيل الأخضر

يؤكد هذه الحقيقة هو أن الملك أورنانشيه حوالي (٢٥٢٠ - ٢٤٩٠ ق.م) مؤسس حكم سلالة لكش الأولى حوالي (٢٥٢٠ - ٢٣٥٥ ق.م) قد ذكر بأن سفن دلمون قد جلبت المواد التجارية من البلدان الأجنبية وتركها رسو في ميناء مدينة لكش^(١٦). وهذه الإشارة وبقيّة الاشارات الأخرى الخاصة بدلمون، تؤكد أنها كانت محطة تجارية فقط وليست بلدا مصدرا لبضائع تجارية، وهذه الحقيقة الخاصة بدلمون تؤكد الآن أن التجارة في التاريخ القديم كانت مقتصرة فيما بين العراق وعمان فقط، حيث كان العراق القديم يصدر إلى مدن الخليج الحبوب والزيوت والخمور والجلود ويستورد من المدن العمانية المواد التي مر ذكرها.

«الذكر الأقدم لمجان وميلوخا في النصوص المسمارية»

من خلال دراسة النصوص المسمارية السومرية لفترة النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد، يبدو لنا واضحا بأن العراق القديم كان يستورد البضائع التجارية العمانية لا عن طريق مجان مباشرة بل كان يستوردها بصورة غير مباشرة وذلك من خلال السفن الدلمونية.

وقد تأكدت لنا هذه الحقيقة من خلال الكتابات المسمارية التي خلفها لنا الملك أورنانشيه مؤسس حكم سلالة لكش الأولى، الذي مر ذكره، حيث أشار إلى ذلك في نصين مسماريين من نصوصه^(١٧). وهذه الحقيقة تؤكد أن دويلات المدن السومرية كانت تستعين بالسفن الدلمونية من أجل الحصول على بضائعها التجارية لأن دلمون كانت ولاشك أقرب إلى العراق من مدينتي مجان وميلوخا، ولكن هذه الحقيقة قد تغيرت منذ مجيء الملك سرجون الأكدي إلى الحكم، حيث بدأت سفن مدينتي ميلوخا

ومجان تصل الى العراق كذلك.

ومما يثبت ذلك الإشارة التي ذكرها الملك المذكور في كتاباته التي جاء فيها مايلي:
«لقد تركت سفن مدينة ميلوفا وسفن مدينة مجان وسفن دلمون ترسو في ميناء مدينة
أكده. وهذه في الواقع اشارة أكيدة الى أن الملك سرجون الأكدي (٢٣٤٠ - ٢٢٨٤ ق.م)
قد وسع تجارته مع مدن الخليج العربي وأخذ يتاجر مباشرة مع مدينتي ميلوفا
ومجان».

هذا ويبدو ان الاكديين بشكل او بآخر قد تمكنوا من اقامة علاقات متينة مع مدينة
مجان، بحيث تحولت الى احدى المقاطعات التابعة للدولة الأكديّة، وقد تأكدت لنا هذه
الحقيقة من الكتابات المسمارية التي خلفها لنا الملك نرام سين حفيد الملك سرجون،
حيث أشار الى أن جميع مقاطعات الامبراطورية الأكديّة قد ثارت ضده في بداية تسلمه
الحكم وكانت من بينها ثورة مدينة مجان^(١٨)، ولذلك اضطر الملك نرام سين (٢٢٦٠ -
٢٢٢٣ ق.م)، كما تشير إلى ذلك كتاباته الى تجهيز حملة عسكرية وتوجه بها نحو
مجان للقضاء على انتفاضتها. وبعد أن تم له ما أراد قام بأسر حاكمها المدعو «ماني
دانو» الذي يعني اسمه باللغة الأكديّة «من هو قوي (مثله)»، وعند عودته إلى العاصمة
(أكد) جلب معه بعض أحجار الدايوريت وصنع منها تمثالا لنفسه، وقد عثر على
قاعدة هذا التمثال في مدينة سنوسة عاصمة عيلام.

وفضلا عن حجر الدايوريت الذي صنع منه تمثالا لنفسه فقد عثر على إناء
مصنوع من حجر الكلس، والكتابة المسمارية الموجودة على هذا الإناء ذكرت بأن
الإناء المذكور هو من جملة الغنائم التي حصل عليها الملك نرام سين من مدينة مجان
(عمان).

والسبب الذي أدى إلى وجود هذه الآثار التي جلبها الملك نرام سين من مجان في
مدينة سنوسة، العاصمة العيلامية، يعود الى أن الملك العلامي «شترك ناخونته» قد
قام عام ١١٧١ ق.م. بغزوة خاطفة على المدن العراقية المهمة ونهب منها الآثار
النقيصة^(١٩).

هذا وقد أكدت لنا المعلومات التي خلفها الملك نرام سين بأن الملك المذكور قد قصر
أثناء حياته تجارته مع مدينة مجان فقط، ولم تذكر لنا نصوصه الكتابية أية مدينة
خليجية سوى مدينة مجان. والسبب في ذلك على ما نعتقد هو أن احتلال الملك نرام
سين لمدينة مجان قد تسبب في عقد معاهدة تجارية بين مجان والدولة الأكديّة تم
الاتفاق فيها على أن العراق لا يستورد بضائعه التجارية إلا من مدينة مجان.

ويبدو أن هذه العلاقة التجارية فيما بين العراق ومجان قد انتهت مفعولها بسقوط
الدولة الأكديّة، لأن كتابات سلالة لكش الثانية (٢١٦٤ - ٢١٠٩ ق.م)، التي حكمت
العراق خلال فترة الاحتلال الكوتي لبعض أجزاء العراق القديم قد أكدت بأن حكام
هذه السلالة قد تاجروا مع ميلوفا، مجان، جوبن ودلمون، ولكن سقوط هذه السلالة
ومجيء سلالة أور الثالثة الى حكم العراق الموحد قد أعاد تلك العلاقة التجارية مع
مدينة مجان الى سابق عهدها، لأن الملك أورنمو (٢١١١ - ٢٠٩٤ ق.م) مؤسس حكم
سلالة أور الثالثة (٢١١١ - ٢٠٠٣ ق.م) ومشروع أول قانون وصل الينا حتى الآن قد
أشار في مقدمة قانونه بأنه قد أعاد سفن مجان لأن ترسو في ميناء مدينة أور^(٢٠).

وابان هذه الحقبة التاريخية في بلاد وادي الرافدين بلغت الحركة التجارية ما

بين بلاد الرافدين ومنطقة الخليج العربي أي اقليمي ديلموني ومجان ذروتها لدرجة ان كثيرا من تجار هذين الاقليمين كانوا يقطنون ببلاد سومر، وان كثيرا من تجار بلاد سومر كانوا يقطنون في اقليمي ديلمون ومجان^(٢١).

كما ان هناك نصا سومريا أخر يعود إلى زمن الملك ايبني سنن (٢٠٨٢ - ٢٠٠٤ ق.م)، أحر ملوك سلالة اور الثالثة يذكر بأن مواد تجارية قد وصلت إلى اور وبالذات إلى معبد الاله ننا، من عدة أقاليم تجارية في الخليج العربي، كما يذكر النص بأن مدينة اور قد أرسلت (صدرت) وعن طريق مياه الخليج العربي إلى عمان (مجان) زيت السمس، والصوف مقابل حصولها على نحاس مجان^(٢٢).

أما نصوص السلالة البابلية الأولى فاتها لم تذكر أية إشارة إلى التبادل التجاري ما بين عمان (مجان) وهذه السلالة التي استمرت من بداية القرن التاسع عشر وحتى السادس عشر قبل الميلاد.

وفي العصر الذي تلا سلالة بابل الأولى أي العصر الكاشي، يبدو أن العلاقات التجارية قد عادت ثانية إلى عهدها السابق حيث تذكر حوليات بعض الملوك الكاشيين الأقاليم المتجاورة مع إقليم ديلمون. وبطبيعة الحال فإن العلاقات قد امتدت ثانية إلى إقليم مجان أي عمان.

وبإبان العصر الآشوري الوسيط وبالذات خلال حكم الملك توكلتي نتورتا الأول (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق.م) يظهر نص يعود إلى هذا الملك يذكر فيه وبهيئة ملك ديلمون وملو^(٢٣).

أما إقليم ديلمون فعلى ما يبدو كان يشمل إبان العصر الإمبراطوري الآشوري جميع الأقاليم الواقعة على الساحل الغربي للخليج العربي بما في ذلك عمان، حيث ان كثيرا من المكتشفات الأثرية التي عثر عليها في عمان وكما جاء انفا له علاقة مباشرة مع تلك التي عثر عليها في العواصم الآشورية كالفخاريات والقطع المعدنية والأواني الحجرية.

أما العلاقات التجارية التي قامت بين السلالة الكلدية التي حكمت ما بين ٦٢٢ - ٥٣٩ ق.م. والأقاليم الواقعة شمال بابل وامتدادا إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، فقد حدثت من العلاقات التجارية ما بين بابل وعمان بصورة خاصة والأقاليم التجارية الأخرى الواقعة في منطقة الخليج العربي بصورة عامة، ولذلك لم يأت أي نص يذكر عمان خلال هذه السلالة^(٢٤).

وبعد دخول الاسكندر المقدوني إلى بلاد وادي الرافدين أراد تكوين إمبراطورية واسعة الأطراف تكون عاصمتها بابل، إلا أن حلم الاسكندر المقدوني لم يتحقق حيث توفي في بابل في عام (٣٢٣ قبل الميلاد)، وبذلك تلاشى حلم هذا الملك وإمبراطوريته.

وقد حكمت بلاد وادي الرافدين والمناطق المتاخمة لها بعد موت الاسكندر سلالة كانت تعرف بالسلالة السلوقية، وقد اتخذت هذه السلالة في بادئ امرها بابل عاصمة لها، وبعد ذلك انتقلت إلى عاصمة أخرى تدعى سلوقيا تقع على ضفاف نهر دجلة وعلى بعد حوالي ثلاثين كيلومترا جنوب غرب مدينة بغداد.

وبإبان هذه السلالة نشطت الحركة التجارية ما بين بلاد وادي الرافدين وعمان حيث أن كثيرا من المستوطنات التي تعود إلى هذه الفترة قد كشف عنها في عمان، كما ان كثيرا من الرحالة والجغرافيين اليونان زاروا عمان وكتبوا عنها^(٢٥).

وقد حاول بعض الباحثين المختصين بعلم الآثار والكتابات القديمة اثبات كون عمان ليس لها علاقة باقليم مجان الذي جاء ذكره في النصوص السومرية والآكدية والبابلية، بزعم ان موقع إقليم مجان يقع حسب رأيهم اما في اقصى الجنوب الغربي للهضبة الايرانية ^(٢٦) أو في شبه القارة الهندية ^(٢٧) ، وقد باءت جميع هذه المحاولات بالفشل، والمتتبع للعلاقات التجارية ما بين بلاد وادي الرافدين وعمان منذ فجر الكتابة (العصر السومري القديم) وحتى العصور الاسلامية، وخاصة عندما كانت بغداد في أوج عظمتها يلاحظ أن الأسلوب التجاري المتبع والطرق التجارية التي سلكها أولئك التجار لم تتغير، وإن دلت هذه الظاهرة على شيء فانما تدل على أن عمان هي المحطة الواصلة ما بين مياه البحر الأبيض المتوسط من جهة ومياه الخليج العربي والبحر العربي ومياه المحيط الهندي من جهة أخرى، وبذلك أصبحت عمان محط انظار كثير من الحضارات، وأصبح لها دور كبير في ربط حضارات البلدان المطلة على المحيط الهندي وبحر الزنج وبحر الصين بالحضارة الاسلامية الزاهرة بعد ظهور الاسلام وسبق العمانيين في اعتناقهم له، وقيامهم على نشره بين غيرهم من الأمم عن طريق نشاطهم الملاحي والتجاري الذي لم يفتر في أي عصر من العصور ولا شك ان ذلك يدفعنا دفعا للحديث عن عمان وما قامت به في هذا المجال في العصور الاسلامية. فإلى عمان في هذه العصور نستيق الخطى.

الفصل الثالث صور من الحضارة العمانية في العصور التاريخية القديمة *

قبل حديثنا عن ملامح الحضارة العمانية، في العصور الإسلامية وما تلاها من عصور، نود في البداية أن نلقي نظرة سريعة على صور من حضارة عمان في العصور التاريخية القديمة وما سبقها من عصور حسب المتاح لنا حتى الآن من المعلومات والحقائق والأخبار التي وصلتنا نتيجة للحفريات، ولما قام به علماء الآثار في عمان من جهود مفيدة في هذا المجال. ولا شك أن المستقبل سوف يكشف لنا المزيد من معرفتنا بحضارة عمان في هذه العصور الغابرة نتيجة لتنامي وتزايد الحفريات التي تشجعها الدولة كل التشجيع.

ومن المفيد في هذا المجال أن نشير إلى أن الحفريات أشارت إلى وجود آثار للحضارة في عمان حتى قبل العصور التاريخية، بل ومنذ العصور الحجرية، ولذلك كان من المستحسن أن نعرض لهذه الآثار واللمحات الحضارية حسب العصور التاريخية وغير التاريخية المختلفة.

عمان في العصور الحجرية :

يعتبر موقع الوطية بمنطقة مسقط أقدم مستوطنة لأنسان العصر الحجري في شرق شبه الجزيرة العربية، حيث تعود إلى ١٠,٠٠٠ سنة مضت، وقد تم الكشف عن مخلفات أثرية تعود إلى فترات مختلفة تبدأ بالعصر الحجري ثم عصر الهليوسين والفترة الانتقالية المنحدرة بينهما ومن ثم العصر البرونزي، أما نوعية المعثورات فقد كانت عبارة عن أدوات حجرية وبقايا عظام لحيوانات وقطع من الفخار وأصداف ومواقد للنار، وقد أُرخت المواعد إلى ٩٦١٥ سنة، وهو أقدم دليل على وجود الإنسان في المنطقة.

ومن المعثورات الأخرى قطع فخارية شكلت باليد تحمل مميزات فخار ما قبل العصر البرونزي، كما عُثر على بعض الأدوات الصوانية الثقيلة والمصنوعة من شظايا الكوارتزيت وأدوات حادة وأخرى مسننة إضافة إلى المكاشط.

خارطة تبين
الأثار العمانية في
العصور المختلفة



وعلى صخور جبال منطقة الوطية اكتشفت مجموعة من الرسومات لحيوانات وأشكال بشرية تمثل الصيادين، كما عُثر على رسومات مماثلة لها بوادي السحنت ووادي بني خروص بالرساتاق. وهذه الرسومات عبارة عن أشكال بشرية تحمل الرماح والحراب والسهم وأمامها الحيوانات المتوحشة، إضافة إلى رسومات لحيوانات اليفة يمتطيها الإنسان كالجمال والثيران. ومن المواقع التي ترجع أيضا إلى العصور الحجرية بعمان موقع سيوان بهيما، حيث وجدت فيه أدوات صوانية كركؤوس السهام والمكاشط والأزاميل والأحجار المستديرة الشكل التي كانت تستخدم لرمي الحيوانات المفترسة، وقد أُرِخ هذا الموقع إلى ٢٠٠,٠٠٠ سنة.

عمان في فترة الألف الرابعة قبل الميلاد :

إن حضارة الصياد العُماني القديم المتمثلة في مواقع رأس الحمراء وهي مواقع متفرقة في شمال غرب مسقط، وهي خير دليل لاستيطان الإنسان في فترة الألف الرابعة قبل الميلاد، وقد تم حصر أحد عشر موقعا جميعها تحمل صفات مشتركة من أهمها موقع رأس الحمراء.

وهذا الموقع عبارة عن مستوطنات متراكمة فوق بعضها البعض، وقد تألفت الطبقة السكنية فيها من الرمل والصدف وعظام السمك والرماد والفحم، واللافت للنظر أن طبقة الاستيطان كانت خالية تماما من الفخار.

ومن الشواهد الأثرية في هذا الموقع حفر متناسقة الشكل متماثلة استخدمت لوضع الفضلات، وكذلك موائد النار، والأدوات الصوانية كالمطارق والمكاشط والأزاميل وأوزان للشباك مصنوعة من البللور الصخري، وصنارات الصيد الصدفية والنحاسية. وقد دلت المعثورات العضوية على وجود حرفة رئيسية وهي صيد الأسماك والسلاحف التي كانت تشكل الغذاء الرئيسي للإنسان تلك الفترة.

أما عن الحياة النباتية في الموقع فقد انتشرت أشجار السدر، كما تم العثور مستنقعات لشجيرات المنجروف وأيضا بذور السريغوم والتوت، وأما مساكن تلك الفترة فقد شيدت من الأخشاب وأغصان النباتات، وكانت ذات تخطيط مستدير الشكل تتوسطها حفر مركزية.

وفيما يخص العادات الجنائزية، فقد تم الكشف عن مقبرة تحتوي على ٢٢٠ مدفنا مجدت الهياكل العظمية فيها في وضع القرفصاء وهي مستلقية على أحد جانبيها في اتجاه البحر (مصدر الرزق)، أما الذراعان فكانا بطويان عادة إلى الأعلى، وفي بعض الحالات كانت الهياكل تقبض بيدها على محارة وتغلق عليها بإحكام، وفي حالة واحدة كانت تقبض على اللؤلؤ.

والجدير بالذكر أن هذه الحبات من اللؤلؤ من أقدم أنواع اللؤلؤ المكتشف في الخليج حيث أنها ترجع إلى الألف الرابعة قبل الميلاد، وفي حالات عديدة كانت الهياكل تتحلل بحلي مصنوعة من الأصداف كالأوتام والأساور الصدفية والعقود المكونة من الخرز الحجري تتدلى منها دلايات صدفية ذات أشكال تشبه أوراق الذبابة.

عمان في الألف الثالثة قبل الميلاد :

تمثلت فترة الألف الثالثة قبل الميلاد في عدة مواقع بسلطنة عمان منها موقع بات

ورأس الحد وسعد الشان.

وبالنسبة لموقع بات الذي يقع شرقي ولاية عبرى فقد تم العثور على مقبرة تبعد بين ١ - ٢ كم إلى الشمال الغربي من القرية، وقد حوت هذه المقبرة مائة مدفن مبني من الحجارة الصلبة.

والمدفن عبارة عن بناء دائري الشكل مبني من حجارة محلية مربعة الشكل يتكون من جدارين خارجي وداخلي، وقد وضعت العوارض الحجرية المسطحة لتسقيف السطح، وللمدفن مدخل أو ممر صغير، ولقد دل وجود الحجارة السوداء الناعمة التي اشتهرت بها المدافن في منطقة ضنك على أن تاريخ الموقع يرجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد.

كما لوحظ وجود تشابه بين مدافن الجزء الجنوبي من المقبرة وتلك التي توجد في حضارة أم النار بدولة الإمارات العربية المتحدة، ويتمثل هذا التشابه في نوعية الفخار الجيد الصنع ذي اللون الأحمر، وأيضاً في نظام الجدار الداخلي لتخطيط المدفن والذي بدوره يقسم المدفن إلى عدة غرف.

ومن الشواهد الأثرية الأخرى فقد تم تحديد مواقع لستة أبراج حجرية ذوات قواعد مربعة ومحاطة بمنازل مستطيلة الشكل، وقد لوحظ أن ارتفاع أحد هذه الأبراج الستة يفوق العشرة أمتار، وبالتحليل الكربوني تبين أن بناءه قد تم سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد.

كما عثر على قنوات مائية في الموقع والتي يحتمل أنها استخدمت لجلب الماء من مناطق نائية، وهي بذلك تمثل البدايات الأولى لنظام الري بالأفلاج الشهير بسلطنة عمان، ويعتبر موقع بات ثاني موقع أثري يدرج ضمن قائمة التراث العالمي في سلطنة عمان بعد حصن بهلا.

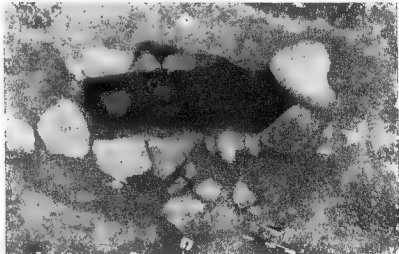
أما بالنسبة للموقع الثاني الذي يؤرخ إلى فترة الألف الثالثة قبل الميلاد، فهو موقع سعد الشان بالمنطقة الشرقية من سلطنة عمان بولاية المضبيبي ويبعد مسافة ١٢٠ كم جنوب مسقط. والموقع عبارة عن عدة مدافن وجدت متلاصقة بجانب بعضها البعض دائرية الأطراف مبنية من حجارة كبيرة ومقسمة إلى ثلاثة أنواع:

(١) مدافن للرجال احتوت على الأسلحة الحديدية والنحاسية كالخنجر والسكاكين ورؤوس السهام، بالإضافة إلى جرار فخارية كبيرة الحجم وأصداف كانيات للشرب.

مقبرة قديمة في
سعد الشان

(٢) مدافن للنساء احتوت على أواني حجرية عميقة وقساوورات فخارية لحفظ السوائل ذات الكثافة الكبيرة كالعطور، بالإضافة إلى أصداف بداخلها مادة خضراء استخدمت للزينة وبعض الحلي المشككة من الأصداف.

(٣) مدافن مزدوجة احتوت على هياكل عظيمة للرجال والنساء معاً.



الباب الثاني - عُمان في العصور التاريخية القديمة

وبدراسة الموجودات الفخارية تم حصر المميزات الرئيسية لفخار فترة سمد الشان والتي تبدأ من ٥٠٠ ق.م، فقد كان الفخار يصنع باليد ومن عجينة خشنة تحرق حرقاً متوسطاً وتطلى من الداخل والخارج وتزخرف بثلاثة أنواع من الزخارف هي:

(أ) زخرفة تشبه عظام السمك.

(ب) زخرفة الخطوط المتقطعة.

(ج) بعض الكتابات من جنوب الجزيرة العربية والتي تؤرخ من ٢٠٠ - ٥٠ ق.م، وكانت تلك الزخارف تطبع على الأنية الفخارية قبل عملية الحرق، أما بالنسبة لأحجام تلك الأواني وأغراضها الوظيفية فهي كالتالي:

(أ) مجموعة من الجرار الكبيرة استخدمت لحفظ الماء.

(ب) أوان بيضاوية الشكل لخزن الحبوب.

(ج) قارورات فخارية لحفظ السوائل ذات الكثافة العالية.

(د) قناني صغيرة داكنة اللون والتي يحتمل أنها استخدمت لأغراض الدفن فقط.

وبالإضافة إلى المكتشفات السابقة الذكر فقد عثر مؤخراً على هيكل لأنثى جمل، أعضاؤها في حالة جيدة وغير منفصلة، واستناداً إلى وجود عقد من الخرز الحجري حول عنق الجمل فقد تم تأريخه إلى فترة العصر الحديدي.

وأما رأس الحد بالمنطقة الشرقية (صور) فيقع على الشاطئ الشرقي لجبل سقران ويبعد مسافة ٢٠٠ م عن الخط الموازي للمحيط الهندي، ويعتبر من المواقع المهمة لدراسة أثر الاتصالات التجارية بين عمان وشبه القارة الهندية.

ومن مكتشفات هذا الموقع مبنى مشيد من الطوب ومقسم إلى عدة غرف مستطيلة الشكل، يعتقد أنها استخدمت لغرض التخزين، كما كشف عن ورشة لتشذيب الصوان حيث عثر على شظايا الشرط الأحمر، وهو نوع من الصوان تتوفر به فترة ما قبل التاريخ، واستخدمت الورشة كمصنع لإنتاج الحلي من الأصناف كالخواتم والخرز والدلايات.

أما الفخار فقد عثر على عدة أنواع منه، وأكثرها أهمية تلك القطع التي تؤرخ بفترة الألف الثالثة قبل الميلاد وهي من نوع الهاربان، حيث يحتمل أنها تعود إلى التسلسل الأخير لحضارة المهنجودارو في الهند، كما عثر على الفخار الأحمر ذي الخطوط والرسومات الداكنة اللون، وهو من أفضل أنواع الفخار المستخدم في المناطق المقابلة لبحر العرب، ومن المكتشفات الأثرية الأخرى قطع من الفخار المصقول يعود إلى الفترة الساسانية الإسلامية، وكذلك فخار شرق أفريقيا والبروسلين الصيني.

أما البلاني فقد تميزت باستخدام الطوب في بنائها وهي طريقة فريدة من نوعها، لأن هذه المنطقة هي الوحيدة التي استخدمت الطوب في العصر البرونزي بسلطنة عمان والمناطق المحيطة بها كجنوب إيران وبلوشستان وادي السند، وبهذا يمكن اعتبار سكان رأس الحد - في فترة الألف الثالثة - رواداً في استخدام الطوب في البناء، وقد استمر استخدامه لأكثر من ١٥٠٠ سنة في خليج عمان.

وفيما يخص المدافن وتسلسل بنائها على مدى الأزمنة في منطقة رأس الحد، فقد انحرف اتجاه المدخل قليلاً من الاتجاه الجنوبي الشرقي إلى الاتجاه الجنوبي مع ملاحظة زيادة عدد غرف الدفن، مما يدل على تكرار استخدام المدفن، وأما عن معثورات الموقع بشكل عام فقد وجدت الأدوات الصوانية كالأزاميل المستخدمة في



صناعة الأواني
الفخارية من الحرف
العمانية القديمة

انتاج الخزف الصغير، إضافة إلى المطارق وأثقال حجرية للشباك والحلي الصدفية كالخواتم والعقود والمحار المحتوي على مادة الكحل، ومن المعثورات أيضاً أنواع مختلفة من الخزف كالعقيق الأحمر واللازورد وأنياب من البورسلين الأخضر، وقد أُرخت إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد هذا بالإضافة إلى الأعداد الهائلة من عظام السمك والسلاحف وأسماك القرش.

عمان في فترة الألف الثانية قبل الميلاد :

تندرج تحت هذه الفترة عدة مواقع في شتى أرجاء السلطنة كموقع مخيليف بالباطنة، والواسط بوادي الجزي في منطقة الباطنة، حيث تم الكشف فيه عن العديد من الأواني الحجرية المصنوعة من حجر صابوني أملس وتحمل زخارف مميزة لهذه الفترة الزمنية، كما عثر على رؤوس رماح وسهام وعلى سكاكين من البرونز.

عمان في فترة الألف الأولى قبل الميلاد:

ويعد موقع صحار من أهم المواقع التي تمثل فترة الألف الأولى قبل الميلاد في سلطنة عمان، حيث اكتشفت فيه مستوطنة عثر فيها على مبان فوق مباني القرن الأول الميلادي الأمر الذي يوحي باستمرار نمو وازدهار المستوطنة، وقد دلت الموجودات الأثرية على أنه كان لمدينة صحار مركز تجاري مرموق في تلك الفترة، حيث عثر على اختتام للتجار بالإضافة إلى نوع من الفخار الأحمر اللون والجيد الصنع، والذي من المؤكد أنه استورد من الهند. ومن أنواع الفخار: البورسلين الصيني الذي وجد بكثرة في الفترات التي تعود إلى القرون الأولى للإسلام مؤكداً ازدهار التجارة مع الصين والتي استمرت في تطورها إلى القرن الرابع عشر للميلاد.

وأظهر التسلسل الطبقي في الموقع اضمحلال التجارة وركود المدينة بعد هذه الفترة وذلك بسبب نفوذ مملكة هرمز بقلعات قرب مدينة صور والتي استطاعت أن تحول

النشاط التجاري اليها وتحصل على الضرائب، كما أقيم حصن صحار بأمر من أمراء هرمز لغرض الحصار التجاري على المدينة حتى هجرها السكان وأصبحت مدينة صغيرة، وقد تم التعرف على هذه الفترة من خلال المعثورات الصغيرة والبيوت الفقيرة. ومن المعالم الأثرية الأخرى في صحار قلعتها المربعة الشكل والدعامة بأربعة أبراج في زواياها الأربع، أما البرج الخامس فيتوسط ضلعها الشمالي الغربي، ويحيط بالقلعة سور خارجي وهو الأثر الوحيد المتبقي من الحصن حيث أن البناء المركزي تعرض لعدة تغيرات.

وبالإضافة إلى أهمية منطقة صحار التاريخية فقد تمتعت بمكانة اقتصادية مرموقة في مجال التعدين وهذا يرجع الى عدة أسباب من أهمها:

- (١) أن وادي سوق ووادي الجزي يشكلان ممرا عبر جبال عمان.
 - (٢) أن الترسبات النحاسية توجد بكثرة على طول وادي الجزي وهي معظمها كبيرة الحجم وبالنسبة لثقلية الوزن، ولقد تم الكشف عن اثنين وثلاثين موقعا لصهر النحاس في المنطقة، ومن أهم هذه المواقع والتي تقع على طول وادي الجزي عرجا والبيدا والأصيل والسياب وطوي عبيلة والواسط.
- وبالنسبة لموقع عرجاء فقد وجد أول دليل لوجود إنتاج النحاس في مستوطنة زهراء والتي ترجع الى فترة الألف الثالثة قبل الميلاد، واستمرت نشاطات الصهر قائمة في الموقع الى فترة الألف الأولى قبل الميلاد، ولكن بالمقارنة مع عمليات الصهر الجارية في العصور الوسطى فإن العملية كانت مقتصرة على فرن واحد منفرد، وبالتالي فإن الإنتاج لم يكن وفيرا.

أما فترة ما قبل الاسلام فقد وجدت تحديدات كربونية على الفحم من عرجا أعطت تاريخا لفترة ما قبل الاسلام، ويفترض أن البقايا والترسبات للمواد الخام الثقيلة ربما استخدمت في الفترة الساسانية المتأخرة، ولقد استخدم النحاس أيضا أثناء سيطرة الساسانيين في اليمن، وبالنسبة لإنتاج النحاس في الفترة الإسلامية المبكرة فلقد كانت هي الفترة الرئيسية لإنتاج النحاس في المنطقة وهي مطابقة للتطور المزدهر في المستوطنة بالرغم من أن عملية الاستيطان والصهر استمرت الى القرن السادس والثاني عشر للميلاد، الا انها جميعها كانت على قيد الاستعمال خلال الفترة الواقعة بين ٨٠٠ - ٩٠٠ م، ولقد كانت هناك عدة وحدات إنتاجية تقوم بإنتاج النحاس في عرجا، الا انه لا يبدو انها كانت تعمل في وقت واحد وباستمرار خلال الفترة التي استغرقت ١٥٠ سنة، ويمكن معرفة نشاط كل وحدة من خلال البقايا النحاسية القليلة والتي تدل على أن الوحدات الصغيرة عملت لفترة أقصر.

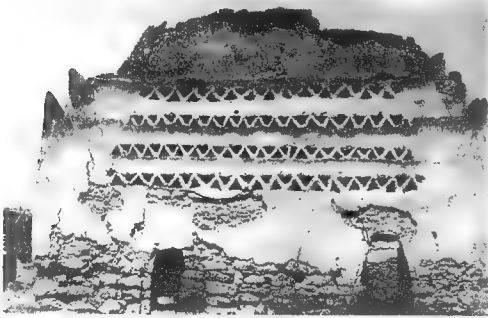
ومن المواقع التي تعود الى فترة الألف الأولى قبل الميلاد، أشار مدينة خور روري (سمهرم) التي تؤرخ الى القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول للميلاد.

وتتمتع هذه المدينة بفن معماري جميل من الجسر الجيري، وهي تقع على الشاطئ الشرقي لشرم صغير على الساحل وعلى بعد بضعة كيلومترات إلى الشرق من سهل صلالة.

وخور روري محصنة يسور من الحجارة المتراسة بطريقة محكمة، وقد تم الكشف فيها على خمسة أحجار كتبت عليها بالأبجدية العربية الجنوبية تصف تأسيس المدينة، وانها بنيت لهدف رئيسي وهو تأكيد السيطرة على تجارة اللبان

والبخور الذي يجمع فيها ويصدر للخارج، كما تم الكشف على اثار معبد قديم شديد في وسط الجانب الشمالي للمدينة وقد عثر على جدرانه الثلاثة ومذبحين، وقد وجد تحت بارز لمختر ثور على أحد المذبحين، وهذا يدل على ان الاله الذي كان يعبد في المعبد هو اله القمر لان الثور يمثل في الديانة الحميرية اله القمر، كما وجد حول المذبحين اثار رماد للقرابين التي كانت تقدم عليها، وتشتمل على بقايا عظام لاسماك ومواشي وللطيور كالدجاج وايضا بقايا قليلة من اللبن.

ومن المعثورات الاثرية الأخرى في الموقع تمثال برونزي صغير لفتاة هندية تعزف على الناي، وهو غير مكتمل فقد فقدت بعض اجزائه وأرغ الى القرن الثاني للميلاد. وتكمن أهمية التمثال في وجوده في الموقع حيث يعتبر كدليل على وجود علاقات تجارية بين الهند والجزيرة العربية، كما عثر أيضا على مجموعة من القطع النقدية



أحد المباني القديمة
في صلالة

البرونزية البالغ عددها اربع عشرة قطعة، وهذا بالإضافة إلى جرس برونزي يحمل اسم اله القمر الذي اعتبر اله المدينة.

أما المواقع التي ترجع الى العصور الاسلامية المبكرة فمنها موقع البليد بالمنطقة الجنوبية من سلطنة عمان، وكانت المدينة تسمى قديما باسم ظفار ولقد تأسست في القرن العاشر للميلاد (القرن الرابع الهجري)، وقد تعرضت للدمار وأعيد بناؤها في عام ١٢٢١م وفقدت أهميتها بالتدريج خلال القرن السادس عشر للميلاد، وذلك عندما انهارت تجارتها واقتصادها بسبب سيطرة البرتغاليين على الكثير من صادراتها المصدرة الى الهند.

وبالنسبة لتخطيط هذه المدينة فقد كان مستطيل الشكل يطل على البحر ويحيط به سور له ثلاث بوابات استخدمت كمداخل للمدينة، كما تم الكشف عن اطلال مسجد كبير المساحة مستطيل الشكل وهو عبارة عن مبنى مرتفع تحيط به الشرفات من جميع الجهات، وهذا الطراز من الشرفات استخدم في جميع مساجد ظفار، كما كان للمسجد فناء صغير المساحة بالمقارنة مع حجم المساحة المسقوفة، وقد عثر أيضا على حائط القبلة والمحراب والمنبر. أما بالنسبة لطراز الأعمدة المستخدمة في رفع السقف

الباب الثاني - عُمان في العصور التاريخية القديمة

فقد كانت ثمانية الأضلاع، وهو الحال في أغلب جوامع عمان.
ومن خلال المعثورات الأثرية اتضح أن المدينة نعتت بالاستقرار والرخاء حيث كانت مركزاً تجارياً وصناعياً هاماً في المنطقة الجنوبية، كما أنها كانت ميناء لتصدير الخيول وزيت السمك واللبان إلى الهند التي تستورد منها عمان القطن والأرز، كما لوحظ بأن المدينة كانت تنتج المنسوجات الجيدة من الحرير والتيل والقطنيات وكانت لها صلات تجارية مع شرق أفريقيا ومصر نتيجة لحياء الطريق التجاري التاريخي عبر البحر الأحمر.
ومن المكتشفات الأثرية الأخرى والدالة على التبادل التجاري مع بلدان آسيا تلك العملات النقدية البرونزية والتي يرجع بعضها إلى الفترة الإسلامية والبعض الآخر إلى الحضارة الصينية.

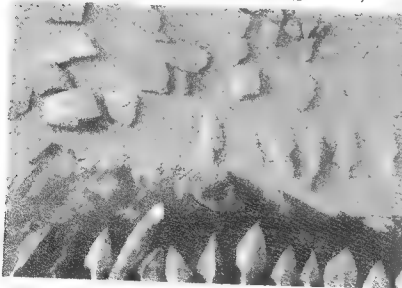
ولما كان اللبان السبب الأكثر بروزاً عبر التاريخ في شهرة محافظة ظفار بجنوب عمان فقد شغلت ظفار مساحة حضارية هامة في التاريخ القديم بحكم كونها مصدراً أساسياً لهذه المادة إلى جانب الصمغ، حيث كانا في مقدمة السلع التي حظيت باهتمام كبير في تجارة العصور القديمة مما أثار اهتمام المؤرخين الأوائل منذ عام ٤٠٠ قبل الميلاد بداية من هيرودوت ثم بيليني وبطليموس وانتهاء باسترابو وديودورس وجميعهم قد تركوا لنا انطباعات عن أهمية اللبان والصمغ في تجارة العالم القديم وأن الطلب على اللبان كان لا يضاهيه الطلب على أية سلعة تجارية أخرى.

وقد توصلت الدراسات المسحية التي أجريت في ظفار إلى أن اللبان كان ينقل بالبر والبحر لأنحاء متفرقة من العالم القديم وكان ميناء رأس فرتاك (جبل القمر) هو الميناء الذي يجمع منه المحصول للتصدير إلى اليمن ونحو مناطق أخرى من آسيا عن طريق ميناء عدن. أما الطريق البري فقد كان يبدأ من غرب ظفار عن طريق نجد إلى جنوب الجزيرة العربية ثم شمالاً إلى نجران وحتى غزة.

ومن أهم الطرق التي ذكرها المؤرخون والجغرافيون القدامى الطريق الذي يربط ظفار بشرق الجزيرة العربية وحتى بلاد سومر في العراق.

لقد كان الجغرافي الشهير بطليموس أول من رسم خريطة لمنطقة ظفار (*) وحدد عليها منطقة إنتاج اللبان في سهل صلالة (خور روري) وحدد بطليموس اسم منطقة

نماذج من مكتشفات
أوبار



في ظفار اسمها (سوق العمانيين) وتشير بحوث كشفية أخرى إلى أن العمانيين كانوا يسيطرون على المناطق الرئيسية في جنوب ساحل بحر العرب كما أشار المؤرخون المسلمون إلى (أوبار) أو (وبار) وحددوا موقعها في شمال ظفار، بينما أشار إليها نشوان بن سعيد الحميري وحددها بالمنطقة التي تملكها قبيلة عاد (في المنطقة الشرقية من اليمن)

ومؤرخ مثل الطبري يشير الى (وبار) دون ان يحدد موقعها مكتفياً بالإشارة الى انها منطقة ضربها الجفاف. وعموماً فان مصادر كثيرة تشير الى ان اهل عاد كانوا يسكنون منطقة (أوبار) أو (وبار) كما يسجل القرآن الكريم قصة عاد الذين دمروا ودفنوا دون ذكر مكانهم. وعلى ضوء كل ما سبق فيمكن الاستنتاج بأن (أوبار) أو (وبار) لم تكن اسماً لمدينة وإنما كانت أرضاً واسعة والاشارة الى تحديد موقع معين لها في ظفار سيظل موضع جدل بين المؤرخين والأثريين لم يحسم بعد.



اكتشافات أثرية في
سمهرم

لقد كانت ظفار منذ أقدم العصور التاريخية بيئة صالحة لزراعة شجر اللبان لكن يبدو ان استخدام اللبان كسلعة تجارية لم يبدأ إلا في العصر الحجري الحديث أي قبل ٨٠٠ عام وسلكت تجارة هذه السلعة خلال العصر الإسلامي نفس الطرق التي كانت تستخدم منذ العصر الحجري الحديث. وهي نفس الطرق التي أنشأها العرب والرومان. على نفس الطرق القديمة وعرف اللبان العماني طريقه الى مصر من خلال النجف / سيناء عبر عصور تاريخية موغلة في القدم. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل ثمة دلائل عن وجود علاقات تجارية بين

ظفار وشرق شبه الجزيرة العربية خلال العصر الحجري الحديث. من المؤكد أن المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية كانت غنية بالأنهار والبحيرات، لذا فقد كانت أهلة بالسكان وكانت بها معابر طرق كثيرة وخصوصاً عبر الربع الخالي بدليل الأواني والمعدات التي تنتمي الى العصر الحجري الحديث والتي وجدت على طول الطريق وفي مناطق متفرقة من شبه الجزيرة العربية وجميعها تحمل ملامح فنية وزخرفية واحدة كما عثر على نماذج من فنون الرسم على جدران الصخور في غرب شبه الجزيرة العربية وفي اليمن وجميع هذه الأواني والمعدات بنفس خصائصها وجدت على طول الطريق حتى سومر في العراق.

لم يكثف العمانيون بتصدير اللبان وإنما صنعوا منه البخور بعد اضافة الشحوم اليه نظرا لحاجة المجتمعات القديمة اليه في الطقوس الدينية والعلاج والتطيب وشكل هذا المنتج أهمية كبيرة في حركة التجارة خلال العصر الحجري الحديث.

لقد عثرت البعثات الكشفية على عدد من الألواح السومرية وقد كتب عليه كلمة (بخور) وفي سجلات نجد معنى أدق وهو تعبير (البخور المستخرج من أشجار اللبان).

والخلاصة انه منذ حوالي عام ٥٠٠٠ ق.م حتى حوالي ١٨٠٠ ق.م كانت حاجة العراق القديم تتزايد نحو البخور والعمود والصمغ القادم من بلاد ظفار ومنذ عام ٢٠٠٠ ق.م تقريبا شهدت المنطقة تغيرات في مناخها، فقد أخذت البيئة تتجه نحو التصحر والجفاف وعرف سكان المنطقة استئناس الجمال لاستخدامها في القوافل التجارية البرية. وقد أثبتت الكشوف الأثرية في الجزيرة العربية وفي مصر ان التجارة



مدينة قديمة في سمهرم
في خور ووري

البرية صارت حقيقة ثابتة بحلول عام ١٥٠٠ ق.م. وعموما فإن موقع (شمصر) يمثل المركز الرئيسي لمنطقة نجد / ظفار للتجارة البرية الملتجة نحو الشمال والتي بدأت منذ العصر الحجري الحديث والتي يبدو أنها كانت مرتبطة بالنشاط التجاري بين ظفار وشمال الجزيرة العربية، حتى سومر في جنوب العراق القديم. ولعل ارتباط النشاط التجاري بين ظفار وسومر يؤكد امتداد تلك التجارة منذ فجر عهدها المبكر مع التجارة الملتجة صوب غزة ومصر القديمة. وبحلول العصر البرونزي والعصر الحديدي استمر ازدهار منطقة شمصر والتي أقيمت فيها الكثير من المباني، التي كشفت عنها أخيرا البعثات الحفرية مما يؤكد أنها كانت مأهولة بالسكان بحكم نشاطها التجاري وخلال العصور الوسطى أشارت الكثير من المصادر الى اصل عاد ونشاطهم في تجارة البخور والخيول والصمغ ويبدو ان شمصر لم تفقد أهميتها التجارية الا مع بداية القرن السادس عشر، حيث هجرها اهله الى مناطق اخرى مجاورة. وفي منطقة سهل صلالة توصلت الدراسات المسحية التي أجريت عام ١٩٩٣ الى أن تشابهها كبيرا بين المباني، التي كشفت عنها وخصوصا في موقع عين حمران وبين المباني في منطقة شمصر وأن السمات المعمارية في المنطقتين واحدة. وتوصلت الدراسات المسحية أيضا الى المجمع البنائي الكبير في موقع البليد، بمدينة صلالة، حيث تشير تلك الدراسات الى أهمية هذا الموقع باعتباره مركزا تجاريا نشطا لتجارة الصادر والوارد يؤكد ذلك عثور البعثة الكشفية على العديد من العملات والأواني المصنوعة من السيراميك يعود تاريخها الى القرن الرابع عشر الميلادي وعثرت البعثة أيضا على نماذج مماثلة لها في موقع شمصر مما يؤكد وجود ارتباط ونشاط تجاري بين المنطقة الداخلية في ظفار وبين منطقة الساحل حتى القرن الخامس عشر.

من هذا العرض الموجز يتبين لنا انه كانت توجد في عمان حضارة نامية متصلة

الحلقات غطت أرض عمان في عصور ما قبل الاسلام. أما في العصور الاسلامية، فقد كان لعمان حضارة زاهرة لا تقل كثيراً عن مثيلاتها في بلدان الاسلام الاخرى ان لم تفقها في بعض النواحي المتصلة بالتجارة والملاحة حيث كان لعمان وأهلها فضل السبق والتفوق على غيرهم من البلدان والشعوب الاسلامية، كما سبق أن عرضنا له في الباب السابق بتفصيل كبير.

وإذا كانت عمان قد برزت في مجال التجارة والملاحة كما سبق أن بينا، فإنها برزت أيضاً في مجالات أخرى منها مجال العلوم والفكر والثقافة والعمارة.

هوامش الباب الثاني

●● الفصل الأول

- (١) ياقوت الحموي: معجم البلدان - المجلد الرابع، ص ١٥٠.
- (٢) المصدر السابق، ص ١٥٠.
- (٣) شيخ الرتبة نخبة الدهر، ص ٢١٨.
- (٤) الانكزي العماني، مرجحان بن سعيد. كنف اللغة الجامع لاخبار الامة، ص ٢٢. نسخة خطية المكتبة التيمورية بدار الكتاب المصرية برقم ٢٥٨٢.
- (٥) انظر مقالة جروهمان في الموسوعة الاسلامية.
- A. Grohmann's: *Encyclopaedia De l' Islam*, Leiden, Brill 1936 p104 - 2 - 1044.
- C. Huan, *Histoire des Arabes* 11. Paris . 1913, p 257 - 282.
- (٦) الاصطخري: المسالك والممالك، ص ٢٧، ابن حوقل: صورة الارض، ص ٤.
- (٧) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٩٨.
- Huzayyin, S.A. *Arabian Far East Their Commercial and Cultural Relations In Graeco - Roman* (٨) *and Iran - Arabian Times* Cairo - 1942, p.6, f
- G. Bibby: *Looking For Dilmun*, proof edition 1973 (٩)
- انظر أيضاً مقامة عن آثار المملكة العربية السعودية - ابارة الاثار والمتاحف - وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- (١٠) انظر تعريفنا لهذه المجلة في رضا جواد الهاشمي مجلة جديدة متخصصة في آثار الخليج والجزيرة العربية - مجلة سومر - بغداد - ١٩٨٠ الصفحات ٢٥٩ - ٢٦٢.
- (١١) ا.جواد الهاشمي الدافن الخليجية ومدلولاتها الحضارية. سومر - ١٩٨٠ ص ٢٣.
- A. Hastings G.H. Humphries and R.H. Meadow: *Oman in the Third Millennium B.C. in the* (١٢) *Journal of Oman Studies* vol.1, p. 69f
- M.Tosi: - Distribution and Exploitation of Natural Resources in Oman - *JOS* vol.1, p.187ff
- (١٣) رضا جواد الهاشمي. آثار الخليج العربي والجزيرة العربية. بغداد - ١٩٨٤، ص ٣٥ فما بعد.
- J.Pritchard: *Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testament* - 3rd - ed. with Supple- (١٤) *ment* Princeton, 1969, p. 49 - ANET - ibid, p. 523.
- (١٥) رضا الهاشمي آثار الخليج العربي.. المصدر السابق ص ٥٩ فما بعد.
- ANET, p. 266, 268. (١٦)
- (١٨) رضا جواد الهاشمي تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم، ص ٢٤ معهد البحوث والدراسات العربية - بغداد - ١٩٨٤
- (١٩) رضا جواد الهاشمي تاريخ الامل في ضوء المخلفات الاثرية والكتابات القديمة. مجلة كلية الاداب - بغداد العدد ٢٢ ملحق ١٩٧٨ الصفحات ١٨٥ - ٣٢٢.
- Kuml. 1962, p. 190 f. (٢٠)
- (٢١) الاثار في دولة الامارات العربية المتحدة. اعداد ابارة الاثار والسياحة، وزارة الاعلام والثقافة - ١٩٧٥
- Konrad Schliephake, *Die Arabische Halbinsel*, Würzburg 1982 (٢٢)
- M. Tosi, S. Durante. *JOS* 3 pt2, 1977 (٢٣)
- G. Rachel. 'Oun Annas' in *Dictionnaire de l'Archaeologie*; Paris 1983, avec Bibliographie. (٢٤)
- K. Friefelt; *JOS*, 2 1976 (٢٥)
- B. de Cardi *JOS*, 3 pt. 1977 (٢٥)
- L. Oppenheim. *Mesopotamian. Civilization* trans. France; 1970; M. Wheeler *Indus Civilization* (٢٦)

الباب الثاني - عُمان في العصور التاريخية القديمة

1953 - 1972

- Konrad Schliephake, ibid. (٢٨)
(٢٩) ب. كوستا، ت. ج. ويكسون من علماء المقريات والتاريخ، بحثا في تاريخ وحضارة عمان القديمة، وقد قاما مع آخرين ببحث ميداني في عرجا وطويرو بهدف اكتشاف الآلة المتعلقة بالأساليب القديمة للتزود بالياه. وكان كوستا مدبرا لبعثة دائرة الآثار العمانية والمختشرق الإنجليزي ويكسون مدبرا مساعدا لهذه البعثة التي قامت في يناير من عام ١٩٧٨ بعملية المرحلة الأولى من مسح منطقة عرجا. وقيل ذلك بعلم شارك هذان العالمان في لقاء بين بعض العلماء سمي باللقاء غير الرسمي حول استغلال المصادر الطبيعية في عمان القديمة
وللاستاذ وكسون العديد من الدراسات التاريخية الخاصة بعمان منها دراسة عن الانفلاج ودراسة من علماء عمان ودراسة شاملة عن بني الجلندي في عمان وغير ذلك من الدراسات التي قامت وزارة التراث القومي والثقافة بنشرها ضمن سلسلة تراثا التي تصدرها هذه الوزارة.
انظر ب. كوستا: مستوطنة عرجا لتعدين النحاس، وزارة التراث القومي والثقافة، عدد ٤٦، ص ٢٧، عرض محمد خلفيات: نشأة الحركة الإباضية، مسقط، سنة ١٩٧٨، ص ٣٢.
G. Weisgerber, f.o.s. 4 1978. Mahullah Bin Ali bin Habib Allawati, *Outline of the History of Oman*, 1989 p:9.
Paolo Costa and Tony F. Wilkinson, The Hinterland of Sohar, Archaeological Surveys and excavations Within the Region of an Omani Seafaring City, J.O.S. vol 9, Mascate - Londres 1987 238 p. fig 110
Monique Kervran - Paolo Costa et T.F. Wilkinson, The Hinterland of Sohar in *Bull. Cret. des* (٣٢) *Ann. Islam* no 6 1989. p 228 - 229.
ANET. P. 229. (٢٣)
Robert England: - Dilmun in the Archaic Corpus - pp. 35 - 3 in: Daniel (ed) - *Dilmun. New Studies in the Archaeology and Early History of Bahrain*, Berliner Biet Zum vorden orient Band - 2 - (BBVO - 2) - Berlin - 19
Joan Oates: - Seafaring Merchants of Ur - in: *Antiquity*, vol 1, 11 no 203 - 1977 - p 221f (٢٥)
M. Kervran, A. Mortensen and F. Hiebert: - The Occupational Enigma of Bahrain between the 13th and 8th century BC - p.13 f (٣٦)
دلمون - مجلة جمعية تاريخ وآثار البحرين - 88 - 1987 - 14 - Dilmun
(٣٧) رضا جواد الهاشمي والعرب في ضوء المصادر المسمارية، مجلة كلية الآداب، بغداد العدد ٢٢ / ١٩٧٨، الصفحات ٣٦٩ / ٣٨٣.
(٣٨) رضا الهاشمي: العرب في ضوء المصادر المصدر السابق
Herodotus. 89. (٣٩)
(٤٠) رضا الهاشمي: آثار الخليج العربي.. المصدر السابق، ص ٥٩ فيما بعد.
(٤١) رضا الهاشمي: الانفلاج من مشاريع الري العربية القديمة، ص ١٩ فما بعد.
(٤٢) ابن منظور مادة فلج
(٤٣) ابن سيده المخصص، الكتاب العاشر، ص ٢٤، أيضا
G.B Cressey: - Qanat Karez and Foggaras in the Geographical Review. vol: no: ١ - 1958 - New York p. 27f
T.J. Wilkinson: - Sohar Ancient Fields project - J.O.S. vol: p. 165 (٤٤)
(٤٥) دونالد هولي عمان ونهضتها الحديثة لندن ص ١٢٠.
(٤٦) ابن سيده المصدر السابق ص ٢٢
(٤٧) هولي المصدر السابق ص ١٣١.
Herodotus. 7 - 9. (٤٨)
(٤٩) القزويني آثار البلاد وأخبار العباد، نار الصياد، بيروت ص ١٦.
(٥٠) ابن الجوار صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستعمر، تصحيح وضبط أو سكر لوفريقين، لندن - ١٩٥١، ص ١٣١
G. Bibby: *Looking for Dilmun* - proof edition 1973 - p. 66f. (٥١)
(٥٢) فؤاد سفر أعمال الارواء التي قام بها سنخاريوب - سومر - بغداد، ج ١، (١٩٤٧) الصفحات ٧٧ - ٨٦.
R.M. Pearson Co: *Ground Water Resources of Iraq*. Baghdad. 1955 - 1958 (٥٣)
Cressy: *op. cit.* p. 41. نقلا عن
(٥٤) هولي المصدر السابق ص ١٢٨

●● الفصل الثاني

- (١) شروكين ونرام سين - مكان من ملوك العراق في العصور القديمة.
W.F. Lee, *ans, Foreign Trade in the old Babylonian Period*, Leyden 1960, p. 11 - 12. (٢)
D.O. Edzard, *Das Reich der III Dynastie von ur*, Fisherwe ltgeschichte 2, p 133. (٣)
A. L. Oppenheim, *The Seafaring Merchants of Ur*, ibid. (٤)
A.L. Oppenheim *ibid.* p. 15. (٥)

الباب الثاني - عُمان في العصور التاريخية القديمة

- Idem: *Keilschrift Texte aus Assue Historesahen Inhalts* = KAH 12. (٦)
A.L. Oppenheim, *idem*, p. 17. (٧)
Archiv Fur Orientforschung, Band Graz, 1963 H. Hirsch, Die Inschriften der Konige von Agade. p. 87. (٨)
A. Falkenstein. Die Inschriften Gudeas Von Lagash, I, Einleitung. 1966 (٩)
pp. 48 - 49. Sumerische Und Akkadische Hymnen Und Gebete, p. 416.
H. Hirsch, Die Inschriften Der Konige Von Agade, p. 49. (١٠)
(١١) آدم فلكن اشتاين، المصدر السابق (رقم ٢)، ص ٤٨ - ٤٩
(١٢) R. Labat. Manuel Depigraphie Akkadienne, Paris, 1959, p. 247, no. 586.
(١٣) آدم فلكن اشتاين، المصدر السابق (رقم ٢)، ص ٤٨
(١٤) الدكتور / فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، ١٩٧٢، ص ٤٨.
(١٥) الدكتور / فوزي رشيد، ترجمات لنصوص سومرية ملكية، ١٩٨٥، ص ١٤٢.
(١٦) H. Sterble. Die Altsumerischen Bau Und Weihinschriften, Teil I, p. 103.
(١٧) الدكتور / فوزي رشيد، ترجمات لنصوص سومرية ملكية، ١٩٨٥، ص ٦١ و ٦٥.
(١٨) H. Hirsch, Die Inschriften Der Konige Von Agade (= Afo, Band xx, 1963), p. 17.
(١٩) هـ. هريش، نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.
(٢٠) الدكتور / فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، الطبعة الثالثة ١٩٨٧، ص ٢٦
(٢١) ولأن النصوص السومرية لم تذكر بالنص تجار مجان بل اكتفت بذكر تجار ديلمون والذين أطلق عليهم السومريون اسم الكي ديلمون (*Alik Dilmun*)، وليس من المستبعد أن هذه التسمية تعني تجار الالبيين (ديلمون ومجان)، وربما أيضا تجار الأقاليم الثلاثة مجان وديلمون ومطوخا والتي لا يستبعد أن يكون موقعها الجغرافي في حدود القسم الجنوبي الغربي من عمان (حفر موت).
(٢٢) Bibby, G., *Looking for Dilmun* (1971).
(٢٣) Gelb, I., *Magan and Meluhha in Early Mesopotamian Sources*, RAAO, no 64 1970.
(٢٤) هنا نص واحد يعود الى السنة الحادية عشرة من حكم الملك نبوئنايد آخر ملوك سلالة بابل الأخيرة (٥٦٧ قبل الميلاد) يذكر فيه اسم التيم ديلمون.
(٢٥) لقد ورد اسم عُمان في كتاب بليني (XII.2) تحت اسم (عمانا) (*Omana*).
(٢٦) Gersheutich, I. "Sisso at Susa" Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol. 19, 1957.
(٢٧) Thapar, R., "A possible" identification of Meluhha, Dilmun and Magan" *Journal of the Economic and Social History of the Orient* no. 18, (1975).

●● الفصل الثالث

● مادة هذا الفصل من اعداد دائرة الآثار بوزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان.

الباب الثالث

عُمان في العصور الإسلامية

الفصل الأول : عمان من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية.

الفصل الثاني : آل المهلب العُمانيون ودورهم السياسي والحربي حتى نهاية الدولة الأموية.

الفصل الثالث : عرب عمان ودورهم في أحداث ثغر الهند.

الفصل الرابع : عمان والدولة العباسية.

الفصل الخامس : عمان في عهد بني نبهان.

الفصل السادس : الصلات التجارية بين عمان وشرق أفريقيا في العصر الوسيط.

البحوث المقدمة والمستخلص منها هذا الباب:

- الملاحون العمانيون سادة البحار الجنوبية في العصر الاسلامي للأستاذ الدكتور السيد عبدالعزيز سالم، جامعة الاسكندرية.
- العلاقات بين عمان واليمن في العصرين القديم والوسيط، للدكتور محمد سعيد شكري، جامعة عدن.
- ملامح من تاريخ عمان في عهد الرسالة، للدكتور رمزية محمد الأطرقجي، جامعة بغداد.
- الصحابي مازن بن غضوبة واسلام أهل عمان للدكتور شاكر محمود عبد المنعم، جامعة المستنصرية بالعراق.
- طبيعة العلاقة بين عمان والسلطة المركزية للدولة الاسلامية في القرن الاول الهجري للدكتور خليل شاكر حسين، جامعة المستنصرية بالعراق.
- عمان في العصور الاسلامية الوسطى، للدكتور علي منصور نصر، جامعة البحرين.
- علاقة عمان بشمال إفريقيا، للدكتور فرحات بن علي الجعيري، جامعة القيروان.
- آل المهلب ودورهم السياسي والحربي حتى نهاية العصر الأموي، للدكتور عبد المنعم عبد الحميد سلطان، جامعة السلطان قابوس.
- عرب عمان ودورهم في أحداث ثغر الهند في القرنين الأول والثاني الهجريين، للدكتور سعد بن سعيد الحميدي، كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - فرع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالجنوب - مدينة أبها بالملكة العربية السعودية.
- العمانيون ودورهم في الحفاظ على الهوية العربية الاسلامية لعمان، للأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة، جامعة عين شمس.
- حكم بني نيهان في عمان، تأليف / عبدالله بن ناصر الحارثي، جامعة السلطان قابوس.
- الصلات التجارية بين عمان وشرق إفريقيا في العصر الوسيط، للدكتورة صباح ابراهيم الشخيلي، جامعة بغداد.

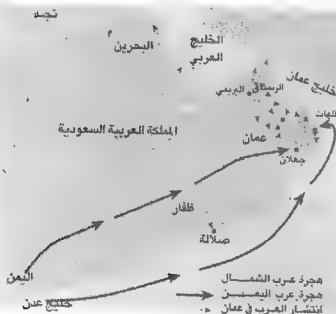
الفصل الأول عُمان من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية

إسلام عُمان
عُمان قبيل ظهور الإسلام :

ارتبط العمانيون بأصول عربية عريقة، ويذكر أنه حدث هجرة عربية كبيرة في العصور التاريخية الأولى من شمال الجزيرة العربية إلى عمان وسواحلها، وذلك بسبب الجفاف في قلب شبه الجزيرة العربية، ولا يعرف بالضبط تاريخ هذه الهجرة، وهل كانت هجرة عربية كبيرة واحدة أو على دفعات. وهؤلاء المهاجرون ينتسبون إلى قبائل نزار وهم العدنانيون عرب الشمال.

ويستدل من المصادر العربية أن عمان تعرضت لهجرة يمنية كثيفة العدد، نزحت من اليمن بعد انكسار سد مأرب وتهدمه في عهد شرحبيل يعفر الحميري في منتصف القرن الخامس الميلادي^(١)، نتيجة عجزه عن ترميم عمارته ترميماً يكفل استمرار بقائه، فرحلت لحم والأزد عن اليمن إلى أطراف شبه جزيرة العرب، فنزلت بعض الأزد في عمان في الطرف الشرقي بينما استقر الأوس والفرج في يثرب، أما بنو عمرو بن عامر الذي يرتفع نسبه إلى مازن بن الأزد فقد نزلوا بمشارف الشام.. ويذكر البلاذري أن الأزد بعد خروجهم من بلادهم انتقلوا إلى مكة ومن هناك تفرقوا فأتت طائفة منهم عمان، وطائفة السراة، وطائفة الأنبار والحيرة، وطائفة الشام^(٢).

الهجرات العربية إلى
عمان وانتشارها



وفي الحقيقة لا يوجد تاريخ دقيق لهجرة الأزد إلى عمان.. ولا تحديد ثابت لخط سير هذه الهجرة سواء عن طريق حضرموت انطلاقاً من مأرب، أو عن طريق اليمامة والبحرين انطلاقاً من السراة (عسير).

وان كان Philips (فيليبس) يشير إلى أن قبيلة الأزد التي كانت تسكن مأرب في نهاية القرن الأول الميلادي، هاجرت من مأرب عبر وادي حضرموت، ونزلت سيحوت (في الشحر) بقيادة مالك بن فهم الذي انتقل بالبحر إلى (قلهات)

(١٥ ميلا شمال غرب صور) وقام بتحرير عمان من الفرس خلال معارك شرسة، وأصبح السيد الأول المستقل على كل عمان^(٣).

ولذلك يقال ان أول من نزل عمان من الأزدي هو هذا البطل العظيم مالك بن فهم بن غنم بن دوس الأزدي وهو والد جذيمة الأبرش ملك الصيرة، ويذكر العوتبي ان مالكا دخل عمان بعسكر جم من الخيل والرجال الذين بلغ عددهم ستة آلاف فارس وراجل، فوجد بها الفرس فاعتزل بمن معه إلى جانب قلعات من شط عمان ليكون ذلك أمنع لقواته^(٤).

ثم أخذ يستعد لطرد الفرس من عمان وبخل معهم في حرب شرسة، وعمد الفرس الى ارباب العرب بوضع عدد من الفيلة في مقدمة جيشهم، لكن فيلة الفرس لم ترهب مالك بن فهم وجيشه من الأزدي، بل حمل وحملوا معه على الفيلة بالرماح والسيوف ورشقوها بالسهم، فولت الفيلة على عسكر المرزبان فوطئت منهم خلقا كثيرا. وبالرغم من تحمس الفرس وشدة قتالهم، الا ان شجاعة مالك وقومه من الأزدي فاقت كل تصور، حتى اضطر الفرس الى طلب الصلح وأن يكف مالك عنهم مدة سنة حتى يخرجوا من عمان، وأعطوا مالك بن فهم على ذلك عهدا وجزية، فأجابهم مالك الى ما طلبوا.



صورة تمثيلية لمركة
سلوت التي قادها من
الجانب العماني مالك
بن فهم

وغضب ملك الفرس غضبا شديدا من مضمون هذا الصلح، فدعا بقائد من عظماء مران بته وأساورته^(٥) وعقد له على ثلاثة آلاف من أجلاء أصحابه، وبعثهم مددا لأصحابه الذين كانوا بعمان عن طريق البحرين، الا ان مالك حمل عليهم حملة شديدة، مع قلة عسكره وكثرتهم، واستطاع أن ينتصر على الفرس نصرا حاسما، وبعد هذه الحرب استولى مالك بن فهم على عمان، وغنم جميع أموال الفرس.

والحق أن المواجهة بين عرب عمان، والفرس (أو العجم) على الخليج جعلت العمانيين يحرصون على استقلالهم وعلى الاعتزاز بعروبيتهم وأصالتهم اعتزازا كبيرا، ويستكمل العمانيون النصر على الفرس بنزولهم في أرض فارس نفسها، اذ نجح سليمة بن مالك بن فهم في اقتطاع أرض كرمان من العجم، ولم تخرج كرمان عن حكم

العمانيين إلا بعد وفاة سليمة بن مالك واختلاف رأي أولاده من بعده. فتغلبت الفرس عليهم واستولوا على ملك أبيهم في كرمان، واضمحل أمرهم فتفرقوا بأرض كرمان، وتوجهت فرقة منهم إلى أرض عمان.

ولم تكن للفرس رجعة إلى عمان بعد أن أجلاهم مالك بن فهم عنها، إلى أن انقضى ملكه وملك أولاده من بعده. ولما صار ملك عمان إلى آل الجلندي بين المستكر وهو من معولة بن شمس، وصار ملك فارس إلى بني ساسان تم الصلح بينهم وبين آل الجلندي بعمان.

وقبل وصول آل الجلندي إلى حكم عمان كانت قبائل الأزد تتوافد على عمان، وأول من لحق بعمان من الأزد بعد معولة بن شمس، عمر بن عمرو بن عامر وولده الحجر والأسود، ومن الحجر والأسود تفرعت بعمان قبائل كثيرة^(١).

أما بنو الأسود فقد شاركوا في الفتوحات الإسلامية، بعد ظهور الإسلام، ووصلت طائفة منهم إلى الأندلس، حيث نزلوا في قبضة بني الأسود فرضة بجاعة، واشتغلوا بالجهاد في البحر، ومن بني معولة بن شمس الأزد جعفر وعبد ابن الجلندي بن كركر بن المستكر بن مسعود بن الجرار بن عبد الغزي بن معولة بن شمس، ملك عمان على عهد الرسول ﷺ ويذكر ابن حزم أن رسول الله ﷺ بعث إليهما كتابا يدعوهم فيه إلى الإسلام فأسلما عن إيمان وقناعة تامة، وأسلم معهما أهل عمان^(٢) وكان ذلك في العام الثامن للهجرة أي بعد إسلام عمرو بن العاص بقليل^(٣).

وهكذا غلب الأزد على عمان، ويؤكد ذلك قول البلاذري: «قالوا كان الغالبون على عمان الأزد وكان بها من غيرهم بشر كثير في البوادي»^(٤).

وكان أزد عمان عند ظهور الإسلام مكونين من عدة عشائر وبطون أهمها كما أشرنا: بنو معولة ابن شمس بن عمر بن غنم بن غالب بن عثمان بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن نصر بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد^(٥).

ومن أزد عمان أيضاً الحدان بن شمس شقيق معولة بن شمس^(٦)، وقد قدم وفتحهم على الرسول ﷺ بعد فتح مكة برئاسة مسلية بن مزن الحداني، وهاجر فريق منهم بعد الإسلام إلى البصرة وبقي عدد منهم في عمان^(٧).

ولكن لا يعرف سنة قدوم الأزد إلى البصرة، ولا عددهم على وجه الدقة^(٨)، ومن أزد عمان بنو مالك بن فهم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد^(٩).

ومن بطونهم التي استوطنت عمان نوى والأشاعر، ومنهم الشاعر كعب الأشقيس^(١٠). وقد هاجر بعضهم بعد الإسلام إلى البصرة وبقي معظمهم في عمان^(١١).

ومن أزد عمان العتيك^(١٢) بن الأسد بن عمران بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ومن العتيك المهلب بن أبي صفرة^(١٣).

أما أهل دبا فهم بنو الحارث بن مالك بن فهم.

ومن بطون الأزد التي استوطنت عمان اليمحمد، وهم اليمحمد بن حمى بن عثمان بن نصر ابن زهران^(١٤). وقد هاجر بعضهم بعد الإسلام إلى البصرة^(١٥).

ولم يكن سكان عمان من الأزد فقط، بل كانت تسكن عمان عند الفتح الإسلامي

قبائل عمانية مشهورة، منها (سامسة بن لؤي) (٢١)، وينسبها النسابون إلى قريش، واحتفظ بنو سامسة بوحدتهم القبلية ولم يندمجوا بالأزد، ولكنهم كانوا حلفاء لهم (٢٢). وقال عنهم البكري «فصار بنو سامسة بعمان حياً حريداً شديداً لهم بأس وثروة ومنعة» (٢٣)، وقد هاجر بعضهم إلى البصرة بعد الإسلام (٢٤).

وقد شارك الأزد سكنى عمان عند الفتح الإسلامي بعض بطون من عبد القيس، وإن كان استيطانهم فيها يرجع إلى أزمنة قديمة - يقول ابن دريد: «إن الأتلاذ بطون من عبد القيس» أتلاذ عمان لأنهم سكنوها قديماً» (٢٥).

وجاء في معجم ما استعجم (٢٦)، في هجرة القبائل: «ودخلت قبائل من عبد القيس.. جوف عمان فصاروا شركاء للأزد في بلادهم وهم الأتلاذ أتلاذ عمان».

وكانت هناك أيضاً بطون من قضاة تسكن عمان عند الفتح الإسلامي (٢٧).

وإذا كانت معظم القبائل العمانية، وكما رأينا من أصل يمني، لأن هجرتها كانت أساساً من اليمن، أو من اليمن إلى جهات أخرى ثم انتهت بها المطاف إلى عمان، فالحقيقة أن الجوار في الموقع، والخصائص البيئية والحضارية والبشرية المشتركة بين اليمن وعمان.. قد أوجداً تقارباً لا حدود له من حيث التكامل التاريخي والبشري، وتبادل المنافع المشتركة، وسهل كل من البحر والطريق البري مرور التأثيرات المتبادلة، وأعطى تكاملاً اقتصادياً في منتوجات البحر والبر من أسماك ولؤلؤ وبخور ولبان وورس وبخ، وتبادلاً في الثروة الحيوانية، مما أدى إلى تعميق الاتصال بين اليمن وعمان، ونتج عن ذلك أن كثيراً من الهجرات اليمنية اتجهت صوب عمان، ومن ثم كانت معظم قبائل عمان وكما أشرنا ذات أصل يمني. وقد جاء الإسلام وهذه القبائل التي سبقت الإشارة إليها وغيرها كثير من أصول يمنية وعدنانية كانت تسكن عمان، وقد تفاعلت هذه القبائل بسرعة مع الدعوة إلى الإسلام، وأرسلت وفودها ورجالها إلى بلاد الحجاز للوقوف على أمر هذا الدين الجديد، وكان مازن بن غصوبة الطائي السمسائي أول من رحل إلى المدينة وأول المسلمين من أهل عمان. فمن هو هذا الصحابي العماني الجليل؟

الصحابي مازن بن غصوبة الطائي :

نَسَبُهُ : هو مازن بن غصوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن مر بن حيان بن أبي بشر بن خطامة بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء (٢٨). وطيء بفتح الطاء وتشديد الياء وهمزة في الآخر، أخذ من الطاءة، وهي الإيفال في المرمى. وهم بنو أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، وكان لطيء من الولد: فطرة والغوث والحارث، ولكل واحد من هؤلاء بطون وفروع كثيرة يصعب حصرها مثلما يصعب تعيين مواقع استقرارها، لأنهم كانوا يتنقلون بشكل مستمر حسب مقتضيات حياتهم وطريقة معيشتهم والمخالفات التي كانوا يعقدونها مع غيرهم من القبائل (٢٩).

غير أن بعض الأخباريين يقولون بأن طيئاً هو أبو القبيلة، نزح من اليمن مع عمومته وقبيلته إلى الحجاز إلى أن استقر بهم المطاف في جبلي أجا وسلمى (٣٠)، وأن قبائل طيء أقامت بعد نزوحها شمالاً بجوار بني أسد، فتغلبت عليهم وأجلبتهم عن الجبلين المذكورين حتى عرفوا بجبلي طيء.

وكان لهذين الجبلين أثر كبير في توجيه حياة الطائيين وسلوكهم في مدارج الكرم والشعر والفروسية^(٣١) وذلك نظرا لأهمية الاقليم الذي استقروا فيه من النواحي الزراعية والتجارية والعسكرية وما يتمتع به من من حصانة نسبية. ورغم الوعورة التي تميز بها جبال طيء، فقد كان بوادي رك القريب منهما نخيل وأبار عذبة المياه.. ووجدت مدينة فيد على بعد أربعة أميال عن يمين الذهاب إلى مكة وكانت تقام فيها الأسواق التجارية في موسم الحج^(٣٢). أسسرتة : لم تذكر المصادر معلومات وافية عن اسرة مازن الطائي وهي لم تحفل بترجمته كثيرا، ولعل ذلك يرجع الى أن دوره الاجتماعي كان محدودا، وأن كان



مسجد الصحابي مازن
بن غضوبة في سمائل

دوره في دخول الاسلام مبكرا يحظى بتقدير بالغ. فقد ذكرت مصادر ترجمته أن أمه هي زينب بنت عبدالله بن ربيعة بن حويص أحد بني نمران^(٣٣)، وهذا يوضح أن لفظ (غضوبة) المذكور في نسبه اما أن يكون لقباً أو اسماً حقيقياً لوالده، وكانت العرب تسمى أحيانا بالاسماء المؤنثة كما في قولهم (ربيعة) وليس من سبيل لترجيح أحد الاعتقدين. وكان له اخوة من أمه وهم بنو الصامت وبنو خطامة وفهرة^(٣٤)، وكانت نشأته في مدينة سمائل الواقعة في داخلية عمان. وذكر مازن أن له ولدا اسمه حيان، وقال في حديثه عن مقابلة النبي ﷺ ودعائه له (... ورزقت ولدا فسميته حيان بن مازن)^(٣٥) ... ومن أحفاده أحمد بن حرب وعلي بن حرب الطائي^(٣٦) قال عنه ابن الأثير (وهو جد علي بن حرب بن محمد بن علي بن حيان بن مازن بن غضوبة الطائي)^(٣٧) وكانا امامين فاضلين^(٣٨) ومن المحدثين المصنفين في الحديث النبوي الشريف، وكان (علي) عالماً بأخبار العرب أدبياً شاعراً ولد سنة ١٧٥هـ / ٧٩١م بأذربيجان ورأى المعاني بن عمر الموصل، وروى عن أبيه وابن عيينة والقاسم ابن يزيد الجرمي، وعدد من الحفاظ المشهورين، وسمع من غيرهم، وروى عنه النسائي.

وقال عنه أبو زكريا الأزدي في تاريخ الموصل، وابن حيان في الثقات، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أنه كان مصنفًا وعالمًا بأخبار العرب أدبياً وشاعراً وفد على المعتز سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩م فكتب عنه الحديث وكتب له بضائع وظلت جارية إلى أيام المعتضد، وكانت وفاته بالموصل سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٨م^(٢٦) وعمره اثنتان وتسعون عاماً.

أمسا أحمد^(٢٧) بن حرب بن محمد بن حيان بن مازن بن غصوبة فقد كان مولده سنة ١٧٤ هـ / ٧٩٠م، وروى عن ابن عيينة وأبي معاوية وابن فضال، وشارك أخاه في شيوخه، وروى عنه النسائي وأخوه علي وعبد الرحمن، واختلف في توثيقه، قال عنه مسلم لا بأس به، وقال عنه ابن أبي حاتم (أدركته ولم أكتب عنه)، وكانت وفاته في أذنة^(٢٨) بساحل الشام، وثقه ابن حيان وكانت وفاته سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦م. هؤلاء هم الذين ذكرتهم المصادر من أسرته.

إسلام الصحابي مازن الطائي :

ورد خبره في أعلام النبوة في أخبار الكهان^(٢٩)، وقال ابن حيان^(٣٠) : يقال بأن له صحبة... وقال ابن حجر^(٣١) (ذكره ابن السكن وغيره في الصحابة، وقال ابن حيان يقال أن له صحبة، وأخرج الطبراني والفاكهي في كتاب مكة، والبيهقي في الدلائل، وابن السكن وابن قانع، كلهم عن طريق هشام بن الكلبي عن أبيه، قال حدثني عبدالله العماني قال: قال مازن بن غصوبة... فذكر حديثاً طويلاً فيه: فكسرت الأصنام وقدمت على رسول الله ﷺ فأسلمت) وذكر ابن عبد البر^(٣٢) أن مازن صحبة، وأنه وفد على النبي ﷺ وقال: (يارسول الله اني امرؤ مولع بالطرب وحب الخمر والنساء، فيذهب مالي ولا أحمده حالي، فادع لي الله أن يذهب ذلك عني وليس لدي ولد فادع الله أن يهب لي ولداً... قال فدعا لي فأذهب الله عني، ما كنت أجد وتزوجت أربع حرائر فرزقت الولد، وحفظت شطر القرآن وحججت حجاً). وفي تاج العروس^(٣٣) قال: مازن بن غصوبة الطائي له وفادة، وساق ابن الأثير^(٣٤) اسناداً آخر مؤكداً ذات الرواية التي أوجزها على ما يبدو ابن عبد البر، وتوسع فيها بل ذكرها بتفاصيل أكثر صاحب القصة^(٣٥).

أما أبو نعيم فقد أسند إلى مازن الطائي قوله بأنه كان يسدن صنماً بسمائل التي ذكرناها آنفاً، وقد ذبحوا ذبيحة عند الصنم التي اختلفت المصادر في إيراد اسمه والمرجح أنه باجر^(٣٦) كما في الجمهرة لابن دريد، وهو اسم صنم كان للأزد في الجاهلية ومن جاورهم من طيء وقضاعة.. ولما ذبح الذبيحة سمع صوتاً يقول: (يا مازن اسمع تنر، ظهر خير ويطن شر، بعث نبي من مضر بدين الله الأكبر فدع نحيتا من حجر تسلم من حر سقر)^(٣٧).

وبعد أيام ذبحت ذبيحة أخرى فسمع صوتاً يقول (اقبل الي اقبل، تسمع مالا تجهل، هذا نبي مرسل جاء بحق منزل، فأمن به كي تعدل عن حر نار تشعل، وقودها بالجنل)^(٣٨).

وقد صورت الروايات التاريخية فزع وتعجب مازن مما سمع، ولكنه تفاعل خيراً، وبينما هو كذلك إذ ورد عليه رجل من أهل الحجاز يريد ماءً، فسأله عما وراءه من الأخبار فقال له: ظهر رجل يقال له: (محمد^(٣٩) بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله)... وبدأ مازن يرتبط بين ما سمعه عند ذبح

الذبيحة وبين ما سمعه من الرجل الحجازي الذي لم تقصص المصادر عن اسمه... فما كان منه إلا أن كسر الصنم باجراً وأنشد قائلاً:

كسرت باجراً أجداناً وكان لنا
رباً نظيف به ضلاً بتضلال
بالحاشمي هدانا من ظلالتنا
ولم يكن دينه مني على بال
يا راكياً بلغني عمرو وأخوتها
أني لمن قال ربي باجراً قال (٥٢)

وكان يعني يعمر وأخوتها بني خطامة، وهي نسبة إلى خطامة بن سعد بن الغوث بن طيء: بطن مشهور ينتسب إليه مازن بن غصوبة (٥٤) وقد أوضحنا ذلك فيما تقدم. ثم وفد على النبي ﷺ فأعلن إسلامه وأنشد يقول (٥٥):

إليك رسول الله خبت مطيتي
لتشفع لي يا خير من وطئ الحصا
إلى معشر خالفت في الله دينهم (٥٨)
وكنت امرأة بالعهر والخمر مولعا
فبدلني بالخمير خوفاً وخشية
فأصبحت همي في الجهاد ونيتي
فقله ما صومي والله ما حجي (٦٠)

ومن الواضح أن هذه الأبيات التي تظهر عليه الركاكة وعدم دقة الوزن قد تعرضت إلى التصحيف والتحريف بسبب الرواة أو النساخ فيما بعد... ومع ذلك فإنها تقوم دليلاً على وجود مازن بن غصوبة الطائي ودليلاً على إسلامه المبكر من بين أهل عمان، ومما يدل على ذلك أيضاً ويدل على صحبة مازن لرسول الله ﷺ، وجود بعض الأحاديث التي رواها مازن عن النبي صلوات الله وسلامه عليه، فقد خرج ابن السكن ومحمد بن خلف المعروف بوكيع في نوازل الأخبار، وأبن منده وأبو نعيم من طريق الحسن بن كثير، عن يحيى بن أبي كثير عن أبيه: سمعت مازن بن غصوبة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى الجنة) وهو حديث صحيح بمعناه، لكن ابن منده قال عنه غريب لا يعرف إلا بهذا الإسناد (٦١).

ولم يكن هذا هو الحديث الوحيد الذي ورد عن مازن عن النبي ﷺ في كتب الحديث، فقد ورد أيضاً أن مازن سأل الرسول عليه الصلاة والسلام الدعاء لأهل عمان. فقال مازن: «يا رسول الله ﷺ، ادع الله تعالى لأهل عمان»..

قال: اللهم اهدهم !!

فقلت: زدني يا رسول الله !!

فقال: اللهم زدهم العفاف والكمفاف والرضا بما قدرت لهم !!

قلت: يا رسول الله ان البحر ينضج بجانينا فادع الله في ميرتنا وخلفنا وظلفنا (٦٢) !!

قال: اللهم وسع لهم وعليهم في ميرتهم، وكثر خيرهم من بحرهم.

قلت: زد.

قال: لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم !! قل يا مازن، آمين !! فإن آمين يستجاب لها عند الدعاء !!

قلت: آمين !! (٦٣).

وفي العام التالي وقد مازن بن غصوبة على رسول الله ﷺ، وقال له: «يا ابن المباركين الطييين!! قد هدى الله قوما من عمان ومن عليهم دينك، وقد أخصبت وكثرت

الأرباح فيه والصيد!!.

فقال ﷺ: ديني دين الاسلام، وسيزيد الله اهل عمان خصباً وصيداً!! فطوبى لمن آمن بي ورأني!! وطوبى لمن آمن بي ولم يراني، ولم ير من راني، وسيزيد الله اهل عمان اسلاماً!!^(٦٤)..
وفعلا أسرع العمانيون بالدخول في الاسلام، وأرسل لهم النبي ﷺ رسله ورسائله، فما هي هذه الرسائل؟.

رسائل الرسول ﷺ إلى عمان وانتشار الاسلام فيها:

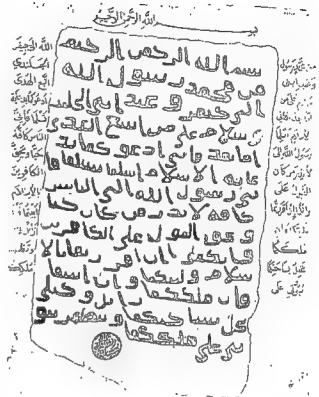
تختلف الروايات التاريخية حول التحديد الزمني لدخول الاسلام في بلاد عمان في زمن الرسول الكريم محمد ﷺ، سيما وأن المعلومات التاريخية المتوافرة لدينا تؤكد بأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان هو المبادر بدعوة حكام عمان الى الاسلام وهما جيفر وعبد ابني الجلندي^(٦٥)، بيد أن التضارب في الروايات التاريخية يكمن في تحديد الفترة التي اتصل فيها الرسول ﷺ بأهل عمان عارضاً عليهم دعوة الاسلام. فمن جهة تذكر رواية تاريخية ان النبي محمد عليه الصلاة والسلام اتصل بزعماء عمان بعد

صلح الحديبية سنة ٦ هـ^(٦٦)، بينما نجد ان رواية أخرى تحدد تاريخ المراسلة بفتح مكة المكرمة عام ٨ هـ^(٦٧)، وتذهب رواية ثالثة الى القول بأن تاريخ اتصال الرسول محمد ﷺ بحكام عمان هو بعد حجة الوداع^(٦٨).

وتؤكد المعلومات التاريخية أن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام أرسل عمرو بن العاص السهمي كمبعوث من لدنه الى جيفر وعبد ابني الجلندي^(٦٩)، ومهما يكن من أمر، فإن العلامة ابن خلدون يضع لنا مساحة زمنية للمراسلة تمتد من صلح الحديبية وحتى وفاة النبي محمد ﷺ^(٧٠). والرجح ان الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بعد الانتهاء من توقيع صلح الحديبية مع قريش تفرغ لنشر الاسلام خارج نطاق الحجاز وبالطرق الدبلوماسية، وذلك بمراسلة ملوك وزعماء الدول المجاورة ومنهم زعماء عمان.

ويمكننا القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد اهتم بتوسيع رقعة دولة الاسلام بعد فتح مكة وزوال المقاومة القرشية، حيث يعد هذا الحدث نقطة تحول حاسمة في تاريخ الاسلام والمسلمين، اذ أصبح الاسلام هو القوة الكبرى في بلاد العرب، سيما وأن مواقف القبائل العربية وزعماء الممالك كانوا يتربعون نتائج الصراع بين الاسلام وقريش وحلفائها.

فعندما فتح الله مكة للمسلمين أصبح الاسلام هو القوة المهيمنة، خاصة بعد أن وضعت قريش امكاناتها في خدمة الدعوة الإسلامية المتعاطفة، عند ذلك فضل



صورة من رسالة
الرسول إلى ملكي
عمان



الرسول محمد ﷺ أن يتصل بملوك الجوار وبالطرق السلمية. ومن هؤلاء الملوك المجاورين له، ملكا عمان: جيفر وعبد ابني الجلندي. فتروي لنا كتب التاريخ أن الرسول ﷺ بعث كتابا^(٧١) إلى أهل عمان، منها كتاب أرسله مع عمرو ابن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندي يقول فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنني أدعوكم بدعاية الإسلام، أسلما تسلمنا فإنني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل (أي تنزل) بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما».

وقد جاء نص هذه الرسالة في سيرة زين دحلان الذي روى أيضا عن مسلم عن أبي برزة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ رجلا إلى قوم فسيوه وضربوه فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «لو أهل عمان أتيت ماسبوك ولا ضربوك». وروى الإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأعلم أرضا يقال لها عمان ينضح بناحياتها البحر لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا بحجر».

كما ذكر ابن الأثير في أسد الغابة أن عمرو بن العاص قدم على الجلندي، فقال له: «يا جلندي أنك وإن كنت منا بعيدا فانك من الله غير بعيد، إن الذي تغرد بخلقك أهل أن تغرده بعبادتك، وألا تشرك فيه من لم يشركه فيك، وأعلم أنه يمينك الذي أحياك، ويعيدك الذي بذاك، فانظر في هذا النبي الأمي الذي جاء بالدنيا والآخرة، فإن كان يريد به أجرا فامنعه، أو يميل به هوى فدعه، ثم انظر فيما يجيء به، هل يشبه ما يجيء به

الناس، فإن كان يشبهه فسله العيان وتخبر عليه في الخير، وإن كان لا يشبهه فاقبل ما قال وخف ما وعد». قال الجلندي: «إنه والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يضجر، وأنه يفي بالعهد وينجز الموعد، وأنه لا يزال سر قد اطلع عليه يساوي فيه أهله، وأشهد أنه نبي».

وقد زاد ابن حجر في الإصابة أن الجلندي أنشد أبياتا منها:

من الحق شيء والنصيح نصيح
جلندي عمان في عمان يصيح
يتأدي بها في الواديين فصيح

أتاني عمرو بالتي ليس بعدها
فقلت له مازدت أن جئت بالتي
فيا عمرو قد أسلمت بعد جهرة

وقد روي أن هذا الكلام جرى بين عمرو وجيفر أما الشعر فقد روي أن للجلندي قولاً واحداً في أكثر من رواية. وفي رواية أخرى أن الحوار أيضاً جرى بينه وبين عمرو كما مر، فما هي حقيقة الجمع بين هذه الروايات؟ هل الجلندي المذكور هو جيفر بدليل أن كل ملك على عمان في ذلك الوقت يسمى الجلندي، أم أن الجلندي المذكور هنا هو والد جيفر وعبد؟، ويؤكد ذلك رواية أخرى أن النبي ﷺ وجه أبا زيد ثابت بن زيد أو عمرو بن أخطب سنة ست بكتاب إلى الجلندي وأنه أرسل عمرا سنة ثمان إلى جيفر وعبد وكتب معه الكتاب الذي سبق ذكره.

وقد جاء في إحدى الروايات أن عمرو بن العاص قال: «خرجت حتى انتهيت إلى عمان فعمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلها خلقاً، فقلت اني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك، فقال أخي المقدم علي بالسنة والملك وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك، ثم قال وما تدعو إليه، قال أدعوك إلى الله وحده، وتخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال ياعمرو، أنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك يعني العاص بن وائل، فإن لنا فيه قدوة، قلت مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ، ووددت له لو كان آمن وصدق به، وقد كنت قبل على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام، قال فمتى اتبعته. قلت قريباً، فسألني أين كان إسلامي، فقلت عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم، قال فكيف صنع قومه بملكه، قلت: أقروه واتبعوه، قال والأساقفة أي رؤساء النصرانية والرهبان، قلت نعم، قال انظر ياعمرو ما تقول إنه ليس من خصلة في رجل أفصح له أي أكثر فصيحة من كذب، قلت ما كذبت وما نستحل في ديننا، ثم قال ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي، قلت له بلى، قال بأي شيء علمت ذلك يا عمرو، قلت كان النجاشي يخرج له خراجاً فلما أسلم النجاشي وصدق بمحمد ﷺ قال لا والله ولو سألني درهمًا واحداً ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله فقال له أخوه ادعوا عبدك لا يخرج لك خراجاً ويدين ديناً محدثاً، فقال هرقل: رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به، والله لولا الظن بملكي لصنعت ما صنع، قال انظر ما تقول يا عمرو، قلت والله صدقتك، قال عبد فاخبرني ما الذي يأمر به وينهي عنه، قلت يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهي عن مصيئته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهي عن الظلم والعدوان وعن الرضا وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب، فقال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، ولكن أخي أظن بملكه من أن يدعه ويصير دنيا أي تابعاً، قلت له أن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردّها إلى فقيرهم، فقال إن هذا الخلق حسن، وما الصدقة؟، فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ في الأموال، ولما ذكرت المواسي قال ياعمرو يؤخذ من

سوائهم مواشيننا التي ترعى الشجر وترد المياه، فقلت نعم، فقال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا.

قال عمرو فمكثت أياما بباب جيفر وقد أوصل إليه أخوه خبري، ثم أنه دعاني فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي أي عضدي، قال دعوه فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه فقال تكلم بحاجتك، فدفعت إليه كتابا مختوما ففرض خاتمه فقرا، حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقراه، ثم قال. ألا تخبرني عن قریش كيف صنعت، فقلت تبعوه أما راغب في الدين وأما راهب مقهور بالسيف، قال ومن معه؟ قلت: الناس رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوه بعقولهم مع هدى الله إياهم، أنهم كانوا في ضلال مبين فما أعلم احدا بقي غيرك في هذه الحرجة، وإن كنت ان لم تسلم اليوم وتتبعه تطوُّك الخيل وتبيد خضرأك، أي جماعتك فاسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال. قال دعني يومي هذا وأرجع إلى غدا، فلما كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأتني لي فرجعت إلى أخيه فأخبرته اني لم أصل إليه، فأوصلني إليه فقال: اني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي، وهو لا تبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله ألفت أي وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى، قلت وأنا خارج غدا، فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه، فأصبح فأرسل إلي فأجاب إلى الاسلام هو وأخوه جميعا، وصدقا وخلييا بيني وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوننا على من خالفني واسلما وأسلم معهما خلق كثير. وتوفي رسول الله ﷺ وعمرو بعمان.

ونستدل من هذه الروايات أن النبي ﷺ أرسل كتابا مع أبي زيد الأنصاري سنة ست للهجرة إلى الجندی أو إلى جيفر وعبد كما في رواية، ثم أرسل كتابا آخر مع عمرو بن العاص سنة ثمان وكتابا ثالثا إلى أهل عمان رواه أبو شداد الدماثي من أهل دماء قال جاءنا كتاب النبي ﷺ في قطعة آدم: (من محمد رسول الله إلى أهل عمان أما بعد، فأقرؤا بشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأدوا الزكاة وخطوا المساجد والا غزوتكم)، قال أبو شداد فلم نجد أحدا يقرأ علينا ذلك الكتاب حتى وجدنا غلاما يقرأ فقراه علينا.

وهناك كتاب رابع من رسول الله ﷺ إلى أهل عمان، وذلك أن عبدا لله بن علي التمالي ومسلية بن هزان الحداني وهما من أهل عمان قدما في رهط من قومهما على رسول الله ﷺ فأسلموا ويأبى على قومهم وكتب لهم كتابا بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم. ونتيجة لهذه الكتب، ونتيجة لاتصال بعض أهل عمان المباشر بالرسول ﷺ أفرادا وجماعات، انتشر الاسلام في عمان انتشارا واسعا، ساعد على ذلك أن الرسول محمد ﷺ جعل حكم عمان بيد أبناء الجندی في حالة اعتناقهم الاسلام، وقوض ابن العاص في جمع الزكاة من أموال أغنياء البلاد بعد قبول الاسلام وتوزيع الأموال على من يحتاجها من الفقراء والمساكين، بدلا من إرسالها إلى عاصمة الاسلام في المدينة المنورة. وقد أثرت هذه السياسة النبوية الرحيمة في أهل عمان فأقبلوا على الاسلام دون تردد (٧٢).

وقد أجاب أبنا الجندی فعلا إلى الاسلام كما ورد عن ابن سعد الذي ذكر لنا نص ما قاله عمرو ابن العاص عن حسن إسلامهما وعن طاعتهما له، وأنه كان يأخذ الصدقات من الأغنياء فيردها على الفقراء (٧٣)، كما أن أبا زيد الأنصاري كان يقوم على تعليم أهل عمان الصلاة وقراءة القرآن وتعاليم الدين الاسلامي الحنيف (٧٤). زيادة

على ذلك فإن عاصمة الإسلام المدينة المنورة شهدت قدوم وفود عديدة من أهل عمان. وتذكر إحدى المصادر الأساسية أن وفدين عمانيين قدما للمدينة أحدهما برئاسة اسد بن بريح الطاحي والآخر برئاسة سلمة بن عياض الأزدي، معلنين إسلامهما وخضوعهما للسلطة الإسلامية في المدينة^(٧٦).

كما قيل بأن وفداً آخر للأزد قدم على رسول الله ﷺ، فقد روى أبو نعيم عن سويد ابن الحرث الأزدي رضي الله عنه قال: وفدت سبع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجب ما رأى من سمتنا وزينا فقال: ما أنتم أي ما صنعتُم، قلنا: مؤمنون، فتبسم عليه الصلاة والسلام، وقال: أن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم، قلنا خمس عشرة خصلة، خمس منها امرتنا بها رسلك أن نؤمن بها، وخمس امرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تترك شيئا منها فنتركه. فقال ﷺ: ما الخمس التي امرتكم بها رسلِي أن تؤمنوا بها؟ قلنا امرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال: والخمس التي امرتكم رسلِي أن تعملوا بها، قلنا: امرتنا أن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت أن استطعنا إليه سبيلا، قال: وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية، قلنا الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضاء بمر القضاء والصديق في مواطن اللقاء وترك الشماتة بالأعداء، فقال: حكماء وعلماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء، ثم قال: وأنا أزيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة^(٧٧).

إن كنتم كما تقولون أي متصفين بالخمس عشرة التي ذكرتم، فلا تجمعوا مالا تأكلون، ولا تبثوا مالا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غدا زائلون، وأتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلصون فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام^(٧٨).

ولذلك لا عجب أن نجد الرسول الكريم ﷺ يدعو لأهل عمان قائلا: «رحم الله أهل الغبراء (أي أهل عمان) آمنوا بي ولم يروني»^(٧٩).

وما دعا الرسول الكريم لأن يثني ويدعو لأهل عمان بالخير إلا لأنه ﷺ كان قد علم بإسلام ملكي عمان إسلاما خالصا مخلصا من كل شائبة وسوء. يدل على ذلك أن الروايات التاريخية تتفق جميعها على أنهما استجابا لدعوة الرسول ﷺ دون تردد أو خوف أو ضعف، والذين رفضوا اعتناق الإسلام، في الوقت الذي شعر فيه عبد وجيفر بأن الإسلام أضحي سلاحا روحيا قويا يقوي من عزيمته مواطنيهم ويشد همهم لطرد الفرس الأجانب وتخليص البلاد من الأعاجم الغريبة. ولذلك اجتمعت قبائل الأزد إلى جيفر بن الجندى وقالوا: «لا يجاورنا العجم بعد هذا اليوم» واجتمعوا على إخراج الفرس من بلادهم. ودعا جيفر زعماء الفرس وقال لهم: «أنه قد بعث منا (نحن) العرب نبي، فاختاروا منا إحدى حالتين: إما أن تسلموا وتدخلوا فيما دخلنا فيه، وإما أن تخرجوا عنا بأنفسكم فأبوا أن يسلموا وقالوا لن نخرج، فعند ذلك اجتمعت الأزد فقاتلوهم قتالا شديدا هزمت فيه الفرس، ثم تحصن بقيتهم في دستجرد، فحاصروهم أشد الحصار، ولما طال عليهم ذلك الحصار طلبوا الصلح فصالحوهم على أن يتركوا كل سفراء وبيضاء ومال وكراع ويحملوهم بأهاليهم وحاشيتهم في سفينة حتى يقطعوا إلى أرض فارس فأجابوهم إلى ذلك وخرجوا من عمان^(٨٠).

وبعد أن تحقق حلم العمانيين في طرد الفرس من بلادهم والتخلص من مزاحمتهم

ونفوذهم، بقي جيفر وعبد ابن الجندى يحكمان عمان بينما استمر عمرو بن العاص عاملاً للرسول ﷺ يجمع الصدقات^(٨٠)، حتى بلغه وفاة النبي ﷺ، فعاد إلى المدينة، وبدأت الدولة الإسلامية تدخل في عصر جديد هو عصر الخلافة الراشدة، فما هي العلاقة التي كانت بين عمان والخلفاء الراشدين؟

عمان في عصر الخلفاء الراشدين

أبو بكر الصديق يشيد بحسن إسلام العمانيين :

حين غادر عمرو بن العاص عمان كان مطمئناً إلى حسن إسلام العمانيين، فعاد إلى المدينة بعد وفاة سيد البشر عليه الصلاة والسلام، وصحبه وفد من العمانيين كان على رأسهم عبد بن الجندى أحد ملكي عمان، وجعفر بن جشم العتكي، وأبو صفرة سارق بن ظالم، ولما دخل الوفد العماني على سيدنا أبي بكر الصديق، خليفة رسول الله ﷺ، قام سارق بن ظالم وقال:

«يا خليفة رسول الله ﷺ ويا معشر قريش هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا، وودعية لرسول الله ﷺ، فقد برئنا إليكم منها»^(٨١).

وقد شكرهم أبو بكر الصديق، وقام الخطباء بالثناء عليهم والمدح فقالوا: كفاكم معاشر الأزد قول رسول الله ﷺ وثناؤه عليكم أما عمرو بن العاص فلم يدع شيئاً من المدح والثناء إلا قاله في أزد عمان.

ثم جاءت وجوه الأنصار في المدينة المنورة من الأزد وغيرهم، ليسلموا على عبد بن الجندى ومن معه.

فلما كان من الغداة أمر أبو بكر فجمع الناس من المهاجرين والأنصار، وقام أبو بكر الصديق خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وآله وقال:

«معاشر أهل عمان!! أنكم أسلمتم طوعاً لم يطأ رسول الله ساحتم بخف ولا حافر»^(٨٢)، ولا عصيتموه كما عصيه غيركم من العرب، ولم ترموا بفرقة ولا تشتت شمل، فجمع الله على الخير شملكم، ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم، وأطعتموه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم، فأني فضل أبر من فضلكم!! وأي فعل أشرف من فعلكم!! كفاكم قوله عليه السلام شرفاً إلى يوم المعاد!! ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرماً ورحل عنكم إذ رحل مسلماً!! وقد من الله عليكم بإسلام عبد وجيفر ابني الجندى، وأعزكم الله به وأعزه بكم!!.

كنتم على خير حتى أتتكم وفاة رسول الله ﷺ، فآظهرتم ما يضاف إلى فضلكم، وقمتم مقاماً حمدتاكم فيه. ومحضتم بالنصيحة وشاركتكم بالنفس والمال، فثبت الله به السنتكم ويهدي به قلوبكم، وللناس جولة فكونوا عند حسن ظني بكم! ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ولا أن ترجعوا عن دينكم. جزاكم الله خيراً»^(٨٣).

والحق أن خطبة أبي بكر الصديق في الوفد العماني برئاسة عبد بن الجندى وفي جمع من المهاجرين والأنصار، لهي وثيقة هامة وخطيرة الشأن في حسن أخلاق العمانيين وكرم وفادتهم، وفي حسن إسلامهم وفي ثباتهم على الإسلام بعد أن أسلموا.

واتبع أبو بكر موقفه العظيم من الوفد العماني بإرسال كتاب إلى أهل عمان يشكرهم ويثني عليهم. وأقر خليفة رسول الله جيفر وأخاه عبداً على ملكهما، وجعل لهما أخذ الصدقات من أهلها وحملها إليه.

وتذكر الروايات العمانية أن جيفرا وأخاه عبدا لم يزلَا في عمان متقدمين إلى ان ماتا وخلفا من بعدهما عباد بن عبد بن الجندى في زمن عثمان وعلي (٨٤).

أهل عمان ورثة العرب:

تذكر الروايات العمانية أن عبد بن الجندى لما قدم علي أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الوفد العماني، استنهضه الخليفة في مقاتلة الرجعة، أي المرتدين، وسير الخليفة سرية وأمره عليها. فخرج عبد بن الجندى على رأس السرية حتى واثى ديار آل جفنة (٨٥)، وكان في السرية حسان بن ثابت الانصاري، وأبلى عبد بن الجندى بلاء عظيما، وحين عادت السرية من ديار آل جفنة قام حسان بن ثابت وقال: «قد شهر مقام عبد في الجاهلية والاسلام، فلم أر رجلا أحزم ولا أحسن رأيا وتديبرا من عبد، وهو والله ممن وهب نفسه لله في يوم غارت صباحه وأظلم صباحه» (٨٦). وقد سر ذلك أبا بكر الصديق وقال: «هو يا أبا الوليد كما ذكرت، والقول يقصر عن وصفه، والوصف يقصر عن فضله» (٨٧).

ولسم نسمع عن حركة ردة في عمان اللهم الا حركة ذكرها البلاذري (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) في فتوح البلدان، والطبري في تاريخه (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، وابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م)، ومن أخذ عنهم مثل ابن الاثير (ت ٦٣٠ / ١٢٢٢م) في كتابه «الكامل في التاريخ». فيذكرون ان الازد ارتدت منها فرقة بقيادة لقيط بن مالك ذو التاج الأزدى وانحازت إلى دبا. فوجه أبو بكر الصديق اليهم حذيفة بن محصن الغلفاني (أو حذيفة بن محصن البارقى) من الأزد، وعكرمة بن ابي جهل بن هشام المخزومي، أو عرفجه البارقى، فواقعا لقيطا ومن معه فقتلاه، وسبوا من أهل دبا سبيا بعثا به إلى أبي بكر رحمه الله. وقيل ان لقيط بن مالك كان يسمى في الجاهلية الجندى، وألجا جيفرا وعبدا إلى الجبال والبحر، وأن جيفرا كتب إلى أبي بكر يخبره بذلك ويطلب منه النصرة. وقد أمر أبو بكر الصديق قائدیه أن يجدا في السير حتى يقدمَا عمان، فاذا كانا قريبين منها كاتبَا جيفرا وعبدا وعلما برأيهما. ومهما كان الامر فقد انتهت هذه الحركة، وأقبل وفد عمان إلى المدينة لتوضيح وجهة نظر العمانيين في أصل هذه الحركة.

وحيث وصل وفد عمان إلى المدينة، توفي أبو بكر الصديق، خليفة رسول الله، وتولى عمر بن الخطاب الخلافة، فأمر عمر برد سبى دبا بعد أن عنف حذيفة تعنيفا شديدا (٨٨). وفي هذا المجال نشر هنا إلى رأي العلامة العماني نور الدين أبي محمد عبدالله ابن حميد بن سلوم السالمي - وهو من علماء القرن الرابع عشر الهجري والعشرين الميلادي - فهو يقرر دائما أن المصادر العمانية هي الاصل الذي يجب أن نستند عليه في تاريخ عمان، وحين يتكلم عن قضية دبا وما قيل عن حركة الردة فيها يقول: «هذا حاصل قضية دبا من الكتب العمانية وهم أعرف بحالهم وبما عليه أوائهم ولا يصح ما ذكره ابن الاثير في كامله» (٨٩).

وفعلا تشير أقدم الروايات العمانية إلى انه لم تحدث حركة ردة في عمان وتنفي ذلك نفيا قاطعا فيقول: الشيخ خلف بن زياد المتوفي سنة ١٢٤هـ / ٧٥١م في سيرته: (بلغنا أن أبا بكر بعث إلى أهل عمان مصدقا يأخذ صدقات أموالهم وهم مقرون بالحكم كله فاعطوا الصدقة، غير أن امرأة من أهل دبا تشاجرت مع بعض المصدقين

فقرعها فاستغاثن ببعض أهلها، فنادت عند ذلك يا آل مالك، وكانت دعوة جاهلية يقال ان من دعا بها حل دمه حين يدعو بها، فاقتتلوا عند ذلك وظهر المصدقون عليهم فجاءهم حذيفة الغلفاني فسبى من قدر عليه من أهل دبا وقدم بهم إلى المدينة ووصل وفد عمان إلى المدينة، وقد توفي أبو بكر فرد عمر بن الخطاب عليهم السبي وأموالهم وأجاز المسلمين بما أصيب منهم بثلاثمائة^(٩٠). ونلاحظ ان هذا المؤرخ سابق لكل من البلاذري والطبري وأبن الأثير وغيرهم، مما يجعله جديرا بالقبول والتصديق.

استقرار الأمور في عمان بعد حادثة دبا :

وعلى أية حال ، فقد استقرت الأمور في عمان وظلت السلطة فيها بيد آل الجلندی في عهد الخلفاء الراشدين رغم وجود معلومات تاريخية تؤكد أن الخليفتين أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضوان الله عليهما قد عينا ولاية عمان. بيد أن الذي نود قوله في هذا المجال ان سلطات أبناء الجلندی لم تحد، وظلت مصالحهم ونفوذهم بدون مساس، والظاهر ان تولية هؤلاء العمال كان من باب تأكيد حضور السلطة المركزية للدولة العربية الإسلامية في عمان، اذ ان دور الولاية كان مقتصرًا على جمع الصدقات وتعليم السنن ومبادئ الاسلام وتعاليمه، ثم التنسيق مع آل الجلندی والسلطة الإسلامية في المدينة وأبداء الرأي والتشاور^(٩١).

وكان يكفي سلطة الاسلام المركزية استتباب الأوضاع السياسية في بلاد عمان بما يكفل لها توجيه الجهود نحو إعادة توحيد الدولة العربية الإسلامية، وتوجيه الطاقات نحو عمليات الفتوح في جبهات المشرق والشمال، وقد كان لأهل عمان دور مؤثر فيها. هذا والجدير بالذكر أن الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد ولي حذيفة بن محصن على عمان وقد استمر في صدر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعاونه بلال الأنصاري^(٩٢). وحدث تطور جذري في علاقة عمان بالسلطة المركزية الإسلامية عندما الحق الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إدارة عمان بإدارة البصرة فجعلها تابعة من الناحية العسكرية والسياسية لإدارة البصرة^(٩٣).

ويفسر هذا الاجراء بأن السلطة المركزية الإسلامية كانت بحاجة لتزويد الجبهة الشرقية بمقاتلين دعماً للجهاد العسكري العربي الإسلامي. ولم تتأثر سلطات آل الجلندی بهذا الاجراء اذ استمروا برسم سياستهم الإدارية والتجارية في عمان التي ظلت محتفظة بطابعها الخاص في ظل دولة الاسلام في العهد الراشدي.

وبناء عليه، فإن لحضور قبائل الأزد وقضاة وغيرهم من قبائل عمان الدور الفعال في عمليات الفتح في المشرق^(٩٤). فبعد انتصار المسلمين في معركة جلولاء، توجهت حملة عسكرية بقيادة عثمان بن أبي العاص بالمراكب نحو السواحل الشرقية من الخليج، وساهم في الحملة مقاتلون من قبائل الأزد ورأسب وعبد القيس، وانطلقت الحملة من جلفار إلى جزيرة ابن كاوان وتم تحريرها من السيطرة الفارسية. وتمكن المسلمون من دحر القوات الفارسية في جزيرة القسم «قشم» وبذلك وسعوا من رقعة الدولة العربية الإسلامية^(٩٥).

وتجاهل المصادر الأساسية عن ذكر اسم لأحد الولاة التابعين للخلافة العربية الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويبدو أن السلطة الإسلامية اكتفت بإدارة البصرة وبوجود آل الجلندی في عمان.

وشهدت عمان تعيين الوالي الحلو بن عوف الأزدي في عهد الخليفة علي بن أبي

طالب رضي الله عنه^(٩٦). وهذا التعيين يدل على احترام خصوصية عمان، طالما ظلت على ولائها لسلطة الدولة الإسلامية. هذا ولم تتأثر العلاقة السياسية بين هذه السلطة وعمان إبان الحرب الأهلية التي أعقبت مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وخلافة علي بن أبي طالب. فلم يكن لقبائل عمان دور في الفتنة ولا بمقتل الخلفاء، بل وجدت الإدارة في عمان نفسها طليقة أكثر من ذي قبل تجاه سلطة الدولة العربية الإسلامية^(٩٧).

اشترك عمان في الفتوحات الإسلامية :

امتدت الفتوح العربية الإسلامية الكبرى منذ وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢م) حتى أواخر العصر الأموي، أي مدة قرن وبعض القرن، وأصبحت الأراضي التي يسيطر عليها العرب تمتد إلى الهند والصين شرقاً، وإلى المحيط الأطلسي أو بحر الظلمات غرباً، ومن البحر الأسود والبحر المتوسط وجبال البرانس شمالاً إلى بحر العرب وصحاري السودان جنوباً. وانتشر الإسلام في بلاد كثيرة من المعمورة وفي مساحات أوسع بكثير من البلاد التي فتحها العرب وذلك بفضل المؤمنين المسلمين من العلماء والفقهاء والدعاة والتجار. وكان للعُمانيين دور كبير في نشر الإسلام في أماكن وصلها الفاتحون. لم يصلها الفاتحون.

وفيما يتعلق بالفتوحات الإسلامية الأولى فإن الدراسات العلمية التاريخية توضح الكثير عن مدى اشترك قبائل الأزدي العمانية في تلك الفتوحات، وعن تفرق واستقرار بعض قبائلها وبطونها في البلاد المختلفة وعن الميادين الرئيسية لجهد العُمانيين في البر والبحر أثناء تلك الفتوحات العظيمة، خاصة وأن العُمانيين عرفوا بالفضل في الجهاد بالنفس أو بالمال.

ومن الروايات التاريخية القليلة التي وصلتنا نعرف أن الخليفة عمر بن الخطاب طلب من والي عمان عثمان بن أبي العاص الثقفي، بعد وقعة جلولاء (١٦هـ/ ٦٣٧م) أن يقطع البحر لمحاربة كسرى فارس. فخرج معه ثلاثة آلاف محارب، أو ألفان وستمائة، أغلبهم من الأزدي، ومن جلفار^(٩٨) إلى جزيرة كاوان وفيها قائد العجم، فسالم القائد الفارسي عثمان بن أبي العاص ولم يقاتله.. ولما علم يزيدجرد كسرى فارس بذلك، كتب إلى عظيم كرماني: «أن أقطع إلى جزيرة بني كاوان، فحل بين العرب الذين بها وبين اخوانهم». فقطع في ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من هرمز إلى رأس القسم (واسمها جاش فعر بوها)، فلقبه ابن أبي العاص في جزيرة القسم فتقاتلوا قتالا شديداً، فقتل الله شهرك وهزم المشركين. وقيل إن يزيدجرد وجه شهرك (أو ابن الحمراء) إلى العرب في أربعين ألفاً من الأساورة^(٩٩)، وتم هذا النصر العربي على يد العُمانيين، كما كان قتل شهرك بيد العُمانيين.

ولا شك أن انتصار أهل عمان الحاسم على شهرك كان من أهم الأسباب التي قضت على تطوعات الفرس في تطويق العرب من الجنوب أو من الشرق. وقد قضى هذا الانتصار العُماني على فرصة أخيرة للفرس لاستعادة ملكهم أو للانتصار على العرب. ولم تقتصر مجهودات العُمانيين على صد الهجمات الفارسية في الجبهة الجنوبية وإنما شاركوا في الفتوحات على الجبهات الأخرى ومنها الجهة العراقية، وبلغ من كثرة الأزدي العُمانيين في الفتوحات أن خصص لهم حي خاص بهم في البصرة بعد انشاء

المدينة في زمن عمر بن الخطاب، وبقي العمانيون يقومون بواجباتهم الدينية في الجهاد على مر العصور^(١٠٠).

كما بقي العمانيون يقومون بدور هام في الفتوحات بعد وفاة عمر بن الخطاب وتولى عثمان الخلافة وازدادت هجرات الأزد العمانيين في هذه الفترة إلى العراق وخاصة البصرة التي أصبحت مركزاً وعاصمة للولايات الشرقية في عهد الدولة الأموية، وكان لابد أن تقوم علاقات سواء كانت علاقات سلمية أم غير سلمية بين عمان وبين هذه الدولة، فما هي قصة هذه العلاقات؟.

عُمان والدولة الأموية :

حين أطلت الفتنة بين المسلمين في زمن عثمان بن عفان، وحين قبل علي بن أبي طالب التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، بدأت عمان تكون رأياً سياسياً مخالفاً لما قامت عليه خلافة بني أمية ثم استقلت تماماً عن الدولة الأموية وذلك منذ سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م بعد اجتماع الحكيم - عمرو بن العاص وعبدالله بن قيس أبي موسى الأشعري - وخطعهما علياً بن أبي طالب من خلافة المسلمين.

وتجمع المصادر والروايات التاريخية العمانية على القول بأنه بعدما وقعت الفتنة وافتقرت الأمة وصار الملك والسلطان إلى معاوية بن أبي سفيان، لم يكن لمعاوية شيء من الشأن أو السلطان في عمان^(١٠١) ذلك أن مركز السلطة المركزية للدولة العربية الإسلامية انتقل من الكوفة إلى دمشق بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة سنة ٤١هـ لصالح معاوية بن أبي سفيان. وكانت اهتمامات الخليفة الأموي في الدرجة الأساسية استتباب الأمن والاستقرار في أقاليم الدولة العربية الإسلامية الرئيسية ومن جملتها العراق حيث عهد لإدارة الكوفة للمغيرة بن شعبة الثقفي وجعل لولاية البصرة عبدالله بن عامر ثم عين زياد بن أبيه الثقفي عام ٤٥هـ / ٦٦٥م بدلاً منه^(١٠٢).

ورغم هذه التطورات السياسية التي طرأت في سلطة الدولة العربية الإسلامية، إلا أن إدارة عمان ظلت تحت سيطرة آل الجندى إذ بقوا محافظين على استقلالهم الإداري وخاصة في صدر الدولة الأموية، ولعل انتقال مقر الحكم العربي الإسلامي من الكوفة إلى دمشق قد جعل عمان أكثر استقلالاً نظراً لبعدها الجغرافي، ومما يدل على ذلك أن السلطة المركزية الأموية لم تعين أي وال من جانبها على عمان^(١٠٣).

وعلى فرض أن آل الجندى رفضوا الانقياد للخلافة الأموية فإن الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان من القوة بحيث يستطيع أن يعيد الأمور السياسية إلى ما كانت عليه بل وأكثر كما سيفعل الحجاج بن يوسف مستقبلًا، سيما وأن ولاته في البصرة والكوفة قد تمكنوا من فرض النظام والأمن بقمع حركات المعارضة ضد الحكم الأموي^(١٠٤)، ولكن معاوية لم يفعل ولم يتعرض لعمان بسوء.

ومهما يكن من أمر، فقد بدأ الوضع السياسي يضطرب في الأقاليم خلال حكم يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤هـ / ٦٧٩ - ٦٨٣م) وبدأت المعارضة تنشط في الحجاز والعراق عقب تنازل معاوية بن يزيد سنة ٦٤هـ عن دست الحكم وترك منصب الخلافة شاغراً، مما أفسح المجال للقوى السياسية في الدولة العربية الإسلامية أن تتصارع من أجل نيل الحكم^(١٠٥). ويعني هذا فقدان سيطرة السلطة المركزية للخلافة على الأقاليم الأطراف. وتأسيساً على ذلك، فقد ظهر على مسرح الأحداث نجدة بن عامر

الحنفي زعيم الخوارج الذي تمكن من السيطرة على البحرين وتطلع الى مد نفوذه الى عمان. وبغية تحقيق هدفه هذا، أرسل حملة عسكرية إلى عمان بقيادة عطية بن الأسود الحنفي... وكانت عمان أنثى تحت حكم عباد بن عبد بن الجندى يعاونه أبناءه سليمان وسعيد في تدبير أمور عمان السياسية والتجارية... تمكن عطية الحنفي من مفاجأة آل الجندى بقواته حيث تمكن من القضاء على عباد الجندى واستولى على عمان بالقوة وبهذا خرجت من قبضة السلطة العربية الاسلامية^(١٠٦).

ولم يكن اختيار المحكمة للبصرة والبحرين وعمان والأهواز ومناطق أخرى تقع في المغرب العربي دون حسابات وتقدير دقيق، ذلك لأن المحكمة قد تأكد لديها بالتجربة المموسة أن لا طاقة لهم بتحدي السلطة المركزية الأموية بشكل مباشر، وإنما فضلوا تحاشي القوات الأموية بأسلوب المجابهة المباشرة واتبعوا أسلوب القتال المفاجيء، واختاروا الاقاليم البعيدة من مركز الدولة، وكثفوا نشاطاتهم في المناطق التي تتمتع بمميزات طبيعية تسهل عليهم عمليات المناورة العسكرية والأنقضاض.

ومن هذا المنطلق حرص الخوارج على ضم عمان إلى مناطق نفوذهم لما تتميز به من موقع جغرافي مهم وحصين... كما أن انشغال الدولة العربية في عهد مروان بن الحكم وابنه عبد الملك بن مروان من سنة (٦٤هـ / ٧٣هـ وحتى ٦٨٣م / ٩٦٢م) بالقضاء على حركات المعارضة الواحدة تلو الأخرى وبإعادة توحيد الدولة العربية الاسلامية قد هيا الظروف المناسبة للخوارج في الخليج العربي بالقيام بنشاطاتهم^(١٠٧).

والواقع أن أبناء الجندى كانوا يحصلون على تأييد شعبي كبير في عمان، وكانوا يتحينون الفرص للتخلص من تسلط الخوارج، وقد حانت الفرصة عندما قفل القائد الخارجي عطية الحنفي راجعا الى البحرين تاركا وراءه كناثب عنه أبا القاسم في ادارة شؤون عمان.

في هذه الظروف المواتية، انقض العثمانيون بقيادة آل الجندى على أبي القاسم وقضوا عليه وعلى قواته وخلصوا عمان من سيطرة الخوارج، وعثا حاول القائد مرة أخرى استرجاع عمان الى مناطق نفوذه ذلك لأنه وجد مقاومة شديدة من قبل أهل عمان وبذلك فشلت جهود الخوارج في السيطرة على هذا الجزء المهم من بلاد العرب^(١٠٨)، ولكن الحجاج بن يوسف الثقفي نجح في ذلك. والواقع أن تعيين الحجاج بن يوسف الثقفي كامير على العراق والمشرق الاسلامي سنة ٧٥هـ / ٦٩٤م من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان يعتبر نقطة تحول هامة في تاريخ العلاقات بين سلطة الدولة العربية المركزية، وعمان ذلك لأن توجه الحجاج بن يوسف السياسي كان نحو مركزية الحكم وجعل جميع الاقاليم التابعة له مرتبطة بإدارته المركزية بصورة مباشرة. ولذلك لا غرابة أن نجد الحجاج بن يوسف يضع عمان ضمن مخططه وجعلها تحت حكم إدارته المباشرة^(١٠٩).

ويذكر أحد المؤرخين المحدثين أن قبائل الأزدي في عمان بقيادة سعيد وسليمان أبناء عباد بن عبد بن الجندى بن المستكبر قد أعلنوا المقاومة ضد سياسة الحجاج بن يوسف الثقفي^(١١٠). بيد أننا لم نجد تحديدا دقيقا لموقف أبناء الجندى، وهل كان هذا الموقف ضد سياسة الحجاج بن يوسف التي باتت تهدد نفوذهم في عمان، أم ضد سياسة الدولة الأموية والخليفة عبد الملك بن مروان.

ومن خلال الاطلاع على آراء المؤرخين العمانيين نجد أن معارضة أهل عمان للحكم الأموي كانت تعزي لسياسة الحجاج بن يوسف بشكل خاص، إذ يحملونه المسؤولية فيما حدث من مجابهة عسكرية بين القوات الأموية وأهل عمان^(١١١)، فقد وجد آل الجلندي في سياسة الحجاج بن يوسف تهديدا حقيقيا لمصالحهم وإشارة واضحة لزوال استقلاليتهم في إدارة عمان تلك الإدارة التي استمرت أكثر من ثمانين سنة في ظل الدولة العربية الإسلامية.

ويذكر مؤرخ محدث أن العمانيين كانوا قد رفضوا دفع الزكاة إلى السلطة المركزية للدولة الأموية منذ تسلم معاوية بن أبي سفيان للحكم، وظلوا على هذا الحال حتى خلافة عبد الملك بن مروان^(١١٢)، كما يضيف نفس المؤرخ في موضع آخر أن قبائل الأزدي في عمان قامت بثورة تزعمها سعيد وسليمان أبناء عباد بن عبد بن الجلندي بن المستكبر. ثم يشير إلى النزعة الاستقلالية التي حرص عليها آل الجلندي مستغلين التطورات السياسية التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية منذ وصول معاوية بن أبي سفيان لدست الحكم إلى حد أنهم لم يعترفوا بخلافة معاوية بن أبي سفيان^(١١٣)، ولا شك أن مثل هذه الاستنتاجات قد استندت على مصادر عمانية وأخرى غير عمانية^(١١٤) رغم وجود مؤرخين عمانيين يرفضون بشكل حاسم فكرة نقض عمان لطاعة السلطة المركزية في العصر الأموي. ومهما يكن من أمر، فإن النظر إلى قرار الحجاج بن يوسف بإنهاء استقلالية آل الجلندي بإدارة بلاد عمان، يجب أن يدخل ضمن نطاق التطورات السياسية والإدارية التي شهدتها الدولة العربية الإسلامية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، وخاصة بعد القضاء على حركات المعارضة وإعادة توحيد الدولة العربية الإسلامية. ذلك لأن السلطة المركزية العربية لم تعد تحتل الصيغة القديمة في العلاقة التي كانت تربط عمان بالخلافة العربية الإسلامية، ومن خلال هذا المنظور يمكننا أن نفهم طبيعة الأحداث وأسبابها إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار السياق العام لسياسة الدولة الأموية في هذه الحقبة التاريخية على ضوء التطورات السياسية التي حتمت مثل هذه السياسة.

والواقع أن المصادر الأولية لاتسعتنا بالمعلومات الوافية عن أسباب هذا التبدل في العلاقات والتي انتهت إلى الصدام العسكري.. فإلى المعلومات شحيحة وقليلة ولا تساعدنا على معرفة كل الظروف والملايسات التي أدت إلى انتهاء صيغة العلاقة التي كانت سائدة في السابق بين عمان ومركز الخلافة. كما أن اهتمام المؤرخين القدماء بالأحداث التي تقع في مركز الدولة العربية الإسلامية والأقاليم الرئيسية هو أحد الأسباب في قلة المعلومات، إذ أن هؤلاء المؤرخين كانوا لا يذكرون من الحوادث إلا ما يتصل بمركز الحكم^(١١٥).

وعلى أية حال ، فإن تاريخ بدء الحملات العسكرية غير محدد، ولكن يرجح أن يكون تاريخ أول حملة عسكرية على عمان قبيل حركة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ٨١ - ٨٣ هـ / ٧٠٠ - ٧٠٢ م، وقد كانت نتيجتها الفشل الذريع^(١١٦). والحال هذا فإن أول حملة عسكرية كانت عن طريق البحر وبقيادة القاسم بن شعوة المزني، وقد رست سفن هذه الحملة في ساحل حطاط فلاقته مقاومة شديدة من أهل عمان، واندحرت الحملة وقتل قائدها القاسم^(١١٧). وعندما وصلت أنباء الهزيمة للحجاج بن يوسف شعر بجديّة الموقف، فاتخذ جملة من الترتيبات العسكرية التي تؤمن له نجاح

حملاته في المستقبل.

وأول هذه الإجراءات هي تطويق وحجز قبائل الأزد الموجودة في البصرة، حتى لا تمتد يد المساعدة إلى أزدي عمان. والأجزاء الثاني يكمن في إرسال حملتين عسكريتين نحو عمان. وقد ترأس أولى هاتين الحملتين مجاعة بن شعوة المزني وهو أخ القائد القاسم الذي لقي حتفه في الحملة الأولى، بلغ عدد المقاتلين أربعين ألفاً، وقسمت القوات إلى قسمين قوة تسلك طريق البر وأخرى تأخذ طريق البحر، وتم تجزئة القوات مناصفة، فكل قوة أصبحت عشرين ألف مقاتل^(١١٨). وجعل الحجاج بن يوسف كل المقاتلين من النزاريين الذين لا يمتون للأزد بصلة، كما استغل إعطاء القيادة لمجاعة فهو مدفوع نحو العمانيين لأنهم كانوا المسؤولين عن هلاك أخيه.

انطلقت القوتان البرية والبحرية نحو عمان، وكتب الحجاج بن يوسف للخليفة عبد الملك بن مروان يحيطه علماً بإجراءاته العسكرية. المهم أن الحملة البرية وصلت قبل الحملة البحرية. وكان سليمان بن عباد الجندى على استعداد بمعظم قوات أهل عمان للتصدي للقوات الأموية حيث وقعت المجابهة عند منطقة الماء دون البلقعة وتقع الآن شرق فلج الشام من وادي بوشر بالقرب من مسقط، فدارت الدائرة على الجيش الأموي وحلت به الهزيمة^(١١٩).

ويبدو أن أبناء الجندى كانوا يعدون العدة لملاقاة الجيش البري الذي أرسله الحجاج بن يوسف ولم يحسبوا حساب القوة العسكرية القادمة من البحر والتي أنزلت قواتها في جلفار «رأس الخيمة» حالياً وكان يقودها مجاعة المزني في حين أننا نجهل اسم قائد الحملة البرية. بعدها وصل مجاعة المزني إلى بركاء الساحلية. وقد اضطر سعيد بن عباد الجندى أن يتصدى لهذه القوات الكبيرة رغم ضلّة قواته واجتهد القتال في النهار حتى حلول الظلام بحيث استغل سعيد هذا الطرف فانسحب نحو الجبل الأخضر مع ذراريه وذري أخيه سليمان^(١٢٠).

عندما علم سليمان بنزول القوات الأموية عن طريق البحر، عمد إلى السفن الأموية وحرق أكثر من خمسين سفينة منها وانسحبت البقية بمن فيها من المقاتلة نحو البحر ثم إلى «جلفار»، بعد أن تمكن سليمان من هزيمة قوات مجاعة قرب سمائل^(١٢١).

ومن هناك كتب للحجاج يعلمه بظروفه العسكرية الصعبة، فأمده الحجاج بن يوسف بقوات جديدة تبلغ خمسة آلاف مقاتل. وتتكون هذه القوات من أهل الشام الذين سبق وأن استخدمهم الحجاج بن يوسف في قمع حركة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي^(١٢٢). وتؤكد رواية تاريخية بأن ابني الجندى سعيد وسليمان قد حوصرا في الجبل الأخضر، وأن كفة الصراع لم تكن في صالحهما، وذلك لتناقص امكاناتهم العسكرية والبشرية، في حين أن امكانات القوات الأموية كانت مستمرة في التصاعد. ويضاف إلى ذلك أن القوات الأموية تمكنت من الاستيلاء على مدن الساحل، وبذلك ضعفت روح المقاومة عند أبناء عمان. فقرر سعيد وسليمان أبناء عباد الجندى اللجوء إلى ساحل أفريقيا الشرقي في بلاد الزنج وتركوا عمان لقوات الحجاج بن يوسف، حيث أصبح لهم دور مشرف في نشر الاسلام في هذه الأصقاع^(١٢٣).

وبهذه فقدت عمان استقلالها وأصبحت مرتبطة مباشرة بالإدارة المركزية لولايه الحجاج بن يوسف في العراق. وعين الحجاج الخيار بن سبرة المجاشعي والياً على عمان وظل الأمر على هذا الحال إلى أن توفي عبد الملك بن مروان وولى الدولة ابنه الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٥ م)، ولما توفي الحجاج بن يوسف الثقفي في سنة

٩٥ هـ / ٧١٤ م ولي الوليد بن عبد الملك على العراق يزيد بن أبي مسلم، فبعث يزيد والياً جديداً على عُمان هو سيف بن الهاني الهمداني^(١٢٤).
 ويلاحظ أنه بعد أن تولى سليمان بن عبد الملك الدولة الأموية (٩٦ - ٩٩ هـ / ٧١٥ - ٧١٧ م) بدأت قبضة الأمويين تخف عن عُمان، وبدأ العمانيون يستعيدون استقلالهم الداخلي تدريجياً، فحين تولى سليمان بن عبد الملك، عزل العمال الذين كانوا على عُمان، وولى عليها صالح بن عبد الرحمن بن قيس الليثي، ثم رأى أن يكون عمال عُمان على ما كانوا عليه فردهم، وجعل صالح بن عبد الرحمن مشرفاً عليهم.
 ثم نرى سليمان بن عبد الملك يولي يزيد بن المهلب الأزدي على العراق وخراسان، فولي يزيد أخاه زياداً على عُمان. وتقول الروايات العمانية عن زياد «فلم يزل عاملاً عليها محسناً إلى أهلها حتى مات سليمان بن عبد الملك»^(١٢٥).
 وتمضي الرواية العمانية فتقول أنه لما تولى عمر بن عبدالعزيز الدولة الأموية (٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧٢٠ م)، ولي عدي بن أرطاة الفزاري على العراق، وولى عدي على عُمان عمالاً أساءوا السيرة فيها، فكتب العمانيون إلى عمر بن عبدالعزيز بذلك، فولى عليهم عمر بن عبدالله الأنصاري، فأحسن السيرة فيهم، ولم يزل والياً على عُمان مكرماً بين أهلها، يستوفي الصدقات منهم يطية أنفسهم حتى وفاة عمر بن عبدالعزيز. ويبدو أن عُمان أصبحت تتمتع بدرجة كبيرة من الاستقلال الداخلي منذ حكم سليمان ابن عبد الملك، وحين توفي عمر بن عبدالعزيز، خرج واليها عمر بن عبدالله الأنصاري من عُمان، وقال لزياد بن المهلب: «هذه البلاد بلاد قومك فشأنك بها»، وفعل قاص زياد بن المهلب بشؤون عُمان، حتى ظهر أبو العباس السفاح وصار ملك بني أمية إليه^(١٢٦)، وقامت على يديه الخلافة العباسية.
 وفي نفس العام الذي قامت فيه الخلافة العباسية قامت في عُمان أول إمارة أباضية على يد الجلندي بن مسعود بن جيفر بن الجلندي، وتحقق الاستقلال الكامل لعُمان عن الدولة العباسية الوليدة، ولم يكن ذلك إلا بفضل انتشار المذهب الإباضي في عُمان الذي اتخذ منه العمانيون وسيلة قوية للوقوف في وجه أي دولة تريد أن تبسط نفوذها على بلادهم، ولذلك كان من الواجب أن نبسط القول عن ظهور هذا المذهب في البصرة وعن وصوله إلى عُمان وبلاد اليمن، وكيف أثر في مجرى الأحداث التي جرت على أرض هذين البلدين وفي علاقاتهما بدولة بني أمية ثم بدولة بني العباس، وكيف وصل إلى شمال أفريقيا وأقام هناك دولة قوية كان لها فضل كبير في نشر الإسلام بين بربر الصحراء الكبرى وفي البلدان التي تقع خلف هذه الصحراء والتي تسمى عادة بلاد السودان الغربي والأوسط.

الفصل الثاني

آل المهلب العمانيون

ودورهم السياسي والحربي حتى نهاية العصر الأموي

أصل المهالبة ودورهم في عصر الخلافة الراشدة :

ارتبط آل المهلب في تاريخهم الطويل بموطنهم الأصلي عمان، كما ارتبط اسم عمان بمعظم الانجازات المهمة، والأحداث الجلييلة التي مر بها آل المهلب خلال فترة كفاحهم السياسي والحربي، فمنذ تحرك أبوصفرة والد المهلب للمشاركة في الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب، كان أهل عمان يمثلون فرقة من الجيش الإسلامي يقودها أبوصفرة، وأصبح لأهل عمان حي خاص في البصرة بعد تمصيرها، وبعد ذلك أصبحت يطلق عليها «بصرة المهلب» وأطلق على أهل البصرة «موالي المهلب» لشدة ارتباطهم بآل المهلب وأهل عمان. فمن هم المهالبة؟ ومن هو أبو صفرة؟

تنسب أسرة المهالبة إلى المهلب بن أبي صفرة، واسم أبي صفرة «قاطع بن سارق بن ظالم»^(١) الذي يرجع نسبه إلى قبائل الأزدي اليمنية^(٢) التي هاجرت إلى عمان وكانت إحدى الهجرات اليمنية التي تفرقت في شبه الجزيرة العربية في أعقاب انهيارات سد مأرب ولأسباب أخرى ذكرها الرواة والنسابون، وكانت الأزدي عند تفرقها أضيفت كل منها إلى شيء يميزها عن غيرها، فقبل أزد السراة وأزد شنوءة وأزد عمان... ومرجع الكل إلى الأزدي المذكورة^(٣). ويروي النسابون العمانيون أن أبا صفرة من أهل مدينة (أدم) من داخلية عمان، وأن آل يوسعيد في عمان ينتسبون إلى أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة^(٤).

ويروي ابن حجر في الإصابة ما يوحى بأن أبا صفرة كان صحابيا والتقى بالرسول ﷺ وبأبيه على الإسلام، وأن رسول الله هو الذي أطلق عليه هذه التسمية «أبو صفرة» فيقول: «أن أبا صفرة قدم على رسول الله ﷺ على أن يبايعه وعليه حلة صفراء... فلما رآه... قال له من أنت. قال: أنا قاطع بن سارق بن ظالم... فقال له النبي، أنت أبو صفرة. دع عنك سارقا وظالما. فاعلن أبوصفرة إسلامه، وقال: إن لي ثمانية عشر ذكرا ورزقت بنتا سميتها صفرة، فقال النبي وأنت أبوصفرة»^(٥).

ويعترف ابن حجر بأن هذه الرواية فيها اختلاف، وأن بعض الروايات تنكر صحابة أبي صفرة ولقاءه بالنبي. وفي رواية صاحب «الاستيعاب» أن أبا صفرة كان مسلما على عهد الرسول ﷺ ولم يفد عليه، ووقد على عمر بن الخطاب^(٦).

والروايتان السابقتان تحتاجان إلى وقفة لترتيب ما جاء فيهما طبقا لما ورد في المصادر العمانية التي تحت أيدينا. فاحتمالات أن يكون أبوصفرة قد ذهب للقاء الرسول ﷺ في المدينة ليعلن إسلامه بين يديه ممكنة. إذ تروى المصادر العمانية أن الإسلام قد عرف طريقه إلى عمان من وقت مبكر من ظهور الدعوة الإسلامية في

الصجانه وأن أول من اعتنق الإسلام في عمان هو مازن بن غضوبية من أهل سمائل الذي سافر إلى المدينة والتقى بالنبي وأعلن إسلامه أمامه، وتبعه البعض في هذا الاتجاه^(٧)، ويروي ابن سعد في الطبقات أن وفودا من أهل عمان رحلت إلى المدينة والتقت بالنبي ﷺ لإعلان إسلامها وكان ذلك قبل الفتح وطلبا من الرسول أن يرسل معهم من يعلمهم شؤون دينهم^(٨). وكان هذا قبل أن يبعث الرسول برسائله إلى حاكمي عمان: عبد وجيفر ابني الجلندی يدعوها فيها إلى الإسلام^(٩). فإذا أضفنا إلى هذا أن أبا صفرة كان مقدما في قومه أهل عمان وكان من أصحاب السيادة والزعامة... فلما أسلم زاد شرفه وقدمه قومه^(١٠) فأننا نرجح حدوث رحلته إلى المدينة ولقائه بالرسول ﷺ كما جاء في رواية ابن حجر.

أما عن قول صاحب الاستيعاب بأن أبا صفرة لم يلتق بالرسول ﷺ وإنما التقى بعمر بن الخطاب، فهذه الرواية ينقصها الدقة. فانه من المعروف أن أبا صفرة قد التقى بأبي بكر الصديق بعد توليه الخلافة الإسلامية، والروايات التي بين أيدينا تؤكد أنه في أعقاب وفاة الرسول ﷺ عاد عمرو بن العاص من عمان - وكان واليا عليها منذ سنة ٨ هـ / إلى المدينة، مصحوبا بوفد عماني يقدر بحوالي سبعين فارسا على رأسهم أحد حاكمي عمان وهو «عبد بن الجلندی»، وكان من بين أعضاء هذا الوفد أبو صفرة^(١١) وكانت مهمة هذا الوفد مبايعة أبي بكر الصديق بالخلافة. فكان عمرو بن العاص في رحلته «يلقي الناس مرتدين، وقدم على المسلمين بالمدينة فطافوا به يسألونه، فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دسا إلى المدينة»^(١٢).

لذلك ما كاد الوفد العماني يصل إلى المدينة حتى التقى بالخليفة أبي بكر، وتحدث أبو صفرة نيابة عن العمانيين فقدم إليه عمرو بن العاص سالما معان، وقال: «هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا وديعة لرسول الله ﷺ فقد برئنا منها إليك، فقال أبو بكر جزاكم الله خيرا»^(١٣).

ويؤكد صاحب الأغاني هذه الرواية العمانية فيقول: «وفد ابن الجلندی في الأزدي، أزد عمان... فكان فيمن وفد منهم أبو صفرة.. فدخل إلى عمر مع ابن الجلندی»^(١٤). ويبدو أن الوفد العماني كان قد التقى في أول الأمر مع عمر بن الخطاب ثم حدث اللقاء بعد ذلك مع الخليفة أبي بكر، لأن الروايات المتوفرة لا تذكر إلا زيارة واحدة لابن الجلندی تلك التي ذكرناها والتي شارك فيها أبو صفرة.

ثم يأتي ذكر أبي صفرة كأحد القواد الذين شاركوا في الحملات الإسلامية على بلاد فارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وكان عمر قد أصدر تعليماته إلى والي عمان في ذلك الوقت «عثمان بن أبي العاص الثقفي» بمراقبة تحركات الجيش الفارسي في الخليج، وأن يتصدى له عند الضرورة، ويبدو أن أبا صفرة كان على خبرة ودراية كبيرة بشؤون البحر والملاحة البحرية وموضع ثقة أهل عمان في هذا المجال، فعندما طلب عمر بن الخطاب من والي عمان أن يقطع الخليج بالسفن إلى فارس طلب عثمان بن أبي العاص من أهل عمان أن يدلوه على من يشاؤره في أمر هذه الحملة البحرية، فاقترح عليه العمانيون أن يشاور أبا صفرة^(١٥).

ونسب والي عمان المقاتلة فاجتمع له حوالي ثلاثة آلاف مقاتل معظمهم من أزد عمان، وكان من بين رجاله أبو صفرة وكان يقود قومه بني عمران^(١٦) وصحب أبو صفرة من ابنائه: النجف والمغيرة وحبيب^(١٧)، وتمكن عثمان بن أبي العاص بهذه

الحملة العمانية من هزيمة القوات الفارسية في الخليج واستولى على جزيرة ابن كاوان، وطارد الفرس حتى الضفة الشرقية للخليج وأوقع بهم الهزيمة في كرمان، وأظهر أبو صفرة وأبنائه ورجاله شجاعة وبسالة خلال هذه المعارك (١٨).

واستمر أبو صفرة يشارك في المعارك التي خاضها المسلمون في الجبهة الفارسية في عهد عثمان بن عفان، فيروي ابن خلدون أن عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين إلى فارس في الفين فصار إلى توج وعلى مجنبيه جارود العبدى وأبو صفرة والد المهلب، وكان كسرى أرسل أحد قواده ويدعى «شهرك» في الجنود للقائهم، فالتقوا بتوج وانتهى الأمر بهزيمة الفرس وقتل قائدهم «شهرك» وطاردهم المسلمون إلى سابور وحاصروها حتى خضع أهلها للصالح (١٩).

وبعد هذا الانتصار نزل أبو صفرة في توج واتخذها مقراً له مع أهله وجنده ولكنه انتقل بعد ذلك للإقامة في البصرة في خلافة عثمان بن عفان عندما رحب به إليها في ذلك الوقت عبدالله بن عامر (٢٠) وضم فرقة الأزدي بقيادة أبي صفرة إليه في البصرة (٢١).

وبعد وفاة عثمان بن عفان وتولى علي بن أبي طالب للخلافة وقيام الصراع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، التقى أبو صفرة بالخليفة علي بن أبي طالب في أعقاب موقعة الجمل في البصرة، ودار بينهما حوار يفهم منه أن أبا صفرة كان زعيماً لقبائل الأزدي في العراق في ذلك الوقت، لأن علياً عندما أظهر شكواه مما قاساه من قومه، قال له أبو صفرة: «والله يا أمير المؤمنين لو كنت حاضراً ما اختلف عليك منهم سيفان»، فطلب علي من أبي صفرة أن يأتيه بأحد أبنائه ليعقد له لواء أمان للذين هربوا بعد موقعة الجمل، ليرجعوا إلى بلادهم، ورفض النجف بن أبي صفرة، أن تسند له هذه المهمة، لأنه كان خائفاً من نتائج موقعة الجمل، فوافق المهلب على القيام بهذا الدور فعدت راية الأمان للمهلب ورجع معظم الفارين إلى البصرة «وتيمن الناس بلواء المهلب» (٢٢).

ونحن لانعلم تاريخ وفاة أبي صفرة، إلا أنه توفي بالبصرة في ولاية عبدالله بن العباس لعلي بن أبي طالب، ويقال أنه توفي في المسيرة إلى صفين (٢٣) مما يرجح أن تكون وفاته حوالي سنة ٣٧ هـ.

المهالبة ودورهم في الفترة السفيلية (٤٠ - ٦٥ هـ) :

ليست هناك إشارة واضحة في المصادر التي بين أيدينا عن الشخص الذي تولى رئاسة أسرة أبي صفرة في أعقاب وفاته، ولكن الدلائل توجي بأن أهم الشخصيات في هذه الأسرة آنذاك كان ابنه المهلب، فرغم صغر سنه بالمقارنة بأخوته (٢٤) إلا أنه قد برز في مجال الحرب والفروسية، وعلت منزلته، فكان هو المرشح الأول لتولي زعامة الأسرة بعد وفاة أبي صفرة، ويرجع هذا ما ترويه المصادر عن مساهمته في غزو بلاد السند سنة ٤٤ هـ / ٦٦٤ م. وخاض خلال ذلك معركة عنيفة ضد جماعة من فرسان الأتراك، وتمكن ببراعة من أن يقضي عليهم جميعاً (٢٥)، وكان المهلب خلال هذه الفترة يقود جيشاً من أهله أزد عمان (٢٦) مما يشير إلى أنه قد خلف أباه أيضاً في قيادة ما كان تحت يده من جند عمان.

وفي رواية لليعقوبي أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى زياد بن أبيه وإلى علي الكوفي: إن قبلك رجلاً من أصحاب رسول الله قوله خراسان وهو الحكم بن عمرو الغفاري، فولاه زياد خراسان فغزا (هراة) وقتح (جرجان)، وكان يشاركه في المعارك المهلب بن أبي

صفوة (٢٧) الذي أظهر بأساً ومهارة في قتال العدو.. واستمر المهلب يجاهد في هذه الجبهة في المناطق الوعرة، ومع أشد العناصر السكانية قوة وضراوة في القتال. فعندما غزا الحكم بن عمرو الغفاري جبال الترك سنة ٤٧هـ / ٦٦٧م كان المهلب أحد قواد هذه الحملة، وفي مرحلة من المارك وقّع جيش الحكم في كمين للاتراك فآخذ عليهم الترك الشعب والطرق، وعندما تخرج موقف الحكم أسند القيادة الى المهلب بن أبي صفرة، الذي تمكن عن طريق الحيلة والتدبير من أسر أحد زعماء الطرق، وسأومه على حياته في مقابل أن يدلهم على مخرج من الكمين، وتمكن عن طريقه من النجاة بجيشه وما يحمله من غنائم من الحصار الذي فرضه عليهم الترك^(٢٨). ويبدو أن ما أظهره المهلب بن أبي صفرة من مهارة قتالية وحسن التصرف وحكمة في المواقف العسبية، جعله أحد القادة المشهورين في حروب الجبهة الشرقية، فكان الولاة على خراسان يتمسكون بأن يكون في صحبتهم المهلب بن أبي صفرة، فعندما تحرك سعيد بن عثمان بن عفان سنة ٥٦هـ / ٦٧٥م لولاية إقليم خراسان كان من بين قواده المهلب بن أبي صفرة^(٢٩). وقد شارك المهلب في العديد من المارك العنيفة في هذه الفترة وخاصة في غزو سمرقند، ويقال ان سعيد بن عثمان والمهلب قد فقّتا عيناها خلال هذه المارك^(٣٠).

وفي خلافة يزيد بن معاوية، ولّى على خراسان وسجستان سلمه بن زياد ٦١هـ / ٦٨٠م الذي خرج من الشام طالبا البصرة ليحمل معه أهله ولده، وليلعب أهل البصرة بولايته بلاد خراسان، ليخرج معه من أحب الجهاد، فخرج معه المهلب بن أبي صفرة وعدد من سادات البصرة وفرسانها^(٣١). وزحف جيوش سلمه بن زياد على بخاري، وكانت عليها ملكة تدعى «خاتون» فلما شعرت بالخطر، أعلنت رغبتها في الزواج من ملك الصفد على أن يأتي لتملك بخاري، والوقوف في وجه المسلمين، فاقبل ملك الصفد في مائة وعشرين ألف مقاتل، وأمام هذا العدد الضخم رأى سلمه أن يجعل على طليعة جيشه المهلب بن أبي صفرة، وبعد معارك عنيفة تمكن المهلب من إلحاق الهزيمة بجيش الترك وقتل ملك الصفد في المعركة^(٣٢).

استمر سلمة بن زياد والياً على خراسان، حتى وفاة يزيد بن معاوية في صفر سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م^(٣٣)، وأراد سلمة أن يكتسب خبر موته خوف الفتنة بين القبائل، ولكن الخبر ناع في الناس بعد فترة وكان خليفته معاوية الثاني، فدعا سلمة الناس الى البيعة على الرضا حتى تستقيم أمور الناس على خليفة، فبياعوه، ثم نكثوا بعد شهرين^(٣٤). فلما تازمت الأمور أمام سلمة بن زياد خرج من خراسان واستخلف عليها المهلب بن أبي صفرة، ولكن المهلب كان مدركاً لحقيقة الصراع القبلي المحتدم في خراسان وفي الشام، فلم يشأ أن يقحم نفسه في هذا الصراع، لاسيما أن معظم القبائل وخاصة القيسية لم تكن راضية عن اسناد ولاية خراسان الى المهلب مما حدا بسلمة بن زياد لأن يكتب بولايته لعبدالله بن خازم السلمي حينما التقى به في نيسابور، وانسحب المهلب من خراسان في سلام حتى قبل أن يصلها الولي الجديد^(٣٥).

آل المهلب وتصديهم للأزارقة في عهد سيطرة الزبيريين على العراق:

عاد المهلب من خراسان سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م واستقر في مقره بالبصرة مع رجاله، ويبدو من الروايات التي بين أيدينا أن عبدالله بن الزبير كان يعرف قدر المهلب وأهمية

أن ينضم رجل مثله الى صفوفه، ونجح في أن يجذبه للقائه في مكة حيث تشاور الرجلان، فيروي ابن خلكان انه أثناء خلوة عبدالله بن الزبير بالمهلب يشاوره: «فدخل عليه عبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف... فقال: من هذا الذي شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا؟ قال: أوما تعرفه؟ قال: لا، قال: هذا سيد أهل العراق، قال: فهو المهلب بن أبي صفرة» (٣٦).

ويبدو أن هذه المشاورات قد أسفرت عن اقناع عبدالله بن الزبير للمهلب بأن يتولى خراسان نائباً عنه، وكانت خراسان في ذلك الوقت مازالت في حالة اضطراب، فاقبل المهلب الى البصرة في طريقه الى خراسان سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م، وكانت شوكة الأزارقة بقيادة نافع بن الأزرق قد اشتدت على المدينة، مما اضطر أمير البصرة عبدالله بن الحارث الى محاولة صد الأزارقة عن مدينته، ودارت المعارك العنيفة بين الجانبين، ورغم مقتل زعيم الأزارقة سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م، الا ان الحرب استمرت وكانت الغلبة فيها للأزارقة الذين تمكنوا من الاقتراب من البصرة وأصبحت قريبة المال، «فأتى أهلها إلى الأحنف بن قيس وسألوه أن يتولى حربهم، فأشار عليهم بالمهلب بن أبي صفرة» (٣٧).

وفي هذه الأثناء كان المهلب قد قدم من قبل عبدالله بن الزبير حاملاً لتقليده بولاية خراسان، فخرج إليه أشراف أهل البصرة وكلموه في حرب الأزارقة (٣٨).

ولكن المهلب علق موافقته على حرب الأزارقة والتصدي لهذه المهمة الخطيرة بشروط، فقال: «والله ما أسير اليهم الا ان يجعلوا الى ما غلبت عليه، ويعطوني من بيت المال ما أقوى به من معي، فأجابوه الى ذلك» (٣٩) وكتبوا بذلك كتاباً وأرسلوه الى عبدالله بن الزبير فأضامه (٤٠)، عندئذ بدأ المهلب في اعداد العدة لقتال الأزارقة، وتمكن من حشد جيش يقدر بحوالي اثني عشر ألفاً (٤١) معظمهم من قومه أزد عمان، ونظر في بيت مال البصرة فكان لايفي بحاجة الجند، فتفاوض المهلب مع تجار البصرة، وأوضح لهم ان تجارتهم قد كسدت لانقطاع مواد الاهواز وفارس، وتوقفت حركة التجارة لسيطرة الأزارقة على هذه المناطق، وسألهم معاونته بالمال، ووعدهم بأن يمكنهم من تجارتهم ويرد لهم حقوقهم، فاستجاب تجار البصرة، «وأخذ المهلب من المال ما يصلح به عسكريه» (٤٢).

وقد شارك آل المهلب منذ البداية في جيش المهلب الذي تحرك من البصرة سنة ٦٥هـ فكان على ميمنته ابنه يزيد وحبيب، وعلى ميسرته ابنه المغيرة وقبيصة، وعلى جناح ميمنته ابنه عبدالله، وعلى جناح ميسرته ابنه الفضل، وفي كمينه ابنه زياد ومروان، وبين يديه ابنه محمد وأخوه المعارك بن أبي صفرة (٤٣).

وكان على المهلب في بداية المعارك أن يزيح الأزارقة الذين يربطون على الضفة الشرقية لنهر الفرات، وأن يعيد الجسر الذي يربط الضفتين، ليتمكن من العبور بجيشه، فأرسل ابنه المغيرة في السفن، ونزل المغيرة على الضفة الشرقية للنهر وحارب الأزارقة فشغلهم وأزاحهم عن مواقعهم حتى تمكن المهلب من اعادة عقد الجسر وعبر بكامل جيشه مما اضطر الأزارقة الى الانسحاب، فنهى أصحابه عن اتباعهم (٤٤).

وكانت سياسة المهلب العسكرية في تعامله مع الأزارقة، تعتمد على التريث ودراسة الموقف بدقة، وعدم التسرع في الاشتباك أو خوض معارك قد تؤدي إلى نتائج عكسية، فأقام المهلب في موقعه أربعين يوماً يجبي الخراج وينظم قواته، وأتت سياسته نتائجها في تقوية جيشه، وتقوية جسور الثقة بينه وبين أهل البصرة وخاصة التجار

«فقتضى المهلب التجار وأعطى أصحابه، فأسرع اليه الناس رغبة في مجاهدة الأزارقة، وطمعا في الغنائم والتجارات» (٤٥) حتى بلغ عدد قواته خلال هذه المدة ما يزيد على عشرين ألفاً (٤٦).

وتبع المهلب الأزارقة في حذر، وكانوا قد انسحبوا إلى الأهواز، ودارت معارك عنيفة في منطقة الأهواز وما حولها بين الطرفين، برز فيها آل المهلب الذين كانوا يخوضون المعارك بين جنودهم، وقتل خلال هذه الفترة «المعرك بن أبي صفرة» بالقرب من نهر تيري (٤٧)، ويبدو أن الأزارقة أرادوا أن يحسموا الموقف لصالحهم فتجمعوا بكل حشودهم وأسلحتهم ليخوضوا معركة فاصلة ضد المهلب، وكان تجمعهم في منطقة لي وسليري بالأهواز (٤٨).

والتقى الجيشان في معركة قاسية، وكثف الأزارقة هجومهم على جيش المهلب حتى أحدثوا اضطراباً شديداً في صفوفه، وكادت الهزيمة أن تحيق بجيش المهلب، «وضرب المهلب على رأسه ضربة منكرة فسقط عن فرسه إلى الأرض وأحرق به بنوه فجعلوا يحامسون عنه أشد المحاماة...» (٤٩). واستغل الأزارقة الموقف لبث الرعب في جيش المهلب، فنادى مناديهم. «الا أن المهلب قد قتل» (٥٠)، فكان لهذا النداء تأثيره على معنويات الجند، لولا أن تدارك المهلب الموقف وصعد إلى تل قريب من ميدان المعركة وأخذ ينادي في شباب الأزد وفتيان اليمح (٥١): «أميرونأ جماجمكم ساعة من نهار» (٥٢)، «فشابه اليه جماعة من قومه أهل عمان» (٥٣)، فاجتمع اليه منهم نحو ثلاثة آلاف سمائم الطبري «سرية عمان» (٥٤).

وأراد المهلب أن يعوض قلة جيشه بالنسبة لجيش الأزارقة، فأمر أصحابه بالاستعداد للهجوم استغلالاً لفرصة مطاردة بعض فرسان الأزارقة للمنهمزمين من رجاله في اتجاه البصرة، وأمرهم أن يجهز كل رجل عشرة أحجار وأن يعد مخالي لهذه الحجارة، لمفاجأة الأزارقة بضربات الحجارة.. في وقت الغفلة، فانها تصد الفارس وتصرع الراجل» (٥٥)، وزحف المهلب برجاله إلى الأزارقة، فما شعروا إلا والمهلب يهاجمهم والحجارة تستعرض وجوههم من كل جانب، ورجالهم من أهل عمان يحيطون بهم ويعملون فيهم القتل، ولم يمض إلا وقت قصير حتى قتل زعيمهم «عبيدالله بن الماحوز»، وقتل أعداد كثيرة من الأزارقة، واستولى المهلب على معسكرهم وما فيه (٥٦).

وبعث الرسل إلى البصرة ليبشر أهلها بالنصر ويعلمهم بسلامته، وكتب كتاباً بذلك إلى والي البصرة، فأقام الناس، وتراجع من كان قد هرب منهم خوف الأزارقة (٥٧)، وفي نفس الوقت فقد وضع المهلب كماً من رجاله وفرسانه في طريق عودة الأزارقة الذين كانوا يطاردون فلول الجيش المنهزم في اتجاه البصرة فأوقعوا بهم وقضوا على معظمهم إلا من فر منهم وكان ذلك سنة ٦٦هـ / ٦٨٥م (٥٨).

انسحب الأزارقة إلى كرمان وأصبهان، وسيطر المهلب على إقليم الأهواز، وأقام بقية سنة ٦٦هـ / ٦٨٥م، يجبي الخراج ووزع الأرزاق على جنده، وجذب الرضاء والعتاء السخي أعداداً كثيرة من أهل البصرة، فأثبتهم المهلب في الديوان ورتبهم حتى بلغت جيوشه ثلاثين ألفاً (٥٩) وظل المهلب في موضعه بالأهواز مقيماً على حرب الأزارقة حتى عزل الحارث بن عبدالله عن ولاية البصرة وليها مصعب بن الزبير من قبل أخيه سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م (٦٠).

وعندما أقبل مصعب بعث إلى المهلب وهو على حرب الأزارقة رسالة يفهم منها والتقدير الذي كان يحظى به آل المهلب بسبب جهودهم في صد خطر الأزارقة، وجاء

فيها: «فإن الناس لو أعطوا كل إنسان قدره لقدمت في العرب قاطبة غير مدافع.. فإن طاعتك وحسن بلائك حتى بلغ بك عندنا كل الذي تحب، وما نرجو لك به من ثواب الله أجزل وأفضل، وأنت عندنا الأمين، ولك بذلك عندنا الكرامة والفضيلة» (٦١). أراد مصعب بن الزبير مواجهة حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في العراق لشدة خطرهما على ثورة الزبيريين.

وأنرك مصعب أهمية أن يتخلص من المختار حتى يصفو له العراق، وكان يرغب في أن يحشد لهذا الأمر أعظم قواده، ومع علمه بخطورة الأزارقة على العراق، إلا أنه كان حريصاً على وجود المهلب إلى جانبه في صراعه مع المختار، فكتب مصعب كتاباً إلى المهلب يخبره بعزمه على المسير إلى الكوفة لحرب المختار، ورغبته في أن يكون معه، وطلب منه أن يولي بعض أولاده حرب الأزارقة ويقبل إليه بالبصرة (٦٢).

قدم المهلب إلى البصرة، «في تجمل عظيم ومال ورجال وعدد وجيش كثيف، ففرح به أهل البصرة» (٦٣)، ورحب مصعب بقدوم المهلب إلى البصرة، وتأهب لقتال المختار وجعل على كل قبيلة من قبائل العرب رئيساً منها، فكان المهلب بن أبي صفرة على قبائل الأزد (٦٤) وتولى قيادة مسيرة الجيش (٦٥) وأبلى المهلب ورجاله بلاء حسناً في حربهم ضد المختار (٦٦) وتمكنت قوات مصعب بن الزبير بعد معارك عنيفة من التخلص من المختار الذي قتل أثناء القتال وسيطر مصعب على ما تحت يده من أملاك (٦٧).

وبعد أن تخلص مصعب بن الزبير من خطر المختار، كتب إلى إبراهيم بن الأشتر يدعوهُ إلى طاعته، فأقبل إليه بالطاعة، فولى مصعب المهلب بن أبي صفرة الأقاليم التي كان يسيطر عليها ابن الأشتر وهي الموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان وعزلهُ عن حرب الأزارقة (٦٨) ووجه عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي على فارس، وأسند إليه هذه المهمة وأمر المهلب بالتوجه إلى الموصل والجزيرة وأرمينية (٦٩).

ويبدو أن عمر بن عبيد الله كان مقتنعاً بما قيل عن المهلب من إطالة أمد الحرب لجبي الأموال، وكان يظن أنه يمكنه أن يحسم المعارك معهم وسار إلى خراسان والتقى بالأزارقة قرب سابور، ولكنهم هزموه ووصلوا إلى الأهواز، مما أغضب مصعب بن الزبير عليه، واضطر إلى الخروج بنفسه لحماية البصرة من الوقوع في أيديهم، فأتجهوا إلى الكوفة، ولكن نائب مصعب عليها تمكن من ردِّهم فعادوا إلى الري واستولوا عليها بعد قتل واليها يزيد بن الحارث، وأثناء ذلك قتل زعيم الأزارقة الزبير بن الماحوز قولوا عليهم قطري بن الفجاءة الذي انسحب إلى كerman وجبي الأموال وأعاد تنظيم صفوفه، ثم أتجه إلى الأهواز وحقق سلسلة من الانتصارات حتى أصبح يهدد البصرة، وكان عامل البصرة لمصعب بن الزبير سنة ٦٨ هـ / ٦٨٧ م هو الحارث بن أبي ربيعة، فكتب له بخاطر الأزارقة على مدينته ونصحه بأن ليس لهم إلا المهلب (٧٠).

أnder مصعب بن الزبير الخطأ الذي وقع فيه عندما أرسل المهلب إلى الموصل وعزلهُ عن حرب الأزارقة، فاستدعاه من الموصل وأمره بقتال الخوارج والمسير إليهم، وأعاد الوضع على ما كان عليه بأن بعث إبراهيم بن الأشتر إلى عمله، وجاء المهلب حتى قدم البصرة، وانتخب الناس، وسار بمن أحب ثم توجه نحو الأزارقة والتقى بهم في معارك عنيفة في منطقة «سولاف» فاقتتلوا بها ثمانية أشهر اشد قتالاً رآه الناس» (٧١).

استمر المهلب في صراعه ضد الأزارقة حتى سنة ٧١ هـ / ٦٩٠ م وفيها تحرك الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلى العراق لضمها إلى حظيرة الدولة، واستطاع أن

ينتصر على مصعب ويقتله ويستولي على العراق، فبايعه المهلب فآخذه عبد الملك بن مروان على الأهواز (٧٢).

وهكذا انتقل ولاء المهلب بن أبي صفرة من الزبيريين إلى الأمويين في أعقاب مقتل مصعب بن الزبير، وسيطرة عبد الملك على العراق سنة ٧١هـ / ٦٩٠م، ويبدو أن المهلب قد أدرك اتجاه رياح التغيير وأن الظفر في النهاية سيكون للدولة الأموية، وقد حدث ما توقعه حيث قضى الأمويون على ثورة عبدالله بن الزبير بقتله في مكة سنة ٧٣هـ / ٦٩٢م (٧٣).

قضاء المهلب على الأزارقة في عهد سيطرة الأمويين على العراق والمشرق:

ذكرنا أن المهلب بعد مبايعته لعبد الملك بن مروان، آخذه الأخير على إقليم الأهواز وشكره على موقفه وأثنى عليه. وفي سنة ٧٢هـ / ٦٩١م استعمل عبد الملك على ولاية البصرة «خالد بن عبدالله بن أسيد» الذي يبادر إلى عزل المهلب عن حرب الأزارقة وأسند إليه خراج الأهواز، ولم يستمع إلى نصيحة وجوه أهل البصرة بأن يترك أمر حرب الأزارقة للمهلب لدرأيته وخبرته بهم، ولكن خالد كان قد حقد على المهلب لما وصل إليه من شهرة، ولما يتمتع به من تقدير الخليفة، وقال لمن حوله من بني عموته: «يامعشر قريش.. والله لقد ذهب المهلب بحظ هذا المصر، وأمير المؤمنين يظن أن أحدا لا يقوم مقام المهلب» (٧٤)، ويحث خالد أخاه عبدالعزيز بن عبدالله مكان المهلب على حرب الأزارقة (٧٥)، على أمل أن يحوز بعض ما ناله آل المهلب من علو المكانة وتقدير الخليفة الأموي، ولكن قطري بن الفجاءة زعيم الأزارقة الجديد هزمه.

ولما وصل خبر هزيمة عبدالعزيز بن عبدالله إلى عبد الملك بن مروان غضب لهذا التصرف من جانب والي البصرة بعزله المهلب عن حرب الأزارقة، ووجه إليه كتابا عنيفا يؤكد مكانة المهلب العالية، وتقدير الخلافة الأموية لجهوده وحسن بلائه، وجاء في كتاب عبد الملك «... قبح الله رأيك حين تبعث أخاك إعرابيا من أهل مكة على القتال، وتدع المهلب يجبي الخراج، وهو الميمون النقيبة، الحسن السياسة، البصير بالحرب، المقاسي لها، ابنها وابن ابنائها، أنظر أن تنهض بالناس حتى تستقبلهم بالأهواز، وقد بعثت إلى بشر بالكوفة (٧٦) أن يمدك بجيش، فسر معهم ولا تعمل في عدوك برأي حتى يحضره المهلب والسلام» (٧٧)، ولما رأى الأزارقة تجمع جيوش الكوفة والبصرة وزحفها إليهم انسحبوا إلى عمق فارس، فأرسل خالد صاحب ميسرة في أثرهم وعاد هو إلى البصرة وأقام المهلب في الأهواز (٧٨).

وفي سنة ٧٤هـ / ٦٩٣م أمر عبد الملك أخاه بشرا - وكان قد أضاف إليه ولاية البصرة مع الكوفة - أن يكلف المهلب بمحاربة الأزارقة، وأن يترك له حرية اختيار من يشاء من أهل البصرة، وأن يتركه في الحرب ورأيه وحذره من أن يقع فيما وقع فيه خالد بن عبدالله من قبل، وهدده بالعزل أن فعل ذلك (٧٩).

فاستدعى بشر المهلب، وقرا عليه كتاب عبد الملك بن مروان بتكليفه بحرب الأزارقة وأعطاه حرية أن يختار من يشاء من الرجال، فأسند المهلب مهمة اختيار الجند إلى أحد أقاربه وهو جديع بن سعيد الأزدي - خال ابنه يزيد - وأمره أن يأتي الديوان فيختار الناس (٨٠).

خرج المهلب من البصرة في عشرة آلاف رجل من قومه (أزد عمان) وثمانية آلاف

من أخلاط القبائل، ودخل المهلب بجيوشه الأهواز بعد أن رحل عنها الأزارقة إلى أرض سابور بفارس لينظموا صفوفهم استعداداً لجولة جديدة من المعارك مع المهلب الذي أقام في الأهواز عدة أيام ثم رحل حتى نزل بمدينة رامهرمز في جموعه^(٨١).

وكان المهلب عندما وصل إلى رامهرمز والتقى بالأزارقة، أقام خندقاً حول معسكره وتحزز من مفاجآت الأزارقة التي خبرها لطول عهدهم بهم، وأقبل جيش الكوفة بقيادة عبدالرحمن بن مخنف فنزل بالقرب من معسكره، ولم تمض عشرة أيام حتى جاء إلى رامهرمز خبر وفاة بشر بن مروان في البصرة سنة ٧٤هـ / ٦٩٣م^(٨٢).

وعندما بلغ جند البصرة والكوفة خبر موت بشر بن مروان لم يستقروا في مواقعهم لتحقيق الهدف الذي جاءوا من أجله إلى رامهرمز، فانسحب عدد كبير منهم.

وكان ذلك من العوامل التي جعلت عبدالملك بن مروان يبحث عن رجل قوي يتولى شئون العراق، ويقيض على زمام الأمور بيد من حديد، ويعيد هبة الخلافة بين المتمردين وبين الأزارقة الذين عاثوا فساداً في أقاليم الدولة الشرقية، فلما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر العراق سنة ٧٥هـ / ٦٩٤م، كان من أول مهامه إرسال البعوث إلى المهلب، ورد هؤلاء الذين تمردوا على قيادتهم، وتركوا الحرب دون مبرر، وجاء في خطاب الحجاج المشهور الذي ألقاه في الناس من على منبر الكوفة قوله: «... قد بلغني رفضكم المهلب، وأقبلكم على مصركم عصاة مخالفين، وأني أقسم لكم بأهل لا أجد أحداً بعد ثلاثة أيام إلا ضربت عنقه، وأنهيت داره»^(٨٣).

واتبع الحجاج حملته العنيفة في الكوفة بحملة مماثلة في البصرة، وتوعد العصاة من جند المهلب، وأهلهم ثلاثة أيام، فسارع العسكر للانحاق بفرقتهم^(٨٤).

وكتب الحجاج إلى المهلب يقره على حرب الأزارقة، ويعلن ثقته فيه ومن مقدرته على تولي هذه المهمة الخطيرة، وحاجته إليه عن رغبة واقتناع، وجاء في كتابه: «... فإن بشر بن مروان وجهك إلى الحرب التي للأزارقة وكان مستكراً لنفسه فيك، وأنا أريدك لحاجتي إليك، فأبشر وقر عيناً، وأثبت على حرب القوم»^(٨٥). كما اعترف الحجاج للمهلب بشرطه الذي اشترطه على أهل البصرة قبل بداية حرب الأزارقة سنة ٦٥هـ بأن يكون له خراج ما غلب عليه من البلاد، «فكانت الأموال تنتقل إليه من أرض فارس في البدر (يكسر الباء وفتح الدال، وهي صر المال) مكتوب عليها: هذا ما أطعم الله المهلب ابن أبي صفرة مما غلب عليه من بلاد الله، يحمله إلى قومه من الإزد لا يعترض عليه معترض»^(٨٦).

ونلاحظ في هذه المرحلة من القتال مع الأزارقة أن قيادة الجيوش التي كانت في رامهرمز لم تكن واحدة - رغم أوامر الحجاج للمهلب وإقراره على حرب الأزارقة، فكان أهل البصرة يقودهم المهلب، وأهل الكوفة يقودهم عبدالرحمن بن مخنف. وفي البداية نجحت جيوش الحجاج في أجلاء الأزارقة عن رامهرمز «من غير قتال شديد»^(٨٧) حسب رواية الطبري، ويبدو أن هذه كانت سياسة الأزارقة عندما يشعرون بقوة حشد جيوش الخلافة وخطورة المواجهة، فتراجعوا إلى سابور، ونزلوا مدينة كارزون^(٨٨) لتنظيم صفوفهم وتبعهم المهلب وعبدالرحمن بن مخنف وكان ذلك في رمضان سنة ٧٥هـ / ٦٩٤م، ودارت بين الجانبين معارك عنيفة قتل فيها أعداد كبيرة من الجانبين، وقتل خلال ذلك عبدالرحمن بن مخنف وصمد المهلب برجاله في وجه الأزارقة^(٨٩).

بعث الحجاج بعثاب بن ورقاء خلفاً لابن مخنف لقيادة أهل الكوفة، وأراد أن يتقاضي ما حدث لابن مخنف عندما لم يستمع إلى مشورة المهلب بأن يخذل على نفسه ويحذر مباغاة الأزارقة، فكانت أوامر الحجاج إلى عتاب واضحة، فإذا دارت المعارك فقلبه أن يستمع إلى المهلب ويطيع، فسأه ذلك، ولكنه لم يجد بداً من الأذعان والطاعة^(٩٠).

ولعبت العصبية القبلية بعقول القادة، فعتاب كان حاقداً على المهلب ويأنف من العمل تحت قيادته، مما أثار الخلافات بين الرجلين وكاد أن يحدث بينهما اشتباك في مجلس المهلب، ورفع المهلب القضيب ليضرب عتاب لولا أن حجز بينهما المغيرة بن المهلب^(٩١)، وأدرك الحجاج متأخراً خطر وجود قائدين متنافسين في مواجهة الخوارج، واستغل فرصة شكوى عتاب من المهلب فأمر عتاب بالعودة إلى الكوفة، فقام المهلب باسناد قيادة ما تحت إمرة عتاب إلى ابنه حبيب^(٩٢).

وهكذا توحدت قيادة الحرب ضد الأزارقة وأصبحت بيد آل المهلب وتمكن المهلب في هذه المرحلة من الصراع أن يوجه ضربات عنيفة إلى الأزارقة في فارس وكرمان واستمر المهلب يناجزهم ثمانية عشر شهراً دون حسم^(٩٣)، ولكنه تمكن من تضيق مواردهم باستيلائه على معظم إقليم فارس وحجب ما كانوا يحصلون عليه من هذا الإقليم الغني^(٩٤)، وخلال هذه الفترة كان الحجاج يتابع معارك المهلب وبنيه ضد الأزارقة، ويحثه على الإسراع في حسمها، وظن أنه يطيل أمد الحرب حتى يجبي أكبر قدر من الأموال، وأرسل إليه كتاباً بهذا المعنى، ورد المهلب على الحجاج بأنه يتحين الفرص لتحقيق النصر النهائي على الأزارقة وإنه لن يتم له ذلك إلا في ثلاثة أحوال: موت زعيم الأزارقة قطري بن الفجاءة، أو وقوع الفرقة والاختلاف فيما بينهم، أو محاصرتهم حتى يقتلهم الجوع^(٩٥)، ولكن الحجاج لم يقتنع بهذه المبررات التي ساقها المهلب وظل يطارده بكتبه ورسله لانتهاء الحرب مع الأزارقة.

وقد شهدت هذه المرحلة أعتى المعارك بين آل المهلب وبين الأزارقة من جهة أخرى، ومن تتبع سير هذه المعارك التي جاءت بتفاصيلها المصادر المختلفة، يمكننا أن نلاحظ العبقورية العسكرية والشجاعة النادرة التي كان يتمتع بها المهلب وأسرته ورجاله الذين كانوا يقودون الفرق ويخوضون المعارك الجانبية تحت قيادته، وكان يعمل تحت امرته عدد كبير من رجال وطنه «أهل عمان»^(٩٦)، الذين كانوا يشكلون «سرية عمان»^(٩٧) في جيشه.

ظل المهلب يطارد الأزارقة ويطردهم من مدينة إلى أخرى ومن موقع إلى آخر مستعملاً معهم أسلوب الهجوم المفاجيء أحياناً، وتلقى الصدمة والدفاع أحياناً أخرى، والترتب وعدم الاشتباك^(٩٨)، وكان المهلب ينصح أبناءه قائلاً: «لا تبتدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم فيغيثوكم عليكم، فإنهم إذا بغوا نصرتمهم عليهم»^(٩٩)، وكان ينهاهم عن مطاردتهم إذا ولو الأديار منهزمين، وقد نهى ابنه المغيرة عن مطاردتهم وهم جرحى «فإن الكلب إذا جرحته عقرو»^(١٠٠).

كان آل المهلب يفخرون بانتمائهم إلى أزد عمان، وكانوا في المواقف الخطيرة التي تحتاج إلى تكاتف وتضحية يلجأون إليهم لتأكيدهم من ولائهم وحسن بلائهم، فعندما تصدى عطية بن الأسود في فرسان الأزارقة في إحدى المعارك للمهلب، أسند المهلب مهمة قتاله إلى ابنه يزيد وقال له: «يا بني هذا عطية بن الأسود قد أقبل في فرسان

الباب الثالث - عُمان في العصور الإسلامية



الازارقة، فأخرج اليه في اخوانك الذين تنق بهم من الاقدام على المكروه» فما كان من يزيد الا أن نادى «من فرسان الازد فاجتمعوا اليه من كل اوب» (١٠٦) استمرت المعارك في الفترة من سنة ٧٥هـ / ٦٩٤م الى سنة ٧٧هـ / ٦٩٦م ما يقرب من ثمانية عشر شهرا دون هوادة حتى وقع الاختلاف بين الازارقة (١٠٢) وانقسموا على انفسهم في عام ٧٧هـ / ٦٩٦م، ولما بلغ المهلب ما حل بهم من الاختلاف قال لاصحابه: «ابشروا بهذا الذي كنت ارجوه من هؤلاء الخوارج وقد اذن الله في هلاكهم وبوارهم» (١٠٣) ويبدو أن المهلب عندما علم بامر الخلاف بين الازارقة اراد تعميقه بما قام به من مؤامرات، وكيفا كان الامر فان المهلب كان يرقب الموقف بين فرق الازارقة المتنازعة بحذر شديد، ولم يتسرع بالتدخل ضدهم رغم تنازعهم (١٠٤) وكان يدرك أن تدخله في هذا الوقت قد يكون سببا في جمع كلمتهم وانتظر حتى انتهت الاشتباكات بينهم وتفرقت جموعهم، ففريق بزعامة قطرى بن الفجاءة وتقدر حشوده بحوالي عشرة آلاف (١٠٥)، اتجه بهم قطرى الى مدينة جبرفت إحدى مدن كرمان، وفريق بزعامة عبد ربه الكبير وكان يقود سبعة آلاف، وفريق ثالث بقيادة عبد ربه الصغير في أربعة آلاف، وكان كل فريق منهم يرغب في حرب المهلب ليظهر أمام الناس صبره وجهاده وأنه افضل من غيره (١٠٦) حاصر المهلب مدينة جبرفت وبها قطرى ورجاله حصارا شديدا وساءت الاحوال داخل المدينة المحاصرة حتى اضطر قطرى الى الخروج من الحصار ومواجهة مصيره في صدام مع جيش المهلب، ويبدو أن عبد ربه الصغير قد ساء ما آل اليه حال قطرى فجاء لمساندته بأربعة آلاف من الازارقة، فأسند المهلب الى ابنه يزيد مهمة

التصدي له وإبعاده عن الاشتراك في الحرب بجانب قطرى، وتمكن يزيد من أن يفتك بعبد ربه الصغير ويقتله في معظم أصحابه وظفر بمعسكرهم وحوى ما فيه (١٠٧) وفي نفس الوقت استولى المهلب على مدينة جيرفت (١٠٨) بعد أن انسحب منها قطرى دون قتال هاربا من الصدام مع المهلب حتى وصل مدينة الري ومعه عبيدة بن هلال ومن تبعه من الأزارقة، وعند الري افترقوا فتوجه قطرى إلى ناحية طبرستان (١٠٩) ومضى عبيدة بن خلال في نفر من أصحابه إلى مدينة قومس (١١٠) وكانت المعركة الحاسمة في هذا الصراع مع الأزارقة حول مدينة جيرفت، وقد حشد عبد ربه الكبير لهذه المعركة كل ما يستطيع حشده من الرجال وحملهم على الانتقام من المهلب الذي استولى على جيرفت واحتوى على غنائم أصحابهم وبني أعمامهم. وكعادة المهلب في صراعه الطويل مع الأزارقة، كان يعرف كيف يتعامل معهم بأسلوب القائد المحنك الذي خبر عدوه وأدرك نواياه، فما كاد يبلغه خبر قدوم الأزارقة إلى جيرفت حتى أمر أصحابه بالرحيل عن المدينة، وخرج منها كالمهزم، وأقبل عبد ربه في الأزارقة وقد بلغه خروج المهلب، فظن أنه قد انهزم بين يديه ودخل برجاله إلى الكمين الذي أعده له المهلب وضرب الحصار على نفسه، فما كاد عبد ربه يدخل جيرفت حتى عاد المهلب بكل حشوده فحصره داخلها، ووضع في نفس الموقف الذي كان فيه قطرى منذ قليل، وأمر المهلب أصحابه بعدم الاشتباك معهم في قتال.. واشتد الحصار على الأزارقة حتى اضطروا إلى الخروج (١١١) وعبا المهلب أصحابه في كتابات، وجعل على كل كتيبة رجلا من أولاده، وقال لهم: «انما أقاتل الله، وأنتم تقاتلون الله وعن أبيكم، وتذبون عن دين الله... وليس أحد أولى بحربهم منكم فقاتلوا واصبروا... وأعلموا انكم لا تملكون رقاب الناس، وانما تملكون طاعتهم» (١١٢). ودارت معركة عنيفة حول جيرفت اشتد فيها القتل حتى عقرت الخيل وكسر السلاح وقتل الفرسان، وعندما أدرك عبد ربه النهاية نزل عن قرسه وكسر جفن سيفه وتبعه أصحابه، وجمع المهلب أولاده وأبطال قومه وحملوا عليهم وعظم الخطب حتى قال المهلب: ما من بي يوم مثل هذا (١١٣)، وأسفرت المعركة عن هزيمة مدمرة للأزارقة قتل فيها عبد ربه الكبير وقتل معه ما يقرب من أربعة آلاف من أصحابه حتى سالت دماؤهم إلى وادي جيرفت فاحمر ماء الوادي (١١٤) ولم ينج منهم إلا القليل فولى بعضهم هاربين واستأنم بعضهم المهلب فأمهم.

ودخل المهلب مدينة جيرفت بعد النصر فاستولى على ما كان فيها من أمتعة الأزارقة وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وسبى لأنهم كانوا يسيرون المسلمين (١١٥) وبعد هذه المعركة الفاصلة، تم مطاردة قطرى بن الفجاءة حتى قتل في نفس السنة (٧٧هـ/ ٦٩٦م) في شعب من شعاب طبرستان، كما قتل عبيدة بن هلال في قصر تحصن به بقومس (١١٦) وانتهى بهذا خطر الأزارقة على الدولة الأموية بعد صراع عنيف قاد معظم مراحل آل المهلب.

أرسل المهلب إلى الحجاج مباشرة بالنصر على الأزارقة، فلما دخل البشير مجلس الحجاج، سأل عما كان عليه حالهم في حرب الأزارقة، وطلب منه أن يخبره عن آل المهلب، فقال له: «المغيرة فارسهم وسيدهم، وكفى بيزيد فارسا شجاعا، وجوادهم وسخيهم قبيصة، ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك، وعبد الملك سم نافع، وحبيب موت زعاف، ومحمد ليث غاب، وكفك بما المفضل نجدة، قال الحجاج: فأيهم كان أنجدا؟

قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها» (١١٧) فاستحسن الحجاج ما قاله الرجل في آل المهلب، وكتب الى المهلب يشكره على جهوده، ويعتذر إليه عما بدر منه أثناء المعارك من استبطائه في حرب الأزارقة (١١٨) وأمره أن يولي كرمان من يثق به من أبنائه ويقدم عليه في أسرع وقت في آل بيته وفرسانه ولا يتخلف منهم أحد، فلما قدم المهلب على الحجاج أظهر أكرامه وبره، وقال: «يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب» (١١٩)، وطلب منه أن يعرض عليه فرسانه الذين خاضوا المعارك الطاحنة وأبلاؤا في قتال الأزارقة، وأن يصف له بلاءهم.

فأخذ الحجاج لا يذكر له المهلب رجلاً من أصحابه ببلاء حسن الا صدقه بذلك، فأكرمهم وأحسن العطاء لهم وزاد فيه ثم قال: هؤلاء أصحاب الفعّال وأحق بالأموال، هؤلاء أصحاب الثغور وغيظ الأعداء» (١٢٠).

وأراد الحجاج أن يجيز المهلب ويكرمه، فوله على خراسان، وعلى ذلك فقد كانت ولاية خراسان هي الجائزة التي حصل عليها المهلب بن أبي صفرة تقديراً لجهوده وبلائه في القضاء على الأزارقة، ففي سنة ٨٧هـ / ٦٩٧م عزل عبدالملك بن مروان، أمية بن عبدالله بن خالد عن خراسان وسجستان، وكان مستقلاً في ولايته عن الحجاج، وضمهما الى أعمال الحجاج (١٢١) فأسند الحجاج ولاية خراسان الى المهلب. ويبدو أن المهلب كان حريصاً على البقاء في البصرة للراحة بعد العناء الذي بذله في قتال الأزارقة، فبعث ابنه حبيباً نائباً عنه الى خراسان، فوافق الحجاج وقام بوداع حبيب بنفسه ووصله بعشرة آلاف درهم، وظل حبيب مقيماً في خراسان مدة عشرة أشهر حتى لحق به المهلب في سنة ٧٩هـ / ٦٩٨م (١٢٢).

ونلاحظ أن المهلب في فترة ولايته على خراسان (٧٨ - ٨٢هـ / ٦٩٧ - ٧٠١م) لم يركن الى الدعة والراحة، واستمر في نشاطه العسكري، وظل مع بنيهِ يقاتلون في هذه الجبهة قتالاً مستمراً ضد أعداء الاسلام، ويعملون لاختضاع البلاد لسيطرة الدولة الأموية «فخيل له بسمرقند وأخرى ببخارى، وأخرى بطخارستان.. وكلما فتح فتحاً اخرج من ذلك الخمس فوجه به الى الحجاج، وقسم باقي الفبي في أصحابه، وفرح أهل خراسان بولاية المهلب عليهم فرحاً شديداً» (١٢٣) لما حازّه من شرف الجهاد في سبيل الله، وما حصلوا عليه من الغنائم.

كانت حركة المهلب بن أبي صفرة للغزو والجهاد في سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م عندما تحرك برجاله شرقاً، وقطع نهر بلخ، ونزل على كش (وهي قرية من قرى جرجان) (١٢٤) وهناك وقد عليه ابن عم ملك الختل (١٢٥) الذي كان على خلاف مع الملك وحرص المهلب على فتح هذه البلاد، فوجه معه المهلب ابنه يزيد، وتم حصار الختل والاستيلاء عليها، وانسحب يزيد عنها بعد أن صالح أهلها على فدية حملت اليه (١٢٦) كما وجه المهلب ابنه حبيباً الى بخارى في جيش كبير يقدر بحوالي أربعين ألف رجل، وأوقع الهزائم بأهل بخارى، وأخضعهم، ورجع حبيب الى أبيه في مدينة كش (١٢٧)، وكان المهلب قد اتخذها مقراً له لتحريك قواته في الفتوحات المختلفة، وأقام المهلب بكش يضبط الأمور ويجبي الخراج ولم يستجب الى الآراء المتهورة التي كان أصحابها يطمعون في الغزو من أجل المزيد من الأموال، فعندما قيل له: لو تقدمت إلى الصغد وما وراء ذلك، قال: ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الجند وعودتهم إلى مرو سالمين» (١٢٨).

وفي تلك الفترة قامت ثورة ابن الأشعث الكندي ضد الحجاج وضد بني أمية، وحاول ابن الأشعث أن يستميل إليه المهلب بن أبي صفرة والي خراسان، ولكن المهلب رفض الاستجابة للفتنة، وكتب إلى ابن الأشعث كتاباً يوضح سياسته ومنهج في التعامل مع السلطة الشرعية، وجاء في كتابه: «أما بعد، فإنك وضعت رجلك يا ابن محمد من غرز طويل الغي على أمة محمد ﷺ، الله فانظر لنفسك لاتهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها...» (١٢٩).

وظل المهلب مقيماً على ولائه وإخلاصه لبني أمية حتى نكب في رجب سنة ٨٢هـ / ٧٠١م بوفاة ابنه المغيرة، فحزن عليه حزناً شديداً، وكان المغيرة نائباً عن أبيه في مرو، فلما بلغه خبر وفاته وهو مقيم يكش أرسل ابنه يزيد إلى مرو ليتولى مراسم دفن أخيه، وجعل يوصيه بما يفعل ودموعه تنصدر على لحيته (١٣٠)، وبعد أن نظم الأوضاع في كش، تركها متوجهاً إلى مرو وفي طريقه أصيب المهلب بمرض شعر معه بدنو أجله، فجمع أولاده، وأعلن استخلافه لابنه يزيد عليهم، وأمرهم بعدم مخالفتها، فقال له ابنه المفضل: لو لم تقدمه لقدمناه (١٣١)، وأحضر سهاما فحزمت، وقال: انكسرونها مجتعة؟ قالوا: لا، قال: افكسرونها متفرقة؟ قالوا: نعم، قال: فهكذا الجماعة.»

وأوصى المهلب أبناءه قبيل وفاته وصية أوردتها معظم مصادر التاريخ، ثم توفي المهلب بمرور الزمن، ودفن فيها، وصل عليه ابنه حبيب وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ٨٢هـ / ٧٠١م (١٣٢).

علاقة يزيد بن المهلب بالأمويين حتى وفاة عمر بن عبدالعزيز:

بعد وفاة المهلب، كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاته فأقره الحجاج على خراسان مكان أبيه (١٣٣)، فاستقر بها وأخذ ينظم شئونها.

وفي سنة ٨٣هـ / ٧٠٢م كان الحجاج بن يوسف الثقفي مازال على حرب ابن الأشعث، وكانت أهم المعارك التي خاضها في هذه السنة معركة «دير الجماجم» المشهورة بالقرب من الكوفة، والتي انكسر فيها جيش ابن الأشعث وتشقت شمل أصحابه (١٣٤)، ويهمننا من أمر هذه المعركة أن فريقاً من جيش ابن الأشعث بعد أن انتهى بهم المطاف إلى سجستان، طلبوا أن يتركوا سجستان ويتوجهوا بجيوشهم إلى خراسان وعليها يزيد بن المهلب ليستولوا عليها ويتقوا بها، وألحوا على ضرورة تحقيق هذا الأمر، واستجاب ابن الأشعث لرغبة أصحابه بعد الإلحاح، وسار بهم في اتجاه خراسان وعندما وصلوا مدينة «هراة» حدث اضطراب في صفوف قواته أظهر اختلافها فيما بينهم، وانسحب جزء من جيشه بقيادة عبيد الله بن عبد الرحمن في الفين، مما أغضب ابن الأشعث، فترك قيادة أصحابه وانسحب بخاصة من المعركة (١٣٥).

تجمع من بقي من جيش ابن الأشعث في هراة بقيادة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة في حوالي عشرين ألفاً، وبلغ خبر هذا الحشد يزيد بن المهلب في خراسان، وما فعلوه بنائهم على هراة «الرقاد بن عبيد» عندما أراد التصدي لهم فقتلوه، فأرسل يزيد تهذيراً إلى عبد الرحمن (١٣٦).

وتعلل عبد الرحمن بن العباس ليزيد بأنه مانزل هذه البلاد لحرب أو مقام، ولكن للراحة ثم الرحيل، وكان يزيد يراقب ما يجري في هراة يحذر كعادة آل المهلب في حروبهم، فبلغه أن عبد الرحمن أقبل على جباية ما تحت يده، فأدرك يزيد أن من أراد

أن يريح ثم يرحل لم يجب الخراج (١٣٧) خرج يزيد برجاله في اتجاه هراة وولى على الحرب أخاه المفضل، واستخلف على مرو عاصمة خراسان خاله جديع بن يزيد، وعندما وصل هراة، بعث تحذيراً ثانياً إلى عبدالرحمن بن العباس جاء فيه: أنك قد أرحمت وسمنت وجبيت الخراج فلك ما جبيت وزيادة، فأخرج عني فاني أكره قتالك (١٣٨). ولكن عبدالرحمن بن العباس لم يستجب لعداء المسألة، وكاتب جند يزيد يستميلهم ويدعوهم إلى نفسه، فأخبروا يزيد بذلك، فعلم أنه لا فائدة من العتاب، وأمر أخاه المفضل بالاشتباك، ودارت معركة قصيرة انهزم فيها جيش عبدالرحمن وفر معظم أصحابه من ميدان المعركة، فأمر يزيد بن المهلب بالكف عنهم وعدم مطاردتهم، ووقع منهم عدد كبير في الأسر، وكان من بين الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقاص الذي قال ليزيد عندما مثل بين يديه: أسألك بدعوة أبي لأبيك، فخلى يزيد سبيله (١٣٩). ويرى أن حبيب بن المهلب حرّض أخاه يزيد على عدم إرسال الأسرى في هذه المعركة من أهل اليمن، لأن الحجاج سيضرب أعناقهم، وقال له: بأي وجه تنظر إلى اليمانية إذا فعلت ذلك، ورغم أن يزيد كان يعلم خطورة التعرض للحجاج في مثل هذا الأمر، إلا أنه خضع لرأي حبيب وأنف أن يرد أسرى اليمانية إلى الحجاج، وأما المضرة فشدهم في الحديد ووجههم إلى الحجاج فقتلهم (١٤٠).

بعد أن فرغ الحجاج من ثورة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث سنة ٨٣ هـ رتب للقضاء على يزيد بن المهلب وعزله عن خراسان، وأصبح لا هم له إلا يزيد وأهل بيته، «وقد كان الحجاج أذل أهل العراق كلهم إلا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل المصيرين بخراسان، ولم يكن يتخوف بعد عبدالرحمن بن محمد بالعراق غير يزيد بن المهلب» (١٤١). ويبدو أن الحجاج كان يرى في يزيد بن المهلب، أكبر منافس له لدى الخلافة الأموية في دمشق، وأنه يمكنه أن يحل مكانه ويتولى ما تحت يده من أعمال، وحسب رواية ابن خلكان «وكان الحجاج يكره يزيداً لما يرى فيه من النجابة فيضئ منه أن يترتب مكانه، فكان يقصده بالمكره كل وقت كي لا يثبت عليه» (١٤٢). ولما كان أهم ما يشغل بال الحجاج في ذلك الوقت هو يزيد بن المهلب، فكان الحجاج كثيراً ما يسأل المنجمين عن مكانه، فيقولون رجل اسمه يزيد فلا يرى من هو أهل لذلك سوى يزيد بن المهلب (١٤٣).

وتذكر الروايات التاريخية أن الحجاج كان يبحث عن سبب لاقتناع عبدالملك بن مروان بعزل يزيد عن خراسان، فأكثرت من الكتابة إلى عبدالملك يذم يزيد وأل المهلب ويتهمهم بأنهم زبيريّة (١٤٤). ومع علم عبدالملك بأن هذه تهمة لا قيمة لها الآن بعد ما حققه آل المهلب من انتصارات ضد أعداء الدولة الأموية، إلا أن الحاج الحجاج دفع الخليفة إلى أن يكتب إليه: «قد أكثرت في يزيد وأل المهلب، قسم لي رجلاً يصلح لخراسان، فسمي له مجاعة بن سعد السعدي، فكتب إليه عبدالملك أن: «رأيت الذي دعاك إلى استفساد آل المهلب، هو الذي دعاك إلى اختيار مجاعة، فانظر لي رجلاً حازماً ماضياً لأمرك، فسمي له قتيبة بن مسلم، فكتب إليه وله» (١٤٥).

ونستنتج مما سبق أن عبدالملك كان يدرك حقيقة مشاعر الحجاج وحقده على يزيد وأل المهلب، وأنه كان يرمي إلى «استفساد آل المهلب» ورغم ذلك فقد استجاب الخليفة لطلب الحجاج وعزل يزيد عن خراسان بقتيبة بن مسلم في ربيع الآخر سنة ٨٥ هـ، وكان هذا في اعتقادي منعا لاحتمالات الفتنة والصدام بين يزيد والحجاج مما يندّر

بسوء العاقبة، وكان الحجاج حريصاً في نفس الوقت أن يتم عزل يزيد عن خراسان وقدمه إلى العراق بطريقة لا تثير مشاعره، ولا تدفعه إلى الثورة والتمرد، فلم يكتب الحجاج إليه بالعزل بل كتب له باستخلاف أخيه المفضل وأن يقبل عليه بالعراق^(١٤٦). وكان يزيد بن المهلب على علم بما يديره له الحجاج، ورغم نصيحة مستشاريه له بأن يترث في الخروج إلى العراق على أمل أن عبد الملك ربما يعدل عن عزله، إلا أن يزيد كان محافظاً على التقاليد التي بثها فيه والده المهلب، وقال لمن حوله: «أنا أهل بيت بورك لنا في الطاعة، وأنا أكره المعصية والخلاف»^(١٤٧).

وهناك رواية تشير إلى أن يزيد في أواخر أيامه في خراسان تغير على بني عمه وغيرهم من أجناد خراسان، فجعل يبغضهم ولا ينفذ فيهم وصية أبيه حتى أبغضه أهل خراسان وكاتبوا الحجاج^(١٤٨) ولا نميل إلى هذه الرواية لتبرير عزل يزيد، فالهجاج ما كان يشغله علاقة يزيد بأهل خراسان ورايهم فيه، بقدر ما كان يشغله أمور أخرى سبق إيضاحها، ومما يندحض هذه الرواية، ما تنويه معظم المصادر أنه عندما خرج يزيد من خراسان إلى العراق لقي ترحيباً كبيراً في كل مكان «فلم يمر ببلد إلا فرشوا له الراحين»^(١٤٩).

حبس الحجاج يزيد بن المهلب ومعظم أفراد أسرته وأخذهم بسوء العذاب، وأغرمهم ستة ملايين درهم^(١٥٠)، وظل يزيد في سجن الحجاج حتى سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م حيث تمكن يزيد ومن معه من أخوته من الهرب من قبضة الحجاج، ولجأ إلى سليمان بن عبد الملك واستجار به^(١٥١).

ويظهر أن سليمان بن عبد الملك لم ينسى بلاء آل المهلب وشهرتهم التي داعت في الأفاق وجهادهم وولاءهم للدولة الأموية، لذلك أرسل مع يزيد وأخوته ابنه أيوب، وطلب منه أن يدخل إلى الوليد وهو في قيد واحد مع يزيد بن المهلب، ووجه سليمان كتاباً إلى أخيه يبر فيه أسباب أجارته ليزيد جاء فيه: «أما أجرت يزيد بن المهلب لأنه وإباه وأخوته من صنائعنا قديماً وحديثاً، فلم أجر إلا سامعاً مطيعاً حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته»^(١٥٢) وتعهد سليمان بأن يرد عن يزيد ما يطلب منه من أموال^(١٥٣). فأمن الوليد بن عبد الملك يزيد وآل المهلب، وكتب إلى الحجاج بأن يكف يده عنهم، فاستجاب الحجاج لأوامر الخليفة، وكان أبو عيينة بن المهلب عند الحجاج وقد أغرمه مالا فكف عنه، وأطلق سراح حبيب بن المهلب وكان يعذب بالبصرة^(١٥٤) وأقام يزيد بن المهلب عند سليمان يحسن استقباله، ويقدم له الهدايا بين الرجلين تزداد قوة مع الوقت وكان سليمان يحسن استقباله، ويقدم له الهدايا القيمة ويقبلها منه، ولم يتمكن الوشاة من إفساد هذه العلاقة القوية بينهما^(١٥٥) وظل الحال على ذلك حتى وفاة الوليد بن عبد الملك وتولى سليمان الخلافة سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م.

كان من المتوقع أن يحظى آل المهلب وعلى رأسهم يزيد بمكانة مرموقة ونفوذ قوي في ظل حكم الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك^(٩٦ - ٩٩ هـ / ٧١٤ - ٧١٧ م) الذي ما كاد يتولى الخلافة حتى دعا يزيد بن المهلب، فخلع عليه وأكرمه^(١٥٦)، وأسند إليه ولاية العراق وأمره أن ييسط العذاب على آل أبي عقيل وهم أهل الحجاج، فأسند يزيد مهمة الانتقام منهم ومصادرة أملاكهم إلى أخيه عبد الملك^(١٥٧)، ورغم أن سليمان قد أطلق يزيد بن المهلب في أهل الحجاج وخواصه، إلا أن

يزيد لم يكن يحمل طباع الحجاج ولا أخلاقه، وكان أقرب إلى العفو منه إلى الانتقام والتشفي، ويبدو هذا واضحاً في موقفه من يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج وأحد خواصه، وكان سليمان قد قبض عليه، وقال ليزيد بن المهلب: «خذك اليك فعذبه بالولان العذاب، حتى تستخرج منه الأموال. فقال: يا أمير المؤمنين أنا أعلم به، لا والله ما عنده مال، ولا كان ممن يحوي المال. وكان يزيد بن المهلب يعرف له جميل فقله به، فوالاه سليمان الصائقة» (١٥٨).

وفي سنة ٩٧هـ / ٧١٥م استعمل سليمان بن عبد الملك، يزيد بن المهلب على خراسان مضافة إلى العراق، فولى يزيد أخاه زيادا على عمان (١٥٩) وكان سبب ذلك أن سليمان لما ولى يزيد العراق فوض اليه الحرب والخراج والصلابة بها، أي أصبحت ولاية عامة ليزيد، فنظر يزيد لأموال العراق وما ألت إليه بعد أن خربها الحجاج، وضيق على أهلها، واستنزف أموالهم، ورأى أنه إن تشدد في جمع الخراج وعذب الناس لجمعهم معهم، صار عندهم مثل الحجاج، لذلك احتال يزيد لدى الخليفة حتى يسند إليه ولاية خراسان وكان الأمر قد جاء عفوا ودون تدبير أو رغبة من يزيد (١٦٠).

ويبدو من رواية لابن الأثير أن يزيد انشغل عن الخراج، فأسندت مهمة الخراج إلى صالح بن عبد الرحمن، فضيع صالح على يزيد في الأموال حتى ضجر من البقاء في العراق وكان يزيد مشهوراً بالكرم إلى حد الإسراف فقد اتخذ ألف خوان يطعم الناس عليها فمتمتها صالح واشترى يزيد متاعاً وكتب صكاً بثمنه إلى صالح فلم يقبله، وادعى بأن الخراج لا يقوم بما يريد يزيد (١٦١).

ونعتقد أن فرصة العراق كانت ضيقة أمام طموحات يزيد وأل المهلب فجال الغزو والفتوحات ليس متاحاً ليزيد في العراق، ولعل هذا هو ما دفع يزيد إلى السعي لتولي خراسان تلك الولاية التي خبرها آل المهلب طويلاً في صراعهم مع الأزارقة وفي كفاحهم في سبيل الجهاد ونشر الإسلام، فالغزو هو الطريق الذي اعتاده آل المهلب للحصول على الشهرة والمغانم، فعن طريق الغزو يمكن تحقيق المكانة العالية المرموقة، والثروات الطائلة التي تخضع الرقاب وتجمع الأنصار. خرج يزيد بن المهلب إلى خراسان سنة ٩٧هـ / ٧١٥م وكان قد سبقه إليه ابنه مخلد واستخلف الولاية على مدن العراق، وجعل أخاه مروان على حوائجه وشئونهم بالبصرة (١٦٢) لما للبصرة من مكانة خاصة لدى آل المهلب.

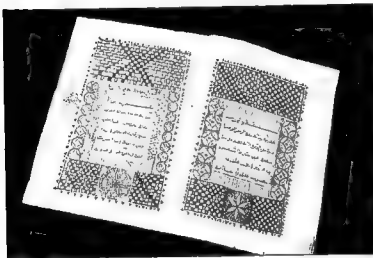
وسعى يزيد بن المهلب بعد توليه خراسان في تحقيق ما كان يصبو إليه من أهداف، فبعد أن قبض على زمام الأمور في ولايته، قضى على الثورات في جرجان وطبرستان، وحارب الترك والديالم، واستعان بآل المهلب في الإدارة والقيادة، فولى ابنه مخلداً سمرقند، وولى مدرك بن المهلب بلخ ومحمد بن المهلب مرو وعظم أمر يزيد بخراسان (١٦٣)، مما ساعده على القيام بسلسلة من الفتوحات والغزوات الناجحة، وكتب إلى سليمان بن عبد الملك بذلك وأن الفيء عشرون ألف ألف، خلاف ما أعطاه لجنده من هذا الفيء ومن الغنيمة (١٦٤) ولما مات سليمان وتولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة طالب يزيد بن المهلب بهذه الأموال التي لم يثبت توريدها لبني المال في دمشق وطلب منه عمر القدوم إليه، ولما أنكر يزيد هذه الأموال ألقاه في الحبس حتى يؤدي ما عليه من أموال المسلمين (١٦٥) ولما بلغ يزيد بن المهلب أن عمر بن عبدالعزيز على فراش

الموت وكانت علاقته بولي العهد يزيد بن عبد الملك سيئة للغاية وخاف على نفسه ان تولى يزيد الخلافة، دبر خطة أفلحت في فراقه من سجنه (١٦٦).

ثورة المهالبة على يزيد بن عبد الملك :

مات عمر بن عبدالعزيز وتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة سنة ١٠١ / ٧١٩م وكان من أهم مشاغله أن يقبض على يزيد بن المهلب ولكن يزيد أفلح في الوصول الى البصرة والسيطرة عليها (١٦٧)، واستولى على بيت مالها وأخذ يوزعه على أتباعه وعلى كل طامع، وأرسل العمال إلى الأهواز وقارس وكرمان، وأعلن الثورة ضد بني أمية (١٦٨)، وكان الحسن البصري يخذل الناس عنه في البصرة (١٦٩)، بينما حشد له يزيد بن عبد الملك جيشا كثيفا جعل قيادته لأخيه مسلمة بن عبد الملك أحد أبطال الفتح

صورة للمصحف الشريف بخط اليد



البارزين، مما أدى إلى إثارة الخوف في نفوس رجال ابن المهلب، ولكنه شجعهم (١٧٠)، وحدث اللقاء في مكان قرب الكوفة يسمى العقر، حيث هزم ابن المهلب وقتل، وفر بقية أفراد أسرته وجيشه تجاه البصرة، وكان ذلك عام ١٠٢هـ / ٧٢٠م (١٧١).

تجمع من بقي على قيد الحياة من آل المهلب بالبصرة، وركبوا سفنا هربوا بها حتى وصلوا إلى قنابيل حيث تخلى عنهم حاكمها، ووصلت إليهم جيوش بني أمية فاعملت السيف في رقابهم ولم ينج منهم إلا القليل (١٧٢).

وتعود هزيمة يزيد بن المهلب وما تعرض له المهالبة من نكبة، إلى وجود انقسام داخل صفوف جيش يزيد، وإلى قيام الحسن البصري بتخذيل الناس عنه (١٧٣) وإلى الثقة الزائدة في النفس التي أدت به إلى عدم توخي الحذر، وإلى الغرور والاستهانة بقوة الخصم (١٧٤).

مخطوطة من التراث العُماني



وبعد هذه النكبة لم يكن لآل المهلب دور في الأحداث لسنوات طويلة، وأن ظهر نشاط أحدهم وهو سليمان بن حبيب بن المهلب في منطقة البصرة والأهواز في عام ١٢٩هـ / ٧٤٦م ربما بتأييد الدعوة العباسية (١٧٥)، حيث كان المهالبة بصفة عامة يؤيدون هذه الدعوة انقساماً من بني أمية. وقد كافأ العباسيون سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب الذي كان قد أعلن هو

الأخر الثورة في البصرة ولبس السواد شعار الدولة العباسية، فأُسندوا إليه بعد توليهم الحكم وقضائهم على بني أمية، ولاية البصرة، وردوا إليه أملاك آل المهلب التي كانت الدولة الأموية قد صادرتها(١٧٦).

وهكذا رأينا كيف قام المهلب والمهالبة العمانيون بدور فعال في القضاء على الأزارقة، وكيف خلصوا الدولة الإسلامية من خطر هذه الفرقة الغالية التي هددتها طويلا، وكيف حكموا خراسان وكان لهم نفوذهم الواسع في البصرة والعراق حتى انتهى الأمر بقيام الصراع بينهم وبين الدولة الأموية في عهد يزيد بن عبد الملك وأدى الى ما أدى اليه.

وقد حان الآن الدور على الحديث عن فضل العمانيين في ميسدان آخر، وهذا الميدان هو ميدان الفتح والجهاد ونشر الاسلام، يتجل ذلك العمل العظيم فيما قام به أهل عمان من المساهمة الكبيرة في فتح ثغر الهند وفي نشر الاسلام فيها. فكيف تم ذلك وكيف حدث؟

الفصل الثالث

العمانيون ودورهم في أحداث ثغر الهند

لم يكن الاحتكاك بين البلاد العمانية وشبه القارة الهندية منتظما بالصورة التي يترتب عليه قيام علاقات عسكرية من نوع معين كذلك التي كانت بين الدولة البيزنطية والدولة الإسلامية والتي استمرت لقرون طويلة، وربما يعود ذلك الى اندراج عمان ضمن ولايات الدولة الإسلامية الكبرى من جهة، وعدم وجود سلطة زمنية موحدة لأجزاء البلاد الهندية التي كانت حينئذ تشتمل على قوى متعددة من جهة أخرى. وتعود العلاقات (إذا تجاوزنا في الوصف) الى الفترة الإسلامية المبكرة، فتشير المصادر إلى أن عمر بن الخطاب الخليفة الثاني قد كلف في سنة ١٣هـ / ٦٣٤م عثمان بن أبي العاص الثقفي بالقيام بولاية البحرين وعمان. ويبدو حسب ما ذكره البلاذري أن عثمان أنساب أخاه الحكم بن أبي العاص ممثلا عنه في البحرين وذهب بنفسه إلى عمان حيث ضبط أمرها وبسط الأمن وأقر نفوذ الخلافة فيها^(١).

ومن عمان انطلق «عثمان بن أبي العاص» ليغزو الهند، يحدثنا علي بن محمد بن أبي سيف بأن عثمان كلف جيشا من قبله بالقيام بحملة بحرية الى «تانه»، على الساحل الغربي من الهند. وبعدما عاد الجيش غانما منتصرا كتب عثمان يبشر عمر بذلك، فما كان من الخليفة عمر إلا أنه عنفه على ذلك قائلا: «يا أخا ثقيف حملت دودا على عود واني أحلف أن لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم»^(٢).

ويبدو أنه في ذات الحال كان عثمان قد بعث حملتين بحريتين أخريين، أحدهما بقيادة أخيه الحكم^(٣) وجهتها بروص أو بروج^(٤). وكانت الحملة الثانية، بقيادة أخيه المغيرة، الذي وصل الى ثغر الديبل حيث حاربهم السنديون، ولكن المسلمين انتصروا عليهم^(٥). ويحتمل أن يكون النصيب الأوفر في المشاركة في هذه الحملات لعرب عمان والبحرين، وذلك أننا نقدر أنهم كانوا أكثر عرب الجزيرة معرفة بركوب البحر، وهناك حقيقة أخرى وهي انه ورد ذكر قبائل عربية غزت فارس من جهة البحرين (أي عبر الخليج العربي) منهم بنو ناجية والأزد العمانيون وبنو عبد القيس وبنو تميم غير مرة، وذلك مع «الحكم بن أبي العاص»^(٦) وربما مع العلاء بن الحضرمي من بعده. بل لعل «عثمان بن أبي العاص» - وهو الطائفي الذي نفترض أنه لم يكن لديه أدنى معرفة بالبحر وركوبه - قد اقتنع بهذه المخاطرة عن طريق هؤلاء العمانيين^(٧).

والظاهر أن دولة الخلافة الإسلامية - وخاصة في العصرين الراشدي والأموي - قد اعتمدت على عرب عمان والبحرين كثيرا في غزو الهند، فنجد أسماء لكثير من عرب عمان ممن ساهم في قيادة ودفع الحملات العسكرية البرية في مكران والسند (الغفور الوسطى من الأطراف الهندية الغربية).

الظهر، واستشهد فيها راشد بن عمرو، وتولى بعده سنان مرة أخرى^(١٦). وتذكر بعض الروايات أن راشد بن عمرو هاجم أيضا القيقان، وتوغل في السند، وضرب أقليم المجد أو الهند^(١٧). وهكذا يتجلى لنا أن رجالا من أهل عمان لم يكن لهم دور بارز في القيادة فحسب بل كانوا أيضا عمدة في الاستشارة حول القضايا المهمة فيما يتعلق بأمور ثغر الهند.

ووفقا لبعض المصادر التاريخية فإنه في الفترة بين عامي ٦٥ - ٧٨هـ / ٦٨٤ - ٦٩٧م، وهي الفترة التي شهدت فيها الدولة الأموية محنتها الكبرى - ظهرت في منطقة ثغر الهند قوة عربية لاتدين للنفوذ الأموي وهي قوة «معاوية ومحمد ابني الحارث العلافين»^(١٨) من بني علاف وهو - كما ذكر البلاذري - «ربان بن ثعلبة بن حلوان» من أزد عمان^(١٩).

وقد نجحت هذه القوة في السيطرة على ثغر الهند (مكران، والسند) على مدى عشر سنوات إلى ثلاث عشرة سنة، أما كيف كانت الأحوال في ثغر الهند أيام نشاط العلافين، وماذا صنعوا في الاقليم؟ وما أهدافهم؟ وكيف جرى حكمهم؟ وهل كانوا على مذهب الإباضية كما يظن البعض...؟ هذه الأسئلة وغيرها لاتزال تنتظر الاجابة. أما القول الذي يردده ويذهب اليه بعض المؤرخين من أن السبب في خروج العلافين يعود لمقتل أحد حلفائهم أو أقاربهم واسمه «سفهوري بن لام العماني»^(٢٠) وعلى يد «سعيد بن أسلم الكلبي» عامل الحجاج الذي أرسله حوالي عام ٧٨هـ إلى السند ففقه كثير من التسرع، ذلك أن الأخير قدم إلى الثغر متأخرا، بل في نهاية فترة العلافين، في حين تذكر بعض المصادر أن العلافين كانوا مسيطرين على الثغر منذ عام ٦٥هـ / ٦٨٤م^(٢١).

بل، على العكس، يمكن القول بأن انتقام العلافين من «سعيد بن أسلم» كان السبب الذي حمل الخلافة الأموية وأميرها على العراق ولايات المشرق حينئذ «الحجاج بن يوسف» على الانتقام والقضاء على العلافين.

يحدثنا الكوفي أنه حين قدومه مكران أقدم سعيد بن أسلم على قتل «سفهوري بن لام» ولعل الأخير كان من وجهاء العمانيين من بني علاف (أو ربان) في ذلك الثغر، فقامت جماعة من قوم العلافين من بينهم «محمد بن معاوية العلابي» بتدبير مقتل سعيد، فكان أن هاجموه ورجاله في مكان يدعى «مرج» وقتلوه مع عدد من رجاله، أما الباقون الذين لا ذوا بالفرار فقد عادوا إلى العراق وأخبروا الحجاج بما حدث. فأرسل «معاوية بن سعة التميمي» وأمره بتعقب العلافين، فلم يمكث أكثر من عام واحد ٧٩هـ / ٦٩٨م ثم توفي^(٢٢).

وقد هرب العلافيون من مكران ولجأوا إلى ملك السند، وكان أن وجه الحجاج محمد بن هارون النميري عقب (معاوية بن سعد) مباشرة، فنجح في مطاردة العلافين واستنصالح نفوذهم إلى الأبد^(٢٣). وهكذا كما ظهرت سلطة العلافين في ظروف غامضة عادت تتضاءل في ظروف مليئة بالتساؤلات والاحتمالات^(٢٤).

ولم ينته دور العمانيين في ثغر الهند بالقضاء على نفوذ العلافين فيه، إذ يذكر البلاذري^(٢٥) أن الحجاج قبل إرساله «محمد بن القاسم الثقفي» سنة ٩٢هـ / ٧١١م كان قد أمر «بديل بن طهفة البجلي» الذي كان بعمان - بالمسير إلى ثغر الديبل وهو ثغر بحري يقع إلى الجنوب الشرقي من كراتشي حاليا ويبعد عنها بحوالي أربعين كيلومترا. ويبدو أن حملة بديل لم تكن موفقة تماما فقد استشهد^(٢٦). ويقلب على الظن بأنه

كانت توجد عناصر عمانية بين جند بديل - لم يذكرها المؤرخون - لكونه في واقع الأمر قدم من عمان.

وبعد ذلك بأربع سنوات تقريباً ٩٦هـ / ٧١٥م، أرسل «حبيب بن المهلب بن أبي صفرة» لثغر الهند اثر مقتل واليهما «يزيد بن أبي كيشه السكسكي» (٢٧). والظاهر أن حبيباً لم يدم طويلاً حيث قضى بها مدة تقدر بستين، لأنه في أول خلافة «عمر بن عبدالعزيز» سنة ٩٨هـ / ٧١٧م عزل والي ثغر الهند وعين مكانه شخص آخر (٢٨). وقد شهد ثغر الهند كذلك مأساة أبناء «المهلب بن أبي صفرة العتكي» وأسرته، فتذكر المصادر أنه اثر الصدام بين يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الذي كان والياً على العراق لسليمان بن عبد الملك ٩٦هـ / ٧١٥م، وبين جيوش «يزيد الثاني بن عبد الملك بن مروان» ١٠٢هـ / ٧٢٠م، فر الناجون من القتل من أبناء المهلب وهم مدر، والمفضل، وعبد الملك، وزياد، ومعاوية بمن بقي من أسرة آل المهلب وركبوا البحر إلى «قنديل» (حالياً GAWDAV في باكستان)، وذلك وفقاً لتدبير كان دبره أخوه يزيد قبل مقتله مع «وداع بن حميد الأزدي»، إذ ولاء يزيد «قنديل» فإن هو ظفر بجيوش الأمويين أكرم وداعاً، وإن كانت الأخرى كان وداع ملجأ لبني قومه (٢٩).

ولكن الآخر لم يف بوعده بل لقد صد أسرة المهلب عن دخول قنديل بحجة ولاءه للأمويين، ثم وقف في وجوههم مع جيش الخلافة الذي أرسله «يزيد الثاني» مؤخرًا لمطاردة بني المهلب بقيادة «هلال بن أحوز المازني التميمي» (٣٠). وللمرء أن يتساءل كيف كانت ستجرى الأحداث في ثغر الهند لو أن وداع بن حميد مكن لبني المهلب ومن تبعهم من النزول في «قنديل» وخاصة إذا ما تذكرنا ما لهذه الأسرة من عراقية في المجد والزعامة وقوة التأثير؟ ورغم ذلك المصادر تمدنا بمعلومات مفادها أن كثيراً من رجالات الأسرة المهلبية قد ذهبوا في ملحمة دموية رهيبة ربما أتت على الأطفال القصر، واستبدت أثارها بحوالي خمسين امرأة من كريمات المهلبين حتى عوملن كسبايا الكفار (٣١). ويذكر البلاذري أن «مدر بن المهلب» قتل في قنديل كما قتل «المفضل وعبد الملك وزياد ومروان ومعاوية بن المهلب» وقتل «معاوية بن يزيد» في آخرين (٣٢)، ذكر أسماءهم ابن خلدون، وهم «المنهال بن أبي عيينة بن المهلب» و«عمر بن يزيد بن المهلب»، بالإضافة إلى ثلاثة عشر آخرين - في الأغلب من القصر قتلهم «يزيد الثاني نفسه» (٣٣)، أما «أبو عيينة بن المهلب» و«عثمان بن المفضل» فقد قرأ إلى «رتبيل» و«خاقان» من ملوك المشرق (٣٤).

ولكن هل جاءت هذه المأساة على نهاية آل المهلب؟، الحقيقة أنه - برغم مبالغة بعض الروايات - لم يكن ذلك، فجد أنه في أواخر عهد «هشام بن عبد الملك» حوالي سنة ١٢٤هـ / ٧٤٣م يظهر شخص من آل المهلب يدعى «مروان بن يزيد بن المهلب» ضمن القادة الذين اعتمد عليهم والي السند أو ثغر الهند حينئذ وهو «عمرو بن محمد بن القاسم» (٣٥). ثم في سنة ١٤٢هـ / ٧٥٩م، أي في خلافة «أبي جعفر المنصور» وبأمر منه نجد «عمر بن حفص بن أبي صفرة العتكي» - ويعرف أيضاً بلقب هزارد - يعين على السند والهند (٣٦).

ونذكر ضمن الولاية بثغر الهند وبالتحديد في السند «سليمان بن قبيصة بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة»، الذي كانت له صلة ما بـ «الخليل بن أحمد الفراهيدي» ١٧٥هـ / ٧٩١م (٣٧) واستعمل المهدي ١٥٨ - ١٦٩هـ / ٧٤٤ - ٧٨٥م سنة

١٥٩هـ / ٧٧٥م «روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة» على ولاية السند^(٣٨) وقد ذكر ابن حزم أن يزيد بن حاتم المهلبي - وهو أخو روح - ولي أمر السند أيضاً^(٣٩).

واستعمل الرشيد كذلك داود بن يزيد بن حاتم بن المهلب «لولاية السند أو (ثغر الهند) وذلك سنة ١٨٤هـ / ٨٠٠م. ويعطينا اليعقوبي صورة لا بأس بها عما كان يجري هناك من الأحداث التي عرقلت مسيرة التوسع في الفتوحات، بأنه بسبب من العصبية القبلية التي ناء بها كاهل البلاد، فقد صرفت جهود الأمراء إلى بسط الأمن الداخلي والحيلولة دون وقوع الصدام القبلي بين العرب هناك، فبعد تعيين الرشيد لداود بن يزيد بعث الأخير أخاه المغيرة على رأس قوة ليلحق به فيما بعد. يقول اليعقوبي: «ولما قدم المغيرة أغلق أهل المنصورة الأبواب ومنعوه الدخول، إلا أن يعادهم ألا يستعمل فيهم العصبية، أو يخرجوا جميعاً عن المدينة ويدخلها، فخرج من به رمق ودخلها المغيرة، فتحامل على النزارية، فقاتلوه فهزموه، وسار داود بن يزيد لما بلغه الخبر حتى قدم البلد فجرد فيهم السيف، فقتل من النزارية خلقاً عظيماً، وصار إلى «المنصورة»، فأقام يقاتلهم عشرين يوماً، ولم تزل الحروب بينهم عدة أشهر، ففتحها، ثم سار إلى سائر مدن السند فلم يزل يفتح ويخرب إلى أن استقامت له البلاد^(٤٠)». ويذكر خليفة بن خياط، أن داود بقي على «ولاية الهند» حتى نهاية عهد الرشيد سنة ١٩٢هـ / ٨٠٧م^(٤١).

والظاهر أن داود قد مكث أكثر من ذلك، ثم ولي بعده ابنه «بشر» أي في عهد المأمون ١٩٦ - ٢١٨هـ / ٨١١ - ٨٣٣م وقيل أنه خالف المأمون فعزله^(٤٢). وأغلب الظن أن «محمد وغسان ابني عباد» هما أيضاً من بني المهلب الذين ضمنوا للمأمون عدم صحة الزعم القائل بخلاف «بشر بن داود المهلبي» عليه، وأن «غسان بن عباد» هو المهلبي الذي ولي أمر ثغر الهند (بلاد السند) لمأمون سنة ٢١٢هـ / ٨٢٨م على ما ذكره الطبري^(٤٣).

وهكذا يبقى ارتبطاً بني المهلب بالارض التي اعتادوا وقومهم من قبل على معالجتها وخبرها.

ومما تقدم يتبين لنا إلى أي مدى كان وجود وفعالية عرب عمان في أحداث إقليم ثغر الهند واعتماد الخلفاء على جهود وخبرة هؤلاء العرب التي ربما نسبت إلى نشاطهم البحري ومجاورتهم للهند من هذه الجهة، والتي يمكن القول بأن تلك الخبرة وذلك الاحتكاك قد امتد إلى اعماق التاريخ مما أكسبهم معرفة بالتعامل مع الأرض والسكان.

وإذا كان عرب عمان لهم دورهم الكبير في ثغر الهند على نحو ما رأينا، هذا الدور الذي بدأ منذ عهد الخلافة الراشدية واستمر إلى عهد الخلافة العباسية، فإن الحديث عن علاقة العمانيين بهذه الخلافة أصبح امراً لازماً، لنرى كيف أثرت هذه العلاقة في مجرى الأحداث، وفي تاريخ عمان ذاتها. وهذا هو محور الحديث في الفصل التالي.

الفصل الرابع العمانيون والدولة العباسية

عمان في العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢هـ / ٧٤٩ - ٨٤٧م) :

بقيام الدولة العباسية (١٣٢هـ / ٧٤٩م) ولى أبو العباس السفاح أخاه أبا جعفر المنصور على أقاليم عمان واليمامة والبحرين، وقد اختار أبو جعفر جناح بن عباد بن قيس الهنائي عاملا على عمان فظل في منصبه مدة قصيرة حتى عزله وعين بدله ابنه محمد بن جناح^(١).

ولم تشر المصادر الى سبب عزله بل تشير الى أن محمدا عامل أهل عمان معاملة طيبة وأحسن اليهم فأحبوه^(٢).

وقد تأثر محمد بن جناح كثيرا بالأفكار الإباضية مما دعاه الى الاعتراف بنفوذهم، فبادر أهل عمان وعقدوا الإمامة للجندي بن مسعود^(٣)، الذي يعتبر الامام الأول للإمامة الإباضية في عمان. وبذلك خرجت عمان من يد العباسيين زمن أبي العباس السفاح^(٤).

وربما أدى اهتمام العباسيين بما واجه دولتهم في مرحلة النشأة من أخطار خارجية ومتاعب داخلية وخاصة مطاردة الأمويين ومواجهة ثورات العلويين، ربما أدى ذلك الى عدم الانتباه مؤقتا الى ما كان يجري في أطراف الدولة ومنها عمان^(٥). وقد استقرت الأمور في عهد الجندي بن مسعود لما أظهره من عدل بين أهل عمان، ونعم الناس بحكمه، وعظم نفوذ الإباضية في أيامه في مناطق أخرى من العالم الإسلامي، فضلا عن عمان، وكان الجندي ممن حضر بيعة الامام طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي في اليمن سنة ١٢٩هـ / ٧٤٦م، وقد تدفق العديد من أتباع الإباضية من اليمن وحضرموت والبصرة الى عمان بعد إعلان الإمامة الإباضية بها^(٦). لتدعيمها وتحقيق استقلال عمان عن الدولة العباسية.

وفعلا حدث هذا الأمر وأدى استقلال عمان استقلالا تاما بقيادة الجندي بن مسعود عن دولة بني العباس الى اغضب العباسيين الذين منذ أن استأثروا بالخلافة، أبدوا اهتماما خاصا بالمناطق الشرقية من دولتهم بما في ذلك منطقة الخليج العربي، لاعتبارات سياسية واقتصادية ودينية فالدولة العباسية كانت تخطط لفتوحات جديدة في الهند وأواسط آسيا، وهذه المشروعات الجديدة كانت تحتم عليها أن تضمن طرق مواصلاتها العسكرية عبر الخليج العربي، ولم يكن في الامكان تحقيق ذلك الا بالسيطرة التامة على هذا الممر المائي^(٧).

وقاومت الإمامة الضغط العباسي فحدث الصدام بين الطرفين، وكان أبو العباس السفاح سنة ١٣٤هـ (٧٥١ - ٧٥٢م) قد أرسل جيشا الى عمان حملته السفن بقيادة

خازم بن خزيمة^(٨)، لمقاتلة شيبان اليشكري ومن معه من الصفورية الذين كانوا قد هربوا إلى جزر الخليج، ولكنهم انسحبوا إلى عمان حال سماعهم بزحف خازم التميمي إليهم، ونشبت معركة حاسمة بين الإمام الجلندي وشيبان انتهت بانتصار الأباضية ومقتل شيبان اليشكري والعديد من أتباعه^(٩)، من الصفورية.

وبذلك مهد الجلندي بن مسعود بقضائه على شيبان اليشكري الطريق أمام الجيش العباسي الزاحف لاختضاع عمان للسلطة العباسية، ذلك أن خازم التميمي الذي جاء في الأصل لمحاربة الصفورية طلب من الأباضية إعلان ولائهم للخلافة العباسية ولقاء الجلندي، وتم اللقاء بين خازم بن خزيمة والجلندي، وقدم خازم الشكر للجلندي لقضائه على شيبان اليشكري وطلب منه الدخول في طاعة الخليفة العباسي، فشاور الجلندي رفاقه فلم يوافقوه على ذلك عندئذ أبدى رفضه لطلب خازم^(١٠)، فوقع بينهما القتال عند موضع يقال له جلفار (رأس الخيمة)، وكانت قوة الفريقين متكافئة، لكن العباسيين لاذوا بالخييلة فاستعملوا النار في حربهم، فانشغل أهل عمان بإطفاء النيران انقذا لأطفالهم من الحرب، فعالم عليهم اتباع خازم وأذرعوا فيهم السيوف حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأتوا على الجيش العماني بأكمله^(١١)، وقتل أمامهم الجلندي في هذه المعركة بعد أن دامت امامته سنتين وشهرا. كما قتل هلال بن عطية الخراساني والعديد من الأباضية، وبهذا قضى على الامامة الأباضية الأولى^(١٢) في عمان.

وتكاد تجمع المصادر على أن عدد قتل العمانيين في هذه المعركة بلغ نحو عشرة آلاف قتيل أخذ خازم رؤوس بعض البارزين منهم وبعث بها إلى الخليفة العباسي، ثم انه تولى الأمر في عمان لفترة يسيرة إلى أن استدعاه أبو العباس السفاح إلى بغداد^(١٣). وذكر أن رجلا من أهل عمان خرج إلى الحج وكان في صحبته رجل من أهل البصرة لا يهدأ الليل ولا نيام، فسأله العماني عن حاله وهو لا يعرف أن صاحبه من أهل عمان، فقال له اني خرجت مع خازن بن خزيمة إلى عمان فقاتلنا بها قوما لم أر مثله قط فانا من ذلك اليوم على هذه الحالة لا ياخذني النوم، فقال الرجل العماني في نفسه، أنت حقيق بذلك أن كنت ممن قاتلهم^(١٤).

لقد تركت وفاة الجلندي فراغا سياسيا كبيرا وصدمة بين أتباعه ولم تستطع السلطة العباسية إخضاع عمان، فأباضية عمان لم يستكينوا للوأي العباسي وظلوا يناوئون العباسيين ويعارضون حكمهم لبلادهم، وإن دبت الخلافات بين أبناء الجلندي وما رافقها من خلافات قبلية^(١٥).

وقد تأكدت السلطة العباسية على عمان خلال الأربعة والأربعين شهرا التي تلت قتل الجلندي، وتعزى هذه السيطرة إلى أن الحكام الذين حكموا عمان خلال هذه الفترة وأطلق عليهم العمانيون اسم الجبابرة، اتسم عهدهم بشيوع الفساد وتقشي الظلم، ويعبر أحد المؤرخين العمانيين عن ذلك بقوله «استولت الجبابرة على عمان فافسدوا فيها وكانوا أهل ظلم وجور»^(١٦).

ومن هؤلاء الجبابرة، محمد بن زائدة، وراشد بن النظر الجلنديان، غير أنه في عام ١٧٧ هـ/ ٧٩٣ م حل الوثام والانسجام بين أهل عمان فاتفق علماء وفقهاء الأباضية برئاسة موسى بن أبي جابر الأركوي فأزالوا ملك الجبابرة من آل الجلندي، واستقر رأيهم على إعلان الامامة ثانية وعقدوها لمحمد بن أبي عقان، غير أنه كان شديدا تنقصه المرونة، فعزل وانتخب بدلا منه الإمام الوارث بن كعب الأزدي الذي حكم بعدل ونزاهة^(١٧).

وظلت عمان تحتفظ باستقلالها لمدة أحد عشر عاماً، وفي زمن الإمام السوارث بن كعب أراد هارون الرشيد توطيد سلطان الدولة على عمان، فبعث عيسى بن جعفر بن سليمان في ألف فارس وخمسة آلاف رجل، فكتب داود بن يزيد المهلبى إلى الإمام وارث يخبره أن عيسى وصل بعسكره، فأخرج إليه الإمام فارس بن محمد والتقى الجيشان بحتاً، فانهزم القائد العباسي عيسى بن جعفر وسار إلى مراكبه بالبحر، فسار إليه أبوحميد بن فلج الحداني السلوتي ومعه عمرو بن عمر في ثلاثة مراكب، فأسر عيسى وأنطلق به إلى صحار فحبس بها، وجاءت جماعة فتسورت السجن وقتلوا عيسى بن جعفر دون علم الوالي أو الإمام وأنصرفوا من ليلتهم، وبعد مقتل عيسى بن جعفر عزم هارون الرشيد على إرسال جيش إلى عمان لكنه مات قبل تنفيذ خطته (١٨).

اجتمعت كلمة أهل عمان على مبايعة غسان بن عبدالله اليمعدي بالامامة بعد وفاة الوارث بن كعب سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م، وكانت امامته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وقيل خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام (١٩).

وكان غسان من أهم الأئمة وقد تنبه إلى المخاطر التي يتعرض لها الوطن العُماني وبخاصة تلك الغارات التي كان يقوم بها القراصنة الهنود، فكان أول من صنع قوة بحرية عسكرية ليقطع الطريق بها على كل من يحاول العبث بأمن عمان وتجارته واقتصاده واستقراره، وفي الوقت الذي كان يحاول فيه الإمام غسان بناء الاسطول البحري لم يغفل عن السعى إلى الاستقرار الداخلي فحمل على المفسدين الخارجين على القانون من ذوي البأس من أمثال أبي راشد بن محمد وصقر بن محمد بن زائدة الجلداني، فقتلهم وقضى على عصاباتهم، وسميت نزوى آنذاك بفضة الاسلام (٢٠) وامضى في الحكم خمس عشرة سنة مترعة بالخير والرخاء، ناعمة في الأمن والاستقرار متمتعة بالحفاظ على كرامة الانسان، وتمضى فترة استقرار عمان إلى الإمام حيث تنتقل الامامة إلى عبدالمك بن حميد.

الإمام عبدالمك بن حميد:

وهو عبد الملك بن حميد بن بنى علي بن سوده بن عمرو بن عامر بن ماء السماء الازدى وقد بويع بالامامة يوم الاثنين من الاسبوع من شهر شوال سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م، وقيل انه قد بويع بالامامة بعد يوم من وفاة الامام غسان «رحمه الله» أي قبل انتهاء شهر ذى القعدة من سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م.

فعل القول الاول تكون البيعة قد تمت بعد وفاة الامام غسان «رحمه الله» بأحد عشر شهراً تقريباً، وفي حالة القول الثاني تكون البيعة قد تمت فعلاً بعد يوم من وفاة الامام غسان حيث انه قد توفي بعد صلاة الفجر يوم الاحد من الاسبوع الاخر من شهر ذى القعدة سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م، ولم يرجع نور الدين السالمى إحدى الروايتين، ولكن بالنظر إلى تواتر الأئمة في هذه الفترة فالأرجح أن الامامة قد عقدت له بعد وفاة الامام غسان بيوم واحد، وقد بويع على ما بويع عليه الامامان السابقان له وهما السوارث بن كعب، وغسان بن عبدالله أي «على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشرى في سبيل الله، وإظهار الحق وإخماد الباطل، والجهاد في سبيل الله، وقتال الفئة الباغية وكل فرقة امتنعت عن الحق حتى تفي إلى أمر الله، لا يستحلون منهم غنيمة مال ولا سبي عيال، ولا انتحال هجرة بعد النبي ﷺ، ولا يسموا بالشرك أهل القبلة ما بينوا الشهادتين» (٢١).

وخلال امامة الامام عبدالملك وجدت فرقة القدرية والمرجئة بصحار ودعوا الناس الى اعتناق معتقداتهم ووجدوا استجابة كبيرة بحيث امتدت دعوتهم الى توام وغيرهم من بلاد عمان، فخشي العلامة هاشم بن غيلان - رحمه الله عليه - على المسلمين والاسلام من ذلك فكتب كتابا الى الامام عبدالملك نورد نصه كاملا لما يبينه من اسلوب التخاطب بين العلماء والائمة من حيث الابتداء والانتهاء، والدخول في الموضوع الذي دعا الى المخاطبة بالتقديم له بما يجب عليه وسار عليه السلف ثم الوصول بعد ذلك التقديم الى هدف الرسالة وهو ابلاغ الامام بخبر هذه الفرقة، وكيفية المعالجة، اى تحديد القواعد الواجبة الاتباع... فكانها بمثابة توجيه من العلامة الى الامام واسلوب عمل لمواجهة هذه الفتنة.

«الى الامام عبدالملك بن حميد بن هاشم بن غيلان...»

بسم الله الرحمن الرحيم... سلام عليك، فإنى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو، واوصيك ونفسي بتقوى الله وطلب ما يخرج به من فتنة العلماء التى اصبح فيها كثير من اهل الشقاء واستعين بالله.

اما بعد ايها الامام.... مما العاقبة من سلامة في الدنيا والاخرة وايانا برحمته، فانى كتبت اليك، والعافية حالنا، والحمد لله كثيرا لحب سلامتك ويسر الصالحات وصلاح قسم الله لك، وما وفقك الله وارشدك واعزك ونصرك، فنسأل الله ذلك من لدنه فضلا منه ورحمة الله ذو الفضل العظيم، واعلمك رحمك الله... انه كان قبلك من ائمة المسلمين ادركنا من ادركهم، واخبرونا عنهم ان اول شيء ساروا به في الناس، ان علموهم دينهم واظهروا لهم نسب الاسلام، وبينوا لهم ما يأتون مما امرهم «الله» به من طاعته، وما يتقون مما نهاهم عنه من معصيته، ومن كان على غير دين المسلمين من اصناف الخوارج والشكاك وغيرهم لم يدعوهم على ذلك، حتى دخل الناس في الاسلام فممنهم من دخل في الاسلام على ايديهم والسفتهم بالصدق منه والرغبة في دين المسلمين ومنهم من قبل دين المسلمين تقية منه، ولم يظهر به على الله، حتى اماتوا كل بدعة وكل دين على خلاف الاسلام، وكانوا رحمة الله عليهم اذا بلغهم من احد انه على غير دين المسلمين ارسلوا اليه وعرضوا عليه دينهم، فان قبله كان له ما لهم وعليه ما عليهم، وان ابى إلا ان يغير ما عليه دين المسلمين، امره بالخروج من بلادهم، فان خرج تركوه وان لم يتب ولم يخرج لم يقاروه على ذلك واكرهوه على قبول الاسلام.

فاحيا الله بهم الدين، وامات بهم البدع واطهر بهم ابدع واطهر بهم الحق واطفا بهم كل جور حتى مضوا، عليهم رحمة الله ورضوانه.

وانه بلغنا ان قوما من القدرية والمرجئة بصحار، قد اظهروا دينهم، ودعوا الناس اليه، وقد كثر المستجيبون لهم، ثم قد صاروا يتوأم وغيرها من عمان وقد يحق عليك ان تنكر ذلك عليهم، فانا نخاف ان يعلو امرهم في سلطان المسلمين فأمر يزيد او اكتب اليه ان لا يترك اهل البدع على اظهار دعوتهم، حتى يطفئ الظلال والبدع، واكتب اليه رحمك الله، ان يظهر الانكار عليهم ويرسل الى كل من بلغه شيء من ذلك فيعرض عليهم الاسلام ويصف لهم الدين، واثبت القدر، وتكفيهم اهل الاصرار، فان قبلوا ذلك وإلا فاحبس، وعاقب، ومن بلغه عنه تماد في ذلك حبسه

وعاقبه وإطال حبسه.

أحببنا ان نعلمك ونكتبك اليك بالذي بلغنا من ذلك وضائق به صدورنا فانظر في ذلك، نظر الله اليك والينا برحمته.. والسلام عليك ورحمة الله (٢٢).

وقد قام الامام عبدالملك بن حميد بالامر وبالحق بشكل مرض، الى ان كبر وضعف منه السمع والبصر، وربما كان ذلك الضعف سببا في حدوث القتال بين عسكره، وفي انتقاد العلماء لبعض الامور والتصرفات، مما حدا بالوليك العلماء الى مخاطبة الامام ناصحين له (٢٣)، ونتيجة لذلك خافوا على الدولة من الانقسام فقام العلامة موسى بن علي بتسيير شؤون الدولة.

وتوفي الامام عبدالملك ليلة الجمعة الثالث من رجب من عام ٢٢٦ هـ / ٨٤٠م وبذلك تكون امامته دامت حوالي ثمانية عشر عاما ثم بويع بعده بالامامة الامام مهنا بن جيفر اليجمدي الازدي صبيحة يوم الجمعة للثالث من رجب من نفس العام.

الامام مهنا جيفر

كانت بداية حكم الامام مهنا مضيئة منذ يومها الاول، فقد كانت بيعته على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تنبه الى المخاطر التي تتعرض لها عمان. واكثرها يأتي من ناحية البحر الذي تمتد سواحله حولها الى ما يزيد على الف ميل مع الاهتمام باعداد جيش بري كثيف، وبذلك يجمي البحر والبر على حد سواء.

لقد قوى الامام مهنا البحرية العمانية الى مرتبة جعلها اضافة مهمة الى قوة البحرية الاسلامية في اوج قوتها، فقد اشتمل الاسطول العماني الذي انشأه الامام مهنا على ثلاثئة سفينة كاملة التسليح مهياة لخوض غمار الحرب في اية لحظة (٢٤). واما جيشه البري فكان يعتمد بطبيعة الحال على المقاتلين والفرسان، وكان يشتمل على حاميات موزعة على المناطق المختلفة، فكانت فيالقة في نزوى وحدها تضم عشرة آلاف مقاتل وسبعمئة ناقعة وستمئة فرس.

والامام مهنا شأنه في ذلك شأن الحاذقين من الحكام، يعلم ان الاستقرار الداخلي هو اساس نظام الحكم، ومن ثم كان شديدا على المعارضين من بني الجلندي الذي كان على رأسهم المغيرة بن دوشن الجلنداني والذين دخلوا توام وقتلوا ابا الوضاح والي الامام عليها، فجهز الامام مهنا جيشا كثيفا بعث به اليهم، ودارت رحى الحرب في البريمي فهزم ال الجلندي، وقتل منهم من قتل ولاذ الآخرون بالفرار.

ثمّة امام آخر عظيم الهمة عظيم الانجازات من بني خروص، هو الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي الازدي، الذي بويع بالامامة في اليوم الذي مات فيه الامام مهنا في السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٢٣٧ هـ / ٨٥٦م (٢٥). وقد بويع الصلت على ما بويع عليه ائمة العدل من قبله اصلاح في الداخل وجهاد في الخارج، وكانت ارض عمان في عهده ممتدة مترامية الاطراف اذ كانت سقطرى والمكلا وحضرموت والمهرة كلها تحت الحكم العماني ثم حدث اختصار لعزم السلطان وسطوة الاسطول العماني حين جاء النصاري الاحباش بأسطولهم فهاجموا سقطرى على غير علم من الامام وخربوا البلاد واعتدوا على الاموال والاعراض، واطلقوا الاجراس وجعلوها نصرانية، ولكن ابياتنا من الشعر تصل الى الامام كتبتهامراة مسلمة ادبية من اهل سقطرى تستغث فيها بالامام وتثير عواطفه لينهض الى الدفاع عن الجزيرة المسلمة تقول فيها:

قبل للإمام الذي ترجى فضائله
وابن الجاحجة الشم الذين همو
امست سقطرى من الاسلام مقفرة
ابن الكرام وابن السادة النجب
كانوا سناها وكانوا سادة العرب
بعد الشرائع والفرقان والكتب (٢٦)

وتفعل هذه الابيات بالامام الصلت ما فعلت صيحة «وامعصماه» من المرأة المسلمة في «عمورية» وإذا كان المعتصم قد قاد جيشا من الفرسان حتى ظفر وانتصر، فان الامام الصلت بعث اسطولا من مائة سفينة حربية تحمل جنودا اشاوس وفرسانا يحسبون ارواحهم في سبيل الله استعادوا الجزيرة من مقتصبيها.

وقد امضى الامام الصلت في الحكم خمسا وثلاثين سنة من ٢٢٧ هـ الى ٢٧٢ هـ / ٨٥١ - ٨٨٥ م، ومن الحقائق التاريخية ان نهاية حكم الامام الصلت لم تكن بسبب وفاته، ولكن كانت بالاعتزال بسبب تخاذل الناس عنه حين نزل موسى بن موسى بمجموعة من الناس قرية فرق القريبة من نزوى، قاصدا محاصرة الامام لتحقيق مطلبه في اعتزال الامام للامامة، وكانت وفاة الامام الصلت بعد ذلك بثلاثة اعوام وعلى وجه التحقيق في ذي الحجة سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م.

على ان المستقرى لاحداث التاريخ يرى ان الامام الصلت قد عاصر ستة من خلفاء بني العباس هم المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمعتصم، وان العباسيين لم تكن تربطهم بعمان اية صلة، ولم يكن لهم عليها سيادة من عهد الرشيد حتى عهد المعتصم، وذلك يعنى ان العباسيين على سعة ملكهم وبسطة نفوذهم ظلوا بمنأى عن عمان على مدى حكم اثني عشر خليفة فترة القلق والاضطراب في عهد ائمة بني خروص.

كانت البلاد العمانية سليمة قوية معاواة تحت حكم الائمة الذين مر ذكرهم، فلما اعتزل الامام الصلت منصبه، وعم الاضطراب وتعددت السلطات، وهذه العيوب اذا ظهرت في دولة اضعفتها وقلبت حالها من القوة الى الضعف، فما ان اعتزل الامام الصلت حتى بايع موسى بن موسى بن علي، راشد بن النظر اليمدي واختلف العلماء من اهل الحل والعقد في شأنهما، فريق رأى ان اجراءهما باطل لانه خروج على الامام العادل، وعرف هذا الفريق بالرستاقية نسبة الى الرستاق، وفريق آخر رأي عكس ما رأي الفريق الاول، وقد عرف هذا الفريق الثاني بالنزوانية، نسبة الى نزوى اما اهل عمان فكانوا ضحية هذه الفرقة وقد كابدوا من ذلك بلاء عظيما.

فقد ولي امر عمان اكثر من امام بعد الامام عزان بن تميم الذي وقعت في عهده حرب اهلية طالبت مدتها واولئك الائمة بعد الاسام عزان لم يكن احد منهم يبقى في مقعده إلا بقدر ما يكيد له آخرون فقد ولى الامامة عزان بن تميم فوقعت في عهده حرب اهلية طالبت مدتها واتسع مداها واكثت الاخضر واليابس.

وفي الحقبة التى حكم فيها عزان هذا بدأت المحاولات العباسية في عهد الخليفة المعتضد تعد العدة لغزو عمان، خاصة وان الائمة الذين توالوا على عمان في هذه الفترة لم تكن لديهم القدرة على الحسم حيث اختلف الناس واقتربت كلمتهم وشن اهل عمان على بعضهم حروبا اهلية ادامت الفتن وعمقت النزاعات خاصة بين النزارية واليمنية، وبعدها قتل من قتل من النزارية واشتد الامر عليها، خرج محمد بن القاسم وبشير بن المنذر من بني سامه بن لؤى لطلب المساعدة من محمد بن نور الوالي العباسي بالبحرين، وكان المعتضد العباسي قد ولاء عليها سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م، فشكيا اليه

ما أصابهما من الفرقة اليمانية، وسألاه الخروج معهما الى عمان واطمعه في امور جليلة، فأجابهما الى ذلك وأشار عليهما أن يذهبا الى الخليفة ببغداد^(٢٧). وكتب لهما عهدا بذلك فقبلا الاتفاق، فرحل محمد بن القاسم الى بغداد وقابل الخليفة المعتضد، فأبدى الخليفة موافقته، وعلى اثر ذلك عاد محمد بن القاسم الى البحرين^(٢٨).

وقد ترامت الى اسماع العمانيين اخبار تواطؤ بعض العمانيين لطلب المساعدة من والي البحرين وكان من المؤمل أن يتوحد اهل عمان لمواجهة الغزو، لكن يبدو ان العمانيين كانوا في وضع لا يمكنهم من الدفاع عن بلادهم، اذ ان الخلافات قد مزقت صفوفهم واصبحوا شيعا واحزابا متعادية، بعضها مع النزارية والبعض الآخر مع اليمانية، وهرب كثير من اهل عمان الى خارجها واسلم الباقيون انفسهم للقدر، وفي ظل هذه الظروف توجه محمد بن نور والي البحرين الى عمان بجيش قوامه ثمانية وعشرون ألف مقاتل ومعظمهم من النزارية^(٢٩).

استطاع محمد بن نور الاستيلاء على جلفار «رأس الخيمة» ونزوى وهزم اهل عمان وقتل امامهم عزان بن تميم وبعث برأسه الى الخليفة ببغداد وارتكب محمد بن نور افظع الجرائم باهل عمان، وقتل خلقا كثيرا ولم يسلم من اهل عمان إلا من تأخر أجله، واقام محمد بن نور في نزوى واستولى على كافة عمان وفرق اهلها، وعاث في البلاد واهلك بقية الحرث والنسل، وجعل اعزة اهلها اذلة وقطع الايدي والارجل والاذنان وسمل الاعين وجعل على اهلها النكال والهوان ودفن الانهار واحرق الكتب، وذهبت عمان من ايدي اهلها^(٣٠). ومما اثار محمد بن نور هي محاولة الاهيف بن حمام الهنائي الذي حاول ان يؤلب اهل عمان عليه، وبالفعل فان اهل عمان طاردوه الى دما «السيب» وكادوا ان يسحقوا قواته، لكن سحر المعركة جرت اخيرا لصالحه فانهمز الاهيف وعاد ابن نور يحكم عمان مرة أخرى^(٣١).

لم يمكث محمد بن نور في عمله واليا على عمان فترة طويلة، فقد تركها وعاد الى البحرين بعد ان عهد بولايتها الى احمد بن هلال من قبل الدولة العباسية وكان احمد هذا يعمل كاتباً للخليفة المقتدر في بغداد قبل ان يتولى هذا المنصب^(٣٢)، وجعل احمد عاملا على سائر عمان، وكانت اقامته ببهلا وجعل على نزوى عاملا رجلا يقال له بيحره^(٣٣).

وقام احمد بمحاولات لكسب رضا الخليفة العباسي من خلال الهدايا النفيسة التي كان يبعثها اليه، فقد ذكر المسعودي انه عند مروره بعمان في سنة ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م شاهد هدايا احمد بن هلال محمولة الى الخليفة العباسي المقتدر ومن بينها قروود موضوعة في سلال كبيرة الحجم^(٣٤)، مع هدايا من الطيب والرماح وطائر اسود يتكلم الفارسية والهندية، وعدد من الثعابين الضخمة وسلحفاه وطرائف أخرى من عجائب البحر^(٣٥).

وظل بنو سامه بن لؤي يحكمون عمان بتقليد من الخليفة العباسي وكان على رأس الحكم محمد بن القاسم السامي الذي استتجد بالخليفة المعتضد ليعيد الامن والاستقرار الى عمان، وخرج الحكم من هذا البيت بعد اربعين سنة نتيجة خلافات بين افراده.

ورغم ان الامامة الاباضية التي دامت اكثر من قرن من الزمان قد زالت ككيان سياسي من الاقليم فان نفوذ الخلافة العباسية لم يشمل عمان بكاملها، بل انحصر في

المنطقة الساحلية وشمالي عمان، وقد ظلت القبائل العمانية تدنن بالولاء للمذهب الإباضي ولا تتعاون مع السيادة الذين يعينهم العباسيون، وقد جرت العادة في تلك الفترة أن تقدم عمان للدولة العباسية خراجاً سنوياً يتولى جبايته مندوب كان يرسله الخليفة العباسي لهذا الغرض^(٣٧).

ولقد تعرض نظام الإمامة عند إباضية عمان للتصدع والانحيار بعد وفاة الحواري بن مطرف ومرت على عمان فترة انقطع فيها عقد الإمامة، ثم عقدوا أخيراً لمحمد بن يزيد الكندي، وكانت بيعته لهم على الدفاع وامتنع عن بيعه الشراه، لأن عليه ديوناً، ولم يتمكن هذا الإمام من الصمود أمام جيوش الوالي العباسي المحاصرة له، ففر من عمان وأقام أهل عمان على إمامتهم الحكم بين الملا في نزوى، وكان ضعيفاً لا خبرة له في الإدارة مما مكن الوالي العباسي من السيطرة على نزوى^(٣٨) وأحكم قبضته على عمان. وقد حاول الإمام راشد بن الوليد وضع حد للنفوذ العباسي في عمان ولكنه لم يوفق في ذلك واستطاع الوالي العباسي وبعد سلسلة من المعارك الصمود، ومما ساعده على ذلك هو الخلافات الداخلية القائمة بين أهل عمان والتي أدت إلى الانصراف عن الإمام وتأييد الوالي العباسي^(٣٩)، وقد كلفت هذه الخلافات عمان الشيء الكثير وخاصة كيانها السياسي.

وقد تدهورت الأحوال الاقتصادية بعد أن هاجر العديد من أهل عمان بأموالهم وذراريهم إلى مراكز قريبة تتمتع بالاستقرار وقد ردمت بعض الانفلاج وقطعت الأشجار كإعمال انتقامية قامت بها بعض القبائل ضد قبائل أخرى، أو قامت بها القوات العباسية لضعاف مقاومة العُمانيين^(٤٠).

وفي ظل هذه الظروف تمكن الوالي العباسي من تشديد قبضته على عمان والسيطرة على الموقف تماماً، ويعبر أحد مؤرخي عمان على ذلك بقوله: فاستولى السلطان الجائر «أي الوالي العباسي» على جميع النواحي والبلدان^(٤١).

عمان في العصر العباسي (٢٣٢ - ٦٥٦هـ - ٨٤٧ - ١٢٥٨م)

القرامطة وعُمان :

إن السيطرة العباسية على عمان لم تدم طويلاً فقد استطاع العُمانيون طرد الوالي العباسي على نزوى وانتخبوا إماماً جديداً أعقبه أئمة آخرون لم يستطيعوا أن يوحّدوا عمان ولا أن يضمّنوا ولا قبائلها مما عرضها لهجمات القرامطة، ويبدو أن أول هجوم قرامطي تعرضت له عمان كان في سنة ٢٩٤هـ (٩٠٥ - ٩٠٦م) تحت قيادة أبي سعيد الجنباني القائد القرامطي في البحرين، وتختلف الروايات التاريخية حول مدى نجاح محاولة القرامطة الأولى، ولكن يبدو أن الوالي العباسي بمساعدة القبائل النزارية كان قادراً على صددهم^(٤٢).

وقام القرامطة بمحاولة ثانية سنة ٣٠٥هـ (٩١٧م) وثالثة سنة ٣١٨هـ (٩٣٠ - ٩٣١م) منتهزين سحب المقتدر بالله القوات العباسية من عمان، بعد أن توصل إلى اتفاق مع أهل عمان على تقديم الولاء للخلافة مع ضريبة سنوية للخرزينة المركزية، ونجح القرامطة في السيطرة على عمان بدون أية مقاومة تذكر. واتفق على دفع الضريبة للقرامطة بدلاً من العباسيين ومع ذلك لم تكن قبضة القرامطة على عمان محكمة، فقد ظل أهل عمان يحتفظون بدرجة من الحرية والاستقلال الذاتي حتى أنهم

انتخبوا اماما جديدا للاباضية هو محمد بن يزيد الكندي^(٤٣).

وقد توالى على حكم عمان في الفترة التي سبقت حكم القرامطة سبعة ائمة بالتتابع خلال ثلاثين عاما، وهم عزان بن الهزبر محمد بن الحسن، وعزان بن خضر، وعبدالله بن محمد والصلت بن القاسم، ومحمد بن الحسن للمرة الثانية، والحسن بن سعيد المتوفي عام ٢٨٧هـ (٩٠٠م) وقد توالى الائمة الاباضية بعد ذلك ولكن بصورة بعضهم منتظمة وخلق عدد كبير منهم كما اكتنف الغموض حياة بعضهم، ولم يكن انتخاب بعضهم يتم بالاجماع، والفئات المعارضة كثيرا ما كانت تستقطب الناس لمنعها من الالتفاف حول الامام بعد انتخابه^(٤٤)، مما ساعد على ازدياد نفوذ القرامطة في عمان، فلم يحل عام ٣١٨هـ (٩٣٠م) إلا وقد بسط القرامطة نفوذهم على كثير من مناطق عمان في عهد ابي طاهر القرمطي، واستمرت سيطرة القرامطة على عمان بصورة متقطعة حتى سنة ٣٧٥هـ (٩٨٥م)^(٤٥) وكان نفوذ القرامطة خلال هذه الفترة يتأثر بالاضلاع القائمة في عمان وفي الدولة العباسية فمرة يقوى وتارة يضعف. وقد اطلق على الفترة التي امتدت من نهاية القرن الثالث الى العاشر الهجري او من القرن العاشر الى السادس عشر الميلادي من تاريخ عمان بالعصور المظلمة^(٤٦). وذلك لتدخل الاحداث وتعدد السلطات الحاكمة، سواء كانوا ملوكا او ائمة، ولعدم رضوخ عمان كلها الى نظام واحد، فكانت بحق عصور ظلام حالكة نظرا لما سادت عمان من فوضى.

ويضاف الى الصراعات الداخلية في عمان ما كان يدور في منطقة الخليج من احداث فهناك حركتا الزنج في البصرة، والقرامطة في البحرين اللتان كانتا تشكلان خطورة حتى على الخلافة العباسية، وهناك ايضا محاولات السلطة العباسية التي كانت تشن هجمات متكررة على عمان، واخيرا انتهى الامر باستقلال الولاة العباسيين وانشائهم ممالك لهم^(٤٧).

عمان في عهد بني بويه:

استطاع يوسف بن وجيه التغلب على عمان، ولم توضح المصادر كيفية ارتقاء يوسف الى السلطة في عمان، وما زودتنا به المصادر ينسب الى بني سامة بن لؤي الذين وصلوا الى السيادة في عمان بمساعدة العباسيين ضد ائمة عمان^(٤٨).

وقد تزعزت العلاقة في هذه الفترة بين عمان والدولة العباسية ولم يعد الامراء العمانيون يلتزمون بتنفيذ ما يتلقونه من اوامر من السلطات العباسية، وقد ضرب يوسف بن وجيه امير عمان عرض الحائط باوامر الوزير العباسي ابي علي بن مقله، في التضييق على كل من ابي العباس الخصيبى الوزير العباسي السابق، وابي سليمان بن يحيى في سجنهما بعمان، بل انه سار اكثر من ذلك حيث امر باطلاق سراحهما، وكان بن مقله قد تسبب في نفيهما بعمان وحبسهما^(٤٩).

ولم يكتف يوسف بن وجيه بهذا بل تجرأ على التفكير في وضع يده على البصرة، وعزم عزما اكيدا على احتلالها خاصة عندما علم بان البريديين المسيطرين عليها في هذه الفترة فرضوا رسوما عالية على البضائع والسلع التي ترد من عمان وبدأ اول محاولة لفتح البصرة في سنة (٣٣١هـ / ٩٤٢م)^(٥٠)، واعد لذلك قوة بحرية كبيرة واتجه نحو البصرة واوشك على الاستيلاء عليها^(٥١)، لولا حيلة احد ملاحي البصرة التي غيرت الموقف لصالح البريديين واخفق ابن وجيه في حملته ودمرت معظم سفنه، وأمر



دريم فضي ضرب في
عمان عام ٣١٩ هـ في
عهد يوسف بن وجيه

البريديون بمكافأة سخية للملاح البصري صاحب هذه الفكرة ومنقذ البصرة^(٥٢).

واتت المحاولة الثانية بعد عشر سنوات من المحاولة الأولى الفاشلة، فقد استغل ابن وجيه توتر العلاقات بين معز الدولة البويهى وقرامطة البحرين في سنة (٣٤١ هـ / ٩٥٢ م)، وذلك بسبب اعتراض القرامطة على تدخل معز الدولة في شؤون حلفائهم حكام البصرة وأقامه على فتح المدينة وحشد ابن وجيه قواته بمساندة حلفائه القرامطة، وفي الجانب الآخر كان وزير معز الدولة أبو محمد المهلبى، ثم حدث الاشتباك بين الطرفين في معركة بحرية انهزم فيها ابن وجيه وحلفاؤه القرامطة وقتل عدد كبير من أجناده وأسر الباقر، في حين ظفر المهلبى بمراكبه^(٥٣).

وكان أهل عمان قد قاموا بتنصيب سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب بن الرحيل سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٠ م) واستطاع هذا الإمام التغلب على يوسف بن وجيه وانتزاع كثير من المدن العمانية الداخلية حيث بقى نفوذ يوسف بن وجيه محصور في المناطق الساحلية، وبعد استشهاد الإمام سعيد بن عبد الله في بلدة مناقى من أعمال مدينة الرستاق سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م، قدم العمانيون راشد بن الوليد أماما (٣٢٨ - ٣٤٢ / ٩٣٩ - ٩٥٣ م) وواصل هذا الإمام الاستيلاء على المناطق الداخلية التى كانت تحت حكم سلفه الإمام سعيد^(٥٤)، أما يوسف بن وجيه فقد اغتاله مولاة نافع سنة (٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م) وتولى الأمر مكانه، وحاول نافع أن يقيم علاقة طيبة مع العباسيين وبدأ يتقرب إليهم وقد أهدى نافع معز الدولة فيلا نقل في البحر إلى البصرة ومنها على بغداد.

وقد شغل نافع بحروب مع اثمة عمان الإباضية في سنة (٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م)، وساد عمان وضع غير مستقر في هذه الفترة، واستمر اضطراب الأوضاع حتى سنة (٣٥١ هـ / ٩٦٢ م) عندما قرر معز الدولة احتلال عمان فأرسل حملة إلى عمان على رأسها أبو محمد المهلبى وبسبب وفاة هذا القائد لم يكتب لهذه الحملة الوصول إلى عمان^(٥٥).

و أعاد معز الدولة الكرة في غزو عمان في سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م، وجهز حملة جعل على قيادتها كردك النقيب، وعندما وصل هذا القائد إلى عمان طلب من نافع الدخول في طاعة معز الدولة وإقامة الخطبة له، وأعلن نافع ولاءه للبويهيين بعد تردد ولبى جميع مطالب كردك الذى أقر الوضع في عمان وقف راجعا إلى بغداد وفي هذه الاثناء حدثت ثورة في عمان ضد نافع، وطرده العمانيون من البلاد ونصبوا النوكانى ملكا عليهم، وهو من أهل اليسار في عمان^(٥٦).

وكانت ردة فعل معز الدولة عندما بلغه ما جرى في عمان شديدة إذ راح يهدد النوكانى وبعث برسالة له بيد كردك يطلب فيها معز الدولة من النوكانى التخلي عن السلطة في عمان، فوافق النوكانى على ذلك، ولكن ثار عليه أهل عمان فهرب إلى الخارج حاملا أموالا ونخائر ذات قيمة كبيرة، وركب البحر إلى البصرة، وفي الطريق لاقاه كردك الذى استولى على ما لديه من أموال وجواهر، ورماه في البحر بعد تقييده وقدم ما استولى منه إلى معز الدولة بعد رجوعه إلى بغداد^(٥٧).

ان طرد العمانيين لحاكمهم النوكانى أدى إلى سوء الوضع في عمان، ونشبت الخلافات من جديد بين رؤساء على السلطة واشتدت هذه الخلافات لدرجة طلب المساعدة في سنة (٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م) من قرامطة البحرين ليعيدوا الأمن والاستقرار في

عمان، ولم يتردد القرامطة في تلبية هذه الدعوة، وأرسلوا قوة منهم الى عمان بقيادة علي بن احمد الكاتب الذي كان بيده أمر الجيش^(٥٨).

استغل علي بن احمد الظروف غير المستقرة في عمان في تلك الفترة وأخذ يتحين الفرصة للاطاحة بالامير المنتخب عبدالوهاب بن احمد بن مروان الذي نصب بعد مقتل الامير السابق ابن طغان، واستطاع علي بن احمد ان يستميل احد قطاعات الجيش المكون من الزنوج وعددهم نحو ستة آلاف فنادوا به اميرا على البلاد بعد ان اقصوا الامير عبدالوهاب، وحدثت هذه التغيرات ضد ارادة اهل عمان بتدبير من علي بن احمد الكاتب القرمطي.

لم تدم سيطرة القرامطة على عمان طويلا حيث استنجد نافع امير عمان السابق بمعز الدولة في العراق، الذي اخذ يستعد لمقاومة القرامطة في عمان، فأعد اسطولا بلغ عدد قطعه مائة مركب شحنها بالرجال، وعين على قيادتها ابا الفرج محمد بن عباس فسانجس، وعند وصول هذه القوات الى سيراف انضمت اليها قوات جديدة بعث بها عضد الدولة البويهى الى عمه معز الدولة، واستطاعت القوات مجتمعة ان تلحق هزيمة كبيرة بأهل عمان والاستيلاء على بلادهم بعد ان تكبدوا خسائر فادحة، وكان ذلك في سنة (٣٥٥ - ٣٥٦ هـ / ٩٦٥ - ٩٦٦ م)^(٥٩).

استطاع القائد ابو الفرج محمد بن عباس الذي تولى الامر في عمان اخضاع عمان للنفوذ البويهى في ظل الخلافة العباسية بعد ان اجلى عنها معظم العناصر القرمطية. وقد ترك ابو الفرج عمان بعد وفاة معز الدولة وعهد بالامر الى عمر بن نبهان الطائي الذي اقام الدعوة لعضد الدولة في عمان^(٦٠).

وقد اضطربت الاحوال في عمان بعد وفاة معز الدولة، اضافة الى قيام الزنج بثورة عارمة ضد عمر بن نبهان الطائي عامل بني العباس في عمان، وكانوا من الكثرة والعنف بحيث سيطروا على عمان وقتلوا عمر بن نبهان واختاروا رجلا يعرف بابن حلاج امرؤه عليهم^(٦١).

أرسل عضد الدولة من كرمان قوة الى عمان بقيادة ابي حرب طغان لمحاربة الزنج، فوصلت هذه القوة الى صحار، واستطاع طغان ان يحقق نصرا على الزنج وصنائعهم من اهل عمان وتتبع فلولهم حتى قضى عليهم عند مدينة البريمي، وقد اتاح انشغال طغان بقتال الزنج الفرصة لاهل عمان لان يعدوا انفسهم وينظموا صفوفهم للتخلص من النفوذ البويهى، فانتخبوا حفص بن راشد اماما لهم^(٦٢).

في ظل هذه الظروف احس عضد الدولة بخطورة الوضع في عمان وأخذ يستعد لقتال الامام حفص بن راشد، فأرسل حملة جعل على قيادتها المطهر بن عبدالله الذي استطاع اخضاع عمان سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م^(٦٣)، وقد ترك المطهر عمان في هذه الاثناء بأمر من عضد الدولة، إلا ان العمانيين لم يلبثوا ان اعدوا الكرة فقتلوا حفص بن راشد الامامة للمرة الثانية فاستقامت له الامور وخضعت له البلاد لكن عمان عادة مرة اخرى للنفوذ البويهى بعد وفاة حفص حتى اخذ هذا النفوذ في الضعف مع بداية ظهور الخلاقات على السلطة في البيت البويهى اثر وفاة عضد الدولة، وانعكست هذه الخلاقات على الوضع في عمان.. ولما وصل شرف الدولة الى السلطة في بغداد وعلم بضعف النفوذ البويهى في عمان، اراد ان يستعد لاستعادة نفوذه هناك فبعث جيشا بقيادة ابي النصر خواشادة الى عمان... وقد استطاع القائد البويهى ابو النصر من

تحقيق نصر على القوى المضادة، لكنه رحل عن عمان بعد فترة وجيزة بعد أن ترك من ينوب عن السلطان شرف الدولة في حكمها^(٦٤).

لم يكن ناشب شرف الدولة على درجة من الكفاءة والقدرة في إدارة شؤون البلاد فأعطى فرصة للقوى المضادة للتحرك واستغل أهل عمان ضعف الوالي فأعلنوا الثورة وحققوا نجاحاً في ذلك، كما استطاعوا أيضاً القضاء على نفوذ القرامطة نهائياً من عمان سنة (٣٧٥هـ / ٩٨٥م)، وهكذا استعاد اباضية عمان سلطانهم على بلادهم واخذوا يتعقبون انصار الدولة العباسية حتى آل الأمر اليهم.

قيام دولة بني مكرم في عمان

لم يدم استقرار الوضع السياسي طويلاً، فقد استمرت الفتن والاضطرابات الداخلية تجتاح عمان بسبب الخلافات بين أهل عمان أنفسهم حول السلطة، مما ساعد العباسيين على استعادة نفوذهم، فقد استجد بنو مكرم وكانوا من وجوه أهل عمان بالبويهيين حكام بغداد وطلبوا مساعدتهم لمحاربة أئمة عمان أصحاب السلطة الفعلية، وكانت فرصة سانحة للبويهيين للنفوذ مرة أخرى لعمان، واستطاع بنو مكرم السيطرة على أغلب المدن العمانية الهامة باسم البويهيين.

وظل بنو مكرم يحكمون عمان نواباً عن البويهيين حتى أنهم اقاموا الخطبة لبني العباس، وظلت العلاقة بين بني مكرم والبويهيين جيدة رغم ما عكر صفو هذه العلاقة عندما عزلوا أبا محمد بن مكرم وعينوا بدله الفرخان بن شيران^(٦٥)، الذي لا ينتمي إلى أسرة بني مكرم، وتم ذلك في سنة (٣٩٢هـ / ١٠٠١م)، ولكن أبا محمد أعيد إلى منصبه بعد سنتين من عزله وأظهر نشاطاً ملحوظاً في إدارة شؤون عمان، ونال رضا بني بويه وجعل القضاء في عمان بين يدي القاضي أبي بكر^(٦٦).

وعندما مرض أبو محمد بن مكرم عين ابنه أبا القاسم علي بن مكرم الذي تولى أمر عمان مبدياً رغبة شديدة في القضاء على حروب أئمة عمان، فقد ثار عليه أحد الأئمة، لكنه تمكن من القضاء على هذه الثورة، وظل يحكم عمان إلى أن توفي سنة (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)، وخلفه ابنه أبو الحسن بن القاسم بن مكرم^(٦٧).

إن الضعف البويهي في بغداد كان ظرفاً مناسباً لتعميق سلطة بني مكرم حكام عمان، فقد استقلوا بالسلطة وتوارثوا الملك في عمان منذ عهد أبي القاسم علي بن مكرم^(٦٨)، لكن الخلافات التي حدثت فيما بينهم حول السلطة كانت سبباً في إضعافهم فقد وقع النزاع على السلطة بين الأخوين أبي الجيوش والمهذب، وكانت نتيجة الصراع أن أبا الجيوش قتل أخاه المهذب وانفرد بالسلطة إلى أن مات، فأصبحت الكلمة في عمان إلى علي ابن هطال الذي ملك عمان^(٦٩).

وقد أساء علي بن هطال السيرة مع أهل عمان، فقد قام بمصادرة أموال التجار ومارس النهب في الأهالي، مما خلق كرهًا شعبيًا ضده ولما وصلت أخباره إلى بغداد استعظم كاليجار أفعاله وقرر محاربته، وانتدب لذلك قائده أبا منصور بن مافنه الذي اتصل بشخص يكنى المرتضى وكان نائباً لبني مكرم وطلب مساعدته لمحاربة علي بن هطال ففعلاً استطاع المرتضى هزيمة علي بن هطال، وأقر أبو منصور بن مافنه بعد ذلك أبا محمد بن مكرم على إمارة عمان في سنة (٤٣١هـ / ١٠٣٩م)^(٧٠).

إن الاضطرابات والقلاقل بدت تغزو عمان وثار أهلها على حكم بني مكرم وقام

كاليجار سنة (٤٣٣هـ / ١٠٤١م) بتجريد حملة الى عمان تمكنت من اعادة الهدوء والنظام اليها. ولم يلبث أن دب الضعف في دولة بني مكرم فتسلط عليها النساء والعبيد، وضعف أمرهم، فكان الوضع مغريبا لاباضية عمان للقيام بمحاولة استرجاع نفوذهم، وأخذوا ينظمون أنفسهم بقصد اجلاء بني بويه، ونجحوا في التغلب على البويهيين، وتم اعتقال أبي المظفر بني كاليجار الذي نصب نفسه أميرا على عمان، وتم اسقاط السلطة البويهية في سنة (٤٤٢هـ / ١٠٥٠م) (٧١).

زوال النفوذ البويهى :

عادت السلطة للأئمة الاباضيين قبيل سقوط حكم البويهيين في عمان حيث انتخب اهل عمان الامام الخليل بن شاذان في العقد الاول من القرن الخامس الهجري، واستمر حكمه مدة كبيرة من النصف الاول من هذا القرن وقام باصلاحات واسعة وأصلح امر اهل عمان، فأسقط المكوس وأظهر العدل وأحسن في السرية، وظلت عمان تحت حكم الأئمة الاباضيين الذين جاءوا بعد الامام خليل بن شاذان، ولم تشر المصادر بعد هذا التاريخ الى تدخل عباسي في عمان.

وبذلك خرجت عمان تماما من طاعة الدولة العباسية واستعادة استقلالها رغم المحاولات العباسية المستمرة في ادخالها ضمن دائرة النفوذ العباسي.

ولكن الدولة العباسية نفسها انتابها الضعف واخذت تسير في طريق الانحدار حتى قضى عليها المغول اخيرا في عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، بينما سارت عمان في طريقها بعيدا عن نفوذ هذه الخلافة الواهية، ولم تلبث ان دخلت حوالي منتصف القرن السادس للهجرة في عصر جديد هو عصر بني نبهان الذين حكموا عمان حوالي خمسة قرون من الزمان.

وهذا يقودنا الى الحديث عن عمان في عهد بني نبهان.

الفصل الخامس عُمان في عهد بني نبهان (٥٤٩-١٠٣٤هـ) (١١٥٤-١٦٢٤م)

اجمع المؤرخون العمانيون على أن حكم بني نبهان في عمان استمر خمسة قرون، وكان على فترتين، الأولى عرفت بفترة النباهنة الأوائل واستمرت اربعمئة عام، وبدأت بسوقة الامام ابي جابر موسى بن ابي المعالي موسى بن نجاد عام (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)، وانتهت بالقضاء على حكم سليمان بن سليمان بن مظفر النباهاني الملك الشاعر المشهور، ومبايعة محمد بن اسماعيل اماما لعمان سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م)، وقد تخللت هذه الفترة غزوات وحروب واجهت بني نبهان من الداخل والخارج، بالإضافة الى تنصيب الائمة بين فترة وأخرى.

اما الفترة الثانية والتي عرفت بفترة النباهنة المتأخرين فاستمرت من عام (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) الى (١٦٢٤م) وقد تخللتها أحداث مختلفة منها تنصيب الائمة، والصراع على السلطة بين بني نبهان انفسهم من جهة، وبينهم وبين بعض القبائل العمانية الطموحة في الوصول الى حكم من جهة ثانية.

على ان اهم أحداث تلك الفترة، احتلال البرتغاليين للمنطقة الساحلية من عمان. يمكن القول بأن نفوذ النباهنة قد اقتصر على المناطق الداخلية في بعض الفترات إلا انه امتد الى الساحل في مراحل أخرى كثيرة وفي أحيان أخرى تمكنت بعض القبائل المتمردة على حكم النباهنة من الانفراد بالساحل بعيدا عن سلطة الدولة.

ونظرا لامتداد حكم النباهنة لأكثر من خمسة قرون لذا فقد أطلق على عصرهم عصر النباهنة، وعلى الرغم من أن معظم المؤرخين قد اعتبروا عصرهم عصر جور وظلم لتجاوزهم على حقوق الرعية إلا أن النظرة العلمية المحايدة لا تأخذ بكثير من المسلمات التي افتقدت في مجملها الى التحقيق العلمي الجاد.

وسيبقى عصر النباهنة مجالا خصباً لدراسات جديدة، لعل المستقبل ينبت على مصادر أخرى تكشف الغموض الذي يكتنف تلك الفترة الهامة من تاريخ عمان. ونظرا للصراع الذي دار بين سليمان بن سليمان بن مظفر وبين الائمة، لذا فقد تمكن النباهنة من استغلال الموقف لصالحهم ومن خلال عدة معارك اتسمت مجملها بالمباغطة تمكن النباهنة من إعادة سلطتهم مرة ثانية^(١).

والسؤال الذي يمكن ان يطرح نفسه في هذا الصدد ما هي اصول بني نبهان وما هو نسبهم؟

أصول بني نبهان ونسبهم:

ينتمي بنو نبهان في اصولهم الى قبيلة العتيك تلك القبيلة العربية الازدية العمانية العريقة، التي لعبت دورا هاما في التاريخ الاسلامي، وذلك من خلال فرع من فروعها الشهيرة، ونعني به اسرة المهلب بن ابي صفرة^(٢)، القائد العماني الفذ الذي تم على

بيده وبمساعدة قبيلته العتيك ثم الازد العمانيين القضاء على شرور ابن الازرق وغلوه. ومن المعلوم ان العتيك المنتمين الى قبيلة الازد العربية القحطانية ينتهي نسبهم الى يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه السلام (٣).

وخير دليل على انتسابهم هذا ما ردهه شاعر النباهنة المشهور المعاصر لفترة حكمهم الاولى ابوبكر الستالي(٤)، الذي اختص ملوك بني نيهان بالمدح ثم ما فخر به الملك النبهاني الشاعر سليمان بن سليمان بن مظفر(٥)، الذي عاش في الفترة الممتدة من نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجريين (القرنان الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين) ثم ما ذكر الكيذاوي شاعر ملوك بني نيهان في الفترة الثانية(٦).

ظهور بني نيهان على مسرح الأحداث:

يستدعي الحديث عن ظهور بني نيهان التساؤل عن العوامل التي اوصلت بني نيهان الى الحكم ومتى سم ذلك؟ ثم من هم ملوك بني نيهان في الفترة التي نتناولها بالدراسة؟

وللاجابة عن ذلك نقول: بأنه حدث انقسام وصراع مرير على السلطة في عمان ادى الى تفكك الوضع الداخلي وبرز اطماع القوى الخارجية في بسط نفوذها وسلطانها على عمان، وادى ذلك الى وصول بني نيهان الى حكم عمان (٧).

ومن المشاكل الكبرى التي تواجهنا في دراسة تاريخ عمان في الفترة بين عامي (٥٤٩هـ / ٨٠٩هـ - ١١٥٤ / ١٤٠٦م) تداخل الاحداث وتضارب التواريخ وتداخلها واختلافها، حتى ان تواريخ مبايعة الائمة ووفياتهم التي اعطاها المؤرخون العمانيون جل اهتمامهم تداخلت تماما بحيث لا يوجد تاريخ محدد متفق عليه لبداية حكم كل منهم.

فالستالي شاعر ملوك بني نيهان يورد في ديوانه ثلاثة تواريخ في مناسبات مختلفة في عهد بني نيهان: الاول عام ٤٧٤هـ / ١٠٨١(٨)، والثاني عام ٥٠١هـ / ١١٠٧م(٩) والثالث عام ٥٥٩هـ / ١١٦٤(١٠)، فلو افترضنا ان التواريخ الاول هو بدء نظمة الشعر وهو بدء حكم بني نيهان، وان التاريخ الاخير هو آخر ما نظمه من الشعر فيهم لكان الفرق الزمني بينهما خمسة وثمانين عاما، واذا كان قد بدأ ينظم الشعر بهذا المستوى الرفيع وعمره لا يقل عن عشرين عاما، فان عمره حينذاك يكون قد تعدى المائة عام(١١).

اما الازكوي فيشير الى ان الفترة الواقعة بين وفاة الامام محمد بن خنيس سنة (٥٥٧هـ / ١١٦١م) ومبايعة الامام مالك بن الحواري عام ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م(١٢)، بلغت مائتين واثنين وخمسين عاما والى انه لم يجد في هذه الفترة تاريخا لاحد من الائمة، لكنه ذكر في مكان آخر: فلعلها كانت هذه السنون التي بين محمد بن خنيس ومالك بن الحواري سنتين ملك النباهنة، ولعل ملكهم كان يزيد على خمسمائة سنة، إلا انه كان فيما بين هذه السنتين يعقدون للائمة، والنباهنة ملوك في شيء من البلدان والائمة في بلدان اخرى(١٣).

وقد وصف ابن رزيق ملوك بني نيهان بأنهم ملوك عظام لهم من المكارم والملاحم

شأن عظيم ومن الصعوبة بمكان ذكر ملوكهم بالتفصيل وذلك لكثرتهم، فكل واحد منهم هو في الشأن والسلطان ولكن الفلاح بن المحسن هو الأشهر منهم جودا وسياسة^(١٤)

أما بادجر فعندما ترجم ما كتبه ابن رزيق اعتبر الفلاح بن المحسن هذا أول ملوك بني نيهان وحذا حذوه كل من أخذ عنه من المستشرقين وغيرهم من المؤرخين العرب ما عدا العمانيين^(١٥).

وعند قراءة تلما ما كتبه ابن رزيق قراءة فاحصة وجدنا أنه لم يقل أن فلاح بن محسن هو أول من حكم بني نيهان وإنما قال أنه أشهرهم وفي حقيقة الأمر فإن فلاح بن محسن هذا هو السلطان الثالث في سلسلة ملوك بني نيهان المتأخرين الذين حكموا في الفترة الثانية من عهد بني نيهان.

وهكذا يبدو لنا أن هؤلاء المؤرخين قد وضعوا أسماء ملوك بني نيهان المتأخرين في الفترة الأولى من عهد بني نيهان، في حين لم يذكروا أسماء ملوك الفترة الأولى. وقد اتخذ هؤلاء الملوك من نزوى وبهلا حاضرتين للملك^(١٦)، وكان حكمهم وراثياً بمعنى أن يرث الابن الملك عن أبيه أو الأخ عن أخيه، وإذا لم يوجد الابن أو الأخ فقد كان أقرب اقرباء الملك المتوفى يتولى الحكم.

وقد وصف عهدهم بالجبروت، ومع أنه لا يوجد وجه للمقارنة بين حكم هؤلاء الملوك الذين أسماهم الفقهاء العمانيون بالجبابرة^(١٧)، وبين الائمة الشرعيين المنتخبين، الذين اتصفوا بالزهد والتقوى والورع، إلا أننا لانميل إلى الأخذ بهذا الحكم المطلق، ونرى أنه يجب علينا أن نأخذ هذه الأحكام على أنها مسلمات لنقاش فيها، فكما أن هناك المفسد المسيء هناك أيضاً المصلح المصيب، ينطبق ذلك على ملوك بني نيهان، الذين لم يكونوا جبابرة كما ذكر بعض المؤرخين.

وندل على ذلك بوصف الستالي به لبعض ملوكهم، حيث أشاد بتواضع وحسن اخلاق الملك النبهاني أبي العرب يعرب بن عمر، الذي عرف عنه حبه للعلم والعلماء، كذلك أشنى على السلطان أبي الحسن ذهل بن عمر وهناه بعودته إلى وطنه بعد أدائه فريضة حج بيت الله الحرام^(١٨)، وخير وصف لحسن اخلاق ملوك بني نيهان وكرمهم وتواضعهم ما ذكره ابن بطوطة عند زيارته لعمان ومقابلته للملك النبهاني أبي محمد حيث قال فيه: «وعادته أن يجلس خارج باب دراه في مجلس هناك، ولا حاجب له ولا وزير، ولا يمنع أحدا من الدخول إليه من غريب أو غيره، ويكرم الضيف على عادة العرب، ويعين له الضيافة ويعطيه على قدره وله اخلاق حسنة»^(١٩).

وهكذا نرى أنه من التطرف أن نحمل ملوك بني نيهان وزر ذلك الوضع المتردي كله، لأن المسؤولية لا تقع عليهم أو على بعضهم وحدهم، وإنما تقع أيضاً على معاصريهم من علماء واعيان البلاد وعامة اهلها خاصة وأن الحروب والاضطرابات عمت البلاد في كثير من فترات حكم بني نيهان.

حروب ملوك بني نيهان مع منافسيهم:

كانت فترة حكم ملوك بني نيهان من أكثر فترات التاريخ العماني تنافسا وصراعا على السلطة فعندما خلو منصب الإمامة من أمام قائم بأمور الدولة لأي سبب من الأسباب، تعود الاوضاع في البلاد إلى حالة الفوضى والتسيب ليعود الصراع والتطاحن بين القبائل واستمر هذا الوضع المضطرب في عمان أكثر من مائتين وخمسين عاما،

ويبدو أن هذه الفترة خلت فيها البلاد تماماً من منصب الإمامة لذا كان الصراع عن أشده بين قبيلة النباهنة والقبائل العمانية الأخرى، بل بين أفراد أسرة بني نيهان أنفسهم، ولم ينحصر التنافس والصراع فيما بين أبناء العم فقط، بل تعداه إلى التنافس والقتال على السلطة بين الأخوة أنفسهم.

ولا نستطيع أن نتتبع أحداث هذا الصراع عند قيام دولة بني نيهان لأن مصدرنا الوحيد عن تلك الفترة هو الستالي الشاعر الذي كرس شعره في مدح ملوك بني نيهان الأوائل والثناء عليهم، دون أن يتعرض لأساليبهم التي من ضمنها ذلك الصراع الدموي على السلطة، لكن سليمان بن سليمان الملك الشاعر أشار إلى ذلك الصراع في قصيدة شعرية ناشد فيها أخاه حسام بن سليمان بأن يترك الحرب ويركن إلى السلم والمصالحة^(٢٠). ولكن يبدو أن حساماً لم يستجب لتلك النصائح فصمم على انتزاع السلطة من يد أخيه سليمان إلى أن لقي حتفه في ذلك الصراع الدائر بينهما.

يضاف إلى ذلك أن الملك النبهاني دخل في صراع رهيب مع زعماء القبائل العمانية الأخرى، مثل قبائل بني عمرو، والعوامر، وبني عمير، وبني ربيعة، وبني كعب وآل طى، وبني مانع والشريحيين، والسوالم، والنوافل، مما أدى إلى تكتل هذه القبائل في عصبة واحدة ضده ويقال أنه في إحدى الوقائع بلغ عدد المتقاتلين فيها أكثر من سبعة آلاف مقاتل^(٢١).

والخبر الوحيد الذي أشارت إليه الكتب التاريخية العمانية عن ذلك الصراع القبلي هو خروج آل الرئيس على سلطة ملوك بني نيهان في عهد الملك النبهاني كهلان بن عمر بن نيهان في نهاية شهر شوال عام ٦٧٥ هـ (أوائل شهر أبريل نيسان سنة ١٢٧٧ م). إذ خرجت حملة كبيرة من قبيلة آل الرئيس تناصرها قبيلة الحدان^(٢٢)، وذلك لضغينة بينهم وبين ملوك بني نيهان قاصدين عقر نزوى مقر ملك نيهان آنذاك فلما علم الملك كهلان بن عمر بذلك الهجوم خرج بمن معه من العسكر وأهل العقر ليصدوهم عن دخول نزوى^(٢٣).

وعندما علم المهاجمون بخروج كهلان ومن معه من سكان العقر بنزوى، سلكوا طريقاً آخر ليتجنبوا الاشتباك معهم، ثم ليدخلوا نزوى وهي خالية من المدافعين عنها. فتم لهم ما أرادوا، والحرب خدعة، فدخلوها دون أن يتصدى لهم أحد، وعندئذ اقتحموا سوقها ونهبوا ما بها ثم أضرمو فيها النيران التي امتدت إلى مخازن المسجد الجامع بنزوى، فاحترقت بمحتوياتها ومن ضمنها الكتب ثم توجه المهاجمون إلى منازل الأهالي، فسلبوا الأموال، وسبوا النساء.

وفي اليوم التالي عاد كهلان ومن معه من أهل العقر والعسكر، وتجمعوا بمنطقة السراة على مداخل مدينة نزوى وكان عددهم سبعة آلاف مقاتل ولم يلبثوا أن اقتحموا معسكرات المهاجمين من قبيلتي آل الرئيس والحدان، فوقع القتال بينهم وبلغ عدد القتلى ثلاثمائة قتيل من الفريقين فانهزم المهاجمون وعادوا من حيث أتوا^(٢٤).

وقد ورد في بعض المراجع اللاحقة أن عدد المهاجمين من قبيلتي آل الرئيس والحدان سبعة آلاف مقاتل كما ورد في بعض هذه المراجع تصحيح لكلمة السراة حيث أبسدت بكلمة الشراة^(٢٥)، ويقصد بها أولئك العسكر الذين خرجوا مع الملك كهلان، ولكن كما هو معلوم فإن كلمة الشراة^(٢٦)، مصطلح أباضي يقصد به أولئك الرجال المقاتلون الفدائيون الملتقون حول الإمام والمدافعون عن نظام الإمامة وليس

عن نظام معاد للإمامة كما هو الحال بالنسبة لنظام ملوك بني نبهان، والذي يدلنا على صحة ما نذهب إليه ما جاء في سيرة ابن ممداد حيث يقول: «وعند اليوم التالي غرة شهر ذي القعدة وصل كهلان بعساكره واجتمعوا بالسراة فزحف عليهم العسكر وكانوا مقدار سبعة آلاف» (٣٧).

وإذا كان هذه هو حال النباهنة مع المنافسين لهم من زعماء القبائل فكيف كان حالهم مع الإمامة الإباضية؟

ملوك بني نبهان والإمامة الإباضية:

وفي هذا الصدد لابد أن نتحدث عن الائمة الذين اتاحت لنا المصادر معرفة بعض اخبارهم، ولابد أن نتحدث عن علاقتهم بملوك بني نبهان، ومن البداية نذكر لنا المصادر أن احوال عمان كانت مضطربة عندما تولى بنو نبهان الحكم في البلاد ذلك انه بوفاة الامام محمد بن خنبل عام (٥٥٧هـ / ١١٦١م)، سادت عمان حالة من الاضطراب والفوضى، كما شاب تدوين تاريخها حالة من الغموض والتعتيم ويعبر الازكوي (٣٨) عن تلك الحالة بقوله واصيب اهل عمان بموته بما لم يصابوا بأحد من قبله، فهو يصور لنا الحالة المضطربة والصراع المرير الذي قاسى منه العمانيون الامرين، ولم تجتمع ارادة الامة على اختيار امام يوحد لها طيلة الفترة الممتدة من سنة (٥٥٧هـ الى ٨٠٩هـ / ١١٦١ - ١٤٠٦) ويذكر مايلز (٣٩) انه على امتداد اربعين عاما لا يوجد ذكر لصراع او تنافس على السلطة بين النبهانيين وعلماء الدين الإباضيين غير اننا نجد انه في سنة (٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) انتخب الامام مالك بن الحواري، وهو يعني بذلك ملوك بني نبهان والائمة وفي الحقيقة فكلهم إباضيون، والفترة اكبر مما ذكر فهي مثنان وأثنان وخمسون عاما، لم يتم فيها مبايعة امام الى ان اجتمع العلماء والاعيان من اهل الحل والعقد على مبايعة مالك بن الحواري اماما لهم.

ولذا يعتبر مالك بن الحواري (٨٣٢-٨٠٩هـ / ١٤٠٦-١٤٢٨م) اول امام في عهد بني نبهان، وكدليل على اضطراب الاحوال الذي اثر بدوره على تدوين احداث التاريخ وانعكس بدوره على ما اورده السالمى الذي بدأ تدوين فترة الائمة في عهد بني نبهان بالحواري بن مالك حيث يقول: «وفي بعض الاثر مالك بن الحواري فلا ادري اهنا امانا بعضها بعد بعض؟ او انقلبت العبارة سهوا على بعضهم وكذلك وقع الخلاف في تاريخ موتها ولعل الثاني منهما ولد الاول» (٣٠).

ولم يرجع السالمى رواية على اخرى اما السبائى فقد استقر على رواية واحدة فذكر بأن المبايع بالإمامة هو الحواري بن مالك (٣١).

وامام هذا التضارب في المعلومات نرى الاخذ بالمعلومة القائلة بأن المبايع هو مالك بن الحواري، واما الحواري بن مالك فما هو إلا قلب للاسم كما اعتقد السالمى، ويؤكد هذا ما ذكره الازكوي حيث قال انه بعد موت مالك بن حواري بسبع سنين عقد لابي الحسن بن خميس بن عامر وذلك في شهر رمضان عام ٨٣٩هـ / مارس ١٤٣٦م (٣٢).

هذا وقد عقدت الإمامة للمالك بن الحواري بمدينة نزوى حيث ارسل حملة بقيادة عبدالله الملقب بالهول لغزو مدينة الرستاق لاختضاعها، فقام القائد المذكور بحرق سور قلعة الرستاق، وذلك للضغط على المتحصنين بها للتسليم حتى يقبلوا بالاستسلام.

امامة ابي الحسن بن خميس (٣٣):

يعتبر الامام ابو الحسن بن خميس بن عامر ثالث الائمة في عهد بنى نيهان بعد محمد بن خنيش الذي توفي سنة ٥٥٧هـ / ١١٦٢م، ثم الامام مالك بن الحواري وان كان زامبارو ومن اخذ عنه اعتبروه اول الائمة في عهد بنى نيهان لقد تجنب هؤلاء الخوض فيما غمض عليهم واكتفوا بما وضع لديهم^(٣٤) مع ان الازكوى وابن رزيق قد ذكرا الامامين محمد بن خنيش ومالك بن الحواري، على اية حال فقد بويغ لابي الحسن بالامامة في رمضان عام ٨٢٩هـ / ابريل ١٤٣٥م) وانفرد السالمى بذكر خروج بنى صلت عليه ومحاربتهم اياه بمؤازرة بنى ربيعة لهم، فأمر الامام بقطع نخيل بنى ربيع عقابا لهم على مؤازرتهم تلك، وقد توفي يوم السبت الحادي والعشرين من شهر ذي القعدة سنة (٨٤٦هـ / ٢٣ من شهر مارس «اذار» سنة ١٤٤٣م)، فكانت بذلك مدة امامته سبعة اعوام وشهرين^(٣٥).

اما فترة الشغور الواقعة بين الامام مالك بن الحواري والامام ابي الحسن بن خميس بن عامر يفسرها السيابي نقلا عن ابي رزيق فيقول: «عقد لابي الحسن بعد احمد بن محمد الربيعي، قلت لعله كانت امامته في تلك المدة التي لاحظناها بين مالك بن الحواري وابي الحسن وهي ست سنين».

والواقع ان الفترة الزمنية بين الامام مالك بن الحواري والامام احمد بن عمر بن محمد الربيعي هي سبع سنين وقد سبق ان اشرنا الى ذلك، اما الامام ابو الحسن الذي ورد ذكره في النص السابق فهو امام آخر غير ابي الحسن بن خميس بن عامر، الذي نحن بصدد الحديث عنه، وسيأتي الحديث عنه ان شاء الله فيما بعد.

امامة عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي (٣٦)

لما اشتد تعسف وبطش ملوك بنى نيهان على البلاد واهلها اجتمع اهل الحل والعقد من العلماء واعيان البلاد، فبايعوا عمر بن الخطاب الخروصي، اماما لهم عام (٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) وبقي في امامته هذه عاما واحدا ثم ثار عليه الملك النبهاني سليمان بن سليمان وانصاره^(٣٧) ف وقعت بين الطرفين معركة عنيفة بقرية حممت^(٣٨) بوادي بني رواحه وينفرد السيابي بذكر انصار الملك النبهاني حيث ذكر ان اكثر انصار السلطان في هذه البادية هم بنو رواحه وهم القوام بامرهم^(٣٩).

وكان ان حلت الهزيمة بالامام وجيشه وبذلك انتهت امامته ثم جددت له البيعة بالامامة مرة ثانية لكن لم يرد ذكر لتاريخ تلك البيعة وكانت له وقائع وحروب مع الملك النبهاني المذكور وانصاره، وتم له النصر والغلبة عليهم^(٤٠).

وينفرد ابن رزيق^(٤١) برواية تقول بان مبايعة الامام عمر بن الخطاب الاولى كانت في سنة ٨٣٥هـ / ١٤٣١م، بينما ذكر رامبارور^(٤٢) ان تاريخ مبايعته كانت عام ٨٥٥هـ / ١٤٥١م، دون ان يوضح هل كانت هذه هي المبايعة الاولى ام الثانية.

ويخالف هذا الرأي ما اجمع عليه المؤرخون الآخرون الذين رجعنا اليهم، وكذلك مع ما ذكره ابن رزيق نفسه عن مبايعة الامام ابي الحسن بن خميس حيث اتفق مع ما ذكره غيره من المؤرخين بانها كانت في سنة (٨٢٩هـ / ١٤٣٥م)، وان وفاته كانت في سنة (٨٤٦هـ / ١٤٤٣م)، وبذلك تكون المبايعة الاولى للامام عمر بن الخطاب الخروصي في عام ٨٨٥هـ كما ذكرنا من قبل واحتمال ان تكون مبايعته الثانية في عام (٨٨٧هـ / ١٤٨٢م)، كما سيتضح لنا فيما بعد.

وقد شبه ابن رزيق الامام العمانى عمر بن الخطاب الخروصي بالخليفة الراشدى الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، في العدل والانصاف مع الحزم والشدة وفي نصرة الحق والضرب على يد الظلمة والمفسدين^(٤٣).

وفاة الامام عمر بن الخطاب الخروصي :

لم يدون المؤرخون تاريخ وفاته رحمه الله، وانما ذكروا تاريخ مبايعة الامام محمد بن سليمان الذى جاء بعده وهو عام (٨٩٤هـ / ١٤٨٨م)^(٤٤)، اما ابن ماجه^(٤٥) الذى يعتبر معاصرا لهذه الفترة، وان كانت معلوماته فيما نرى مضطربة بعض الشيء فعند حديثه عن طموحات ملك هرمز والى اسمائها (جرون) وتوسعه وحروبه مع جيرانه يقول: وقد اخذ ولده سيف بن زامل عمان من^(٤٦) نيهان بن شهاب بالسيف على سليمان بن سليمان بن نيهان في عام ثلاث وتسعين وثمانمائة وولي عليها اماما عن الاباضية يدفع له محاصيلها وقد نصره اهلها وقاموا بنصره، فهدم حصونها وامر عليهم عمر بن الخطاب الاباضى وعند تحليلنا لهذا النص التاريخى لابد لنا من توضيح بعض النقاط الواردة فيه:

- نيهان بن شهاب المذكور في النص لم يثر اليه المؤرخون العمانيون قط.
- اما سليمان بن سليمان بن نيهان حسبما ذكره ابن ماجه فاسمه الصحيح هو سليمان بن سليمان بن مظفر بن سليمان بن مظفر بن نيهان النيهانى.
- والذى يفهم^(٤٧) من كلام ابن ماجه، ان المذكور سواء كان سيف بن زامل او نيهان بن شهاب، قد استولى على عمان «بالسيف» اي بالقوة من سليمان بن سليمان وولي عليها اماما اباضيا يدفع له «محاصيلها» اي زكاتها، وقد قام العمانيون بنصرة هذا الامام الذى امر عليهم وهو عمر بن الخطاب ويبدو لنا ان الامر قد اختلط على ابن ماجه، فالامام الذى ذكره هو نفسه الامام عمر بن الخطاب، وربما اراد بذلك الامام العالم الجليل محمد بن سليمان بن احمد بن مفرج الذى نصب او عقد الامامة على عمر بن الخطاب للمرة الثانية كما سبق ذكره.

الامام محمد بن سليمان:

هو محمد بن سليمان بن احمد بن مفرج، القاضى البهلوي، قطب علماء عمان في حينه نصب للحكم والقضاء قبل مبايعة الامام عمر بن الخطاب، ولذلك عرف بالقاضى ثم انه هو الذى عقد للامام عمر بن الخطاب بالامامة للمرة الثانية، واولك اليه الامام عمر امر تشكيل مجلس قضائى للحكم في ممتلكات ملوك بنى نيهان كما سبق ذكره، وقد بويع له بالامامة بعد وفاة الامام عمر بن الخطاب عام (٨٩٤هـ / ١٤٨٨م) ولم يبق مدة طويلة في امامته وربما عزل، او اعتزل بنفسه، حيث لم يستطع القضاء على القلاقل التى اشارها سليمان بن سليمان بعد عودته من جزيرة القسم، وذلك للعداء والخصومة التى كانت بينه وبين هذا الامام لان هذا الامام هو نفسه الذى شكل مجلس القضاء للحكم في ممتلكات ملوك بنى نيهان وليس ابوه كما ذكر السيابى.

الامام عمر الشريف:

لم تذكر المصادر بقية اسمه ولا نسيه وقد بويع له بالامامة بعد اعتزال الامام محمد بن سليمان بن احمد بن مفرج، ولم يذكر المؤرخون تاريخ مبايعته، وقد بقى

عاما واحدا في امامته، ثم خرج من مقر الامامة بنزوى الى بهلا، وبذلك سقطت امامته (٤٨)، فبويع سلفه السابق ذكره محمد بن سليمان بالامامة للمرة الثانية، ولكن هذا الامام ايضا لم يبق هو الاخر مدة طويلة في امامته واعتزل فبويع بعده، احمد بن عمر بن محمد الربخي حيث سار في حكمه سيرة محمودة، ووصف عهده بالعدل والنزاهة وتوفي امامته ودفن بنزوى.

الامام ابو الحسن بن عبدالسلام:

بعد وفاة الامام الربخي، بويع ابو الحسن بن عبدالسلام بالامامة في نزوى وبقي في منصب الامامة عامًا واحدًا او دون ذلك بقليل فتمرد عليه سليمان بن سليمان وقضى على امامته او توفي حسيما ذكر ابن رزيق.

وينفرد الزكوي برواية تقول بان محمد بن سليمان المشهور بالقاضى بويع بعده للمرة الثالثة، واما السالى فيقول ان: سليمان بن سليمان بقي اياما ملكا بالقهر والجبرية متغلبا على من تحته بالسلطة والقهر، حتى بويع الامام محمد بن اسماعيل. ويدل ذلك على عدم استقرار الأوضاع وكثرة القلاقل والحروب في تلك المرحلة، وذلك لعدم بقاء الائمة في منصب الامامة لمدة طويلة، نتيجة للتنافس على السلطة بين نظام الامامة وسلطة بنى نبهان المتمثلة في ثورات وخروج سليمان بن سليمان.

الامام محمد بن اسماعيل الاسماعيلي الحاضري (٤٩)

من الثابت تاريخيا ان سليمان بن سليمان التبهاني كانت له صفات ازعجت اهل الحل والعقد منه، مما جعلهم يتجهون الى اختيار رجل يكون اهلا لتولى امور البلاد فكان اختيارهم لمحمد بن اسماعيل الحاضري فبايعوه اماما لعمان سنة ٩٠٦ هجرية / ١٥٠٠ ميلادية وذلك لتوسمهم في شخصه كفاءة واستقامة، هذا عن الاحداث الداخلية التي وقعت في عمان في عهد النباهنة فيا ترى ما هي قصتهم مع القوى الخارجية والدول الاجنبية؟

علاقة بنى نبهان بالقوى الخارجية:

اتسمت علاقة بنى نبهان بالقوى الخارجية بطابعين متباينين احدهما سلبي والاخر ايجابي اما الجانب السلبي فيتمثل في الغزو الخارجى لعمان، ذلك ان كثرة التمزق والخلاف بين العمانيين ادت الى استهانة اعدائهم بهم، فشنوا عليهم عدة غزوات كان مصدر غالبيتها بلاد فارس فقد ذكر الستالي ان هجوما قام به الفرس على عمان في عهد الملك التبهاني معمر بن عمر بن نبهان ولكن العمانيين قضوا على ذلك الهجوم (٥٠). اما الغزوات التي قام بها الفرس ونجحت في الوصول الى عمان وامتلاكها فترة من الزمن فهي ثلاث:

الغزو الاول :

تروي لنا كتب التاريخ انه في عام (٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) وفي عهد الملك التبهاني ابي المعالي كهلان بن نبهان قام محمود بن احمد الكوشى ملك هرمز (٥١) بهجوم على عمان فاستولى على ميناء قلعات، واستدعى ابا المعالي كهلان وطلب منه تحصيل الخراج من العمانيين وتسليمه اياه، فاعتذر ابو المعالي عن ذلك متعللا بان عمان ليست كلها طوع يده فاشار عليه بان يأخذ قوة من جيشه يجبر بها من لايدفع الخراج، وعندما رأى ابو المعالي كهلان، اصراره على ذلك اخذ يستملطه راجيا منه العفو عن اهل

عمان، وذلك لعدم استطاعتهم دفع المبلغ الذى طلبه، فغضب عليه الملك الهرمزي، وقرب امراء البدو العمانيين الذين وفدوا الى معسكره، ملين دعوته، فاغدق عليهم هداياهم من كساء واموال وطلب منهم نصرته وتنفيذ ما طلب من اموال فوعده بذلك^(٥٢).

وعند وصول الملك الهرمزي الى ظفار، تصدى له اهلهما فاستشهد عدد كبير منهم وتمركز جيش الملك الهرمزي في المناطق الساحلية من ظفار حيث قاموا بنهب الاسواق ومنازل الاهالي وسلب ما في ايديهم، وسبى رقيقهم وبلغ عدد السبى اثنى عشر الفا وحملت تلك الامتعة والاموال المسلوبة والرقيق على السفن، وامر الملك الهرمزي ثلث جيشه بمرافقة هذه السفن على ان يسبقوه الى قلهات لكي يجتمع جيشه هناك، اما هو ومن بقى معه من جيشه فتوغلوا الى الداخل قاصدين داخلية عمان عن طريق البر^(٥٣).

وهناك رواية وردت في المصادر العمانية^(٥٤) بهذا الخصوص مفادها انه لما صار في طريق البر نقص عليه الزاد واصابهم جوع حتى بيع من^(٥٥) اللحم بدينار واصابهم عطش كثير لقلّة الماء في تلك الطريق وقيل انه مات من عسكره خمسة آلاف رجل وقيل اكثر ولكن هذه المعلومة لا تشفى غليل الباحث لانها مبهمّة ولا تفسر الاسباب التي ادت بهؤلاء القوم كى يكونوا على هذه الحالة.

فليس من المعقول ان يقوم قائد كبير ملك مملكة لها ثقلاها في المنطقة بمغامرة كهذه دون ان يعمل حسابا لطول الطريق او لما تتطلبه الرحلة من استعدادات ويبدو لنا ان ما ذكره ابن رزيق اقرب الى الواقع، وهو انه لما وصل الملك الهرمزي الى منطقة قبيلة القرى «بادية يسكنون بجبل شاهق في ظفار»، استعان بعشرة رجال منهم ليدلوه على الطريق الى داخل عمان.

فلما توسطوا بهم البر هربوا عنهم ليلا فاصبحوا حائرين يترددون في رمال عالية وفيافي خالية، فتأهوا في تلك الصحارى الواسعة فرادى وجماعات دون ان يهتدوا الى طريقهم واستمروا على تلك الحال حتى نفذ عليهم الماء والطعام ولم يجدوا لدوابهم طعاما فنفتت من العطش والجوع، فهلك الملك الهرمزي والغالبية العظمى من جيشه^(٥٦)، ومن لم يهلك عطشا وجوعا اجهز عليه سكان البادية^(٥٧)، ولم ينج منهم سوى نفر قليل، واصلوا سيرهم برا حتى وصلوا جلفار «رأس الخيمة حاليا» ومنها عبروا الى جزيرة هرمز، ولا نأخذ بما قاله ابن رزيق على انه لم يبق منهم سوى رجل واحدا فهذا قول مبالغ فيه.

اما اولئك الذين رجعوا من ظفار عن طريق البحر، فقد ارسوا سفنهم في قلهات^(٥٨) وجعلوا عليه من يحرسها وقصد غالبيتهم طيوي فصددهم عنها بنو جابر ومن معهم من القبائل العمانية وقتلوه جميعا ودفنوا هناك في مدافن جماعية تعرف اليوم بقبور الترك، وقد اشار ابن رزيق في كتابه الفتح المبين الى ان رجالا من قبيلة بنو جابر العمانية ومن تبعهم هجموا على الذين اوكل اليهم حراسة السفن بميناء قلهات فقتلوا عليهم جميعا واخذوا ما وجدوه بسفنتهم ثم اضرموا فيها النار^(٥٩).

الغزو الثاني :

وهي غزوة حكام شيراز ففي عام (٦٧٤هـ / ١٢٧٦م) وخلال حكم الملك النبهاني عمر بن نبهان قام كل من فخر الدين احمد بن الداية واخوه شهاب الدين

نجلى حاكم شيراز ببلاد فارس، بغزو عمان وكسانا على رأس حملة عسكرية قوامها أربعة آلاف وخمسمائة فارس قامت بهذا الغزو.

وعندما نزل هؤلاء الغزاة بمدينة صحار التقى بهم الملك عمر بن نيهان بجيشه في حي عاصم بمنطقة الباطنة حيث انهزم واستشهد ثلاثمائة رجل من جيشه فزحف الغزاة الى العاصمة نزوى، ولم تفلح مقاومة ودفاع اهلهما عنها فاستولى عليها الغزاة في ١٥ من شهر ذى القعدة (الثاني من شهر مايو ايار) من نفس العام، وقاموا بنهب منازلها وسوقها ولم يكتفوا بهذا بل قاموا بتدمير سوقها، وحرق الكتب التي عثروا عليها، واخرجوا اهل عقر نزوى من منازلهم وحلوا محلهم فيها، ثم توجهوا بعد ذلك الى مدينة بهلاء^(٦٠) العاصمة الثانية للوك بنى نيهان وحاصروها مدة طويلة ولكنهم لم يفلحوا في فتحها.

وخلال فترة الحصار اصاب سهم قائد الغزاة فخر الدين احمد بن الداية في مقتل فخر صريعا، وكان مصرعه هذا سببا في فت عزيمة جيشه وبالتالي في هزيمتهم، وعجل هذا الوضع في خروجهم من عمان^(٦١)، بعد ان مكثوا بها اربعة اشهر عاثوا خلالها فسادا وقتلا، ونهبوا وسلبوا، وقد عانى الاهالي خلال فترة احتلالهم للبلاد الكثير، فبالاضافة الى الفساد والمظالم، فقد غلت الاسعار غلاء فاحشا لم يتحملة عامة الناس، وقد اجمعت المصادر التاريخية على ان عام ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م هو التاريخ الذي حدث فيه هذا الغزو على عمان ما عدا ابن رزيق الذي ذكر في كتابيه الشعاع الشائع والفتح المبين انه كان في عام ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م^(٦٢)، مما يدل على ان ابن رزيق لا يتحرى الدقة في تدوين التواريخ عند ذكره للوقائع والاحداث.

اما الغزو الثالث:

فقد انفرد بذكره كل من ابن مداد والمعولى حيث اشارا الى انه حدث في عام ٨٦٦هـ (١٤٦١-١٤٦٢م) ان قام نورشاه بن لقمة ملك هرمز بغزو عمان على رأس جيش ضخم يربو عدد افرادة على عشرين الف مقاتل، بينهم الف فارس^(٦٣).

وبعد انتصار الملك الهرمزي واستيلائه على عمان اتخذ من بهلاء مقر الملك النبهاني سليمان بن مظفر الذي فر الى الاحساء، مقاما لجنوده، وامر عليهم غسان بن كليب الذي كان مستشارا خاصا لسليمان بن مظفر بدرجة وزير، وكان يعتبر اقوى المقربين اليه كما ذكر المؤرخان بأن سليمان بن مظفر هذا عاد فيما بعد الى عمان ورجع اليه ملكه، لكنهما لم يشرآ الى الكيفية التي عاد بها الى حكمه وهل استرجع ملكه بالقوة ام بالصلح؟ ام ان العثمانيين ثاروا على المحتل واخرجوه من بلادهم؟

هذا ما لم يوضحاه... ومهما يكن من امر فان سليمان مظفر هذا رحل الى شرق افريقية كما سنذكره لاحقا واسس مملكة بته «بات» النبهانية، وان قيل انه عاد الى عمان، فربما عاد اليها زائرا وليس حاكما.. حيث لم نسمع له عن دور في عمان بعد ذلك.

وعندما شب ولداه سليمان وحسام، اشتد بينهما الصراع على السلطة وانتهى هذا الصراع بانتصار سليمان على اخيه، لكنه بقي يصارع الائمة وزعماء القبائل الاخرى الى ان انتزع السلطة منه الامام محمد بن اسماعيل كما سبق القول.

وقد ارجح المعولى هذا الغزو بعام ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م مع انه اشار في نهاية حديثه الى

هذا الموضوع وكان هذا بعد سني الفترة، وسنون الفترة التي اشار اليها هي السنوات الممتدة من عام ٥٥٧هـ / ١١٦٢م الى ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م والتي كانت فيها عمان شاغرة من منصب الامامة... وكان للملك بنى نيهان اليد الطولى في عمان، ولذلك يبدو ان التاريخ الذي ذكره المعول لهذا الغزو لا يتفق مع ما اشار اليه، في نهاية الحديث عن هذا الموضوع ونرى ان التاريخ الذي ذكره ابن مداد (٨٦٦هـ / ١٤٦١م)، هو الصحيح^(٦٤).

علاقات بنى نيهان السياسية بالقوى الخارجية :

تشير بعض المصادر العمانية الى تعدد علاقات النباهنة بالقوى الخارجية وخصوصا العلاقات السياسية التي بدت اكثر وضوحا من خلال تبادل الزيارات مع البلاد المجاورة وخصوصا في منطقة الخليج وشرق افريقيا وبعض الممالك الآسيوية. ووفقا لرواية السنائي شاعر ملوك بنى نيهان الذي اشار الى علاقات النباهنة بشرق افريقيا اثناء زيارته اليها ويبدو ان علاقة حكام النباهنة بالممالك الافريقية كانت وثيقة لدرجة انه امتدح ثلاثة من الحكام الافارقة وهم سبخت بن علي^(٦٥) وبختان^(٦٦) واسحق بن عمر^(٦٧).

وعلى الرغم من كل ذلك فان عصر النباهنة يبقى فترة زمنية لم تكشف كل تفاصيلها بعد إلا ان بعض المعلومات المتناثرة قد قدمت صورة لابس بها لطبيعة العلاقات بين النباهنة وشرق افريقيا.

علاقة عمان بشرق افريقيا في عهد بنى نيهان :

علاقة عمان بشرق افريقيا علاقة قديمة، خاصة العلاقات التجارية بين الطرفين وكان العمانيون يلجأون الى هذه المنطقة عندما تجبرهم الظروف على ترك وطنهم سواء كانت تلك الظروف اقتصادية، نتيجة للقط والازمات الاقتصادية والسياسة كجوء الزعماء والأمراء مثلما حدث لسعيد وسليمان ابني عباد بن عبد بن الجلندي فرارا من اضطهاد الحجاج بن يوسف الثقفي، او اجتماعية نتيجة للصروب القبلية والثار التي دفعت بعضهم الى الفرار الى شرق افريقيا خوفا على حياتهم، ولذا كان استيطان العمانيين لشرق افريقيا ظاهرة قديمة ومستديمة.

اما علاقة ملوك بنى نيهان بشرق افريقيا، ونزوحهم اليها واقامتهم مملكة نيهانية في بات فمن المرجح ان يكون هذا الامر قد حدث عند عودة الامامة الى الحكم في عمان بمبايعة مالك بن الحواري اماما لعمان عام ٨٠٩هـ (١٤٠٦ - ١٤٠٧م)^(٦٨) ومن المحتمل ان يكون قد تم في عهد الملك النبهاني مظفر بن سليمان بن مظفر بن نيهان او في عهد ابنه سليمان بن مظفر - والد الملك الشاعر سليمان بن سليمان، الذي رحل عن عمان بعد اقصائه عن الحكم على يد الملك الهرمزي نورشاه بن لقمة كما سبق القول، ولجأ الى مملكة بات وتزوج هناك من ابنة ملكها المدعو اسحق ثم انتقل الحكم اليه اما بوفاء والدها المدعو اسحق، او بتنازل الاخير عن الحكم طواعية لابنته ثم لزوجها^(٦٩).

واذا كان هذه هي سياسة بنى نيهان الداخلية والخارجية والاحداث التي جرت في عهدهم اثناء فترة حكمهم الاولى فما هي الاحداث التي مسروا بها في فترة حكمهم الثانية وهي فترة قصيرة بطبيعة الحال.

الفترة الثانية من حكم بني نبهان (٩٠٦-١٠٣٤هـ/ ١٥٠٠-١٦٢٤م):

من الملاحظ أن هذه الفترة خلت من منصب الإمامة ما عدا أولئك الأئمة الثلاثة الذين كانوا في بدايتها وهم بركات بن محمد الاسماعيلي الحاضري وعمر بن قاسم الفضلي وعبدالله بن محمد القرن... كما يلاحظ اختفاء العلماء الفيوريين على اصلاح شأن المجتمع، فاختفت بذلك الدعوة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعمت الفوضى ربوع البلاد، حتى وصلت الى حالة يرثى لها من التمزق والتناحر، وكان الصراع على السلطة على أشد ما يكون.

وأهم أحداث هذه الفترة هي:

قيام الملك النبهاني سلطان بن محسن بن سليمان النبهاني باحياء ملك النباهنة في هذه الفترة وذلك باستيلائه على مدينة نزوى عام ٩٦٤هـ (١٥٥٦م) (٧٠) كما استولى الملك سليمان بن مظفر بن سلطان بن محسن علي الحكم في داخلية البلاد واتخذ من مدينة بهلاء مركزاً لحكمه، ومن محاسن حكمه توحيدته للبلاد ونجدها لمنها بن محمد الهديفي زعيم صحار لصد هجوم الفرس عنها.

ولكن يؤخذ عليه اضطهاده لقبيلة الجهاضم وتشريدهم من بلادهم سمد الشان ثلاثين عاماً... ولم يلبث أن افترق انصاره الى فرقتين حيث ظل بنو معن وبنو شكيل حلفاء له بينما صار بنو النثر وبنو هناة برئاسة خلف بن ابي سعيد وسيف بن محمد بن ابي سعيد يناصبونه العداء، حيث تحالفوا مع امير سمائل عمير بن حمير النبهاني، ولذلك صار هناك تحالف قبلي ضد الملك النبهاني سليمان بن مظفر ضم هؤلاء اضافة الى امير الرستاق مالك بن ابي العرب، وابى الحصن علي بن قطن الجبري زعيم الجبور، وقد اعان هؤلاء الحلفاء الجهاضم على العودة الى بلادهم واسترجاعها من يد سليمان بن مظفر واستمر الصراع بين الفريقين على أشده، الى ان توفي سليمان بن مظفر فخلفه في الحكم ابن عمه عرار بن فلاح بن محسن الذي خلفه اخوه نبهان بن فلاح بن محسن (٧١).

ولما كانت مدينة بهلاء مركز ملك بني نبهان في هذه الفترة فقد حرص كل زعيم منهم لكي يصير ملكاً على أن يستولى أولاً على هذه المدينة ليضمن مركزه ومكانته بين القبائل العمانية، فعل ذلك الامير عمير بن حمير النبهاني ويستولى عليها فتم له الامر، وخاصة بعد أن تحالف معه بنو هناة وانضم اليه اهل نزوى واهل منح وأخرجوا منافسيه من المنطقة الواقعة تحت نفوذه، وهم سلطان بن حمير ومن معه حيث استقروا في صحار عند زعيمها محمد بن منها الهديفي، وإذا كان بنو راحة هم انصار بني نبهان المقربون في الفترة الاولى خاصة عهد الملك النبهاني الشاعر سليمان بن سليمان بن مظفر، فان بني هناة هم انصارهم المقربون في هذه الفترة.

الصراع في منطقة الظاهرة

لم يلبث أن انتقل الصراع بعد ذلك الى منطقة الظاهرة التي كان مسيطراً عليها ابناء الملك النبهاني فلاح بن محسن، فبعد موت مخزن بن فلاح بن محسن .. الذي كان قد استولى على مدينة ينقل حيث صارت المدينتان يتنقل ومقنيتان تحت سيطرة أخيه نبهان الذي كرهه اهل مقنيتان لجوره وتسلطه عليهم، فاستنجدوا بالملك عمير بن حمير الذي قاد جيشاً كبيراً صحبه فيه سيف بن محمد بن ابي سعيد الهنائي،

فاستولوا على مدينة مقنيات، ثم زحفوا على مدينة ينقل، ولما علم نبهان بقدمهم اليه رحل عن المدينة قاصدا اخواله آل الرئيس، وكان ذلك في الثاني من شهر صفر عام ١٠٢٦ هـ (٢٠ من شهر مارس ١٦١٧م) وفي مدينة ينقل عين الملك عمير بن حمير من يتولى شؤون الحكم فيها واعاد الاموال والممتلكات التي اخذت من اهلها، ومكث فيها مدة ثم عاد الى مدينة مقنيات وازاح عن اهلها ما كانوا يعانونه من تسلط نبهان وظلمه، واكتفى منهم بعشر المحصول من النخل والزرع بعد ان كان نبهان يأخذ نصف غلة النخل وربع غلة الزرع كما امر بأن تكون غلة اموال الدولة بها لمن يقيم بالحصن ويتولى شؤون المدينة، وولي عمر بن ابي سعيد الهنائي امور الحصن والمدينة ثم عاد وبصحبه سيف بن محمد الى مدينة بهلا (٧٢).

هذا وقد سجلت المصادر التاريخية العمانية ان الفترة الاخيرة من حكم بنى نبهان الثانية في عمان سادتها اجواء من الفوضى كان سببا للتفكك وانقسام عرى الوحدة الى ان قبض الله لعمان رجلا من بين رجالها تميز ببعد البصيرة، إلا وهو ناصر بن مرشد اليعربي الامر الذي جعل اهل الحل والعقد في عمان يعتقدون له الامامة سنة ١٠٢٤ هجرية / ١٦٢٤ ميلادية وبذلك بدأت في عمان مرحلة جديدة من التلاحم والوحدة والاستقرار واستهلت عمان عصرا ذهبيا انعكست اثره على الامن وصالح الاحوال.

وفي منتصف شهر ربيع الآخر «اواخر شهر ابريل» من نفس العام استرجع نبهان بمساعدة اخواله آل الرئيس مدينة ينقل كلها ما عدا حصنها الذي كان في يد قبيلة بنى علي الذين استعانوا بالجبور الذين كان مقرهم ببادية الشمال فنصرهم وكانت الهزيمة على نبهان وانصاره... وانتهى امر بنى نبهان وبدأ عهد اليعاربة، وقبل اسدال الستار على بنى نبهان على هذا النحو لابد ان نشير الى شيء من خصائص عهدهم وسمات عصرهم.

خصائص عهد بنى نبهان:

كان بنو نبهان يمثلون نظاما سياسيا بحتا اذ انهم كانوا ملوكا سلوكوا اسلوبا مغايرا لاسلوب الائمة، الذين اتصفوا بالزهد والتقشف، في حين مال بنو نبهان الى حياة الرفاهية والترف والفخامة.. فبنوا لانفسهم القلاع والحصون لتكون لهم حصونا منيعة تصد عنهم هجمات منافسيهم.

هذا بالاضافة الى استبداد كثير من ملوك بنى نبهان واستيلاء بعضهم على ممتلكات الرعية بطرق غير شرعية وفرض الضرائب الباهظة التي لا تتفق مع تعاليم الاسلام وقواعده في جمع الزكاة، فقد قال صلى الله علي وسلم: «فما سقت السماء والعيون العشر وما سقى بالدوالي والغرب نصف العشر»... وقال ايضا «ليس فيما دون خمس اواق صدقة.. وليس فيما دون عشرين مثقالا صدقة.. وليس فيما دون خمس ذود صدقة.. وليس فيما دون اربعين شاه صدقة وليس فيما دون خمسة اوسق صدقة» (٧٣).

كما لا يمكن القول بقيام حكومة قوية في عهد بنى نبهان، وانما اتصف ذلك العهد بكثرة الصراعات والنزاعات المستمرة والتنافس الدائم على السلطة طيلة عهدهم سواء كان ذلك فيما بينهم كافراد في اسرة بنى نبهان.. او بينهم وبين زعماء القبائل العمانية الاخرى، او بينهم وبين الائمة المنتخبين.. واقل ما يوصف به عهدهم انه عهد الاسر

الحاكمة او دويلات المدن... فليس هناك حكومة مركزية قوية تفرض نفسها على البلاد بأسرها، وقد اشارت هذه الاسباب مجتمعة سخط العمانيين عليهم، فسموهم بالجبابرة والطفاة، ووصف عهدهم بالتسلط والاستبداد، ومن جانب آخر ارجع المؤرخون العمانيون عن كتابة تاريخهم اذ اعتبروا فترة حكمهم فترة سوداء في التاريخ العماني، ولذا غاب عنا تاريخهم، ومن هذه الناحية اعتبر عهدهم عهدا مظلما في التاريخ العماني.

واذا كان عهد النباهنة مظلما في كثير من جوانبه وفتراته في تاريخ عمان فانه لم يكن كذلك في منطقة اخرى سيطر عليها النباهنة، وهذه المنطقة هي ما كانت تعرف بمملكة بات والتي كانت تقع في ارجبيل لامو بساحل افريقيا، والتي رحل اليها احد ملوك بني نبهان كما سبق القول واقام هناك هذه المملكة التي رعت الحضارة والعلم والثقافة ونشرت الاسلام بين كثير من الافارقة، واقامت علاقات قوية مع سكان المنطقة سواء في الساحل ام في الداخل.

واذا كان نباهنة بات قد اقاموا هذه العلاقات وربطوا بين عمان وشرقي افريقيا على هذا النحو، فان هذا الامر لم يكن الاول من نوعه في تاريخ العلاقات بين عمان وشرقي افريقيا، فتاريخ هذه العلاقات يمتد الى ابعد من ذلك بكثير، وكانت الصلات والعلاقات التجارية هي السبيل الذي مهد لتوثيق هذه العلاقات وتوطيدها فيما بينهما الى حد كبير، ولذلك كان من الواجب ان يكون هناك حديث يوضح هذه العلاقات ويبين تلك الصلات ويكون احسن ختام للحديث عن عمان في العصور الاسلامية، وهذا ما سوف نراه في الفصل التالي.

الفصل السادس

الصلات التجارية بين عمان وشرق افريقيا في العصر الوسيط

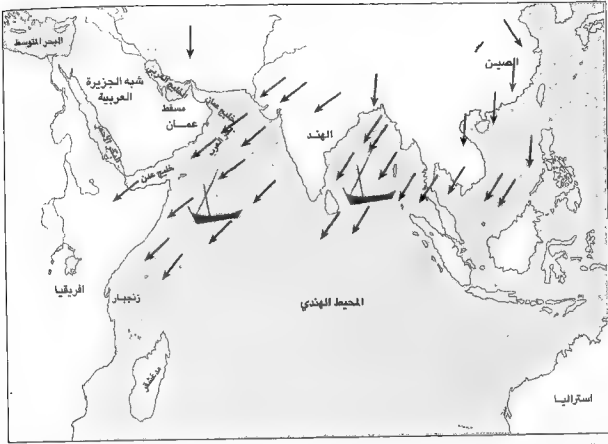
كان لمنطقة الخليج العربي بصفة عامة وعمان بصفة خاصة صلات عريقة بشرق افريقيا ترجع الى ما قبل الاسلام بوقت طويل وكان العمانيون اول رواد لساحل افريقيا الشرقى واكثر تأثراً في المنطقة من أى فريق آخر، وذلك بهدف المتاجرة مع الافارقة في هذه المنطقة من قارة افريقيا.

ولذلك يقال ان تاريخ العمانيين في شرق افريقيا مرتبط بتاريخ التجارة العمانية لكن للاسف فسان هذا التاريخ او كلاهما غير مسجل او مسدون بصورة دقيقة ومفصلة... فالصادر العمانية المنشورة تتجاهل كل ما يحيط بالعلاقات التجارية بين شرق افريقيا وعمان، على الرغم من ان هذه التجارة كانت سببا في إثراء العمانيين... كما ان المدونات التي عثر عليها في شرق افريقيا، فضلا عن كونها متأخرة وتعتمد على التراث الشفوي، فان اهتمامها الرئيسي ينصب على التاريخ السياسى لالاسر الحاكمة في شرق افريقيا^(١)، ولذا سوف يكون لاعتمادنا على الأعمال الجغرافية والملاحية العربية الوسيطة التي تضم معلومات قيمة حول التجارة بين عمان وشرق افريقيا.. فمن المعروف ان النشاط التجاري للعرب المسلمين كان أحد من العوامل التي شجعت الجغرافيين العرب على الرحلة الى اقطار شرق افريقيا وتعريف الناس بمسالكها وطرقها ووصف سكان تلك البلاد وطبيعتها ومنتجاتها.

وابتداء من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادى نجد ان رحالا عربيا قد دون بصورة مختصر اخبار رحلته من عمان الى شرق افريقيا في كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» وهو ابو الحسن بن الحسين بن علي المسعودي الذي ولد في نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادى في بغداد من اسرة حجازية... والواقع ان اخبار رحلته الى شرق افريقيا هي السبيل الوحيد للتعرف على حجم التجارة العمانية وابعادها في شرق افريقيا^(٢).

رحل المسعودي مع التجارة والتجار العمانيين عدة مرات، ولقى ماكان من مخاوف واهوال في مياه الشرق الافريقي ووصل مع بحارة «عمان من عرب الازد» الى اقصى جنوب الساحل الافريقي الشرقى، وعاش معهم في شرق افريقيا ثلاث سنوات يرقب ويدون ما يرقب ثم عاد معهم الى عمان ولم تستقر به الحياة في عمان إلا قليلا فقد ركب البحر مرة اخرى وعاد الى افريقيا الشرقية.

لقد قدم المسعودي المعرفة عن شرق افريقيا، حيث كتب في زمن نشطت فيه التجارة الخليجية في تلك المنطقة، ولم يسكت عن سماع وقراءة بل كتب ما رأى وخبر مباشرة، وبذلك وضع اسسا ثابتة وقوية لتاريخ العلاقات العربية — الافريقية التجارية بخاصة العمانية^(٣). ومع كل ما كتبه من معلومات عن صلة العمانيين



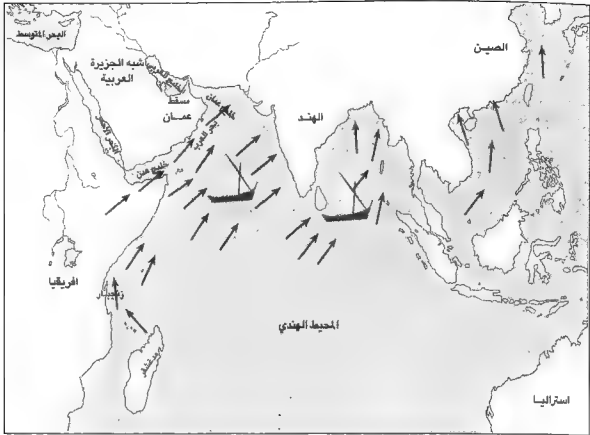
دور الرياح الموسمية
الشمالية في التجارة
العمانية

التجارية بشرق أفريقيا والتي تخص الطريق التجاري بين عمان والساحل الافريقي الشرقي ومصاعب هذا الطريق ومراحل السفر فيه ومنتجات ذلك الساحل فناننا على ثقة بأن معلومات المسعودي عن هذه الجوانب هي أكثر بكثير مما دونه لنا في كتابه «مروج الذهب».

ومنذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ووصلتنا اوصاف اخرى للرحلات التجارية العمانية في شرق أفريقيا... فقد كتب بزرگ بن شهريار على لسان ربابنة السفن العمانية المتخصصةين بالسفر الى شرق أفريقيا موضحا لنا المناطق التي وصلها التجار العمانيون في تلك المنطقة.

استمر الجغرافيون العرب ما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين / الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين في التأكيد على النشاط التجاري العربي في شرق أفريقيا^(٤) ذلك النشاط الذي بلغ أوجه في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي وفي هذا المجال نذكر الرحالة العربي الكبير ابن بطوطة، الذي جاب العالم الاسلامي بنفسه ووصل من عدن الى ساحل أفريقيا الشرقي سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م، وعاد من المكان الاخير الى عمان عبر الطريق المسلوك من قبل التجار، وعند عودته دون ما شاهده من نشاط تجاري عربي في مدن الشرق الافريقي وكذلك النظم التجارية المتبعة هناك.

اما الكتب الملاحية فهي حصيصة العلاقات التجارية والبحرية والسياسية العمانية في اقطار العالم المعروفة آنذاك ومن بينها اقطار شرق أفريقيا، فقد حرص بعض العمانيين على دراسة قواعد واصول الابحار في المحيط الهندي، وكان من اشهرهم احمد بن ماجد



دور الرياح الموسمية
الصيفية في التجارة
العمانية

وسليمان المهري للذين ألفا مجموعات كبيرة وصغيرة من المقالات تعين الباحث على معرفة كثير من جوانب النشاط التجاري الملاحي... وإلى هذه المؤلفات الملاحية يعود الفضل في معرفتنا بأن الرحلة التجارية البحرية إلى شرق أفريقيا ترتبط بمعرفة أصول الملاحة وفنونها... واليه يعود الفضل أيضاً في معرفتنا بمواسم التجارة العمانية مع شرق أفريقيا والمناطق التي وصلها التجار العمانيون في شرق أفريقيا والسلع التي كانوا يرسلون من أجل جلبها، وهذا ما سنجده في ثنايا هذا الفصل.

أولاً: العوامل التي تتحكم في صلة العمانيين التجارية بشرق أفريقيا

من المسلم به في ضوء المعلومات المتوفرة بين أيدينا أن الحافز الأول والأهم في صلة عمان بشرق أفريقيا هو التجارة، التي دفعت العمانيين إلى الإبحار إلى شرق أفريقيا حاملين معهم المواد التي يرغب سكان تلك المنطقة في مبادلتها بمنتجات بلادهم. والسؤال الأول الذي يتبادر إلى الذهن هو لماذا وجه العمانيون نشاطهم التجاري نحو شرق أفريقيا؟ إن الإجابة على هذا السؤال ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعدة عوامل منها:

١- دور عمان العريق في الملاحة والتجارة البحرية: فارتباط الشاطئ العماني بالبحر منذ وجوده جعل سكانه يكتسبون خبرة بحرية تؤهلهم لكسب خضوع المحيط الهندي بين عمان وشرق أفريقيا لجولاتهم البحرية غير أبهى بأمواجه العالية^(٩) وهذا يعني أن العمانيين قد سخروا مهاراتهم الملاحية ومعرفتهم بطرق الملاحة وقوانينها لخدمة أغراضهم التجارية مع شرق أفريقيا.

٢- الموقع الجغرافي لموانئ عمان لقد جعل هذا الموقع المدن العمانية مركزاً مهماً

لتجارة العبور استيرادا وتصديرا بين أسواق العالم المعروفة في العصر الوسيط، وربطها بطرق التجارة العالمية المعروفة آنذاك وهذا ما اكسب عمان خصوصية في التجارة العالمية فقول: «من أراد التجارة فعليه بعدن وعمان»^(١). اذ اشتهرت موانئ عمان بكثرة تجارها ووفرة تجارتها وسعة مالهها وغناها^(٢). كما ان موقع عمان جعلها بوابة الخليج العربي الاولي الى شرق افريقيا، التي امتازت بخيراتها الوفرة... ولذا قام العمانيون بنقل معظم تجارة الساحل الافريقي الشرقي الى عمان ليعاد تصديرها الى المراكز التي تطلبها^(٣).

٣ - العلاقة المكانية بين عمان وشرق افريقيا: فالجوار الجغرافي قد دفع العمانيين لان يوجهوا نشاطهم التجاري الى شرق افريقيا.

٤ - تعدد افريقيا الشرقية نقطة جذب للعمانيين لما يتوفر فيها من سلع غالية ومرغوبة تدر ارباحا عالية، لذلك غامر العمانيون لجلبها وتحملوا الصعاب والمخاطر من اجل الحصول عليها.

٥ - الطبيعة المناخية لشرق افريقيا: فقد سرت هذه الطبيعة للعمانيين التجارة مع شرق افريقيا بأقل جهد، ونقص بذلك حركة الرياح الموسمية التي تهب على منطقة المحيط الهندي والتي مكنت العمانيين من القيام برحلتين منتظمين في السنة، ففي شهر نوفمبر من كل سنة تندفع الرياح نحو الجنوب الغربي فتخرج السفن من خليج عمان الى المحيط الهندي ثم تسير بمحاذات الساحل الافريقي الشرقي وفي شهر ابريل من كل سنة تنعكس العملية حيث تبدأ الرياح بالهبوب من الجنوب والجنوب الغربي بحيث تمكن السفن العمانية من العودة الى اوطانها في ساحل عمان محملة بسلع افريقية متنوعة، فضلا عن ان موقع عمان قد مكناها من الاستفادة من الرياح الموسمية للوصول الى شرق افريقيا^(٤).

٦ - ازدياد التجارة العمانية بعد ظهور الاسلام: ويمكن ان نضيف عاملا آخر وهو البعد الجديد الذي اكتسبته العلاقات العمانية الافريقية بعد الاسلام، بسبب بروز دوافع وعوامل جديدة دينية وسياسية جعلت الصلة قوية بين الجانبين ونشطت من حركة التجارة، فقد هب العمانيون بعد ظهور الاسلام حاملين معهم الرسالة الاسلامية وقاموا بنشرها في شرق افريقيا عن طريق التجارة^(٥).

ومنذ ذلك الوقت فان النزاعات السياسية والفكرية التي شهدتها عمان في العصر الوسيط اخذت تدفع بالكثير من العمانيين الى ترك اوطانهم والتوجه ضوئ الشرق الافريقي للاستقرار فيه ومزاولة كافة نشاطاتهم الحياتية، ومنها التجارية بالطبع وكانت اولي الجماعات العمانية التي اتخذت من شرق افريقيا مهجرا لها وسجلت لنا اخبار التاريخ العماني هي اسرة آل الجلندي^(٦).

وفي ايام حكم سعيد وسليمان من آل الجلندي صارت عمان ملاذا لساثر الاقوات المناهضة لحكم الخلفاء الامويين ولذا قررت الخلافة ان تعيد عمان الى طاعة الدولة المركزية فارسل والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي جيشا الى عمان لانها كانت ترتبط ارتباطا اداريا به، وقد نجح هذا الجيش في مهمته^(٧).

اضطر الاخوان سعيد وسليمان عندئذ الى جمع اقاربهم وممتلكاتهم واخذ عددا من ابناءهم وقبيلتهما ورحلوا جميعا قاصدين شرق افريقيا، وفي هذا يقول سرحان بن سعيد الازكوي^(٨): لما شعر سليمان وسعيد بالعجز امام جيش الحجاج حملا

نزاريهما وسوادهما ومن خرج معهما من قومهما ولحقا ببلد من بلدان الزنج حتى ماتا هناك.

وهذا يعني أن الازكوي لم يحدد المكان الذي نزل فيه آل الجلندي واستقروا فيه في شرق أفريقيا ويعزو كيركمان^(١٤) ذلك إلى أن أسماء الأماكن في شرق أفريقيا لا تتغير شيئاً بالنسبة لكتاب الشؤون السياسية العمانية بل هي تخص أنشطة التجار والملاحين.

ولكن الذي يفترض هو أن آل الجلندي كانوا قد أقاموا في بته «بات» إحدى جزر أرخبيل لامو... ولدينا نص طريف عن تأسيس مدينة لامو في مخطوطه «خبر اللامو»^(١٦) جاء فيه:

«أن سكان لامو الأوائل هم من العرب الذين جاءوا من مدينة دمشق في سوريا، وأن الشخص الذي أرسلهم هو عبد الملك بن مروان... وبعد هؤلاء جاء عرب آخرون وذلك بعد أن وصلتهم أخبار المهاجرين العرب إلى الساحل الأفريقي، وأن زعيم هؤلاء العرب الذين جاؤا هو الحاج سعيد».

في هذا النص إشارة إلى استيطان سعيد الجلندي في أرخبيل لامو، وإن سبب اختياره هذه المنطقة للاستقرار فيها إنما يعود إلى وصول مجموعات عربية قبله واستقرارها هناك، كما أن أحداث هذا الاستقرار قد تمت أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وهذا يتزامن مع هجرة آل الجلندي إلى شرق أفريقيا، ومما يزيد من أهمية هذا النص أنه الوحيد الذي يخص أول هجرة عمانية إلى شرق أفريقيا.

وللمرة الثانية نجد أدلة مهمة عن وصول العمانيين إلى ساحل شرق أفريقيا، ففي بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وصلت مجموعة عمانية كبيرة إلى شرق أفريقيا دفعتها عوامل سياسية، ألا وهي حكام عمان من النبهانيين والمعروف أن النبهانيين كانوا قد فرضوا سيطرتهم على عمان في أواخر القرن السادس الهجري «الثاني عشر الميلادي» بعد منازعات عديدة مع القوى المتصارعة آنذاك في عمان.

واستناداً إلى مخطوطة تاريخ بات أن السلطان سليمان بن مظفر النبهاني عندما طرده اليعربي رحل إلى بات واستقر فيها عام ٦٠١ هـ (١٢٠٤م) ومعه كثير من الثروات، وقد تزوج سليمان النبهاني من ابنة حاكم بات البتاوي^(١٧) وحصل على حكم المنطقة كهدية زواجه من والد العروس حاكم بات^(١٨).

وهكذا أصبحت بات منذ ذلك الوقت مركزاً للسلطة النبهانية التي فرضت سيطرتها على ساحل أفريقيا الشرقي، إلى أن انتهى الأمر بخضوع النبهانيين إلى السلطة اليعربية في زنجبار^(١٩)، ويشك كيركمان^(٢٠) في هذه الرواية التي حدثتنا عن مجيء النبهانيين إلى بات وأخذهم حكم هذه المدينة في بداية القرن السابع الهجري «الثالث عشر الميلادي» ولكنه في الوقت نفسه يؤكد باستمرار أن وصول النبهانيين إلى بات كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بأحداث عمان، وتقلب حكم النبهانيين هناك، ومع ذلك فإنه لا يرجح الوصول المبكر للنبهانيين إلى شرق أفريقيا، وعلى أية حال فإن الذي يهمنا في هذا المجال هو أن النبهانيين، وكل المهاجرين العمانيين، كانت لهم جهود طيبة في إنعاش حركة التجارة العربية في شرق أفريقيا، وقد ساعد هذا الانعاش على قدوم الكثير من التجار العمانيين إلى موانئ الشرق الأفريقي ومدنه^(٢١).

وقد يكون من المفيد أن نشير هنا إلى أن الوجود العماني في شرق أفريقيا بعد

الإسلام كان قد أحدث تغييرات جديدة في صلة عمان بتلك المنطقة وتأتي في مقدمتها تحول المراكز التجارية العربية المؤقتة التي كانت قد ظهرت في ساحل أفريقيا الشرقية قبل الإسلام بفعل صلات العرب التجارية مع سكان تلك المنطقة، إلى مراكز استقرار دائم تخدم التبادل التجاري والمصالح السياسية للعرب في سواحل أفريقيا الشرقية، وهذا يعني أن الأسر العمانية التي وفدت إلى شرق أفريقيا قد حققت نجاحاً وازدهاراً كبيرين في ربط المصالح التجارية للعرب والعُمانيين بصورة خاصة مع شعوب أفريقيا الشرقية^(٢٢).

ثانياً : الطريق التجاري بين عمان وشرق أفريقيا ومحطاته:

لا بد لمن يريد معرفة الطريق التجاري المسلوك بين عمان وشرق أفريقيا أن يرجع أولاً وقبل كل شيء إلى مدونات الجغرافيين والملاحين العرب، حيث وجه هؤلاء في كتاباتهم ومصنفاتهم عناية خاصة لوصف هذا الطريق من حيث مراحل السير فيه ومحطات توقف السفن وإذا كانت كتب الجغرافيين الأوائل لا تفصل كثيراً في مراحل هذا الطريق، وإنما تتكفى بذكر وجود طريق بحري بين عمان وبلاد الزنج^(٢٣) فإن النشاط التجاري الكثيف لعمان مع شرق أفريقيا منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وما بعده بسبب انتعاش حركة التجارة العربية مع هذه المنطقة، بعد أن واجهت الحركة التجارية ما بين الخليج العربي والشرق الأقصى مصاعب جمّة^(٢٤)، قد دفع الجغرافيين العرب إلى الكتابة بصورة تفصيلية عن الطريق التجاري ومحطاته بين عمان وشرق أفريقيا.

وقيل أن نبداً بوصف الرحلة التجارية للعُمانيين إلى شرق أفريقيا لا بد أن نذكر أن العُمانيين عرفوا مناطق الساحل الأفريقي الشرقي الجغرافية الأربع، وهي بربرة والزنج وسفالة «موزمبيق» وبلاد الواق^(٢٥)، وعرفوا مدن كل منطقة لاسيما تلك التي تهوى له السلع التي يحلوها من أجلها^(٢٦).

وتبدأ المرحلة الأولى للطريق التجاري بين عمان وشرق أفريقيا بالخروج من عمان إلى أرض المهرة والشحمر «حضر موت» ومن ثم إلى عدن^(٢٧)، ومن عدن تتجه السفن باتجاه جنوبي غربي مارة بجزيرة سوقطرة لتصل إلى أول منطقة في أفريقيا الشرقية وهي بلاد بربرة وخليجها «الخليج البربري»^(٢٨) وقد عرف العُمانيون حدود هذه المنطقة وطول خليجها وعرضه لأنه الممر المائي الذي يوصلهم إلى المناطق التي ينشُدونها في شرق أفريقيا وفي هذا يقول المسعودي^(٢٩) وله خليج متصل بأرض الحبشة يمتد إلى ناحية بربري من بلاد الزنج والحبشة ويسمى الخليج البربري طوله خمسمائة ميل وعرض طريقه مائة ميل... وأهل المراكب من العُمانيين يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة قنبلو من بحر الزنج.

أما أهم الموانئ التي تمر بها السفن العمانية في بربرة فهي حفونى «حفون» وبندر موسى^(٣٠).. ومن الضروري أن نشير إلى أن السفن العمانية كانت لا تحمل شيئاً يذكر من البضائع في المرحلة الأولى من رحلتها، وهذا يعني أن منطقة بربرة كانت محطة عبور فقط للسفن العمانية للتجارة.

تخرج السفن العمانية من حفونى «حافون» إلى المنطقة الثانية في شرق أفريقيا وهي بلاد الزنج، لتبدأ المرحلة الثانية من رحلتها، وكان التجار العُمانيون قد عرفوا بلاد الزنج بصورة دقيقة لتوفر السلع التجارية المرغوبة، وتمتد هذه المنطقة بين

مدينة مقديشو في الصومال الى بلاد سفالة (موزمبيق)^(٣٦)، وقد قدر المسعودي^(٣٧) مساحة هذه المنطقة بنحو سبعمائة فرسخ، اما اول مدينة على الخط التجاري المار ببلاد الزنج تدخلها السفن العمانية فكانت مدينة مقديشو التي وصفها ابن سعيد الغربي^(٣٨) بأنها مدينة الاسلام المشهورة في ذلك الصقع بلاد الزنج المتردة الذكر في السنة المسافرين.

كانت مقديشو مركزاً مهماً لاستقبال التجار القادمين الى ساحل الزنج، ولعل افضل شهادة من مكانتها التجارية في هذا الساحل ما ورد على لسان الرحالة العربي ابن فاطمة حيث قال واهلها مجتمعون في الاقطار وهي بلد حط واقلاع^(٣٩) واستمرت مقديشو محتفظة بمكانتها التجارية هذه... ففي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي وصفها ابن بطوطة الرحالة المشهور بأنها مدينة متناهية في الكبر، وان اهلها تجار اقوياء، والمراكب تصل الى مرساها باستمرار من مختلف الاقطار وان حكامها وسكانها كانوا على استعداد دائم لاستقبال السفن التجارية القادمة لها وما تحمله من بضائع وبيع^(٤٠).

ومن المحطات التجارية التي تمر بها السفن العمانية في ساحل «بلاد الزنج» بعد مقديشو مركرة وبراة التي لا تبعد عن مقديشو أكثر من يوم واحد سفر^(٤١). ثم تمر السفن على بات ولامو وهما مدينتان في جزر أرخبيل لامو ومن الصعب الفصل بينهما. فالاولى العاصمة السياسية والثانية العاصمة التجارية في هذا الأرخبيل ولذا نجد ان الجغرافيين والملاحين يشيرون الى الاثنین معا، وكلتا المدينتين كانتا تقعان على خليج طويل الاولى على الجهة اليمنى من هذا الخليج، والامو على الجهة اليسرى منه^(٤٢)، حيث تنجّه السفن العمانية بعد ذلك جنوباً الى مالندى وممباسة وهما من المراكز التجارية المهمة في ساحل بلاد الزنج ومحطات لتوقف السفن العمانية ولشراء البضائع وبيعها^(٤٣).

وحيث تنجّه المراكب التجارية العمانية من ممباسة تلتزم الطريق المحاذي للساحل الافريقي الى ان تتمكن من عبور قناة زنجبار للدخول الى جزيرة زنجبار وقد يوجه قائد السفينة المركبة من ممباسة الى جزيرة واسين الواقعة قرب مدينة ممباسة التي يربطها مجري معروف للمراكب جنوب زنجبار^(٤٤) وقد اهتم العمانيون بجزيرة زنجبار لكونها من المراكز التجارية المهمة، فعرفوا المسافة الى هذه الجزيرة والجزر المحيطة بها، كما عرفوا طبيعتها الجغرافية ومنتجاتها^(٤٥).

ويشير المسعودي الى جزيرة مهمة كانت هدف السفن العمانية الذهاب الى بلاد الزنج وهي جزيرة «قنبلو» بقوله: «واهل المراكب من العمانين يقطعون هذا الخليج «خليج بربري» الى جزيرة قنبلو في بحر الزنج، ويضيف: وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر بحر الزنج من اهل عمان عرب من الازد وينتهي هؤلاء في بحر الزنج الى جزيرة قنبلو على ما ذكرنا^(٤٦)».

ويصف المسعودي جزيرة قنبلو بقوله: انها جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين إلا ان لغتهم الزنجرية غلبت على هذه الجزيرة... وذلك في بداية الدولة العباسية ونهاية الدولة الاموية، ومنها الى عمان في البحر نحو خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريون حزرا منهم لذلك لا عن طريق التحصيل والمساحة^(٤٧).

ويبدو ان اهتمام المسعودي بجزيرة قنبلو يعود الى انها آخر محطة وصلها في رحاله من شرق افريقيا ليعود بعدها مع السفن العمانية الى عمان، وجزيرة قنبلو ما

تزال موضع جدال بين الباحثين من أجل معرفتها بالضبط، ومع أن المسعودي أورد بعض التحديدات الجغرافية الخاصة بموقع هذه الجزيرة التي يقصدها الكثير من السفن التجارية العمانية لكنها لاتعيننا في وضع تحديد نهائى لها، ولا سيما أن هناك جزرا متعددة في مياه شرق أفريقيا تنطبق عليها أوصال المسعودي كلا أو جزءاً^(٤٣). وقد حاول المستشرق الانجليزي سنسر ترمنجهام دراسة النصوص التي أوردتها الجغرافيون العرب حول جزر «بلاد الزنج مبتدءا بالمسعودي مارا بابن حوقل وبرزك بن شهریار والبيروني دارسا ما ورد من معلومات عند الادريسي وياقوت وابن سعيد فتوصل الى الخلاصة الاتية:

كما هو واضح من الخرائط الخاصة بأوائل الجغرافيين وروايات الرحالة الى شرق أفريقيا، فإن قنبلو من الممكن أن تكون للقادمين الاجانب على جزيرة في ذلك الساحل «ساحل بلاد الزنج» كأن تكون بمبا وزنجبار او مافيا وليست مدغشقر»^(٤٤). كما ان دراستنا لنفس نصوص الجغرافيين العرب عن جزر «بلاد الزنج» تجعلنا نؤيد ما ذهب اليه ترمنجهام حول جزيرة قنبلو بل نعتقد انها جزيرة زنجبار اكبر جزر ساحل الزنج واهمها بوصفها كمركز سياسى وتجاري عربي اسلامي^(٤٥). والى الجنوب من زنجبار تبحر المراكب العمانية في مياه بلاد الزنج الى مدينة كلوه التي احتلت مركزا مهما في أفريقيا الشرقية من الناحيتين السياسية والتجارية منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وحتى مجيء البرتغاليين الى شرق أفريقيا^(٤٦).

اما المرحلة الثالثة التي تقطعها السفن العمانية في ساحل شرق افريقيا، فتبدأ بعد الخروج من كلوة، حيث تبحر الى منطقة سفالة وأول اشارة وردتنا لوصول التجار العمانيين الى سفالة قد سجلها المسعودي، وعلى الرغم من أنه لم يصل الى هذه المنطقة لكنه اخذ أوصافها من اصحاب السفن العمانية وفي ذلك يقول «وينتهى هؤلاء القوم «اهل عمان من الازد» في بحر الزنج الى قنبلو الى ما ذكرنا والى بلاد سفالة والواق واق من الأرض الاسفال من بحرهم»^(٤٧)، «ويضيف عن سفالة وهى اقاصى بلاد الزنج واليهما تقصد مراكب العمانيين... وهى غاية مقاصدهم»^(٤٨). فالسفر الى سفالة هو آخر مرحلة للسفن العمانية كما هو واضح من قول المسعودي.

والمعروف أن الرحلة الى سفالة كانت من اجل جلب اثمن سلع في شرق افريقيا وهى الذهب... ولذلك سميت سفالة «بارض الذهب والتبر»^(٤٩) ثم انها كانت تمد العمانيين بكل ما تستطيع مراكبهم أن تحمله من الذهب.

اما أهم مدن سفالة فهي تهنته، وأول مدن سفالة بعد ان يترك المسافر بلاد الزنج فهي مدينتا جنطة ودندمة والاخرة هى آخر قواعد بلاد الزنج عند الادريسي^(٥٠)، في حين أن مدينة «دمنوطة» هى آخرها عند ابن سعيد^(٥١).

اما المنطقة الواقعة جنوب «بلاد سفالة» والتي سماها الجغرافيين العرب باسم «واق واق» فلم تصلها نشاطات التجار العرب والسبب بسيط كما يشير الادريسي^(٥٢) فهناك في واق واق توجد مدينتان حقيقتان وسكانهما قليل لضيق عيشهما وتكرر رزقهما، وليس بأرض هؤلاء القوم شئ من الذهب ولا يخرج من عندهم تجارة ولا مركب ولا دواب، ويبدو أن منطقة واق واق لم تكن محط اهتمام التجار العمانيين

لأنهم لم يجدوا فيها ما يسافرون من أجله فلم يكلفوا أنفسهم مشقة السفر بعد سفالة، وهكذا كانت المراكب العمانية تعود من سفالة محملة بالذهب والبضائع الأخرى إلى عمان سالكة نفس الطرق التي مرت عليها.

ثالثاً: السلع التجارية المتبادلة :

إن الحديث عن السلع التجارية المتبادلة عنصر أساسي في تاريخ الصلات التجارية بين عمان وشرق أفريقيا، وأود في البداية القول بأننا نجد في المصادر الجغرافية والملاحية العربية صورة حية للعناصر الأساسية للتجارة العمانية مع شواطئ شرق أفريقيا، كما نتعرف من هذه المصادر على التنوع في الإنتاج في شرق أفريقيا، مما يجعلنا نؤكد على أن نشاط التجار العرب، ومن ضمنهم العمانيون في المراكز التجارية في شرق أفريقيا، أكبر بكثير مما هو مدون^(٥٣).

ومن أهم السلع التي كانت السفن العمانية تسعى إلى جلبها من شرق أفريقيا معدن الذهب فالذهب يبقى دون ريب أهم بضاعة وأثمنها في قائمة التبادل التجاري العمانى مع شرق أفريقيا لأنه المادة التي كانت وما تزال أساساً لتهاافت الدول في الحصول عليها من أجل دعم مركزها الاقتصادي والسياسى معاً، وقد أدرك تجار عمان أهمية شرق أفريقيا كموطئ لتوفير هذا المعدن الحيوى فعملوا بكل جهدهم للحصول عليه وحمله إلى مواطن الطلب له.

وقد أشار المسعودى إشارة واضحة إلى مناجم سفالة واندفاع العمانيين إليها، فهو يقول أثناء حديثه عن الزنوج «وتمتد مساكنهم إلى بلاد سفالة وهي اقاصى بلاد الزنج واليهما تقصد مراكب العمانيين والسرافيين، وهي غاية مقاصدهم من اسافل بحر الزنج وكذلك اقاصى بحر الزنج هو بلاد سفالة واقاصى بلاد الواق واق، وهي ارض كثيرة الذهب والعجائب»^(٥٤).

وبعد قرنين من الزمان يؤكد الإدريس^(٥٥) على وجود الذهب في مدن منطقة سفالة بقوله «ومدينة دنموطه آخر بلاد سفالة وبهذه المدينة يوجد التبر مثلما يوجد في بلاد سفالة اما ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي فيحاول ان يعرف التجار على مناطق الذهب بصورة اكثر تحديدا بقوله: «أن الذهب يجلب إلى سفالة» من منطقة يوفى وأن بين سفالة ويوفى من بلاد الليمين مسيرة شهر، ومن يوفى يؤتى بالتبر إلى سفالة»^(٥٦)، وعلى الرغم من أن بطوطة لم يوضح لنا أين تقع يوفى هل هي منطقة تابعة لسفالة، لكننا نستطيع الافتراض أن مناجم الذهب كانت تمتد في العمق الأفريقي وأن مدينة سفالة ما هي إلا مركز لتجمع الذهب القادم إليها من الداخل ولا ننفي مع ترجمهجام الذى يذهب إلى القول أن يوفى تقع في منطقة الواق واق^(٥٧)، والسبب ببساطة أن معظم الكتاب العرب^(٥٨) يؤكدون على وجود الذهب في سفالة، وأن مناطق الواق واق مناطق فقيرة لم تتل من اهتمام التجار العرب كما اشرنا انفا.

وما دام الذهب قاعدة من قواعد الاتصال التجاري بين عمان وشرق أفريقيا فأننا نجد أن الملاح العماني احمد بن ماجد يوجه اهتماما خاص لمنطقة سفالة فهو يسمى أحد تأليفه باسم «الارجوزة السفالية» كما يوضح في كتاباته حدود منطقة سفالة ومدنها وموانئها^(٥٩)، كذلك يصف ابن ماجد بدقة مناجم الذهب في سفالة والتي تقع على مسير شهر من مدينة سفالة باتجاه الغرب في مناطق مغمورة بالمياه «الانهر»، ويقدر مساحة منجم ذهب سفالة بمسير سبعة أيام^(٦٠)، وفي هذا كله يعبر ابن ماجد

عن اهتمام العمانيين بذهب شرق افريقيا.

وقد ابهرت الاساطيل التجارية العمانية الى شرق افريقيا لجلب سلعة اخرى كان الاقبال عليها شديدا في اسواق الدولة العربية الاسلامية وهى العاج، وتعد افريقيا الشرقية المصدر الرئيسى للعاج في العصر الوسيط بسبب توفره بكثرة في مناطقها وفى هذا يقول المسعودى^(٦١) «والفيلة في بلاد الزنج غاية الكثرة والوحشية وكلها غير مستأنسة والزنج لاتستعمل منها شيئا في حروب ولاغيرها، بل تقتلها لآخذ انايابها ومن ارضهم تجهز اناياب الفيلة»، والذي يهمنها من تجارة العاج هو ان العمانيين كانوا قد احتكروا هذه التجارة في شرق افريقيا حيث كانوا يحملون العاج من هناك الى بلادهم ليتم تسويقه الى مراكز استهلاكه في الهند والصين حيث كان ملوك تلك البلدان يستخدمونه في صناعة ادوات الشطرنج والنرد وتزيين الاثاث لجودته وكبر حجمه^(٦٢)، اما اهم المراكز التى يتزود منها التجار بالعاج في شرق افريقيا فهى مقديشو وزنجبار وكلوه، وسفالة ومعظم مدن ساحل افريقيا حتى ان بعض المدن اعتبرت تجارته اهم من الذهب^(٦٣).

ويعد الحديد مادة مهمة في التجارة القائمة بين عمان وشرق افريقيا وذلك لتوفره في جميع بلاد الزنج واعتماد جل سكان المنطقة في معيشتهم عليه وعلى الذهب. وكذلك يوجد الحديد في سفالة بكثرة وهو من النوع الجيد، ويلاحظ الادريسي بأن هذه المادة تمثل المطلب الاول لتجار شرق افريقيا في زمنه في القرن ١٣هـ/١٣م^(٦٤)

وتأتى الانواع الجيدة من المواد العطرية واهمها العنبر في مقدمة البضائع المنقولة بين عمان وشرق افريقيا وذلك لما له من شهرة واسعة في الاسواق العربية فالعنبر هو من اهم انواع الطيب، الذى وفرته بلاد الزنج وشق طريقه الى عمان وبقية اقطار الخليج العربية واصبحت مناطق وجوده في شرق افريقيا مثل مالندى ومقديشو وزنجبار مقصد التجار ويبدو ان اصحاب المراكب العمانيين كانوا يعرفون مناطق جمع العنبر والطرق الخاصة التى استخدمها سكان سواحل شرق افريقيا في جمعه^(٦٥).

كما نجد في قائمة التبادل التجاري العماني مع شرق افريقيا الجلود لاسيما جلود النصور الزنجية ذات الجودة والنعموة الشديدة، اما اهم المراكز التى كانت تصدرها في شرق افريقيا فهى مالندى وممباسا حيث كان اهلها يحملون الجلود الى الساحل ومن ثم يأتى اصحاب المراكب من عمان وغيرها من اجل شرائها^(٦٦)، كما كانت جزيرة قنبلو التى ذكرها المسعودى من اهم المراكز التجارية التى حمل العمانيون منها جلود النمر^(٦٧).

وعرف عن شرق افريقيا انها مركز مهم لكثير من انواع الاخشاب الثمينة والمرغوبة كالابنوس والصندل والساج وغيرها وقد حمل تجار عمان هذه الاخشاب من شرق افريقيا الى بلادهم لصناعة السفن بصورة خاصة^(٦٨)، اما اهم مراكز لانتاج الاخشاب شرق افريقيا فكانت مقديشو وزنجبار^(٦٩).

اما الحديث عن البضائع التى حملتها المراكب العمانية من عمان الى شرق افريقيا، فتجدر الاشارة الى ان هذا الموضوع لم يزل اهتمام الكتاب في العصر الوسيط والسبب على ما يبدو هو ان هذا الامر كان معروفا للتجار والمسافرين الى شرق افريقيا ولا حاجة الى التنبؤ به، ويشير الحبيب الجنهاني^(٧٠)، الى ان المنتجات الزراعية كانت من اهم صادرات عمان التجارية الى المناطق التى يجري المتاجرة

معها ويذكر معتمداً على كتب الجغرافيين العرب منتجات عمان الزراعية مثل التمور وضروب الفواكه والحنطة والشعير والارز والزعفران واللبن والرياحين والورود، ومن المؤكد ان التجار العمانيين حملوا هذه المنتجات معهم في رحلتهم الى شرق افريقيا كما حملوا بعض المواد المستوردة من الهند والصين مثل المنسوجات والمصنوعات الحديدية والنحاسية والزجاجية^(٧١).

رابعا: بعض النظم البحرية والتجارية في الرحلة من عمان الى شرق افريقيا:

الحديث عن النظم البحرية والتجارية التي تطلبها النشاطات التجارية العمانية مع شرق افريقيا واسع ومتشعب ولذا سوف نحاول ان نوضح النقاط الاساسية فيه.

كانت الرحلة التجارية البحرية الطويلة التي قطعها المراكب العمانية الى شرق افريقيا، تقتضى معرفة الطرق التجارية ومحطات الوقوف فيها ومراكز الانتاج التي تؤدي اليها وهذا ما عرفه العمانيون عن كتب كما اشرنا سابقا.

وكان ارتباط عمان التجاري مع شرق افريقيا يقتضى من العمانيين معرفة ملاحية وفلكية للمنطقة، ولذلك فقد كان على التجار المسافرين في مياه شرق افريقيا معرفة القياسات التي يجب اتباعها في تحديد الطريق، وطبيعة الطريق من حيث عمق او ضحلة المياه فيه ثم معرفة حركة المد والجزر وتحديد الشعب والرؤوس والجبال في هذا الطريق، وقد انفرد لتوضيح هذه الامور للتجار رجال من اهل عمان نذكر من اشهرهم الملاح ابن ماجد والملاح سليمان المهري، حيث الفا في المواضيع الملاحية والفلكية ما يفي بحاجة تجار عمان المسافرين الى شرق افريقيا.

كما كان على التجار واصحاب السفن العمانيين معرفة العوامل التي تتحكم في الرحلة التجارية بين عمان وشرق افريقيا، وتأتى في مقدمتها الرياح الموسمية التي تسير بموجبها سفنهم التجارية، وفي هذا يقول المسعودي^(٧٢)، ولكل من يركب هذه البهار من الناس رياح يعرفون في اى وقت تكون منها مهايبها، قد علم ذلك بالعادة وطول التجارب يتوارثون علم ذلك قولاً وعملاً.

والمعروف كما اشرنا أنفا ان العمانيين قد استفادوا من موقع بلادهم الجغرافي كثيراً في استخدام الرياح الموسمية في رحلتهم الى شرق افريقيا... ففي الشتاء عندما تكون الرياح شمالية شرقية يكون افضل موسم لحركة السفن التجارية الشراعية من عمان الى سواحل شرق افريقيا، وفي الصيف عندما تسود الرياح الجنوبية الغربية تقوم السفن العمانية بالاياب الى عمان^(٧٣).

والرحلة المباشرة من عمان الى سواحل افريقيا الشرقية لاستغرق إلا ثلاثة اسابيع او اربعة إلا ان الوقفات على الطريق التي لا بد منها للسفن التجارية اما للاستراحة او لعملية البيع والشراء كانت تطيل الرحلة، كما كان على السفن الشراعية ان تنتظر لمدة شهرين في شرق افريقيا الى ان تهب الرياح الجنوبية الغربية التي تمكنها من العودة الى عمان، وهذه المدة كانت كافية للتجار العمانيين لممارسة مختلف انشطتهم التجارية في شرق افريقيا وتقدر الرحلة التجارية العمانية الى شرق افريقيا نهاباً واياها بستة اشهر الى ثمانية^(٧٤).

ويبدو ان الدوامات والرياح في ساحل شرق افريقيا كانت تختلف من منطقة الى اخرى، ولذا فان مواسم السفر الى كل منطقة كانت هي الاخرى مختلفة، وقد حدد العمانيون لكل منطقة من مناطق ساحل شرق افريقيا ومدته موسماً خاصاً للسفر

بصورة دقيقة^(٧٥). كما أن مواسم السفر كانت تتحكم فيها حالات المد والجزر والأمطار والرياح لذا يجب على أصحاب السفن العمانية معرفة ذلك كله من أجل الوصول بسلام إلى المنطقة التي يريدونها في شرق أفريقيا^(٧٦).

وكان على التجار العمانيين وربابة السفن الذين يمارسون نشاطهم التجاري مع شرق أفريقيا معرفة المخاطر التي تواجههم عبر الطريق البحري الذي يسلكونه، وأولى تلك المخاطر الأمواج العالية في بحر الزنج، ويبدو أن هذه الأمواج كانت من الهول بحيث وصفها العمانيون بأنها «موج أعمرى يريدون بذلك أنه يرتفع كارتفاع الجبال، وينخفض كانهخفاض ما يكون من الأودية، لا ينكسر موجه ولا يظهر من ذلك زبد، تنكسر سائر البحار، ويرون - أي العمانيون - أنه موج مجنون»^(٧٧). وكانت هذه الأمواج المجنونة كثيراً ما تأتي على سفن العمانيين ولكن هذا الأمر لم يثبته عن المتاجر مع شرق أفريقيا بصورة مستمرة^(٧٨).

ولذلك كانت معظم تجارة أفريقيا الشرقية تقريباً تنقل في السفن العمانية، وفي هذا يقول المسعودي^(٧٩): أن العمانيين من عرب الازد هم الملاحون الذين يملكون السفن التي تسير إلى بحر بربرة وبحر الزنج كما يشير الإدريسي^(٨٠)، بصورة صريحة إلى ذلك بقوله: وليس للزنج مراكب يسافرون فيها وإنما تدخل اليهم المراكب من عمان وغيرها إلى جزائر الزنج فيبيعون هناك ويشتررون متاع الزنج واكد ابن الوردي ذلك أيضاً حيث يقول: وليس لهم «للزنج» مراكب بل تدخل اليهم المراكب من عمان^(٨١). وهذه الشواهد جميعاً كافية للقول بأن السفن العمانية احتكرت نقل تجارة الشرق الأفريقي بسبب عدم امتلاك الأفارقة للسفن.

وكانت السفن التي يمتلكها العمانيون والتي كانت تنقل التجارة بين عمان وشرق أفريقيا تتطلب إدارة فهي تحتاج إلى ملاحين ونواخذة وجذافين ومصلحين، والراجح أن العمانيين كانوا يقومون بكثير من هذه الأعمال خاصة النواخذة - وهم ملاك السفن أو وكلاء أصحابها^(٨٢). ونجد في المصادر العربية الوسيطة أسماء عدد من النواخذة العمانيين الذين اقتصروا بالسفر إلى شرق أفريقيا وعرفوا مجاله وأهوال مياه تلك المنطقة، نذكر منهم يزيد العماني ناخوذة الزنج^(٨٣)، وجعفر بن راشد المعروف بابن لاكيس وهو أحد ربابة الذهب ونواخذته المشهورين^(٨٤). ومحمد العماني واسمعليه بن إبراهيم بن مرداس^(٨٥).

ولم تقتصر علاقة العمانيين بالسفن على امتلاكها وإدارتها بل كانوا يقومون بصناعاتها في عمان التي اشتهرت منذ عصور قديمة بصناعة السفن، وكانت تستورد الأخشاب اللازمة لصناعاتها من شرق أفريقيا والهند، وقد وجد في عمان أناس متخصصون بصناعة السفن وقد ابدعوا في صناعتها^(٨٦).

وكانت السفن المستخدمة في مياه شرق أفريقيا تبنى من الواح خشبية وشراها مثلث الشكل يمتد طويلاً عبر السفينة، وكان العمانيون يتبعون في صنع سفنهم التي تذهب إلى شرق أفريقيا التقاليد السائدة في صناعة السفن التي تمخر المحيط الهندي من حيث كونها تخاط بالآلياف المصنوعة من ليف جوز النارجيل ولا تدخل في انشائها مسامير الحديد والسبب في ذلك يعود إلى كثرة الصخور في مياه المحيط الهندي فإذا كانت السفينة مسمرة بالحديد واصطدمت بالصخور فإنها تنكسر وإذا كانت مخططة تكون لينة لا تنكسر^(٨٧) ويعزو المسعودي^(٨٨) سبب الخياطة بالآلياف إلى أن الحديد لا يثبت في المركب لأن مياه المحيط تذيبه ولذلك عمد العمانيون إلى خياطة الواح السفن

بالليف ثم يطلونها بالشحوم والنورة.

وهكذا شمل النشاط التجاري البحري العماني مع شرق افريقيا مختلف الجوانب من امتلاك السفن وصناعتها وإدارتها، ولابد ان نشير بشكل موجز الى طبيعة عمل الافراد الذين عملوا في السفن العمانية المبحرة الى شرق افريقيا، فقد كان بعضهم يمتلك السفن ويديرها، والبعض يديرها فقط، فقد يؤجر ملاح لقيادة السفينة لرحلة واحدة او اكثر بأجر متعارف ومتفق عليه يختلف باختلاف طول الرحلة التجارية، ويعمل مع الملاح مجموعة من العاملين ويقسمون عادة الى اثنتي عشرة مرتبة كل لها عملها الخاص^(٨٩).

والرحلة التجارية الطويلة بين عمان وشرق افريقيا والتي تستغرق اكثر من ستة اشهر، كما اشرنا آنفا، كانت تنظم بشكل قوافل تجارية على سبيل الاحتراز من اخطار الطريق وأهواله^(٩٠)، وربما وصل عدد هذه القافلة الى ستة عشر مركبا^(٩١).

وهناك تنظيمات تجارية أخرى استخدمها التجار العمانيون في نشاطهم التجاري مع شرق افريقيا نذكر منها استخدام طريقة تجارة الذهب الصامتة في حصولهم على ذهب سفالة ولنذكر ياقوت يروى لنا كيف كانت تتم هذه الطريقة، فهو يقول: «والحكاية عنهم (اهل سفالة) كما حكينا عن بلاد التبر بأرض جنوب المغرب، اى يجلب اليهم الامتعة ويتركها التجار ويمضون ثم يجيئون وقد تركوا ثمن كل شيء عنده... والذهب الغالي معروف عند تجار الزنج»^(٩٢).

وهذا يعنى ان التبادل التجاري في منطقة سفالة قد نظم بموجب طريقة تجارة الذهب الصامتة المتبعة في افريقيا الغربية والتي فصل فيها ياقوت وخلصتها ان التبادل التجاري الذى يتم بين التجار وملوك الذهب يتم دون ان يري او يكلم احدهم الآخر.

ومن التنظيمات التجارية التى استخدمت بين التجار في ساحل شرق افريقيا وجود المرشدين والوكلاء الذين يساعدون التجار القادمين الى المراكز التجارية هناك، ويكون وجه المساعدة عادة تهيئة اماكن لإقامة التجار وخزن بضائعهم وتسهيل عملية بيع البضائع التى جلبوها معهم، وشراء البضائع التى يرغبون فيها من شرق افريقيا^(٩٣).

وفي ظل هذه العلاقات التجارية التى اشرنا اليها بين عمان وشرق افريقيا، في العصر الوسيط نستطيع التأكيد على ان العمانيين قد مارسوا نشاطا تجاريا كثيفا في المراكز التجارية العمانية بفعل جملة حوافز ودوافع طبيعية وجغرافية ودينية وسياسية، وقد دفعهم هذا النشاط الى تحديد الطريق البصري المؤدى الى شرق افريقيا ومراكز التجارة هناك بدقة والى التعرف على مصاعب هذا الطريق لتجنبها قدر الامكان، والوصول الى منتجات شرق افريقيا الثمينة التى عرفوا عنها الكثير، وقد استخدموا في ذلك السفن العمانية ذاتها التى احتكرت نقل بضائع وسلع شرق افريقيا الى عمان لكى يتم توزيعها في مراكز الطلب عليها في العالم المعروف آنذاك، كما قام العمانيون بنقل بضائع وسلع كثيرة من الدول الموجودة آنذاك الى شرق افريقيا، ناقلين مع هذه البضائع والسلع الحضارة بمختلف جوانبها الى سكان شرق افريقيا، وقد استمرت الصلات التجارية الكثيفة بين عمان وشرق افريقيا واسفرت عن استقرار الكثيرين من العمانيين في مدن الشرق الافريقى لممارسة نشاطاتهم التجارية اولا، ثم طموحاتهم السياسية التى مكنتهم من حكم كثير من مناطق الساحل الافريقى ولفترات طويلة.

هوامش الباب الثالث

● الفصل الأول :

- (١) السيد عبدالعزيز سالم . تاريخ العرب قبل الإسلام . الاسكندرية ١٩٧٢ . ص ٦٠ . ولكن هناك من الباحثين من يرجع تاريخ هدم سد مأرب الى منتصف القرن السادس الميلادي . وهذا التحديد التاريخي لانكسار سد مأرب غير صحيح . (قارن: عبد الرحمن المعالي . عمان في العصور الإسلامية الأولى بغداد ١٩٧٧ . ص ٤٣ . (قارن: عمر المرجع السابق ص ٢٦) .
- (٢) البلاذري . كتاب فتوح البلدان . نشره دكتور صلاح الدين المنجد القسم الأول القاهرة ١٩٥٦ . ص ١٧ .
- (٣) Phillips: Oman a history/1971 p.5.6
- (٤) العوتبي . مخطوطة انساب العرب . نقل عن فاروق عمر الخليف العربي في العصور الإسلامية . ص ٢٦ .
- (٥) الاسوار (والجمع أساور وأساور) . قائد الفرس والجيد الرسمي بالسهم . ويظهر أنهم كانوا طبقة من اشراف الفرس منتظمي في الجيش فرسانا أو قواد . انظر الفخروزي اباي القاموس المحيط (باب الرأه فصل السين) مادة: سور .
- (٦) هامر بن علي بن عمر . حضارة عمان القديمة . ص ٢٤ .
- (٧) ابن حزم .. جمهرة انساب العرب . ص ٢٨٤ .. وعن الجديري بالذكر ان كلا من ابي زيد الانصاري وعمر بن العاص السهمي حمل رسالة النبي ﷺ الى عبد وهجر ابي الجندري .
- (٨) البلاذري . فتوح البلدان . ص ٩٢ . وانظر ابن سعد : الطبقات الكبرى . القاهرة ١٣٥٨ هـ . ج ٢ . ص ٢٧ . محمد رشيد العقيلي : دور الخليج العربي في الفتوحات الإسلامية ص ١٥٢ .
- (٩) البلاذري . المصدر السابق . ص ٩٢ .
- (١٠) ابن الكلبي . جمهرة النسب ٢١٦ . وابن حزم : جمهرة انساب العرب . ص ٢٨٤ .
- (١١) الاصمعي : تاريخ العرب قبل الإسلام ٨٧ . وصفه جزيرة العرب ٢١١٤ تاريخ خليفة ابن خياط ١٨٠ / ١ .
- (١٢) ابن رسته : الاطلاق الفقيصة ٢٠٦ . والاصفهاني : الاغانى ٣٠٠ / ١٤ .
- (١٣) تاريخ يعقوبى ٢٢٢ / ١ - ٢٢٣ . وابن دريد : الاشفاق ٤٩٧ .
- (١٤) خليفة بن خياط : كتاب الطبقات . ص ٢٢٠ .
- (١٥) صالح العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري . ٢٢٤ - ٢٢٥ .
- (١٦) الاصمعي . تاريخ : العرب قبل الإسلام ٨٧ .
- (١٧) ابن الكلبي : جمهرة النسب ٢٠٢ . وجمهرة انساب العرب ٣٦٧ .
- (١٨) خليفة بن خياط . الطبقات ٤٧٨ / ١٠ والسعودي : التتبيه والاشراف ٣٢٠ وجمهرة انساب العرب ٢٦٦ .
- (١٩) جمهرة النسب ٢٠٢ . وجمهرة انساب العرب ٢٨٤ .
- (٢٠) انظر عبد الرحمن المعالي : عمان في العصور الإسلامية الأولى ٤٨ .
- (٢١) مصعب الزهرى : نسب قريش ١٢ . وجمهرة النسب ١٢ ومصعب ما استعجم ٤٧ / ١ - ٤٧ .
- (٢٢) المصعب : ١٦٨ .
- (٢٣) مصعب ما استعجم ٨٩ / ١ .
- (٢٤) مصعب البلدان ٢٢ / ٣ .
- (٢٥) جمهرة اللغة ٩ / ٢ ولسان العرب ١٠٠ / ٣ .
- (٢٦) ٨٢ / ١ وانظر للمعالي : عمان في العصور الإسلامية الأولى ٥١ .
- (٢٧) البكري : ٤٨ / ١ .
- (٢٨) انظر اخباره وترجمته في : ابن حبان . كتاب الثقات . ج ١٢ . ص ٤٠٧ . ابن نعيم : دلائل النبوة . ص ٧٦ . ابن عبد البر . الاستيعاب . ص ١٢٤ . ابن القرائي : الانساب الملققة . ص ١٦٤ . السمعاني : الانساب . ج ٥ ص ١٦١ . ابن الاثير : اسد الغابة . ج ٥ . ص ٦ . الباب في تهذيب الانساب . ج ٣ ص ٨١ . الفهري : تجريد اسماء الصحابة ج ٢ . ص ٤٠ . ابن حجر : الاصابة . ج ٥ ص ٧٠٤ - ٧٠٥ . الزركلي : الاعلام . ج ٦ . ص ١٢٤ . عمر رضا كحالة : مصعب قبائل العرب . مجلد ٢ . ص ١٠٢ .
- (٢٩) آل ربيعة الطائيون . ص ١٧ .
- (٣٠) التاريخ العربي القديم . ص ٤٨ .
- (٣١) آل ربيعة الطائيون . ص ١٨ .
- (٣٢) مراد الاطلاح ج ٢ ص ٧٢٩ .
- (٣٣) دلائل النبوة . ص ٧٦ .
- (٣٤) ن-م السابق . ص ٧٦ .
- (٣٥) كشف الغمة . (الباب الثالث والثلاثون) .
- (٣٦) الاستيعاب . ج ٢ ص ١٢٤٤ . الانساب . ج ٥ . ص ١٦١ .
- (٣٧) اسد الغابة . ج ٥ ص ٦ . الباب ج ٣ ص ٨١ . تجريد اسماء الصحابة . ج ٢ ص ٤ . الثقات ج ٢ ص ٤٠٧ .
- (٣٨) الانساب . ج ٥ ص ١٦١ .
- (٣٩) تنتظر ترجمته في : تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٨٨ . الانساب . ج ٥ ص ١٦١ . تهذيب التهذيب . ج ٧ ص ٢٩١ - ٢٩٦ .
- (٤٠) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة . ج ٢ . ص ٢٨ .
- (٤١) تنتظر ترجمته في : الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة . ج ١ . ص ٥٤ . تهذيب التهذيب . ج ١ . ص ٢٢ . د .
- (٤٢) دلائل النبوة . ص ٧٦ . الاستيعاب . ج ٢ . ص ١٢٤٤ . اسد الغابة . ج ٥ . ص ٦ .

- (٤٣) الثقة، ج ٣، ص ٤٠٧.
- (٤٤) الأصابع، ج ٥، ص ٧٠٤.
- (٤٥) في الاستيعاب، ج ٣، ص ١٣٤٤.
- (٤٦) تاج العروس، مجلد ٩، ص ٢٤٥.
- (٤٧) اسد الغابة، ج ٥، ص ٦.
- (٤٨) كتب اللغة (الباب الثالث والثلاثون) المصدر السابق، ص ٢٢٤ - ٢٢٦.
- (٤٩) قيل إنه (تاجر) و(باجر) بالهاء المهمل، وقيل (باجر) بالياء الموحدة والجيم، وقيل (تاجر) كما في اسد الغابة، وفي كتاب الانساب، ص ٦٢، ورد لفظ (باجر) وقال ابن نديم وهو صنم كان للآزد في الجاهلية ومن جاوهر من طيه وقضاعة كانوا يعبدونه وهو يفتح الجيم ويدعا قالوا (باجر) بكسر الجيم (جمهرة اللغة، ج ١، ص ٢٠٩). ويرى ابن الاثير في النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ٦٢، أنه (باجر) بالحاء المهمل ثم قال ويروى بالجيم وفي موضع آخر ذكر مادة بجر، (ج ١، ص ٦١) وبين أنه ورد في حديث مازن وكان يقال له (باجر) بكسر الجيم باجر صنم كان للآزد في الجاهلية ومن جاوهر من طيه وقالوا بكسر الجيم وقتلها. انظر: لسان العرب مجلد (١)، ص ١٦١.
- (٥٠) دلائل النبوة، ص ٧٨، اسد الغابة، ج ٥، ص ٦.
- (٥١) دلائل النبوة، ص ٧٦، اسد الغابة، ج ٥، ص ٦.
- (٥٢) هنا ما ورد في كشف الغمّة (الباب الثالث والثلاثون) اما في دلائل النبوة، ص ٧٦، واسد الغابة، ج ٥، ص ٦، فوردت الرواية بأنه قال: (ظهر رجل يقال له احمد ويقول لمن اتاه اجيبوا داعي الله . . الخ).
- (٥٣) دلائل النبوة، ص ٧٦.
- (٥٤) الانساب، ج ٥، ص ١٦١.
- (٥٥) اوردت اغلب المصادر التي ترجمت له هذه الابيات.
- (٥٦) العرج يفتح اوله وسكون ثانيه وجيم واد في تواحي الطائف اول تهامة بينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلا وهي بلاد مذيبل، وهو غير العرج بن مكة والمدينة والعرج بقية بين مكة والمدينة. معجم البلدان، ج ٤، ص ٩٨ - ٩٩.
- (٥٧) الفلج الفؤز والنصر.
- (٥٨) كما ترد (جانبث).
- (٥٩) النهج النبل.
- (٦٠) نظر الابيات في دلائل النبوة ص ٧٦. والاستيعاب ج ٣، ص ١٢٤. واسد الغابة، ج ٥، ص ٧، وغيرها.
- (٦١) الأصابع، ج ٥، ص ٧٠.
- (٦٢) الميرة الطعام، والنصف الجمال، والظلف: الاغنام.
- (٦٣) ابن دزيق الفتح المئين في سيرة السادة البوسعيديين ص ٧٢ - ٧٤.
- (٦٤) المرجع السابق، ص ٥٧.
- (٦٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، القاهرة، ١٩٣٦، ص ٢٥٤. ينظر كذلك، محمد حميد الله، نبي الاسلام، ج ١، باريس، ١٩٧٩، ص ٢٨٢ (بالفرنسية).
- (٦٦) ابن هشام، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٥٤. برواية ابن اسحاق.
- (٦٧) الملازدي، فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٨٧.
- (٦٨) مؤلف مجهول، تاريخ اهل عمان، تحقيق سعيد عاشور، سلطنة عمان، ١٩٨٠، ص ٤٠/٢٥٩.
- (٦٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، تحقيق ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٠٢. كذلك ينظر الجعفوبي كتاب التاريخ ج ٢، النصف ١٢٥٨ هـ، ص ٦٧.
- (٧٠) ابن خلدون، كتاب العبر وديوان الحبشة والخبر، ج ٢، بيروت، ١٩٥٦، ص ٧٨٨.
- (٧١) اورد هذه الكتب الشيخ سيف بن حمود البطاني واستقفاها من كتب التاريخ.
- (٧٢) خليله بن خياط، كتاب التاريخ، تحقيق اكرم شيبه العمري، ج ١، النصف، ١٩٦٧، ص ٨٤.
- (٧٣) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ٢، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٧.
- (٧٤) د محمد رشيد العقيلي، الخليج العربي في العصور الإسلامية، عُمان، الاردن، ١٩٨٢، ص ٦١.
- (٧٥) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٤.
- (٧٦) دحلان السيرة النبوية والآثار الحميدية ١٦٦/٢.
- (٧٧) المصدر السابق.
- (٧٨) مؤلف مجهول، قصص واخبار جرت في عمان، ص ٤٠.
- (٧٩) المؤلف المجهول، تاريخ اهل عمان، ص ٢٥٩، ابي محمد السامي، تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان، ج ١، ص ٤٠.
- (٨٠) المرجع السابق، ص ٤٢.
- (٨١) سرحان بن سعيد الازكري العماني، تاريخ عمان، ص ٣٨ - ٣٩.
- (٨٢) أي بالفرسان الذين يركبون الجمال أو الخيل.
- (٨٣) سرحان بن سعيد الازكري العماني، تاريخ عمان، ص ٣٩.
- (٨٤) المرجع السابق، ص ٤٠.
- (٨٥) هم فريق من الآزد الذين هاجروا من اليمن - على اثر تصدع وانكسار سد مأرب - الى شمال غربي الجزيرة العربية واطراف بلاد الشام، واقاموا على ماء هناك يقال له عُثمان فسعدوا ازد عُثمان. وقد تمكنوا من اقامة دولة لهم عرفت بدولة الفساسنة وتلكوا يحكمون هناك حتى جاء الاسلام، اما جفنة فهو جد أسرة الفساسنة. (انظر دكتور حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي ج ١، ص ٤٧ - ٤٨ وما ذكره من مراجع، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٤٨ م).
- (٨٦) سرحان بن سعيد الازكري العماني، تاريخ عمان، ص ٤٠، قصص واخبار جرت في عمان، ص ٤١.
- (٨٧) المرجعان السابقان ونفس الصفحات.

الباب الثالث - عُمان في العصور الإسلامية

- (٨٨) انظر السالمي تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان ج ١، ص ٥١ - ٥٧. ونلاحظ أن السالمي يطلق على رواية المؤرخ ابن الأثير في كتابه الكامل، والخاصة بحركة الردة في عمان بقوله "وكله باطل لا أصل له وإنه أعظم، السالمي تحفة الأعيان ج ١، ص ٥٧، وانظر سيده كشف عمان في فجر الإسلام: ص ٣٢ - ٣٣.
- (٨٩) انظر: السالمي: تحفة الأعيان ج ١، ص ٥٥ وما بعدها.
- (٩٠) نور الدين السالمي، تحفة الأعيان، ج ١، ص ٦٩ - ٧٠.
- (٩١) عبدالرحمن العاني، عمان في العصور الإسلامية الأولى، بغداد، ١٩٧٧، ص ٢٧.
- (٩٢) خليفة بن خياط، كتاب التاريخ، ج ١، ص ٩١.
- (٩٣) الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشافير والاعلام، ج ٢، القاهرة، ١٣٦٧هـ، ص ٨١.
- (٩٤) فاروق عمر فوزي، تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى، بغداد، ١٩٨٥، ص ٨٥.
- (٩٥) فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص ٨٦.
- (٩٦) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٠.
- (٩٧) فاروق عمر فوزي، مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني، بغداد، ١٩٧٩، ص ٣٢.
- (٩٨) جلفار مدينة خصصة بناحية عمان وأكثر ما تسمى جلفار (ياقوت معجم البلدان ج ٢، ص ٦٢٢). وقد اندثرت هذه المدينة وقامت الآن بالقلب من أملاها "دراس الخيمة" بدولة الامارات العربية المتحدة، وما زالت أملاها باقية. (انظر أبو بشر محمد بن حميد السالمي: نهضة الأعيان بحرية عمان، ص ١٨ (مطابع دار الكتاب العربي - مصر).
- (٩٩) انظر السالمي تحفة الأعيان، ج ١، ص ٥٢.
- (١٠٠) سديد الفتح عاشور، د. عوض محمد خلفات، عمان والحضارة الإسلامية، ص ٢٧.
- (١٠١) انظر حميد بن محمد بن رزيق الفتح الميجن في سيرة السادة اليوسعيين، ص ٢١٣، وسرحان بن سعيد الزكوي العماني: تاريخ عمان، ص ٤٠، القصص وأخبار جرت في عمان، ص ١٤، تاريخ أهل عمان، ج ٤، المؤلف مجهول، ص ٤٧.
- (١٠٢) الطبري: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٦٦. وحول تولية ابن عامر ثم زياد بن أبيه ينظر الطبري المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١٦/٢١٧.
- (١٠٣) العاني، المرجع السابق، ص ٨٧.
- (١٠٤) عبدالأمير دكسن، من تاريخ عمان في العصر الأموي، مقالة في مجلة الخليج العربي، عدد ١، جامعة البصرة، ١٩٧٣، ص ١٤٠.
- (١٠٥) ينظر: خليل شاكر حسين، مسألة شفور كرسى الحكم من تنازل معاوية بن يزيد إلى تسلم مروان بن الحكم لمست الحكم، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٢٨، ١٩٨٦، ص ١٠٨ وما يليها.
- (١٠٦) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٠٤.
- (١٠٧) عبدالأمير دكسن، الخلافة الأموية، بيروت، ١٩٧٢، ص ٥٣ وما يليها.
- (١٠٨) ابن خلدون، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣١٤.
- (١٠٩) عبدالأمير دكسن، من تاريخ عمان في العصر الأموي، ص ١٢٧.
- (١١٠) دكسن، الخلافة الأموية، ص ٢٤.
- (١١١) السبياني، المرجع السابق، ص ١٨٥. السالمي، تحفة الأعيان، ص ٧٤.
- (١١٢) عبدالأمير دكسن، من تاريخ عمان، ص ١٤٠ وما يليها.
- (١١٣) عبدالأمير دكسن، من تاريخ عمان، ص ١٤٠.
- (١١٤) حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادة اليوسعيين. لندن، ١٨٧٩، ورقة ٢ - ١، الزكوي، كشف اللغة الجامع لأخبار الأمة، مخطوط في المتحف البريطاني رقم ٨٠٧٦، ورقة ٣٢٦ Miles S.B. The countries and tribes of the Persian Gulf. London 1966. P. 50.
- (١١٥) عبدالأمير دكسن، عمان في كتابات جغرافي القرنين الثالث والرابع الهجري، مؤتمر دراسات شرق الجزيرة العربية، قطر، ١٩٧٦، ص ٣٨٦. فاروق عمر، مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني، ص ١٣.
- (١١٦) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤، ص ١٦٧/١٨٦، نقلا عن دكسن، من تاريخ عمان في العصر الأموي، ص ١٤٠.
- (١١٧) السبياني، المرجع السابق، ص ١٨٥.
- (١١٨) السالمي، تحفة الأعيان، ص ٧٤.
- (١١٩) السبياني، المرجع السابق، ص ١٨٦/١٨٧.
- (١٢٠) نفس المرجع السابق، ص ١٨٨.
- (١٢١) السالمي، تحفة الأعيان، ص ٧٤/٧٥.
- (١٢٢) دكسن، من تاريخ عمان، ص ١٤٢.
- (١٢٣) السبياني، المرجع السابق، ص ١٩٠.
- (١٢٤) انظر: ابن رزيق الفتح الميجن: ص ٢١٦. والأزكوي العماني: تاريخ عمان: ص ٤٢، والمؤلف المجهول. تاريخ أهل عمان، ص ٥٠، وقصصو أخبار جرت في عمان، ص ٤٤، والسالمي تحفة الأعيان ج ١، ص ٥٩.
- (١٢٥) المراجع السابقة ونفس المنسقات.
- (١٢٦) انظر: ابن رزيق: الفتح الميجن: ص ٢٢١. وسرحان بن سعيد الزكوي العماني: تاريخ عمان ص ٤٢ - ٤٣، والمؤلف المجهول: تاريخ أهل عمان، ص ٥٠ - ٥١.

●● الفصل الثاني

- (١) ابن تقيية، المعلك، ص ٢٩٩ (القاهرة ١٩٦٩)، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٢، ص ٧٥ (القاهرة ١٩٧٢) - ويروي ابن حزم أن اسمه: سالم بن مرقا. أنظر: جمهرة أنساب العرب، ص ٣٦٧، القاهرة، ١٩٨٢.

الباب الثالث - عُمان في العصور الإسلامية

- (٢) الأغاني ٢، ص ٧٦، ابن حجر، الإصابة، ج ٤، ص ١٠٨، (بيروت ١٣٢٨هـ).
- (٣) ابن خلكان، وفیات الأعيان، ج ٥، ص ٣٥٨ (بيروت)
- (٤) سيب بن حمود البطائني، تاريخ المذهب القاتل، ص ١٢، ٢٢.
- (٥) ابن حجر، ج ٤، ص ١٠٨، وهناك رواية أخرى في الأغاني بأن تسميته بابي صغرة لأنه كان يصغر لميته. انظر: الأغاني، ج ٢، ص ٧٦.
- (٦) ابن عبدالمير، الاستيعاب، ص ١٠٩، (بيروت ١٣٢٨هـ)
- (٧) نورالدين السالمي، تحفة الأعيان، ج ١، ص ٥٢ وما بعدها.
- (٨) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١١٤ - ١١٥.
- (٩) الملاذري، فتوح البلدان، ص ٩٢.
- (١٠) العوتبي، الأنساب، ج ٢، ص ١٢١.
- (١١) ابن خلكان، وفیات الأعيان، ج ٤، ص ٣٢٣، ٣٢٩.
- (١٢) السالمي، تحفة الأعيان، ص ٤٥.
- (١٣) تحفة الأعيان، ص ٤٢.
- (١٤) الأغاني، ج ٢، ص ٧٦.
- (١٥) الأنساب، ص ١٢٣، تحفة، ص ٤٦.
- (١٦) بنو عسران من بطون الأزد نسبة إلى عمرو بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر (انظر تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٠٣ - ٢٠٤).
- (١٧) الأنساب، ص ١٢٢.
- (١٨) تحفة الأعيان، ص ٤٦.
- (١٩) تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٩٨٩ (بيروت ١٩٨٦)، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٧٦ - ١٧٧.
- (٢٠) ابن خال الخليفة عثمان، تولى البصرة وسنه ٢٥ عاما بعد عزل أبي موسى الأشعري (ابن أعم، الفتوحات، م، ص ٣٣٦).
- (٢١) الأنساب، ص ١٢٥، تحفة الأعيان، ص ٤٨.
- (٢٢) راجع التفاصيل: الأنساب، ص ١٢٥ - ١٢٦.
- (٢٣) الأنساب، ١٢٧، تاريخ المذهب، ٢٥.
- (٢٤) يروي ابن خلكان أن المذهب من أصغر ولد أبي صغرة، ويحدد مولده قبل وفاة النبي بستين (وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٥١).
- (٢٥) النويري، نهاية الأرب، ٢٠، ص ٢٦٦.
- (٢٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١.
- (٢٧) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٢.
- (٢٨) نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٦٦، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٥١ الذي يروي هذه الحادثة في أحداث سنة ٥٠هـ.
- (٢٩) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٠٥.
- (٣٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٠٨.
- (٣١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٥٢، ابن أعم، م، ص ١٥٧ - ١٥٩.
- (٣٢) تاريخ اليعقوبي، ص ٢٥٢.
- (٣٣) ابن أعم، م، ص ١٥٩.
- (٣٤) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٥٤٥.
- (٣٥) نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٥١٣.
- (٣٦) وفیات الأعيان، ج ٥، ص ٣٥١.
- (٣٧) ابن أعم، م، ص ٢٠١، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٢٢ - ٢٢٤.
- (٣٨) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.
- (٣٩) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٦١٥ - ٦١٦، ابن أعم، م، ص ٢٠٢.
- (٤٠) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٦٥، النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٢٤.
- (٤١) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٩٦.
- (٤٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٩٦.
- (٤٣) المبرد، الكامل، ص ٢٢٦.
- (٤٤) المبرد، ص ٢٢٧.
- (٤٥) نفسه.
- (٤٦) الحميري، الروض المغطى، ص ٢٤٨ (بيروت ١٩٨٣).
- (٤٧) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٩٧، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٢٥.
- (٤٨) المبرد، ص ٢٢٢.
- (٤٩) ابن أعم، م، ص ٢٠٦.
- (٥٠) المبرد، ص ٢٢٥.
- (٥١) اليعجد من الأزد والفرهيد بطن منهم (المبرد، ص ٢٢٦).
- (٥٢) الطبري، ج ٥، ص ٦٢١ - ويكمل الطبري الرواية فيقول: فلأخذ فتية من يكرهون فيقاتلون ثم يرجعون إليه ويقولون يا أبا علقمة القذور تستعاز.
- (٥٣) الروض المغطى، ص ٢٤٨، المبرد، ص ٢٢٤.
- (٥٤) الطبري، ج ٥، ص ٦١٨.
- (٥٥) المبرد، ص ٢٢٥.

الباب الثالث - عُثمان في العصور الإسلامية

- (٥٦) الروض، ص ٢٤٨.
- (٥٧) الروض، ص ٢٤٨، المبرد، ص ٢٤٠.
- (٥٨) الكامل، ج ٤، ص ١٩٦ - ٢٠٠.
- (٥٩) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤٦ - ٢٦٥.
- (٦٠) النويري، ج ٢١، ص ٤٤.
- (٦١) ابن أعمش، ج ٢، ص ٢٢٠.
- (٦٢) النويري، ج ٢١، ص ٤٥.
- (٦٣) ابن كثير، نفسه.
- (٦٤) ابن أعمش، ج ٢٦، ص ٢١٨.
- (٦٥) ابن خلدون، ج ٣، ص ٦٨.
- (٦٦) راجع التفاصيل: النويري، ج ٢٦، ص ٤٦ - ٤٨.
- (٦٧) ابن أعمش، ج ٢، ص ٢٣٦.
- (٦٨) الطبري، ج ٦، ص ١١٢، الكامل، ج ٤، ص ٢٧٥.
- (٦٩) الطبري، ج ٦، ص ١١٩، النويري، ج ٢٠، ص ٥٢٥.
- (٧٠) الطبري، نفسه، ص ١٢٧.
- (٧١) الطبري، ج ١٢٧، النويري، ج ٢٠، ص ٥٢٧.
- (٧٢) راجع التفاصيل الطبري، ج ٦، ص ١٥٨ - ١٥٩، النويري، ج ٢١، ص ١٢٧، ابن خلدون، ج ٣، ص ٨٠، ابن كثير، البداية، ج ٨، ص ٢٤٨.
- (٧٣) راجع: الطبري، ج ٦، ص ١٨٧ وما بعدها.
- (٧٤) ابن أعمش، ج ٢، ص ٤٠٦.
- (٧٥) الطبري، ج ٦، ص ١٦٩، النويري، ج ٢١، ص ١٤٧.
- (٧٦) هو بشر بن مروان، أخو الخليفة عبد الملك بن مروان. وكان واليا على الكوفة من قبل أخيه عبد الملك (راجع: الطبري ج ١، ص ١٩٦).
- (٧٧) النويري ج ٢١، ص ١٦٩.
- (٧٨) النويري: ج ٢١، ص ١٤٩.
- (٧٩) ابن أعمش: ج ٢، ص ١١٨.
- (٨٠) الطبري، ج ٦، ص ١٩٦.
- (٨١) ابن أعمش: ج ٢، ص ٤٢٢.
- (٨٢) الكامل: ج ٤، ص ٢٦٦.
- (٨٣) الطبري: ج ٦، ص ٢٠٤.
- (٨٤) النويري: ج ٢١، ص ٢١٤.
- (٨٥) المبرد، ص ٢٦٦.
- (٨٦) ابن أعمش، ج ٤، ص ١٤.
- (٨٧) الطبري، ج ٦، ص ٢١٠.
- (٨٨) كازرون، مدينة بفارس بين البحر وشيراز (راجع معجم البلدان لياقوت).
- (٨٩) راجع التفاصيل: النويري، ج ٢١، ص ١٥١ - ١٥٢.
- (٩٠) الكامل، ج ٤، ص ٢٩٠، النويري، ج ٢١، ص ١٥٢.
- (٩١) الكامل، نفسه.
- (٩٢) الطبري، ج ٦، ص ٢١٣.
- (٩٣) النويري، ج ٢١، ص ١٥٤.
- (٩٤) طبري، ج ٦، ص ٢٠١.
- (٩٥) ابن أعمش، ج ٤، ص ١٤.
- (٩٦) المبرد، ص ٢٧٢، الروض، ص ٢٤٨.
- (٩٧) الطبري، ج ٥، ص ٦١٨.
- (٩٨) راجع تفاصيل المعارك: ابن أعمش، ج ٣، ص ٢٢، وما بعدها، المبرد، ص ٢٧٢، وما بعدها.
- (٩٩) المبرد، ص ٢٧٧.
- (١٠٠) ابن أعمش، ج ٢، ص ٢١٣.
- (١٠١) ابن أعمش، ج ٤، ص ٢٠.
- (١٠٢) النويري، ج ٢١، ص ١٥٥.
- (١٠٣) ابن أعمش، ج ٤، ص ٤١.
- (١٠٤) الطبري، ج ٦، ص ٣١٢.
- (١٠٥) ابن أعمش، ج ٤، ص ٤٥.
- (١٠٦) ابن أعمش، نفسه، ص ١٢٧.
- (١٠٧) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٥.
- (١٠٨) المبرد: ص ٢٩٢ - ٢٩٣.
- (١٠٩) الطبري: ج ٦، ص ٣٠٤.
- (١١٠) في ذيل جبال طبرستان (راجع معجم البلدان لياقوت)، الطبري: ج ٦، ص ٣١١.
- (١١١) النويري: ج ٢١، ص ١٥٦.

- (١١٢) راجع التفاصيل. ابن أعثم: م. ٤، ص. ٤٧ - ٤٨.
- (١١٣) النويري، ٢١، ص. ١٥٧.
- (١١٤) ابن أعثم م. ٤، ص. ٥٠.
- (١١٥) الطبري ج. ٦، ص. ٣٠٤.
- (١١٦) راجع التفاصيل طبري ج. ٦، ص. ٣٠٩ وما بعدها. نويري: ٢١، ص. ١٥٩ وما بعدها.
- (١١٧) المبرد ص. ٢٩٤، المسعودي مروج، ص. ١٨٥ - ١٨٦ (بيروت ١٩٨٦).
- (١١٨) ابن أعثم م. ٤، ص. ٥٦.
- (١١٩) نويري، ٢١، ١٥٨ - — وكانت البصرة يطلق عليها بصرة المهلب لأنه حمى المدينة من الخوارج، وكان أهل الكوفة يقولون لأهل البصرة «يا موالى المهلب، لفسح السبيل واسيطرة آل المهلب ومكانتهم في البصرة ومن شعر الحسن بن هانئ في البصرة
- لا أكل بصري يدري إنما الفصل
لأنه عُمان يا المهلب ثورة
مكعبة سحق لهن جريسن
إذا اقتصر الأقوام ثم تلين
- (راجع الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص. ١٢٢، وفيات الأعيان، ج. ٥، ص. ٣٥١)
- (١٢٠) الطبري، ج. ٦، ص. ٣١٩، الكامل، ج. ٤، ص. ٤٤٨.
- (١٢١) الكامل، ج. ٤، ص. ٤٤٨.
- (١٢٢) النويري، ٢١، ص. ٢٦٨.
- (١٢٣) ابن أعثم، م. ٤، ص. ٥٨.
- (١٢٤) النويري، ٢١، ٢٠١.
- (١٢٥) الخثال كورة فيما وراء النهر (راجع معجم البلدان لياقوت)
- (١٢٦) الكامل، ج. ٤، ص. ٤٥٣.
- (١٢٧) النويري، نفسه.
- (١٢٨) الطبري، ج. ٦، ص. ٣٢٦.
- (١٢٩) الطبري، ج. ٦، ص. ٣٣٨.
- (١٣٠) نفسه، ص. ٣٥١.
- (١٣١) الكامل، ج. ٤، ص. ٤٧٥.
- (١٣٢) ابن أعثم، م. ٤، ص. ٨٩، فرائه الشاعر نهار بن توسعة التميمي بقصيدة مطلعها:
- لا ذهب الغزو المحرب للفتى
ومات الندى والوجود بعد المهلب.
- (راجع الطبري، ج. ٦، ص. ٢٥٥).
- (١٣٣) راجع التفاصيل النويري، ٢١، ص. ٢٣٩ وما بعدها.
- (١٣٥) الطبري، ج. ٦، ص. ٢٧٠، ويقال إن ابن الأشعث عند انضمامه عاد للإقامة مع رقبيل ملك البكر الذي كان قد توعدت بينهما الصداقة منذ رفض ابن الأشعث الفخول في حرب ضد رقبيل، ووجه جيوشه لقتال الحجاج (راجع الطبري، ج. ١، ص. ٣٧٠ - ٣٧١، المسعودي، التنبيه والأشراف، ص. ٢٨٧).
- (١٣٦) النويري، ج. ٢١، ص. ٢٥١.
- (١٣٧) الطبري، ج. ٦، ص. ٣٧١.
- (١٣٨) النويري، ٢١، ص. ٢٥٢.
- (١٣٩) وكان سعد بن أبي وقاص عندما بلغه حسن بلاء المهلب في معارك خراسان في عهد معاوية قال اللهم لا تره ذلاً أبداً، وأكثر ماله وولده، ويقال إن ما نال المهلب من خير كان بسبب هذه الدعوة (راجع المعارف، ص. ٢٤٢، الأنساب، ص. ١٢٨ - ١٢٩).
- (١٤٠) النويري، ٢١، ص. ٢٥٢.
- (١٤١) الطبري، ج. ٦، ص. ٣٩٧.
- (١٤٢) وفيات ج. ٦، ص. ٢٧٨.
- (١٤٣) نفسه، ص. ٢٨٨ - ٢٨٩، النويري ٢١، ص. ٣٦٤.
- (١٤٤) الطبري ج. ٦، ص. ٣٩٥.
- (١٤٥) وفيات ج. ٦، ص. ٢٨٩.
- (١٤٦) الطبري نفسه.
- (١٤٧) الطبري نفسه.
- (١٤٨) ابن أعثم م. ٤، ص. ١٤٥ وما بعدها.
- (١٤٩) الطبري ج. ٦، ص. ٣٩٦، النويري ٢١، ص. ٢٦٥.
- (١٥٠) وفيات، ج. ٦، ص. ٢٨٨ - ٢٨٩.
- (١٥١) الطبري ج. ٦، ص. ٤٨٨، نويري، ٢١، ص. ٣١٦.
- (١٥٢) ابن أعثم م. ٤، ص. ١٥٨.
- (١٥٣) طبري ج. ٦، ص. ٤٥٢.
- (١٥٤) وفيات، ج. ٦، ص. ٢٩٤.
- (١٥٥) راجع التفاصيل الطبري ج. ٦، ص. ٤٥٣ - ٤٥٤.
- (١٥٦) ابن أعثم م. ٤، ص. ١٨٧.
- (١٥٧) النويري ٢١، ص. ٣٤٢.
- (١٥٨) تاريخ يعقوبي، ج. ٢، ص. ٢٩٥.
- (١٥٩) الطبري، ج. ٦، ص. ٥٠٦، الأنساب، ج. ٢، ص. ١٤٨.

- (١٦٠) راجع التفاصيل الكامل، ج ٥، ص ٢٣، التويري، ص ٢٤٤ وما بعدها
(١٦١) الكامل، ج ٥، ص ٢٣ - ٢٤
(١٦٢) التويري، ص ٢٤٦
(١٦٣) راجع تفاصيل غزوات آل المهلب في هذه الفترة البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٧ وما بعدها، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٦٦
(١٦٤) البلاذري ص ٤١٥ - ٤١٥، الحميري، الروض المظفر، ص ١٦٠ - ١٦١
(١٦٥) الكامل، ج ٥، ص ٤٨ - ٤٩، التويري ج ٢، ص ٢٦٢
(١٦٦) تاريخ الموصل، ص ٢
(١٦٧) الكامل، ج ٥، ص ٧١، تاريخ الموصل، ص ٨
(١٦٨) ابن اعثم، ج ٤، ص ٢٤٥ - ٢٤٦
(١٦٩) الكامل، ج ٥، ص ٧٦
(١٧٠) المسعودي، القتيبي، ص ٢٩٤
(١٧١) الطبري، ج ٦، ص ٥٩٢، التويري ج ٢، ص ٢٨٦
(١٧٢) الكامل، ج ٥، ص ٨٥
(١٧٣) ابن اعثم، ج ٤، ص ٢٤٩، الطبري، ج ٦، ص ٥٩٣
(١٧٤) الطبري، ج ٦، ص ٥٩٢، الكامل، ج ٥، ص ٧٥
(١٧٥) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٤١
(١٧٦) اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٤٥، الأنساب، ج ٢، ص ١٥٦ - ١٥٧، الطبري، ج ٧، ص ٤٥٨، البلاذري ص ٤٥١

●● الفصل الثالث

- (١) البلاذري: فتوح البلدان، ٤٢٢، قارن اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣٤، ١٦١
(٢) البلاذري نفس المصدر، ص ٣٢
(٣) انظر، خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، ص ١٩٧، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٦، ابن حجر: ج ١، ص ٢٧١
(٤) بروس: وتسمى بروس، لا يعرف موقعها حالياً، غير أن هناك ميناء يعرف بـ Baruz على شواطئ كجرات ذكره أحمد بن ماجد في كتابه الفوائد في أصول البحر والقواعد ص ٤٥٢ انظر Al-Humaidi, Makran and Baluchistan From Early Islamic Conquest down to Naisavne The Mongol Of Arts. Ph.D Thesis, Victoria University Of Manchester, Department Of Middle Eastern Studies Faculty June 1988, P.283.
(٥) البلاذري نفس المصدر، ص ٣٢٢ وهناك رواية لليعقوبي، تاريخ ج ٢، ص ١٢٤، تذكر أن عثمان بن أبي العاص قد عين من قبل أبي بكر وهو خطأ لا يمكن السكوت عليه، عزاء القاضي أظهر إلى أنساع وإله أعلم أنس، العقد الثمين، ص ٢٥، لكن التناقض واضح في رواية اليعقوبي، انظر، ج ٢، ص ١٣٨ قارن علي بن حامد الكوفي، فتح نامه سند، تحقيق د. نبي بخش بلوچ، اسلام آباد، ١٤٠٢/١٩٨٢، ص ٢٧ من التعليقات
(٦) Al-Humaidi, op. cit, p. 234.
(٧) Ibid, p. 237.
(٨) انظر ما تقدم عن «بنو جديدة» ص ٢.
(٩) انظر تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٠٥، والذهبي، العسبر في خبر من غسبر، ج ١، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط ٢، الكويت، ١٨٤، ص ٥١، وابن العماد، شذرات الذهب، ج ١، القاهرة، ١٢٥٠ / ١٩٢١، ص ٥٣
see also Al-Humaidi, Makran and Baluchistan p52.
(١٠) منطقة غسبر تشمل على الأقاليم الجبلية التي تقع غربي قصادر أو خردار الحالية بباكستان وتشتمل أيضاً على الأجزاء الغربية من منطقة (كلات) المعروفة حالياً بباكستان وكانت عاصمتها تسمى كسيكان أو كيزكان، أنظر Al-Humaidi، انظر أيضاً شروحات د. نبي بخش بلوچ على «فتح نامه سنده بالانجليزية» ج ٢ وما بعدها، ص ٢١٨ - ٢١٩
(١١) هي عين المدينة المعروفة حالياً بباكستان باسم كندار، Gandava قاعدة إقليم كاتشي ببلوشستان
(١٢) لا يعرف بالتحديد موضع «بنه أو بنه المال»، يذكر البلاذري أنها بين كابل والمئتان، ويذكر قاضي أظهر أن بنه أو بنه يمكن أن تكون مدينة ناب كومات بباكستان وليس لديه حجة على ذلك، أما الأهور (ومورو) كما ذكرها خليفة بن خياط أو الأماوز كما أثبتها البلاذري فيمكن على رأي القاضي - وقد نتفق معه حسب وصف البلاذري (بين المئتان وكابل) أنها لأهور الحالية، انظر العقد الثمين، ص ٨٩، الملاذري، فتوح ج ٢، ص ٤٢٢، وتاريخ خليفة بن خياط ص ٢٠٦
Al-Humaidi op. cit p.250
(١٣) قاضي أظهر، العقد الثمين، ص ١٠٥ - ١٠٦
(١٤) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢١٢، قارن اليعقوبي، تاريخ ج ٢، ص ٢٧٨، والبلاذري، نفس المصدر، ص ٢٢
(١٥) فتح نامه سند، ص ٥٩
(١٦) المصدر السابق، ص ٥٨، وانظر
Al-Humaidi op. cit p255 Chachnama, An English Translation Of Fer' h Namah, I, Sind, p. 64.
(١٧) الملاذري نفس المصدر، ص ٤٢٢، واليعقوبي، نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٧٨، Al-Humaidi ، op.cit, loc.cit.
(١٨) علي بن حامد الكوفي: فتح نامه سند، ص ٥٩، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، القاهرة ١٣٦٨/١٩٤٨، ص ٣٧٧، وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ١٢٩١/١٩٧١، ص ٩٤

الباب الثالث - عُمان في العصور الإسلامية

- (١٩) البلاذري، نفس المصدر، ص ٤٢٥
(٢٠) «قاضي أظهر، العقد الثمين»، ص ١٢١. قارن البلاذري نفس المصدر، ص ٤٣٥. وخليفة بن خياط، تاريخ، ص ٢٧٧
see also Al-Humaidi *op. cit.*, pp. 260 - 62
- (٢١) الذهبي تاريخ الإسلام، ج ٢، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، ص ٢٧٢.
(٢٢) خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٢٧٨. وعلي بن حماد الكوفي، فتح نامه سند، ص ٦٢.
Hachnamsh P.67, Al-Humaidi *op. cit.*, pp. 261 - 62. see also S.B. Miles. Countries and Tribes of the Persian Gulf, 3rd ed. (London), p.54
- Al-Humaidi *op. cit.*, pp. 263 - 64. (٢٣)
Ibid, pp. 264 - 68. (٢٤)
نفس المصدر، ص ٤٣٦. (٢٥)
قارن، ثامه، ويعرف أيضا بـ (فتح نامه سند) ص ٧١
(٢٦) البلاذري، نفس المصدر، ص ٤١. قارن، خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٣١٨. واليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٩٦. انظر
القاضي أظهر، العقد الثمين، ص ١٧٦.
(٢٨) خليفة بن خياط، نفس المصدر، ص ٢٢٢. البلاذري، نفس المصدر، ص ٤٤٢. وابن حزم، جهمرة أنساب العرب، ص ٢٤٦. وانظر Al-Humaidi *op. cit.*, p. 269
(٢٩) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢١٠ - ٢١١. والبلاذري، نفس المصدر، ص ٤٤٢. والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٦٠٠ - ٦٠٣. و Al-Humaidi *op. cit.*, p. 269
(٣٠) الطبري، نفس المصدر، نفس الموضع، والقاضي أظهر، العقد الثمين، ص ١٨٩ - ١٨٣.
(٣١) الطبري، نفس المصدر، ص ٦٠٣. اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣١٠ - ٣١١. والبلاذري، نفس المصدر، ص ٤٤٢
Al-Humaidi *op. cit.*, loc. cit
- (٢٢) فتح البلدان، ص ٤٤٢.
(٢٣) تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٧٩. قارن القاضي أظهر، العقد الثمين، ص ١٨٤.
(٢٤) الطبري، نفس المصدر، ج ٦، ص ٦٠٣. قارن ابن خلدون، نفس المصدر، ج ٢، ص ٨٠.
(٢٥) اليعقوبي، نفس المصدر، ج ٢، ص ٤٢٢. والقاضي أظهر، نفس المرجع، ص ٢٠٤.
وتذكر المصادر أن أبا عبيد بن المهلب وعثمان بن الفضل بن المهلب كانا قد عادا من بلاد الترك في خلافة هشام لأمان منزله
لهما أسد بن عبيد الله القسري والي خراسان. (انظر ابن خلدون، نفس المصدر، ج ٢، ص ٨٠). والثابت أن المهلبين قد لقوا
حظوة من قبل خلفاء بني العباس فكان منهم الوزراء والقادة والوزراء لفترة طويلة من عمر الدولة العباسية.
(٢٦) اليعقوبي، نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٧٢. والطبري، نفس المصدر، ج ٧، ص ٥١٢. ابن خلدون، نفس المصدر، ج ٢، ص ١٨٧. انظر أيضا القاضي أظهر، العقد الثمين، دار الانتصار، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ص ١٥. وقد نسب عمر
بن حفص إلى المهلب بن أبي صفرة.
(٢٧) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ١٦٥. نقلا عن القاضي أظهر، العقد الثمين، ص ٢٣. انظر أيضا، فؤاد
سراكين، تاريخ التراث العربي، المجلد الثاني، الجزء الرابع، ترجمة من الألمانية، د. عرفة مصطفى، نشر جامعة الإمام
محمد بن سعود، الرياض، ٢٠٠٢هـ/١٩٨٣م، ص ٢١٤.
(٢٨) خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٤٤١. وابن حزم، جهمرة أنساب العرب، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.
(٢٩) جهمرة أنساب العرب، ص ٣٥٠. القاضي أظهر، العقد الثمين، ص ٢٧٢.
(٤٠) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٠٩. الفلقشندي، مآثر الألفاق، ج ١، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط ٢، الكويت، ١٩٨٥.
ص ٢٠٠. انظر أيضا Al-Humaidi *op. cit.*, p. 274
(٤١) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٦٢.
(٤٢) البلاذري، نفس المصدر، ص ٤٤٥. قارن اليعقوبي، نفس المصدر، ج ٢، ص ٤٥٨. والقاضي أظهر، العقد الثمين، ص ٢٩
العباسيين، ص ٢٩
(٤٣) تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦٢٠ - ٦٢١. واليعقوبي، نفس المصدر، نفس الموضع.

●● الفصل الرابع

- (١) سودة اسماعيل الكاشف: عمان في فجر الإسلام، ص ٧٦.
(٢) مؤلف مجهول، كشف الغمة، مخطوط، ورقة ٤٥٥.
(٣) سالم بن حمود بن شامس السبائي، عمان عبر التاريخ، ج ١، ص ٢٢٠.
(٤) د. حسين علي المسري، تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي، ص ١٢٤.
(٥) سعيد عبدالفتاح عاشور، وآخر، عمان والحضارة الإسلامية، ص ٢٠.
(٦) شاكر مصطفى، مقال في الذكرى والتاريخ، ص ٢٤٥.
(٧) د. فاروق عمر، العباسيون الأوائل، ج ١، ص ٢٥٢.
(٨) ابن قتيبة المعارف، ص ٤١٧.
(٩) التميمي، منهج المعارج لأخبار الخوارج، مخطوط، ورقة ٢١٤.
(١٠) مؤلف مجهول، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، مخطوط، ورقة ٤٥٥.
(١١) ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٤٢.
(١٢) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ج ٢، ص ٦٢.
(١٣) مؤلف مجهول، كشف الغمة، مخطوط، ورقة ٤٥٦

الباب الثالث - عُثمان في العصور الإسلامية

- (١٤) أبي محمد عبيد الله السالمي: تحفة الأعيان، ج ١، ص ٦٩.
- (١٥) المرجع السابق، ص ٧٢-٧٤.
- (١٦) مؤلف مجهول، قصص وأخبار جرت في عمان، ص ٤٩.
- (١٧) وندل فيليبس، تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبيد الله، ص ٢٢.
- (١٨) مريحان بن سعيد الأزكوي، تاريخ عمان، ص ٥٠.
- (١٩) أبو محمد عبيد الله السالمي، تحفة الأعيان، ج ١، ص ٨٤.
- (٢٠) عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ٣٩-٤٠.
- (٢١) نور الدين السالمي: تحفة الأعيان، مكتبة الاستقامة، مسقط، ج ١، ص ١١٥.
- (٢٢) المرجع السابق، ج ١، ص ١٢٨-١٤٠.
- (٢٣) للاطلاع على القصص المأثور فيها انظر نور الدين السالمي تحفة الأعيان، ج ١، ص ١٤٠-١٤٩.
- (٢٤) عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ٨٤.
- (٢٥) العقد الثمين صفحة ٢٢٢.
- (٢٦) عمان عبر التاريخ ٢/ ١٠٨-١٠٥.
- (٢٧) السالمي، تحفة الأعيان، ج ١، ص ١٧٨.
- (٢٨) الاصلحري، المسالك والممالك، ص ٢٧.
- (٢٩) مؤلف مجهول، كشف الغة الجامع لأخبار الأمة، مخطوط، ورقة ٤٦٢.
- (٣٠) مريحان بن سعيد الأزكوي، تاريخ عمان، ص ٦١.
- (٣١) مؤلف مجهول، كشف الغة الجامعة لأخبار الأمة، مخطوط، ورقة ٤٦٥.
- (٣٢) ياقوت الحموي: معجم الانبياء، ج ٨، ص ٨٦.
- (٣٣) الأزكوي: تاريخ عمان، ص ٦١.
- (٣٤) المسعودي ومروج الذهب، ج ١، ص ١٦٧.
- (٣٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ١٤٥.
- (٣٦) د فاروق عمر: مقدمة في مصادر التاريخ العماني، ص ٤٣.
- (٣٧) ابن رزيق الفتح المين، ص ٢٢٨.
- (٣٨) مؤلف مجهول: قصص وأخبار جرت في عمان، ص ٦٧-٦٨.
- (٣٩) مؤلف مجهول، تاريخ اهل عمان، مخطوط ورقة ٢٩٦-٣٠٢.
- (٤٠) د فاروق عمر: مقدمة في دراسات مصادر التاريخ العماني، ص ٤٦.
- (٤١) مؤلف مجهول، تاريخ اهل عمان مخطوط، ص ٦٩.
- (٤٢) د فاروق عمر، مقدمة في دراسة التاريخ العماني، ص ٤٦.
- (٤٣) المرجع السابق، ص ٤٧.
- (٤٤) د. محمد رشيد العقيلي، الخليج العربي في العصور الإسلامية، ص ٢٠٤.
- (٤٥) ابن خلدون، العمر، ج ٤، ص ١٩٨.
- (٤٦) د. احمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ٧، ص ٣١٠.
- (٤٧) د. محمد رشيد العقيلي، المرجع السابق، ص ٢٠٦.
- (٤٨) ابن خلدون، العمر، ج ٤، ص ١٩٩.
- (٤٩) ابن مسكويه، تجارب الامم، ج ١، ص ٢٢٢.
- (٥٠) الصولي، اخبار الرازي بالله والمقلبي لله، ص ٢٤٤.
- (٥١) ابن الاثير، الكامل، ج ٦، ص ٢٩٢.
- (٥٢) مسكويه، تجارب الامم، ج ٢، ص ٤٦.
- (٥٣) المرجع السابق ص ١٤٤.
- (٥٤) القرطبي، خبيل تاريخ الطبري، ص ٢٤٢.
- (٥٥) ياقوت الحموي، معجم الانبياء، ج ٩، ص ١٢٤، ١٢٦.
- (٥٦) الفتوح، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٢٤٨، ٢٤٩.
- (٥٧) المرجع السابق، نفس الصفحات.
- (٥٨) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ج ٢، ص ١٧.
- (٥٩) مسكويه، تجارب الامم، ج ٢، ص ٢٢٢، ٢١٧.
- (٦٠) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٥٧.
- (٦١) المرجع السابق ص ١٥٧.
- (٦٢) أبو محمد السالمي: تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٢١.
- (٦٣) الفعالي: بئمة الدهر في محاسن اهل العصر، ج ٢، ص ٣٢٠.
- (٦٤) أبو شجاع الرزق واوردى، نيل تجارب الامم، ج ٢، ص ١٠٠.
- (٦٥) هلال الصباني تاريخ هلال الصباني انيل على تجارب الامم ج ٤، ص ٤١٤، ٤١٥.
- (٦٦) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٧، ص ٢٥٤.
- (٦٧) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٨، ص ١٩-٢٠.
- (٦٨) ابن خلدون تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ١٤٦.
- (٦٩) ابن الاثير المرجع السابق ص ٢٠.
- (٧٠) المرجع السابق نفس الصفحة.
- (٧١) ابن الاثير المرجع السابق، ج ٨، ص ٥٥.

●● الفصل الخامس

- (١) الأركوي، سرحان بن سعيد. تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. ص ٧٤. السامي. عبدالله بن حميد تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج ١. ص ٢٠٢. السامي، خلف بن حميل سلك الدرر الحواري غرر الأثر. ج ٢. ص ٥٧٧. السامي، سالم بن حمود. عمان عبر التاريخ. ج ٢. ص ٩٢.
- (٢) هو المجلد بن أبي صفرة المكشي ماضي سعيد، ويذكر السيد حمد بن سيف البوسعيداني أن قبيلة البوسعيد التي ينتمي إليها آل سعيد الذين يشكلون الأسرة الحاكمة حالياً في عمان تنتمي إلى المجلد، لذا اتضح لنا أن قبيلة العتيك قد تولت حكم عمان منذ القرن السادس الهجري حتى الآن، حيث تماقت على حكمها الناعنة باليعاربة ثم آل سعيد. انظر حمد بن سيف البوسعيداني، كتاب الموجز المفيد نبذة من تاريخ البوسعيد، ص ٧ - ١٠. انظر أيضاً سالم بن حمود السامي، عمان عبر التاريخ، ج ٢. ص ١٤.
- (٣) المجد، أبو القاسم محمد بن يزيد. نسب عثمان وقحطان، ص ٢٢. العوتبي، سلمة بن مسلم. الانساب، ج ٢. ص ١١٧ - ١٢٠. السامي، عبدالله بن حميد. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج ١. ص ٢٠٢. السامي، محمد بن عبدالله نهضة الأعيان، ص ٩٢. السامي، سالم بن حمود. أسلاف الأعيان في انساب أهل عمان، ص ١١٦ - ١١٨.
- (٤) أحمد بن سعيد. ديوان الستالي، ص ٤٤٢ - ٤٤٤.
- (٥) ديوان النبهاني، ص ٢١٦ و ٢٢٢.
- (٦) موسى بن حصين بن شوال: ديوان الكيزلاوي، ص ٢٥.
- (٧) السامي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج ١. ص ٢٠٢. السامي، سالم بن حمود. عمان عبر التاريخ، ج ٢. ص ٨١. العتيبي، محمد رشيد الأفاضية في عمان وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول. ص ٣٧. فاروق عمر. مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني، ص ٥٠ - ٥١. أبوعزة. عبدالله. بحث بعنوان علاقة عمان بدار الخلافة في النصف الأول من ق ٤ هـ، ص ١٦٢ - ١٦٣.
- (٨) انظر: ديوان الستالي، ص ٢١١. يرشي السلطان أبا محمد نيهان بن عمر بن محمد بن عمر بن نيهان سنة ٤٧٤ هـ.
- (٩) ن. م. ص ٣٧. يعزي أبا عبدالله محمد بن عمر في وفاة والدته سنة ٥٠١ هـ.
- (١٠) ن. م. ص ٢٨٨. يمدح السلطان أبا الحسن نعل بن عمر ويهتفه بمدونه من إهداء لفريضة الحج سنة ٥٥٩ هـ.
- (١١) هذا العمر قلما يفلو فيه الإنسان العادي للشعر لأنه يحتاج إلى قريمة وبديهة وبما غالباً لا يتفران في مثل هذه السن المتأخرة.
- (١٢) تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة، ص ٧٢.
- (١٣) الأركوي، سرحان بن سعيد. تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة، ص ٧٤، ٧٢.
- (١٤) ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتوح المجلد في سيرة السادة البوسعيديين، ص ٢٥٠.
- (١٥) لوريمير. دليل الخليج. القسم التاريخي، ج ٢. ص ٦٢٩. مترجم (نقلاً عن بادجر)، ن. م. القسم الجغرافي، ج ٥، ص ١٧٠. انظر أيضاً زامبارو - معمم الانساب والأمرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ج ١. ص ١٩٤. مايلز. الخليج بسلطنة وقبيلته، ص ١٣٩ - ١٤١. مترجم، سليمان أحمد السعيد: تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ص ٢٢٩ - ٢٣١. ضليبي أحمد. التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج ٧. ص ٢٤٥ - ٢٤٥. حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج ١. ص ٢٩ - ٤٠.
- (١٦) الستالي. ديوان الستالي، ص ٢١١. النبهاني. ديوان النبهاني، ص ٣٦ - ٣٧.
- (١٧) ديوان الستالي، ص ٢٢. ديوان النبهاني، ص ٢٢ - ٢٤. انظر أيضاً: ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ١٨١ - ١٨٢. السامي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج ١. ص ٢٠٢. السامي، سالم بن حمود. عمان عبر التاريخ، ج ٢. ص ٩٧.
- (١٨) الستالي، أبوبكر أحمد بن سعيد الخروصي. ديوان الستالي، ص ٤٦ و ٢٨٢ - ٢٨٧.
- (١٩) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله: رحلة ابن بطوطة، ص ١٨١.
- (٢٠) النبهاني. ديوان النبهاني، ص ٢١٣.
- (٢١) النبهاني، سليمان بن سليمان. ديوان النبهاني، ص ١٧١ و ١٧٢ و ١٨٧.
- (٢٢) آل اليريس: قبيلة عمانية تنتمي إلى قبيلة طيء موطنها فزح (بكر الفاء) وسكون الزهاء بعدما حياه مملكة، وتتبع في مدينة لسرى بمنطقة الباطنة بعمان. وهي قبيلة عريقة السكنى بالمنطقة المذكورة وهي كثيرة العدد، أما قبيلة النعاني: فهي قبيلة أزيدية عمانية تنتمي إلى الحناني بن شمس، موطنها منطقة الشارقة بأمنطقة الغربية من عمان. انظر - العوتبي، الانساب، ج ٢. ص ٢٤٢. والسامي، أسلاف الأعيان في انساب أهل عمان، ص ١٥٨. والستالي. ديوان الستالي، ص ٥١.
- (٢٣) ابن رزيق: الشعاع الشائع بالعمان في ذكر أئمة عمان، ص ٧٢. السامي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج ١، ص ٢٠٥. السامي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج ٢. ص ١٠٧.
- (٢٤) الأركوي. تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٧٤. ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفه القحطانية، ج ٢، ص ٢٣٩. مخطوطة مصورة - مؤلف مجهول. تاريخ أهل عمان، تحقيق أ.د. سعيد عبدالفتاح عاشور، ص ٩٧، السامي، عبدالله بن حميد. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج ١، ص ٣٠٠.
- (٢٥) المعولي. أبوسليمان، محمد بن عامر بن راشد: قصص واختار جرت في عمان، مخطوطة مصورة، ص ٣١. ابن رزيق. الشعاع الشائع بالعمان في ذكر أئمة عمان، ص ٧٢.
- (٢٦) النشرة - جمع، فردا الشاري (المشتري واليافع ومن يبيع نفسه ابتغاء لطاعة الله ومرفضاته). المعجم الوسيط، ص ٤٨١، وذلك اشتقاقاً من الآية الكريمة "ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله" سورة البقرة، الآية ٢٠٧، والآية: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة" سورة التوبة، آية ١١.

الباب الثالث - عُمان في العصور الإسلامية

- (٢٧) سيرة عبدالله بن ممد، ص ٢٨.
- (٢٨) سرحان بن سعيد: تاريخ عمان المقدس من كشف الغمة، ص ٧٧.
- (٢٩) مليان الخليل بلدانه وقبائله، ص ١٤٧، ويسون، أرندل: تاريخ الخليج، ص ٤٥.
- (٣٠) عبدالله بن حميد: تحفة الاعيان، ج ١، ص ٢١٩.
- (٣١) سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ١٠٤.
- (٣٢) سرحان بن سعيد: تاريخ عمان المقدس من كشف الغمة، ص ٧٤. ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٧١، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ص ٢٤٧، مؤلف مجهول: تاريخ اهل عمان، تحقيق ا.د. سعيد عبدالفتاح عاشور، ص ٩٩.
- (٣٣) ذكره ابن رزيق في كتابه الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٧٤ باسم ابي الحسن راشد بن خميس بن عامر الازدي، فأخذ عنه المستشرقون ومن اخذ عنهم هذا الاسم.
- (٣٤) زامياور: معجم الانساب والاسرات والحاكسة في التاريخ الاسلامي، ج ١، ص ١٩٤، حسين مؤنس: اطلس تاريخ الاسلام، ص ٢٠٩، هولي، دونالد: عمان ونهضتها الحديثة، ص ٢٧.
- (٣٥) السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الاعيان، ج ١، ص ٣٢٠.
- (٣٦) من ذرية الامام الصلت بن مالك الخروصي الجمعي.
- (٣٧) ابن رزيق: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ص ٢٥٨، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٧٩.
- (٣٨) حمت قرية تعرف حاليا بمس الجناه وتقع برواي بني روجه.
- (٣٩) سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ١٠٧.
- (٤٠) الازكوي، سرحان بن سعيد: تاريخ عمان المقدس من كشف الغمة، ص ٧٤، السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الاعيان، ج ١، ص ٢٢١.
- (٤١) الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٧٩، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ص ٢٥٧.
- (٤٢) معجم الانساب والاسرات الحاكسة في التاريخ الاسلامي، ج ١، ص ١٩٤.
- (٤٣) الشعاع الشائع باللمعان ن. م. ص ٧٧.
- (٤٤) الازكوي: تاريخ عمان المقدس من كشف الغمة، ص ٧٥، ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٧٩، السالمي: التحفة، ج ١، ص ٣٢٥ - ٣٢٦، السيابي ن. م.، ج ٢، ص ١١٦.
- (٤٥) احمد بن ماجد، كتاب الفوائد في اصول البحر والقواعد (مخطوطة مصورة منشورة)، ص ٧٠ ب.
- (٤٦) حرف الجر، من: اضيف ليستقيم المعنى.
- (٤٧) اسلوب ابن ماجد ركك لانه كتب باللغة العامية وليس باللغة العربية الفصحى.
- (٤٨) الازكوي: تاريخ عمان المقدس من كشف الغمة، ص ٧٥، ابن رزيق ن. م.، ص ٧٩، ٨١ - ٨٣، السالمي، تحفة الاعيان، ج ١، ص ٢٢٢، (السيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ ج ٢، ص ١١٦.
- (٤٩) الازكوي: تاريخ عمان المقدس من كشف الغمة، ص ٧٥، ٧٦، ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٨١ - ٨٢، ابن رزيق: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ص ٢٥٨ - ٢٥٩، السالمي، عبدالله بن حميد: التحفة، ج ١، ص ٢٢٧، السيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ١١٦ - ١١٩.
- (٥٠) ديوان الستالي، ص ٢١٤ - ٢١٥.
- ببعضك رد الله عن اهل دينه
اعاجم جاءت في نفيع من العسدى
ارادوا اغتطاف الحق بقيا وحاولوا
وردوا على ادبارهم فقيسندوا
- (٥١) مملكة هرمز - أسسها محمد الغفستاني على ساحل كرمان، ثم هارت للفن حكام كرمان، وملكوها محمود المذكور وهو الثاني عشر في سلسلة ملوكها بدأ حكمه سنة ١٢٤١ هـ / ١٢٤٣ وأما هرمز الحالية فهي جزيرة على مدخل الخليج قرب الساحل الإيراني ونسب الأوروبيون المضيف إليها وكان الاجدر ان يسمى بمضيف مستمد.
- (٥٢) ابن ممد: سيرة عبدالله بن ممد، ص ٦٦، الازكوي: تاريخ عمان المقدس من كشف الغمة ص ٧٢، المعولي، محمد بن عامر: قصص واخبار جرت في عمان، مخطوطة، ص ٢١، ابن رزيق: الصحيفة القسطانية، ج ٢، ص ٣٢٨، مابلز الخليل بلدانه وقبائله، ص ١٤.
- (٥٣) ابن ممد: سيرة عبدالله بن ممد، ص ٦٦، ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٧٢.
- (٥٤) الازكوي: تاريخ عمان المقدس من كشف الغمة، ص ٧٣، المعولي محمد بن عامر: قصص واخبار جرت في عمان، مخطوطة، ص ٢١.
- (٥٥) ابن: الفتح المبين مع تشديد التون، وحدة وزن يساوي ٤ كجم، انظر الفسائي: حصان ندوة الدراسات العماني، ج ١، ص ٢٦٠.
- (٥٦) ابن رزيق: السيرة القسطانية، ج ٢، ص ٣٢٨.
- (٥٧) ياروزير، سعيد عوض: معالم تاريخ الجزيرة العربية، ص ١٦٨.
- (٥٨) قلقات: ذكر ابن الاثير ان قلقات كانت تحت سلطة مملكة هرمز منذ القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي)، الكامل في التاريخ ج ١٢، ص ٣٠٢ - ٣٠٤.
- (٥٩) ابن رزيق ن. م.، ج ٢، ص ٣٢٩، مخطوطة مصورة: ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٧٢ - ٧٣، ابن رزيق: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ص ٢٤٨.
- (٦٠) مدينة بولا: اكثر مدن عمان تحصينا، محاطة بسور عال في جميع الجهات بما في ذلك حاراتها ومزارعها .. وبها حصنها الشهير وقد اقترها اليونسكو مؤخرا ضمن التراث العالمي.
- (٦١) ابن ممد: سيرة عبدالله بن ممد، ص ٦٧، الازكوي: تاريخ عمان المقدس من كشف الغمة، ص ٧٢ - ٧٣، المعولي

الباب الثالث - عُمان في العصور الإسلامية

- (٢٠) كيركمان المصدر السابق ص ٢٨٢-٤.
- (٢١) د. رافت غنيمي دور عمان في بناء حضارة شرقية إفريقية حصاد ندوة. الدراسات العمانية (١٩٨٦) ج ٣، ص ١٥١.
- (٢٢) تاسم المصدر السابق ص ٨٢، ٨٥.
- (٢٣) أبو علي أحمد بن عمر بن رستم كتاب الاصلح القبيصة (اليدن ١٨٩٦) ص ٨٦، أبو بكر أحمد بن محمد الهندي المعروف بابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان (اليدن) ص ١١.
- (٢٤) (نظر عن ذلك المسعودي المصدر السابق ج ١، ص ٣١٨ سليمان التاجر اخبار الصين والهند من كتاب (رحلات العرب) (بيروت ١٩٧٤) ص ٢٢، جورج فاسلو حوراني الحرب والملاحة في المحيط الهندي في اوائل العصور الوسطى ترجمة السيد يعقوب بكر (القاهرة ١٩٨٥) ص ٢٢٩-٢٠.
- (٢٥) المسعودي - المصدر السابق - ج ٢، ص ٦.
- (٢٦) لحد بن ماجد ثلاثة ازهار في معرفة البحار، تحقيق ثيودور شوموفكي، ترجمة محمد منير مرسى (القاهرة ١٩٦٩) ص ٤٤.
- (٢٧) المسعودي المصدر السابق ج ١، ص ١١، البكري المصدر السابق ج ١، ورقة ٦٦٧.
- (٢٨) تُلّف منطقة بريرة الساحل الشمالي والشرقي من الصومال وتعرف بساحل بنادر.
- (٢٩) مروج الذهب ج ١، ص ١٠٧.
- (٣٠) المسعودي المصدر نفسه ج ١، ص ١٠٧-٨، ابن سعيد المصدر السابق ص ٨١، أحمد بن ماجد كتاب الفوائد ج ١ اصول علم البحر والقواعد تحقيق ابراهيم خوري وعزة حسن دمشق ١٩٧١، ص ٢٧٢.
- (٣١) المسعودي المصدر السابق ج ٢، ص ٦، شهاب الدين أبي عبالله ياقوت الحموي، معجم البلدان (حاضر عن دار بيروت ١٩٥٥-٥٩) ج ٢، ص ٤٤٢، زكريا بن محمد القزويني اثار البلاد واخبار العباد (صادر عن دار بيروت، ١٩٦٠) ص ٦٢.
- (٣٢) مروج الذهب ج ٢، ص ٦.
- (٣٣) الجغرافية ص ٨٢.
- (٣٤) ابن سعيد المصدر السابق ص ٨٤.
- (٣٥) ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار تحقيق علي المنتصر الكتاني (بيروت ١٩٧٩) ج ١ ص ٢٧٩ - ٨٠ انظر ايضا محمد بن ابي طالب الانصار المعشقي المعروف بشيخ الزيرة نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (البيروت ١٩٢٣) ص ٢٦٩.
- (٣٦) ابن ماجد ثلاث ازهار ص ٢٧.
- (٣٧) المصدر نفسه ص ٢٩.
- (٣٨) الادريسي نزهة المشتاق ورقة ٥٢، ابن بطوطة المصدر السابق ج ١، ص ٢٨٢، ابن ماجد ثلاث ازهار في معرفة البحار ص ٣١ حيث يصف مرسى معباسا بأنه كبير وعميق بصورة كافية لحمل السفن الداخلية اليه.
- (٣٩) ابن ماجد ثلاث ازهار في معرفة البحار ص ٣١.
- (٤٠) ابن ماجد الفوائد ص ٢٢٩.
- (٤١) مروج الذهب ج ١، ص ١٧-٨.
- (٤٢) المسعودي المصدر السابق ج ٢، ص ٩٨.
- (٤٣) د. صباح ابراهيم الشبيخي العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق افريقيا محطة الوثيقة العدد الثالث عشر، السنة السابعة (يوليو ١٩٨٨) ص ١٧٧.
- (٤٤) S. Trimmingham, the Arab Geographer and The East African Coast in East Africa and the Orient, ed. by Chittick and Rotary. New York, 1975, pp. 129 - 130.
- (٤٥) انظر عن ذلك ابن ماجد الفوائد ص ٢٢٩.
- (٤٦) انظر جمال زكريا قباسم استقرار العرب في ساحل شرق افريقيا حوليات كلية الاداب جامعة عين شمس المجلد الخامس (١٩٦٧) ص ٣٩٢ وما بعدهما.
- (٤٧) المسعودي المصدر السابق ج ١، ص ١٠٨.
- (٤٨) المصدر نفسه ج ٢، ص ٦.
- (٤٩) الادريسي المصدر السابق ورقة ٧.
- (٥٠) نزهة المشتاق ورقة ٦٠.
- (٥١) للجغرافية ص ٨٥.
- (٥٢) نزهة المشتاق، ورقة ٧.
- (٥٣) كثر عبد الوكيل دراسات في الهجرات الحديثة الى افريقيا، حوليات كلية الاداب جامعة عين شمس المجلد الثالث عشر (١٩٧٢) ص ٢٦٠.
- (٥٤) المسعودي المصدر السابق ج ٢، ص ٦.
- (٥٥) نزهة المشتاق ورقة ٧٠.
- (٥٦) ابن بطوطة المصدر السابق ج ١، ص ٢٨٢.
- (٥٧) Trimmingham, op. cit. p. 20.
- (٥٨) المسعودي المصدر السابق ج ٢، ص ٦، الادريسي المصدر السابق ورقة ٧٠، ابن ماجد ثلاث ازهار ص ٥٤٤.
- (٥٩) ابن ماجد المصدر نفسه ص ٣٨، ص ٤٢-٥٤.
- (٦٠) المصدر نفسه ص ٤٢.
- (٦١) مروج الذهب ج ٢، ص ٦.
- (٦٢) المصدر نفسه ج ١، ص ١٥٠.
- (٦٣) ياقوت معجم البلدان ج ٥، ص ١٧٢.

الباب الثالث - عُمان في العصور الإسلامية

- (٦٤) نزعة المشتاق ورقة ٥٢٠٣٤.
- (٦٥) المسعودي المصدر السابق ج ١، ص ١٦٣.
- (٦٦) السيو جيان وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية نقلها الى اللغة العربية ملخصا يوسف كمال (القاهرة ١٩٢٧) ص ١٠٧.
- (٦٧) مروج الذهب ج ١، ص ٨٠٧، ج ٢، ص ٩٨.
- (٦٨) المسعودي المصدر نفسه ج ١، ص ١٦٣.
- (٦٩) ياقوت معجم ج ٥، ص ١٧٢ شيخ الرية المصدر السابق ص ١٦٢.
- (٧٠) دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الاسلامي الاول ندوة الدراسات العمانيّة (١٩٨٦) ج ٢، ص ٦٤-٥.
- (٧١) كيركمان المصدر السابق ص ٢٨٦ والميدسن المصدر السابق ص ١١.
- (٧٢) مروج الذهب ج ١، ص ١١٢.
- (٧٣) د. جمال زكريا قاسم الاصول التاريخية للعلاقات العربية/ الافريقية، منشورات المنظمة العربية للثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات (القاهرة ١٩٧٥) ص ٤٩.
- (٧٤) عمان وتاريخها البحري ص ٩٤.
- (٧٥) انظر ابن ماجد ثلاث ازهار ص ٤٠ ص ٥١-٥٠.
- (٧٦) ابن ماجد الفوائد ص ٣٢٨.
- (٧٧) المسعودي مروج الذهب ج ١، ص ١٠٧.
- (٧٨) برك بن شهريار المصدر السابق ص ١١٦.
- (٧٩) مروج الذهب ج ١، ص ١٠٧.
- (٨٠) نزعة المشتاق ورقة ٥٢.
- (٨١) مراح الدين ابن الوردي خريدة المعجذب ولغريدة الغرائب (القاهرة، ١٢٢٤) ص ٤٩-٥٠.
- (٨٢) د. عبدالرحمن عبدالكريم العاني دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة (١٩٨١) ص ١٥.
- (٨٣) برك المصدر السابق ص ١٥٠.
- (٨٤) المصدر نفس ص ١٧٣-٤.
- (٨٥) المصدر نفسه ص ١٧٢، ٣، ص ١٢٨-٣.
- (٨٦) R. Coupland, *East Africa And Its Invaders* (Oxford, 1938), p. 21.
- (٨٧) ابن بطوطة المصدر السابق ج ٢، ص ٩٩.
- (٨٨) مروج الذهب ج ١، ص ١٦٣.
- (٨٩) ابن ماجد ثلاث ازهار ص ١٠١-٢.
- (٩٠) المسعودي المصدر السابق ج ١، ص ١٠٧-٨.
- (٩١) برك المصدر السابق ص ١٦١.
- (٩٢) ياقوت، معجم ج ٣، ص ٢٢٤.
- (٩٣) ابن بطوطة المصدر السابق ج ١، ص ٢٧٩-٨٠.

الباب الرابع ازدهار الحضارة العُمانية

الفصل الاول : الاباضية

الفصل الثاني : الحركة الثقافية والعلمية في عمان منذ ظهور الاسلام

الفصل الثالث : العمارة والتحصينات العمانية

الفصل الرابع : العواصم السياسية العمانية

الفصل الخامس : الملاحة والملاحون العمانيون

الفصل السادس : الاسطول العماني ودوره في تاريخ عمان

الفصل السابع : صناعة السفن في عمان

البحوث المستخلص منها هذا الباب

- المكتبة العمانية، للاستاذ الدكتور عبد المنعم محمد حسين، جامعة عين شمس.
- عمان في صدر الاسلام، للاستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف، جامعة عين شمس.
- المكتبة العمانية، للشيخ مهنا بن خلفان الخروصي، سلطنة عمان.
- عمارة عمان في العصر الاسلامي، للاستاذ الدكتور غازي رجب محمد، بغداد.
- التحصينات العمانية، للمهندس سعيد محمد الصقلاوي، سلطنة عمان.
- العواصم السياسية العمانية، للاستاذ الدكتور احمد شلبي، جامعة القاهرة.
- البحرية العمانية، للدكتور يوسف نعيمة، جامعة القاهرة.
- عمان وتجارها مع الشرق الاقصى وشرق افريقيا في العصر الاسلامي، للدكتورة سحر السيد عبدالعزيز سالم، جامعة الاسكندرية.
- الملاحون العمانيون سادة البحار الجنوبية في العصر الاسلامي، للاستاذ الدكتور السيد عبدالعزيز سالم، جامعة الاسكندرية.
- المدرسة التاريخية العمانية الحديثة، مناهجها واتجاهاتها للدكتور طارق نافع الحمداني، جامعة بغداد.

الفصل الأول الإباضية

الإباضية في البصرة:

تعود نشأة الفكر الإباضي بالدرجة الأولى الى العامل الدينى والسياسى الذى تمثل فى مبايعة عبدالله بن وهب الراسبى من طرف بعض الصحابة والتابعين الذين انكروا التحكيم على علي بن ابي طالب وكانت هذه النشأة فى شوال ٣٧هـ / ٦٥٧م^(١).
ولذلك فان ظهور المذهب الإباضى يرجع الى وقت متقدم للغاية، وكما هو واضح فان ظهوره يعود الى القرن الاول الهجري فى مدينة البصرة، ولذلك يعد اقدم المذاهب الاسلامية على الاطلاق، وينسب الى عبدالله بن اباض التميمى الذى عاصر زمن معاوية، وتوفى فى آخر حياة عبدالله بن مروان.

وقد اهتم عبدالله بن اباض بالجوانب السياسية والكلامية والعسكرية والتنظيم والتخطيط لتكوين دولة اسلامية معتمدة على الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين، وفى داره كانت تعقد حلقات كانت تضم تلاميذ جابر بن زيد وانصارهم^(٢).
وقد كانت قبيلة تميم التى ينتمى اليها عبدالله بن اباض من اهم قبائل البصرة فى صدر الاسلام واكثرها عددا، وقد اشترك عبدالله فى الدفاع عن الكعبة مع ابن الزبير ضد جيش يزيد بن معاوية، وبعد رجوعه الى البصرة لم يجار نافع بن الازرق الخارجى فى اراءه المتطرفة والمغالاة^(٣)

ونستدل على ذلك من خلال الرسالة التى بعث بها عبدالله بن اباض الى عبدالله بن مروان، اذ نجد زعيم الإباضية يتبرأ صراحة من نافع بن الازرق مؤسس «الازارقة».
فيقول فى هذه الرسالة: اما زعيم الخوارج - اى ابن الازرق - فنحن نبرأ منه لفلوه وتشدده وافراطه فى الاحكام حين حكم على المسلمين المذنبين بالكفر، وهذه الفكرة التى تزعمها نافع بن الازرق تتنافى مع مبادئ الاسلام، حين حكموا على كل مسلم مذهب بكفر الشرك^(٤).

ومع ذلك فان ابن اباض أثر القعود وعدم اشهار السلاح فى وجه السلطة فى ذلك الوقت واكتفى بتفقيه اتباعه والاتصال بهم فى السر والكتمان وهناك بعض المصادر التى تذكر بان الإباضية فى تلك الفترة ينسب تكوينها الى ابن اباض وانه هو رئيسها ومؤسسها^(٥).

ويرجع بعض المؤرخين نشأة هذا المذهب الى جابر بن زيد العماني، فقد ولد جابر فى قرية قرق بالقرب من نزوى بعمان بين عامى (١٨-٢٢هـ / ٦٣٩-٦٤٢م) ورحل الى البصرة وهو شاب للاستزادة من العلم واصبح من كبار التابعين الذين نشروا الاسلام فى القرن الاول الهجري، وقد اخذ جابر بن زيد العلم عن عبدالله بن عباس وعن عائشة وابن عمر^(٦)، واخذ يتعمق فى دراسة القرآن والحديث وعلوم الشريعة الاسلامية، وقضى معظم حياته العلمية فى البصرة، وفى النطق الثانى من القرن الاول الهجري الف موسوعته العلمية النفسية التى عرفت «بديوان جابر» ولم يقتصر

نشاطه على الفقه والاستزادة من العلم أو على التأليف والتعليم، بل كان يعمل للرجوع بالدولة الإسلامية الى نهج ابي بكر وعمر وعثمان في سنى خلافته الأولى، وعلى بن ابي طالب قبل التحكيم، وكان يحض تلاميذه على العمل على قيام الامامة العادلة المبينة على الاصول الصحيحة للإسلام.... وحين توفي جابر بن زيد حمل تلميذه ابوعبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي البصري رسالته الدينية والسياسية واخذ في تنظيم الحركة الاباضية التى انتصرت في عمان - موطن جابر بن زيد وقامت الامامة فيها^(٧).

وسواء كان مؤسس المذهب هو جابر بن زيد أو عبدالله بن اباض وأن كان جابر هو المؤسس الحقيقي للمذهب، وأن ابن اباض كان يتحرك بأمره، فإن ابن اباض هذا توفي خلال حكم عبد الملك بن مروان والغالب أنه بعد وفاته عدلت الحركة الاباضية عن الحوار والجدل الكلامي مع السلطة، واتخذوا في هذه المرحلة اسلوب التكتم والسرية التامة، ولعب جابر بن زيد نفسه دورا كبيرا في تنظيم اتباعه على هذا الاساس، ورغم تكتم جابر في الدعوة لمذهبه إلا أن الحجاج بن يوسف وجد أنه يشكل خطرا بالغا على السلطة الاموية في البصرة، حيث أنه وجد أن جابرا يقوم بدور كبير في تأليب الناس على السلطة، خاصة وأن جابرا امتلك علاقة قوية بالجماهير في البصرة، فوجد الحجاج أن خير وسيلة لاتقاء خطر جابر هو نفيه الى عمان مسقط رأسه، وعلى ذلك فقد ساعد الحجاج جابرا على تعميق صلته بأهل عمان وبث أفكاره ومبادئه بينهم دون أن يدري. خاصة وأن الصلة بين البصرة وعمان كانت صلة مستمرة ووثيقة، وبذلك فإن البذرة التى غرسها جابر اخذت تنمو وتكبر حتى استطاعت في النهاية أن تلعب دورا رئيسيا في ظهور الامامة الاباضية في عمان^(٨)، وقبل ذلك في اليمن وحضرموت.

ويجدر بنا أن نشير قبل الحديث عن ظهور الاباضية في هذه البلدان الى انه لم يكونوا يتسمون في ذلك الوقت باسم الاباضية، تلك التسمية التى ظهرت في القرن الثالث الهجري ولم يجد الاباضية غضاضة حينذاك في التسمى بها، إذ انها تعود الى علم من اعلامهم، أما قبل ذلك فقد كان يتسمون بأسماء اخرى منها «الجماعة المسلمة» أو «المسلمون» أو «جماعة المسلمين» أو «أهل الدعوة» وكانوا يقبلون تسميتهم باسم «المحكمة» لانهم ابوا تحكيم الرجال في الدين، وقالوا: «لا حكم إلا لله»، كما تسموا «بأهل الاستقامة» وتسموا باسم «الوهيبة» نسبة الى عبدالله بن وهب الراسبي.

كذلك كان الاباضية يسمون باسم «الشرارة» من قولهم: «شرينا انفسنا لدين الله، فنحن الشرارة» أو من الآية القرآنية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِندَ اللَّهِ حَقُّهُ فِي التَّوَارِثِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٩).

الاباضية في اليمن وحضرموت وعمان:

دخلت اليمن وعمان ضمن اطار الدعوة الإسلامية ودولتها الناشئة في المدينة في عهد النبي صلي الله عليه وسلم، وشارك اليمنيون والعُمانيون في حركة الفتوحات الإسلامية التي مدت حدود العربية الإسلامية الى حدود الصين شرقا وإلى حدود فرنسا غربا.

ويدور سؤال هام هنا، وهو لماذا تبنت اليمن وعمان أراء المذهب الاباضي؟ ومتى؟
يعبر ظهور الشراة عن التناقضات الاقتصادية والاجتماعية التي نشأت في صدر الاسلام وثورة ضد تسلم الاستقرراطية القرشية مقاليد السلطة السياسية والاقتصادية للمجتمع العربي، وعبروا عن انفسهم بأفكار معينة تطورت فيما يعرف بالدعوة الاباضية، وقد ظهرت الدعوة الاباضية اول ما ظهرت في البصرة ثم نشر الاباضية اليمن دعوتهم في الجزيرة العربية ومنها «اليمن وعمان».

ويرجح ان جابر بن زيد الازدي - وهو من اعلام المذهب الاباضي - هو الذي اسس نظام الدعوة وتمكن خليفته ابو عبيدة من تنظيم الدعوة اكثر فاكثراً^(١٠)، وقد ذكر العوتبي اسمين من أسماء الدعاة «حملة العلم» الاباضيين اولهما منير بن النير الريامي وهو احد العلماء الاربعة الذين حملوا العلم من البصرة الى عمان^(١١)، وثانيهما محمد بن المعلل الفجعي من عمان، وهو اول من قام في دولة الاباضية بعمان، وهو احد الاربعة الذين حملوا العلم من البصرة الى عمان، ونقلوه اليها، ويقال انه من بني السكون بن اشرس بن كندة^(١٢).

اما اليمن فقد اعلنت امامة الظهور الاولى في الجزيرة العربية على يد «طالب الحق» عبدالله بن يحيى الكندي عام ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م، ورغم انها لم تحقق النجاح المطلوب، إلا انها كانت بمثابة التدريب الضروري لما سيجري في عمان ويكفي في هذا الصدد ذكر مشاركة الجلندي بن مسعود وهلال بن عطية فيها، فبعد فترة قريبة سيتمكن الاول، وهو الجلندي من اعلان امامة الظهور الثانية في الجزيرة العربية وفي عمان بالذات^(١٣).

والحقيقة ان هناك اسباباً عدة وهامة جعلت اليمن وعمان يقفان في الصدارة للتصدي لمهمات تغيير اوضاع الظلم والجور... واصبحا مركز الدعوة الاباضية منذ بداية القرن الثاني الهجري، ساعدهما في ذلك بعدهما عن العاصمة الاموية دمشق.

ومن جانب آخر فان مناهج البحث التاريخية الحديثة لا ترى امكان قيام قطر او اقليم ما، بتبني مذهب او سياسة او اتجاه، دون ان توجد الاسس والمقومات والضرورة لذلك.. فلماذا تبني كل من اليمن وعمان المذهب الاباضي؟... ودفعاً الى القتلى في سبيل المطالبة بالحق والعدل والمساواة.

والاجابة على هذا السؤال تكمن في ان اليمن وعمان لم يكونا معزولين عن الاحداث الاجتماعية والسياسية وتطورها في دولة الخلافة ايام الدولة الاموية.

ولدينا وثيقتان هامتان تصوران الاوضاع في اليمن وعمان في عهد الدولة الاموية (٤٠-١٢٢ هـ/ ٦٦٠-٧٤٩ م).

والوثيقة الاولى تتمثل فيما اشار اليه الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١ هـ/ ٧١٧-٧١٩ م) في خطاب موجه لواليه على اليمن يقول له فيه:

كتبت الى تذكر انك قدمت اليمن، فوجدت على اهلها ضريبة من الخراج مضرورية ثابتة في اعناقهم كالجزية يؤدونها على كل حال، ان اخصبوا او اجذبوا او حيوا، او ماتوا، فسبحان الله رب العالمين... ثم سبحان الله رب العالمين.. ثم سبحان الله رب العالمين^(١٤).

والوثيقة الثانية تتمثل فيما كتبه اليلاندري باسناداه عن عمر بن عبدالعزيز ايضاً، يقول اليلاندري: «حدثني ابو الحسن المدائني عن المبارك ابن فضالة، قال: كتب عمر

بن عبدالعزيز الى عدي بن اروطاة الفزاري عامله على البصرة... اما بعد فاني كنت كتبت الى عمرو بن عبدالله ان يقسم ما وجد بعمان من عشور التمر والحب في ققرء اهله ومن سقط اليها من اهل البادية.. فكتب الى انه سأل عاملك قبله عن ذلك الطعام والتمر، فذكر انه قد باعه وحمل اليك ثمنه، فاردت الى عمرو ما كان حمل اليك عاملك على عمان من ثمن التمر والحب ليضعه في المواضع التي امرته بها ويصرفه فيها ان شاء الله والسلام»^(١٥).

وهاتان الوثيقتان تصوران أن اليمن وعمان قد عاننا ما عاناها الناس في دولة الخلافة الاموية حيث أحس المواطن فيهما بالفروق الاجتماعية البينة... فالفئات الغنية تزاد غنى بينما الفقراء يزدادون فقرا، فمن أجل ذلك أصبحت اليمن وعمان مسرحا لثورات وحركات اجتماعية تسعى دائما الى الخلاص من ربكة الظلم، وتحاول ان تزيل وضعا شاذا صوره الامام الاباضي - عبدالله بن يحيى الكندي - ضد الخلافة الاموية عام ١٢٩ هـ بقوله: رأيت باليمن جورا ظاهرا وعسفا شديدا وسيرة في الناس قبيحة.. وناشد قومه بأنه لا يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا البصر عليه^(١٦)، وادى هذا الامر الى اعلان امامة الظهور باليمن.

اعلان امامة الظهور الأولى في الجزيرة العربية عام ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م
تزامت شهاب عام ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م الاباضية في اليمن، وفي ثورة عارمة ضد الخلافة الاموية استولى الامام عبدالله بن يحيى على حضرموت وطرد منها عامل الامويين، وعزز مركزه فيها ناشرا الامن والاستقرار، مهتما بالطبقة الاجتماعية الفقيرة... وايدته مدن ابين ولحج وصنعاء، وتحرك صوب العاصمة اليمنية صنعاء حيث دارت بينه وبين واليها الاموي معركة شرسة انتهت بهزيمة الوالي الاموي، وفتحت صنعاء ذراعيها للامام الاباضي واصبحت مركزا وعاصمة له^(١٧).

ويرى المؤرخ ابن القاسم (يحيى بن الحسين المتوفى ١١٠٠ هـ/ ١٦٨٨ م ان فترة الامام التي استمرت ستة عشر شهرا، اظهرت للعيان مزايا هذه الفترة، وان عبدالله بن يحيى قد سار بالناس سيرة حسنة وظهر العدل^(١٨). كما اظهر لن الجانب فاستطاع بذلك ان يمتلك قلوب اهل اليمنين واكد انه لا اختلاف بين مذهب الشراة والاباضية ومذهب اهل السنة والجماعة في الجوهر^(١٩).

ولم تكن عمان بعيدة عن هذا الدور الاباضي الاول في جنوب الجزيرة العربية، إذ يشير العوثي الى العلاقة اليمنية العمانية المتينة التي ادت الى التمكن للمذهب الاباضي في اليمن وعمان قائلا. ومن كندة عبدالله بن يحيى الشاري المسمى بطالب الحق، وهو الذي وجه الى ابي حمزة المختار بن عوف الازدي قسار اليه ابو حمزة من عمان ثم خرج ابو حمزة من عنده بالعساكر الى الحجاز فغلب على مكة والمدينة، وكانت له وقعة بقديد حتى دخل المدينة وملكها وخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته العجيبة المشهورة، وملك عبدالله بن يحيى اليمن كلها.. واخرج عمال بني امية منها^(٢٠).

ويصور ابو حمزة تماسك الاباضية تحت قيادة عبدالله بن يحيى قائلا: سمعنا مناديا ينادي للحق والى طريق مستقيم فاقبلنا من قبائل شتى، انفر منا على بعير واحد، عليه زادهم وانفسهم، يتعاورون لحافا واحدا، قليلون مستضعفون في الارض^(٢١).

وتستشف من خلال الخطب البليغة التي القاها عبدالله بن يحيى الكندي وقائده العسكري ابو حمزة المختار الازدي الذي استولي على مكة والمدينة^(٢٣)، تستشف الرغبة الاكيدة في تحمل المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقهم، حيث يقول عبدالله: ان من رحمة الله ان جعل في كل فترة بقايا من اهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ويمصرون على الالم ويقتلون على الحق في سالف الدهر، شهداء^(٢٤).

ويكشف ابو حمزة المختار سياسة الامويين لكونهم اتخذوا عباد الله خولا، ومال الله دولا، وانهم فرقة ظلاله، وبطشهم بطش جبرية يأخذون بالظنة ويقضون بالهوى ويقتلون على الغضب، ويأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها في غير اهلها^(٢٥) وفي عهدهم «زاد الغني غنى وزاد الفقير فقرا»^(٢٥) ويوضح المختار غرضهم من الثورة قائلا: اننا لم نخرج من ديارنا واموالنا اشرا ولا بطرا ولا عبثا ولا لهوا ولا لطلب ملك نريد ان نخوض فيه.. ولكننا لما راينا مصابيح الحق قد غطت، وغف القائل بالحق وقتل القائم بالقسط ضاقت علينا الارض بما رحبت^(٢٦).

ويضيف ان ثورتهم ذات طابع سياسي تقف ضد جور وظلم الائمة والملوك... حيث يقول مخاطبا اهل المدينة: يا اهل المدينة الناس منا ونحن منهم إلا كافرا مشركا عابدا وثن، أو كافرا من اهل الكتاب، أو اماما جائرا»^(٢٧) موضحا برنامجهم اللاحق قائلا: «ولئن ظفرنا لنعطين كل ذي حق حقه»^(٢٨).

ورغم الاهداف السامية والمطالب العادلة والنييلة للثوار، فان ثورتهم قد سقطت تحت سنايك خيل السلطة الاموي، واجهت الارض اليمنية تبعاً لذلك اشرس هجمة عسكرية مضادة في تاريخ القمع الاموي.

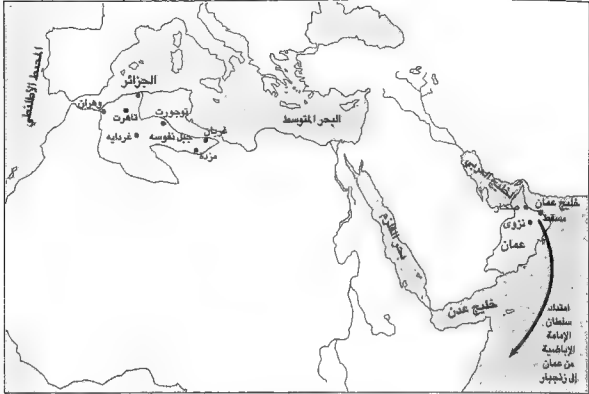
حيث هزمت طلائع الاباضية في وادي القرى، ولجا من تبقى منهم الى المدينة ومنها الى مكة... وعندما تحركت قوات عبدالله بن يحيى من صنعاء لدعم المدافعين عن مكة كانت معركة مكة قد انتهت بهزيمة الاباضية وقتل قائدهم الفذ المختار^(٢٩)... وعسكر عبدالله بن يحيى بقواته في منطقة وسط بين تبالة وبيشة وجرش، حيث دارت معركة شرسة بينه وبين القوات الاموية، انزاع عبدالله على اثرها الى مدينة جرش حيث قاتل ببسالة حتى آخر رجل في قواته وسقط شهيدا ليتوغل القائد الاموي ابن عطية السعدي بعد ذلك جنوبا^(٣٠).

وقاومت الاراضي اليمنية الجيش الاموي في صنعاء والجند والمعافر ولحج وابين ورغم وصول الجيش حتى حضرموت، إلا ان المقاومة وصمود شبام بموقعها الحربي الممتاز، جعل من الصعب على القوات الاموية اقتحامها.. ولهذا طلب القائد الاموي الصلح مع الامام الاباضى الجديد عبدالله بن سعيد، وهو الذي خلف عبدالله بن يحيى بعد مقتله عام ١٣٠هـ / ٧٤٧م^(٣١).

ولعل الاخطاء التكتيكية التي ارتكبها عبدالله بن يحيى الكندي سهلت للجيش الاموي الانتصار في معارك متفرقة، وكان الاخرى بعيد الله ان يقوم بسحب قواته من وادي القرى والمدينة ومكة الى منطقة يستطيع ان يواقيها في ساعة الضرورة.

بل ان سحب قواته بقيادة المختار من مكة، بعد هزيمة وادي القرى - الى بيشه او جرش، كان سيوحد المقاومة ضد الامويين مما سيكون له انعكاس على سير المعركة اللاحقة ونتائجها.

واعتقد ابن عطية السعدي - قائد الجيش الاموي - ان جرائمه ستعمر دون



الامامة الإباضية في
عمان وشمال أفريقيا

حساب، وعندما جئى عند اقدام أسريه اليمنيين في الجوف (٢٢)، طامعا في الحياة طالباً ان يظل أسيراً لديهم، ذكروه بجرائسه قائلين: او تطمع في الحياة وقد قتلت طالب الحق وأبا حمزة وبلجا وابرهة ولم يلدثوا ان قتلوه وبعثوا برأسه الى حضرموت وعلقت رأسه في شبام (٢٣)، لتتذكر مجد انتصاراتها ولتعلن انها قادرة على ان تكون محور الدعوة الاسلامية الإباضية القادرة على البقاء والصمود، رغم بطش الباطشين وجبروت الجبابرة.

ومهما تكن النتائج فان الثورة الإباضية عام (١٢٩-١٣٠هـ/٧٤٦-٧٤٧م) قد استطاعت ان تدق المسمار قبل الآخر في نعش الخلافة الاموية، مما أدى الى سقوطها بعد ذلك بعامين.

واذا كانت الدعوة الإباضية قد نجحت وكما رأينا في كل من عمان واليمن، حتى قامت في كل منها دولة إباضية، تمكن بنو أمية من القضاء عليها الى حين، فان هذه الدعوة حققت أيضاً نجاحاً كبيراً في شمال افريقيا وتوجت بقيام دولة كبيرة هي الدولة الرسمية في عام ١٦٠هـ/٧٧٦م، اقامت علاقة قوية مع عمان، فيأتري ما هي العوامل التي أدت الى انتشار المذهب الإباضى في شمال افريقيا؟ وما هي قصة هذه العلاقة التي اقامتها الدولة الرسمية مع عمان؟

الإباضية في شمال افريقيا وعلاقتهم بعمان:

أ- العوامل التي أدت الى انتشار المذهب الإباضى في المغرب العربي:
أثرت دعوة الإباضية تأثيراً كبيراً في البربر وذلك لتعلقهم بالعدل والمساواة وحبهم للحرية.

فقد كانت الظروف في بلاد المغرب مهدية لتقبل المذهب الإباضي، إذ كانت بلاد المغرب، كغيرها من البلاد الإسلامية، تعاني من الفتن السياسية الناجمة عن الخصومات القبلية بين القيسية واليمينية، فعرب الفتح الذين استقروا في المغرب كانوا من اليمينية وهم الذين أزرأوا موسى بن نصير خلال ولايته التي استمرت حتى عام ٧٩٦هـ/ ٧١٤م... وعندما عزل الخليفة سليمان بن عبد الله الملك (٢٤)، موسى بن نصير، ولي يزيد بن محمد القرشي وكان قيسيا، فقام هذا الوالي - وبتصريح من الخليفة - بتصفية آل موسى، حيث تتبعهم وبطش بهم وأستولى على أموالهم، وأودع عبدالله بن موسى السجن وفرض عليه ما لا يطيق من المغارم وعذبه حتى مات (٣٥).

ثم عاد نفوذ اليمينية في ولاية يزيد بن أبي مسلم (١٠١-١٢٥هـ/ ٧١٩-٧٢١م)، فسجن يزيد بن محمد وعذبه، انتقاما لما لقيته اليمينية علي يديه من عسف واضطهاد، وبعد موت يزيد بن أبي مسلم تولى بشر بن صفوان (٣٧)، وكان من غلاة اليمينية، فاستمر في اضطهاد القيسية وقام قبل موته بتعيين نقاش بن قرط الكلبي المغربي، امعانا في اذلال القيسية.

وحين ولي الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٢م) عبيدة بن الرحمن القيسي ولاية المغرب قام بتتبع عمال موسى بن نصير حتى استأصل شأفتهم واستمرت المحنة في عهد عبدالله بن الحجاب الذي تقلد ولاية المغرب سنة ١١٦هـ/ ٧٣٤م.

وبالإضافة إلى انشغال الولاية بالخصومات القبلية فقد تنافسوا على جمع الأموال ارضاء للخلافة من جهة، وكسبا للانصار واشباعا لنهمهم من جهة أخرى، فأرسلوا الحملات إلى أطراف المغرب بهدف السلب والنهب، وكان البربر يشكلون غالبية تلك الجيوش.

وقد عانى البربر من سوء معاملة عمال الأمويين لهم، وأرهاقهم بالمغارم والجبائيات إلى درجة أن اعتبر بعضهم بلاد المغرب دار حرب، حتى بعد اعتناقهم الإسلام جريا على سياسة الخلافة الأموية في سائر الأمصار الإسلامية (٣٧) ولما تولى عمر بن العزيز الخلافة (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م) ولي المغرب اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم (٣٨)، في محاولة منه لوضع حد لتسلط الولاة، واستعادة ثقة البربر في الخلافة الإسلامية.

أمر الخليفة عمر اسماعيل بن عبيد الله بإسقاط الجزية عن من أسلم من البربر وتحرير من أسرق من نسائهم، كما أمره بإقرار القرى في يد غنماها، بعد أخذ الخمس لتؤول الأرض إلى أصحابها فيجنون ثمارها، ويدفعون عنها خراجها المعلوم، كما حرص الخليفة على أن يجمع اسماعيل بن عبيد الله بين أعباء الإدارة والحرب، إلى جانب جمع الخراج والصدقات ليحول دون جور الجباة واستبدادهم، لكن هذه السياسة انتهت بوفاته (٣٩).

فعندما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة (٤٠)، ولي يزيد بن أبي مسلم سنة (١٠٢هـ/ ٧٢٠م) فاستبد بالبربر، وقضى على الإصلاحات التي أنجزها سلفه، فأعاد فرض الجزية على من أسلم من الموالى ليتسنى للخلافة الحصول على مزيد من الأموال والتتصل من دفع مزيد من الاعطيات للجنود المسلمين من الموالى، واشتط في معاملة البربر، لدرجة أنه كان يشم «بكسر الشين» حرسه من البربر على أيديهم، فكان

يشم الرجل في يده اليمنى بإسمه، وفي اليسرى بكلمة حربي (٤١)، وجرى عبيدة بن عبد الرحمن على سياسة العنف هذه.

وتفاقت الأحوال وازدادت سوءاً خلال ولاية عبيد الله بن الحبيب (٤٢) الذي أسرف في سياسته فجند الجيوش لسنبل البربر وسبيهم في أقصى المغرب، ونشر البلع والرعب في تلك المناطق وعين ابنه اسماعيل على طنجة، وجعل معه عمر بن عبيد الله المرادي فأساء السيرة، وأعتبر عمر البربر فيثاً - أسلموا لم لا يسلموا - وعاملهم معاملة الرقيق.

وهكذا تسبب الولاة الأمويون في المغرب في إثارة مشاعر الحقد والكراهية عند البربر على الولاة والخلفاء على السواء مما أوجد مناخاً ملائماً لانتشار المذهب الإباضي (٤٣). ولذلك سار الإباضيون في اتجاهين يكمل أحدهما الآخر:

الاتجاه الأول: علمي سياسي يهدف إلى توضيح مبادئهم، وتمثل ذلك في تبادل الرسائل بين ابن إباض والمخالفين لآراء الإباضية، يبين فيها موقف الإباضية من المخالفين لهم وفلسفتهم وفكرهم السياسي.

وبعد ابن إباض يظهر هذا الاتجاه في مدرسة البصرة الإباضية، بزعمائها الذين عكفوا على تعليم المذهب لأهل جماعاتهم، والتأليف فيه.

أما الاتجاه الثاني فهو الاتجاه العملي، الذي تمثل في الخروج على الأمويين ومحاولة إيجاد سلطان فعلي لهم يطهرون به مذهبهم، ويحملون المجتمع على العمل بمبادئه وكان هذا الاتجاه تحت رعاية الاتجاه الأول (٤٤).

وفعلاً فقد استطاع إباضية شمال أفريقيا أن يقيموا لانفهم مجتمعات إباضية تحولت إلى دول إباضية، كان من أشهرها الدولة الرستمية، تلك الدولة التي ظهرت في تاهرت عام ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م، وضمت معظم بلدان المغربين الأدنى والأوسط، وكان من الطبيعي أن تقوم علاقة بين إباضية شمال أفريقيا وبين عمان قبل أن تقوم دولتهم في تاهرت، ثم تشتد هذه العلاقة وتتوطد أركانها أثناء عصر هذه الدولة التي استمر وجودها مائة وستة وثلاثين عاماً هجرية، ورغم زوال هذه الدولة الإباضية في عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م إلا أن علاقة عمان بإباضية شمال أفريقيا لم تنقطع، وظلت لها مظاهرها وأثارها، فإنا نرى ما هي قصة هذه العلاقة؟

العلاقة بين عمان وإباضية شمال أفريقيا:

نشأة هذه العلاقة (٤٥):

انطلق نور الهداية من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي إلا سنوات قلائل حتى برق هذا النور في أطراف العالم آنذاك من الخليج وما بعد الخليج إلى المحيط، وما فوق المحيط، إنها معجزة رسالة الإسلام.

وما هي إلا عقود ثلاثة حتى بدت بوادر الافتراق في صفوف الأمة الواحدة وفي هذا الخضم المتلاطم انبثقت جماعة تعرف نفسها بجماعة المسلمين أو أهل الاستقامة أو أهل الدعوة وما فتى معاصروها حتى نسبوها إلى أحد أئمتها المدافعين عنها وهو عبيد الله بن إباض المتوفى قبل (٨٦ هـ / ٧٠٥ م) (٤٦) وقالوا إنها الفرقة الإباضية.

وتتفق المصادر الإباضية على أن الأسماء عبيد الله بن إباض إنما كان يصدر رأيه عن أسس الجماعة ودعامتها وهو الإمام جابر بن زيد الأزدي العماني (٩٣ هـ / ٧١١ م) (٤٧).

ومع أن الإمام جابر بن زيد عماني المنشأ إلا أن المصادر تذكر أنه اختار البصرة مستقراً، وبها أرسى أسس دعوته، لذلك إذا قلنا البصرة في هذه المرحلة المبكرة بما فيها من أحياء الأزدية والتميمية فكاننا نقول عمان، لأن كل علماء عمان إنما كانوا بين عمان والبصرة والحرمين... وكذا أهل المغرب، وإنما كانت صلتهم بالحرمين الشريفين وبالبصرة، إلى أن يأفل نجم البصرة لتقوم مقامها عمان وغيرهما من مراكز الإباضية كحضر موت وخراسان في المشرق.

والقضية التي نثيرها في هذا الصدد، تتمثل في التساؤل عن امكانية اتصال بعض أهل المغرب بالإمام جابر بن زيد، هذا الداعية الذي لم يسعفنا الزمن بنسخة من مراسلاته مع دعائه إلا في إحدى خزائن مكتبات شمال إفريقيا ألا وهي المكتبة البارونية بجزيرة جربة (٤٨).

ولسوء الحظ لايسعف تحليل هذه الرسائل القليلة الباقية من رسائل هذا الإمام (٤٩) بأدنى إشارة من هذا القبيل، وكذا ما بين أيدينا من بقية المصادر الإباضية وغير الإباضية التي ترجمت للإمام جابر بن زيد.

وهذا يرجع بدون شك إلى المرحلة السرية الدقيقة التي كانت تجتازها نشأة الحركة الإباضية التي كانت محاصرة من الدولة الأموية وعمالها، كزياد بن أبيه وابنه والحجاج محاصرة شديدة.

ولا نستبعد أن تكون هناك اتصالات بين الإمام جابر وبين أهل المغرب عسى أن يوجد الزمن ببعض مما تلاشى من النصوص مما قد يزيد توضيح ما اكتنف هذه المرحلة من سرية وكتمان.

وافترضنا هذا يستند إلى ما شهدته العلاقة من قفزة قوية في المرحلة الأولى من تولي الإمام الثاني أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة مسؤولية الدعوة بالبصرة، أثر خروجه من سجن الحجاج بعد موت الحجاج (٩٥هـ / ٧١٤م) ومثل هذه القفزة يصعب أن تكون بدون تهديد سابق.

ومعلوم أن كل الفرق الإسلامية تنفست نسيم الحرية زمن خلافة خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ / ٧١٩-٧٢٠م) وسارع الإباضية بإرسال وفدهم إليه وكان هذا الوفد يتكون من الرعيل الأول الذي عاصر الإمام جابر بن زيد، وهم جعفر بن السماك وأبو الحر علي بن الحصين العنبري والسمات بن الكاتب، والصاب بن كليب، وأبو سفيان قنبر البصري وسالم بن زكوان (٥٠).

وفي هذا الظرف تنوه المصادر الإباضية برحلة أول مغربي إلى مركز الدعوة بالبصرة، وإنه له أن يعرف أخبار الدعوة لولا وصول أخبارها إليه من قبل، خاصة وأن مصر هي الأخرى نالت نصيبها من ثمر الدعوة الإباضية، وأول من يذكره الشماخي من مشايخ مصر ابن اليسع من أهل مصر وأبا إسحاق إبراهيم المصري وعيسى بن علقمة المصري (٥١).

وهذا المنوه برحلته هو ابن مغطير النفوس الجناوني ويقول صاحب السير في شأنه أنه كان شيخاً فاضلاً فقيهاً مفتياً، كان ممن أخذ عن أبي عبيدة مسلم، ثم قدم بعده الخمسة المذكورون فانتقل عن الفتيا (٥٢).

وأضح أن رحلة ابن مغطير كانت سابقة لرحلة سلمة بن سعد الذي تعتبره المصادر الإباضية أول من جاء يدعو إلى الإباضية بالمغرب، والراجح أن هذه الرحلة

كانت على رأس القرن الاول لهجرة الرسول ﷺ.

ويصعب ان نحدد تاريخاً مضبوطاً لهذه الرحلة، وهي لا شك كانت بعد سنة ٧١٤هـ/م وهي سنة خروج الامام ابي عبيدة من السجن لان المصادر لاتذكر انه ادرك الامام جابر بن زيد.

وواضح من خلال ما يرويه الشماخي عن تورع ابن مغطير عن الفتوى بعد وصول طلبه العلم، على اساس انه اخذ عن ابي عبيدة قبل ان يحرر المسائل بينهما اخذوا عنه بعد ان استقرت عديد من اجتهاداته (٥٣)، ان الرحلة كانت من وقت مبكر، اي حال تولى الامام ابي عبيدة مسؤولية الدعوة.

ومن سراديب البصرة وبتأييد من الازديين العمانيين، يستقر الامر مع ابي عبيدة على السعي الى تركيز الدعاة في اطراف دولة الخلافة الاموية، كبلاد اليمن وعمان وبلاد المغرب، خاصة وان دولة بني امية بدأت تسير في طريق الانهيار.

وفعلاً ينطلق سلمة بن سعد بحماس الداعية المؤمن بقضيته ونشر لواء العدالة حيثما مر، ولا شك انه تعاون مع ابن مغطير لنشر اساس الدعوة في جبل نفوسة، وواصل مسيرة ليحط الرحال بمدينة القيروان قسبة افريقية وهناك يعمل على تكوين بعثة علمية منظمة تنهل العلم من منابعه ويلبى الدعوة اربعة: عبدالرحمن بن رستم «فارسي الاصل» ساقته الاقدار الى القيروان مع زوج امه وعاصم السدراتي من سدراته غربي اوراس وابو داود القبلي النفراوي من نفزاوة جنوب افريقية، وابو درار اسماعيل ابن درار الغدامسي من غدامس جنوب طرابلس وانضم الى هؤلاء في البصرة ابو الخطاب عبدالاعلى المعافري وهو عربي من اليمن هؤلاء هم حملة العلم الى المغرب كما تجمع على ذلك المصادر الاباضية.

وفعلاً لقد كان لامنّة سلمة بن سعد بن علي بن اسد الحضرمي اليمني: بأن تظهر الدعوة الاباضية بالمغرب ولو يوماً واحداً من غدوه الى الزوال وانه لا يبالي ان ضريت عنقه بعد ذلك (٥٤)، اثرها الفعال في اوساط البربر ووجدت اذاناً صاغية من اطراف متباعدة، يدل على ذلك تركيبة جماعة حملة العلم، اذ ضمت طالباً من المغرب الاوسط، وثانياً من المغرب الادنى، وثالثاً من البلاد الليبية، مع ابن رستم وهو فارسي الاصل قيرواني المنشأ.

وقبل ان يصل حملة العلم هؤلاء الى تنفيذ خطة امامهم، بدت بوادر تأثير مدرسة ابي عبيدة في قيام عبدالله بن مسعود التجيبي زعيم الاباضية وريثهم في طرابلس، بالثورة على الياس بن حبيب والي طرابلس من قبل اخيه عبدالرحمن بن حبيب والي القيروان. وتمكن الياس من قتل التجيبي سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م.

ولم يخمد هؤلاء الاباضية فما لبثوا ان قدموا عليهم الحارث بن تليد الحضرمي ١٣١هـ/٧٤٩م مع قاضيه عبدالجبار بن قيس المرادي وكانا قد وفدا الى بلاد المغرب من اليمن بعد ان قضى على ثورة طالب الحق سنة ١٣٠هـ/٧٤٨م، ولكن سرعان ما احس عبدالرحمن بن حبيب بما تمثله هذه الامامة من خطر على ملكه، فلجأ الى الحيلة عندما لم يفلح في استعمال القوة، وتمثلت هذه الحيلة في دس من يقتل الرجلين على ان يضع سيف هذا في جثة الآخر وذلك في سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م، وفعلاً قد اثارت هذه الحيلة فتنة في صفوف الشراة بين من يرى التبرؤ من الرجلين ومن يرى التوفيق فيهما، ومن يرى توليها.

ولما اشتد الخلاف بين اهل طرابلس، رأوا ان يستشيروا امام دعوتهم بالشرق، وان كنا لم نثر على نص الرسالة المرسلة في هذا الشأن ولا على اسم من حمل القضية الى الامام ابي عبيدة، إلا ان القدر اسعفنا برسالة الرد الواردة من البصرة^(٥٥) وهى رسالة جاءت طافحة بعبارات المودة والاخاء بين الطرفين، ذلك ان اهل المغرب عندما احتاروا في امرهم لم يترددوا في ارسال وفد من قبلهم الى امامهم، لانه قطب الرعى والمرجع الذى لايرفض الجميع له قولاً^(٥٦)، كما ان الامام ابو عبيدة لم يتخلف عن توجيه النصيحة وتحليل القضية من جميع وجوها، بما يقره المذهب من وجوه السولية والبراءة والوقوف، مع التعبير الصادق عن تالم جماعة المشرق لآلام اهل المغرب، وفرحهم لفرحهم ونجاحهم^(٥٧).

كما ان رسالة ابي عبيدة لاهل المغرب ما فتئت تذكر بأن عوامل النصر لنشر الدعوة في بلاد المغرب، انما تتمثل في نبذ كل ما من شأنه ان يفرق، والتمسك بكل ما يقرب بين افراد الجماعة، ولذا اثبت الامام ان الراى الصواب في القضية يتمثل في الدعوة الى السكوت في الظاهر، مع عذر من يريد ان يتبرأ في السر، لما ثبت له من البينة، واعتبار ان الانصراف عن هذا الموقف ضرب من الغلو والزيف عن سبيل المسلمين: (وهو الذى نريد منكم ونطلبه اليكم بأن تكونوا من الرجلين على علم، ولا يظهر احد منكم على احد براءة، ولكن في ما بينه وبين الله، فارجعوا الى ما كنتم عليه، ودعوا ذكرهما، فان في سترك لما في انفسكم بلاغا ومتاعة لكم، واحذروا الغلو والزيف عن سبيل المسلمين، وان يقول القائل منكم، اذا كنت عند الله محققا، لم ابال، فان الله لايرضى ان يخالف حكمه، لان الله نهاكم من ان تعرضوا انفسكم للبراءة، فبالله توفيقنا واياكم عصمنا الله واياكم بالتقوى^(٥٨)).

وفعلا تصل الرسالة الى اهل المغرب، ويسدل الستار على هذه القضية، ومعنى ذلك انها فعلت فعلها، والفت بين القلوب، وتعود الجماعة الى رابطتها لتتخبط اماما آخر وهو اسماعيل بن زياد النفوسى سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م ولكن في نفس السنة تستطيع قوات عبدالرحمن بن حبيب ان تنتقم من الاباضية شر انتقام، ويقتل الامام، وتعود الجماعة الى الكتمان من جديد.

وفي هذه الاثناء تقوم امامة الجلندى بن مسعود بن جيفر في عمان سنة ١٣٢-١٣٤ هـ / ٧٥٠-٧٥٢ م باذن من الامام ابي عبيدة، وهناك مراسلة جرت بينهما تؤكد ذلك^(٥٩)، ولكن لا تسعفنا المصادر بصدى هذه الامامة في المغرب، والذى لانشك فيه انها كانت دافعا قويا للتفكير في امامة اخرى، خاصة وان حملة العلم في الفترة اللاحقة بالضبط كانوا في جنبات مدينة البصرة، وان صحت الروايات فان اقامتهم كانت هناك بين سنة ١٣٥ هـ / ٧٦٣ م و ١٤٠ هـ / ٧٥٨ م.

وفعلا ينجح التخطيط الاباضى في تنسيقه بين المشرق والمغرب، فان اقل نجم الامامة في عمان وغطت دولة الجبابرة هناك، فان بإمكان المغرب في هذه المرحلة الحرجة من سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية ان يعلن امامة الظهور. ويامر من الامام ابي عبيدة قامت امامة ابي الخطاب عبدالاعلى المعافرى سنة ١٤٠-١٤٤ هـ / ٧٥٨ / ٧٦٢ م في طرابلس، واستطاعت ان تنتشر لواء العدل وان تنصر المظلومين وكان للحديث صداه، وكانت فرحة الاباضية بالشرق عارمة اذ كان الامل عريضا في تحقيق امامة المسلمين قاطبة انطلاقا من المغرب.

ولا شك ان الرسل كانت تتوالى، وكذلك الرسائل بين مركز الدعوة ومركز الامامة بطرابلس وبين مختلف مراكز الاباضية في عمان، وفي اليمن، وخراسان، ولكن انى لمل هذه الوثائق ان تقدر على مصارعة الزمن، خاصة وان عمر امامة ابي الخطاب كان قصيرا، فما قيمة اربع سنوات تنتهى بهجمة شرسة من العباسيين لم تبقى من جيل نفوسه واهله إلا ما تقدر اليه سبيلا، وكان هذا الجيل المعقل الرئيسى للاباضية في ليبيا. ومع ذلك احتفظ لنا القدر بنص الرسالة في الزكاة وجهها الامام ابو عبيدة الى اهل المغرب اجابة على رسالة وصلته من الشيخ اسماعيل بن سليمان المغربي ولعله احد عمال الامام ابي الخطاب.

واكتفى بنقل الفقرات الاولى من هذه الرسالة لانها جاءت معبرة تعبيرا صريحا عن اواصر المودة بين الامام في البصرة وبين اهل المغرب.

اتانا كتابكم تذكرون فيه عظيم ما من الله عليكم من جمع كلمتكم وائتلاف امركم، في كثرة من بحضرتكم من اهل الخلاف لكم، ولعمري ما كثرتهم وان كثروا باكثر ممن كان قبلهم على من كان قبلكم من سلفكم، فاقبضوا بهم تهن عليكم كثرتهم على خلافكم نسال الله العون والتوفيق لكم في جميع اموركهم، وان يكفيننا واياكم باسهم، وان يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين الدائرة عليهم، ويشفى صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم.

فعمري لقد سرني ما انتهيتم اليه من امركم وان كان ذلك لم يخف عنا، غير اننا لم نظن الذي كتبتم به لنا والله سيتم لكم الخير كله بعونه وتوقيه.

اتانا كتابكم بمسائل فمنها ما رأيت ان اجيبكم ومنها ما رأيت ان اجيبكم فيها من غير هوان ولا تقصير إلا الذي رأيته اصلح لجماعتكم واقوم لشانكم واعطف لقلوبكم، واجمع لاموركم، وما توفيقى إلا بالله، وفقنا الله واياكم لما يحبه ويرضاه(١٠).

ولا يحتاج النص الى كبير تعليق على تضمنه من التعبير عن المحبة الصادقة، والاعجاب بما وصل اليه اهل المغرب من نصر مبین، هو اوسع بكثير ما كان يتصور الامام نفسه، ولذلك انتخب من الاسئلة ما هو اقرب للتألف، واهل البقية لانه رأى فيها ما يثير اشجانا، لعلها تفرق بدل ان تقرب.

استمرار العلاقة بين عمان واباضية شمال افريقيا عبر القرون:

القرن الثامن الهجري / الثامن الميلادي:

بعد موت ابي عبيدة مسلم قام الربيع بن حبيب (٧٥٠-١٧٥هـ/ ٦٩٥-٧٩٢م) مقامه في البصرة وتستمر الاحوال على ما هي عليه من سيطرة الجابرية في عمان وتقوم في المغرب امامة دفاع سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٣م ينتخب لها ابو حاتم المزورى، وتستمر المعارك ضارية بينه وبين العباسيين الى ان قتل سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م وقتل مؤازرة له من حملة العلم عاصم السدراتى.

وتسكت المصادر سكوتا تاما عن العلاقات بين المشرق والمغرب، ذلك ان الكل يقاسى نفس الالام من اجل اقامة العدل، والاطاحة بدولة العباسيين التى ابت إلا ان تبقى لها السيادة على اطراف دولة الخلافة التى استأصلت منها بنى امية.

وليس معنى هذا السكوت ان العلاقة قد انقطعت بين الطرفين وانما هو التاريخ الذى يعرف من الثغرات الكثير، خاصة بالنسبة الى الحركات الشورية التى كانت

تستأصل نصوصها كلها تغلب عليها أعداؤها.

وما ان حلت سنة ١٦٠هـ / ٧٧٧م حتى بدأ عهد جديد في بلاد المغرب الاوسط على يدي عبدالرحمن بن رستم الذي مكّنه الامام ابو عبيدة عند عودته مع حملة العلم من ان يفتي بما سمع منه وبما لم يسمع، بينما امر ابا الخطاب ان يفتي بما سمعه منه فحسب، ودعا ابا درار بالألا يفتي تماما لا بما سمع من الامام ولا بما لم يسمع (٦١) وما ان استقامت هذه الامامة حتى طرب لذلك المشاركة اى طرب، وجاء التأييد المادي والمعنوي، ومن رواثه الايدي العمانية التي حرمت من ذلك في عمان، فجاء مددما من قبل الربيع العماني، وتتفق المصادر على وصول مدد مادي، قرر اصحابه ألا يوصلوه إلا ان ثبت لديهم حسن سيرة عبدالرحمن فلما وجدوه على سطح بيته يصلح ما به من ضرر، علموا انه على مسلك الخلفاء الراشدين والائمة الصالحين، فوافوه بما جاؤوا به من مال فقوي به امر الدولة (٦٢)، ثم وافاه اهل المشرق بقدر آخر من المال فلم يكن منه إلا ان رده اليهم قائلا: ارجعوا بمالكم فان اربابه احوج اليه منا لانا في ارض قد استولى عليها العدل، وهم في بلد غلب عليهم الجور، يدارون به علي انفسهم ومالهم ودينهم (٦٣).

وقد زاد هذا الموقف اهل المشرق اعجابا بالامام عبدالرحمن فتعجبوا من زهده في الدنيا ورغبته في الآخرة واعترف كل اباضي بامامته ووصلوه بكتبهم ووصاياهم (٦٤)، ويكفي نص السماخي في تبيان الصلة الايمانية بين المشرق والمغرب، حيث اعترف كل اباضي بامامته ولا شك ان صدق هذا الحدث دوي في عمان، وبين كبار شيوخها الذين كانوا ائمة الدعوة بالبصرة، فكان له الاثر الطيب خاصة وان الاوضاع كانت ما تزال متردية هناك.

وقد ذاع صيت عبدالرحمن في المشرق الى حد ان قائلًا من العلماء المشاركة قال: لا اعلم بمن يخرج دماء اهل القبلة في زماننا هذا إلا عبدالرحمن بن رستم بالمغرب، وابا يزيد الخوارزمي، ويطلق السماخي على الخير قائلا: يعني والله اعلم انك لا تتقدم على سفك الدماء إلا بفتيا أحد الرجلين من غزارة علمهما، وورعهما، وتحفظهما (٦٥). ثم يموت الامام عبدالرحمن بن رستم سنة ١٧١هـ / ٧٨٨م ليتقم مجلس الشورى على انتخاب ابنه عبدالوهاب اماما لتوفر شروط الامامة فيه، وهنا تقوم فتنة النكار الذين انكروا امامة هذا الامام معتمدين على شبهتين وتتمثل الاولى في ان الامام لا حق له ان يقطع امرا دون مشورة المسلمين، وتتمثل الثانية في انه لا تجوز امامة رجل اذا كان في المسلمين من هو اعلم منه (٦٦).

وهنا ياتي اللجوء الى اهل المشرق للامتحان برأيهم والعمل بنصيحتهم فاصطلح جماعة المسلمين ومن لا يريد الافتراق وشق العصا مع ابن فندين (٦٧) ان يكتبوا الى اخوانهم وعلمائهم بالمشرق فيعملون بموجب ما يرونه ويجيبونهم به (٦٨)، وفعلا بلغ الرسل الى مكة المكرمة، وطرحوا القضية على الامام الربيع بن حبيب ومن كان معه، فما كان منهم إلا ان اثبتوا بالدليل ان الامامة تامة والشرط باطل، وقد عابوا على الامام اشياء اثبتت لهم انه لم يفعلها (٦٩).

وليس لنا ان نحلل ما حدث بعد ذلك من فتنة النكار، ورغبة شعيب بن المعروف في معاضدة هؤلاء بعد ان افتى هو نفسه الامام عبدالوهاب بجواز امامة الامام مع وجود من هو اعلم منه، وبان الامامة تامة والشرط باطل مما ادعى الى ان اعلن الربيع البراءة منه (٧٠).

وتستمر العلاقة وطيدة زمن الامام عبدالوهاب مع مركز الدعوة بالمشرق، ولما بدا لهذا الامام، وهو بجبل نفوسة، ان يؤدي فريضة الحج اعترض عليه علماءها، فلما راوا الحاحه في الطلب اشاروا عليه بأن يستشير اهل المشرق، فارسل رجلا نفوسيا من اهل تمزدا (٧١) الى الربيع بن حبيب، والي ابن عباد المصري (٧٢)، وكان مرجع امور المسلمين، فاجابه الربيع من كان مثلك في العناء بامور المسلمين وحمل امانتهم وخاف على نفسه من المسودة ان يبعث بحجة وهو حى واجابه ابن عباد ان من كان على هذه الصفة فلا حج عليه لان من شرط الحج امان الطريق (٧٣).

وفعلا لم يكن من الامام على سعة علمه إلا ان عزز رأى علماء نفوسة برأي مصدر الفتوى في مركزي الدعوة بالمشرق، وبذلك اناب عنه من ادى فريضة الحج، وتتم الصلات والهدايا بين الطرفين فهذا الامام عبدالوهاب يرسل هدية للربيع قدرها اثنا عشر الف درهم او دينار.

وتصل الهدية الى الربيع فيشترى بها جهازا، ويرسل به اخاه الى تاهرت، فيأمر الامام تجار المدينة ليشتروا له حوائجه وفعلا تم ذلك، وانصرف الاخ بسلام (٧٤). ومع كل هذه الوفود تكون المراسلات والفتاوى وما الى ذلك مما يعود على المسلمين بالنفع العميم.

ولا يفوتنا ان نذكر بوثوق الصلة العلمية، والرغبة في توفير الكتاب، ذلك ان الامام عبدالوهاب ارسل الف دينار الى اخوانه بالبصرة كي يشتروا له بها كتباً، فلما وصلهم الالف اشتروا بها ورقاً ونسخوا له فيها وقرأ اربعين حملاً كتباً (٧٥).

كما وفد في زمانه ابو غانم بشر بن غانم الخراساني (ق ٨/٢)، وان لم يكن عمانيا فهو من اقطاب المشاركة، اذ درس بالبصرة واخذ من تلاميذ ابي عبيدة، وعنه دون كتبه، واهمها المدونة التي دون فيها اقوال تلاميذ ابي عبيدة في الفقه ورواياتهم واختلافاتهم.

وفي رحلته هذه الى تاهرت روي مدونته هذه هنالك بعد ان استودع نسخة منها عند عمرو بن فنسجها، وهي النسخة التي بقيت بالمغرب بعد ان احترقت المكتبة المعروفة بالمعصومة بما فيها في تاهرت (٧٦).

وهكذا تزدان تاهرت ومكتبتها المعصومة بهذا السيل من الكتب المشرقية لتتضم الى تفسير الامام عبدالرحمن وفتاواه، وفتاوى الامام عبدالوهاب نفسه، مع رصيد المراسلات والنصوص الاخرى، وما كان هؤلاء ممن يحتكرون العلم بل اقبلت الايدي بالنسخ لهذه الكتب، ورغم ان المعصومة احترقت فيما بعد، فان بقايا هذه النسخ لاتزال متناثرة هنا وهناك، ولايزال الزمان يوجد بشيء منها من حين لآخر.

كما تكاثر الوافدون على عاصمة امامة الظهور في تاهرت، اما للاطلاع والاستفادة او المراقبة والاحتساب، ومن ذلك ما تورد المصادر ناقلة عن كتاب سير نفوسة لمقرن البيطوري (ق ١٢/٦) (٧٧) من ان رجلا من اهل المشرق قدموا زائرين زمان الامام عبدالوهاب فاخترأوا من تاهرت الامام ووزيره ابا عبدالاعلى السمع، واخترأوا من نفوسة ابا مرداس... (٧٨).

وان لم نعلم من اى المواطن كان هذا الوفد فان الغرض من الزيارة كان يتصل في الاطلاع على مستويات علماء اهل المغرب، مما مكن هؤلاء من المفاضلة بين المغاربة واختيار من اختاروا، وذلك لا يمكن ان يتم لهم إلا بعد الاطلاع والتحصيل والمقارنات. ومما يدل على ان حلقات العلم بالمغرب في تلك الفترة قل ان تخلو من حضور بعض

اهل المشرق، ما يرويه الشماخي من «ان مشايخ نفوسه يقبلون على الامام «عبد الوهاب» فيجلسون اليه حين كان بالجبل، فاذا قدم ابومرداس «معاصر السدراتي» قام اليه الامام وكان قصيرا، فقال رجل من اهل المشرق لم يعظم الامام هذا؟ فقال حين سمع كيف لا اجل من تجله الملائكة، ولا اعرف في الدنيا مثل هذا إلا رجلا بالمشرق، وهذا ارجح منه يسيرا... وبعد مجاورة اقصر الحاضرون بأنهم لا يعلمون احدا بالمشرق ولا بالمغرب مثل هذا العالم» (٧٩).

وهذا ما تمكنا من توثيقه مما بين ايدينا من المصادر عن علاقة المغرب بعمان زمن امامة الامام عبد الوهاب، ولا شك ان ما لم يصلنا اكثر بكثير، ذلك انه. في زمن هذا الامام حدثت احداث بالمشرق ابرزها وفاة الامام الربيع رحمه الله، ولم نجد لذكرها اثرا في محيط اهل المغرب، كما عادت الامامة العادلة الى عمان من ١٧٧ الى ٢٠٨هـ / ٧٩٤-٨٤٤م، فقد توالي عليها الامام محمد بن ابي عفيان (١٧٧-١٧٩هـ / ٧٩٤-٧٩٦م) وان خلع هذا الامام لانه لم يحسن السيرة في آخر امره، فقد نوهت كتب السير العمانية بخلفه الامام الوارث بن كعب الخروصي (١٧٩-١٩٢هـ / ٧٩٦-٨٠٨م) ولم تذكر من جاء بعده إلا بالخير وهو الامام غسان بن عبدالله الفجحي (١٩٢-٢٠٨هـ / ٨٠٨-٨٢٤م) (٨٠).

القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي:

وبموت الامام عبد الوهاب سنة ٢٠٨هـ - ٨٢٤م، خلفه ابنه افلق بن عبد الوهاب لمدة نصف قرن الى سنة ٢٥٨هـ - ٨٧٢م، وقد عرفت الدولة الرسمية اوج عزها في هذه الحقبة من الزمن.

وقد زامنت امامته عهد الائمة التالي ذكرهم في عمان.

- الامام عبد الملك بن حميد (٢٠٨-٢٢٦هـ / ٨٢٤-٨٤١م).
- والامام المهنا بن جيفر اليمصدي (٢٢٦-٢٣٧هـ / ٨٤١-٨٥٢م).
- والامام الصلت بن مالك (٢٣٧-٢٧٢هـ / ٨٥٢-٨٨٧م) (٨١).

وقد برز اقطاب من اهل العلم هنا وهناك عم صدى مناظراتهم وحماسهم وكتاباتهم المغرب وعمان.

ويبدو ان ابرز حدث يتمثل في استجلاب نفاث بن نصر النفوسي، تلميذ افلق ديوان جابر بن زيد امام الاباضية الى المغرب، بعد ان استنسخه بذكاء نادر من النسخة الفريدة الموجودة آنذاك في خزانة الخليفة العباسي (٨٢).

لكن من سوء الحظ بعد هذا الجهد الجهد لم يكن منه إلا ان حفر حفرة لهذا الديوان ودقنه، ذلك لما كان بينه وبين الامام من خلاف توعد به بسببه، ويقول ابو زكريا بأنه دفن الديوان «لحسد وبغى وسوء عاقبة» (٨٣).

وتورد المصادر الى جانب هذا الخبر دعوة الامام افلق الى دراسة كتب اهل الدعوة عامة مع تخصيص كتاب ابي سفيان محبوب بن الرحيل العماني «النصف الثاني من ٢هـ / النصف الثاني من ٨م»: «عليكم بدراسة كتب اهل الدعوة، ولا سيما كتاب ابي سفيان العماني» (٨٤).

ولا يخفى على أي باحث في السير الاباضية ان كتاب ابي سفيان هذا، كان عمدة المغاربة والمشاركة في التعريف بنشأة المذهب ويعلماته الاول، لانه من الرعيل الذي اخذ عن ابي عبيدة، وعن الربيع وأنا لنرجو ان يسعف الزمن به..

وقد لعب محبوب هذا دورا عظيما في الربط بين المشرق والمغرب، وقد اورد ابن سلام ما يفيد ذلك حين قال: ودار محبوب بمكة، وله خيامات تسمى مضارب محبوب بمعنى ايام الحج بمقامهم بمعنى ثلاثة ايام التشريق خلف الجمرة الكبيرة التي يرميها الحجاج اول ما يقدمون من المزدلفة غربى منى، وغربى الجمار الثلاث خلف عقبة منى وهى مضارب خيامات فيها مورد حجاج اهل عمان وجماعتهم ايام التشريق بعد عيد الاضحى.

كما يذكر ابن سلام ايضا ان المجاورين (٨٥) بمكة خمسون ومائة رجل، منهم خمسة وعشرون من اهل عمان.

واستمر هذا الرباط وثيقا مع ابنه محمد بن محبوب بن الرحيل (٣ محرم ٢٦٠هـ / ٢٩ اكتوبر ٨٧٣م)، ذاك الذى كان رأس علماء الاباضية بعد ابيه، وكانت اقامته بمكة، وبها التقى بعمرس بن فتح من علماء نفوسة (٢٨٣هـ / ٨٩٦م)، هذا اللقاء الذى ما فتئت مصادر الاباضية تنوء بقيته العلمية حيث تقول: وذكروا ان عمروسا واصحابه توجهوا الى بلاد المشرق حجاجا، فلما نزلوا مكة وجدوا بها محمد بن محبوب رحمه الله فدخلوا عليه في مجلس فوجدوه مع اصحابه فسلموا عليه فشهش لهم وقربهم اجلالا لهم، دون معرفة الاشخاص فلما تباؤوا مقاعد المذاكرة سال عمروس ابا عبدالله عن مسألة فقال ابن محبوب: ان كان ابو حفص في شئ من هذه البلاد فلا يصدر هذا السؤال إلا عنه، ولا يرد إلا منه، فقالوا له: انه هو السؤال فرفع ابن محبوب مجلس عمروس لما عرفه، وزاد دنوه في مجلسه ثم جعل عمروس يسأل في مسائل الدماء عن مسألة بعد مسألة، حتى قال له ابن محبوب: هذا من مكتون العلم لا يعلن به في قوم جهال، فعند ذلك قال عمروس لاصحابه: احفظوا السؤال واحفظ لكم الجواب، حتى نقدم على اخواننا فنخبرهم بما حفظنا ففعلوا، فلما قدموا بلادهم قال لهم عمروس: «هلم ما تكلفتم به» فقالوا له: لم نحفظ شيئا سوى قوله: احفظوا المسائل لنرد بها على اخواننا، ثم ان عمروسا اعادها مسألة، فمسألة، عن آخرها (٨٦). ولا تحتاج هذه الحادثة الى تعليق كبير لاثبات غزارة علم القطبين والتلاقي الحضاري المتواصل بين اباضية المغرب واباضية المشرق.

وبعد اقامته بمكة ينتقل محمد بن محبوب الى عمان ليتصدى لنشر العلم ولتبعائش احوال الائمة هناك، ويقف مواقفهم بوضوح فالولاية لمن تحقق له وإلا فالبراءة، وكان أبرز عناصر المشورة لعقد البيعة للامام الصلت بن مالك سنة ٢٣٧هـ / ٨٥٢م وقد تولى له الفضله بصحار موطن آل الرحيل من سنة ٢٤٩هـ / ٨٦٤م الى ان توفي ٢٦٠هـ / ٨٧٣م، وينسب اليه من الكتب كتاب في الفقه في سبعين جزءا وسيرته الى اهل المغرب، وهي مخطوطة تقع في ست وعشرين صفحة من الحجم المتوسط ويخط مشرقى واضح وقد عالجت هذه السيرة ثلاثا وخمسين مسألة موجبة من اهل المغرب للشيخ محمد بن محبوب، وقد جاء الجواب عن هذه المسائل واحدة واحدة بعد ان دعا الامة الى الالتزام بمسالك التقوى في خطبة السيرة، وبين فيها حسن احوال الجماعة بالمشرق والمغرب: «كتبت اليكم رحمتنا الله واياكم، وانا ومن قبلي من الخاصة والعامة من المسلمين باحسن حال واتم نعمة، واجمع كلمة، ونحمده على ذلك وعلى كل حال».

وقد وصل كتابكم بالسار لي من خبر سلامتكم وحالك، وجميل صنع الله لكم وآلائه عنديكم، فحمدت الله على ذلك، وسألته المزيد لنا ولكم من كل فضل متقيد، ان ربنا واسع مجيب (٨٧)، ثم اخذ يجيب عن المسائل التي ارسلوا بها اليه.

والسيرة في حد ذاتها تحتاج الى دراسة تحليلية ضافية، لما طرحته من القضايا السياسية والفقهية العملية التي يعتمد فيها صاحبها على الكتاب والسنة، وعلى مواقف أئمة الإباضية وعلمائهم.

هذا عن ابن محبوب وسيرته في اهل المغرب، أما عمرو بن قنبر فقد واصل نشاطه العلمي، وقد علمنا من قبل انه حرص على نسخ مدونة ابي غانم عندما اودعها صاحبها عنده وقد تصدى بغزارة علمه مع يابى مهدى النفوسى لأراء نفاه المخالفة ذاك الذى علمنا انه دفن ديوان الامام جابر، وقد تولى هو الآخر القضاء لوالى الامام عبدالوهاب، وهو ابو منصور الياس، وكان حازما في امره، وقد قتله الاغالبية صبرا في واقعة مانو سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م، ولم يصلنا مما ينسب اليه من مؤلفات إلا كتاب الدينونة الصافية وقد ثبت لدي عند احدى رحلاتى الى وادى ميزاب ان هذا الكتاب هو القسم الاول من كتاب في الفقه حسب المخطوطة المودعة في مكتبة دار التلاميذ بمدينة العطف^(٨٨).

والى جانب هذا يروى الشيخ الناصر المرمرورى^(٨٩)، عن الشيخ ابي اسحاق ابراهيم اطفيش (١٣٨٦/ ١٩٦٦م)^(٩٠)، انه تكونت بعثة من الطلبة المغاربة من سبعين طالبا كانوا يدرسون على الشيخ ابي محمد عبدالله بن محمد بن بركة (ق ٩/ ٣)^(٩١)، صاحب كتاب الجامع في الفقه^(٩٢)، ولذلك كانوا يسمونه بشيخ المغربية، وقد كان هؤلاء الطلبة من جهات المغرب سوى وادى ميزاب لانها كانت لاتزال على منهج الاعتزال آنذاك^(٩٣).

ونورد السيرة التى وجهها بعض فقهاء المسلمين الى الامام الصلت بن مالك (٢٣٧- ٢٧٢/ ٨٥٢- ٨٨٧) ونرجع مع واضع فهرست السير العمانية، انها من اهل المغرب.

رغم ان اصحابها ذكروا صراحة انهم اخفقوا اسماءهم حتى تبقى النصيحة خالصة لله، ولا تشوبها شائبة: «ولم يمنعا ان نعرفكم امكنتنا ونسمى لكم باسمائنا إلا خوفا ان يقع في قلوب منكم ما تحمله معرفة ذلك على الانكار له، والرّد لمصوابه»^(٩٤) وذلك لدقة ما جاء فيها من الاحتجاج في قضية مخالفة النكار للامام عبدالوهاب.

ومهما يكن مصدر الرسالة فهي معبرة عن التلاحم بين اطراف المحيط الاباضى، ذلك لانها جاءت فياضة بالدعوة الى الائتلاف، لشعور اصحاب الرسالة ان الامة على وشك الافتراق، وفي ذلك تحذير من تبرص المتربصين لهم حيثما كانوا: واحذروا التنازع والفتنة والتدابير والاختلاف والتشاجر.

كما انها بينت حدود الامام واجباته، وخاصة احكام الولاية والبراءة والوقوف في شأنه كما انها اثبتت المفارقة بين النبى، والامام والمسلمين في درجة الحجة، ومع ذلك يبقى المسلمون عبيد.

وفي النهاية عبر اصحاب الرسالة عن استعدادهم للخروج اليهم ان لم تنفع الرسالة وانما اردنا بذلك الجزاء من الله على ما قد علم من رغبتنا، واعزاز الاسلام واهله، واعلاء كلمته في داركم ومصركم فان تم هذا فيكم واوعز عن الفتنة والرجعة الى ما كتبنا به اليكم احد منك «كذا» فان لنا رايانا في الخروج اليكم، والنزول عليكم ان كنا لذلك اهلا، ولا قوة إلا بالله^(٩٥).

وهذه الخاتمة تتم بوضوح عن صدق نية اصحاب الرسالة في اصلاح ذات البين والتقريب بين المتخالفين.

وتبدأ الاحوال في الاضطراب بعد موت الامام أفلق الى أن يأفل نجم الامامة الرستمية على يدي العبيديين سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م وتتداخل الامور في عمان بعد امامة كل من الامام راشد بن النضر اليعمدي (٢٧٣ - ٢٧٧هـ / ٨٨٧ - ٨٩١م) والامام عزان بن تميم الخروصي (٢٧٧ - ٢٨٠هـ / ٨٩١ - ٨٩٤م)، ونقل الاخبار عن العلاقة بين أهل المغرب وأهل المشرق سوى ماذكر من رحلة أبي القبطان الى الحج مستترا، وانتباه العباسيين لذلك، وسجنهم له في بغداد، واطلاقهم سراحه فيما بعد ليتولى الامامة (٢٦١ - ٢٨١هـ / ٨٧٥ - ٨٩٥)، وهو يحمل معه كثيرا من قضايا العقيدة أهمها رسالته في خلق القرآن التي نقلها البرادي في كتاب الجواهر^(٩١).

كما أن السماخي لايقفل عن المقارنة بين نكبتين نزلتا بالاباضية فيقول: «ووقعة مانو بعد وقعة ابن ثور بأهل عمان، وقد خرج عليهم من البحرين عام ثمانين ومائتين، وكان عاملا للمعتضد، وخليفة أهل عمان عزان بن تميم»^(٩٢).

تلك هي أصداء الحوادث الجلي التي زعزت كيان الاباضية شرقا وغربا، وإن استطاع أهل عمان أن يعودوا الى امامة الظهور فيما بعد، فقد استمر اباضية المغرب في الكتمان الى يومنا هذا، بعد أن ثاروا عدة ثورات باءت بالفشل، وكادت تستأصلهم.

وفعلا قام نظام العزابة بالمغرب مقام الامامة، وعن طريقه تواصل الاتصال بالاباضية في المشرق، هؤلاء الذين انحسر كسيانهم بعمان، بعد أن انقرضوا من البصرة والكوفة ومكة والمدينة وخراسان ومصر.

وتضمن علينا المصادر بأخبار هذه العلاقات في القرون اللاحقة سوى بعض الشذرات البثوثة هنا وهناك، والتي بقيت معبرة عن أواصر المحبة بين بلاد عمان وأطراف بلاد المغرب التي انحسر فيها المذهب، وهي جبل نفوسة، وجزيرة جربة، ووادي ميزاب، ووارجلان.

وستورد هذه الاخبار القليلة حسب تسلسلها الزمني عبر القرون عسى أن تتكشف نصوص تزيد الموضوع وضوحا، إذ لايقفل الا يتم اللقاء واحد في قرن كامل، مع العلم بأن الاباضية كانوا كغيرهم من المسلمين لايتخلفون عن الحج.

ومن ذلك ماترويه المصادر من أن أهل جبل نفوسة كانوا أكثر الناس حجا، بحيث انهم كانوا يحجون بنسائهم وذرايرهم، حتى قيل انه ولد لهم في ركب واحد ثلاثمائة مولود ذكر، فضلا عن المواليد الاناث أو النساء اللائي لم يلدن، أو عدد الرجال المرافقين لهؤلاء النسوة «ويعلق بحازن ابراهيم على هذه الرواية بقوله: «لا تدل هذه الرواية أن صحت الا على اهتمام الناس بالحج»^(٩٣).

القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي:

ثم تضطرب الامور في القرن الرابع الهجري ويشن الاباضية ثورتين على العبيديين، وهما ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٧م وثورة أبي خزريغلا بن زلتاف سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م، وكادت الثورة الأولى خاصة أن تطيح بعرش العبيديين، وفشلت الثانية. وقد سطع نجم أبي خزريغلا بن زلتاف (ت ٣٨٠هـ / ٩٩١م) وأبي نوح سعيد بن زنگيل (ق ٤هـ / ١٠م) المتبحرين في علم الكلام، وقد اصطحب المعز لدين الله الفاطمي (٣١٩ - ٣٦٥هـ / ٩٣١ - ٩٧٥م) أولهما الى مصر خشية منه، واحتقاء بعلمه.

ولا تذكر المصادر أية صلة بين المغرب وعمان في هذه الفترة، ذلك أن الامر كان مضطرباً أيضاً أشد الاضطراب هناك، باستثناء امامة سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب (٣٢٠ - ٣٢٨ هـ / ٩٣٢ - ٩٣٩ م) حيث استبد الجبابرة مرة أخرى بالحكم في عمان.

ولاشك ان الصلات كانت قليلة، وكان يغلب عليها الكتمان، ولم يرد الا خبر واحد، فيما وصلت اليه مطالعاتنا، يذكر أن ابن الجمع الذي كان من مشايخ المسلمين أقبل من الشرق تاجراً غزير العلم فنزل توزر فخدمه، أبو الربيع سليمان بن زرقون (ق ٤ هـ / ١٠ م)، ثم انتقل الى سجلماسة فانتقل معه، ومكث معه سنين، فتعلم عنده العلوم رفقة أبي يزيد مخلد بن كيداد، وقد توفي ابن الجمع هنالك.

فمن هو ابن الجمع؟ ومن أي بلاد المشرق هو؟ ذلك ما لم تسعفنا به المصادر، بل لم تسعفنا حتى باسمه كاملاً، وهذه نهاية في التستر وشدة الحذر، اذ ظل ابن الجمع يتظاهر بالتجارة رغم غزارة علمه، وما يحمل معه من كتب تذكر النصوص انه أوصى بها لأبي الربيع عندما حضرته المنية^(٩٩).

القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي:

ثم نعلم من تطور الاحداث أن الشيخ فصيل بن أبي مسور (ق ٥ هـ / ١١ م) عندما أتقن من عدم امكانية احياء امامة الظهور في القرن الخامس الهجري دعا تلميذه أبا عبدالله ابن أبي بكر الفرسطائي (٤٤٠ هـ / ١٠٤٩ م) الى تبني مبدأ الكتمان واقامة نظام الحلقة، ذاك النظام الذي عرف فيما بعد بنظام العزابة. وقد نشط أبو عبدالله في ذلك، بعد تردد في بداية الامر، وأرسى قواعد نظام يسميه الاباضية الامامة الصغرى، ذاك انه ينظم حياة الاباضية تنظيمًا متكاملًا لا ينقصه الا اقامة الحدود، مع التركيز على احياء العلوم، وتقوية الرابطة اليمانية بين افراد الامة^(١٠٠).

ورغم اضطراب الاحوال فقد حافظت المكتبة الاباضية على تراثها، من ذلك ماجاء في الخبر التالي عن أبي العباس احمد بن بكر محمد بن بكر الفرسطائي (ت ٥٠٤ هـ / ١١١١ م) من انه قال: «كنت أقرأ على الشيخ سعدون فجازت مسألة ذبيحة الألقف، قال في أكلها قولان فلم ينسبها، فدخلت الى الديوان، وكان بجبل نفوسه ديوان اشتمل على تأليف كثيرة، فلازمت الدرس أربعة لا انام الا في ما بين اذان الصبح الى صلاة الفجر، فتأملت ما فيه من تأليف أهل المشرق فاذا هي تقرب من ثلاثة وثلاثين ألف جزء كلها لأهل المذهب، فتخبرت أكثرها فائدة فقرأتها»^(١٠١).

واضح من هذا الخبر أنه، وإن قلت الزيارات، فقد بقيت التأليف أحسن رباط بين أهل المشرق وأهل المغرب، اذ ظل أبو العباس يبحث عن ضالته في التراث الاباضي المشرقي والمغربي، ولعله كان أكثر استئناساً بتأليف المشاركة لانها في الأغلب على شكل جوامع لا تتوانى في ايراد مختلف الآراء، وإن تناقضت، حول القضية الواحدة، بينما يجنح أهل المغرب الى الترتيب والاختيار والاختصار.

ورغم اضطراب الاحوال أيضاً بعمان باستثناء امامة الخليل بن شاذان (٤٠٧ - ٤٢٥ هـ / ١٠١٧ - ١٠٣٤ م)، وامامة راشد بن سعيد اليمحمدي (٤٢٥ - ٤٤٢ هـ / ١٠٣٤ - ١٠٥٤ م)، وهي امامة شراء، فإن اللقاء بين المغاربة والمشاركة كان يتم كما هو مألوف في الحرمين الشريفين، ومن ذلك ما ورد عن نصر بن سجميمان النفوسي

من «انه التقى بأئمة عمان بمكة فسألهم عن السخط والرضا، هو وصاحب له نفوسي، فقالوا: فعلان، فسألهم عن القرآن، فقالوا غير مخلوق».

ويعلق الشماخي على الخبر فيقول أن: «هذا يدل على أن الوهبية مغرباً ومشرقاً مجمعون على أن السخط والرضا فعلان، الا من خالف اجماعهم. كما اجمعوا على خلق القرآن الا من خالف اجماعهم - فبعض أهل عمان خالف في خلق القرآن، دون أهل العراق ومصر، ودون أهل مكة والمغرب، وسائر الاباضية وبعض أهل المغرب خالف في السخط والرضا»^(١٠٢).

ويتضح من هذا الخبر ان أهل المشرق يمكن أن يختلفوا مع أهل المغرب الا انهم يعذرون بعضهم البعض، لكن يبقى في الخبر غموض بالنسبة الى موضوعنا اذ من هم أئمة عمان هؤلاء؟ وفي أي تاريخ بالضبط تم هذا اللقاء؟ ويصعب أن نفترض أي افتراض بل أن نصل الى اليقين، لكن المهم في توفر اللقاء ومستوى الحوار بين الطرفين، اذ عولجت قضايا كلامية دقيقة تتعلق باعتبار السخط والرضا من صفات الذات أو من صفات الفعل وهي قضية حيرت علماء الكلام، أما قضية خلق القرآن وقدمه فقد أثارت محناً في البيئة الاسلامية وامتحن فيها من امتحن بالنسبة الى الطرفين. ومع وجود الموقفين بالنسبة الى القضيتين المذكورتين في اطار المدرسة الاباضية فان ذلك لم يثر أي تشنج بين أهل المشرق وأهل المغرب، وذلك لما لاقوا من المحبة من متأنة بينهما.

القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد:

ثم تزدهر وارجلان في القرن السادس للهجرة وتحفل بعدد وافر من العلماء ابرزهم ابوعمار عبدالكافي (قبل ٥٧٠هـ / ١١٧٤م)، وأبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني (ت ٥٧٠هـ / ١١٧٤م)، وأبو يعقوب يوسف بن خلفون، وغيرهم كثير^(١٠٣).

ولم يرد في سير هؤلاء ذكر اتصالات بأهل عمان، ولعل ذلك يرجع الى أن عمان كانت خاضعة لجور النباهنة في فترة حكمهم الاولى.

وكم وددنا لو حدثنا أبو يعقوب الوارجلاني في حجازيته التي بلغ عدد أبياتها خمسة عشر ومائتي بيت عن لقائه في موسم الحج ببعض أهل عمان، لكنه لم يعرج على ذلك لا من قريب ولا من بعيد^(١٠٤). ورغم كثرة ترحاله لم نعلم أنه زار بلاد عمان، وكذلك شيخه ابوعمار، فانه اكتفى بالحياة في تونس مدة طلبه للعلم، ولم نعلم أنه زار عمان، أو زارهم أحد العمانيين.

الا أن أبا يعقوب الوارجلاني شارك مشاركة فعالة في ترتيب أثر مشرقى له قيمة عظيمة في الفكر الاباضي بل هو عمدة الاباضية في الحديث، اذ يعتبرونه اصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، وهذا الاثر هو مسند الربيع بن حبيب القراهيدي العماني. وقد كانت الاحاديث فيه غير مبوبة، فعمل أبو يعقوب على ترتيبها حسب أبواب الفقه وبذلك تحول المسند الى جامع صحيح، ومثل هذا العمل يدل دلالة واضحة على التكامل بين جناحي المدرسة الاباضية.

أما ابن خلفون فانتنا نعلم انه كانت هناك جفوة بينه وبين فقهاء عصره لأنه متهم بكثرة ميله الى مطالعة كتب المخالفين، وتذكر المصادر انه عمر عن توبته في لقاء له في طريق الحج بالشيخ يخلق التميمجاري جد الدرجيني صاحب الطبقات «فكلما عد عليه شيئاً تاب واعتذر».

والاساس في بقية الرحلة كما يوردها الشماخي بسندها مايلى: «فسرنا معا الى بيت

الله الحرام، وأدركنا هناك اخواننا أهل عمان، ومعهم فقيهم الذي حج بهم ناجية بن ناجية، فحججنا حجة لم يحجها أحد قبلنا ولا بعدنا من أهل المغرب، فكلما نزلت به مسالة في مسكنه أو غيره يجد واحدا من الفقهاء الثلاثة فيسأله فيجد عنده الشفاء. ورجعنا وأبو يعقوب راض مرضي عنه»^(١٠٥).

وان كنا لانعرف عن الفقيه ناجية بن ناجية شيئا، ولا عما كان بين الوفيدين من المحاورات ومع ذلك فاننا على يقين من انه تم بينهما خير كثير، أهمه تبادل كثير من الكتب والتعرف على كثير من الاخبار، وهذا شأن جميع اللقاءات في موسم الحج وفي غيره من المناسبات والاماكن.

القرن السابع الهجري / الثالث عشر للميلاد:

وتستمر الأحوال على ما هي عليه هنا وهناك في القرن السابع الهجري، وتدرج وأرجلان نحو الافول، ولا نعلم في هذا القرن عن العلاقة بين الطرفين سوى خبر واحد كان له بعيد الأثر في تدوين سير الاباضية بالمغرب وربطها بأصالتها المشرقية في نشأتها الأولى، والخبر يتمثل في سبب تأليف كتاب طبقات الدرجيني، إذ لم يكن في نية الرجل أن يكتب كتابا في السير، لولا ما من الله به عليه من توفر المصادر وترشيح أهل جربه له نزولا عند رغبة اخوانهم من أهل عمان، وقد جاءت قصة الكتاب، عند البرادي حيث قال في جواهره: «ذكر لي بعض العزابة أن سبب تأليف أبي العباس هذا الكتاب، لما وصل الحاج عيسى بن زكريا من بلاد عمان بما معه من الكتب كحل ابن صاف، وجامع الشيخ أبي الحسن، وجامع ابن جعفر»^(١٠٦). وغيره، فكان مما رغب اليه فيه اخوانه أن قالوا له: وجهوا لنا كتابا يتضمن سير أوائلنا ومناقب أسلافنا من أهل المغرب، من لدن وقع فيه مذهبنا الى هلم جرا، فانه قد عميت علينا أنباؤهم وغابت عنا آثارهم من بعد الشقة، وعظم المشقة، فشاور من بجرة يومئذ من العزابة والفقهاء، ومن يشار بالبلدان اليه من الحذاق والنبيهاء، وقرر طلبه اخوانهم اليهم، ووصف لهم الكتاب المشروط عليهم فنظروا.. فلم يروا لهذا التصنيف غير أبي العباس «الدرجيني» فعندنا طلبه الحاج المذكور وهو السائل الذي وجبت طاعته»^(١٠٧).

ويصعب تحديد أسماء مشايخ عمان في هذه الفترة لانها غير محددة، خاصة واننا لانعرف عن الحاج عيسى بن زكريا شيئا سوى اننا نستنتج من السياق انه من جزيرة جربة، وأنه ليس من العلماء، وانما من المشجعين على نشر العلم، إذ تحمل عبء هذه المسؤولية كاملا، والراجع أن الامر كان زمن الشيوخ اللذين ملأ القرن السابع الهجري في جزيرة جربة، وهما صالح بن نجم المفاوي، وأبو محمد عبدالله الصديغاني^(١٠٨). وبعد استشارة هذين الشيوخ ومن معهما من أهل العلم بالجزيرة، وقع الاختيار على أبي العباس أحمد الدرجيني، وهو من الذين درسوا بالجزيرة، فلم يكن من الحاج عيسى المذكور الا أن أوصل له ماتوفر لديه مما جاء به من عمان، ومما جمع لهذا الغرض من جربة لانجاز الكتاب.

وفعلا فقد كان وما يزال كتاب طبقات الدرجيني جامعا لسير مشايخ الاباضية، ولا يستطيع أن يستغني عنه باحث في هذا المضمار، وقد جاء الكتاب في لغة أدبية راقية خلصت مآعرفه كتاب السيرة وأخبار الائمة لابي زكريا يحيى ابن ابي بكر الوراجلاني (ق ١٢هـ / ١٢ م) من رطانة في الاسلوب، وأضاف اليه اضافات حميدة. وهذه صورة أخرى من صور التعاون الثقافي بين اباضية عمان واباضية المغرب،

رغبة منهم في الحفاظ على سير السلف لأن فيها عبر لمن يريد أن يعتبر، وبذلك دونت أخبار جاءت معبرة عن مسيرة أمة. وما أخال أنه اللقاء الوحيد بين الطرفين طيلة القرن السابع الهجري، ولكن ذلك ماجاءت به النصوص.

القرن الثامن الهجري / الرابع عشر للميلاد:

وفي بداية الثلث الثاني من القرن الثامن وبالضبط في ٢٧ ذي القعدة ٧٣١هـ / ١ سبتمبر ١٣٣١م حل بعمان الرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة ليذكر غرائب ما لاحظته من أحداث، وقد أورد السالمي في تحفة الاعيان خبر الرحلة مع تعليقات، أبرزها تعبيره عن أسفه لووصل ابن بطوطة الى عمان في هذه المرحلة التي سيطر فيها الجور إذ يقول: «وكان قدومه على عمان في أيام بني نبهان فذكر عنهم غير الجميل، وليته دخلها أيام الائمة العادلين حتى يرى غير ما رأى وينظر السيرة النبوية والحق الواضح ومكارم الاخلاق ومعالي الصفات ومقامات الكمال وعواطف الاحسان والافضل»^(١٠٩).

ولا أراني مضطرا بأن أحلل ماورد في الرحلة لانه يبعد عن وجهة موضوعنا في الحديث عن الرابطة الاباضية، واكتفى بذكر المحاضرة التي القاها الاستاذ عبدالهادي التازي بعمان سنة ١٩٧٨م بعنوان «الصلات التاريخية بين المغرب وعمان» (ويقصد المغرب الأقصى بالخصوص)، وان كان لنا عليها بعض التحفظ لما جاء فيها من المبالغات في بعض الاحيان^(١١٠).

وفي النصف الثاني من هذا القرن يهتم الشيخ أبو القاسم البرادي باحصاء تأليف الاباضية، ويثبت بذلك ثراء المحيط المغربي بالكتب العمانية والمشرقية عامة، ومما جاء ذكره من كتب في هذه الرسالة بعنوان: «ومن ذلك تاليف أصحابنا المشاركة»:

كتاب المسند وهو حديث الربيع، وجامع الشيخ أبي الحسن وهو من جملة الكتب التي وصل بها الشيخ أبو موسى عيسى بن زكريا البراسني من عمان الى الجزيرة^(١١١)، يقصد جزيرة جربة، وكتاب الدعائم الاصل، ويعلق عليه قائلا: ذكر لي بعض اصحابنا العمانيين بمكة شرفها الله سنة خمس وسبعين مما شاهد أن عدة القصائد المثبتة عندهم في هذا الكتاب بعمان، فيبقى حينئذ ما في أيدينا^(١١٢).

كما يذكر كتابا آخر قائلا عنه: «ويذكرون من تأليف أهل العصر عندهم كتابا يعرف بكشف الغمة في اختلاف الامة، لم ير لاهل الدعوة مثله في فنه، وكنت كلقت بعض اصحابنا من مكة على استنساخه فأتى به من قابل، فلم يصادف هناك من له اهتبال بشيء فطلب المحتمل أجرت فلم يجدها، فرده من هناك، فلا قوة الا بالله...».

واضح ان هذه الرسالة من الاهمية بمكان في تحديد العلاقة بين أهل المغرب وأهل عمان وأهل المشرق عامة، ذاك أنها تثبت أن المحاورة مستمرة بين الطرفين، والكل ينتمي الى مدرسة واحدة، ويسعى الى اثرائها بتوفير الكتاب أو تأليفه أو شرحه أو اتمامه ان لم يتمه صاحبه.

وتتجلى شفافية البرادي المؤرخ إذ حاول بقدر الامكان التعريف بكل ماوقع بين يديه من التأليف مميزا تمييز تصنيف وترتيب بين تأليف أهل المشرق وأهل جبل نفوسه وأهل المغرب، وهذا وضوح منهجي في العرض يسهل الامر لدى القاري، وفي كل ذلك يذكر بكل موضوعية ما عارف اسمه من هذه الكتب ولم يقف عليه، وما وقف عليه.

ونراه يأسف شديد الاسف لعدم وصول كتاب كشف الغمة رغم تكليف العمانيين بارساله له في موسم الحج لسنة ٧٧٦هـ / ١٣٧٥م إذ حج هو سنة

٧٧٥هـ / ١٣٧٤م، ونحن نعلم من المخطوطة البارونية لهذا الكتاب انه وصل فيما بعد الى جربة وقد خط في أوله مايلي: «ثم أن هذا الكتاب الذي هو كشف الغمة من تأليف المتأخرين من أصحابنا أهل عمان يعنينا فيه اليهم من مكة شرفها الله سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٤م وقد تعلقت به قلوبنا»^(١١٣).

ومن ذكر عنوان الكتاب نتبين أنه غير كتاب سرحان بن سعيد الأزكوي الموسوم بكتاب كشف الغمة الجامعة لأخبار الامة (ق ١٢هـ / ١٨م)، ويظهر انهما يتفقان في الموضوع اذ جاء قسم كبير من كتاب الأزكوي مفصلاً الحديث عن اختلاف الامة، ولاشك انه استقى من الاول. ويبقى افتراضنا هذا محل نظر نقره الدراسة المقارنة أو تنفيه. والحقيقة التي لا ينبغي أن نغفل عنها هنا، هي ضرورة اقامة دراسة مقارنة دقيقة بين التأليف الشرقية والمغربية لتبين ما بينهما من تكامل، لانها كلها تقوم على أسس دينية واحدة.

القرنين التاسع والعاشر للهجرة / الخامس عشر والسادس عشر للميلاد:

وهناك سكوت مطلق فيما نعلم عن العلاقات في القرن التاسع للهجرة، لتطالعنا قصيدة مهمة في القرن العاشر من نظم الشاعر العماني محمد بن عبدالله الأغبري تضم أربعة وثمانين بيتاً أرسلها تحية الى أهل المغرب في جربة وجبل نفوسة وأرجلان ووادي ميزاب، يذكر فيها بعض المواطن وبعض العلماء، وهي تدل على اطلاع واسع على أحوال المغرب، وقرى الاباضية بها، ونرجح أن الرجل على اطلاع واسع على كتب السير، أو أنه تمكن من زيارة هذه الربوع لانه يذكرها ذكر عارف خبير، ولعل زيارته كانت لجبل نفوسة لانه أطنب فيها المقال بينما اختصر البقية. وتعتبر هذه المنظومة وثيقة تاريخية^(١١٤). هامة للتعرف على مدى اطلاع أهل عمان على سير أهل المغرب، وحبهم الجم لهم، وودنا لو أن هذا الناظم عرج على بعض شيوخ عمان في تلك الفترة، وعبر عن شوقهم لأهل المغرب، وصلتهم بهم. وفي نفس القرن سنة ٩٧٣هـ / ١٥٦٦م يكتب الشيخ عبدالله بن عمر بن زياد بن أحمد البهلوي العماني بمخمس^(١١٥). يضم اثنين وسبعين ومائتي بيت لأخوانه من أهل المغرب، تحدث فيها عن أشياء كثيرة منها:

ذكر فضل الاباضية وعلمائهم الاول بالشرق والمغرب مع التنويه بخصالهم، وذكر لميزات المذهب الاباضي بالمقارنة مع المذاهب الاخرى مع تحديد بعض المسائل الخلافية في الاصول والفروع.

ومع أن المخمس يبدو مهمل للغة في بعض الاحيان الا أنه جاء معبراً عن رغبة صاحبه في تثبيت أهل المغرب على المذهب، وذلك بالتذكير بتاريخه المجيد، ويتعاون أئمة على ارساء أسسه الجوهرية والاصولية والفقهية على قواعد قرآنية وسنية ثابتة لايزعزعها الزمن، وتبدو نفحة الرجل مخلصة أشد الاخلاص في السوفاء للرعيل الاول من أئمة المذهب في المشرق والمغرب.

القرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر للميلاد:

ونصل الى القرن الحادي عشر للهجرة حيث تنتهي دولة بني نهان الثانية لنقوم مقامها امامة اليعاربة العادلة، فتهتز لها جنبات المغرب، ويسعفنا القدر بالعثور على نسخة من الرسالة التي بعث بها أهل المغرب مهئين اخوتهم العمانيين بنصب الامام ناصر بن مرشد اليعربي (١٠٢٤ - ١٠٥٠هـ / ١٦١٦ - ١٦٤١م)^(١١٦). وقد أرسل

هذه الرسالة الى عمان العالم المغربي ابراهيم بن عبدالله الشماخي اليفرنى الاباضي. ونقتطف من هذه الرسالة شيئا من المحور المعبر عن المحبة والشوق اذ يقول صاحبها في هذا الصدد:

«فاهزمت نحوكم أعطافنا، وتحركت بذكركم أطياننا، وهامت للاقاكم أرواحنا، فكيف لا وقد قال الله سبحانه وتعالى: (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) (١٩ مريم ٩٦). وقال عليه السلام: (المتحابون في الله على منابر مسك في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله). وقال: (من أحب قوما فهو معهم يوم القيامة)، ومارسنا حديث مثل هذا الحديث. فلا جرم ان كانت أشواقنا اليكم تتبرح بتعاقب الايام، ومحبتنا اليكم تتأكد على مر الشهور والاعوام، وتتجدد مع الاناء والاحيان، بل لا يصفها لسان، ولا يفي بالتعبير عنها انسان، فحالت بيننا وبينكم السباسب والعجم، والمياه والاجم، والبحار اللجج، والرعاع الهمج، فالتقت علينا مخاوف مانعة، وعوائق عارضة، وعلائق ماسكة، ولو وجدنا سبيلا الى تهنيتكم بالولاية المرورة، والنعمة المشكورة، والمنحة المغيوطة لاسرعنا طائرنا بلا اقدام، ولا ستغفينا بمشاهدة الكرام، ونقول لعل الزمان يكشف القناع عن وجه جميل فسرقل في اكرامكم، ونشر ديننا بفضلكم وانعامكم، وتتمتع الارواح حيث العز مضروب، وقائم منصوب». وان جاء سجع هذه الرسالة متكلفا فانها تبقى معبرة عن اعتزاز أهل المغرب بما يقع في عمان من أحداث.

وينشر العدل في عمان مع اليعاربة ويتولى الامامة بلعرب بن سلطان (١٠٩١ - ١١٠٤هـ/ ١٦٨١ - ١٦٩٣م) ويسير الله زيارة أحد المغاربة لهذه الربوع، ألا وهو الشيخ عمر بن سعيد بن محمد بن زكريا الجربي الاباضي، فيطرب لما رأى من ظهور العدل، وأجشاء السنن، وأمانة البدع، لكنه لاحظ أن الاهتمام بمجالس العلم قليل، فلم يكن منه الا اسداء النصيحة، وتحريض الامام على أن يولي موضوع العلم والتعلم أكبر اهتمام.

وقد نقل الشيخ السالمي هذه النصيحة في تحفة الاعيان^(١١٧)، وهي وثيقة تاريخية مهمة بينت اعجاب هذا المغربي بأحوال الاباضية في عمان، وذكرت بما لمدارس العلم من أثر طيب في الحفاظ على كيان الامة، مع ضرب المثل بسوفرة هذه المدارس في جربة رغم ضعف الاحوال، وضبطت أن عالم العصر بجربة هو الشيخ أبو زيد بن أحمد بن أبي سنة^(١١٨)، وعرفت بأهم أطوار بعض أهل نفوسة، وبعض أهل جربة، وبني مصعب وحرضت على اقامة مدارس علمية في كل حصن من حصون البلاد مع رعاية المعلمين والمتعلمين أحسن رعاية لانهم ذخّر الامة.

وفعلا يذكر السالمي انه كان لهذه النصيحة عظيم الاثر، وكانت منطلقا لنهضة علمية تولي أمرها الامام بنفسه في حصن جبرين، «فيقال انه خرج من هذه المدرسة.. خمسون عالما كلهم أهل اجتهاد وأهل افتاء بالرأي»^(١١٩)، كما أمر بالتعليم في جميع اطراف البلاد.

ويقض علينا ضيق الوقت أن نقف عند هذا الحد، رجاء أن تعود الى تحليل ماتوفر بين أيدينا من نصوص تسمح القرون اللاحقة، ونخص منها بالذكر ما بين القرن الثالث عشر والرابع عشر حيث ازدهرت المراسلة ازدهارا قويا مع قطب الأئمة الشيخ محمد اطفيش (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) وهذه المراسلات وحدها في حاجة الى بحث مستقل^(١٢٠).

الفصل الثاني

الحركة الثقافية والعلمية في عمان منذ ظهور الاسلام

ساهمت عمان في بناء صرح الحضارة الاسلامية طوال عصور التاريخ، وكان لها نشاط واضح ملموس في مختلف ألوان النشاط البشري في ميادين العلم والسياسة والاقتصاد، ولا ريب أن أبرز جوانب الحضارة الاسلامية العظيمة هو تدوين العلم، لأن هذا العمل الجليل حفظ للأمة الاسلامية فكرها، وكان عاملاً على ازدياد وعيها. والدارس للحضارة الانسانية بعامة يدرك أن الأمة الاسلامية بخاصة كانت ولا تزال في مقدمة الأمم اسهاماً في البحث العلمي والدليل على ذلك المؤلفات العلمية القيمة الكثيرة التي ألفها علماء المسلمين في جميع فنون العلم والمعرفة. ولقد كان لأهل عمان نصيب وافر فيما تركته الأمة الاسلامية من كنوز علمية، لأن العمانيين اهتموا بالتأليف في وقت مبكر جداً في العهد الاسلامي، بل من الحق أن نقول انهم أول من اعتنى بالتأليف في علوم الدين واللغة وفي مختلف أنواع العلوم والفنون والآداب، ونهضوا مع العلماء في سائر ديار الاسلام لارساء قواعد الحضارة الاسلامية الاصلية، ولتطوير تلك الحضارة التي غذت العالم أجمع وأمدت العالم كله بالعلم والمعرفة ووسائل النهوض بالحياة وبالفكر البشري وبالانسان عامة. انطلق العمانيون في الفكر والبحث، ولم تكن هناك حواجز جغرافية أو مذهبية بين العلماء العمانيين وبين سائر علماء ديار الاسلام، أو بينهم وبين هؤلاء الذين ينتمون

مخطوطة عمانية
(قاموس الشريعة)



الى بلاد غير اسلامية.

وان الباحث في التراث العماني ليجب من كثرة العلماء والباحثين والمؤلفين العمانيين، ومن كثرة المصادر التي يشيرون اليها سواء اكانت المصادر عمانية أو غير عمانية، فضلا عن استشهادهم دائما بالقرآن الكريم وبالأحاديث النبوية الشريفة. وقام العمانيون في البصرة في القرون الاولى للاسلام بدور بارز وأساسي بين علماء العالم الاسلامي من حيث الانتاج الفكري والاتصال بانحاء العالم الاسلامي. وقد شبهوا العلم «بطائر باض بالمدينة وفرخ بالبصرة وطار الى عمان»^(١).

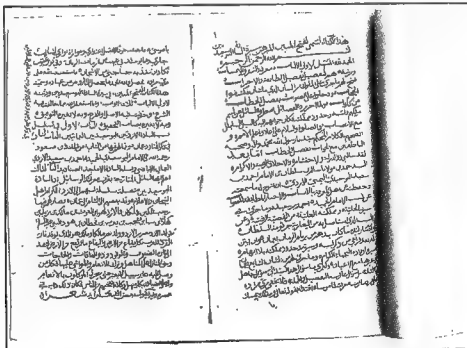
وتشير كتب المؤرخين والادباء وكتب الطبقات والتراجم الى كثير من علماء عمان وخطبائها وأدبائها الذين كتبوا وألفوا الكثير من الكتب التي لازال كثير منها باقيا حتى الآن. وقد شمل هذا التأليف ميادين كثيرة نخص منها ميدان الفقه والحديث، وميدان اللغة والادب، وميدان التاريخ والسير، وفي هذه المجالات ظهرت مدارس متميزة قامت بدور كبير في اثراء الفكر والعلم والثقافة في عمان وفي غير عمان من بلدان العالم الاسلامي.

مدرسة العلوم الدينية العمانية:

تدل الآثار الباقية عن علماء المسلمين منذ شروق شمس الاسلام حتى العصر الحديث دلالة قاطعة على أن العمانيين ألقوا في ميدان الفقه والحديث منذ القرن الاول الهجري (السابع الميلادي) مما يدل على أنهم كانوا سباقين في هذا الميدان، وعلى أن العلم كان راسخا في عمان منذ فجر الاسلام، وفيما يلي عرض سريع لأهم المدارس والمؤلفات العمانية عبر القرون المتعاقبة في هذا المجال:

ففي القرن الاول الهجري كانت صلة عمان العلمية بالمدينة المنورة قوية وكان معظم أهل المدينة من الأزد يتصلون بأزد عمان في الأنساب، ولذلك كانت العلاقات والصلات مستمرة بين البلدين، ونزح الى المدينة كثير من العمانيين ونعموا بصحبة

مخطوطة عمانية
[الفتح المبين في سيرة
السادة البوسيديين]



رسول الله صلى الله عليه وسلم. من هؤلاء الصحابة العمانيين صحار بن العباس البعدي الذي ذكره ابن النديم في كتابه الفهرست، وذكر أنه له صحبة وأنه روى ثلاثة أحاديث، كما ذكره ابن حجر في كتابه «الاصابة في تمييز الصحابة»، وقد دون صحار كتاباً في الأمثال ذكر ابن النديم أنه من الكتب الرائدة في فن الأمثال.

وفي النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ظهرت مدرسة جابر بن زيد الأزدي العماني، وكانت أول مدرسة نشطة قامت في البصرة حيث نزح إليها العمانيون وتلقوا العلم على يد شيخها الجليل وعادوا إلى بلادهم ينشرون العلم والمعرفة والفقه والدين. وقد ولد جابر بن زيد كما هو معروف قبيل نهاية خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين سنتي ١٨ و ٢٢ هـ (٦٣٩ و ٦٤٢ م) في بلدة فرق من ولاية نزوى في عمان. وجابر من ولد عمرو بن الحجد، وهي قبيلة من القبائل الأزدية البارزة في عمان، ومنها بنو خروص المشهورون في تاريخ عمان.

وكان جابر بن زيد يكنى بابنته (الشعفاء) التي لا يزال قبرها معروفاً في فرق إلى الآن. وتلقى جابر بن زيد بداية تعليمه في وطنه عمان، ثم رحل إلى البصرة للاستزادة من العلم والفقه، وكانت البصرة آنذاك إحدى المراكز العلمية الهامة في الدولة الإسلامية، كما كانت تتصل اتصالاً وثيقاً بعمان جغرافياً وثقافياً وبشريا منذ أن اختطها عتبة بن غزوان في عهد عمر بن الخطاب.

وجابر بن زيد كما أشرنا من كبار التابعين، وكان عبدالله بن العباس - أو البحر - من أعظم أساتذة جابر، وكان يفخر بتلميذه الذي تعمق في دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الشريعة الإسلامية. كذلك أخذ جابر العلم عن السيدة عائشة أم المؤمنين، وعن أنس بن مالك، وعن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعن غيرهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبالرغم من أن أبا الشعفاء قضى حياته العلمية في البصرة وفي عصر سلطان الأمويين، وحيث كانت يد الحجاج تبطش بكل مناوئء لسياسة الدولة، إلا أنه التزم برسائلته الدينية العلمية، وكان يحض تلاميذه على قيام الإمامة العادلة المبنية على الأصول الإسلامية. وألف جابر موسوعته العلمية النفيسة التي عرفت باسم الديوان أو «ديوان جابر» وذلك في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وقيل أن عبداً ملك بن مروان وبنوه استولوا على «ديوان جابر» وحرموا دراسته ونشره بين الناس، وروى أن العباسيين حرموا على الناس استنساخه^(١)، وكان هذا الديوان كبير الحجم، وقد سجل فيه جابر ماسمعه من الصحابة من أحاديث نبوية شريفة ودون فيه آراءه في التفسير والفقه.

وفي فترة نفى الحجاج بن يوسف، الإمام أبا الشعفاء إلى وطنه عمان، ولا ننتبين من المصادر متى نفى الإمام جابر إلى عمان ومتى عاد إلى البصرة. وتوفي جابر بن زيد في البصرة في سنة ٩٣ هـ (٧١١ م) بعد أن انتفع بعلمه الكثيرون الذين حملوا رسالته من بعده^(٢)، وعادوا إلى أوطانهم منهم الطلبة العمانيون الذين كانوا قد هاجروا إلى البصرة للالتحاق بمدرسته أو للانضمام إلى مجالس علمه، فنهلوا من علومه ورجعوا إلى بلادهم عملاً بقروله تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾، صدق الله العظيم، حيث كان عملهم وسيرهم تنطبق عليه هذه الآية الكريمة، فقد عادوا إلى عمان لنشر العلم وتدريسه فيها فجاءوا

بلينة العلم وشيدوا صروح المعرفة، أولهم العلامة بشير بن المنذر النزوي من عقر نزوى ويلقب بالشيخ الكبير وهو من بني نافع، من سامه بن لؤي القرتيني وهو جد بني زياد الموجودين بعمان، والثاني المنذر بن النضر الجعلاني الريامي من بني حضرمي الريامي، والثالث موسى بن أبي جابر الأزكوي من بني ضبه نسبه أيضا من بني سامه بن لؤي، وكان على رأس العلماء الذين عقدوا البيعة للإمام الوارث بن كعب الخروصي، والرابع محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة ويكنى بأبي سفيان وهو من بني مخزوم قرشي عماني، والخامس محمد بن المعلل الكندي من أهل فسخ من وادي السحتن من أعمال الرستاق عرضوا عليه بيعة الإمامة فأبى تغففا.

ولم يكن صحار العيدي أو جابر بن زيد هما العالمان الوحيدان اللذان كتبوا في الفقه في القرن الأول للهجرة إنما كان هناك في ذلك القرن من العمانيين من كتب أيضا في علوم الفقه والدين. فقد ألف سالم بن زكوان الهلالي رسالة سجل فيها آراءه في الولاية وفي كثير من المسائل الفقهية، وكان سالم بن زكوان الهلالي من تلاميذ جابر ومن العلماء الثقة المجتهدين.

وإذا انتقلنا إلى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي نجد العديد من العلماء العمانيين الذين برزوا في مجال الحديث والفقه واللفظة، نذكر منهم على سبيل المثال الربيع بن حبيب الفراهيدي الأزدي العماني البصري.

وكان الربيع من منطقة الباطنة من عمان ثم خرج إلى البصرة لطلب العلم، وكانت البصرة آنذاك عمانية برجالها الأفاضل العلماء. وكان الربيع شابا حين التقى بالإمام أبي الشعثاء جابر بن زيد، وكان يقول: أخذت الفقه من ثلاثة: «أبي عبيدة وأبي نوح وضمام بن السائب الأزدي العماني».

وقضى الربيع بن حبيب معظم حياته في البصرة طالبا للعلم ثم معلما له، وعاد في أخريات حياته إلى وطنه في عمان. وقد عكف الإمام الربيع بن حبيب على كتابة مسنده في البصرة. وكانت وفاته في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري^(٥)، وبالتحديد في عام ١٧٠ هـ/ ٧٨٦ م، أما كتابه الجامع الصحيح فقد نشر مرات عديدة أحداها في مدينة القدس في سنة ١٢٨١ هـ (١٩٦١ م). وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة مخطوطة «مسند الربيع» تحت رقم ٢١٥٨٢ ب. وقد رتب الجامع الصحيح، أبويعقوب يوسف بن إبراهيم السورجلاني^(٦) وهو من علماء شمال إفريقيا في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). ثم قام على شرحه في العصر الحديث العلامة نورالدين السالمي، ويعتبر هذا الكتاب عمدة أهل المذهب الإباضي في الحديث النبوي الشريف.

ومن علماء القرن الثاني الهجري كذلك أبوصفهر عبد الملك بن أبي صفهر، وقد ألف كتابا من الكتب الجامعة المعروفة هو «جامع أبي صفهر» ويحتوي هذا الجامع على أحاديث تتأكد على الإمام التابعي جابر بن زيد، وقد كانت رواية أبي صفهر عن شيخه الربيع بن حبيب عن ضمام بن السائب عن جابر بن زيد.

وكان أبوصفهر هذا ضمن مدرسة علمية فقهية نمت في صحار ترأسها الشيخ العلامة محبوب بن الرحيل وهو أحد حملة العلم إلى عمان ممن سبقت الإشارة إليهم، وقد تهافت إلى مدرسة محبوب الطلاب من أنحاء عمان لتلقي العلم على يديه، وكثر تلاميذه وانتشروا في داخل عمان، منهم ابنه محبر ومحمد، وأبوصفهر عبد الملك بن صفهر الذي تحدثنا عنه، وموسى بن علي، وعزان بن الصقر وحفيده عبدالله ابن محمد بن محبوب، وأبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي وأصبح هؤلاء كلهم من كبار

العلماء رحمة الله عليهم جميعا وغيرهم الكثير ممن لم يذكرهم التاريخ على التفصيل. وإذا انتقلنا الى القرن الثالث للهجرة نجد ازدهارا للفقه ومدارسه في عمان، فقد ظهرت في هذا القرن مدرسة العلامة موسى بن أبي جابر بمدينة ازكي، حيث زخرت هذه المدينة بالعلم والعلماء، وتخرج منها علماء أجلاء من بلدتي نزوى وسيجا، منهم العلامة بن غيلان السيجاني وسليمان بن عثمان العقري النزوي وغيرهم من العلماء، كما ظهرت مؤلفات عديدة في الفقه والدين، نذكر منها على سبيل المثال.

أ - الكتاب الذي ألفه الشيخ موسى بن علي ويسمى «جامع أبي علي في الفقه» وهو يقع في مجلدين، ويعد من كتب الفقه المعتمدة.

ب - ونذكر كتابا في أصول الفقه ألفه الشيخ محمد بن محبوب الرحيلي في سبعين جزءا، وقد ذكره وأشاد به أبو القاسم البرادي في كتابه «الجواهر» وكان البرادي من علماء القرن الثامن الهجري وقال انه وقف على جزء واحد من كتاب الشيخ الرحيلي في الأصول والفقه وأثنى عليه.

ج - ثم نذكر الكتب التي ألفها الشيخ بشير بن محمد بن محبوب وهي أربعة كتب على النحو التالي:

١ - الخزانة وهو في سبعين مجلدا.

٢ - المحاربة.

٣ - كتاب في التوحيد.

٤ - البستان.

وهي كتب قيمة في الفقه والعقيدة.

د - ومن علماء القرن الثالث - كذلك - الشيخ أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي وله كتابان مشهوران أحدهما في الفقه والآخر في التاريخ، أما كتابه في الفقه فيسمى البيان والبرهان، وهو كتاب قيم في الفقه وواضح من عنوانه أن المؤلف يناقش مسائل الفقه بالشرح والتوضيح والاستدلال.

هـ - ومن علماء القرن الثالث الهجري أيضا الشيخ أبو الازهر بن محمد بن جعفر الأزكوي، وله كتاب جليل معروف بجامع ابن جعفر وهو كتاب قيم شامل متعدد الأجزاء، وقد طبعت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان الطبعة الاولى منه في ثلاثة أجزاء.

ز - ومن علماء القرن الثالث الهجري - كذلك - أبو الحواري ونذكر من مؤلفاته الكتب التالية:

١ - جامع أبي الحواري، ويقع في مجلدين كبيرين، وهو مطبوع الآن في خمسة مجلدات.

٢ - الدراية في تفسير خمسمائة آية، وهو كتاب مطبوع الآن وهو تفسير لخمسمائة آية في الأحكام.

٣ - رسالة أجاب فيها بأباضية حضرموت على مسائل في الفقه.

٤ - وله كتاب في الفقه، غير أنه مفقود، وليس في متناول الدارسين.

ح - كما ظهر التأليف الجماعي في هذه الفترة، مما يدل على أن العمانيين هم أول من قام بتأليف الموسوعات تأليفا جماعيا، وكان ذلك في عهد الامام غسان بن عبدالله (١٩٢ - ٢٠٧هـ / ٨٠٨ - ٨٢٢م) أي أن العمانيين كانوا سباقيين في فن التأليف الجماعي. وأفضل مثال للتأليف الجماعي كتاب الاشياخ الذي ألفه عدد من مشايخ العلم اثناء اقامتهم في معسكر المسلمين في دما (السيب حاليا) وهو كتاب يقع في عدة

مجلدات ضاع بعضها، وبقي البعض الآخر وهو على غرار الموسوعات التي تُولف في العصر الحديث.

وإذا انتقلنا إلى القرن الرابع للهجرة نجد العديد من المدارس العلمية والفقهية في عمان، منها مدرسة الضرح بمدينة بهلا وكانت مدرسة عامرة بالعلم والعلماء أنشأها العلامة أبو محمد عبدالله بن محمد بن بركة السليم البهلوي وأنفق عليها من خالص ماله وتخرج منها أجل علماء عمان في ذلك العصر، منهم أبو الحسن البسيوي ومن طلبة المغاربة أربعون عالماً وفقياً. وكان من أساتذة ابن بركة علماء فطاحل منهم أبو مالك غسان بن محمد بن الخضر الصلاني وأبو مروان سليمان بن محمد بن حبيب والإمام سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب، مما يدل على أن مدارس العلم كانت متصلة. وأزاء هذا النشاط العلمي المكثف فقد ازدهرت المكتبة العمانية وواصلت تزويدها للمكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب القيمة في الفقه والمعاملات والفتاوي والأحكام، وكانت مؤلفات ابن بركة على رأس هذه الكتب، وهي:

- ١ - الجامع في أصول الفقه وفروعه وهو كتاب في مجلدين من أهم الكتب المتخصصة في علم الفقه وقد طبع مرات عديدة.
- ٢ - التقييد وقد قيد فيه ماسمعه من شيخه أبي مالك الصلاني، ويتضمن تعريفاً لمبادئ الأمم المختلفة وفلسفاتها.
- ٣ - التعارف وهو كتاب في المعاملات وقد شرح فيه ماتعارف عليه الناس في التعامل.
- ٤ - شرح كتاب الجامع لابن جعفر.
- ٥ - كتاب الموازنة.
- ٦ - كتاب المفصلات.
- ٧ - كتاب منثورة أبي محمد.
- ٨ - كتاب الاقليد.

وقد اغتنت المكتبة العمانية أيضاً بمؤلفات عالم آخر هو الشيخ أبو سعيد محمد بن سعيد الكدسي الناعبي الذي ألف كتباً كثيرة منها:

- ١ - كتاب الاستقامة في الولاية والبراءة وهو كتاب مطبوع.
- ٢ - كتاب المعترف في الفقه وهو كتاب يقع في تسعة أجزاء ويعد موسوعة في الفقه، ومما يؤسف له أنه لم يتبق إلا جزءان فقط من هذا الكتاب الموسوعي القيم بعد أن ضاعت منه سبعة أجزاء، وقد طبعت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ما بقي من هذا الكتاب.
- ٣ - كتاب الجامع المفيد وهو مجموعة فتاوي في مجلدين، وقد قامت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان بطبعه كذلك في أربعة مجلدات.
- ٤ - كتاب زيادات الأشراف وهو كتاب مخطوط يقع في أربعة مجلدات تعقب المؤلف فيه كتاب الأشراف لابن المنذر النيسابوري، وهو من أمهات الكتب القيمة في موضوعه. وكان العلامة أبي سعيد الكدسي عالماً كبيراً ومدرسة كانت تفتح أبوابها لتلقي طلبة العلم وتدرسه وتأليفه وقد ناقش بنظره الشاقب قضية الخلافات والآراء المتضاربة حول إمامة راشد بن النضر وعزل الإمام الصلت بن مالك، وما نتج عن ذلك من انقسام الناس إلى طائفتين نزوانية ورستاقية، واستطاع الإمام أبو سعيد بحكم آرائه أن يقف أمام الطائفتين وأن يسوي ما بينهما من خلافات وأن يقضي على هذا النزاع، مما يدل على آرائه ثبوت قدمه على صرح العلم وعلى سياسته المقتنة التي

ناقشت تلك النزعة التي مضت عليها فترة من الزمن والناس في صراع مرير، وقد عالج هذه المسألة في كتاب ألفه يسمى كتاب الاستقامة فانسد باب الفتنة بين الفرقتين الرستاقية والزوانية.

ومن علماء تلك الفترة أيضا أبو قحطان بن خالد بن قحطان الهجاري الذي ألف كتابا في أصول الدين والفقه ويقع هذا الكتاب في مجلدين واسمه «الجامع في أصول الدين والفقه»، وهو من الكتب المشهورة المعتمدة في هذا الموضوع. وإذا انتقلنا إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي نجده زاخرا - كذلك - بالعلماء النابھين الذين كانت لهم مدارسهم الفقهية وقدموا للمكتبة العمانية وللدراسات الاسلامية العديد من الكتب القيمة، ومن أشهر هؤلاء العلماء:

أبو الحسن البسيوي، وقد ألف الكتب التالية:

١ - جامع أبي الحسن البسيوي، وهو في أربعة أجزاء وهو من الكتب التي طبعتها وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان وهو على طريقة جامع أبي محمد في الأصول والقواعد.

٢ - مختصر البسيوي وقد طبعته وزارة التراث أيضا.

٣ - سيوغ النعم وهو مازال مخطوطا.

٤ - كتاب المقتصد في الاديان والاحكام.

٥ - كتاب السيرة الكبيرة.

٦ - وله رسائل أخرى صغيرة عديدة.

أبو زكريا يحيى بن سعيد:

وقد ألف كتاب الايضاح في أحكام القضاء وهو من الكتب القيمة المعتمدة في احكام القضاء، وقد طبعته وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان في أربعة مجلدات.

نجاح بن ابراهيم المنحى، وله الكتب التالية:

١ - حقائق الالة في خمسة أجزاء.

٢ - الارشاد.

٣ - الحوالة.

٤ - كتاب السيرة.

سعيد بن قريش:

وله كتاب الايضاح وهو يقع في ثلاثة مجلدات.

محمد بن ابراهيم الكندي، وله ثلاثة كتب هي:

١ - بيان الشرع وهو مؤلف كبير يقع في اثنين وسبعين جزءا في علم الكلام وعلوم الشريعة فهو موسوعة شاملة تضم اقوال العلماء المتقدمين في هذه العلوم الشرعية، وقد نقل الكندي هذه الاقوال بدقة وأمانة، وقدمها في كتابه الموسوعي القيم ليزود المكتبة العمانية والاسلامية بمصدر قيم لا غنى عنه للدارسين، وقد طبعته وزارة التراث القومي والثقافة.

٢ - العبيرة، وهي قصيدة شعرية طويلة في الزهد والمواعظ، ووصف الجنة والترغيب اليها، وقد شرح هذه القصيدة محمد بن يوسف اطفيش.

٣ - كتاب النعمة، وهو أرجوزة.

وقد كان العلامة محمد بن ابراهيم الكندي تلميذاً في مدرسة علمية فقهية كبيرة ازدهرت في أيامه هي مدرسة أبي علي الحسن بن أحمد بن محمد النزوي من أهل العقر، وكان هذا العالم الكبير من أهل الغنى واليسار، وأشهر من تخرج من مدرسة ذلك العالم الذي أشرنا اليه وغيره من العلماء الذين ازدهر بهم عصره. وبجوار هذه المدرسة كانت هناك مدرسة أخرى هي مدرسة الشيخ صالح بن وضاح مؤلف كتاب البصرة. وقد تخرج على يد هذا العلامة كثير من العلماء الأجلاء، منهم العلامة الكبير محمد بن علي بن عبد الباقي العقري النزوي، والعلامة أحمد بن خليل السيجاني مؤلف كتاب الايجاز وغيرهم من الفقهاء الاعلام الذين صرفوا مهتهم الى التأليف المتعددة، وتحملوا القضاء في عصرهم.

وفي القرن الخامس للهجرة وجدت مدرسة ثالثة هي مدرسة ابي علي قاضي الامام الخليل بن شاذان الذي تولى حكم عمان حوالي عام ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م. أنشأ أبو علي القاضي مدرسة للعلم والتعليم بمحلة العقر من نزوى وكانت هذه المدرسة تغص بالطلبة والدارسين، وكان عالماً زاهداً، وقد تقدم اليه بعض الطلبة بمعونة مالية فلم يقبل منهم معونتهم، وقد تخرج الكثير من هذه المدرسة من الفقهاء والعلماء والقضاة وذلك في عصر الخليل بن شاذان.

ولم ينقطع ظهور مدارس العلم والفقه في عمان بعد القرن الخامس للهجرة، اذ ظهر فيها علماء عديدون في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، كانت لهم مدارسهم، وكان لهم طلابهم ومريدوهم، وكانت لهم مؤلفاتهم العديدة، وأشهر هؤلاء العلماء:

محمد بن موسى الكندي:

وقد ألف كتاباً اسمه «الكفاية» ويقع في واحد وخمسين مجلداً غير أن الكتاب مفقود، كما أن له كتاباً آخر في الزهد والوعظ اسمه «جلاء البصائر».

أحمد بن عبدالله الكندي، وله الكتب التالية:

- ١ - المصنف وهو في اثنين وأربعين مجلداً، وقد قامت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان بطبعه.
- ٢ - الجوهري المختصر في علم المنطق والفلسفة.
- ٣ - التخصيص في الولاية والبراءة.
- ٤ - التسهيل في الفرائض.
- ٥ - الاهتداء في الأحداث التي وقعت بعمان.
- ٦ - التيسير في النحو.
- ٧ - الذخيرة في علم الكلام.
- ٨ - وله رسائل أخرى في فنون متنوعة، مما يدل على استمرار العطاء وعلى غنى المكتبة العمانية.

وإذا انتقلنا الى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي نجده زاخراً أيضاً بالعديد من العلماء العمانيين الذين زودوا المكتبة العمانية والإسلامية بكثير من المؤلفات القيمة ومن أبرز هؤلاء العلماء:

عثمان بن عبدالله الأصم، وله الكتب التالية:

- ١ - الناج وهو كتاب قيم في الفقه يقع في واحد وخمسين جزءاً، ومما يؤسف له أن

الكتاب مفقود.

٢ - النور في علم التوحيد.

٣ - البصيرة وهو كتاب في العبادات والمعاملات.

٤ - كتاب الأحكام.

٥ - كتاب الآثار في الأصول.

محمد بن سعيد القلھاتي:

وله كتاب الكشف والبيان ويقع في مجلدين وهو مطبوع.

وقد توالى ظهور مدارس الفقه وعلوم الدين الأخرى في عمان بعد القرن السابع للهجرة وحتى الوقت الحاضر، وأشهر هذه المدارس مدرسة الدولة اليعربية التي نشأت في حصن جبرين أيام الامام بلعرب بن سلطان اليعربي في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر للميلاد وتخرج من هذه المدرسة أكثر علماء عصرهم يومئذ، وعلى رأسهم العلامة خلف بن سنان الغافري، والعلامة محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان، والشاعر الأديب الحبسي راشد بن خميس. وإذا قلنا أن عصر هذه المدرسة في دولة اليعاربة يعد الجوهرة النفيسة في تاج هذه الدولة بعد الامام ناصر بن مرشد فلا نكون مبالغين، وخاصة أن أشار هذه المدرسة لاتزال قائمة حتى الآن، وكانت تضم العشرات من الطلبة آنذاك لما كان عليه الناس من اقبال على العلم والتعليم.

وكذلك توالى ظهور هذا النوع من المدارس الفقهية والدينية في عهد الدولة البوسعيدية. ففي عهد هذه الدولة ظهرت مدرسة العلامة الضريع حبيب بن سالم بن محمد البوسعيد الذي كان قد طلب العلم في سن متقدمة، وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء والقضاة وكان ممن عقد الامامة للامام أحمد بن سعيد البوسعيد وكانت مدرسته بمحلة العقر في نزوى، وبجانب هذه المدرسة ظهرت مدرسة أخرى هي مدرسة العلامة أبي نيهان جاعد بن خميس بن مبارك الخليلي الخروصي، وقد خصص هذا العالم الكبير مسجده المعروف بمسجد الحشاه للتدريس لطلابه الذين كان ينفق عليهم لأنه كان غنيا موسرا، ومن ثم هاجر اليه الطلبة من البلدان والقرى ليتلقوا على يديه الدروس والعلوم المختلفة، وكان ينتقل أحيانا إلى القرى المجاورة لبلدته كالعلياء وبدي والغوابي، وتخرج الكثير من العلماء على يديه، وكان من أجل تلامذته ابنه العلامة ناصر بن أبي نيهان الذي عرف بعلمه وزهده، والشيخ العلامة سعيد بن محمد بن راشد بن بشير الخروصي، وحسن درويش الفلكي المشهور بعلم الفلك وهو من أسرة الشح، والشيخ الضريع منصور بن محمد بن نار بن خميس الخروصي شارح لامية ابن النظر في مناسك الحكم مما يدل على غزارة علمه وبلاغته في الفقه واللغة والأدب.

وإذا كان تلاميذ العلامة أبي نيهان بن جاعد بن خميس الخروصي هكذا كثيرون، فإن كتبه ومؤلفاته كانت أيضا كثيرة أغنت المكتبة العمانية وأثرت بها. وتشمل هذه المؤلفات كتباً هامة في مختلف العلوم والفنون، وهي كالآتي:

كتاب الدقائق وكتاب المساجد والمدارس وكتاب في البيوع وكتاب في الصوم والبيوع وايضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان ونزهة العقول في الرمل وأشكاله ومجموعة فقهية سؤال وجواب وشرح لقصيدته حياة المهج في السلوك وموسوعة فقهية من الاثر في الاصول ومسائل فقه الدين واحكامه وخلاصة النهج في مناسك

الحج وكتاب في الطهارة وكتاب سيرة ملوك الزمان مقتضى النصح والارشاد وكتاب مقاليد التنزيل لادراك حقائقه بالتأويل، وهو موسوعة تشتمل على الكثير من الأبواب، وهذا الكتاب يوجد بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة بخط يد المؤلف، وله أيضا كتب أخرى منها: كتاب في صناعة الكيمياء وكتاب في أحكام البهوت المحصنة وكتاب المغنايم في الخلاص من المظالم بخط يد المؤلف في مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي وكتاب في الطب وله قصائد مجموعة في كتاب نفائس العقبان في مجموعة اشعار أبي نيهان وكتاب في النحو وكتاب في الصرف وعلم الكلام.

وفي القرن الثالث عشر للهجرة/ التاسع عشر للميلاد ظهرت في عمان مدرسة فقهية علمية كبيرة هي مدرسة الشيخ ناصر بن أبي نيهان وذلك بعد حوادث جرت على قرية والده الشيخ أبي نيهان أحرقت فيها مكتبته القيمة ونهبت كتبه التي كان لا يقل عدد أسفارها عن ستة آلاف كتاب، ولم يعثر منها الا على القليل. وإزاء هذه الأوضاع وتلك الظروف عزم الشيخ ناصر بن أبي نيهان على الرحلة ليكون مقره بمسقط حيث أقام مدرسته هناك بدارسيت ثم بوشر، وهاجر اليه الطلبة وعرف عنه نشر العلم وبذله لأهله بجميع فنونه وأصنافه التي أتاه الله إياها أيام دولة السلطان سعيد بن سلطان، فخرج على يديه أجلة العلماء الفضلاء، منهم العلامة المحقق سعيد بن خلفان بن أحمد ابن صالح الخليفي، والسيد العلامة الضيرر مهنا بن خلفان بن محمد البوسعيدي، والشاعر المؤرخ الفقيه حميد بن محمد بن رزيق وكان صديقا له لا يفارقه، ولا شك أن كثر حملة العلم في زمانه وأيامه التي عاشها بمسقط، ثم رحل إلى زنجبار بمعية السلطان سعيد بن سلطان وقام هناك بالتدريس وانتفع الجم الغفير من علومه ومعارفه، ولم يلبث أن توفي بزنجبار في عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م. وكان هذا العالم الكبير وأقر العلم كوالده، وكان لذلك وأقر التأليف له كتب ومؤلفات كثيرة وعديدة منها:

كتاب حق اليقين وهو في خمسة أجزاء وكتاب الجواب وكتاب الاخلاص لنور العلم والخلاص (مكتبة محمد بن أحمد البوسعيدي)، كتاب نظم السلوك إلى ملك الملوك شرح الثائية لابن الفارض، كتاب فلك الأنوار ومحك الأشعار، كتاب مبدأ الأسفار، كتاب التهذيب، كتاب الكشف في علم الحرق، كتاب الصف المصفى، كتاب غاية المنى، كتاب المعارف في الزيارج، كتاب الرسائل المصونة في الأسرار المكنونة، كتاب الرسالة المكنونة في الأشكال المصونة، كتاب مستغرق الأشواق في علم الأوفاق، كتاب روضة العلوم في علم الحروف والنجوم، كتاب درة الآفاق في علم الحروف والأوفاق، كتاب نيل الاشراف على الحروف والأوفاق، كتاب عجائب الآفاق في غرائب الأوفاق، كتاب قبس الأنوار وجامع الأسرار، كتاب الكنز الباهر في شرح حروف الملك الظاهر، كتاب منتهى الكرامات في أسرار الرياضات، كتاب المعارف، كتاب رسالة الأوضاع، كتاب طرف اللطاف، كتاب السر الخفي في الشكل الألفي، كتاب السر العلي في خواص النبات بالتدبير السواحلي، كتاب السر المعظم، كتب التنبيه، كتاب رسالة الفوز، كتاب الرسالة المديدية، كتاب سلامة الحال.

وفي ذلك القرن توالى ظهور المدارس العلمية والفقهية، من ذلك مدرسة الشيخ العلامة سعيد بن خلفان الخليفي الذي ترك لنا ستة كتب من تأليفه، منها كتاب مقاليد الصرف وهو كتاب كبير في علم الصرف.

وقد درس بمدرسة هذا الشيخ المحقق كثير من حملة العلم، منهم الامام عزان بن قيس البوسعيدي، وابنه الشيخ أحمد بن سعيد، والشيخ جمعه بن خصيف الهنائي، والشيخ

راشد بن عزيز الخصيبي الذي أدرك الشيخ سعيد وابنه أحمد، وتلقى العلم في جامع سمائل الذي كان مدرسة العصر في أوانه، ولاشك أن سمائل لا تخل من العلماء الذين نشروا العلم والمعرفة في ربوع ملك المدينة وتخرج من مدرستها العلماء والفقهاء والأدباء. ومن أبرز المدارس الفقهية والعلمية في مطلع القرن الرابع عشر للهجرة مدرسة الشيخ نورالدين السالمي الذي صرف معظم وقته في بذل العلم والمعرفة حتى أصبح أستاذاً للأمة جميعاً، إذ وفد إليه أعداد كبيرة من الطلبة من مختلف أنحاء عمان بحثاً عن العلم والمعرفة فبذل جهده الأكبر في تأليف العلوم وتصنيفها، وتعليم الطلبة الذين نهلوا من بحر علمه وتخرج على يديه الكثير من فحول العلماء مما يبين أثر مدرسته الكبير رغم عمره القصير.

وقد ترك هذا العالم الجليل ذخيرة من الكتب والمؤلفات تزخر بها المكتبة العمانية، والتي غطت الكثير من مجالات العلوم كأصول الدين والفقه، والتاريخ واللغة العربية، ومن أبرز هذه المؤلفات:

مدارج الكمال ومعارج الآمال نظماً وشرحاً (١٨ مجلداً)، أنوار العقول في أصول الدين، بهجة الأنوار شرح أنوار العقول، مشارق الأنوار شرح أنوار العقول، شرح الجامع الصحيح (ثلاثة أجزاء)، جوهر النظام (نظماً في جزئين)، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (في جزئين)، المنهل الصافي في العروض والقوافي، تلقين الصبيان فيما يلزم الإنسان، بلوغ الأمل في النحو.

ومسك الختام في القرن الرابع عشر للهجرة مدرسة الامام محمد بن عبدالله الخليلي في نزوى، ونزوى هي المدرسة الكبرى التي تخرج منها أكثر من أربعين قاضياً غير الفقهاء والأدباء والكتاب والنساخ وحملة العلم، ومن الولايات التي أقيمت فيها المعاهد العلمية التي تأسست على هذه المدرسة بهلا والحمراء والرساتاق والعوابي ووادي المعاول ونخل وسمائل وإبراء والقابل وبديه والمضيبي وسناو.

وهكذا زخرت الدولتان العبرية والبوسعيدية بالوفاء من العلماء والمدارس والمؤلفات، ولم يكن مازكرناه هو كل مظهر في عصر هاتين الدولتين، فهناك الكثير



والكثير مما لم نذكره خوف التطويل، من ذلك على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر: الإيجاز في الفقه ومؤلفه أحمد بن خليل السيجاني، وكتاب مفتاح الشريعة في الفقه ومؤلفه محمد بن إبراهيم الشجبي، وكتاب مراهق القلوب في مناجاة المحبوب ومؤلفه محمد بن إبراهيم الشجبي الكندي كذلك وهو كتاب في المواعظ، وكتاب مصباح الظلام للرقيشي، وكتاب الحل والاصابة لابن وصاف، وكتاب منهج الطالبين للشيخ الشقمي في واحد وعشرين مجلدا، وقد طبعته وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، وكتاب جواهر الآثار للشيخ جمعه بن علي الصائفي ويقع في أربعة عشر مجلدا من الحجم الكبير، وكتاب قساموس الشريعة ويقع في اثنين وتسعين جزءا، وتقوم - حاليا وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان بطبعه ليستفيد الدارسون منه، وكتاب الدعائم للشيخ أحمد بن النظر الذي ألف كتابا في التوحيد والفقه والتاريخ والآداب غير أن الكتب تعرضت للحرق في حكم النباهنة على يد أحد حكامهم بعد أن تعرض المؤلف نفسه للقتل على يد أحد حكامهم فلم يبق من مؤلفاته العديدة القيمة غير كتاب الدعائم، وكتاب جامع أركان الاسلام للشيخ سيف بن ناصر بن سليمان الخروهي العريق، وكتاب الجواهر للشيخ سالم بن سعيد الصائفي ويقع في خمسة عشر جزءا، وكتاب لياح الآثار للشيخ مهنا بن خلفان البوسعيدي وقد طبع منه أربعة عشر جزءا، وكتاب الأخبار والآثار للشيخ سالم بن عبدالله بن راشد البوسعيدي، ويقع في جزئين، وكتاب تذكرة الحكام في معنى الدعاوي والأحكام للشيخ سليمان بن مبارك بن علي البوسعيدي. وهناك علماء آخرون كثيرون لهم مؤلفات عديدة منهم:

الشيخ ناصر بن سالم بن عديم الرواحي صاحب المؤلفات الكثيرة، منها:

كتاب نثار الجوهر في الاثر وكتاب النشأة المحمدية وكتاب النور المحمدي وكتاب النفس الرحمان وكتاب الفتوحات الصمدية وكتاب السؤالات وكتاب العقيدة الوهية وكتاب في التوحيد وكتاب المنظوم في السلوك والالهيات والتوسلات وجزء آخر في المراتي والاخوانيات وجزء من نظمه في الاستنهاض بحقوق الله تعالى وهو من الشعراء العلماء القفاحل رحمة الله عليه.

وهناك أيضا الشيخ منصور بن ناصر بن محمد بن سيف بن محمد بن عدي بن فارس الفارسي الفنجائي قاضي الامام الخلي وصاحب المؤلفات الكثيرة التي تشتمل على كتاب الدرر المنثورة شرح المقصورة التي للشيخ ناصر بن سالم وكتاب رياض الازهار والدرر البهية وتقريب الازهان والغاية القصوى وغاية الاوطان وصموت الفرايد وغاية الاجتهاد مدح خير العباد وهداية الرحمن في ثبوت خلق القرآن ومنه الرحمن في اقامة الجمعة في عهد السلطان والنصائح في أحكام الجوائح والدرر النضيد في معرفة التوحيد.

وهذه المؤلفات التي ذكرناها على سبيل المثال ان دلت على شيء فانما تدل على ماكان لعمان من عظمة علمية، كما تدل على رسوخ العلم في عمان منذ فجر الاسلام وحتى الآن، فقد برز نجم علماء عمان في سماء العلم منذ القرن الاول الهجري فظهرت المكتبة العمانية، وهي تضم العديد من أمهات الكتب العلمية في الحديث والتفسير والفقه والتاريخ والأدب ومختلف العلوم والفنون بصورة لم يكن لها مثيل في الاقطار الاسلامية المختلفة، بحيث يجدر بكل دارس للحضارة الاسلامية الراقية وللثقافة الاسلامية الرفيعة أن يدرس المكتبة العمانية ويتقصى كل مايتعلق بنشاطاتها وتاريخها وتطورها منذ شروق شمس الاسلام حتى يومنا هذا، ليقف على ماقدمه

علماء عمان للثقافة الاسلامية من خدمات عن طريق مؤلفاتهم القيمة الرائدة في مختلف ألوان العلم والمعرفة، لأن الأمانة العلمية تقضي بإسناد الفضل لأهله.

وليس من شك في أن الباحث يستطيع أن يدرك غزارة التراث العماني وفروته وتنوعه من أسماء المصادر العمانية التي استند إليها العلماء الذين الفوا في كل علم وقرن والتي عرضنا للكثير منها. وبالرغم من ضياع الشيء الكثير من التراث العماني بسبب ما تعرضت له عمان والديار الاسلامية من الفتن والحروب. وبالرغم من أن خصوم الاباضية الاقوياء من الامويين والعباسيين والفاطميين، قد فتكوا بمصادر وتراث الاباضية العظيم بقدر استطاعتهم، فإن المصادر الاباضية التي حفظت من يد العيب والضياع لازال معظمها مخطوطا أو غير معروف للباحثين.

والحق ان عمان منذ فجر الاسلام كانت تزخر بالادباء والعلماء والفقهاء، وأهل الفتيا، وأهل الفكر والسياسة، وأهل الحرب والتجارة.

وظلت عمان تعطي وتأخذ العلوم حتى وقتنا الحاضر، باستثناء الفترات التي غلبت فيها الفتن، أو تلك التي حاول فيها المغتصبون سلب سيادتها. ولم يكن عطاء عمان قاصرا على عمان وديار الاسلام بل اتسع العطاء الى الشرق الاقصى شرقا وإلى افريقيا غربا.

ولا يسعنا في هذا المقام الا أن نذكر أن عمان منذ اسلامها وهي حصن للدين ورمز للاخوة الاسلامية والعربية وقلعة أمامية للعروبة والاسلام.

مدرسة اللغة العربية وعلومها وآدابها (*) :

وإذا كان العمانيون قد ضربوا بسهم وافر في القرن الثاني الهجري في ميدان الحديث والفقه، فقد برزوا على غيرهم في ميدان آخر الا وهو ميدان اللغة، وذلك على يد عبقرية العرب والمسلمين جميعا الخليل بن احمد الفراهيدي الأزدي العماني (١٠٠ - ١٧٠ هـ / ٧١٨ - ٧٨٦ م).

نشأ الخليل بن احمد في ودام الساحل بالمصنعة بساحل الباطنة في عمان، ورحل الى البصرة واصبح نجمها المتألق، فابتكر علم العروض ومعجم العين والميزان الصرفي وصار أستاذًا للغة في بلاد العراق، وألف في علوم كثيرة برز فيها غيره، مما يدل على أن العمانيين كانوا سباقين في ميدان التأليف في مختلف العلوم والفنون^(٧).

وفي القرن الثالث للهجرة بزغ من عمان عالمان كبيران أحدهما شاعر فحل هو ابوبكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ / ٨٣٢ - ٩٣٣ م)، نشأ ابن دريد بعمان وتنقل بين البصرة وفارس وبغداد، وكان أعلم الناس في زمانه باللغة والشعر وأيام العرب وانسابها، وانتهى في اللغة الى مقام الخليل بن احمد فيها، وأورد أشياء لم توجد في كتب المتقدمين، وكان يقال انه أعلم الشعراء وأشعر العلماء، ولما مات قيل مات علم اللغة، ومع انه عاش معظم أيام حياته في العراق ومات فيه، الا أن المسعودي لم ينس أن يصفه بأنه عماني وقد ألف ابن دريد كتبًا كثيرة منها كتاب الجمهرة في اللغة وكتاب الاشتقاق في اللغة وهو من أهم المصادر في هذا الميدان الى غير ذلك من الكتب النافعة^(٨).

أما العالم العماني الثاني فهو الاديب الكبير أبو العباس المبرد (٢١٠ - ٢٨٦ هـ / ٨٢٥ - ٨٩٩ م). نشأ المبرد في بلدة مقاعس التي تقع بين صحم والخابورة بساحل

الباطنة في عمان، ثم رحل الى العراق وأصبح اساميا في النحو واللغة، والى فيها كتباً كثيرة منها كتابه الشهير الكامل في الادب، وكتاب الروضة، وكتاب المقتضب وغير ذلك مما برز فيه اقرانه وأهل زمانه^(٩).

واستمر العمانيون في التأليف في علوم اللغة بعد ذلك حيث نرى أبا المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري ألف أربع كتب منها كتاب في اللغة العربية يسمى (كتاب الابانة) وهو من الكتب المعتمدة والمفيدة في علوم اللغة العربية.

أما في الشعر فقد زحرت عمان بالشعراء منذ العصر الجاهلي، مثال ذلك مالك بن فهم وأولاده وغيرهم من أهل عمان^(١٠). وكان من شعرائهم الذين عاشوا في أواخر العصر ثم لحقوا عصر البعثة النبوية، مازن بن غضوبة السعدي السمانلي الطائي العماني الذي قال شعراً دونته المصادر التاريخية^(١١). ورحل الى المدينة المنورة حيث أسلم وعاد الى عمان ينشر فيها الاسلام مما سبق الحديث عنه.

وفي غمرة الأحداث التاريخية التي تعرضت لها عمان في عصر بني أمية وعصر بن العباس ضاع الكثير من الشعر الذي قاله العمانيون، ومع ذلك فقد بقي منه ما أثبتته كتب التاريخ والادب من ذلك ما قاله المهالبة من الشعر^(١٢). ومما قاله ثابت قطنة العتكي^(١٣). وقد سبقت الإشارة الى أن ابن دريد كان شاعراً وأديباً عبر عن الأحداث التي وقعت في عمان، من ذلك قصيدتان قالهما اثر وقعة الروضة بتتوف التي حدثت أبان الصراع بين العمانيين وبعضهم البعض عقب عزل الامام الصلت بن مالك عام ٢٧٣هـ / ٨٨٦م، وقد اورد العوتبي وعنه اخذ السالمي هاتين القصيدتين^(١٤).

وفي تلك الفترة او في ذلك القرن لم يكن قول الشعر قاصراً على الرجال من العمانيين وحدهم، بل كان بضاعة اشترك فيها النساء من العمانيات ايضاً، من ذلك قصيدة طويلة قالتها امرأة تسمى (الزهراء) مستغنية بامام عمان الصلت بن مالك من هجوم الاحباش على وطنها سقطره، فأغاثها هذا الامام باسطول وجيش جرار استرد الجزيرة وقضى على الغزاة المعتدين^(١٥).

وكان هناك من الائمة من يقول الشعر، مثال ذلك الامام راشد بن سعيد اليمحمدي الذي تولى الامامة بعد موت الخليل بن شاذان في عام ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م، وقد اورد صاحب كتاب الأنساب وعنه اخذ نورالدين السالمي ماقاله هذا الامام من شعر في قصيدة طويلة يصف فيها الأحداث التي نجمت عن تمرد بعض القبائل ضده^(١٦).

وعندما انتقلت الدولة الى النبهانيين ارتفع شأن الشعر وراجت بضاعته، فقد كان كثير من ملوك النباهنة شعراء، مثل ذلك سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني، صاحب الديوان الغزلي الحماسي وغيره من ملوكهم ولذلك ظهر شعراء مجيدون قالوا الشعر في مدح النباهنة، مثال ذلك الشاعر ابوبكر احمد بن سعيد السستاني الذي ألف ديواناً ضخماً في هذا الميدان^(١٧).

أما في عهد اليعاربة فقد ازدهر الشعر ازدهاراً عظيماً بعد ان حقق اليعاربة انتصارات كبيرة على البرتغاليين وطردهم من البلاد وتغلبهم في افريقيا وفي المحيط الهندي، فقام الشعراء يعربون عن هذه الانتصارات، من هؤلاء الشعراء خلف بن سنان بن خلفان بن عثيم الغافري الذي وصف انتصارات وفتوحات الامام سلطان بن سيف في قصيدة طويلة اوردتها السالمي في تحفته^(١٨). وقال ايضاً واليه الشيخ

محمد بن مسعود الصارمي في قصيدة طويلة عبر فيها عن مسير هذا الامام الى بته (بات) وفتحها^(١٩).

وفي عهد الامام بلعرب بن سلطان بن سيف ظهر شاعر مجيد هو راشد بن خميس الحبسي الذي ولد بقرية (عين بني صارخ) من قرى الظاهرة في عمان في عام ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م، واصيب بالعمى وهو طفل صغير، ثم انتقل الى قرية جبرين بعد وفاة والديه حيث رباها الامام بلعرب واحسن اليه، فتعلم القرآن والنحو والصرف واللغة واصبح شاعرا مجيدا حاذقا، وعاش زمنا طويلا وانتهى به المقام في نزوى وقال شعرا كثيرا في مدح بلعرب وفي اخيه الامام سيف بن سلطان الذي تولى بعده وفي وصف حصن جبرين وغير ذلك من الاغراض التي تطرق اليها^(٢٠). وكان الامام بلعرب بن سلطان يقول الشعر، ومن ثم كان تشجيعه للشعر والشعراء^(٢١).

واستمر الشعراء في عهد اليعاربة يقولون الشعر في المدح والوصف والرشاء، فعندما مات الامام سيف بن سلطان قيد الارض رثاه الشعراء بقصائد طويلة منها قصيدة قالها محمد بن صالح المنتفقي البصري ساكن الصر في هذا المعنى، اوردها السالمي الذي يقول انه لم يظفر بجمعيتها وانما وجد منها قطعة كبيرة بلغت ابياتها اربعة وستين بيتا وصفها السالمي بانها جيدة بليغة المعاني^(٢٢).

واستمر الشعر في الازدهار في عصر الدولة البوسعيدية، وكان بعض السلاطين البوسعديين يقولون الشعر، ولذلك شجعوا الشعر والادب. من هؤلاء السيد سعيد بن الامام احمد بن سعيد الذي تولى حكم عمان بعد وفاة ابيه وقال شعرا اثبتته السالمي في تحفته^(٢٣). وكذلك السيد هلال بن الامام احمد بن سعيد (ت ١٢٣٦ هـ). اما الشعراء الذين ظهروا في عهدهم فعددهم كبير منهم على سبيل المثال الشيخ عمرو بن عدي بن عمرو بن محمد البطاشي (ت ١٢١٧ هـ / ١٨٩٩ م) والشيخ سعيد بن مسلم بن سالم البحري السمائي (ت ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م) والشيخ سليمان ابن سعيد بن ناصر الكندي النزوي (ت ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م) والشاعر حمود بن محمد بن سعيد الخروصي (ت ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م) والشيخ جمعه بن سليم بن هاشل الخنجري الحارثي (ت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) والشيخ الاديب عبدالرحمن بن ناصر بن عامر الريامي الازكوي (ت ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م)، والشيخ محمد بن سيف بن عبدالله السعدي السمائي (ت ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م) والشيخ عبدالله بن سليمان بن عبدالله بن سعد الله النبهاني (ت ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م) والطبيب الماهر سعيد بن راشد بن مسلم الفارسي السمائي (ت ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م) والشيخ سيف بن سالم بن هاشل المسكري (ت ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م) والشيخ احمد بن عبدالله بن احمد بن صالح الحارثي (ت ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م) والشيخ الاديب محمد بن عيسى بن صالح بن علي الحارثي (ت ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م) والشيخ العلامة احمد بن سعيد بن خلفان الخليي السمائي (ت ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م) والشيخ سعيد بن حمد بن عامر بن خلفان الراشدي السنائي (ت ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م) الى غير ذلك من الشعراء الذين لا يمكن حصرهم والذين تركوا لنا دواوين عديدة في الشعر، مثل ديوان المعولي وديوان النبهاني والبهلاني وابن شيخان والخليي وابن رزيق وابن عرابية، وهي دواوين مطبوعة كلها، وهناك غيرها مما لم يطبع بعد، مما يدل على نهضة ادبية كبيرة غمرت عمان منذ ظهور الاسلام وحتى القرن العشرين.

المدرسة التاريخية العمانية مناهجها واتجاهاتها:

لم يكن للعمانيين في عصور الاسلام الاولى اهتمام بالتاريخ كامتثالهم بعلوم الدين واللغة، ولذلك ندرت الكتابات التاريخية لديهم في تلك العصور. ففي القرون الخمسة الاولى للهجرة لاجد الا كتابا واحدا الفه سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، وهو كتاب في الانساب وليس في صميم التاريخ، فهو لا يتحدث الا عن انساب عرب الجنوب وخاصة اُرد عمان وعن استقرارهم في عمان ودورهم في تطور الامامة فيها، ويشد من ازركتاب الانساب هذا، بعض السير والتراجم العمانية التي كتبت في تلك الفترة مثل سيرة شبيب بن عطية العماني الذي عاش في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة، وكان من ائمة الاباضية بعد سقوط الامامة الاباضية الاولى عام ١٣٤هـ/ ٧٥١م على يد العباسيين، ومثل سيرة ابي المؤثر الصلت بن خميس الذي عاصر مهنا بن جيفر (ت ٢٣٧هـ/ ٨٥١م)، وشهد بيعة الصلت بن مالك (٢٣٧ - ٢٧٣هـ/ ٨٥١ - ٨٨٦م)، ومثل سيرة ابي الحسن بن محمد البسيوي الذي عاش في القرن الثالث الهجري ايضا وشهد سقوطه الامامة الثانية عام ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م، والف في ذلك سيرة سماها (الحجة على من ابطل السؤال في الحدث الواقع بعمان)، هذا وان كانت هذه السير والتراجم مفيدة بالنسبة لتاريخ عمان الا انها قليلة ولا تغطي الا جانباً محدوداً جداً في هذا التاريخ^(٢٤).

وقد ذكر الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي عضو لجنة مراجعة هذا الكتاب عدداً آخر من السير لياس به، ولكن معظم هذه السير لا تفيد كثيراً في كتابة تاريخ عمان، لانها لا تهتم مثل السير الاخرى الا بالحديث عن الجوانب المذهبية والفقهية وعن الاحداث المتعلقة بالامامة والائمة وماشجر بين العمانيين من خلافات بسبب هذا الموضوع، اما النظم والجوانب الحضارية فلم تهتم بها على الاطلاق. وهذه السير التي جمعها الشيخ مهنا في غالبها رسائل أرسلها بعض العلماء الى الائمة لنصيحتهم في امور معينة، او لتبيان بعض قواعد المذهب فيما اشكل من امور تتعلق بتطبيقه في ناحية من النواحي او في امر من امور الحكم والسياسة والدين. وبعض هذه السير كانت عبارة عن رسائل أرسلت الى الجماعات الاباضية التي كانت تعيش خارج عمان مثل حضرموت واليمن وشمال افريقيا لنفس الاغراض السابقة الذكر.

والامثلة على هذه السير كثيرة منها سيرة المنير بن النير الجعلاني الى الامام غسان، وسيرة ابي سفيان محبوب بن الرحيل الى اهل عمان في امر هارون بن اليماني الشيعي، وسيرة ابي سفيان محبوب بن الرحيل الى اهل حضرموت، وسيرة هارون اليماني الشيعي الى الامام مهنا بن جيفر في امر محبوب، وسيرة ابي الحواري محمد بن الحواري الى اهل حضرموت وسيرته ايضا الى اهل عمان، وسيرة ابي بكر احمد بن عمر في احكام الحاربة، وسيرة هاشم بن غيلان الى الامام عبدالمك بن حميد، وسيرة لوائل بن ايوب فيما يتعلق بامور المذهب وسيرة احمد بن محمد بن صالح في احدث نزوى.

اما في القرون الخمسة التالية والتي تبدأ من السادس وتنتهي بنهاية العاشر للهجرة، لم يترك العمانيون القدامى شيئاً تقريباً في مجال التاريخ، وليس لدينا عن تلك الفترة الا كتابات اخوانهم من الاباضية في شمال افريقيا، مثل كتاب سير الائمة واخبارهم المعروف بتاريخ ابي زكريا (ت ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)، وكتاب السيرة واخبار الائمة للورجلاني (٥٧٠هـ/ ١١١٤م) وطبقات الاباضية للدرجيني (ت حوالي

٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) وكتاب الجواهر المنتقاء في اتمام ما اخل به الطبقات للبرادي «قرن ٨هـ» وكتاب (السير) للشماخي (ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م). وهي كتب وكما نرى ترجم لرجال المذهب الإباضي في البصرة وفي شمال إفريقيا، وبعضها يتحدث بأسهاب عن صراع الإباضية مع الأمويين والعباسيين، وهي لا تهتم كثيراً بتاريخ عمان ولا تذكر إلا ما هو خاص ببعض علمائها وأئمتها، وكان الأولى بالعمانيين القدامى أن يكتبوا لنا بالتفصيل عن تاريخ بلدهم وتاريخ حكامهم وحضارتهم، ولكنهم لم يفعلوا، ويفسر لنا الشيخ نورالدين السالمي رحمه الله هذا الأمر في تحفته في عبارات مقتضبة وإن كانت واضحة ومفيدة فيما نذهب إليه، فقد أشار إلى أن «التاريخ لم يكن من شغل الأصحاب، بل كان اشتغالهم بإقامة العدل وتأثير العلوم الدينية، وبيان ما لابد من بيانه للناس، أخذوا بالأهم فالأهم، فذلك لا تجد لهم سيرة مجتمعة، ولا تاريخاً شاملاً»^(٢٥).

ومعنى ذلك أن كتاب عمان القدامى اهتموا أثناء حكم الأئمة بالتدوين في علوم الدين والفقه، ولذلك تركوا لنا تراثاً كبيراً وغزيراً في هذا المجال. وفي غير هذه الجوانب، لم يتركوا لنا الكثير كما سبق القول، وكانت قلة كتاباتهم التاريخية تعود إلى عامل آخر، هو أن حكم الأئمة لم يكن مستمراً ومتصلاً، فقد كانت القوى الداخلية الأخرى أو الخارجية تسيطر على الحكم وتقيم دولاً حاكمة في عمان، حينئذ كان الأئمة ومؤيدوهم يعتبرون هؤلاء الحكام حكاماً جبابرة غير عدول، ولذلك لم يكتبوا تاريخاً لعمان يذكر هذه العصور أو يتناول حكم هؤلاء الحكام^(٢٦)، وربما استغرق حكم الدولة الواحدة قروناً عديدة ولكن كتاب عمان القدامى لم يعطونا شيئاً مفيداً عنها أو عن تاريخها، والمثال على ذلك دولة بني نيهان التي حكمت عمان حوالي الخمسة قرون من الزمان، ورغم ذلك لم يتصد لذكرهم إلا شاعرهم الستالي في ديوانه، حيث أشار إلى بعض أسمائهم وبعض أعمالهم^(٢٧).

وعلى ذلك فإن العمانيين القدامى لم يدونوا تاريخ الأئمة تدويناً يذكر أخبارهم بالتفصيل، ويعطينا سلسلة متصلة الحلقات لحكم هؤلاء الأئمة ولم يعطونا تاريخاً حضارياً لعمان في تلك الفترة من التاريخ الإسلامي الوسيط، كما أنهم لم يفعلوا نفس الشيء بالنسبة لغير الحكام من الأئمة، لاسيما وقد اعتبروهم جبابرة مثل النيهانيين وغيرهم ممن حكموا عمان في تلك العصور الغابرة^(٢٨)، وربما يكون العمانيون في العصور الإسلامية التي نقصدها بالحديث قد كتبوا، ولكن هذه الكتابات لم تصل إلينا، ولا إلى من تصدى لكتابة تاريخ عمان كابن رزيق وصاحب كشف الغمّة، والسالمي، والسيابي وغيرهم في العصر الحديث، ولا شك أن أحداث الزمان وقيام الفتن الداخلية والحروب المحلية، والهجمات الخارجية التي تعرضت لها عمان في كثير من الأحيان، وما صاحب ذلك كله من تخريب ودمار وقتل وإحراق هو السبب المسؤول عن ضياع هذه الكتابات، ويكفي ما تشير إليه بعض الروايات من أن حريقاً شب في مدينة الرستاق فالتهم تسعة آلاف كتاب^(٢٩).

وقد نتج عن ذلك كله ندرة في المصادر والمراجع التاريخية القديمة التي اعتنت بتاريخ عمان وحضارتها، وكانت هذه الندرة سبباً واضحاً في ذلك القصور الذي نراه في الكتابات التاريخية التي كتبت على يد العمانيين في العصر الحديث، ونقصد بالقصور هنا أمرين: الأول هو عدم وجود تاريخ متصل لحكام عمان سواء كانوا أئمة أم سلاطين منذ ظهور الإسلام وحتى قدوم البرتغاليين، والثاني عدم تدوين التاريخ الحضاري لعمان تدويناً شاملاً بحيث يغطي كافة الجوانب الحضارية المختلفة.

تلك الجوانب التي كان لابد من تدوينها حتى يبرز تاريخ هذا الشعب وحضارته ببروزا كاملا وواضحا ومفيدا^(٣٠).

الا ان العمانيين قد نشطوا منذ عهد اليعاربة في تقصي تاريخهم وفي تدوينه، ونتج عن ذلك ظهور كتابات ومدونات تاريخية عديدة، يرجع بعضها الى بداية القرن الحادي عشر للهجرة / القرن السابع عشر للميلاد، وازداد عدد تلك الكتب في القرون التالية، بحيث أصبحت تشكل ثروة تاريخية هائلة لا غنى عنها للباحث في التاريخ العماني الحديث، بيد أن كثيرا من المؤلفات العمانية قد أُلْتُفِت أو أُحْرِقَتْ بسبب الحروب الاهلية القبلية التي وقعت في عمان - بخاصة خلال القرن الثامن عشر - وهذا ما اكده الازكوي - أحد مؤرخي القرن المذكور - حيث قال: «واحترقت كتب كثيرة لم يكن لها نظير في عمان»^(٣١). ويقدر عدد الكتب المحروقة آنذاك بحوالي تسعة الاف وثلاثة وسبعين مخطوطا^(٣٢).

على أن سائبقى من كتب التاريخ العماني مايزال كثيرا، وإن ظل مبعثرا في شكل مخطوطات في مكتبات العالم المختلفة من جهة، وفي عمان من جهة أخرى، حتى ظهرت في السنوات الاخيرة اهتمامات كبيرة لجمع شتات التراث العماني وأحيائه ونشره، وأصبح كثير من المخطوطات التاريخية العمانية المعروفة متوفرة بين أيدي الباحثين الآن. ومن خلال ما نشر عن هذه المخطوطات سيقوم دراستنا على طبعة المؤلفات العمانية ونهجها التاريخي.

ولعل المتمتع في دراسة تاريخ عمان الحديث يجد أن هناك مدرسة فكرية واحدة، وهذه المدرسة تقوم على تدوين الاحداث التاريخية حسب مفهوم المذهب الاباضي، وهو المذهب السائد في عمان منذ فجر الاسلام وحتى الآن. ووفقا لهذا المذهب فقد حظي عالم الدين بمكانة كبيرة لم يعطه اياها أي مذهب ديني آخر. وبفضل هذه المكانة التي تبوأها علماء الدين في المذهب الاباضي، فقد استطاعوا أن يرسموا الاطار العام الذي ظهرت فيه كتب التراث العماني عامة وكتب التاريخ على وجه الخصوص.

لقد ظهرت كتب التاريخ العماني، على الرغم من تعددها واختلاف زمن تأليفها، محدودة الاطار في تسجيل وقائع وأحداث مجتمعات الاباضية في عمان، أو حسبما أوردته تلك الكتب «تاريخ وجود الجماعة الاسلامية» نفسها في جنوب شرقي الجزيرة العربية، وهذا ما يجعل النشاط القبلي في عمان مثلا يكتب بشيء كثير من التخصيص، لان هذا التاريخ مرتبط بشكل مباشر بتلك الجماعة، أما ما عدا ذلك فهو غير مهم وليس هناك مبرر لتسجيله.

يعني هذا الأمر أن المؤرخين العمانيين لم يدونوا من تاريخ عمان الا ماكان له علاقة بالمنطقة التي تشغلها الاسامة. فعلى سبيل المثال، فإن أي حدث يقع على المنطقة الساحلية من عمان - بخاصة ابان الغزو البرتغالي للاجزاء الساحلية - لا يجد من يتصدى له من هؤلاء المؤرخين. أما مايجد خارج عمان، حتى ولو كانت له علاقة بما يجري داخلها فانه لم يكن يهم المؤرخين العمانيين في شيء، فلم يشيروا اليه الا باقتضاب شديد وربما كانوا يتغافلون عن الإشارة اليه^(٣٣).

وعندما نطالع الكتب التاريخية العمانية طوال العصور الحديثة، ونبحث عن الدوافع التي دعت الى تأليفها - شخصية كانت أم عامة، أو في النهج الذي اتبعته، فاننا نجد كلها جميعا تدون من وجهة نظر المذهب الاباضي، سواء تلك التي ألفت في القرن

السابع عشر أو حتى في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. فهذا عبد الله بن خلفان بن سليمان المعروف بابن قيصر، صاحب كتاب (سيرة الإمام ناصر بن مرشد)، كان قد بدأ كتابه بناء على طلب من بعض الشيوخ والعلماء مثل الشيخ محمد بن سيف الوالي والشيخ ناصر بن ثاني بن جمعة بن هلال، حيث سألاه أن «يشرع لهما في ابتداء سيرة الإمام، وأشرع في تحصيلها موجزاً لألفاظ الكلام، وإن ذكر فيها حصر سيرته المرضية على التمام، فأجبتهما إلى ما طلبا وأحببت لما هما فيه رغبا»^(٣٤).

وواضح من تأليف هذا الكتاب، الذي يعد من أقدم المؤلفات التاريخية العمانية لهذا العهد، أنه ألف في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) بأنه قد وضع بناء على توجيه بعض علماء الدين، وذلك لحفظ سيرة الإمام ناصر بن مرشد العربي (١٦٢٤ - ١٦٤٩)، الذي عرف بجهاد الطويل ضد البرتغاليين، ودأبه على تحرير عمان منهم، وعمله على تعزيز قوتها ووحدتها.

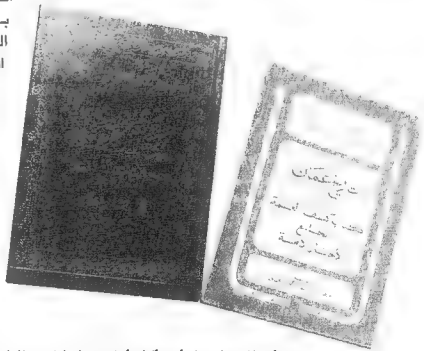
وعلى الرغم من ذلك فقد تمتع الكتاب بأهمية كبيرة، ذلك لأنه زدنا بمعلومات قيمة عن الإمام ناصر بن مرشد، خصوصاً وإنها وضعت في زمن هذا الإمام. وقد استفاد كثير من المؤرخين العمانيين الذين جاءوا بعد ابن قيصر من ماله المذكور، وهذا مانجده واضحاً عند المقارنة بينه وبين مؤلفات الأزكوي وابن رزيق. ولكن مما يؤخذ على كتاب ابن قيصر «سيرة الإمام ناصر بن مرشد» أنه لم يتطرق إلا لما إلى ذكر حروب الإمام ناصر بن مرشد ضد البرتغاليين، وهو في هذا يتبع سبيل كتب

التاريخ العمانية التي لم تكن تعني إلا بالوقائع الداخلية، أو بالأحرى الوقائع التي تحدث فقط في المناطق التي كانت تخضع لسيطرة الاسامة الاباضية^(٣٥).

أما كتاب (كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة) المنسوب لسرحان بن سعيد الأزكوي، الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي، فقد أشار في صفحته الأولى إلى الهدف من تأليف هذا الكتاب حيث جاء فيه.

«قد دعنتني الهمة إلى جمع هذا الكتاب وتأليفه وتلخيص معانيه وتصنيفه فليبتها أهلاً وسهلاً، وإن لم أكن أنا للتأليف

أهلاً، وذلك لما رايت أكثر أهل زماننا قد غفلوا عن أصل مذهبهم الشريف... ورغبت أنفسهم عن قراءة الكتب التي خلفها السلف»^(٣٦). وواضح أن المؤلف أراد من وضع هذا الكتاب الحفاظ على المذهب الاباضي وتراثه التاريخي في عمان، وذلك بسبب نقص الكتب المتداولة حوله بين الناس، وقلة من يهتم به من أهل العلم... وقد كرر الأزكوي قوله هذا في موضع آخر حيث يقول: «ولم يبق - لأهل عمان - إلا ذكر أخبارهم وماذكروهم في سيرهم وأثارهم، وآل العلم والعلماء إلى النقصان والامر إلى النسيان»^(٣٧).



والكتاب (كشف الغمة) ظاهرة كتاب تاريخ، وهو يشمل تاريخ العرب قبيل الاسلام وبعد ظهوره حتى انتهاء أحداثه فجأة بعام ١٧٢٨، وبهذا فهو يعد المصدر الرئيسي ان لم يكن الاول للتاريخ العماني، وعنه نقل من جاء بعده من المؤرخين، لكن الغرض الأهم الذي قصد اليه مؤلف الكتاب هو الدعوة الى مذهب الاباضي ورفع الشبهات عنه، وليس أدل على ذلك من قوله في المقدمة:

«فصنفت هذا الكتاب، وبيئت فيه عذر أولى الألباب، وجعلت ظاهرة في القصص والاخبار، وباطنه في المذهب المختار، لأن الناس لقراءة الاثر لا يستمعون، ولاستماع القصص عن اللغو يبتغون، فملت الى رغبتهم لكي يكونوا مستمعين، عسى أنهم لاهول المذهب يعرفون ولاهل الحق بالحق يعترفون»^(٣٨).

والواقع أن الازكوي - كما أوضح في النص - قد أطمأ اللثام عن قصده في تأليف الكتاب، وهو البحث والتعريف بالمذهب الاباضي، ولكنه استند الى الأسلوب القصصي في الكتابة التاريخية، لأنه - حسب رايه - أكثر قبولا وحفظا من قبل الناس.

وعلى أية حال، فقد استمدت كتب التاريخ العماني التي تلت (كشف الغمة) معلوماتها منه، مثل (قصص وأخبار جرت في عمان) للمعولي، و(الفتح المبين) لابن رزيق، و(تحفة الاعيان) للسالمي.

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان هناك كتابين في تاريخ عمان يكادان يكونان صورة طبق الاصل لكتاب (كشف الغمة). والكتاب الاول هو كتاب (قصص وأخبار جرت في عمان) لمؤلفه ابي سليمان محمد بن عامر بن راشد المعولي، والكتاب الثاني هو (تاريخ أهل عمان) لمؤلف مجهول، وكل الفرق بين هذه الكتب الثلاثة هو ان (كشف الغمة) يقف في أخباره عند العام ١١٤٠هـ (١٧٢٨م)، في حين يمتد كتاب (قصص وأخبار) الى أبعد من هذا قليلا فيصل الى عام ١١٥٩هـ (١٧٤٦م)، ويستمر تاريخ المؤلف المجهول الى أبعد من ذلك ليصل بأخباره حتى نهاية القرن الثامن عشر، وإلى أيام السيد سلطان بن الامام أحمد بن سعيد، أي حوالي سنة ١٢١٥هـ (١٨٠٠م)^(٣٩).

على أن هذا التشابه بين هذه الكتب الثلاثة يعود الى أن كلا من المعولي والمؤلف المجهول كانا قد استقيا معلوماتهما بصورة رئيسية من (كشف الغمة) للازكوي، بل انهما يتقلدان نقلًا حرفيًا تقريبًا الاخبار المتعلقة بتاريخ عمان حتى انتهاء كتاب (كشف الغمة) بعام ١٧٢٨، أما ما بعد ذلك فانهما يضيفان معلومات جديدة يبدو أنها مستمدة من مصادر أخرى.

أما كتب (الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين) الذي ألفه حميد بن محمد بن رزيق، فقد كان استجابة منه لسؤال السيد حميد بن سالم بن سلطان بن الامام أحمد بن سعيد البوسعيدي، في أن يشرح له ابن رزيق ما سمعه وحفظه عن نسب الامام أحمد بن سعيد، وسيرته، ومملكته، وسيرة أولاده، وما كان لهم من شأن في عمان وغيرها^(٤٠). وقد رتب ابن رزيق كتابه في ثلاثة أبواب، الباب الأول: في تسلسل نسب السادة الازديين البوسعيديين العمانيين، والباب الثاني: في ذكر طوائفهم وفرايرهم، والباب الثالث: في ذكر أئمة أزد عمان، ومالهم فيها من الشأن، من الجلندي بن مسعود، الى الامام البوسعيدي الحميد، أحمد بن سعيد الازدي العماني الاباضي^(٤١). ويقول ابن رزيق في موضع آخر: «فانتا وإن كان غرضنا في هذا الكتاب سيرة الامام أحمد بن سعيد ونسله، فالأليق أن نذكر أئمة عمان عموماً، ليزداد الفهم، وليعلم من لا يعلم، أن للآزد اليمانيين العمانيين شأنًا عظيمًا»^(٤٢).

وإنه ليتبين مما ذكره ابن رزيق بأن هدفه لم يكن التعرض لسيرة الامام أحمد بن سعيد فقط، ولكن أيضا إيراد تاريخ الأئمة الإباضيين في عمان، شأنه في ذلك شأن كل المؤرخين العمانيين الآخرين، الذين يمثلون المدرسة التاريخية العمانية الحديثة.

ويعد كتاب (الفتح المبين)... المصدر الأول لتاريخ البوسعيد، في الفترة ما بين ١٧٤١ و ١٨٥٦، ذلك لأن مؤلفه ابن رزيق قد أرخ لفترة عاشها وعاصرها، إذ ولد في أواخر القرن الثامن عشر ومات عام ١٨٧٥، وكانت له ولاسرتة صلة قوية بأسرة البوسعديين، مما جعله أكثر دراية وعلمًا بتاريخها وبالقوائم المشهورة التي حدثت على أيام حكامها. ومما يزيد من أهمية الكتاب، على خلاف المؤلفات التي سبقته، أنه يورد بعض نصوص المعاهدات التي عقدت بين الامام ناصر بن مرشد والبرتغاليين، والرسائل المتبادلة بينهم، وهو أمر ذو قيمة تاريخية كبيرة، لأن مثل تلك المعلومات الوثائقية كان يجري التعرف عليها من خلال المؤلفات البرتغالية وحدها.

وقد ألف ابن رزيق العديد من الكتب في تاريخ عمان، إلا أن ما يهمننا منها بشكل خاص، فضلا عن كتابه (الفتح المبين)، كتابه الآخر المعروف باسم (الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان)^(٤٣)، ذلك لأن هذا الكتاب قد أعطانا المنهج التاريخي الذي سار عليه ابن رزيق، ومقدار تأثيره بعلماء المذهب الإباضي، الذي كان هو أحدهم، إذ يقول:

«أما بعد فقد سألني بعض الاخوان في الدين أن أنظم قصيدة في أسماء أئمة عمان الصالحين... وأن أشرحها شرحا مختصرا مفيدا أو شرحا بسيطا لا يطلب العارف له مزيدا، فأجبت امتثالاً لأمره وانخفاضاً مني لارتفاع قدره»^(٤٤).

وهكذا فإن الكتاب في الواقع ماهو إلا مجموعة قصائد أو أبيات شعرية نظمها المؤلف، وشرح من خلالها الأحداث التاريخية في عمان، ومن بينها تاريخ أئمة المذهب الإباضي، وذلك ابتداء من الامام الجلندي بن مسعود وحتى زمن الامام سلطان بن مرشد اليعربي.

أما كتاب (تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان) لنور الدين عبدالله بن حميد السالمي، فإنه يعد من المصادر الأساسية في عداد المدرسة التاريخية العمانية الحديثة. وعلى الرغم من أن المؤلف قد فقد بصره وهو في سن الثانية عشرة من عمره ولم يكن قد تجاوز الأربعين عند وفاته سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م، فإن كتابه المذكور يعد من أكثر الأعمال أهمية في التاريخ العماني، وقد ألف السالمي أكثر من اثنين وعشرين كتاباً، بعضها لا يقل أهمية بالنسبة للفقهاء الإباضي عن (تحفة الأعيان) بالنسبة للتاريخ.

كما كان لهذا العالم نشاط ملحوظ، لاسيما وأنه ورث عن أسلافه، قيما وموروثات أصيلة تعد من الثوابت في الفكر العماني ممن عاصروا القرن التاسع عشر من علماء الإباضية. وعلى أية حال، فإذا ما وضعنا هذه الخلفية المتميزة في الاعتبار عند دراستنا أو تقييمنا لأفكار السالمي وأعماله، فأننا نجد أن معظمها يرمي إلى غاية واحدة: هي بعت وتعميق الروح القديمة للفكر الإباضي بين العمانيين^(٤٥).

وقد أشار السالمي في مقدمة كتابه (تحفة الأعيان)، إلى الهدف من تدوينه لهذا الكتاب، وإلى النهج التاريخي والفكري الذي اتبعه حيث يقول:

«... ولما لم يكن التاريخ من شغل الأصحاب، بل كان اشتغالهم باقامة العدل وتأثير العلوم الدينية وبيان ما لا بد من بيانه للناس أخذوا بالمهم فالاهم، فلذلك لا تجد

لهم أهل عمان سيرة مجتمعة، ولا تاريخاً شاملاً، فكتبت ما أمكنني تتبعه من كتب السير والآثار والتاريخ وكتبت ما أمكنني أن أكتبه عن أحوال عمان وأئمتها»^(٤٦). ومن خلال تتبع هذا النص وتحصيله، فضلاً عن نصوص أخرى وردت عرضاً في الكتاب، نورد الحقائق الآتية:

١ - الاعراض عن تدوين بعض القضايا المتعلقة بتاريخ عمان، ذلك لأن أهل عمان - على حد قوله - «لا يعتنون بالتاريخ فلذلك غابت عنا أكثر أخبار الأئمة فكيف بأخبار غيرهم»^(٤٧).

٢ - أن تدوين الأحداث التاريخية لم يأت بصورة مستقلة، وإنما جاء عرضاً في سير الأئمة ومناقشة القضايا الدينية كالأحكام وغيرها.

٣ - أن القضايا الدينية، وخاصة تلك التي تتعلق بتاريخ الإباضية وأئمتها، قد وجدت اهتماماً خاصاً من قبل السالمي، الذي كان هو نفسه على المذهب الإباضي، فيقول: «وحيث كان العدل وسيرة الفضل في عمان أكثر وجوداً تشوقت نفسي إلى كتابة ما أمكنني الوقوف عليه من آثار أئمة الهدى، ليعرف سيرتهم الجاهل بهم، وليقتدي بها الطالب لأثرهم، مع قلة المادة في هذا الباب»^(٤٨).

٤ - التزام السالمي، بمنهج علمي في جمع المادة التاريخية وتصنيفها... فقد جاب الأرض العمانية من أقصاها إلى أقصاها بحثاً عن كل شذره من شذرات المعلومات التاريخية، ليضمنها مؤلفاته مما يعد شهادة على دقة معلوماته وأهميتها في دراسة التاريخ العماني الحديث.

ومهما قيل في كتاب (تحفة الأعيان) للسالمي فإنه يبقى أهم كتاب في تاريخ عمان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ذلك لأنه أضاف معلومات جديدة إلى المؤلفات السابقة، وإن كان لا يختلف عنها من حيث مسابقتها - بل وتمثيلة - للمدرسة التاريخية العمانية الحديثة، المتأثرة بالمذهب الإباضي وأفكاره الفقهية، في تدوين المادة التاريخية واتجاهاتها.

التوجهات الرئيسية في الكتابات التاريخية العمانية الحديثة:

لم يكن لعلماء الدين في المذهب الإباضي تأثير في كتابة التراث العماني فحسب، وإنما كان لهم تأثير كبير في سياسة الدولة طوال العصور الإسلامية. وقد مرت الدولة العمانية بفترات عصيبة في تاريخها، منها ما كان بسبب الاضطرابات الداخلية، ومنها ما كان بسبب تعرض البلاد لغزو خارجي. فما هو موقف المؤرخين العمانيين من هذه التطورات؟ الواقع أن هناك عدداً من الاتجاهات الأساسية التي سلكها هؤلاء المؤرخون، وهي تنحصر مابين النكوص عن الكتابة التاريخية في مجالات معينة، والاسهاب في مجالات أخرى، وهذا ماسنحاول التعرض له في هذا الجزء من الدراسة في مجالات ثلاثة:

الموقف من الأحداث الداخلية والحروب الأهلية في عمان:

بلغت الامامة ذروتها من القوة في عمان خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر، بيد أنه أعقب ذلك فترة من الاضطراب السياسي، تمخضت عن مجيء قبيلة بني نبهان التي فرضت سيطرتها على عمان في نهاية القرن الثاني عشر للميلاد. وحين يأتي المؤرخ إلى تاريخ عمان خلال الفترة النبهانية بين القرن الثالث عشر والقرن الخامس

عشر لا يجد أي مصدر تاريخي معروف. وعلى أية حال، فإن عدم وجود تاريخ مدون لتلك الحقبة من تاريخ عمان، لا يعني أن تاريخ أولئك الحكام لا يحظى بأية أهمية، غير أن النبهانيين كانوا يحكمون عمان بأساليب مختلفة، ولهذا فقد اعتبروا «جبابرة» ولم يشر إليهم مؤرخو عمان الأياضيون سواء المعاصرين لتلك الفترة، أو أولئك الذين جاءوا في القرون التالية^(٤٩).

وقد تجددت المحاولات لإحياء الامامة في عمان خلال القرن الخامس عشر، غير أن تلك المحاولات كانت سابقة لأوانها، إذ جند الملوك النبهانيون قبيلة بني هلال بغية المحافظة على نفوذهم، غير أن القبائل العمانية التفت حول الامام ناصر بن مرشد، الذي انتخب من أحد الفروع القبلية من النبهانيين، وهو الفرع اليعربي، وذلك لطرد الدخلاء والقضاء على النبهانيين المتحالفين معهم^(٥٠).

وهكذا ابتداء من القرن الخامس عشر توفرت مصادر جديدة لالقاء الضوء على عودة الامامة الاباضية في عمان، بيد أن تلك المصادر أخذت تأخذ منحى آخر، لم يعد يركز على مسألة الامامة وحدها، وإنما أخذ يبحث عن الصيغ الجديدة للوحدة الوطنية في اطار مؤسسات الامامة نفسها، وهذا مانجده في كتابات ابن قيصر، الذي كتب عن الامام ناصر بن مرشد في النصف الأول من القرن السابع عشر، ثم أعقبه مؤرخون عمانيون آخرون كتبوا في التاريخ المحلي وفي التراجم والسير.

وعندما نأتي لموقف المصادر العمانية من الأحداث الداخلية في عهد النباهنة والحروب الاهلية، في عهد اليعاربة فإننا نجد أنها وبدون استثناء تفصل في هذه الحروب، وتظهر أسفها لما أوقعته في البلاد من أضرار كبيرة، فبسببها - كما يقول الازكوي - «أصيب كثير من أهل عمان ومن فقهاءهم ومشايخهم وأهل الورع والزهة والعلم»^(٥١)، ولكن الازكوي عند معالجته لهذا الموضوع المهم لا يقرده حزناً هاماً من كتابه (كشف الغمة) للأحداث الفعلية التي أدت الى نشوب الحرب الاهلية، وينطبق هذا الرأي على ابن رزيق أيضاً الذي يسر على غرار الازكوي، الى جانب اضافته بعض المعلومات التي استقاها من المصادر الأخرى.

أما السالمي فربما يكون المؤرخ العماني الوحيد الذي حاول الوقوف على أسباب الحرب الاهلية، وذلك عندما عزا هذا الأمر الى طريقة انتخاب الأئمة في عمان دونما مؤهلات، على خلاف ما درجت عليه المبادئ الاباضية حيث يقول:

«انتفض الشر في عمان وجرت فيهم العصبية والحمية وأرادت الرؤساء أن تجعل الدولة ميراثاً خالفت أمر أهل العلم والفضل، ونسوا رد الأمر الى أهله فمشت العصبية في القلوب»^(٥٢).

النظرة لعمليات الغزو البرتغالي والفارسي:

اختلفت مواقف المؤلفات العمانية من الغزو البرتغالي ولم يحدث هذا بالنسبة للغزو الفارسي. فبينما تغاقلت هذه المؤلفات عن أخبار الغزو البرتغالي لعمان، ولم تفصله تفصيلاً، فإنها على العكس من ذلك أوردت وبصورة مفصلة أحداث الغزو الفارسي للبلاد، فما هو سبب هذا الاختلاف ودواعيه، وهل يعني شيئاً في اطار دراستنا للمدرسة التاريخية العمانية الحديثة؟

الواقع أن الغزو البرتغالي كان قد وقع في مطلع القرن السادس عشر، أي قبل ما يقرب من قرن ونصف من الزمن على بداية كتابة أول مؤلف عماني حديث، إذا ما

أخذنا في الاعتبار كتاب (سيرة الامام ناصر بن مرشد) لابن قيسر. ويعني هذا أن المؤرخين العمانيين حينما جاءوا لتدوين وقائع الغزو البرتغالي، لم يجدوا فيها ما يشرّف هذه الأمة، خصوصاً وأن البرتغاليين كانوا قد حققوا انتصارات سريعة في منطقة الخليج العربي - ومن بينها عمان - وذلك لتفوقهم العسكري، في مجال استخدام السفن والأسلحة الحديثة، ومن هذا المنطلق أعرضوا عن تدوينه عمداً^(٥٧). بخاصة وأن الإمامة كانت في حالة انهيار في الفترة التي نحن بصدها.

أما بالنسبة للغزو الفارسي فقد وقع حوالي منتصف القرن الثامن عشر، وكانت أحداثه معاصرة أو قريبة لكثير من المؤرخين العمانيين الذين وجدوا فيه ما يدعو إلى الجهاد لطرد الغزاة المحتلين في عمان، ولتوحيد البلاد.

وتمشياً مع هذا الاتجاه، نلاحظ أن المؤرخين العمانيين يتحاشون الدخول في تفاصيل فترات طويلة من تاريخ البلاد، قد تمتد بضعة قرون، وذلك تجنباً لكتابة ما لا يجب كتابته في تاريخ عمان وأهلها، كما حدث بالنسبة لحالة الغزو البرتغالي لساوخل عمان. ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء المؤرخين كثيراً ما يلقون العنان لأقلامهم، ليعربوا عن أحاسيسهم ومشاعرهم تجاه حالات أخرى، كانت تعكس حالة الألم والأسى إزاء ما كان يحدث أحياناً من اشتداد الخلافات بين زعماء البلاد، مما يعرضها لخطر الغزو الأجنبي.

ولما كانت فترات الاحتلال تمثل دائماً حلقات معتمة في التاريخ، وهي كظاهرة تاريخية لا تقتصر على بلد دون آخر، أو على حقبة معينة من العصور دون أخرى، وإنما هي ظاهرة عامة مشتركة، لذلك فإن المؤرخين العمانيين لم يتركوا الفرصة للتدنييد بحالة الاحتلال أو إدانة أي حالة أخرى تتسبب في وجود هذا الاحتمال أو تؤدي إلى استمراره. من ذلك ما حدث في الربع الأول من القرن السابع عشر، حيث اشتدت فيه النزاعات العائلية والخلافات القبلية، إلى الحد الذي دعا عمير بن حمير عام ١٠٢٥ هـ/ ١٦١٦ م إلى الاستعانة بالبرتغاليين في هزم ضد أبناء وطنه. ولأشك أن هذا العمل يدل على قصر نظر وعدم شعور بالمسؤولية، إذ استغله البرتغاليون في أقرب فرصة، حيث أنزلوا أسطولهم على الشواطئ العمانية وبدأوا يقصفونها بأسلحتهم النارية، مما مكّنهم من احتلال صحار، وكان في هذا الأمر تدعيم للمركز العسكري والتجاري للبرتغاليين في مسقط، وذلك لأن صحار كانت تمثل أبرز منافس تجاري لـمسقط في عهدهم^(٥٨).

ومثال ذلك يقال عن استنجد سيف بن سلطان بالفرس عام ١١٥٠ هـ/ ١٧٣٧ م ضد منافسيه في الإمارة، وقد عرض هذا الأمر الخطير للبلاد للغزو الفارسي، ذلك لأن نادرشاه، الذي تربّع على عرش فارس آنذاك، كانت له أطماع توسعية في الخليج العربي من جهة، كما كانت له نوايا عدائية لعمان التي امتلكت أسطولاً بحرياً قوياً في المنطقة، من جهة ثانية فوجد لها فرصة سانحة للتحكم في الخليج العربي ولغزو عمان. ولما كانت الغزوات الفارسية لا تحقق أهدافها في السيطرة على البلاد وذلك بفعل حالة المقاومة والتصدي البطولية التي أبدتها العمانيون، لهذا فإنها تكررت لعدة مرات ما بين عامي ١١٥٠ و ١١٥٧ هـ/ ١٧٣٧ و ١٧٤٤ م، وفي خلال ذلك تحدثنا المصادر العمانية عما قامت به القوات الفارسية من دمار وتكليف بالسكان^(٥٩). وأن الجيش الفارسي الذي جاء البلاد مساعداً ومعيناً لسيف بن سلطان ضد خصومه قد شدد

قبضته على الأمور في البلاد، ولم يتورع عن غزو مسقط، وسعى لغزو عمان جميعها واخضاعها لسيطرته. وهكذا فإن استعانة سيف بن سلطان بالفرس، لتحقيق مصالحه الشخصية، كان موضع استنكار من جميع المؤرخين العمانيين. إذ يقول السالمي في هذا الصدد: «ولم يسلم من أهل نزوى إلا القليل، وسيف بن سلطان من ذلك النصيب الأوفر من الوزر حيث قاد اليهم الأعداء ونسى مآثرهم فيهم من أبائهم، وظن أنهم ينصرون وهم أعداؤهم»^(٥٧).

على أن أبرز مثال نسوقه على حالة التنديد والإنكار التي حملها المؤرخون العمانيون هو إحدى الرسائل المجهولة التي أوردها ابن رزيق في كتابه (الفتح المبين)^(٥٨). وهي موجهة إلى سيف بن سلطان بعد اتصاله بالفرس لطلب النصرة منهم حيث جاء فيها:

«لقد وصلنا بأن بعض العجم وصلوا بمن معهم من سفهاء قومهم إلى خورفكان ولعل بعضهم وصل إلى عمان ونزل من نزل منهم بناحية خورفكان. فهذه مصيبة علينا وعليكم، مما أعظمها، ورزية ما أشامها، فإن ظفروا طغوا... وإن تكاثروا عليكم ليسومنكم سوء العذاب، يذبحون أبناءكم، ويستحيون نساءكم، فسبحان الله، أأنت نائم أم يقظان، أم استولى على قلبك الشيطان، وتبعث كتك رسلاً قاصدة منك اليهم، وتدعوهم إلى حضرتك، وترجوهم لنصرتك. أجهلت أم علمت ففعلت بما حل منهم في جزيرة البحرين من قتل رجالهم، وأخذ سفنهم قسراً، ما لكم كيف تحكمون فبئس الرأي الذي رأيتم، والأمر الذي حاولتم وعليه عولتم».

وإذا كانت فترات الاحتلال الأجنبي لعمان تمثل جوانب مظلمة، فإن هناك جوانب هامة في تاريخ عمان اتفقت المصادر العمانية على أهميتها وعلى تسجيلها، وهذه الجوانب تمثل صفحات مجيدة في تاريخ هذه البلاد، بحيث لا نجد من يحدد عنها من المؤرخين العمانيين. فاختيار الإمام ناصر بن مرشد للإمامة عام ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م، وجهوده في تقديم أظافر النفوذ البرتغالي في عمان، وهي الجهود التي كانت النواة في القضاء على هذا النفوذ نهائياً عام ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م، والمقاومة البطولية التي أبدتها العمانيون ضد القوات الفارسية الغازية لعمان عام ١١٥٠هـ / ١٧٢٧م وطردتهم منها على يد الإمام أحمد بن سعيد البوسعيد عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م، كل هذه المواقف استأثرت باهتمام المؤرخين العمانيين ولقيت منهم النظرة نفسها، على الرغم من اختلاف ميولهم وأهوائهم تجاهها.

فقد اختير ناصر بن مرشد اماماً لعمان عام ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م، وذلك بعد فترة مخاض طويلة قضتها عمان في حروب داخلية عنيفة بين أطراف مختلفة. وقد استطاع هذا الإمام بعد جهود مضنية أن يوحد البلاد تحت قيادته وأن يسير بها لمناوشة البرتغاليين القابعين آنذاك في موانئ البلاد وسواحلها، فنال منهم الشيء الكثير واستخلص منهم ميناوي قلهات وصحار، وحاصر ميناء مسقط، ولكن الأجل المحتوم وافاه قبل أن يستطيع إجلاء المحتلين عن كل البلاد.

وهذه المنجزات التي حققها ناصر بن مرشد على طريق الوحدة والازدهار لعمان، والانتصارات التي أحرزها على البرتغاليين، هي التي دعت بعض المؤرخين العمانيين، وبالأخص ابن قيصر في كتابه (سيرة الإمام ناصر بن مرشد)، إلى الكتابة عن هذه الانتصارات، والأطناط في وصفها.

ولا يختلف المؤرخون العمانيون الآخرون الذين أعقبوا ابن قيصر، كالزكوي وابن رزيق والسالمي، في نظراتهم الى الامام ناصر بن مرشد، باستثناء انهم حاولوا أن يقللوا من طابع المبالغة والتمجيد الذي جاءت به روايات ابن قيصر لسيرة هذا الامام، مما جعلها أكثر قبولاً وقرباً من الواقع الذي حكم فيه الامام.

ومع اننا قد قلنا أن المؤرخين العمانيين أغفلوا تدوين الاحداث التاريخية التي مرت بعمان ابان فترة الغزو البرتغالي، الا أنهم منذ أيام الامام ناصر بن مرشد بدأوا في تدوين هذه الاحداث بصورة مسهية لأنها أصبحت موضعاً للاعتزاز، حيث انهم لم يتابعوا أخبار ملاحقة البرتغاليين والانتصار عليهم في الخليج العربي وانما تابعوها أثناء ملاحقتهم في الهند وشرق افريقيا^(٥٨).

فقد شعر المؤرخون العمانيون بحالة الانتصار والتفوق التي كانت عليه بلادهم فراحوا يدنون كل ما هو جدير بالتدوين. فعلى سبيل المثال، نقل لنا السالمي رسالة من البرتغاليين الى الامام سيف بن سلطان عام ١١٠٩هـ/١٦٩٧م، وهذه الرسالة تتضمن تهديداً ووعيداً للامام الذي رد على هذه الرسالة بأعنف منها غير مبال بتهديداتهم، حيث جاء في رسالة البرتغاليين:

«أعلم بأننا جنود الله مخلوقون من سخطه، مسيطرون على من يحل عليه غضبه، لانرق لشاكي ولا نرحم عيرة لباكي، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل الويل لمن لا يمثل لأوامرنا... أما جواب الامام لهم فقد كان على النحو الآتي:

«لقد حصل الوقوف على هذه الكتب الشاهرة، لقد نزع الله الرحمة من قلوبكم فهذا اقبح عيوبكم... من تعلق بالاصول فلا يبال بالفروع، نحن المؤمنون حقاً لا يبعدنا عنكم عيب ولا يدخلنا شك ولا ريب... فخيولنا برية بحرية، وهمتنا سامية علي... وقواكم قلوبكم كالجبال وعددكم كالرمال: الجزار لا يبال لكثرة الغنم... ان عشنا عشنا سعداء، وان متنا متنا شهداء»^(٥٩).

ومما يدخل في عداد الجوانب المشرفة مقاومة العمانيين لعمليات الغزو الفارسي لبلادهم ما بين ١١٥٠ - ١١٥٧هـ/١٧٣٧ - ١٧٤٤م، وتحقيق الانتصار الحاسم عليهم، على يد الامام أحمد بن سعيد البوسعيدي، الذي نجح في طرد الفرس من عمان، فاستحق بذلك انتخابه اماماً للبلاد عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م.

لقد كان الامام أحمد بن سعيد والياً على صحار عندما وقع الغزو الفارسي لعمان، فاثار هذا الغزو ثائرة اهل عمان وشعورهم القومي ضده وجعلهم يتطلعون الى قائد قوي ينقذهم والبلاد من غائلة الجيش الفارسي الغازي، فكان ان التفوا حول الامام أحمد بن سعيد في صحار التي أصبحت مركزاً للجمع الوطني في عمان، واستطاعت بقيادته أن تصمد أمام الفرس وان تظل على صمودها هذا حتى تحقق الانتصار النهائي لها، وعلى هذا فيكون ظهور الامام أحمد بن سعيد نقطة مشرقة في تاريخ عمان، اولاهما المؤرخون العمانيون كل اهتمام، بخاصة ابن رزيق الذي كتب كتابه (الفتح المبين) تمجيذاً لذلك.

وقد يكون من المناسب في هذا المجال الاستشهاد بقول سعيد رودولف روت الألماني الذي عمل في عمان للاستدلال على مدى تعلق العرب بقيادتهم ومنهجهم الولاء حينما يشعرون باخلاصهم ووطنيتهم وبطولتهم حيث يقول: «ومن طابع العرب البارزة اعجابهم بالطولة وتقدير الرجال الابطال منهم، ولهذا لم يتورعوا

عن الالتفاف حول زعمائهم واسباغ صفة الامامة عليهم، ومن ثم الانفضاض عنهم وتجاهل مقامهم الديني الذي اصفوه عليهم ونقل ولائهم دون ماندم أو وخز ضمير الى من هم أقدر على تحقيق أهدافهم الوطنية، ولذلك لم يكن بالمستغرب أن يغدو أحمد بن سعيد، وهو محاصر في صحار سيد عمان وأن يعترف له الجميع بالزعامة والقيادة^(٦٠).

المؤرخون العمانيون وأحداث المصير العربي:

وعلى الرغم مما قلناه من اهتمام المؤرخين العمانيين بتدوين الأحداث الداخلية بخاصة تلك التي تتعلق بأخبار أئمة المذهب الإباضي فانهم لم يغفلوا - أحياناً - تدوين أخبارهم خارج عمان، ولعل من الأخبار الجديرة بالتدوين المساعدات التي قدمها الامام أحمد بن سعيد للبصرة، أثناء حصارها من قبل كسريم خان عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م، وتخليصها من هذا الحصار .

ونظراً لما كان لهذه المساعدة من اثر طيب في النفوس، فقد تقرر دفع اعانة سنوية من خزانة البصرة للامام احمد.. وظلت هذه الاعانة - كما يقول ابن رزيق - تدفع حتى عهد السيد سعيد بن سلطان^(٦١).

وهكذا يتضح من الاستعراض السابق كيف ان معظم التأليف في عمان قد تأثر بالمذهب الإباضي وفقهه، وهذا ما جعل المؤلفات التاريخية العمانية الحديثة تأخذ شكل مدرسة تاريخية راسخة في منهجها واتجاهها. كما جعل المؤلفات الأخرى في ميادين العلوم الدينية واللغوية والأدبية تأخذ شكل مدرسة أو مدارس كانت لاتقل رسوخاً في منهجها واتجاهها سبق أن بيناه وتحدثنا عنه من قبل بتفصيل كبير، مما يدل على اصالة الفكر والثقافة لدى عمان وأهلها وعلى غزارة التراث العلمي الذي جاء به العمانيون منذ ظهور الاسلام وحتى الآن.

الفصل الثالث

العمارة والتحصينات العمانية

ان قصة العمارة والتحصينات في عمان قصة جديرة بالبحث والدراسة لأن معرفتنا بهذا اللون من ألوان الحضارة يضع يدنا على مفاتيح التاريخ العماني برمتة منذ أقدم العصور وحتى الآن. ذلك أن العمارة المدنية العمانية من قصور ومساجد ومدارس، والعمارة الحربية العمانية من قلاع وحصون وأبراج كانت وليدة التاريخ والجغرافيا وعوامل أخرى كثيرة نتجت عن طبيعة البيئة العمانية.

وقد سبق أن تحدثنا في القسم التاريخي من هذا الكتاب عن موقع عمان وأهميته، وأن هذا الموقع جعل عمان تقع على الطرق التجارية البحرية الشرقية وكان همزة الوصل بين شبه الجزيرة العربية من جهة وبين أفريقيا والهند وغيرها من جهة أخرى. وقد أغرى هذا الموقع سكانها على احتراف الملاحة لدرجة أن ملاحيها كانوا معروفين في موانئ العالم البعيدة، وكان تجارها على اتصال دائم بتجار البحار عموما، ولم تكن عمان همزة للوصل فقط بل كانت ملتقى للتجار من مختلف أنحاء العالم لعقد الصفقات التجارية فيها ولتبادل السلع والبضائع^(١)، حتى قيل (من أراد التجارة فعليه بعدن أو عمان أو مصره^(٢)).

وبقيت عمان ومنطقة الخليج عموما تعيش عصرا ذهبيا طيلة ازدهار الملاحة الإسلامية حتى القرن الخامس عشر الميلادي عندما اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح الذي أوصلهم إلى المحيط الهندي وخليج عمان^(٣).

وقد أدت سياسة البرتغاليين في هذه المنطقة إلى إشعال كثير من الفتن والحروب التي ساعدتهم على تفكيك الوحدة الوطنية والسيطرة على السواحل العمانية مايزيد على قرن ونصف القرن من الزمان إلا أن هذه السيطرة انكبت الروح القومية لدى العمانيين وكانت عاملا مهما في وحدتهم وطرد المعتدين من أراضيهم سنة ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م، كما أسقطوا أيضا قلاعهم خارج عمان سنة ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م^(٤).

يضاف إلى ذلك أن عمان تعد ثاني أكبر دولة في منطقة شبه الجزيرة العربية وتشتهر بسهولها الساحلية التي تمتد ألفا وسبعمائة كيلومتر، إلى جانب الواحات والقرى الداخلية المنتشرة بين الجبال، كما أن مناخها يتنوع بين حار جاف في الداخل، وحار رطب في الساحل، ومعتدل في منطقة الجبل الأخضر، كما تمتاز المنطقة الجنوبية بجبالها الخضراء والأمطار الموسمية المنتظمة.

وكانت لهذه العوامل مجتمعة أثرها الكبير في بناء المجتمع العماني وعلاقاته بالعالم من حوله وتطوره وتقدمه وكان لها أثرها على طبيعة العمران التي أنشئت فيه على مر العصور^(٥).

كما أن كون عمان عرضة للأطماع منذ تاريخها القديم وكونها تدخل في لعبة الصراع الدولي بغض النظر عن التوفيق بالظفر أو عدمه كان لابد أن يؤدي بعمان إلى أن تكون لها مؤسساتها العسكرية وأن تكون لها تحصيناتها البنائية المتميزة^(٦).

وهكذا كان لهذا المجتمع الذي كان على قدر كبير من التحضر والوعي، مؤسسته العسكرية التي يقع عليها واجب الدفاع عن مكتسباته، وبالتالي فانه ازاء ذلك لابد ان يكون قد أنشأ تحصيناته التي مكنته من صد الأخطار المحدقة به، خاصة اذا ما عرفنا أن صناعة مواد البناء كانت مزدهرة، وان عمليات التحجير كانت منتشرة، وأن منتجاتها على مستوى من الجودة، وأن نشوء مثل هذه الصناعة يستتبعها توافر عمالة وإعية بمقتضيات عملها ومدريسة على ممارسته، وربما كان من بينها المتخصصون في الأعمال المتعلقة بها كالبنايين والنجارين والجصاصين والحدادين والمهندسين وغيرهم مما يقتضيه تنوع أساليب البناء.

نستنتج من ذلك أن عملية البناء والتشييد ومنها القلاع والحصون في عمان يدعمها ارث حضاري ضخم تمتد جذوره الأولى الى ما قبل التاريخ الميلادي، وما زال هذا الموروث يتفاعل مع تطور حركة العمران بحسب الظروف والأحوال التي تكتنف الواقع العماني. وهذا الموروث يشكل المرتكزات التي تتمحور عليها ديناميكية الحركة بغض النظر عن مدى قوة الدفع التي تعتبر مؤثرا هاما وحيويا في نشاطها وازدهارها.

وهذه الحركة لم تتوقف في عمان منذ القديم وحتى القرن العشرين، وان مرت عليها فترات كانت فيها قوة الضخ اقل بكثير عن مستوى المأمول، فضلا عن مستوى الطموح، الا ان هذه الفترات كانت تشكل حركة موجبة متراوحة في قوتها او ضعفها، وفي مستوى انتشارها او حداثتها، وكذلك في قدرة اتصالها او بلوغها، وفي كل مرة كان الانسان العماني يحاول أن يجد الوسائل المناسبة لنوع هذه الحركة او ان يبتدعها لكي يتمكن من المشاركة ولو من بعيد عن طريق التعرف على المجريات او الاحساس بها، فضلا عن تمكنه احيانا من المشاركة الفعلية.

وقد شجعت محاولاته تلك لأن يكون في قلب التاريخ اخذا وعطاء، وهذا ما افصحته عنه الكشف سواء تلك التي وجدت في عمان أو التي عشر عليها في مناطق أخرى مختلفة. وبالرجوع الى الحضارات التي قامت على أرض عمان في الأزمنة المختلفة، ووقوعها في دائرة اطماع الحضارات الأخرى التي ركزت قصارى جهدها على استغلال الحضارات القائمة في عمان من خلال ادخالها الى حلبة الصراع التي دارت رحاها بين سمرهم وشبوه كما بينتها النقوش الأثرية^(٨)، أو صراع مجان مع الآشوريين^(٩) والصراع مع الفرس وغيرهم^(١٠). كل ذلك كان دافعا للعُمانيين الى انشاء تحصينات قوية لدرء الأخطار التي كانت تهددهم، مما أدى الى ظفرهم بأعدائهم وانتصارهم عليهم، والتاريخ العماني مليء بالشواهد على ذلك في القديم والحديث.

وعلى هذا الأساس كانت عملية التحصين لدى الانسان العماني أمرا بالغ الأهمية، وكان التحصين من الركائز الهامة التي ارتكزت عليها حركة التعمير في المستوطنات القديمة، ومن ثم فقد احتلت القلعة أو الحصن مكانا بارزا في مخططات المدن، اندراكا بقيمة الدور الذي تتميز به عن باقي أنواع العمران في تأمين مصالح البلاد، وكسر حدة الرغبة لدى المناوئين، ومتعا للتفكير في سهولة امكانية تحقيق مآربهم.

وقد دلت الاكتشافات في منطقة بات من عبري على وجود أبنية ذات تحصينات مختلفة، بعضها على شكل دائري أو على شكل خلية النحل، وبعضها الآخر عبارة عن تحصينات دفاعية يرجع تاريخها الى الألف الثالثة قبل الميلاد، وهذه التحصينات كانت على شكل برج يصل قطره الى عشرين مترا، ويرى الأثريون أنه ربما كان

ارتفاعه في حدود عشرة أمتار^(١١).

وقد استخدم العمانيون الحجارة في بنائهم القديم وخاصة في تشييد التحصينات، وتعود هذه الفكرة في استخدام هذا النوع من البناء الى عصور متقدمة، وقد أظهرت آثار الفينيقيين في قرطاج عن تبنيهم نفس فكرة استخدام الأحجار في بنائهم التحصينية التي كانت تبني بالأحجار الضخمة ذات الزوايا المربعة حيث ترصف بعضها فوق بعض بدون ملاط، وقد نقلوا هذه الطريقة الى مدن أخرى كانت خاضعة لسيطرة الفينيقيين مثل صقلية وصور، وهذه الفكرة البنائية مطابقة تماما لتلك التي وجدت في بات من عريي بعمان^(١٢).

هذا ولم تكن الأحجار المستخدمة في بناء التحصينات في بات أحجارا عشوائية، وإنما كانت دليلا على قيام صناعة التججير في عمان ذلك ان المقاسات التي بينها الاكتشافات الأثرية ودونها الأثريون وهي (١ × ١ × ٨، متر)، ومقاس (٢,٥ × ٢ × ٥، متر) تضيف بما يدفع الى اليقين ان تكنولوجيا البناء قد بلغت مستوى ربما تبينه الاكتشافات الجديدة بوضوح أكثر، خاصة اذا ما عولنا على صناعة مواد البناء من الأخشاب والأحجار والرخام التي كانت تصدرها مجان الى بلاد سومر وكيوي، وعلى ذلك فليس غريبا ان يرجع تاريخ التحصينات العمانية من القلاع والحصون والاسوار الى عصر ما قبل التاريخ الميلادي مروراً بالعصر الجاهلي فعصر الخلافة الإسلامية ثم وصولا الى عهد النباهة واليعاربة وانتقالا الى العصر الحديث^(١٣).

وفي هذه المجهود كلها ونتيجة للظروف السابقة من طبيعية واجتماعية واقتصادية عمد العمانيون الى انشاء القلاع والحصون في طول البلاد وعرضها فكانت قلاعهم من أعظم الآثار المعمارية القائمة فيها وما زالت شامخة تعكس عراقة هذا الشعب العظيم ذي التقاليد المجيدة والتاريخ المشرف.

ولا تكاد بقعة من ارضها الشاسعة تخلو من قلعة هنا وحصن هناك، ولكل قلعة وحصن حكاية تروي ما خلفه هذا البلد من حضارة وتراث عربي اسلامي أصيل. ففي عمان مايزيد عن خمسمائة برج وحصن دفاعي تعود الى العصر الاسلامي عدا قلعتي الرستاق وبهلا اللتين شيّدتا قبل الاسلام، وهناك ثلاث فقط بناها البرتغاليون، أما البقية فهي من بناء العمانيين انفسهم وليس كما يدعي الكثيرون ان البرتغاليين هم الذين بنوها^(١٤).

وأشهر القلاع القائمة في عمان في الوقت الحاضر حصن جبرين الذي بناه الامام بلعرب بن سلطان في اواخر القرن السابع عشر على بعد ٢٠٨ كم من مسقط، وقلعة الحزم التي بناها الامام سيف بن سلطان بن سيف اليعربي في اوائل القرن الثامن عشر على بعد ١٥٩ كم من مسقط، وهاتان القلعتان من المباني المتميزة بهندستها الرائعة وبتصميميها وعناصرها الدفاعية وزخارفها التي تحملها الجدران والسقوف والفتحات في كلا البناءين^(١٥).

وقد أنشأ العمانيون في العصر الاسلامي عمائر كثيرة من مساجد ودور حكم اضافة الى القلاع والحصون وغيرها، وما بقي من تلك العمائر ظل شاهقا الى يومنا هذا ويعتبر شاهدا ثابتا على رقي العمانيين وتقدمهم وطول باعهم في هذا الميدان. وكان تنوع تلك العمائر وفقا للحاجات وللظروف الطبيعية والاجتماعية والسياسية، اذ كان على المعماريين والمهندسين وضع الحلول الناجحة للمشكلة المعمارية ومعالجتها بما

يلائم تلك الظروف والحالات.

وحتى نتبين شموخ العمارة والتحصينات العمانية ونضع أيدينا على فن البناء والعمارة لدى العمانيين وعلى كيفية توظيفها بما يتناسب مع بيئتهم وظروف حياتهم وتاريخهم، لابد أن نلقي نظرة على بعض القلاع والحصون والأبراج التي شيدها وحسب أقدمها. وفي هذا الصدد يشير المؤرخون الى أن أقدم القلاع العمانية هي قلعة بهلا.

قلعة بهلا :

يرى بعض المؤرخين ان قلعة بهلا التي ترتفع ١٥٠ مترا فوق السهل من داخلية عمان قد شيدت عام ١٥٠٠ قبل الاسلام، وهذا يعني انها شيدت في الألف الأولى قبل الميلاد، كما يذهبون الى أبعد من ذلك فيقررون أن نبوخذ نصر هو الذي شيدها قبل رحيله الى بلاد الرافدين لتأسيس امبراطوريته^(١٦). واذ ما قبلنا بتاريخ التشييد المشار اليه لأسباب يدعمها قرب منطقة بهلا من منطقة بات ووقوعها في نطاق تأثيرها الحضاري، فان فترة حكم نبوخذ نصر لاتعطينا مجالا كي ننسب اليه تشييد هذه القلعة، وهناك رأي ثان يذهب الى انها شيدت في عهد مالك بن فهم الأزدي^(١٧)، ويرى آخرون أن الجزء الشمالي الشرقي من القلعة هو الذي يعود تاريخ بنائه الى ما قبل الاسلام وقد يكون هذا الرأي منطقيا، ذلك أن عمان كانت قبل الاسلام مجتمعا مستقرا حول منابع المياه ومجاري الوديان منذ الهجرة العربية الأولى^(١٨)، ولذلك فان هذا الطرح لا يتناقى مع الطرح بتاريخ بنائها حيث ان الهجرات العربية بدأت قبل الميلاد واستمرت

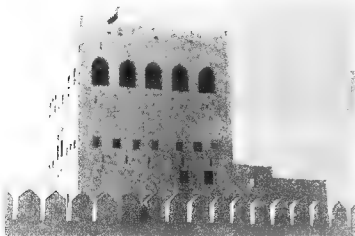


قلعة بهلا

متدفقة بعده الى المناطق المختلفة^(١٩).

ومن المسلم به ان هذه القلعة لم تحتفظ بصورتها التي انشئت عليها، ولم تتمسك بطابعها الذي وجدت عليه قبل الاسلام، وانما ادخلت عليها عدة تعديلات واضافات. اذ يقال بأن القسبة الشرقية الجنوبية قد شيدها النباهنة في اول عهدهم في القرن الثامن الهجري، وهذا الرأي ذو شقين فقد يلقي الشق الأول قبولا تؤيده الظواهر التاريخية والأحداث التي دارت رحاها في المنطقة، ولا يلقي الشق الثاني منه وهو المتعلق بالتاريخ (القرن الثامن الهجري) ميلا لانتفاء الأسباب التي تؤيده، حيث ان النباهنة قد تولوا الأمور قبل ذلك بقرنين على الأقل^(٢٠).

أما بيت الجبل الكائن في الزاوية القريبة من الشمال فقد بني في الفترة الأخيرة من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، أي في عهد الأئمة البوسعيديين، في حين أن البيت الحديث الكائن في الزاوية الغربية الجنوبية قد شيد في منتصف القرن الثالث عشر للهجرة / التاسع عشر للميلاد^(٢١).



حصن صحار

حصن صحار:

تنسب بعض الاخبار التاريخية بناء حصن صحار الى عهد عمان بن قحطان وبعضها تنسبه الى عهد مالك بن فهم الأزدي^(٢٢). وتعتبره من آثاره، أما البعض الآخر فينسب تشييده الى الجندى بن المستكر، وإن هذا الحصن كان يعرف بقصبة صحار، وفي هذا إشارة الى أنه قد بني قبل الاسلام، ويمكن الاستجابة الى هذا الرأي خاصة اذا رجعنا الى الذاكرة التاريخية لمدينة

صحار من حيث كونها حاضرة هامة على ساحل عمان ومن حيث كونها أحد أسواق العرب الشهيرة في الجاهلية^(٢٣). وكذلك اذا تدبرنا موقعها بالنسبة للامبراطورية الفارسية من قبل، فضلا عن ان عيدا وجيفرا ابني الجندى كانا يجعلان منها الى جانب توام مركزا للحكم، وبالتالي لا بد من وجود رمز بشائي يمثّل في هذا الحصن الذي قيل انهما استقبلا فيه عمرو بن العاص مبعوث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عام ٩هـ / ٦٣٠م. هذا ويرى آخرون ان الامام الوارث بن كعب الخروصي قد بناء على انقاض حصن قديم في عام ١٧٩هـ / ٧٥٠م، وهذا يسند الرأي السابق^(٢٤).

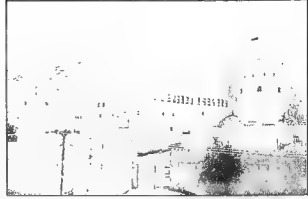
وقد دلت الاكتشافات الأثرية في الحصن (عام ٣٧٣هـ / ٩٨٣هـ) على وجود حضارة مزدهرة في هذه المنطقة^(٢٥)، وذكر المؤرخ الهمداني حصن غراب في ظفار في معرض حديثه عن سواحل عمان على أنه شيد قبل الاسلام، مما يقوي الاعتقاد بانشاء هذه الحصون سواء كان حصن صحار أم حصن غراب قبل الاسلام^(٢٦).

الا ان البعض يرى ان البرتغاليين هم الذين شيّدوا هذا الحصن بعد احتلالهم لعمان^(٢٧). في حين يذهب رأي آخر الى أن الهرمزيين هم الذين شيّدوه قبلهم، ذلك لأن صحار كانت ضمن مدن الساحل التي وقعت تحت سيطرتهم... وقد يكون هذا الرأي الثاني به شيء من الاثر الاسلامي من عهد الوارث بن كعب الى عهد الهرمزيين... اما فيما يتعلق بالرأي الاول فانه يصعب الالتفات اليه، ذلك لأن صحار كانت تحت حكم او سيطرة محمد بن مهنا الهديقي البوسعيدي، وقد قاوم في هذا الحصن بالاشتراك مع النباهنة محاولة احتلاله من قبل البرتغاليين^(٢٨).

ويبدو ان هذا الحصن قد ادخلت عليه عدة تعديلات وازدادات من قبل العرب والبرتغاليين^(٢٩)، ولعل تصميم الحصن كان الركيزة التي اعتمد عليها البرتغاليون في ابنيتهم الحربية في منطقة الخليج^(٣٠)، ويعتبر البرج الشمالي الغربي الوحيد الذي يحتفظ بشكله الاصيل، وقد ادخل الامام ناصر بن مرشد اليعربي على هذا الحصن عدة تعديلات عام ١٠٢٤هـ / ١٦٤٠م لم يشر الى نوعها وموقعها، أما الامام احمد بن سعيد فقد اضاف اليه ابراجا اخرى عام ١١٤٧هـ / ١٧٤٧م، وجدهه الوالي محمد بن احمد بن هلال عام ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م. كما تم تجديده في عهد السلطان سعيد بن تيمور عام ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م ورسم في عهد جلالة السلطان قابوس بن سعيد حفظه الله.

قلعة الرستاق :

يعتقد بأن هذه القلعة قد شيدت في العهد الساساني دون التمكن من تحديد تاريخ البناء^(٣١)، ويستدل على ذلك بأنه سميت قلعة كسرى. والحقيقة ان هذه اللفظة جاءت من التحريف في النطق حيث ان هذه القلعة بنيت في منطقة (قصرى) ولفظت كما في بعض اللهجات العمانية وخاصة الشمالية كسرى باستبدال القاف بالكاف، ولذلك فان القول بأنها شيدت في العهد الساساني لا يقوم على ركيزة منطقية يمكن قبولها، ذلك ان عمان كانت تتمتع بقدر من الحرية السياسية لم تكن بموجبه خاضعة للسيطرة الفارسية، الامر الذي مكن العمانيين من الدخول في الاسلام دون الالتفات الى اهمية سيطرة الفرس، بل اخذوا يدعونهم للدخول فيه، اللهم الا اذا كان هذا الرأي يستند الى مكانة الفرس باعتبارها امبراطورية امتد نفوذها الى اليمن، بغض النظر عن مكانة العرب واهميتهم. وهذا الرأي يمكن الاعتماد به ذلك لان عمان كانت تحت حكم عبد وجيفر ابني الجلندى بن المستكر قبل دخولها الاسلام^(٣٢)، كما ان القلعة جددت عام ٥٠٠هـ / ٦٧٠م وازدادوا من ارتفاعها في عهد الامام سيف بن سلطان اليعربي عام ١١٠٤هـ / ١٦٦٨م، كما اضاف اليها الامام احمد بن سعيد برج الحديث والصور وتحصينات عدة وقد شارك في الاضافة اليها السيد سعيد بن ابراهيم عام ١٢٢٠هـ / ١٩٠٢م، ثم رمت في عهد السلطان فيصل بن تركي عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م.



قلعة الرستاق

حصن نخل :

بني هذا الحصن على ربوة جبلية بارتفاع ٢٠٠ قدم، وترجح بعض الآراء الى ان ببناءه يعود الى فترة ما قبل الاسلام. والذي يدفعنا الى الاستئناس بهذا الرأي الذي يشير الى ان الحصن قد جدد في عهد اليحامي عام ٢٠٠هـ / ٨١٥م تأكيدا على اسبقية وجوده وهذا يعود ببنيائه الى فترة حصن الرستاق وربما صحار ايضا^(٣٣).



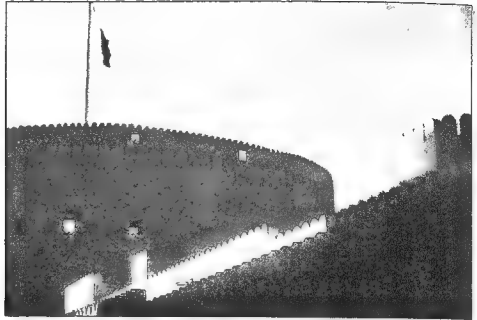
حصن نخل

وهناك رأي آخر ينسب ببناءه الى الامام الصلت بن مالك^(٣٤) الذي تولى الامامة في عمان لمدة ٣٥ عاما في الفترة من ٢٣٧ - ٢٧٢هـ / ٨٥١ - ٨٨٦م) وهذا يعني ان الحصن شيد قبل توليه الامامة وهي نتيجة تضاف الى سابقتها^(٣٥).

وقد خضع هذا الحصن لعدة ترميمات وازدادات من قبل حكام عمان على مر العصور. فقد قام النباهنة بتجديده ابان فترة حكمهم، وكذلك فعل اليعاربة عام ١٠٠٠هـ / ١٥٩١م، كما اضاف اليه السلطان سعيد بن سلطان بناء السور والبرج والباب القائم وذلك عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م^(٣٦).

حصن وقلعة نزوى

شيد هذا الحصن في منطقة العقر من نزوى عام ٢٢٥هـ / ٨٤٥م^(٣٧)، وقيل ان الذي شيده هو الامام الصلت بن مالك عام ٢٢٧هـ / ٨٥١م، وكان بناؤه بقرب



قلعة نزوى

المسجد الجامع القديم.

وبالنظر الى التاريخين نرى ان الحصن قد شيد قبل تولي الامام الصلت بن مالك مقاليد الامامة في عمان بحوالي اثني عشر عاما، اما بالنظر الى مرجعية التاريخ العماني منذ مالك بن فهم، نرى ان هذه المدينة قد شهدت كفرها من مدن عمان الهامة احداثا مصيرية في سيرة عمان التاريخية، وعلى هذا فان من المرجح ان يكون هذا الحصن قد شيد في عهد اسبق للتاريخ المذكور، وربما يمتد الى عصر ما قبل الاسلام.

وقد جدد هذا الحصن في عهد الامام ناصر بن مرشد اليعربي عام ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م، اما الامام سلطان بن سيف اليعربي فقد بنى القلعة الكبيرة الفريدة في عمارة التحصينات في عمان وربما في المنطقة كلها، ويعود تاريخ بناء هذه القلعة الى الفترة (١٠٥٩ - ١٠٧٩هـ/ ١٦٤٩ - ١٦٦٨م) (٣٨)... واستغرق بناؤها اثني عشر عاما.

ويشير تاريخ آخر الى أن تاريخ البناء يعود الى عام ١٠٦٢هـ/ ١٦٥١م في عهد

حصن بيت الفلج



الامام سلطان بن سيف بن مالك (٣٩)، كما يذكر بانه شيد في الفترة من عام ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م الى عام ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م (٤٠)، ورأي آخر يشير الى زمن لاحق مما ذكرته الآراء السابقة حيث يذهب الى أن بناه تم في الفترة (١٠٨١ - ١٠٩١هـ/ ١٦٧٠ - ١٦٨٠م) (٤١).

حصن بيت الفلج :

يعتبر بيت الفلج أحد نماذج القصور المحصنة ذات الشكل الرباعي المحوري القطري أي انه يحتوي على برجين ركنيين متقابلين على مسار محوري

قطري يمتد من الركن الشمالي الغربي الى الركن الجنوبي الغربي. ويعتقد انه شيد على أنقاض حصن عربي، قديم قبل قيام دولة اليعاربة^(٤٢)، ولا يمكن القطع بتاريخ بنائه حيث ان هذا التحصين قد شهد أحداثا هامة في تاريخ عمان، ومن أهمها تلك التي وقعت بين العمانيين والفرس في عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م بقيادة سيف بن حمد اليعربي والي الاسام سلطان بن مرشد اليعربي^(٤٣)، كما ان محمد بن خلفان والي مسقط في عهد الامام سعيد بن احمد قد اتخذ مقر له بعد وفاة السيد حمد بن الامام سعيد عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م^(٤٤).

غير اننا نميل الى أن هذا التحصين ربما كانت ركيزته المعمارية هو الحصن العربي القديم الذي أشرنا اليه. ومن ثم أدخلت عليه تعديلات عدة لتتناسب مع الرؤى الاستراتيجية للحكام المتعاقبين من اليعاربة واليوسعديين. وبالتالي فإن تشييده لم يكن مستحدا كقلعة روي والبرج المثلثن بحصن بركاء وقد بناهما السيد حمد بن سعيد^(٤٥) وقلعة الراوية التي بناها السيد سلطان بن أحمد^(٤٦)، كما انه لم يكن من منجزات اليعاربة، ويرجح أن تاريخ بنائه يعود الى عهود سابقة.

وقد استخدم هذا الحصن للأغراض الدفاعية وقد يشفع له موقعه في ذلك حيث يعتبر قاعدة متقدمة بالنسبة لمطرح ودارسيت على نحو أخص، وكذلك بالنسبة لمسقط والطرق المؤدية اليها على نحو أعم. وهذا ما تسنده الوقائع الحربية التي دارت رحاها كما يؤكد تصميم المبنى نفسه، حيث توجد الأبراج والفتحات لاطلاق النار وكذلك منصات المدافع.

وقد استخدم الحصن أيضا للأغراض السكنية حيث اتخذ السيد سعيد بن سلطان منزلا ريفيا^(٤٧)، وهذا الرأي يجد له سندا قويا ينبثق من تصميم المبنى الذي اشتمل على غرف للنوم وأخرى للاستقبال وغيرها، مما يعتبر دليلا على استخدامه للأغراض السكنية، شأنه في ذلك شأن كثير من البيوت أو القصور المحصنة في عمان كجبرين والحزم وبيت النعمان والفليج وغيرها.

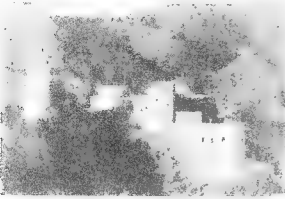
وقد حظي هذا الحصن باهتمام الحكام فسعوا الى اضافة للسمات المعمارية العربية عليه من حيث معالجة جدرانه بأعمال الزخرفة المجصصة، وكذلك معالجة الأسقف من خلال الاعتناء بطلائها وتزيينها، ومعالجة العوارض الخشبية التي يستلقي عليها السقف من خلال النقوش، فضلا عن الابواب المنقوشة والشبابيك الخشبية وعقودها الخارجية ولعل تزاوج المسمى بيت الفلج مع المسمى حصن بيت الفلج جاء نتيجة للعلاقة الازدواجية في وظيفتيه الحربية والسكنية.

هذا وقد أثرت النظرة الاستراتيجية على بناء هذا التحصين، إذ جعلته خاضعا للتعديلات والتغييرات على فترات مختلفة، وكان في استخدامه للدفاع أكبر الأثر في ازدياد أهميته، حيث اتخذ مقرا لقيادة قوات السلطان المسلحة حتى عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م^(٤٨).

وقد بدأت بعد ذلك عملية تحويله الى متحف لهذه القوات وافتتح رسميا تحت رعاية جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم في ديسمبر ١٩٨٨م.

قلعة الجلاي: الكوت الشرقي:

يطلق عليها أحيانا كوت الجلاي أو الكوت الشرقي، ويرجح البعض أن لن هذه الكلمة أصل غير عربي، إذ انهم ينسبوننها الى اللغة البرتغالية حيث اشتقت من الكلمة



قلعة الحلال

البرتغالية (فورت - Fort) وكان البرتغاليون يطلقون على القلعة الغربية (الميراني) لفظة (فورت كابيتان) أي مقر القائد ويقال أنها عرفت في الأصل (سان خو) ولعلها اكتسبت اسمها بنسبتها إلى أحد قادتها^(٤٩) وربما ترجع إلى اللفظة الإنجليزية (كورت Court) مكان القضاء أو المحكمة، أو أنها مشتقة من كلمة (كورتين وول - Curtain Wall) وتعني الجدار الساتر، ثم جرى عليها التحريف في النطق، كما حدث أن نطقت (قصرى) كسرى كما أشرنا من قبل، وربما

جاءت من اللفظة العربية (كوث) على سبيل الاستعارة وهي تعني النبات ذات الأربع أوراق^(٥٠)، حيث أنه بهذه القلعة عدة أبراج ثم جرى التحريف في النطق، وهذا وارد، فنطقت (كورت) بدلا من (كوث)... إلا أننا لا نميل إلى هذا الاستنتاج كثيرا، وإذا قبلنا استعارته للشكل فلا يمكن الركون إلى قبول استعارته للوظيفة الدفاعية بالدرجة الأولى، ونرى أن نسبتها إلى الألفاظ الغربية أقرب إلى الاطمئنان، ولكن اللفظة العربية (كود) وتعني الكوم تكون الأرجح عند مقارنتها بلفظة كوت بعد تحريف نطقها العربي.

وقد اختلفت الآراء حول انشاء القلعة وسبب بنائها، فمنهم من يرى أنها شيدت عام ٩٩٥هـ/١٥٨٧م في أعقاب استرداد البرتغاليين لمسقط بغرض السيطرة التامة على عمان من خلال أحكام القبض على الثغور^(٥١). أما لفظة الجلال فيقال أنه جاءت نتيجة لاحتلال القلعة من قبل القائد الفارسي خلال عام ١١٥٠هـ/١٧٣٧م، والرأي الثاني يعود بتاريخ تشييدها إلى عام ٩٩٤هـ/١٥٨٦م، ورأي ثالث يفيد بأنها شيدت عام ٩٩٧هـ/١٥٨٨^(٥٢).

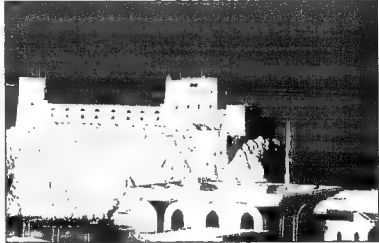
وعلى أية حال فقد شيدت هذه القلعة على أنقاض بناء قديم يعتقد بأنه كان عدة مراصد، وربما كانت هذه المراصد في شكل أبراج إقامتها أهل مسقط، أو ربما كان حصنا منيعا هدمته نيران البوكيرك الذي وصف المدينة بأنها «كانت عامرة جدا بالسكان» وأن العمران يستلزم أمنا واستقرارا يتوفر من خلال وجود المعقل التي تحمي استمراريته، كما أن البوكيرك لم يقدم على هذه الخطوة إلا بعد فشل المفاوضات^(٥٣)، وهذا يدعو إلى الاطمئنان بقبول أنها شيدت على أنقاض بناء قديم، وقيام المفاوضات ثم فشلها يعود إلى وجود قوة رافضة لها كانت ترى في نفسها ندية للمهاجمين وقدرة على مقارعتهم بما توفر لها من أسباب القوة والمنعة ومنها القلاع والحصون، ولذا فإنه من المرجح أن يكون البرتغاليون قد أعادوا تشييد مادمروه احساسا منهم بقيمة هذا الأثر الاستراتيجي وأهميته الدفاعية واستعانوا على إعادة التشييد بتصاميم قلعة صحار^(٥٤) مستفيدين من خبرتهم العسكرية الطويلة والتي طبعت نفسها على معمار القلعة.

وقد حظيت هذه القلعة باهتمام كبير من حكام عمان، فقد حافظ عليها البعارة وقاموا بتجديدها في الفترة ما بين عام (١٠٦٨ - ١٠٧٠هـ/١٦٥٧ - ١٦٥٩م) أي في فترة حكم الأماسم سلطان بن سيف بن مالك اليعربى المتوفى عام ١١٩٠هـ/١٧٧٦م^(٥٥)، كما أن الوالي خلفان بن عبدالله في عهد الامام أحمد بن سعيد قام بتجديدها عام ١١٦٨ - ١١٧٠هـ/١٧٥٤ - ١٧٥٦م، أي بعد مائة عام

تقريباً^(٥٦) ورممها السلطان تركي بن سعيد عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م، وأضاف إليها الغرف الغربية^(٥٧) وقد جددت مرة أخرى في عهد جلالة السلطان قابوس بن سعيد بما يحفظ لها امتداد قوتها ومتانتها مع الزيادات التي أدخلت عليها عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

قلعة الميراني (الكوت الغربي):

وكما ناز الشك حول تسمية قلعة الجلاي فانه يلقي بظلاله على هذه القلعة التي يقال انها نسبت الى (الاميرال) البرتغالي^(٥٨)، ويقال ان البرتغاليين يطلقون عليها (فورت كبتان)، والرأي السائد انها كسابقتها قد أطلق عليها (الميراني) نسبة الى أحد قواد الفرس الذين احتلوا مسقط عام ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م اثر استنجاد سيف بن سلطان اليعربي بهم^(٥٩).



قلعة الميراني

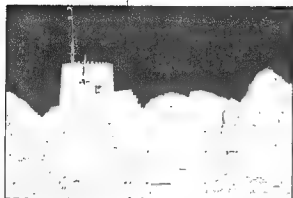
ويعتقد بأن هذه القلعة شيدت على أنقاض بناء قديم وانها كانت مرصدا لحماية المدينة شاذها في ذلك شأن قلعة الجلاي، وأن الملك فيليب الاسباني - الذي استولى على البرتغال عام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م أو عام ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م حسبما تذكر الدكتور سعاد ماهر - أمر ببنائها حيث اكتمل عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م^(٦٠)، وقيل أنها شيدت على أنقاض حصن قديم^(٦١) وقام البرتغاليون بتطويره، وهذا يعني انها ليست بناء مبتكرا وانما هي بناء مطور عن بناء آخر أقدم منه ربما لم يكن مناسبا لمستجدات الظروف، ولذلك طبعت الشخصية المعمارية العسكرية على هذا البناء الذي طور ليلائم احتياجاتها.

وهكذا كان تاريخ بنائها مثار خلاف بين المؤرخين فمنهم من يرى انها بنيت عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م^(٦٢)، ومنهم من ذهب الى انها شيدت عام ٩٩٨هـ/ ١٥٩٠م^(٦٣) فالاختلاف في التاريخ الهجري والميلادي اختلاف طفيف لا يشكل أكثر من عامين ويمكن الرضا به، ونرى أن مرجعه الى المطابع واختلاف التدوين. وكما حظيت قلعة الجلاي بالعتاية والرعاية من قبل اليعاربة فقد نالت هذه القلعة نصيبها من الاهتمام والتقدير من قبلهم أيضا، فجددت عام ١٠٨٠هـ أي في عهد الامام سلطان بن سيف اعترافا من قبله بمضمونها المعماري واكبارا لدورها الدفاعي، وتقديرا لقيمتها الاستراتيجية.

كما أمر الامام أحمد بن سعيد واليه الوالي خلفان بن عبدالله الوكيل بتجديدها في الفترة من ١١٦٨هـ الى ١١٧٠هـ (١٧٥٤ - ١٧٥٦م) وهي نفس الفترة التي تم فيها تجديد قلعة الجلاي^(٦٤)، وذلك ضمن خطة لصيانة بعض القلاع والحصون في عمان، ويتضح ذلك في جهود الامام أحمد بن سعيد في أعمال الترميم والتجديد في بعض القلاع المشهورة.

وبناء على أوامر جلالة السلطان قابوس بن سعيد فقد جددت القلعة وزيد في مرافقها عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م^(٦٥).

واجهة قلعة
مطرح تبين كيفية
تناسق الموقع مع
التصميم



قلعة مطرح

قلعة مطرح :

يطلق عليها أحيانا لفظ كوت مطرح اقتداء بما اطلق على قلعتي الجلاي والميراني وأحيانا تسمى الحصن البرتغالي^(٦٦). وفي هذا انتساب واضح الى البرتغاليين، ويبدو أن وضعها ربما كان مماثلا لوضع القلعتين الآخرين في مسقط.

كما ان البرتغاليين كانوا يطلقون على مطرح اسم (مكارا)، ويحتمل اللفظ تأويله الى (مفارة) و(مقار)، والتأويل الثاني اقرب الى القبول من حيث وضع الحصن كمقر وهذا التأويل يحمل معنى عربيا، والكلمة تصبح جمعا لكلمة (مقر)، وبالتالي فإن هذا الاطلاق في المعنى يحتمل الشمول بمعنى مطرح، والتقييد بمعنى القلعة، ولعلمهم سموه من السكان.

ويعتقد انها شيدت عام ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م وهذا يعني اسبقية بنائها على قلعة الميراني^(٦٧) بمدة عشرة اعوام وعلى قلعة الجلاي بمدة احد عشر عاما، واسبقية البناء يفهم منها ان مطرح وقلعتها كانتا اكثر اهمية من مسقط مما أدى الى الالتفات الى تحصينها، غير أننا نرى انها شيدت وقلعة الميراني في عام واحد بغرض تقوية معاقلمهم، وان الفارق في تاريخ البناء مرده الى خطأ في النقل، وربما كان التاريخ ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م وهو العام الذي اكتمل فيه بناء قلعة الجلاي، او لعل البناء بدأ في ذلك العام واكتمل في عام ٩٩٦هـ / ١٥٨٧م، كما ان مطرح لم تظهر في يوم من الايام اهم من مسقط لدى البرتغاليين من الناحية الاستراتيجية ويستدل على ذلك من كمية التحصينات ونوعها في مسقط وتوضيحها الرسوم التي وضعت في ذلك العهد^(٦٨).

وعلى أية حال فقد حظيت هذه القلعة بالعناية كغيرها من قلاع عمان وحصونها، ذلك ان مطرح كانت من المراكز التجارية الهامة في عمان، وكان الحفاظ على القلعة بالترميم والتجديد امرا ملحا وضروريا استدعته مقتضيات الأمن والدفاع، فاعتنى بها حكام عمان من اليعاربة والبلوسعديين، وتنفيذا لأمر جلالة السلطان قابوس بن سعيد قامت وزارة التراث القومي والثقافة بترميمها عام (١٤٠٠ - ١٤٠١هـ / ١٩٨٠ - ١٩٨١م)^(٦٩).

حصن جبرين :

تعتبر بلدة جبرين حالياً من أعمال ولاية بهلا من داخلية عمان، وجبرين وجبرائيل بمعنى الجبر اضيف الى ايل أو اين^(٧٠)، ويفهم من هذا ان الحصن قد انشيء للفرض ذاته حيث ان الجبر ضد الاختيار فيكون المفهوم منه المنعة، وحيث ان الجبر ضد الكسر فيكون المفهوم منه الوثام، وحيث ان الجبر - بكسر الجيم - تعني الكبر فيكون المفهوم منه الشموخ والعظمة.



حصن جبرين

ولان بلدة جبرين عامرة بالمرزوعات وخاصة القمح والحبوب، وبها المياه التي تجلبها الافلاج، فان مفهوم الجبر بمعنى الوثام والسلام والدعة هو الاقرب الى الركون اليه، كما ان الحصن او القصر المحصن كان من بين اهداف انشائه الاقامة او السكن فضلاً عن الاهداف الحربية وهو يتفق مع المفهوم الذي اشرنا اليه. وبهذا المعنى فان العلاقة وثيقة بين بلدة جبرين وحصنها وهي علاقة تشابكية فلا تذكر الا وذكر ولا يذكر هو الا وذكر هي، قريبا سميت باسمه، ولكن الارجح انه نسب اليها، ويدعم ذلك القول بانه شديد على انقاض بناء قديم^(٧١).

هذا وتجمع المراجع على أن بانيه هو الامام بلعرب بن سلطان اليعربي، الا انها تختلف في تحديد فترة بنائه الزمنية، فمنها من يرى انه بني عام ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م أو في عام ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م^(٧٢)، ومنها من يرى انه شيد في عام ١٠٨٦هـ / ١٦٧٥م استنادا الى التاريخ الموجود على القوس المزخرف الذي يؤدي الى الدرج المضي الى القبو^(٧٣). وبعضهم يرى ان تاريخ بنائه في عام ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م^(٧٤)، ومنهم اشارة الى ان الامام بلعرب قد اضاف اليه جناحا في عام ١١١٢هـ / ١٧٠٠م^(٧٥) والجدير بالذكر ان بعض المراجع تشير الى ان الامام بلعرب حكم في الفترة من (١٠٩١ - ١١٠٤هـ / ١٦٨٠ - ١٦٩٢)^(٧٦). ويذكر الشيخ نور الدين السالمي ان الامام نُصَّب عام ١٠٩١هـ / ١٦٨٠^(٧٧)، في حين يشير آخر الى عام ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م^(٧٨).

ويعود هذا اللبس الكبير في التسجيل التاريخي بالدرجة الاولى الى عدم دقة التدوين والتقدير، فضلاً عن الخلط في تحديد مدة الحكم وبدايته، وكذلك في وفاة الامام أو نهاية الحكم. وإذا قارنا بين ما ذكره نور الدين الشيخ عبدالله بن حميد السالمي عن تاريخ توليه الحكم من (١٠٩١ - ١١٠٤هـ / ١٦٨٠ - ١٦٩٢)، وما ذكره اي دريكو من ان البناء تم في عام ١١١٢هـ / ١٧٠٠م لوجدنا ان الفارق بين تاريخ الوفاة (١١٠٤هـ / ١٦٩٢م) وزمن البناء (١١١٢هـ / ١٧٠٠م) مقداره ثماني سنوات، وهذا يعني ان البناء قد تم بعد موت الامام، في حين تجمع المراجع على ان حصن جبرين بناه الامام بلعرب.

ومقارنة مع تاريخ البناء الذي ذكره دونالد هولي ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م نرى ان الفارق بينه وبين نور الدين السالمي مقداره أحد عشر عاما، وهذا يعني ان الحصن قد بني قبل توليه الامامة بهذا العدد من السنوات، ولكن مقارنة مع ما ذكر في كشف الغمة يعطينا ايضاحا بأن الحصن قد بني قبل ذلك بحوالي ثلاثين عاما. ومما لاشك فيه ان

النظرة التصويبية الى تواريخ الاحداث والمنشآت والانجازات ينبغي ان تسلط عليها الاضواء، وان تعالج بعناية تتبع سيرتها في كافة المراجع واجراء المقارنات والتغيرات الصحيحة منعاً للخلط ودفعاً للشك وابتعاداً عن التسويف.

هذا ويبدو ان الحصن قد اجريت عليه عدة تعديلات، اذ افترض المؤرخون وبخاصة الآثاريون أن تصميمه كان مغايراً لواقعته الحالي، وانه تعرض لعدة عمليات بناءية مرحلية، وهو ما اطلقوا عليه نظرية تعاقب البناء^(٧٩)، حيث يفترضون أن جزءاً منه اضيف اليه فيما بعد ليلام الأغراض الدفاعية، الا أن آخرين يذهبون الى انه لم يجر عليه التعديل في البناء الاساسي وربما حدثت اضافات خارجية في داخل نطاق السور، والقبول بالرأي الاول يعطينا بعداً على مدى تطور الفكر المعماري في التخطيط المرحلي وهو ما تأخذ به النظريات الحديثة في تصاميم المدن والبناء، كما أن مبدأ الاضافات والزيادات وارد في الابنية العمانية فمن تتبعنا لبناء التحصينات في قلاع الرستاق وصحار والجلالي وبهلا وكذلك في البيوت المحصنة كبيت النعمان وغيره وجدنا ان هذه الظاهرة طبيعية، ولكن مما يثير الفخر في عملية البناء هو عدم تأثر واجهاتها من حيث التناسق الكتلي فتشكل وحدة واحدة.

وينسب بعض المؤرخين الى أن سببية بنائه انطلقت من أهمية وجوده كمقر للسكن فضلاً عن كونه معقلاً لصد هجمات المغيرين^(٨٠). ومن المرجح أن تكون فكرة البناء قائمة على أساس أهمية وجود قواعد متقدمة ومنتشرة في منتصف البلاد كما هو الحال بالنسبة لحصن الحزم وغيره.

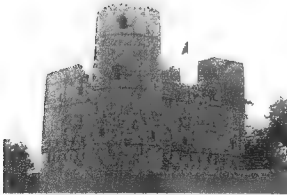
ومما يذكر أن الامام بلعرب بن سلطان قد مَوَّل هذا الحصن من أمواله الخاصة كما فعل الامام سلطان بن سيف عند بنائه حصن الحزم... وقد انتهت وزارة التراث القومي والثقافة من ترميمه عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

بيت النعمان:

شيد بيت النعمان على أنقاض بناء قديم كان مقراً للولاة السابقين^(٨١)، وينسب الفضل في بنائه الى الامام سيف بن سلطان (قيد الأرض) حوالي ١١٠٣ - ١١٠٤هـ / ١٦٩١ - ١٦٩٢م^(٨٢)، ولكن هذا التاريخ يشير الى العامين الأخيرين من فترة حكم أخيه الامام بلعرب بن سلطان المتوفى عام ١١٠٤هـ / ١٦٩٢م، مما يفيد بأن هذا الامام هو الذي بنى هذا البيت، وأن أخاه سيف بن سلطان (قيد الأرض) قام بغرس عدد كبير من الأشجار فيه.

حيث غرس ٣٠٠ فسيلة من النخيل، و ٦٠٠ شجرة من جوز الهند (التارجيل)^(٨٣). ومن المحتمل أن عملية التشييد لم تتم في عهد الامام بلعرب كعملية كاملة، وإنما اضيف اليه بعض الأسوار والأبراج واكتفى بأعمال الترميم والتجديد، لانه يفهم من كلمة أنقاض أن البناء السابق تعرض للتخريب اما بفعل العوامل الطبيعية او بفعل الانسان، ويفهم أن اجزاء منه ربما كانت صالحة سواء كانت الحيطان أو الأساسات او غيرها وتمت عملية الترميم والاضافات على اثر ذلك.

وقد قام الامام أحمد بن سعيد بتجديده، أيضاً كما أنه زاد فيه بروجاً أخرى وزاد



في السور، ويفهم من الزيادة الاضافة، فبالنسبة للسور ربما تكون الزيادة طولية بمعنى الامتداد اوراسية بمعنى الارتفاع، كما أنه عمر حدائقه، وهو مايفهم منه الاضافة الى القديم منها واحياؤها^(٨٤).

حصن الحزم:

الحزم لغة الضبط أو الشدة، وحزم الشيء شدة^(٨٥)، فلعل اسم الحزم أريد به أن يحمل ذات المضمون، بمعنى أن يكون منيعاً في وجه الأعداء، حازماً في الدفاع غير متهاون صعب المراس، ولعل ما يؤيد ذلك خصوصية التصميم الذي امتاز به، ووجود التحصينات الدفاعية التي زود بها من أبراج ومساك سرية وأسوار منيعة وكوى ومنصات وغيرها.



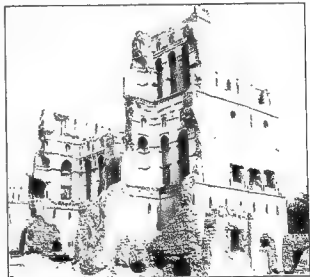
حصن الحزم

وثمة علاقة ارتباطية بين الحصن والقرية من حيث شكلية الاسم ومضمونه، ذلك أن القرية تحمل نفس الاسم قرية الحزم، ولعله قد سمي بها أن كانت سابقة له، أو سميت به أن كانت لاحقة عليه، فضلاً عن كونه اثراً معمارياً بارزاً يضيف دليلاً على ارتفاع ذوق الإنسان العماني وتقدم فكره المعماري وتطور بنائه الهندسي، وتكاد تجمع المراجع على أن بانيه هو الامام سلطان بن سيف الذي تولى الامامة في الفترة من عام (١١٢٣هـ/ ١٧١١م - ١١٣١هـ/ ١٧١٨م)^(٨٦)، وقد أنفق الكثير^(٨٧) من الاموال على العمران، وعمران هذا الحصن بالذات، وترجع بعض المراجع تاريخ تشييده الى عام ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م^(٨٨). وبعضها تعود بتاريخ بنائه الى عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م الذي اشار بأن هذا التاريخ مأخوذ من كتابة وجدت على ابواب المدخل الرئيسي، وتذهب بعض المراجع الى ان بناءه تم في عام (١١٢١هـ/ ١٧٠٩م)^(٨٩). وأخرى تشير الى تاريخ بنائه الميلادي عام ١٧٠٨^(٩٠)، فإذا كانت فترة حكم الامام مدة سبع سنوات^(٩١) ابتدأت من عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م وانتهت عام ١١٣١هـ/ ١٧١٨م حسب اجماع المراجع العمانية فانه لا يمكن الركون الى القول بأن الحصن بني في عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م أو عام ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م، كما ان عدم الدقة في تحديد التاريخ

فتح البوسعيد

الميلادي المعادل للهجري واضح فيما اورده المراجع، غير ان اغلبها اكد أن الحصن بني في عام ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م وهو ما يمكن الاعتداد به. ويقال ان الامام سلطان بن سيف قد مول بناءه من امواله الخاصة ومن اوقافه كما انه دفن بداخله.

هذا وقد حدثت في هذا الحصن بعض الاضافات شأنه في ذلك شأن كثير من هذه الابنية كبيت النعمان وحصن جبرين وغيرهما، اذ اضاف اليه ابراهيم بن قيس بعض الابنية الطينية عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠^(٩٢)، وتحتاج مهندسة هذا الحصن المعمارية الى دراسة مستفيضة من كافة جوانبها لانه يمثل نموذجاً جيداً يمكن من خلاله



التعرف على كثير من الجوانب الفكرية التي صاغته وأرست دعائمه وظيفيا وشكليا.

حصن البريمي - قصر الخندق / حصن الخندق:

يسمى هذا الحصن بـ حصن البريمي لانه واقع في ولاية البريمي، وهو من الحصون الأمامية لعمان التي كان لها دور بارز في التاريخ الحربي، وأما تسميته بـ حصن الخندق فلأن خندقاً واسعاً عرضه ٧,٥ م وعمقه حوالي ٣ م كان يحيط به، بالإضافة الى تحصينه بالمنايريس، وتعزى تسميته بقصر الخندق الى انه ربما كان يستخدم كمقر للسكن شأنه في ذلك شأن بقية القصور كجبرين وبيت النعمان والحزم وغيرها من المباني التي شيدت لتكون قصوراً محصنة تمارس من خلالها ايضا المهام الرسمية. ويعتقد بأن السلطان سعيد بن سلطان هو الذي شيد، ويستدل على ذلك من وجود المدافع التي نقش عليها اسمه عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م^(٩٢).

هذا عن حصن البريمي وغيره من الحصون والقلاع التي تحدثنا عنها حتى الآن، وهي كما أشرنا قليل من كثير مما تزخر به عمان، وإذا كنا قد استعرضنا تاريخ انشاء هذه الحصون والقلاع وبيننا بعض الصفات والملامح المعمارية التي تتميز بها، فإن هذه الصفات وتلك الملامح لابد وأن تقودنا الى الحديث عن الأسس التي قامت عليها هذه العمارة الحربية العمانية.

أسس العمارة الحربية عند العمانيين:

قامت نظرية الدفاع الحربية العمانية على مرتكزات عدة وعلى موروثات تمتد في تاريخها الى ما قبل الاسلام، وعلى الاخص الى ما قبل الالف الرابع الميلادي مروراً بالعصر الجاهلي وانتقالاً الى عهد الخلافة وتعريفاً الى القرن السادس عشر والسابع عشر ووصولاً الى القرن العشرين.

وانطلقت تلك الموروثات من أبعادها المختلفة وشكلت فيما بينها نسج النظرية الاستراتيجية الدفاعية، وأكدت على أن هذه النظرية لم تعول على عامل منفرد ومحدد بذاته، وإنما تشابكت في تشكيلها كافة العناصر اللازمة والضرورية لاعطاء كلمة (القوة) التي أوردتها رب العزة في القرآن الكريم المعنى الذي دعت اليه، باختلاف الحقب الزمنية، وباختلاف وسائل القتال وتعدد انماط التحصينات، وباختلاف المستوى الحضاري للمجتمع، فضلاً عن القدرة الاتصالية بحركة الزمن في المحيط الدولي وعن كيفية التفاعل معها والتعامل بمنطقها.

أما العناصر التي شكلت أسس العمارة الحربية لدى العمانيين فهي عديدة، أولها التاريخ العماني ذلك أن التاريخ العماني يعتبر أحد المراكز الحيوية التي اعتمدت عليها نظرية الدفاع إذ انه يحتل مساحة واسعة استوطنتها خبرة حربية عميقة وهامة انضجتها شتى أنواع الحروب التي دارت رحاها على ارض عمان في داخلها، وسهلها وساحلها وصحرائها وبحرها وحتى في المناطق التي خضعت لها. فالخبرة التي تمتد الى حضارة أم النار، والتي ابانت عن بعض جوانبها التحصينات الاثرية القديمة التي عثر عليها في منطقة بات بولاية عبرى الحالية، والتي يعود تاريخها الى الالف الرابعة قبل الميلاد، كما ان تنوعها من قلعة الى سور الى حصن دل على وجود الخبرة المكتسبة في هذا المجال. ثم ان الحرب التي خاضها الملك نارم سن ملك سومر ضد الملك مانيموك ملك مجان^(٩٣)، والاحداث التي وقعت بين ملك شيوخه وملك سمهرم، وحروب الأزد مع الفرس في عهد مالك بن فهم ومن بعده^(٩٤)، وصولاً الى العصر الاسلامي الذي برز فيه

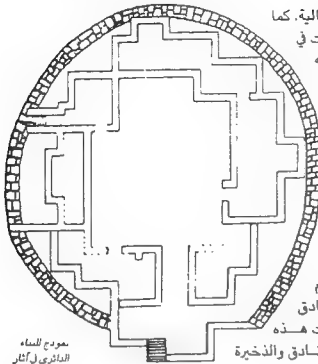
العمانيون كمقاتلين في صفوف الجيش الاسلامي^(٩٦)، وكقادة أوكلت اليهم مسؤولية محاربة المناوئين للدولة الاسلامية كالمهلب بن ابي صفرة وأولاده^(٩٧)، وكأئمة رفضوا تسلط الأمويين على عمان مثل الجندي بن مسعود^(٩٨) وقاموا أعمال القرصنة في البحر مثل الامام غسان^(٩٩)، وتصدوا للعباسيين في احدى المعارك الكبيرة بقرب حصن دما «السيب» عام ٢٨٠هـ/٨٩٣م في عهد امامة عزان بن تميم الخروصي^(١٠٠)، وكذلك محاربتهم في الهند ايام الامام الصلت بن مالك نصره للمسلمين هناك، ثم صدهم الفرس عن صحار قبل الاحتلال البرتغالي، ثم عدم التسليم للبرتغاليين عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م الا بعد مقاومة عنيفة ابدتها المدن العمانية صحار ومسقط وصور وقريات^(١٠١)، ثم تاججت روح المقاومة المتوثبة التي مكنت العمانيين من تجاوز^(١٠٢)، البرتغاليين والانتصار عليهم وملاحقتهم في شتى المناطق، ثم تمكنهم من بناء اسطولهم الذي مكنتهم من مقاومة الفرس في الخليج^(١٠٣)، وكذلك محاولة الدول الاجنبية الاخرى كفرنسا وبريطانيا وهولندا لاقامة علاقات مع عمان^(١٠٤).

لقد كان قتال العمانيين ومحاربتهم غيرهم من الغزاة ناتجا عن ايمانهم بعدم القبول بالظلم أيا كان نوعه سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا، كما ان قتالهم لبعضهم في صورة حروب اهلية شهدت عليه مسيرة التاريخ العماني على نحو اخص في مواضع مختلفة وفي حقبة زمنية متباعدة وأخرى متقاربة، نابع من مقاومتهم للأعداء ونهمهم للشر «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه».

وهذا القتال وتلك الحروب التي خاض العمانيون غمارها أنتجت كما قلنا خبرة حربية عميقة كانت الركيزة الأولى لقيام نظرة دفاعية عمانية أثرت بدورها في قيام وتشكيل عدد كبير من القلاع والحصون والأسوار والأبراج.

أما العنصر الثاني الذي أدى الى هذه النتيجة أيضا فهو الدين الاسلامي. ذلك أن الدين الاسلامي كان من أهم المرتكزات التي اعتمدت عليها النظرية الدفاعية او الحربية وانطلقت منها عملية (الروع)^(١٠٥) من حيث العدة والاستعداد واشعال روح المقاومة ضد الغزاة، ذلك ان الدين يشكل الباعث الرئيسي لديناميكية الحركة عند الانسان العماني، وخاصة حركة المقاومة التي برزت في مقاومة الامويين والعباسيين والفرس والبرتغاليين وغيرهم. وتأتي الوطنية كعامل ثالث يعتبر الى هذا اليوم من اخطر العوامل التي تقوم عليها النظرية الحربية. وقد كان للوطنية اثرها الفعال في بلورة الاهداف الحربية والالتفاف حول القيادة العليا، كالتفاف العمانيين حول الامام ناصر بن مرشد الذي انتهج سياسة الوحدة الوطنية وسخر كافة الوسائل من أجلها.

أما المستوى الفكري والحضاري فهو عنصر لا غنى عنه في تشكيل النظرية الدفاعية العمانية ذلك انه ينبعث من الارث التاريخي الضخم للمجتمع العماني معتمدا على أساسيات نهجه الرئيسي، وهو الذي هيأ الاسباب للعمانيين لايجاد الوسائل التي مكنتهم من امتلاك امرهم من خلال توافر المعرفة بكيفية تعاملهم مع الأحداث وسيلة وحركة وهدفا. ولولا توافر المكونات الفكرية والحضارية لما استطاع الانسان في عمان ان يتقدم خطوة واحدة الى الامام، ولما استطاع استيعاب تأثير الصدمات وردود أفعالها، ولما استطاع تجاوزها بعد ذلك الى مجالات أرحب. وقد أشار عديد من الرحالة الى ذلك، منهم ابن جبير^(١٠٦) وابن بطوطة^(١٠٧) وماركو بولو وكورفيكو ديما فارينما، ومن قبلهم ذكرت بعض المظاهر الحضارية كتب الجغرافيين العرب كالمقدسي والكلبي وياقوت وغيرهم. وتذكر الدول الحديثة اهمية ذلك في عملية استيعاب اليكنة الحربية



مخطط للسور
الدائري في آثار
بات من عجمي
(٣٠٠ ق م)

فتسعى بشتى الطرق لرفع القدرة والكفاءة القتالية. كما يعتبر الاتصال الدولي من العوامل الهامة التي اثرت في نظرية الدفاع أو الحرب، فلقد تمكنت عمان بفضلها من التعرف على الوسائل القتالية التي يتعامل بها العالم في مختلف مناطقه وعلى امتداد ازمنتها فعلاقة عمان بالهند وفارس والدول الغربية^(١٠٨) اتاحت لها الفرصة لكي تطلع عن كثب الى ما لديهم من تقنية في صنع السلاح وكذلك امكانية استيراده والاستفادة منه، وبالتالي حدث تطور في استخدام الوسائل من سهام الى بنادق، ومن مجانيق الى مدافع، وقد اثر ذلك على العمارة الحربية والابنية الدفاعية، فبدلا من المزاغل لرمي السهام استحدثت الفتحات لاطلاق النيران من البنادق وكذلك استحدثت منصات المدافع، وروعت هذه الاساسيات في قيام صناعة حربية للمدافع والبنادق والذخيرة وكذلك السفن الحربية.

وفي هذا الصدد لا يمكننا ان ننسب الخبرة الحربية المكتسبة لدى العمانيين الى البرتغاليين كما اشار الكاتب^(١٠٩) اي . دريكو كما انه في نفس الوقت لا يمكننا ان نغفل لمساتهم وتأثيرهم، وهذا امر طبيعي، حيث ان الظروف التي كانت تمر بها عمان استدعت العمانيين الى ان يتعاملوا معهم بنفس الاساليب وعلى نفس القدر، وهو ما يمكن ان نطلق عليه ميزان القوى في الاصطلاح الحديث وبالطبع فان هذا الميزان يخضع لمبدأ التأثير، بمعنى العطاء للغير، والتأثر، بمعنى الاخذ من الغير، ويرى دونالد هولي ان الكتاب الغربيين يخطئون كثيرا في نسبتهم بناء القلاع والحصون في عمان الى البرتغاليين مع انهم لم يقوموا الا ببناء القليل جدا منها وان اغلبها بنىاه العمانيون بانفسهم^(١١٠)، في حين ترى الدكتور سعاد ماهر ان البرتغاليين استفادوا من تصميمات الحصون القديمة كحصن صحر اثناء احتلالهم لعمان^(١١١)، ويشير بيرون بيج الى ان الغربيين استفادوا من عمارة الأبراج الشرقية العربية في الاندلس اثناء الحملة الصليبية^(١١٢)، ولقد دخلت الشواهد التي استعرضناها انفا وسقناها في معرض هذا الحديث على انهم اخذوا اولاً من العمانيين كما ان العمانيين اخذوا منهم ومن غيرهم ايضا ولا غضاضة في ذلك^(١١٣).

وبالتالي فان النظرة الحربية او الدفاعية العمانية قامت على ثوابت تتمثل في التاريخ والدين والعصبية، واخرى متغيرة تتمثل في المستوى الحضاري والفكري وكذلك الاتصال الدولي. ونعتقد ان هناك امورا اخرى تفصيلية تنبثق من الثوابت والمتغيرات المشار اليها، وان هذه العوامل جميعها لعبت دورا هاما وبارزا في تخطيط التحصينات وفي اختيار مواقعها وفي عملية بنائها وهيكلية انشائها وتنوع انماطها واختلاف اشكالها

والناظر الى خارطة عمان تتكشف له حقيقة واضحة المعالم مردها ان على الساحل تنتشر عديد من المدن والحوضر العمانية في اقصى الشمال مروراً بالشرق وانتهاء

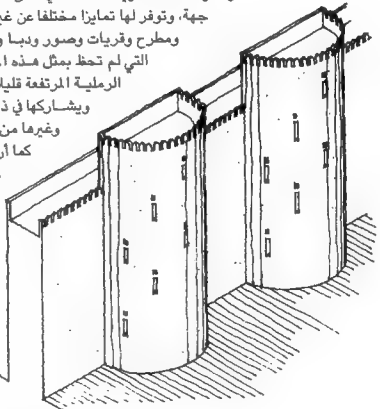
بالجنوب، وهذه المدن تعتبر بمثابة ثغور عمان من جهة البحر، وتختلف أهميتها باختلاف موقعها من مسرح الأحداث. ومن ضمن هذه المدن على سبيل المثال لا الحصر صحار وصور وقريات وخصب وبركا ومرباط وصلالة ومسقط وغيرها، وكلها ثغور بحرية.

كما انه توجد الثغور الاخرى في الجانب الغربي والشمال الغربي وهي ثغور برية وأهمها على الإطلاق البريمي وعبري، ولذا فان ثغور الساحل اكبر عددا من ثغور الداخل نظرا لطول ساحل عمان الكبير. ولانه مصدر الاتصالات مع الحضارات الاخرى منذ القديم، كما ان الجانبين الغربي والشمال الغربي من حدود عمان تغلب عليهما الصحراء وتقل عليهما مظاهر الاستيطان، ولعل الاكتشافات الاثرية في المستقبل تكشف عن حضارات قامت في هذه المناطق^(١١٤).

ويرى اللواء جمال محفوظ أن فكرة بناء الثغور تعود في تاريخها الى ايام خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث امر بانشاء عدد من المدن لاقامة المسلمين مع اسرهم في ظل اتساع الفتوح الاسلامية^(١١٥)، وسار على هذا النهج الامويون والعباسيون ولكن المدن العمانية يمتد تاريخها الى ما قبل الاسلام، وبالتالي فهي ليست وليدة ذات الفكرة، لان حضارات عديدة قامت عليها سابقا، بيد انها بجانب نشاطها الاقتصادي تبقى ثغورا هامة لداخلية عمان من الناحية العسكرية، وهي بمثابة قواعد استراتيجية متقدمة ولا بد من تحصينها بالقلاع والحصون لتمكينها من صد اعدائها والمحافظة على قوة تماسكها، ومن ثم كان لطبوغرافيتها الاثر الاكبر في اختيار مواقع بناء التحصينات فيها. ولذا فقد شيدت القلاع والحصون على الجبال والنتوءات الصخرية المتقدمة في المدن الساحلية التي كانت تحيط بها الجبال من جهة، وتوفر لها تمايزا مختلفا عن غيرها في عملية الدفاع والسيطرة مثل مسقط ومطرح وقريات وصور ودبا وغيرها. في حين ان المدن الساحلية الاخرى التي لم تحظ بمثل هذه المزية كانت تقيم تحصيناتها على التلال الرملية المرتفعة قليلا عن سطح البحر مثل صحار والسويق، ويشاركها في ذلك الى حد ما بركا والمصنعة وصلالة وغيرها من القلاع المنتشرة في مدن الساحل وللايات، كما أن بعضها قد شيد على رؤوس بحرية والسنة ارضية ممثلة في البحر كقلعة رأس الحد وقلعة ريسوت.

والقول بأن الاستحكامات الساحلية معظمها تقع على قمم الجبال^(١١٦) فيه شيء من المغالاة ويكتنفه عدم الوضوح، وقد استخدمت رؤوس الجبال والنتوءات الصخرية كمواقع لبناء التحصينات في المدن الداخلية من عمان، سواء كانت في المنطقة الشرقية كابرا مثالا والمضرب، أو في المنطقة الداخلية كسمائل وبهلا وغيرها، وقد ظهر ذلك

اسوار المدن
التحصينة



واضحاً في آثار بات القديمة. كما أن عاملاً هاماً في اختيار مواقع التحصينات يتعلق بنقاط تلاقي الطرق في مناطق حيوية، ولذلك فقد شيدت على هذه النقاط قلاع وحصون نزوى وقلعة نزوى وقلعة بركة الموز وحصن العوابي وغيرها.

وكذلك استفاد العمانيون من منحدرات الجبال في بناء التحصينات كاستفادتهم منها في النواحي الزراعية، وبالتالي هيأ ذلك لظهور عمارة شبه تحصينية أو حربية تكاد تنفرد بها عمان دون غيرها من بلدان المنطقة على الأقل، وظهرت تلك العمارة في بناء تحصينات مدرجة على شكل بيوت في الجبل الأخضر على نحو أخص، غير أننا نميل إلى أن استخدام هذه العمارة للأغراض السكنية كان أكثر منه كاستحكامات حربية^(١١٧).

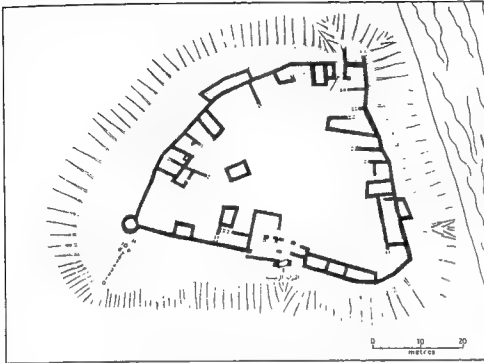
وتخضع عملية اختيار مواقع التحصينات إلى ضرورة حماية مراكز المدن وحدودها في جعلان فضلاً عن الوظائف الأخرى التي تؤديها، ولذا فإنه قد شيدت بعض القلاع والحصون في جعلان بني بوحسن وجعلان بني بوعلی والقابل وازكي والبريمي وعبري. والمدنستان الأخيرتان تعتبران من ثغور عمان الهامة في حدودها الغربية والشمالية الغربية.

ولا تقل منابع المياه ومجاري الوديان أهمية من غيرها من العوامل التي تعرضنا إليها آنفاً ذلك أن هذا العامل كان من أخطر العوامل في اختيار مواقع بناء التحصينات، وضرورة المحافظة عليه إذ ظلت المياه أكثر الحاحا على مدى الأزمان وإلى يومنا هذا. وقد تجلت أهميته بالنسبة للمسلمين في غزوة بدر التي جعلته مبدأ هاماً في النظرة الاستراتيجية، وهذه النظرة تأسست في الأولويات الاستراتيجية في القرن العشرين ونرى أن جميع الدول تسعى جاهدة لتوفير المياه والحصول عليها، ولذا فقد شيدت بعض القلاع والحصون في عمان بالقرب من منابع المياه ومجاري الوديان، كقلعة العوامر الواقعة على وادي حلفين في المنطقة الشرقية^(١١٨)، وحصن مضاء الواقع على ملتقى وادي صحنه وادي مضاء، وحصن بسبدد الواقع على رأس وادي سمائل، وحصن الراوية وغيرها^(١١٩).

وهناك بعض التحصينات التي اختيرت مواقعها بعيداً عن فكرة استغلال الطوبوغرافيا لتوفير الحماية للمدن ومواردها القومية، وإنما شيدت في مناطق وسطية لتكون بمثابة قواعد استراتيجية متقدمة بغرض تقصير خطوط الإمداد وتقصير خطوط مواصلات الجيش الذي يحارب في الثغور مثلاً بعيداً عن القاعدة الرئيسية، وهي العاصمة كالرساق أو نزوى أو غيرها. كذلك فإن وجود هذه القواعد يعتبر خط دفاع متقدم يهدف إلى امتصاص قوة العدو ومعرفة حجمها، ومن ثم توفير ظروف أفضل للجيش الرئيسي المدافع عن المدينة، وهو مبدأ تأخذ به العسكرية الحديثة، فنرى تعدد الخطوط من أول إلى ثان إلى ثالث وهكذا نعتقد أن حصني الحزم وجبرين وغيرها من الحصون المماثلة شيدت لهذا الغرض، ذلك أن حصن الحزم يقع في منطقة وسطية تخدم شمال الباطنة ممثلة في صحار من جهة، وتخدم جنوب الباطنة ممثلة في بركاء والمصنعة وغيرها. وكذلك فإن حصن جبرين يخدم منطقة الظاهرة من جهة والداخلية من جهة أخرى، وقد تمتد جذور هذه الفكرة الحربية إلى العصر الإسلامي^(١٢٠).

وتكاد تنحصر الأشكال التي انتظمت فيها التحصينات العمانية في نماذج محدودة ومألوفة في جميع الأبنية، إذ ألقت بظلالها على الأبنية المحلية الأخرى كالمساكن والمساجد والمدارس القديمة ومكاتب الجمارك (الفرضة) في السابق وغيرها.

فمن خلال الدراسة التي أجريناها على عدد لا بأس به من أبنية التحصينات في



نموذج تحصين
مثلث الشكل من
آثار عمان القديمة

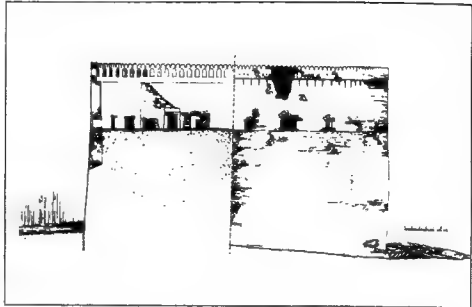
مختلف المناطق العمانية، اتضح لنا ان الاشكال المتداولة لاتتعدى الخمسة منها المستطيل مثل (قلعة بركة الموز والراوية، والعراقي الخ...)، ومنها المربع، مثل (قريات ورأس الحد وبديد، الخ...) ومنها الدائري واشهرها قلعة نزوى، ومنها البيضاضوي ويظهر ذلك واضحا في مبنى البرج الرئيسي في قلعة الرستاق (القلعة)، ثم الثلاثي الشكل الذي يظهر في حصن السيب حيث يعتقد انه برتغالي^(١٢١). كما ان الاكتشافات الاثرية في بات قد قدمت لنا نموذجين من التحصينات ربما كانا سائدين، وهما الشكل الثلاثي او المثلث، والشكل الدائري في صورة برج ضخ^(١٢٢). ونعتقد ان جغرافية الموضع وطبوغرافية الارض قد لعبت دورا في تحديد شكل المبنى الى حد ما، وهذا امر متعارف عليه في علم هندسة البناء وفي النواحي المعمارية والانشائية، وان القول بان التوفير في التكلفة هو الذي ساهم في نشوء التحصين الثلاثي على نحو اخص ارى ان مبرره لايرقى الى مستوى اعتباره، ذلك لانه من البديهي ان تنفق الاموال بغرض انشاء تحصينات قوية ايا كان نوعها ووفق عصرها، وهذا ما تعتمد الدول الحديثة في مختلف انحاء العالم.

فبالاضافة الى الاشكال التي مكنتنا الدراسة من استقراءها ومن ثم استنباط نماذج منها وتصنيفها على نحو ماقدمناه، فان انواعا من التحصينات انتظمت في انماط من الابنية والخنادق والاسوار يمكن ادراجها على سبيل المثال على النحو التالي

- القلاع: كقلعتي الجالالي والميراني وقلع مطرح وبهلا وعبري ونخل والرستاق وصحار، الخ...

- الابراج: كبرج قلعة نزوى وابراج ابراء والمضرب ومسقط، الخ... وبعضها كان زوايا او بيضاويا او مربعا، واخرى كانت مضلعة شكلت في معظم الاحيان جزءا اساسيا من القلعة او الحصن وغيرها.

- الحصون: كحصن العوابي وحصن الخندق بالبريمي وحصن بركة الموز ... الخ.



واحدة قلعة بروني
مدونج للسما،
الدائري الادعادي

● **القصور المحصنة:** كجبرين والحزم وبيت التعمان وبيت الجريزا وبيت الفلج وبيت سمائل السفلى والقليج.. الخ.

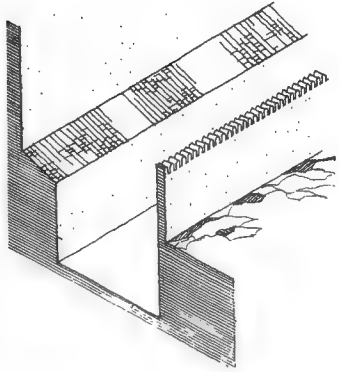
● **البيوت المحصنة:** مثل البيت الكبير وبيوت أخرى في ابراء العليا، وبيت الصدور وبيت بومة وغيرها في ابراء السفلى، وبيت حبر في وادي الماعول وكذلك البيوت الموجودة في الجبل الاخضر والمنطقة الجنوبية وصور والمضرب والقابل وغيرها من مناطق عمان^(١٢٣).

● **الاسوار:** فمنها ما احاط بالمدن (كسور مسقط وسور صحار.. الخ.)، ومنها ما احاط بالقلاع والحصون وهذه منتشرة في معظم الابنية التحصينية، ومنها ما وجد لذاته وحصن بأبراج في اركانه او ركنية واحيانا في ركن واحد وزود بمخازن للعتاد، وتكاد منطقة الباطنة أن تكون أكثر استحوذاً على هذه الاسوار^(١٢٤). وبعض الاسوار تشكل جزءاً تحصينياً من بناء القلعة او الحصن او القصر او البيت المحصن، ولا تكاد تبلغ ارتفاعاتها أكثر من ثلثي ارتفاع الابراج المقامة عليها ولكن عروضها تتفاوت فتصل احياناً الى مترين، بينما تختلف طبيعة بنائها والمواد المستخدمة وكذلك تصميمها.

● **الخنادق:** وقد استخدمت الخنادق قديماً في تحصين مدينة صحار.. كما استخدمت في تحصين مدينة مسقط. ولعل فكرة الخندق كانت معروفة لدى العمانيين قبل الاسلام، وربما اكتسبوها من الفرس، ذلك ان العرب في مكة على نحو اخص والمدينة لم يعلموا بهذه الفكرة وهذا واضح في مشورة سلمان الفارسي للرسول ﷺ في غزوة احد^(١٢٥)، ولكن العرب الجنوبيين وفي اليمن بالذات قد عرفوا مثل هذه التحصينات، ومن ثم فانه بالإضافة الى اكتساب العمانيين هذه الفكرة فانها كانت متصلة لديهم كموروث حضاري عربي حملوه من اليمن أثناء هجرتهم لعمان.

وإذا كانت الخنادق قد استخدمت لتحصين بعض المدن العمانية فانها استخدمت أيضاً لتحصين للقلاع والحصون، ويعتبر حصن الريمي المعروف بحصن الخندق من اشهرها، وتختلف طريقة انشائها من حيث العمق والعرض، وكذلك من حيث المواد المستخدمة في تبطينها، كل حسب الوظيفة المحددة لها وحسب أهمية الموقع ومدى توفر مواد البناء.

ويلاحظ أن التحصينات التي لم تشيد على رؤوس جبال أو مرتفعات جبلية قد استعاضت عن ذلك بالارتفاعات الكبيرة التي تمكنها من السيطرة على المحيط الذي تدافع عنه، وقد تصل هذه الارتفاعات أحيانا إلى ٢٠م كما في صلالة وإلى ٢٢م كما في جبرين، وبحوالي ١٢م كما في الحزم وغيرها من القلاع والحصون في ولايات الباطنة وجعلان والقبائل ولايات الظاهرة، وتكاد تختفي هذه الظاهرة في الداخلية نظرا لتوافر المرتفعات، وقد تمت معالجة ذلك تصميميا من خلال عدة وسائل فنية وهندسية، منها استخدام اختلاف مستويات الأرضيات في الطوابق، وكذلك زيادة ارتفاعاتها، وقد وفر ذلك الارتفاع المطلوب لكشف المنطقة محل السيطرة عليها، ثم ساعد في تخفيف درجات الحرارة التي تسخن الهواء في الغرفة، إذ يجد هذا الهواء ارتفاعا كافيا يتعالى فيه ومنتسعا فسيحا يمتد خلاله فتهبط شدة الحرارة.



الخنادق التحصينية

ويلاحظ أن معظم التحصينات المشيدة تضم أبراجا إما في أركانها الأربعة كحصن جبرين (مضاء) وقلعة رأس الحد... الخ)، أو ركنين متقابلين على خط محوري (كحصن جبرين والعوابي وبركة الموز... الخ...) أو في ركنين على خط واجهة واحدة (كحصن بدبد)، أو في ثلاثة أركان أي في الحصن الثلاثي (كحصن السيب المدعو بالحصن البرتغالي وحصن بركا القديم)، كما تقتصر بعض الحصون على برج واحد وغالبا ما يكون ركنيا (كحصن العراقي... الخ)، وتنفرد قلعة نزوى في تصميمها كحالة خاصة حيث أنها برج ضخم قائم بذاته.

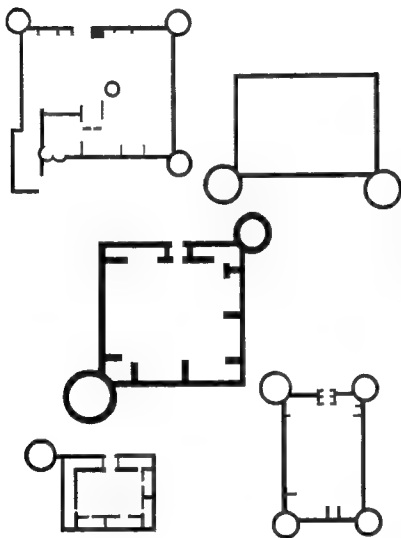
غير أن الحصون المشيدة على رؤوس جبال أو نتوءات صخرية تتحكم من حيث طوبوغرافيا الموقع في وضع أبراجها إلى حد ما، وتعطينا قلاع مسقط ومطرح والجالي والميراني أكبر دليل على ذلك.

وتتفق بعض الأسوار المحصنة مع الأنماط المشار إليها، إلا أن بعضها منها له خاصيته المتميزة ويظهر ذلك في الأسوار المحيطة بالمدن حيث نجدها تضم أبراجا على طول محيط السور بمسافات متباعدة، بالإضافة إلى الأبراج الركنية، ويعتبر السور المحيط بصحار أحد النماذج على ذلك.

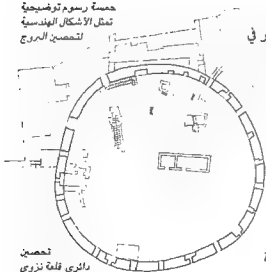
هذا ويمكن أن نستنتج من هذا الحديث الذي سقناه حتى الآن عن التحصينات العمانية، الأساليب والسمات المعمارية التي اتبعها العمانيون في إقامة وتشيد هذه التحصينات حتى تقي بالأغراض المحددة لها.

من هذه الأساليب والسمات إنشاء الحصون والقلاع المستديرة بما تحتويه من ظواهر معمارية معينة مثل السقاعات والمزاغل.

وتعد قلعة نزوى من أشهر القلاع المستديرة في عمان وقد سبق أن أشرنا إلى أن الامام



خمسة رسوم توضيحية
تمثل الأشكال الهندسية
لتحصين البرج



تحصين
دائري قلعة نزوى
المنطقة الداخلية

سلطان بن سيف بن مالك اليعربي (١٠٥٩ - ١١٠٠هـ / ١٦٤٩ - ١٦٨٨م) هو الذي بناها واستغرق بناؤها اثني عشر عاماً في موقع استراتيجي يسيطر على المدينة وأطرافها سيطرة تامة، ويبلغ قطرها سبعة وعشرين متراً ويبلغ ارتفاعها أربعة وثلاثين متراً، ولها سبعة أبواب، وجدرانها مزودة بمزاغل وسقاطات لرمي السهام والقذائف والسوائل المحرقة، وتحتوي في الداخل على مخازن للذخيرة والمؤن^(١٢٦).

وسر أقبال المهندسين والبنائين على بناء القلاع والحصون المستديرة يكمن في ملائمتها للدفاع وصد الأعداء، فانهدام الزوايا في هذا البناء يسهل مهمة الحراس لعدم وجود حائل يعترض مدى رؤيتهم، كما أن هذا النوع من البناء أكثر مقاومة للرياح التي تتلاشى عند اصطدامها به، إضافة إلى الاقتصاد في مواد البناء. وقد عرف العمانيون هذه المزايا في الحصون والقلاع قبل الإسلام فبنوها في مدنهم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد^(١٢٧)، وقد أضيف

لهذه القلاع أبراج أسطوانية كبيرة بارزة عن مستوى الجدار في إحدى زواياها لتؤدي الوظيفة ذاتها، وقد يكون هناك أكثر من برج واحد لتتم السيطرة على كافة الجهات كما في حصن جبرين، إذ أضيف برجان كبيران في زاويتين متقابلتين منه وبذلك تمت السيطرة عليه من جهاته الأربع^(١٢٨).

وعندما نتكلم عن قلعة نزوى لا بد أن نشير إلى ظاهرتين هامتين في عمارة الحصون والقلاع، وهما ما يطلق عليها السقاطات والمزاغل، وهاتان الظاهرتان منفذتان في قلعة نزوى وفي غيرها من التحصينات داخل عمان وخارجها^(١٢٩).

فالسقاطة عبارة عن شرفة صغيرة تعلو المدخل بصورة خاصة محاطة بجدران ومحمولة على دعائم، وفي أرضية هذه



بيت البردية
(قبل الترميم)

الشرقة وجدرانها فتحات لرمي السوائل المحرقة والسهام على المهاجمين، ويرجع ان هذا العنصر عربي عرف في بلاد الشام قبل الاسلام ومنها انتقل الى العمائر الأخرى، وأقدم أمثله في العصر الاسلامي موجود في قصر الحيرة العربي في بداية القرن الثاني الهجري^(١٣٠).

واستمر استخدام هذا العنصر فوق ابواب القلاع والحصون والاسوار في العصر الاسلامي وتأثرت به العمائر التي انشئت في اوروبا في مختلف العصور. أما المزاغل فهي فتحات عمودية في الجدران لرمي السهام والقذائف كما تفتح في السقوف (أفقية) لسكب السوائل المحرقة.

وتصميم المزاغل العمودية من الداخل على شكل حنايا كبيرة وعلى شكل سقوف مستطيلة ضيقة من الخارج كما في حصن الاخضر في العراق، يتيح للمدافع حرية الحركة خلفها دون ان تصيبه قذائف العدو من الخارج. وبعض هذه الفتحات مزورة لتزيين من صعوبة نفاذ القذائف الى الداخل، وهي في قلعة نزوى ذات ارضية مائلة الى الخارج لتقرب نظر المدافع من قاعدة السور، وهي ظاهرة موجودة في قلاع اسلامية أخرى.

أما المزاغل الأفقية فتفتح في سقوف المداخل بصورة عامة وتصب منها السوائل المحرقة على المهاجمين، وإلى جانب مدخل قلعة الحزم خزان للماء يستعمل لاختفاء الحرائق التي قد يشعلها العدو في الباب الخشبي.

القضاء المكشوف:

الصحن المكشوف الذي تطل عليه الوحدات البنائية يعتبر من اهم الميزات البارزة في بناء المساجد والبيوت والقلاع في عمان. وقد جُسد هذا النمط من التخطيط في حصن جبرين الذي بناه بلعرب بن سلطان بن سيف (١١٠٠ - ١١٢٣ هـ / ١٦٨٨ - ١٧١١ م)، وهو من اجمل الحصون والقلاع العمانية^(١٣١)، والقضاء الداخلي فيه تطل على وحدات البناء المحيطة به فهو المنتفخ الرئيسي لهذه الوحدات وهو مصدر الضوء والانارة كما جسد ايضا في قلعة بركة الموز^(١٣٢) وفي كثير من مساجد نزوى^(١٣٣).

بيت الوردية
(بعد الترميم)

وقد اعتمد عنصر الصحن المكشوف في مختلف عمائر الشرق منذ أقدم العصور^(١٢٤) كرد سليم على البيئة القاسية بحرارتها وبرودتها، فهو مركز الحركة والتوزيع للوحدات البنائية، وهو مخزن طبيعي يتجمع فيه الهواء البارد ليلا على شكل طبقات متعاقبة تتبدد تدريجيا خلال النهار، فاذا اقبل الليل ثانية تجمت فيه طبقات أخرى مكانها لتسرب في اليوم التالي، وهكذا تبقى دورة الهواء البارد مستمرة لتحفظ للبناء درجة حرارة مستقرة طيلة ساعات الليل والنهار.

وللصحن المكشوف أهميته في تخفيف حدة الضوء المنتشر في وحدات البناء، والتقليل من شدة الضوضاء الخارجية، كما انه يعمل كمرشح طبيعي للأتربة العالقة في الهواء. وقد توزعت وحدات البناء حول الصحن بمجموعتين تُسكن احدهما صيفا والاخرى شتاء حسب طبيعة الرياح المواجهة للمجموعتين^(١٢٥)

السقوف الخشبية:

ومن الظواهر البارزة في عمائر عمان في العصر الاسلامي سقوفها الخشبية. فقد اقبل المسلمون في العصور الوسطى على التسقيف بالخشب لتوفره وخفته وسهولة الحصول عليه واستخدامه، وقد حول الفنان العماني هذه السقوف الى اللون زخرفية فنية ابرز فيها مهارته وبراعته.

وزخرفة السقوف الخشبية ظاهرة بارزة في بيوت عمان وبعض قلاعها ومنفذة بطريقة الرسم او الحفر. والأشكال الزهرية والتصاميم الهندسية تميز في الحفر على الخشب في عمان ولايزال صناعها يستخدمون الأدوات البسيطة لانجاز أجمل القطع الفنية وادقها^(١٢٦).

وقد نفذت الزخارف على معظم السقوف الخشبية بأسلوب الرسم بالألوان الزاهية الجذابة المتناسقة، وأجمل أمثلة لهذه السقوف موجودة في حصن جبرين المشهور، فالزخارف فيه منفذة بدقة كبيرة بأسلوب الحفر على الأبواب الخشبية، والرسم على السقوف بألوان جذابة متناسقة، وسقف المسجد وغرفة الامام أجمل ما في هذا الحصن من زخارف، وكذلك سقف إحدى قاعات الاستقبال^(١٢٧) ولم يقتصر الأمر على

العناصر البنائية والهندسية في الزخرفة، فقد كان للخط العربي نصيب وافر بارز فيها وكلها تدل على دقة ومهارة وتفتح في انجازها.

الستائر الجصية والخشبية:

ونظرا لظروف عمان المناخية القاسية فقد عمد أهلها الى ابتكار وسائل متنوعة تخفف عنهم جور طبيعتهم وتخلصهم من غناء العيش تحت هذه الظروف. ومن هذه الوسائل فتح نوافذ كثيرة في جدران البناء تسمح بمرور اكبر كمية من الهواء لتلطيف الجو ولتخفيف حدة الحرارة، كما وضعت على نوافذ البيوت والنوافذ الداخلية في القلاع ستائر جصية وخشبية ذات نقوب لتخفيف حدة الضوء ولتنظيم مرور الهواء الداخل اليها.

وتصاميم هذه الستائر ماهي الا اختبار لبراعة الفنان العربي العماني وذلكائه، فقد اتخذها ميدانا يعرض فيه فنه ومهارته بأشكال من الزخارف النباتية والهندسية، والكتابات التي تضيف على المكان جمالا وشاعرية وتغمر الجالس بالبهجة والراحة والانشراح، خاصة عندما تكون تلك الستائر مطعمة بقطع الزجاج المتعدد الألوان. وقد ثبت حديثا ما للألوان من فوائد ومزايا في شفاء بعض الأمراض، فاستخدام القدامى للألوان يدل على فطرتهم السليمة، وعلى بعد نظرهم ومعرفتهم للنظريات التي ظهرت حديثا.

ونتيجة لدراسة الزخارف العربية الاسلامية تبين ان التصاميم الزخرفية المنفذة على الستائر لم تكن من فراغ، بل كانت قائمة على دراسات وأسس هندسية عميقة سبقت تنفيذها وتركيبها^(١٣٨).

هذا وقد حصل العمانيون على الأخشاب اللازمة لصناعة الستائر الخشبية من الارض العمانية التي تمت في تربتها انواع من الاخشاب الصلبة الصالحة لهذا الميدان، كما حصلوا عليها من الهند وافريقيا عن طريق البحر مما ساعد في الحفاظ على تقاليد عمانية في حفر الخشب ظلت مشهورة لمئات السنين^(١٣٩).

وتثبت الستائر الخشبية أو الجصية بصورة عامة في القسم العلوي من نوافذ الطوابق العليا من الأبنية، لأنها أكثر عرضة لأشعة الشمس وحرارتها، أما القسم السفلي فيكسوه زجاج أبيض شفاف مغطى بأبواب خشبية صغيرة ذات زخارف جميلة، وفي بعض الأحيان تبنى فوقها نافذة صغيرة دائرية الشكل شبيهة بالنظام الذي نجده في بعض نوافذ البنيان اليمني. وهناك تنوع كبير في أشكال الستائر الخشبية التي نفقها التجارون بتصاميم جميلة يبدو عليها التأثير بالأساليب الهندية والمغولية والافريقية في بعض المناطق العمانية^(١٤٠). ومن هذه الستائر ماهو دائري الشكل أو نصف دائري أو على شكل عقد مدبب أو معضض كما نرى في حصن جبرين^(١٤١).

وقد تكون هذه الستائر على شكل طبقات متعددة فوق النافذة بحيث تفتح إحدى هذه الطبقات عند الحاجة للسيطرة على التهوية وعلى أشعة الشمس الداخلة. وفي عصر متأخر استخدمت مشبكات خشبية تتقدم النوافذ الخارجية على شكل قفص بارز منشوري الشكل يبدأ عريضا عند القاعدة^(١٤٢).

وكل هذه الستائر تعبر عن جمال الزخرفة وعمق جذورها في الصناعة والنماذج المتبقية منها وتحديثنا عن نوايغ فنانينا وأماجد أجدادنا وعنايتهم بالكمال في جميع نواحي الحياة^(١٤٣).

وفي العراق ومصر وبلاد الجزيرة وغيرها ازدهرت صناعة الستائر الخشبية المنقبة التي اطلق عليها في العراق (شناشيل) وفي مصر (مشربيات) لتؤدي غرض الستائر الجصية والحجرية العمانية ولتعمل كمرشح للهواء من الاتربة العالقة ولتساعد على تلطيف الجو.

وقد تأثر معماريو الغرب بظاهرة الستائر المعمارية لجمالها وأناقته^(١١٤)، الا أنهم عجزوا عن تفهم عمق تلك الحلول واقتبسوا اشكالها دون جوهرها.

المساجد والمآذن:

يغلب على المساجد العمانية بصورة عامة طابع البساطة في تخطيطها وفي عناصرها المعمارية والزخرفية، فهي على العموم ذات صحن مكشوف^(١١٥) تحيطه الأروقة كغيره من المساجد، وعناصره المعمارية بسيطة لا تخرجه عن هذا الطابع الا في النادر، فقد اشار ابن بطوطة في رحلته بأن مسجد قلعات (حيطانه بالقاشاني شبه الزليج)^(١١٦).

ومن الظواهر المعمارية البارزة في مساجد عمان مآذنها فهي ذات طراز معماري متميز عن غيرها من المآذن القائمة في الاقطار الاسلامية الأخرى. فهي في عمان وخاصة السواحل ذات شكل يتميز ببساطته ولا يتعدى أن يكون بناء صغيراً مربع الشكل أو مستديراً قليل الارتفاع، جدرانه مفتحة بنوافذ بطابقين على الأكثر، ويقف المؤذن لبنادي بالاذان داخله، وسقف المئذنة قبة بيضاوية الشكل مدببة^(١١٧). وهو شكل يذكرنا بمئذنة الجيوشي التي بناها الفاطميون في القاهرة.

وقد يتم النداء للصلاة من أعلى سطح مجاور للمسجد أو من فوق مجموعة من الدرجات بنيت فوق الجدار الخارجي للمسجد، كما كان عليه الحال في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي المساجد التي بنيت في الأيام الأولى للإسلام^(١١٨).

الشرفسات:

وهناك وسائل أخرى لاستيعاب البيئة في تصميم المباني العربية الاسلامية سواء في مادة البناء أم في اضافة عناصر جديدة.

فالشرفسات Crenellations عناصر معمارية زخرفية توجت بها جدران الأبنية الدينية والسكنية والتحصينات العسكرية على حد سواء، وهي تدل على نهاية البناء وهي نهاية جميلة لأي بناء، وقد تبلور تصميمها فأصبحت تبني على شكل مدرج ومسفّن ومورق ومستطيل أو مربع ذي رأس مثلك أو مدور وغيرها من الأشكال.

وقد ارتبطت الشرفسات ارتباطاً وثيقاً بالتحصينات والمساجد بصورة خاصة حتى سميت بـ(عراس السماء)^(١١٩). فنجدها تعلو جدران بعض القلاع والمساجد في عمان، وهي ذات شكل مربع ضلعه العلوي على شكل مثلك أو مستدير، وقد تغطي هذه الشرفسات بطبقة من الجص والألوان، ويتوزع هذا العنصر فوق الجدران بأسلوب زخرفي جميل نراه فوق حصن جبرين بصورة خاصة، اضافة الى القلاع والحصون الأخرى المنتشرة في طول البلاد وعرضها، كما نراه تعلو جدران المساجد والمآذن والابرار والبيوت وغيرها، وهي بشكل جديد يختلف عن الأشكال الأخرى المعروفة في البلاد الاسلامية عموماً.

وكان استخدام الشرفسات يتم لأغراض زخرفية وقد تكون لحماية المدافعين من سلاح المهاجمين، وقد تكون اضافتها لضرورة مناخية بحتة، إذ انها تساعد على انتشار الهواء الداخل الى القلعة أو المسجد.

وبطبيعة الحال فإن هذه السمات وتلك المظاهر التي تميزت بها العمارة والتحصينات العمانية في العصور القديمة والإسلامية، قد نالها شيء من التغيير والتطور في العصور الحديثة.

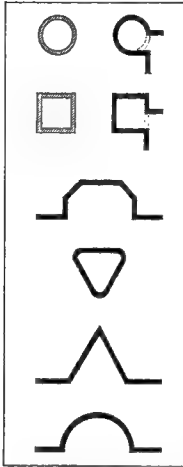
ذلك أن التطور الفكري الحربي لدى العمانيين كان لا بد أن يحدث أثره في التحصينات التي شيدت في مختلف مناطق عمان، سواء في سماتها أو في هيكليتها بنائها، وما عمليات التجديد والإضافات التي أدخلت عليها كما حدث في قلاع صحار والرساتق والجلالي والميراني، إلا تعبيرا عن الإدراك والإيمان بضرورة وحتمية التطور في هذا المجال. وقد تنبه حكام عمان منذ عهد اليعاربة إلى هذا الجانب، فأجروا كثيرا من التعديلات والإضافات في التحصينات. وقد جاءت هذه الإضافات وتلك التعديلات وليدة الخبرة المكتسبة، وتطور الأساليب القتالية ووسائلها من البنادق والمدافع وغيرها، دون الاستغناء عن الوسائل التقليدية من سهام ومجانيق وسيوف وغيرها، ذلك أن الوسائل المستجدة لم تلغ سابقتها كلياً وإنما ظل هناك ما يشبه التزاوج في استخدامها معاً، وبدأ التخلي عن الوسائل التقليدية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، غير أن عدداً يسيراً تمثل في السيوف والخناجر ظل يستعمل محلياً على نطاق ضيق وبعيد عن الشكل الرسمي.

ولذا فإننا نلاحظ في بعض التحصينات العمانية وجود المزاغل التي تستخدم في رمي السهام بجانب فتحات طلقات البنادق التي كان يتخذ لها أماكن متفرقة من البناء التحصيني فوق المداخل وبعضها داخل نطاق السور (كحصن جبرين والحزم وصحار... الخ)، ثم وجود الأبواب المتعددة ذات المستويات الارتقاعية المختلفة والعروض المتفاوتة وما يتبعها من دهايز وممرات سرية، فضلاً عن وجود فتحات لصب المحروقات على المهاجمين كما في حصن الحزم وقلعة نزوى، وذلك بجانب الكوة والمراقب اللتين تطلق منهما النيران وبخاصة نيران البنادق.

وامتازت بعض التحصينات بتفرد ما المتطور عن غيرها بحيث تركز بناؤها على إمكانية قدرتها على تحمل قذائف المدفعية كقلاع مسقط (الجلالي والميراني ومطرح... الخ) وبالتالي ظهرت فيها منصات المدافع وفتحات وكوى لإطلاق نيران البنادق، ونرى أن هذه الميزة قد توفرت أيضاً في قلعة نزوى، وروعي ذلك عند تخطيطها وإنشائها، كما تم تدعيم القلاع القديمة (كالرساتق وصحار ونخل... الخ) لتأخذ نفس الفرصة في ظل وجودها ديناميكي الحركة والنشاط.

وخضعت الأسوار أيضاً إلى مثل هذا التطور إما بتعديل القديم أو بإنشاء الجديد وفق المستجدات الحربية، فاختلقت سماكة جدرانها وارتفاعاتها بحيث أصبحت صالحة لسير الجنود وممرات يمارسون إطلاق النيران من فوقها، واستخدمت ذات الفكرة في الحوائط العلوية للأبراج الكبيرة كقلعة نزوى، وتطورت بعض الأسوار إلى أن زودت بأبراج متقدمة على امتداد السور، وفي أغلب الأحيان يكون تصميمها نصف دائري وذلك بغرض جعل قوس النار أكثر انتشاراً في محيط الإطلاق، ويمثل هذا النمط من الأسوار سور صحار وسور جعلان بني بوحسن.

واشتركت التحصينات من المباني مع الأسوار في الاستفادة من الشرفات والمنايرس وكذلك الأبراج المقامة فوق المداخل كما هو الحال في حصن جبرين، وأسوار قلعة الرساتق وبركة الموز وسور مسقط... الخ حيث تجاوزت هذه التحصينات مع متطلبات الوسائل القتالية الحديثة.



اشكال الابراج وكنبها
اتصالها بالتحصينات

وتطورت أماكن تخزين العتاد من مخازن بسيطة للأسلحة التقليدية إلى مبانٍ يخزن فيها عتاد من الذخائر الحربية للمدافع والبنادق، مما استدعى مراعاة ذلك أثناء التفكير في تعديل القديم أو إنشاء الجديد كي يتلاءم المبنى مع الوسيلة المخزنة.

وكما اختلفت أشكال الأبراج فقد اختلفت أيضاً أقطارها حسب النوع التحصيني وموقعه، فعنها ما بلغ قطر برجها ٦ أمتار (كحصن إفي) ومنها ٧ أمتار (بيت الفلج)، وغيرها ٩,٦ متر (كحصن العوابي)، ومنها ١١,٩ متر (كقلعة الرستاق)، وتعد قلعة نزوى أضخم برج اذ وصل قطرها إلى ما يزيد عن ٣٧ متراً^(١٥٠). لقد أوردنا ذلك على سبيل المثال للدليل على التطور في استخدام الأبراج حسب الوظائف المستجدة عليها، اذ ترتب على الاختلاف في أقطارها اختلاف في سماكة أسقفها وكبر دعائمها، وهذا أمر معروف في علم هندسة الانشاءات^(١٥١)، فكلما كان بحر السقف كبيراً كلما زادت سماكته وكذلك كبره وعدد دعائمه، والعكس صحيح، وهذا مرتبط أيضاً بحساب الانتقال والاحمال فضلاً عن الاهتزازات التي تحدثها طلقات القذائف المدفعية، وهذا التشكيل البنائي قد عرفه العمانيون منذ الألف الثالثة قبل الميلاد كما عرفه العرب في الأندلس^(١٥٢).

أما الخنادق فلا تكاد نلمح عليها تطورا ملموسا كمثل الذي اتخذته الرشيد في تحصين بغداد حيث انه كان يفصل الخنادق عن بعضها بأسوار عالية، ومن قبله فعل الأمويون ذلك^(١٥٣). وقد اتخذت الخنادق شكلها البدائي فيما عدا تلك التي حفرت حول حصن الخندق بالبريمي حيث بطلت بالحجارة وكذلك خندق مسقط^(١٥٤).

أما مواد البناء التي استخدمها العمانيون في بناء وتشديد عمارتهم وتحصيناتهم فهي عديدة. وتشير الكشوف الأثرية إلى أن الإنسان في القديم قد عرف أنواعاً من مواد البناء واستخدمها في تشديد تحصيناته، منها الحجارة الضخمة المنتظمة ذات المقاسات المختلفة (١ × ٨ × ٠ متر) والتي كان يوضع بعضها فوق البعض بدون ملاط يربطها^(١٥٥). وقد شاعت مثل هذه الطريقة عند الفينيقيين وظهرت في آثارهم بمدينة قرطاج^(١٥٦). كما استخدم العمانيون أنواعاً من الطوب المشوي أو الطوب الأحمر ذي الأشكال المتعددة منها المربع والمخروطي والمستطيل ويبدو أن الطوب المخروطي (المقطوع) كان يستخدم أكثر في المياني الدائرية وفي الأقواس لتناسبه مع ذات التشكيل، بعكس الطوب المربع الذي يتلاءم مع المياني الركنية ذات الزوايا الحادة، غير أن الطوب المستطيل يتميز بإمكانية الاستخدام في التشكيلين الدائري والركني.

ويلاحظ أن الأسوار التحصينية في الباطنة على وجه الخصوص شيدت بالطوب اللين، في حين أن أبراجها شيدت بالحجارة والصاروج^(١٥٧). ويشترك سور بهلا في نفس مواد البناء وطريقة الانشاء فضلاً عن التحصينات في جعلان.

واستخدام الأحجار ذات الاحجام الصغيرة اقتضى في المقابل استخدام كميات أكبر من الملاط، وكذلك بالنسبة للطوب بمقاساته المختلفة وأنواعه المتعددة، لأن الملاط قد تراوح بين الطين اللين والصاروج، مع إمكانية كسيه بالجبس أحيانا للأسطح أو بالطين اللين نفسه وكان الصاروج يستخدم بالإضافة الى ذلك كمادة عازلة للأسطح من المياه حيث تتوفر فيه خاصية عدم التسريب. وهناك بعض مواد البناء الأخرى التي استخدمها الانسان العماني من خلال عطاء البيئة له مثل الخشب. ويعتبر الخشب من جذوع النخل وأشجار السمر والسدر والجوز وغيرها من العناصر الهامة التي دخلت في تشييد الأسقف وصناعة الابواب والشبابيك والمثريبات، واستخدمت كعوارض أو جسور تعرض فوقها الأسقف بمساحاتها المختلفة، كما استخدم كاعتاب للابواب والشبابيك وكفواصل للجدران وكدعائم للأقواس والعقود، كما استخدمت البسط والسميم^(٤٨). وسعف النخيل في تهيئة أرضية الأسقف ومن ثم زخرفتها ايضا.. ويستخدم الجص كمادة واقية تطل بها الجدران من الخارج وأحيانا من الداخل، ثم استخدم في أعمال الزخرفة الفنية كالمشبيكات والمزرات فوق العقود والمقرنصات وغيرها.

ويلاحظ ايضا ان القصور والبيوت المحصنة كجبرين والحزم والبيت الكبير في ابرا وبيت السيد نادر وغيرها، هي التي تظهر عليها مظاهر الجمال والذوق الرفيع من خلال ما تتميز به من زخارف ونقوش على جدرانها وأسقفها وشبابيكها، وهي بالتالي بالرغم من محاولة جعلها صارمة الملاصح الا ان الرقة والفخامة تطفئ عليها، في حين ان القلاع والحصون الأخرى كنزوى والرسائق والجلالي ومطرح وغيرها تمتاز بالصرامة والقوة، ومرد ذلك في اعتقادنا الى الوظائف المخصصة لكل منها. ويرى بعض الباحثين ان تأثير العمارة الصفوية كان باديا للعيان في حصن جبرين^(٤٩) من خلال الاقواس المدببة المستخدمة داخل وخارج المبنى، وكذلك من خلال العوارض الخشبية التي تربط بين الأعمدة، ويرى آخرون أن تأثيرا مغوليا يوجد في بيوت ابرا ومسقط ويعززون ذلك الى الاتصالات بين عمان والإمبراطورية المغولية في الهند، ومع احترامنا لهذا الرأي إلا أننا لا نميل إليه ولربما جاء القول الأول باعتبار أن الدولة الصفوية قامت عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م^(٥٠)، وأن الدولة اليعربية قامت بعدها بفترة طويلة تصل الى قرن تقريبا. وبالرجوع الى تاريخ العمارة العربية في الأندلس على وجه الخصوص نجد ان مثل هذه الاقواس قد استخدمت في مسجد قرطبة^(٥١). وكذلك العوارض قد استخدمت في الجامع الأزهر بالإضافة الى قرطبة. وان المقرنصات والمشبيكات والمزرات وغيرها، كلها عناصر معمارية ناسجة عن الحضارة الاسلامية^(٥٢)، وان هذه الحضارة هي نتاج الفكر الاسلامي الذي امتزج فيه العربي بالأعجمي، وهذا الفكر كانت له منطلقات ثابتة ومشارب واحدة اتفق عليها جميع المسلمين أخذا وعطاء. مما يفسر لنا تشابه أنماط التشكيل والتصميم المعماري، والا كيف نفسر وجود قوس مغربي في نقش على باب في صور^(٥٣)، وكيف نفسر النقوش والزخارف على شبابيك وابواب المباني في محافظة ظفار فعملية الابتكار هنا قائمة على معادلة موضوعية الا وهي الفكر الاسلامي روحا ومعنى وشكلا وجوهرا، ولذلك فان القول بأن أساليب البناء تعرضت لتأثيرات غربية وإفريقية، وأن التصميمات حاكت بيوت البرتغاليين فيه شيء من الاجحاف، ذلك اننا نقبل مبدأ التأثير والتأثر الخاضع لطبيعة الاتصالات الدولية، ولكن لا يمكن ان نطلق على تصميمات عربية شكلا

ومضمونها أنها نسخة من البيوت البرتغالية.

وتجدر الإشارة إلى أن الحصون والقلاع العمانية قد مارست عدة وظائف بالإضافة إلى وظيفتها الرئيسية. فبعضها اتخذ مدارس تعليمية، وبعضها اتخذ مراكز إدارية حكومية كمراكز للولاء، وبعضها مواقع لممارسة القضاء، وبعضها للسكن سواء للقائد وحاشيته، أو للموظفين من المواطنين وأحياناً للمواطنين أنفسهم أثناء الأزمات، وبعضها استخدمت كتكنات عسكرية.

وعلى أية حال فإننا نخلص من ذلك إلى أن بعضها مختلف الوظيفة ومتشعب الاستخدام، كجبرين والحزم والرسناق التي استخدمت كمدارس وسكن وكذلك كتكنات عسكرية للدفاع، بالإضافة إلى كونها مراكز حكم إدارية، وبعضها كانت وظيفته حربية بحتة كقلعتي الجلالى والمرانى وكالأسوار المحصنة في الباطنة وجعلان وغيرها. وهذا يسوقنا لطرح قضية الشكل والوظيفة في العمارة الحديثة^(١٦٤)، وعوداً إلى ما برز من مظاهر الفخامة والترف والثراء في جبرين والحزم وكذلك في بيت السيد نادر وبيت النعمان وغيرها من القصور المحصنة، نرى أن وظائف هذه الحصون الرئيسية التي مارستها كانت وظائف سلمية إنسانية، وإن زخرفتها دليل على ذلك ثم أن تخطيطها من الوجهة التصميمية كان معداً للغرض ذاته، وبالتالي جاء منسجماً مع وظيفته، وقد أبرز ذلك تناسق كتلتها مما هيا لها وأجهات متسقة معها.

بيد أن القلاع ذات الوظائف الحربية كالجلالى ونزوى والمرانى ومطرح وغيرها قد تعاضدت وظيفتها مع شكلها، فلم تظهر فيها أعمال الزخرفة، ولو ظهر ذلك لكان مناقضاً لما هي عليه من صرامة وحدة وجلال وهيبية، ولكانت أيضاً تلك الزخارف متعارضة مع تشكيلها الكتلي واتساق أجهاتها، وبالتالي جاءت مخططاتها من حيث التصميم متناسبة مع الوظيفة المخصصة لها، ودراسة الحركة داخل هذه المباني وبين مكوناتها يعزز ما أوضحناه من تمازج الوظيفة مع الشكل وتناسقها وإنسجامها معاً. ولابد أيضاً أن نشير هنا إلى البيئة العمانية التي أمدت هذه التحصينات بكثير من الميزات جعلتها صامدة في وجه الزمن، عن طريق مواد البناء المحلية المتعايشة مع البيئة في حرها وبردها، وفي جذبها وخصبها، وكذلك من حيث تشكيل الطوبوغرافيا من جبال وهضاب وأودية وتلال شكلت وأجهات هذه التحصينات وجعلتها جزءاً لا يتجزأ منها، وخير دليل على ذلك قلعة نخل التي تتعانق مع الطبيعة في تشكيل فني رائع جميل.

كما أن الطوبوغرافيا الصخرية منحت أيضاً هذه القلاع والحصون القوة والصلابة والصرامة، بنفس القدر الذي منحت الأراضي المفتوحة مزيداً من الفخامة والجلال لقصور جبرين والحزم وبيت النعمان... الخ وقد كانت عمليات التهوية والاضاءة متوفرة من خلال الشباك والكوة والمراق، وكذلك من خلال الأفنية التي تحيط بها الأروقة كحصن الفليج وبيت الفلج وبيت حبرا وغيرها من المباني التي تعرضنا لها سابقاً، فضلاً عن أن هذه المباني كانت جميعها مزودة بالمياه إما بواسطة فلج يتخللها كمحسون وقلاع المنطقة الداخلية، أو من خلال آبار ارتوازية كالتى توجد في منطقة الباطنة. وقد نادت النظريات الحديثة بوجود اعتبار البيئة كعامل رئيسي ومؤثر في التصميم المعماري، ويرى (ميس فان دورو) رائد العمارة الموضوعية أن المبني يجب أن يكون منتمياً إلى عصره ومتعلقاً به أكثر من تعلقه بالقيم الجمالية^(١٦٥)، وقد لبثت هذه التحصينات إلى حد ما تلك النظرة التي كان يرى من خلالها هذا المعماري مباني عصره، وهذا يعني أن التحصينات العمانية قد وفرت حلولاً واضحة لثوابت ومتغيرات

النظرية الحربية، ومن هنا جاءت وظيفتها منسجمة مع شكلها ليتعانق الاثنان مع البيئة المحلية العمانية.

وهكذا ومن خلال تتبعنا لمسيرة عمان العمرانية في تاريخها الطويل، والاستدلال ببعض شواهد الحضارات القديمة التي قامت على هذه الأرض، أو تلك التي ارتبطت بها بعلاقات ايا كان نوعها بغرض التدليل على ان حركة التعمير ورحلة البناء لم تكن وليدة الفراغ، وإنما يستند ارضها من التراث العماني الضخم الذي تظهر ملامحه على ابنية التحصينات المختلفة، التي اخترنا منها عينات مشهورة ومعروفة، تسهلا لتصور القاري، ومتابعته، وقد سعيينا من خلال استقراشنا لتواريخ تشييد التحصينات العمانية من القلاع والحصون والبيوت والقصور والأسوار وغيرها، الى التأكيد بأنه من الغبن ان ننسبها الى عهد معين أو فترة حكم معينة، وإنما هي ارث حضاري مشترك تفاعلت وتعاضدت في انجازها كافة الحضارات التي تجسدت على أرض عمان، فهي ليست حكرا لحضارة أم النار أو سومر أو الفينيقيين، وهي كذلك ليست من عمل الفرس دون سواهم من العرب الجندانيين الأزدية^(١٦٦)، فضلا عن ان امتداد حركة بناء التحصينات قد استمرت بعد الاسلام، فيقدر ما أولاه الاثمة اهتمامهم كالوارث بن كعب والصلت بن مالك وغسان بن عبدالله وغيرهم، نرى انها استحوذت على اهتمام النباهة أيضا^(١٦٧)، ولكنها ليست من انجازهم وحدهم وإنما شاركهم في ذلك اليعاربة^(١٦٨)، كما عضد هذه المشاركة الاثمة والسلطين البوسعيديون من بعدهم، وتحظى في عهدنا المعاصر بالاهتمام والرعاية من خلال عمليات الترميم وإعادة البناء. وحيث ان كل تحصين يحكي تاريخا مليئا بالاحداث في عمان فانه يمكن اعتباره مدخلا جيدا لتناول التاريخ العماني ودراسته.

وهكذا تكشف من خلال هذا العرض ماهية نظرية بناء التحصينات الحربية العمانية والشوايت التي ارتكزت عليها، والمتغيرات التي تعاملت معها على امتداد فترة تاريخها الطويل، ومدى تأثيرها في عمليات الانشاء وبناء هيكليتها. ومما لاشك فيه ان عمليات الانشاء المختلفة التي يمتاز بها كل تحصين عن غيره، تحتاج منا الى وقفة متأنية ودراسة تفصيلية لكيفية تركيبها وبنيتها المعمارية، من خلال دراسة طرق التخطيط وطرق البناء والمواد المستخدمة التي احترمت صمودها البيئة المحلية لانها منها واليها، مما سيتيح لنا فرصة الاستفادة منها في مسيرة التعمير والبناء على الصعيد الرسمي أو المحلي.

واذا كانت عمان قد برزت على هذا النحو في مجال العمارة والتحصينات، استجابة لظروفها ولتاريخها الطويل المليء بالاحداث والتحديات، وكان هذا البروز وهذا التفوق مرتبطا وكما رأينا بالعديد من القلاع والحصون والابراج التي شيدت في المدن العمانية، فان هذه المدن لم تكن كلها على هذا المستوى من الاهمية، أو بالاحرى لم تكن على مستوى واحد من الاهمية، فبعضها كانت ذات أهمية من الناحية التجارية، وأخرى كانت ذات أهمية من الناحية العلمية، وثالثة كانت أهميتها من الناحية السياسية. وقد سبق الحديث عن المدن ذات الصيغة العلمية والثقافية. أما النوع الثالث من المدن التي كانت لها أهمية سياسية بالإضافة الى أهميتها العلمية والتجارية أيضا فهي عديدة، وترجع هذه الاهمية السياسية الى أنها عواصم لعمان في العصور التاريخية المتعاقبة. وهذا يقودنا الى الحديث عن هذه العواصم السياسية العمانية.

الفصل الرابع العواصم السياسية العُمانية

تعددت العواصم في عدة أقطار من عهد إلى عهد، ففي العراق كانت (الكوفة) أول عاصمة للدولة العباسية ثم انتقل العباسيون إلى (الحيرة) وجعلوها عاصمتهم ثم إلى (الأنبار) (الهاشمية) وبقوا بها حتى بنوا (بغداد)، ومع ما وصلت إليه بغداد من الشهرة والعظمة فقد انتقل منها المعتصم إلى عاصمة جديدة هي (سامراء).

وفي مصر كانت أول عاصمة إسلامية هي (الفسطاط) وفي عهد الخلافة العباسية بنى العباسيون مدينة (العسكر) وجعلوها عاصمة لمصر، ثم أنشأ أحمد بن طولون عندما تولى السلطة في مصر مدينة (القطائع) وجعلها عاصمة له... فلما قامت الدولة الفاطمية انشئت (القاهرة) وأصبحت العاصمة.

وبالنسبة لعمان يحدثنا ابن رزيق^(١) فيقول: أنه عندما بويع الإمام ناصر بن مرشد كان يمتلك نخل سلطان بن أبي العرب، ويملك سمائل مانع بن سنان ويملك سمد الشان علي بن قطن الهلالي، وكان ملك أبراء محمد بن جعفر وكانت أزكي بيد بني عزة ونزوى بيد أهل العقر.

وتفرقت البلاد مرة أخرى في نهاية عهد اليعاربة، فلما بويع أحمد بن سعيد أماما على عمان كانت هناك عواصم متعددة لمقاطعات كانت كل منها مستقلة فمضى أحمد بن سعيد إلى الرستاق ففتح حصنها، ومضى إلى سمائل فاستخلصها، ثم إلى أزكي فأنعنت له ثم إلى نزوى فسلمت له الأمر، ثم إلى بهلاء فأطاعته^(٢).

وأحيانا كان الإمام يتخذ عاصمة يمكن أن يطلق عليها العاصمة الدينية، وفي نفس الوقت كان ملوك النباهنة يتخذون لهم عاصمة أو عواصم أخرى.

ولما كان الأمر كذلك، فقد رأينا أن نتحدث عن العواصم السياسية في عمان منذ عهدها القديم وحتى العصور الحديثة لنبرز دور هذه العواصم في تاريخ عمان وحضارتها. وأول هذه العواصم مدينة قلهاة.

قلهاة :

قلهاة مدينة قديمة تقبع على ساحل بحر عمان شمالي مدينة صور العمانية بقليل، ويقول عنها ياقوت في كتابه معجم البلدان: أنها كانت مرفأ لاكثر سفن الهند وأنها في عهده «فرضة تلك البلاد وأمثل أعمال أهل عمان، عامرة أهلة»^(٣)، ويقول عنها ابن بطوطة التي زارها أنها مدينة حسنة الأسواق وإن مسجدها من أحسن المساجد فجدرانه مزينة بالقاشاني، وارتفاعه كبير إذ ينظر منه الناظر إلى البحر والمرسى. وذكر ابن بطوطة شهرة قلهاة كمدينة تجارية فأشار إلى أن أهلها أهل تجارة، وتتوقف حياتهم على التجارة القادمة إليهم من البحر الهندي، ولذلك فإنهم يفرحون أشد الفرح عندما تصل سفينة تجارية إلى مدينتهم. ولم ينس ابن بطوطة

ان يشيد بأسماك قلهات فقال: انه أكل بهذه المدينة سمكا لم يأكل مثله في أي اقليم من الأقاليم، وأنه كان يفضل على جميع اللحوم، كما لم ينس أن يشيد بأخلاق أميرها، فقال عنه انه رجل فاضل حسن الأخلاق وأنه أقام عنده ضيفا ستة أيام^(٤).

وأهمية هذه المدينة لاتكمن في أهميتها التجارية فقط، ولكن تكمن في أنها أول عاصمة عمانية عرفها التاريخ قبل ظهور الاسلام بعدة قرون. ذلك أن مالك بن فهم عندما هاجر هو وقومه من الأزدي إلى عمان من بلاد اليمن قرب نهاية القرن الثاني للميلاد إثر انهيار لسد مأرب، اتخذ من قلهات عاصمة ومستقرا له لأسباب عديدة، منها أنها تقع على البحر وفي منطقة وسط من البلاد العمانية وذلك بالتالي يسهل المالك الاتصال ببلاد اليمن



قلهات، إحدى
العواصم العمانية

التي هاجر منها والتي يسكنها بقية قومه ولتقطع امداداتهم له اذا طلب مساعدتهم في النزاع المرتقب بينه وبين الفرس.

كما أن موقع هذه المدينة بالقرب من الجزء الشمالي من عمان الذي كان الفرس يحكمونه ويتخذون من صحار مقرا لحكمهم ولنفوذهم، مكن مالكا من أن يستطلع أحوالهم عن طريق الاتصال البحري الذي كان يربط قلهات بصحار وغيرها من الموانئ التي تقع على الساحل العماني^(٥).

يضاف الى ذلك أن قلهات في حد ذاتها كورة منيعة يسهل الاتصال بها عن طريق البحر، كما انها وكما أشرنا كانت محطة هامة من محطات التجارة، فكانت تغد إليها السفن القادمة من بلاد الهند، وكذلك السفن القادمة من بلاد اليمن وظفار عن طريق بحر العرب، مما أدى الى انتعاش أحوالها المالية والعيشية الى حد كبير، ولذلك فإن مالك بن فهم فضلها لتكون مقرا له ولم يتوغل في داخلية عمان حتى يصفى حسابه مع الفرس أولا.

وربما يكون مالك بن فهم قد اتخذ من قلهات مقرا لحكمه بسبب آخر، وهو أن هذه المنطقة من عمان كانت لاتخضع للنفوذ الفارسي، ولذلك فإن أهلها وكذلك القبائل التي تسكن بالقرب منها كانوا غير خاضعين لأي سيطرة فارسية، ومن ثم يمكنهم بأن يلتقوا حوله وأن يقدموا له العون والمساعدة لتخليص بقية بلادهم من الناحية الشمالية من النفوذ الفارسي، وهذا ما حدث بالفعل، لأن مالكا وكما تحكي كتب التاريخ قدم من اليمن في عدد من أهله لاييزيد عن ستة آلاف وانتصر على الفرس الذين كان جيشهم لا يقل عن أربعين ألفا^(٦). ومع الاعتراف بشجاعة مالك وقومه الا ان هذا النصر لايمكن أن يتم الا بفضل المساعدة التي لقيها من سكان البلاد الذين جاءوا واستقروا فيها قبل قدومه، وهم عرب مثله.

لكل هذه العوامل والأسباب اتخذ مالك بن فهم مدينة قلهات مستقرا له وعاصمة للملكة، بعد أن رأى الفرس يسيطرون على الجزء الشمالي من عمان، «فأنزل بها من كان معه من الحشم والعيال والنساء والأثقال... ليكون أمان لهم، وترك عندهم من الخيل والرحال ما يحفظونه ثم سار هو ببقية عساكره وصناديد رجاله» للقاء الفرس الذين انتصر عليهم انتصارا ساحقا في صحراء سلوت قرب نزوى وأجبرهم على التقهقر الى

صحار، حيث عقدوا معه هدنة على أساس أن يمهلهم عاما يعودون بعده الى بلادهم «وأعطوه على ذلك عهدا وجزية» فاستجاب مالك لطليهم وعاد الى قلهات^(٧).

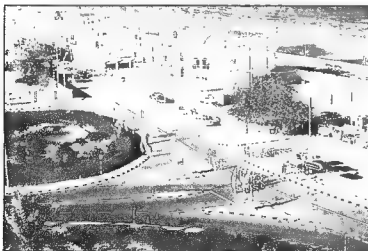
وعندما نقض الفرس الهدنة بتأثير ملكهم دارا الذي غضب من العهد الذي أبرمه نائبه في عمان مع مالك بن فهم، وأرسل قوات كبيرة الى عمان، انقض ممالك على هذه القوات من قلهات ودحرها وفر الفرس الى بلادهم هاربين، واستولى مالك على بقية عمان وما يليها من الأطراف وساس الناس سياسة حسنة «وكان ينزل الى شاطئ قلهات وينتقل الى غيرها»^(٨) ويحدد الشيخ نور الدين السالمي مقر اقامته تحديدا أدق فيقول انه «كان ينزل ما بين عمان الى ناحية اليمن، وكان أكثر نزوله بشاطئ قلهات من شط عمان، وينتقل منها الى غيرها»^(٩).

ومعنى ذلك ان مالك بن فهم ماتخذ من قلهات مستقرا له وعاصمة دائمة للملك، ولكنه كان مع ذلك ينتقل منها الى غيرها من المدن لتفقد أحوال مملكته، ثم لا يلبث أن يعود الى قلهات لأن أكثر نزوله وإقامته كان بها كما قال السالمي.

وهكذا اتخذ مالك بن فهم في البداية من قلهات قاعدة عسكرية برز منها لقتال الفرس وتحرير البلاد من احتلالهم لها، وبعد انتصاره عليهم عاد الى قلهات واستقر فيها واتخذ منها عاصمة له.

وعلى ذلك فإن هذه المدينة تعتبر أول عاصمة عربية لعمان يتخذها ملك عربي في تاريخ عمان القديم، ومع ذلك فربما كانت هناك عواصم أخرى سبقتها، وربما كان هناك ملوك آخرون سبقوا مالك بن فهم واتخذوا عواصم لملكهم، وهذا امر طبيعي، ولكن كتب التاريخ لا ذت بالصمت ولم تنبئنا بشيء عن هذه العواصم. ولذلك فإن قلهات تفوز بسبق الحديث كأول عاصمة عربية لملك عربي ولأول دولة عربية قامت في عمان قرب نهاية القرن الثاني للميلاد، واستمرت قلهات عاصمة للبلاد حتى انتقل الحكم من بني مالك بن فهم الى بني الجلندي الذين نقلوا كرسى الحكم الى توام ثم اتخذوا من صحار عاصمة لهم ربما لاعتبارات سياسية وتجارية، وعند ظهور الاسلام كانت هذه المدينة (صحار) مقرا لحكام عمان من بني الجلندي فيما تحدثنا كتب التاريخ. ولذلك فإن صحار تعتبر أول عاصمة لعمان في العصر الاسلامي، كما كانت قلهات أول عاصمة لها في عهدها القديم.

منظر صحار
من ناحية البحر



صحار:

تقع صحار الى الشمال الغربي من مسقط وبين صحار ومسقط مائة وأربعة وخمسون ميلا^(١٠) ويقول عنها ابن حوقل^(١١) انها قصبة عمان وتقع على البحر وبها من التجارة والتجار مالا يحصى كثرة. وذكر الاصطخري^(١٢) ان صحار أعمر مدن عمان وأكثرها مالا، ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر فارس مدينة أكثر عماره ومالا منها.

ويذكر المقدسي ان صحار مدينة طيبة الهواء كثيرة الخيرات والفاكهة، واسعة ليس في تلك النواحي مثلها، وهي قصبة عمان، بلد عامر أهل، حسن، طيب نزه، ذو يسار وتجار وفاكهة، أسواقه عجيبة، والجامع على الساحل له منارة حسنة، والبلدة بها أبار عذبة وقناة حلوة، وأهلها في سعة من كل شيء^(١٣).

وبالإضافة الى موقع صحار وأهميته يذكر الباحثون ان النحاس استخرج من مكان يقع بالقرب من صحار، وكان ذلك في الألف الرابعة قبل الميلاد^(١٤). واستمر استخراج النحاس بعد ذلك، وترتب على هذا ان قامت في مشارف صحار صناعة صهر النحاس عند الطريق المتجه الى الداخل، وكان عمال النحاس يشغلون حيزا كبيرا في المدينة^(١٥).

ومع صناعة النحاس كانت صحار دائما المركز الطبيعي للتطور الزراعي في اقليم الباطنة الساحلي، وهي تنتج فائضا كبيرا من المنتجات الزراعية وبخاصة البلح والفواكه شبه الاستوائية، ويصف بعض الكتاب الحالة الزراعية في صحار خلال فترة ازدهارها بأنها كانت تنتج كميات هائلة من البلح بالإضافة الى الموز والتين، وكان الزراع يتوسعون في زراعتها^(١٦).

وازدهار الصناعة في مشارف صحار وازدهار الزراعة حولها مع موقعها الساحلي الممتاز، كل هذا ميا (صحار) لتلعب دورا كبيرا في مجال التجارة، فقد نشطت تجارتها الى الهند والى شرق افريقيا، وقد ذكر عنها الاصلخي وابن حوقل في هذا المجال انها كانت مستودع العالم، ولا توجد مدينة في جميع أنحاء العالم تضاهي صحار في ثراء تجارتها، وان جميع منتجات الشرق والغرب والجنوب والشمال تصب في هذه المدينة، وتخرج منها الى جميع المراكز التجارية في العالم^(١٧).

هذا عن موقع صحار وأهميتها الاقتصادية، أما دورها السياسي والحضاري وجهود العمانيين لدفع الاحتلال عنها، فحديث يطول، وأول ما نذكره في هذا الصدد كتابين وردا من الرسول ﷺ أحدهما الى أهل عمان بوجه عام والثاني الى (عبد) و(جيفر) ابني (الجلندي) بوجه خاص وكانت لهما السيادة على عمان وكانا يقيماني في مدينة صحار. ونص الكتاب الأول هو:

(من محمد رسول الله الى أهل عمان، أما بعد فادعوكم أن تقروا أن لا اله الا الله واني رسول الله، وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة، وأن تعمروا المساجد).

ونص الكتاب الثاني هو:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابني الجلندي، أما بعد أدعوكما لدين الاسلام، أسلما تسلما، فاني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحيى القول على الكافرين)... الخ^(١٨).

وحمل هذه الرسالة عمرو بن العاص وقابل (عبدا) وهو أحكم الرجلين فأوصله الى أخيه جيفر، وإيجاز القول هنا أنهما أسلما وتبعهما قومهما، ورفض الفرس الذين كانوا يقيمون بعمان أن يدخلوا الاسلام فاشتعلت الحرب بين المسلمين والفرس،



صحار، إحدى
العواصم العمانية

وغلب الفرس وطلبوا الصلح على أن يخرجوا من البلاد. وهكذا حظيت صحار بأنها كانت العاصمة الأولى في عمان ترحب بالاسلام وتدخله طواعية، ثم حظيت بشرف طرد الأجانب منها. وكان يقيم بصحار الوالي الذي عينه الرسول ﷺ والخلفاء من بعده، وفي عهد الدولة الأسورية تعرضت عمان لهجوم جرى من بعض الخلفاء الأمويين، ولكن عمان عادت فحصلت على استقلالها إبان العهد العباسي، وبدأ بذلك العصر الذهبي لصحار بالبيعة للامام الجلندي بن مسعود في سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م الذي يعد أول امام لعمان^(١٩). ولم تلبث صحار أن تخلت عن مركزها السياسي كعاصمة لعمان منذ عهد الامامة الثانية التي قامت في عمان في عام ١٧٧هـ / ٧٩٣م الى مدينة أخرى هي مدينة نزوى، واحتفظت صحار بأهميتها التجارية العظيمة مستفيدة من موقعها على بحر عمان، وظلت تمثل العاصمة التجارية لعمان ان صح هذا القول لقرون عديدة حتى سقطت في يد البرتغاليين.

صحار تحت سلطة البرتغال :

ففي مطلع القرن السادس عشر زحف الاستعمار البرتغالي الى ارض عمان بعد ان نجح فاسكودي جاما في الدوران حول افريقيا، فيما عرف بطريق رأس الرجاء الصالح، وبفتح هذا الطريق تحولت تجارة الشرق من الطرق البرية - البحرية الى هذا الطريق البحري المتصل، وحاول البرتغاليون ان يقيموا مراكز للتأمين والحراسة على طول الطريق، فاتجهوا الى عمان واحتلوا صور وقريات ثم مسقط وصحار عام ٩١٣هـ / ١٥٠٧م، واتجه القائد الجائر البوكريك الى تدمير السفن العمانية واقامة القواعد والقلاع ليدعم مركزه ويقوي سيطرته على تلك المنطقة الاستراتيجية ذات الموقع الملاحي الممتاز^(٢٠).

اليغارية يحرقون صحار :

وقامت دولة اليغارية، وأعلن مؤسسها الامام ناصر بن مرشد الحرب على البرتغاليين وفي عام ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م تمكن الامام سلطان بن سيف من تحرير مسقط من البرتغاليين، وإثر ذلك تم جلاء البرتغاليين عن صحار بعد ان وحد البلاد، وكانت اجزاء من عمان خاضعة لهرمز، وبالتالي خضعت للبرتغال التي احتلت هرمز، ولما تحررت هرمز بجهود مشتركة سنة ١٠٧٣هـ / ١٦٢٢م واصبحت تابعة للفرس حاول الفرس ان يسيطروا على المناطق العمانية التي كانت تابعة لهرمز وأهمها صحار، ولكن الامام ناصر بن مرشد خاض حرباً ضد الفرس ونجح في تخليص صحار وجلفار (رأس الخيمة)^(٢١) من السيطرة الفارسية.

وهكذا عادت الحرية لصحار بعد نضال طويل، وأدى ذلك الى توجيه حملات نحو صور وقرريات، فاستطاع الامام تحريرها أيضاً من البرتغاليين^(٢٢)، وكانت صحار قلعة المقاومة ضد الفرس وضد قوات العدوان على العموم.

وكانت صحار مقراً لولاية احمد بن سعيد مؤسس الدولة اليوسعيدية والذي كان الامام سيف بن سلطان قد ولاه اياها قبيل نهاية دولة اليغارية، وعقب نهاية اليغارية آل الأمر لأحمد بن سعيد حيث اتخذ من صحار مركزاً حرراً منه مسقط وغيرها من الموالي...

مكانة صحار العالمية :

وهكذا كانت صحار مركزاً للدفاع عن عمان كلما اتجه أعداء عمان إليها بسوء،

وكانت في الوقت نفسه تحظى بمكانة عالمية في مجال التجارة البحرية، ونعمت صحار بموقع فريد فتجمعت لها خصائص لم تجتمع لسواها، ونعید في هذا المجال قول الاصطخري بأنها كانت مستودع العالم، وأن جميع منتجات الشرق والغرب والشمال والجنوب كانت تصب في هذه المدينة وتخرج منها الى جميع المراكز التجارية في العالم.

وظلت صحار عاصمة لعمان فترة طويلة كما ذكرنا، وكانت تمثل موقعا مهما للإدارة والحكم، وظلت صحار تحتفظ بصلات وثيقة مع الخارج كالبحيرة والهند وخراسان، ولهذا فعندما تحولت السلطة السياسية عن صحار احتفظت صحار بطابعها الدولي كعاصمة اقتصادية لعمان.

وتشتهر صحار بقلعتها التاريخية للسماء، ومن صحار انطلقت السفن العمانية تجوب البحار والمحيطات متجهة للصين وغيرها من موانئ الشرق والغرب.

وفي صحار الحديثة معالم نهضة وتطور، منها مزارع شمس عمان التي أنشئت سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م وهذه المزارع تتسع أنشطتها لتشمل أنشطة صناعية وزراعية وحيوانية. ومن معالمها الحديثة كذلك التنقيب عن النحاس الذي قام على اثره مصنع النحاس. وفي صحار الحديثة مؤسسات تعليمية وصحية رائعة.

نزوى :

تقع نزوى في المنطقة الداخلية بعمان، على بعد ١٨٠ كيلومترا من مسقط، وهذه المنطقة مهمة جدا، وذلك لما تزدهان به من مساجد، ولما قدمته للمجتمع العماني من



منظر لنزوى من
ناحية السوق والقلعة

أساطين العلماء، ثم لأن هذه المنطقة بها حصون فخمة تنبئ بجلالها، وبعض هذه الحصون شملت معاهد عليا ترعى العلوم والمعارف، ولذلك فأننا قبل أن نتحدث عن نزوى كاحدى العواصم العمانية يجدر بنا أن نتحدث عن نزوى مدينة العلماء ونزوى منطقة الحصون.

الخليج العربي
البحرين

خليج عمان

نزوى

عمان

شبه
الجزيرة
العربية

بحر العرب

نزوى، إحدى
العواصم العمانية

نزوى مدينة العلماء :

حظيت نزوى بأن أطلق عليها العمانيون (بيضة الاسلام) وذلك لوجود مدارس لفقه الاسلام بها، وعكسوف العلماء والمريدين فيها على الدراسة والتأليف في كل جوانب الدراسات الاسلامية. وقد تخرج من معاهد نزوى مجموعة من العلماء انسايوا في نواحي عمان يحملون العلوم والمعارف، وقد كان مناخها المعتدل من الاسباب التي جذبت حلقات العلم لاتخاذ نزوى مركزا للدراسة.

ونزوى من أوائل بلدان عمان التي احتضنت الاسلام، ولذلك نجد مساجد نزوى في عمارتها بين القديم والحديث، وعلى سبيل المثال مسجد الشوانة المنسوب لعيسى بن عبدالله بن شاذان، هو أول مسجد في المنطقة وقد أعيد تجديده سنة ١٠٧هـ / ٧٢٥م.

وفي نزوى أيضا الجامع الذي لايزال مقرا لدراسة الفقه والعلوم الاسلامية، وجامع سمع الذي يقال انه بني في السنة الثامنة للهجرة، ويوجد بنزوى كذلك مسجد العين ومسجد الشيخ. وقد تخرج العديد من العلماء الفطاحل من مساجد نزوى، ومن هؤلاء الامام جابر بن زيد أبو الشعثاء، والامام الصلت بن مالك الخروصي، والشيخ محمد بن ابراهيم الكندي مؤلف كتاب (بيان الشرع)، والشيخ العلامة بشير بن المنذر، والشيخ أحمد بن عبدالله بن موسى الكندي مؤلف كتاب المصنف وغيرهم كثيرون.

نزوى بلدة الحصون :

وتشتهر نزوى بالحصون والقلاع، ومن أهمها قلعتها التاريخية التي بناها الامام سلطان بن سيف (١٠٥٩ - ١٠٧٩هـ / ١٦٤٩ - ١٦٦٨م)، وقد استغرق بناء هذه القلعة اثني عشر عاما، ويزيد طول قطر برجها الدائري الضخم عن ٣٧ مترا، وهي تضم تحصينات متينة منيعة كما تضم ابراجا محصنة. ويوجد بهذه القلعة اماكن للتعبد والصلاة والادارة الحكومية وسبعة آبار للمياه العذبة.

وتتعدد الحصون في نزوى فمنها حصن (تنوف) الذي يقع على سفح الجبل الأخضر وتحيط به ثلاثة أبراج. وهناك حصن الرديدة وله موقع استراتيجي ويتحكم في مدخل الوادي المؤدي الى الجبل الأخضر، ويخترقه بركة الموز (٢٣) وقد بناه محمد بن الامام أحمد بن سعيد وولده هلال (٢٤).

أشياء أخرى تشتهر بها نزوى :

وتشتهر نزوى أيضا بصناعة الحلوى العمانية التي برع فيها العمانيون بعامه وأهل نزوى بصفة خاصة، وقد ساعد على ذلك توافر السكر الأحمر بنزوى الذي تصنع به هذه الحلوى.

وتشتهر نزوى كذلك بصناعة دبغ الجلود وتصنيع هذه الجلود بعد دبغها، كما تشتهر بالمشغولات الذهبية والفضية والخناجر وحلي الأعراس والسيوف وغيرها من المشغولات التي تزدان بالنقوش البديعة.

وقد اتخذ أئمة عمان منذ امامة الامام محمد بن أبي عفان سنة ١١٧٧هـ / ٧٩٣م

نزوى عاصمة لهم، وهكذا صارت منذ ذلك الحين عاصمة لعمان، ويذكر العلامة الشيخ سالم بن حمود السيابي نزوى بالكثير من التقدير والجلال فيقول: «تعرضت عمان من الفرس وقراصنة الهند، الى هجمات متعددة، فرأى المسلمون تحويل عاصمة الامامة من صحار الى نزوى، ورأى ذوو الشأن ان نزوى امكن لهم وأحصن لزعامتهم وأقر لسلطانهم، فاتفق نظرهم الى ان يكون الامام بها، ولا يخرج منها الا ليمد أو لداع يستدعي. وأصبحت نزوى كرسى الامامة في عمان، وكان مقام الامام في الحصن، وفي عهد الامام غسان سميت نزوى تخت ملك العرب، كما سميت بيضة الاسلام».

الرسـتاق :

كانت الرستاق عاصمة بعض الأئمة حيث عقدت الامامة للامام ناصر بن مرشد بالرستاق سنة ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م، وبدأت بذلك دولة اليعاربة (٢٠) في هذه العاصمة.

ومن الرستاق انطلق الامام ناصر بن مرشد ليوجد البلاد، ويبعدها انتقل لمحاربة البرتغاليين والفرس وأحرز انتصارات واسعة، وفي أواخر عهد اليعاربة شهدت الرستاق صراعا مريرا بين افراد هذه الأسرة، مما أدى الى لجوء أحد المتنافسين (سيف بن سلطان بن سيف) سنة ١١٥٠هـ / ١٧٣٧م الى نادر شاه ملك الفرس يطلب عونه، وانتهم نادر شاه الفرصة فدخل عمان بجيوشه، وسرعان ما ظهر انه لا يعمل لحساب سيف بن سلطان بل يعمل لحساب نفسه.

وقد مات بالرستاق آخر أئمة اليعاربة

وعند موته كانت فارس تحتل بعض المناطق ومنها مسقط.

واستقبلت الرستاق علما جديدا من أعلام السياسة والحرب، هو الامام احمد بن سعيد الذي انتخب اماما لعمان سنة ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م، وهو رأس الأسرة البوسعيدية التي لاتزال تحكم البلاد حتى الآن، واستطاع حكم البلاد من عاصمته الرستاق، وأعاد للبلاد استقلالها بعد ان خلعها من الاحتلال القارسي، وكانت الرستاق في عهده عاصمة سياسية واقتصادية مهمة، اذ عمل أحمد بن سعيد على تنشيط التجارة وازدهار المال، وأقام توازنا بين الساحل والداخل، وشجع التجارة وحقق الأمن والاستقرار للبلاد. وبعد وفاته تولى ابنه سعيد بن أحمد بن سعيد مقاليد الحكم وظلت الرستاق عاصمة له (٢١).

وتشتهر الرستاق بقلعتها العظيمة وكذلك بقلعة الحزم وجامع البياضة الذي تخرج منه عدد من علماء عمان وأئمتها الأفذاذ، وتشتهر الرستاق كذلك بعين (الكسفة) التي تتدفق منها مياه حارة نقية.

وكانت الرستاق فيما مضى مركزا تجاريا مهما يعرض منتجات الجبل الأخضر من المشمش والرمان والخوخ والتين والعنب، وكانت الدواب تتوافد على الرستاق



الرستاق .أحدى العواصم العمانية

تحمل هذه الفواكه من الجبل الأخضر، كما كان أهل الباطنة يقدون إليها يحملون انتاجهم من الأسماك والموز والليمون، فكانت الرستاق بذلك نقطة التقاء اقتصادي كما كانت نقطة التقاء سياسي.

ومن الصناعات التي برزت في الرستاق صناعة الحلوى العمانية، وصناعة المصنوعات الفضية، وتحظى الخناجر الرستاقية بشهرة بالغة، إذ يضع الصائغ العماني في الرستاق بصماته الدقيقة على هذه التحفة الفضية الرائعة.

ومن الصناعات التي حظيت بالاهتمام في الرستاق صناعة تعليب التمور، وهناك بالرستاق مصنع للتمور، تختار فيه أجود أنواع التمور وتممر بمراحل مهمة لتعليبها راثعاً، مما جعل تمور عمان من أرقى أنواع التمور في العالم.

مسقط :

يقول ابن الفقيه الهمداني (ت ٩٠٢م) عن مسقط: أنها تقع على بعد مائتي فرسخ من (سيراف)، وهي ميناء تبحر منها السفن إلى الهند (٢٧). ويتحدث ابن بطوطة عنها فيقول: أنها بلدة بها السمك الكثير المعروف بقلب الماس (٢٨).

أما المؤرخ العماني الشيخ سالم بن حمود فقد كتب عن مسقط كلمات قصيرة أيضاً بدأها بتصحيح ما ذكره عنها الحموي، ثم أضاف يقول: «إن مسقط مدينة من أهم المدن على البحر العربي، علا شأنها وعظم مكانها منذ القرن الحادي عشر الهجري حين حل بها البرتغاليون، وبنوا فيها حصناً لهم بل حصوناً وسورها من ناحية الجبال بأسوار مكينة حتى صار ملك عمان بأيدي بني نبهان، واستمر الحال أيام العيارية الأجلاء الذين يقتخر بهم الدين، وتبتهج بهم الدنيا، ثم اتخذها البوسعيديون عاصمتهم الوحيدة، وهكذا تطور وقتها حتى الآن» (٢٩).

وكان لمسقط دور في التجارة العالمية بجوار صحار منذ القرن الثاني الهجري مع الاعتراف بأن دور صحار كان هو الدور الرئيسي.

أما أحمد بن ماجد ذلك البحارة الشهير فقد كتب عن مسقط يقول: «أنها ميناء



قصر العلم أحد
الشواهد التاريخية
الحديثة لمدينة مسقط

شهير لا مثيل له في العالم، وفيه أمور وأشياء لا يجدها المرء في أي مكان آخر، وفي رأس الميناء صخرة عالية يراها القاصي والداني، ويهتدي بها المسافر أينما كان، ويستطيع أن يراها المسافر إلى الهند أو السند أو هرمز أو مكران أو الغرب، وتوجد إلى الغرب من الشمال الغربي جزيرة حمراء عالية اسمها (الفحل) وهي ظاهرة بارزة بروزا كافيا حتى يمكن للجاهل أن يهتدي بها ليلا ونهارا.

ويستمر قائلا: «إن مسقط هي الميناء الأول لعمان، وتأتي إليه السفن وتنمو فيه، وفي مسقط تباع الأقمشة والخضراوات والزيت والحبوب، ثم إن السفن حين تقصد مسقط تكون في مكان آمن من كل ريح، وفي مسقط المياه العذبة وسكانها كرام لطفاء يحبون الغرباء» (٢٠).

وهكذا تشتمل مسقط على كثير من خصائص عمان، فهي تطل على البحر الذي يمتد امتدادا طويلا مع بلاد عمان، وبها الصخور السوداء الفاحمة التي تنتشر في عمان، وتصلها طرق إلى أمكنة الخصوبة حولها، وعلى هذا فمسقط تتمثل فيها

الخصوبة والبحر والجبال، وتلك هي أبرز مظاهر الحياة في عمان. أما منظر مسقط من البحر أو الجو فهو منظر رائع، إذ يمتد صف فوق صف من الجبال الجرداء مسافات طويلة، وتقع في الخليج الصغير الذي يلتقي عنده البحر بالجبل مدينة مسورة تطل عليها قلعتها القديمتان، وقلما يوجد ركن في مسقط لا يمكن رؤية هاتين القلعتين منه.

أما مسقط الحديثة التي تنمو نموا مضطربا فهي فسحة الشوارع ضخمة المباني، وتعد مسقط الآن أعظم مرفأ على خليج عمان بنشاطها التجاري.



مسقط،
العاصمة الحالية

سلطان بن سيف يستعيد مسقط :

وعندما بويع سلطان بن سيف إماما لعمان عقب وفاة ابن عمه ناصر، وجه اهتمامه لاستكمال ما بدأه ابن عمه، فاتجه للصراع ضد البرتغاليين واستطاع بذلك أن يستعيد منهم ما تبقى في أيديهم فطردهم سنة ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م من مسقط ومطرح.

ولدينا وصف دقيق يقدمه ابن رزيق عن المعركة التي دارت بين سلطان بن سيف وبين البرتغاليين، إذ يقول ابن رزيق في هذا الصدد:

«إن الامام سلطان بن سيف لما توفي ابن عمه وخلصت له الامامة لم يلبث إلا أياما معدودة ثم أسرع الوثبة لحرب النصارى الذين في يدهم زمام بلدة مسقط ومطرح وهم المسمون (البرتكييس) أي البرتغاليين.

مسقط عاصمة عمان :

ولما قامت الدولة البوسعيدية، اتخذ مؤسسها الامام أحمد بن سعيد من الرستاق عاصمة له، وكانت حياته بين صحار العاصمة الأولى لعمان والتي كان الامام أحمد واليا عليها قبل أن يصبح اماما، وبين الرستاق موطن الأئمة وعاصمة عمان في ذلك التاريخ، وفي عهد حفيده حمد بن سعيد (١١٩٣ - ١٢٠٧ هـ / ١٧٧٩ - ١٧٩٢ م) نقلت العاصمة من مدينة الرستاق إلى مسقط، ومنذ ذلك التاريخ ظلت مسقط عاصمة البلاد وواجهتها. وقد زارها بعض الرحالة والعلماء الأجانب وتحدثوا عنها وعن اقتصادها.

اقتصاد مسقط :

وقد زار السير باتر فريير مسقط وشاهد الأسواق تنبع بالحركة حيث تعرض السلع والمنتجات على اختلاف أنواعها مثل المنسوجات والأقطان والحريز والمجوهرات وأدوات المائدة واللحوم والأسماك. كما قال كارستان في كتابه (رحلات عبر الجزيرة العربية) «أن مسقط تنتج الجبن والشعير والعدس والعنب وتصدر كميات هائلة من البلع الى الخارج». وذكر G.T. RINAL انها تصدر اللبان والمر والفضة والصمغ^(٣١). وأهم دور اقتصادي قامت به مسقط هو أنها كانت محطة تجارية ومركزا لتوزيع البضائع وشحنها، فالخليج يتوسط شبكة من الطرق البحرية التي تربط الهند وجنوب شرقي آسيا والشرق الأقصى وأفريقيا، وكانت مسقط تمثل أهم ميناء بين موانئ هذا الخليج بموقعها الاستراتيجي الممتاز، وكان هذا الموقع يدر ربحا عظيما على البلاد وعلى العمال العمانيين.

وعلى هذا فمنتجات مسقط وموقعها الجغرافي جلبا لها عبر التاريخ مكانة اقتصادية مرموقة، ولذلك كان يقال ان نفوذ مسقط في الخليج نفوذ غير منازع^(٣٢). وقد دعم هذا النفوذ ما تمتاز به هذه المدينة من حصانة وتحصين نظرا لكثرة قلاعها وأبراجها.

مسقط: مدينة الأبراج والقلاع :

ذلك أن الأبراج والحصون والقلاع تكثر في عمان، وتقوم عادة على التلال البارزة ومهمتها الحراسة والدفاع عن مداخل المدن. وكذلك الحال في مسقط عاصمة البلاد. إذ يوجد بها مجموعة من الأبراج والحصون والقلاع تشرف على المدينة من ناحية البحر، فمسقط كانت دائما تخشى أن تضرب من البحر.

وفي مسقط قلعتان عظيمتان: القلعة الغربية تسمى (الميراني) ولعلها أخذت اسمها من الاميرال البرتغالي، وكان البرتغاليون يطلقون عليها في الأصل (فورت كايبيان) اذ كانت مقرا للقائد البرتغالي. أما القلعة الشرقية فتسمى (الجلالي) ولعل اسمها مقبوس من اسم القادة الذين ارتبطوا بها.

وكانت القلاع والأبراج بصفة عامة منازل للحكام، وأحيانا كانت توجد بداخلها مدارس ومكتبات، ومكان للمساجين السياسيين حتى يكونوا تحت سمع الحاكم وبصره.

مسقط المعاصرة :

أما الحديث عن مسقط المعاصرة فيحتاج الى دراسة طويلة لا تتسع لها هذه العجالة، ويكفي أن نذكر أن عهد جلالة السلطان قابوس أقام جسرا هائلا بين الماضي والحاضر والمستقبل، فقد اتجهت عمان المعاصرة الى المحافظة على القيم الأصيلة والتقاليد العربية مع تطعيمها بما يزيدها بهجة وجمالا دون تغيير في جذورها، ثم اتجهت عمان الى الحضارة الحديثة فأخذت منها قسطا كبيرا بحيث لا يتناقض هذا



منظر حديث
لطرخ الكبرى

- القسط مع القيم والآداب العربية والإسلامية. وقد زخرت مسقط بكثير من صور ومظاهر هذه الحضارة، ونذكر منها:
- الشريط الساحلي الذي يمتد من مسقط إلى مطرح، ويحس فيه السائر بروعة الطبيعة وقدرة الحضارة الحديثة.
 - الطرق التي شقت في الجبال الصلدة بحيث قربت المسافات إلى حد كبير وربطت بين أحياء العاصمة في سهولة ويسر.
 - ظهور مدن جديدة أو ما يسمى بالضواحي لمسقط، ومن هذه المدن أو الضواحي مدينة السلطان قابوس الفاخرة، ومدينة الإعلام التي تحوي محطة الإذاعة والتليفزيون ونادي الصحافة ومسكن العاملين بوزارة الإعلام، والمدينة الدبلوماسية لرجال السلك السياسي ولسفاراتهم.
 - المنطقة الصناعية بكل ما تحتويه من أجهزة ومعدات.
 - مجموعة من الفنادق الضخمة العالمية، أشهرها فندق قصر البستان الذي يعد مفخرة للعمارة الإسلامية الحديثة في عمان.
 - المستشفيات التي أعدت أنواع أعداد لاستقبال المرضى وعلاجهم، من أشهرها المستشفى السلطاني ومستشفى جامعة السلطان قابوس، وقد بنيا على أحدث نظام وجهاً بأحدث الأجهزة في العالم.
 - مطار دولي يستقبل أضخم الطائرات.
 - ميناء السلطان قابوس الذي يستقبل السفن بمختلف أحجامها وحمولاتها.
 - جامعة السلطان قابوس وهي مفخرة عظيمة للعلم والمعرفة، وقد بنيت هذه الجامعة أيضاً على أحدث ما عرفه العصر وجهزت بأحدث الأجهزة التي تعين الباحث والقارئ وطالب العلم.
 - المجسمات التي تزدان بها الميادين الرائعة المختلفة في العاصمة، والتي تعبر عن التراث العماني وأصالته، وعن الحفاظ على هذا التراث.
- وهذا قليل من كثير مما تزخر به مسقط من مظاهر حضارية الكثير منها مستمد من التراث الحضاري الإسلامي بصفة عامة وتراث عمان الحضاري بصفة خاصة.

الفصل الخامس

الملاحة والملاحون العمانيون

جهود العمانيين البحرية قبل الاسلام :

كان للعمانيين نشاط بحري كبير قبل ظهور الاسلام بزمان طويل، وكان للموقع الجغرافي الهام الذي تشغله عمان في أقصى الطرف الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة العرب أعظم الأثر فيما أحرزه الملاحون العمانيون منذ أقدم العصور التاريخية من شهرة بحرية، ذلك أن هذا الموقع مابين مخرج الخليج العربي ومدخل بحر الهند الأعظم، على الطريق التجاري البحري الرئيسي المؤدي غربا الى السواحل الشرقية لأفريقيا، وشرقا الى الهند وماليزيا والصين، ولصعوبة الاتصال البري بينها وبين المناطق المجاورة لها كالبحرين وحضرموت، دفع أهلها الى التطلع نحو البحر.

وزعم صعوبة رسم صورة واضحة للبحرية العمانية ونشاطها عبر الفترات التاريخية المتعاقبة والمختلفة، وذلك لندرة المصادر التي تعيننا على ذلك وخاصة ما

خارطة شبه الجزيرة
العربية كما رسمها
بطليموس ١٥٠ م



يتعلق منها بالعصور القديمة، إلا أن نثار المعلومات الواردة هنا وهناك تمكننا من رسم صورة مقبولة للبحرية العمانية. ناهيك عن أن المفهوم الجغرافي السياسي لعمان قد تبدل بفعل الظروف السياسية الداخلية والخارجية التي أحاطت به.

وأيما كان الأمر فقد سعى العمانيون للحصول على الرزق من أرضهم ومن البحار المحيطة بهم ومن اليابسة التي تقع على شواطئ المحيط الهندي والبحر الأحمر، فقاموا بارتداد البحار سعياً وراء التبادل التجاري مع الشعوب المجاورة. وشكل البحارة العمانيون طليعة رواد المحيطات في العالم على مر العصور، يأخذون من الشعوب التي اتصلوا بها ويعطونها، ومن المؤكد أن العمانيين هم من أوائل الشعوب القديمة التي استخدمت الصاري والشرع.

وتعتبر المعلومات الواردة في اللوحات السومرية والأكادية المعروفة في بلاد ما بين النهرين والتي تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد من الأدلة المؤشقة على وجود تجارة لهم بعيدة المدى مع بلاد ما بين النهرين، وربما سبقوا شعوب بلاد ما بين النهرين ومصر في ارتداد البحار، وتوغلوا فيها إلى مسافات شاسعة، ووصلوا إلى مناطق كانت مجهولة ومحفوفة بالمخاطر سعياً وراء الكسب والرزق.

ولا غرابة إذا ما سمي أبناء عمان برواد الملاحة البحرية، وكان يطلق السومريون على بلاد عمان قبل أربعة آلاف سنة اسم مجان^(١) كما ورد ذكر لبناني السفن فيها في عهد شلجي (SHULGI) حوالي ٢٠٥٠ ق.م. وربما كانت مجان تستورد الخشب من الهند لتقوم بتصديره من جديد.

ولعب موقع عمان الجغرافي^(٢) الهام دوراً بارزاً في نشاطها البحري، وفي اهتمام بلاد ما بين النهرين بها. وكانت عمان في هذه الفترة ما بين (٢٨٠٠ - ١٨٠٠ ق.م) في حال ازدهار حضاري^(٣) ولقد أسهم أيضاً نشاطها البحري في ذلك إضافة إلى عوامل أخرى، واستمر ازدهارها في عصر المينيين والسبثيين في الألف الأول قبل الميلاد، بفعل نشاطها البحري.

وما أن أزف القرن الثالث قبل الميلاد حتى كانت عمان تملك ثاني أسطول بعد قرطبة وطبرية، وربما كان أسطولها أقوى أسطول بحري في العالم أو أكثر عدداً^(٤)، وكان بلا ريب الوسيلة الوحيدة لنقل حضارة ميناء وبابل وسوسة إلى الهند، فعن تلك الحضارات أخذ الهندو علوم الفلك والفلسفة والرياضيات والتنجيم وكل معالم الحضارة والتقدم الفكري، وكان ذلك قبل العصور الهلنستية بعدة قرون^(٥). وكان لموقع عمان الجغرافي أثر بالغ الأهمية، فعمان واسطة العقد بين المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر وشرق أفريقيا وداخل بلاد العرب، وحيث أن جبال عمان كانت تشكل صعوبة في الاتصال بين داخل عمان وسهولها الساحلية، تلك السهول التي لم تسد احتياجات السكان من الرزق، الأمر الذي دفع بهم نحو البحر بحثاً فيه، سواء في جوفه أو على متنه أو ما وراءه، كما فعل الفينيقيون على شواطئ البحر الأبيض المتوسط، في العصور القديمة.

ولهذا نرى أن معظم التجمعات البشرية التي نشأت على سواحل عمان كانت معتمدة في رزقها على البحر بالدرجة الأولى، وكان لا بد من وجود بحرية كبيرة للعمانيين تقي بأغراضهم، ولهذا شكلت البحرية العمانية ومنذ البداية العمود الفقري للحياة الاقتصادية في عمان. وأكلت إليه مهام عديدة، كصيد الأسماك والألياء والنقل والتجارة وحماية الوطن وأبنائه (على اليابسة وعلى ظهر سفنهم). ولعلنا لانجانب

الحقيقة كثيرا، خاصة عندما نطلق أحكاما عامة في هذا المجال، اذ ما قلنا ان قوة عمان من قوة بحريتها والعكس بالعكس.

ولعل لأجل المعلومات عن البحرية العمانية في العصور القديمة، تأتينا مع الفتوحات الكبرى لالاسكندر المقدوني (٣٥٦ - ٣٢٢ ق.م)، التي أدت الى تغييرات عميقة في الطابع السياسي والحضاري لغرب آسيا رغم قصرها، وبالرغم من اعتماد الاسكندر على البحارة الفينيقيين في البحر الأحمر والخليج العربي، الا ان العمانيين لعبوا دورا أساسيا وإيجابيا في النشاط البحري في المحيط الهندي وبحر الصين في هذه الفترة. فقد ورد في كتابات أجاتاسيدس الذي عاش في مصر ١٢٠ ق.م: «ان العمانيين قد وصلوا الى شواطئ الهند، وبالرغم من ندرة المعلومات التي وردت في كتاب بطليموس عن عمان قديما الا انه يذكر ان مجد عمان وشهرتها التي كانت مصدر فخرها، انما جاءت عن طريق ما كانت تقوم به من نشاط بحري وملاحي، وليس عن طريق النشاط البري، وان الكوشيين في عمان، كانوا يعتمدون الى حد كبير على النشاط الخارجي، وانهم بحكم كونهم رواد الملاحة في المحيط الهندي، فانهم استطاعوا ان ينقلوا مختلف أدوات ومنتجات الشرق الهامة الى العالم العربي عبر المحيط وبذلك النشاط أسهموا في تطوير الحضارة»^(٦).

أما عن اتصال البحرية العمانية بالصين قديما، فتوجد بعض الاشارات في الكتابات الصينية حول هذا النشاط وذلك ما بين عام ٢٠٦ ق.م و٩٧ ق.م، اذ وصل العمانيون الى شواطئ الصين الجنوبية، كما يذكر مؤلف برييلوس (PRIPLUS) ان ثمة ميناء بعيدا تسمى عمانه، وربما هو ميناء في عمان مثل: (صحار أو مسقط أو غيرها)، وكذلك هناك اشارات الى مدينة تسمى اكليك بالقرب من رأس مسندم، وربما هو ميناء قلعات قرب رأس الحد^(٧)، ويمكن تفسير ذلك بأن العمانيين قد تمتعوا بعزيمة قوية مكنتهم من ركوب هذه المخاطر وتحدي الصعاب التي كانت تكتنف رحلاتهم الطويلة، ناهيك عن معرفتهم الواسعة بعلم الملاحة والفلك، فنقلوا بلا شك، حضارة بلادهم الى تلك البلدان في فترة مبكرة من التاريخ، ناهيك عن اعتمادهم على سفن كبيرة ذات حمولات كبيرة، مما يدل على مقدرتهم في صناعة السفن كما سيتجلى لنا فيما بعد.

ومن جهة اخرى فإن الفرس سعوا لمناقسة العمانيين في الفترة السابقة للاجتياح المقدوني، وبشكل خاص في عهد دارا الكبير ملك الفرس الاخميني (٥٢١ - ٤٨٥ ق.م). ولم يكتف الفرس بذلك، بل حاولوا فصل العمانيين عن البحر، الا ان العمانيين بما اتصفوا به من عزيمة وتصميم، مالبثوا ان استعادوا دورهم البحري الدولي في عام ١٠٠ ق.م، فكانت سفنهم تجر من الخليج الى الهند، كما لم يؤثر على نشاطهم البحري اكتشاف ملك مصر الهليني بطليموس السابع للطريق البحري المباشر بين مصر والهند اعتمادا على الرياح الموسمية.

وعندما برز الرومان كقوة دولية ما بين عام ٥٠ وحتى ٢٠٠ م، شاهد العالم توسعا في النشاط البحري الدولي على أيديهم، خاصة ما بين الشرق والغرب، ولم يؤثر ذلك كثيرا على نشاط البحرية العمانية بل على العكس من ذلك، فقد زاد العمانيون من نشاطهم البحري، وقاموا بتغيير طرقهم البحرية المعهودة من قبل، ليسايروا شواطئ فارس والسند وصولا الى الهند متحاشين بذلك الاصطدام مع السفن المعادية لهم.

وفي عام ٢٢٥م سقطت دولة الفرتيين في فارس، وحلت محلها دولة جديدة هي الدولة الساسانية التي سلكت سياسة مغايرة للفرتيين وذلك بتشجيعها النقل البحري في الخليج، مما أدخلها في منافسة مع البحرية العمانية ذلك ان الساسانيين اسسوا اسطولا قويا في الخليج واحتلوا به اجزاء من مشرق وجنوب الجزيرة العربية ومنها عمان، الا ان بحارة عمان من قبيلة الازد تصدوا لهم بعد ان استعادوا قوتهم ونشاطهم البحري التجاري، ثم قاموا بغزو فارس واحتلوا السواحل والمناطق الجنوبية منها، بعد معارك متعددة وطاحنة.

ولقد امتدت الفترة التي غلب فيها العرب على هذه السواحل، فاستغرقت شطرا من القرن الثاني الميلادي، والقرن الثالث كله، وجزءا من القرن الرابع، وكانت تجارة الخليج والبحر المحيط طوال هذه الفترة في حوزة العرب^(٨).

أما الساحل الغربي للخليج فقد أنشأ فيه الفرس بعض المراكز العسكرية الفارسية^(٩). وعلى الرغم من قيام هذه المراكز العسكرية الفارسية على الساحل الا ان ذلك لم يؤثر على غلبة العناصر العربية التي سرعان ما اصطدمت بالعناصر الفارسية، ففي منتصف القرن السادس الميلادي، شهدت عمان قدوم موجة عربية جديدة من ازد اليمن، الامر الذي أدى الى انحسار الوجود الفارسي في السواحل وشلطوط البحر، بينما تمكن العرب الازد من السيطرة على البادية والجبـال وأطراف عمان، وأصبحت كل الأمور مناهلة بهم^(١٠)، بينما أتاح بقاء الفرس في السواحل القيام ببعض النشاط التجاري البحري في الخليج، طوال القرن السادس الهجري. الا ان الصراعات الدولية في ذلك القرن على الطرق والمنافذ البحرية التجارية خلق صعوبات جديدة أمام العمانيين، فقد ازدادت المنافسة بين مملكة اكسوم والفرس في الربع الاول من القرن السادس الميلادي وبالتالي ازداد نفوذ بيزنطة لتعاونها مع اكسوم ضد الفرس، ووجد العمانيون أنفسهم امام قوى كبرى تتصارع على منطقة جنوب الجزيرة العربية وشرقها، الا انهم قاموا بنشاطهم البحري المتداخل بين هذه الدول.

وفي بقية القرن السادس للميلاد قامت قوى بحرية مؤلفة من الفرس والاحباش واليونان والصومال بمنافسة العمانيين في النشاط البحري. وبدأت سفن هذه القوى تظهر في أعالي البحار، مما دفع بالعمانيين اعتمادا على اسطولهم البحري للتصدي لهذه القوى وخاصة قوى الاحباش الذين كانوا يحتلون اليمن^(١١). كما تصدوا أيضا للنشاط الفارسي، ولذلك لم يتمكن الفرس من التفوق على العرب في مجال تجارة الخليج، فقبل ظهور الاسلام نشطت الحركة التجارية التي كان روادها عرب عمان من الازد مع سواحل افريقيا الشرقية، وازدهرت دبا على ساحل عمان بحيث أصبحت احدى أسواق العرب الشهيرة^(١٢)، كما اشتهرت مواقع عديدة على امتداد سيف البحرين وعمان عرفت باسم الخط^(١٣)، وكانت تستورد الرماح والقنا من الهند، وتقوم بتصنيعها وبيعها للعرب، ونسبت هذه الرماح الى تلك المنطقة، فعرفت بالرماح الخطية^(١٤). وهذا يعني ان الغلبة السكانية في عمان قبل الاسلام كانت للآزد، وكان الوجود الفارسي بها يكاد يكون معدوما بحيث ان البلاذري في روايته عن دخول عمان في الاسلام في السنة الثامنة للهجرة لم يشر الى وجود عناصر فارسية بها^(١٥)، غير ان الطبري يشير في رواية أوردها الى ان النبي ﷺ بعد دخول عمان في الاسلام أخذ الجزية من المجوس بها^(١٦).

ومع ذلك فان هؤلاء المجوس الذين يعينهم الطبري وهم الفرس كانوا يمثلون اقلية

ضئيلة تعيش في عمان شأنها شأن أهل الذمة بكل الأقطار الإسلامية، ولم يكن لها أي نفوذ سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي بحيث أن عمان وقت ظهور الإسلام كانت بلدا عربيا مستقلا، يحكمه اثنتان من آل الجلندی العرب هما جيفر وعبد^(١٧)، وذلك نستطيع أن نؤكد أن الفضل في تفوق عمان البحري وسيادتها على مياه الخليج العربي إنما يرجع الى ابنائها العرب الأحرار الذين كانوا سادة الخليج العربي والمحيط الهندي.

جهود العمانيين البحرية في العصور الإسلامية :

كان للبحرية العربية والعمانية دور كبير في فتح بلاد فارس في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، مما يثبت تفوق العمانيين في مجال البحر، وإن السيادة في مياه الخليج العربي كانت للعرب العمانيين على وجه الخصوص، فقد أقدم العلاء بن الحضرمي والي عمان والبحرين على عبور الخليج الى أرض فارس في بداية عصر الفتوحات، غير أن ذلك أغضب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عليه، ودفعه غضبه على اقدامه على فتح جزيرة اللار المقابلة لسيف عمارة، والهجوم على جزيرة خرج فيما يقرب من عام ١٦هـ / ٦٣٧م الى تلويمة^(١٨)، لأنه خرج بدون اذنه^(١٩) ولأنه عرض أرواح المسلمين لمغامرة بحرية قد تنتهي بكارثة في هذه الآونة المبكرة.

وانتهى الأمر بعزل العلاء عن البحرين وتوليه عثمان بن أبي العاص الثقفي سنة ١٧هـ / ٦٣٨م بدلا منه على عمان والبحرين، ومنذ ذلك التاريخ تبدأ المرحلة الحقيقية لفتوحات اقليم فارس من عمان، فقد طلب الخليفة عمر من عثمان بن أبي العاص أن يقطع البحر لمحاربة كسرى فارس، فخرج ومعه ثلاثة آلاف محارب أو ألفان وستمئة من الأزد وناجية وعبدالقيس^(٢٠)، وعبر بهم من جلفار بعمان الى جزيرة ابن كاوان، وهي جزيرة عربية نسبة الى كاوان وهو لقب تلقب به الحارث بن امرئ القيس ابن حجر بن عامر من بني عبدالقيس^(٢١)، وربما كان اختيار عثمان لهذه الجزيرة يرجع الى كثرة العرب بها وبالأسياف القريبة منها، هذا بالإضافة الى أهمية موقعها الاستراتيجي، إذ كانت تتحكم في الطرق البحرية المؤدية الى رأس الخليج من جهة والمحيط الهندي وسفالة الزنج من جهة أخرى، كما انها كانت تعتبر محطة لتجمع القوات العسكرية، فضلا عن بعدها عن مراكز الاحتشادات العسكرية الفارسية الواقعة شمالي وشمالي شرقي الخليج العربي.

ورفق عثمان الثقفي بمساعدة قواته البرية والبحرية من أهل عمان والبحرين من فتح جزيرة ابن كاوان بعد فترة، فيما يقرب من سنة ١٩هـ / ٦٤٠م وبنى بها مسجدا، ومن ثم نزلها العرب^(٢٢)، وكان عثمان الثقفي أثناء ذلك قد اشتبك مع جيوش الفرس بقيادة شهرک في جزيري القسم، وتمكن بفضل العمانيين من التغلب على الفرس والاستيلاء على هذه الجزيرة وقتل القائد الفارسي شهرک^(٢٣).

ويبدو أن الخليفة عمر بن الخطاب، أدرك ببعد نظره ضرورة التنسيق العسكري بين قاعدة البصرة في العراق، وقواعد عثمان بن أبي العاص الثقفي في عمان والبحرين وتم ذلك على نحو تجاوز كل تقدير. فقد انتقل عدد كبير من أبناء عمان بسفنهم الى البصرة بهدف المشاركة في فتح فارس من جهة البصرة وبدأت بشائر النصر عندما سقطت اصطخر في سنة ٢٩هـ / ٦٤٩م في أيدي بني بكر بن وائل وعبدالقيس وبني سامة^(٢٤) الذين ينتمون في الأصل الى عمان والبحرين.

كذلك كان لعثمان الثقفي وقواته العمانية الفضل في اضعاف مركز المقاومة الفارسية في كيرمان التي تم فتحها في خلافة عثمان بن عفان^(٢٥).

لم تكن فارس هي الهدف الوحيد للبحرية العمانية في عصر الفتوحات، فقد كان لهم دور متميز أيضا في فتح بلاد السند، فقد أغار عثمان بن أبي العاص الثقفي بسفنه العمانية على سواحل الهند عند تانته بالقرب من بومباي، كما وجه أخاه المغيرة الى خور الديبل عند مصب نهر السند في سنة ١٥ هـ / ٦٣٦ م^(٢٦). كذلك كان لعمان دور مرموق في مواجهة اعتداءات القراصنة الهنود في العصر الأموي، فقد أمر الحجاج بن يوسف الثقفي قائد عمان أن يرد على غارات القراصنة الهنود^(٢٧).

وإذا كان العمانيون ومعظمهم من الأزدي قد شاركوا في هذه الأنشطة البحرية ذات الطابع الحربي، فانهم شاركوا أيضا في الفتوحات الاسلامية في الجناح الغربي من العالم الاسلامي، اذ تنروي لنا كتب التاريخ أن الأزدي شاركوا في فتوح المغرب والاندلس وأبلوا فيها بلاء حسنا، وقد أقام معاوية بن أبي سفيان عند شروعه في انشاء اسطول اسلامي، من خبراتهم القديمة في قيادة السفن: فمن المعروف أن اهل عمان اشتهروا قبل الاسلام بمهارتهم في الملاحة في المحيط الهندي والبحر الحبيشي، وبقدرة ائمتهم العالية في ركوب السفن الى الهند^(٢٨). وكانت لنواخذتهم براعة لاحدود لها في قيادة السفن المعروفة بالترماهيية الى الهند، وفي خوض مياه بحر الزنج وقطع الخليج البربري الى جزيرة قنبلو من بحر الزنج^(٢٩)، وهذا يفسر السبب في اعتماد معاوية بن أبي سفيان على الأزدي في قيادة اسطول المسلمين في عهده، فظهرت شخصية جناح بن أبي أمية الأزدي الذي غزا قبرص ورودس وأرواد وأقريطش^(٣٠)، وسفيان بن مجيب الأزدي الذي حاصر طرابلس الشام من البحر وتمكن من افتتاحها في سنة ست وعشرين للهجرة^(٣١).

كذلك يرجع الى الأزدي الفضل الأعظم في انشاء أول قوة بحرية اسلامية في الاندلس تشتغل لحسابها الخاص بالجهاد البحري أو بالتجارة ما بين بلاد المغرب والاندلس، في وقت لم تكن الدولة الأموية في الاندلس قد اصطنعت بعد سياسة بحرية على نحو رسمي، فقد كان معظم طوائف البحريين الذين ينتجعون رباطات السواحل الشرقية للاندلس ما بين طرطوشة في الشمال والمرية في الجنوب ويغزون في البحر التيراني، ينتصبون الى الأزدي ومنهم بنو الأسود: عمر بن أسود^(٣٢) الذي مصر اقليم بجانة، وقائد البحر سعيد بن أسود^(٣٣) والأدهم بن مخلد القساني^(٣٤).

وإذا كان للبحرية العمانية وللعمانيين من الأزدي وغيرهم من أهلها، دورهم الرائد في مجال الفتوحات الاسلامية على هذا النحو، فقد كان لها ولهم أيضا دورهم الكبير في مجال الملاحة والتجارة. وللحديث عن هذا الدور لا بد أن نتحدث أولا عن المسالك البحرية والطرق التجارية البحرية التي سلكتها السفن العمانية، ثم عن أهم السلع التي كان يتجر فيها العمانيون، الى غير ذلك من الأمور التي تتصل بهذا الموضوع، ونبدأ بالنقطة الأولى وهي المسالك البحرية التي سلكتها السفن العمانية.

المسالك البحرية للبحرية التجارية العمانية:

وأول هذه المسالك هو الخليج العربي، ويعد هذا الخليج شعبة من بحر الهند العظيم أو المحيط الهندي كما نطلق عليه اليوم، وقد اشتهل قديما على ثلاثة بحار، بحر فارس، بحر البحرين، وبحر عمان. ويتصل الخليج العربي شرقا ببحر لاروي، أكبر

ويتبين لنا من خلال وصف الاصطخري لبحر فارس أنه كان مليئاً بالهوارات والمعاطف الصعبة التي طالما تعرضت بسببها كثير من السفن التجارية للفرق، هذا بالإضافة إلى كثرة أمواج هذا البحر وعنفها. وقد عرف العمانيون أسرار بحر فارس، فقد كان يهدأ في فترات معينة من السنة، وكان لهدوئه ارتباطا بتغيرات تطلراً على المحيط الهندي، وكان أيضاً يخضع في هدوئه وعنفه لقواعد فلكية استوعبها الملاحون العمانيون الذين كانوا على دراية تامة بأحوال البحار والمد والجزر منذ أقدم العصور، وقد أسرف الجغرافيون العرب في الإشارة إلى ذلك ومنهم ابن الفقيه الهمداني، وابن رسته، والمسعودي، ويعبر المسعودي عن ذلك بقوله: «بحر فارس تكثر أمواجه ويلين بحر فارس وتقل أمواجه ويسهل ركوبه عند ارتجاج بحر الهند واضطراب أمواجه وظلمته وصعوبة مركبه، فأول ما يتبدىء صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة وقرب الاستواء الخريفي، ولا يزال في كل يوم تكثر أمواجه إلى أن تصبح الشمس إلى برج الحوت فأشد ما يكون ذلك في آخر الخريف عند كون الشمس في القوس، ثم يلين إلى أن تعود الشمس إلى السنبلة»^(٤٠).

ومن المظاهر الأخرى لخطورة بحر فارس، كثرة المضائق الجبلية به خاصة بالقرب من عمان، وعلى الرغم من خطورة هذه المنطقة الجبلية، فإن العمانيين بحكم مهارتهم الملاحية تمرسوا على اجتياز المضيق الجبلي الخطير الذي يقع بالقرب من عمان وكان يعرف بالردور، بينما عجز الملاحون الصينيون في عبوره بسفنهم. ويصف ابن الفقيه هذا المضيق الجبلي عند عمان بقوله: «وفي غربي هذه البحار، جبال عمان وفيها الموضع الذي يسمى ردور، وهو مضيق بين جبلين تسلكه السفن الصغار ولا تسلك فيه السفن الصينية، وفيه جبل كسير وعوير، فإذا جاوزت الجبال صرت إلى موضع يقال له صحار عمان...»^(٤١). كما يذكر المقدسي أن الخليج العربي قليل العرض فيما بين عمان وعبادان، وكان ذلك المضيق إحدى المشاكل التي تمرس على مواجهتها العمانيون^(٤٢).

ويلى ذلك من بحار المحيط الهندي العظيم الذي كان يعبره العمانيون بسفنهم في رحلاتهم التجارية إلى الشرق الأقصى، بحر لاروي، وهو أكبر بحار هذا المحيط^(٤٣)، ولم يتمكن البحريون من حصر امتداده طولاً وعرضاً أو معرفة مدى عمقه، وعرف بحر لاروي بقلته عنبره، فقد ورد في كتابي سلسلة التواريخ، ومروج الذهب أن العنبر ببحر لاروي قليل، ذلك أن العنبر يقع أكثره في سواحل بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب^(٤٤).

وبين هذا البحر الثاني لاروي، والبحر الثالث بحر هرکند، مجموعة من الجزر تبلغ نحو ألف وسبعمئة جزيرة، كانت مأهولة بالسكان، وقيل ألفاً جزيرة^(٤٥)، وقيل ألف وتسعمائة. وكانت تتولى هذه الجزر كلها امرأة، لها جيوش كثيفة لاتعد ولا تحصى. وكانت هذه الجزر تعرف بالديباحات^(٤٦) وأخرها جزيرة سرنديب (سيلان)^(٤٧) التي تقع عند حد بحر هرکند، وفي هذه الجزيرة جبل قيل أنه الجبل الذي هبط عليه آدم عليه السلام، وذكروا أن عليه أذن قدمه.

ويلى جزيرة سرنديب جزائر أخرى عرفها العمانيون في بحر هرکند تبعد نحواً من ألف فرسخ أهمها جزيرة تعرف بالرامين^(٤٨) أو الرامني^(٤٩)، وهي جزيرة معمورة يكثر بها الذهب، ويكثر بأرضها الكافور، والنارجيل (جوز الهند)، وبها من الحيوانات الفيل والكركدن والجواميس، وتبلغ مساحة جزيرة الرامني ثمانمئة فرسخ^(٥٠).

وبلي الرامني في بحر هركنند، بلاد قنصور ويزرع بها الكافور الشهير بالكافور القنصوري^(٥١)، ويلبها جزر أنجبالوس^(٥٢). أو أنجبالوس^(٥٣) وكان أهلها من الشعوب البدائية في نظر المسعودي ويصفهم بقوله: «هي أمم عجيبة الصور عراة يخرجون في القوارب عند اجتياز المراكب بهم...»^(٥٤).

وليس من شك في أن العمانيين وصلوا بسفنهم التجارية الى الجزائر التي تلي لنجبالوس وتعرف بجزائر اندامان، وكان سكانها سود الوجوه عجيبى الشكل مغلفي الشعر تتميز أقدامهم بالطول، لآخرة لهم في ركوب البحر^(٥٥) وتعتبر جزر اندامان آخر حدود بحر هركنند، وتبدأ بعدها حدود البحر الرابع، وهو بحر كلاهبار.

وكان العمانيون بحكم ترددهم على بحر هركنند يدركون ثروات جزره وما اختصت به من معادن وزروع ولآلء وعنبر، فكانوا يسعون اليها ليحصلوا عليها ويتاجروا فيها، وفي ذلك يقول ابن الفقيه: «وفي هذا البحر جزيرة سرنديب، وفي هذه الجزيرة الجبل الذي هبط عليه آدم وعليه أثر قدم آدم، وهو عظيم طويل وعليه أنواع الأفاوية والطيب وفار المسك، وفي بحره مفاص اللؤلؤ...»^(٥٦).

ورود في كتاب سلسلة التواريخ: «وأخبرني غير واحد من نواخذة السرافيين والعمانيين بعمان وسيراف وغيرها من التجار ممن كان يختلف الى هذه الجزائر، أن العنبر ينبت في قعر هذا البحر (هركنند) ويتكون فيه أنواع الفطر من الأبيض والأسود والكماة والمغاريد، ونحوها، فإذا خبث البحر واشتد قذف من قعره الصخور والأحجار وقطع العنبر...»^(٥٧).

وفي موضع آخر من نفس الكتاب أن «سرنديب مفاص اللؤلؤ، وفي أرضها جبل يدعى الرهون... وحول هذا الجبل معدن الجواهر، والياقوت الأحمر والأصفر...»^(٥٨). وعلى هذا النحو يتبين لنا أن هذه الجزر اشتهرت بالعنبر واللؤلؤ والياقوت بأنواعه وبالذهب ومعادن الفضة، وكذلك بشجر النارجيل.

يلي هذه البحار، بحر كلاهبار، أو بحر كله^(٥٩)، وكله جزيرة في ذلك البحر المحيط تقع في منتصف الطريق بين عمان والصين في طرف خط الاستواء، ويصفها ياقوت بأنها فريضة الهند^(٦٠).

ويتسم بحر كله هذا بقلة مياهه فهو كثير الجزائر والصرادي، (واحداه صرد)، وذلك أن أهل المراكب يسمون ما بين الخليجين إذا كان طريقهم فيه الصرد... وبهذا البحر أنواع من الجزائر والجبال عجيبة...»^(٦١).

ويذكر ابن الفقيه أن بين بحر هركنند وبحر كلاهبار مجموعة من الجزر يسكنها قوم يعرفون باسم «لننج» وكانوا على حد وصفه «لا يعرفون لغة ولا يلبسون الثياب، لم ير منهم امرأة، يبيعون العنبر بقطع الحديد، ويخرجون الى التجار من الجزيرة في زوارق ومعهم النارجيل، وشراب النارجيل يكون أبيض، فإذا شرب منه فهو حلو كالعسل، فإذا ترك يوما صار مسكراً فان بقي أياماً حمض...»^(٦٢).

وكانت جزيرة كله وبحرها يدخلان في نطاق مملكة (الزايج) التي تقع على يمين بلاد الهند^(٦٣) وكان يطلق على ملك الزايج اسم (المهراج) أو ملك الملوك^(٦٤).

أما بحر شلاط أو سلاط فهو بحر عظيم فيه جزيرة دورها (محيطها) ثمانمائة فرسخ^(٦٥)، وربما كان يطلق عليها اسم شلاط فقط، وذكر ابن رسته أن بجزيرة شلاط العنبر الكثير، الذي ليس في البحر أجود منه^(٦٦).

ويبدو أن خطأ ملاحيا مباشرا كان يربط ما بين بحر شلاط وعمان، فقد ذكر ابن

الفقيه ان بحر فارس قد يركب في كل اوقات السنة بخلاف بحر الهند الذي كان لا يركبه الناس عند هياجه لمصوبيته: «فمن اراد الصين أو عدن أو شلاط أخذ من ناحية المغرب على اليمامة وعمان، ومن اراد السند أخذ من ناحية فارس على سراف...» (٦٧).

ويلي بحر شلاط بحر الكردنج الذي كان كثير الجبال والجزائر، وهو لذلك قليل الماء رغم كثرة الأمطار في هذه المنطقة الموسمية، وكان يعيش في هذه الجزر على حد قول المسعودي أقوام يقال لها (الفنجب) يتميزون بشعورهم المفلطلة وصورهم العجيبة، وكانوا «يتعرضون بقوارب لهم لطاف، للمراكب اذا اجتازت بهم، ويرمون بنوع من السهام عجيبة قد سقيت بالسهم...» (٦٨).

ويلي بحر اكرندنج بحر يعرف ببحر الصنف به مجموعة من الجزر أطلق على ملكها اسم المهراج، وفي اطراف تلك الجزر جبال شاهقة، يغلب على الظن أنها كانت بركانية، فقد وصفها المسعودي بقوله: «تظهر من جبالهم النار بالليل والنهار، فنهارها حمراء، وبالليل تسود، وتلحق بعنان السماء لعلوها وذهابها في الجو تقذف بأشد ما يكون من صوت الرعد والصواعق...» (٦٩).

ويعتبر المسعودي جزيرتي الرامني والزايغ من جزر هذا البحر (بحر الصنف) بينما يخالفه ابن الفقيه الذي يذكر جزيرة الرامني على أنها بعد سرنديب بين بحري هركدن وشلاط (٧٠) أما مملكة الزايغ فقد اعتبرها ابن الفقيه من جزر وممالك بحر كله أو كلاهما (٧١).

ومن جزر الصنف كذلك جزيرة سريرة، وكل هذه الجزر كانت تتبع مملكة المهراج في بحر الصنف.

وينتهي بحر الصنف ببحر الصين أو بحر صنجي، وتصف المصادر العربية هذا البحر بأنه شديد الموج وفيه جبال كثيرة، وتؤكد هذه المصادر ان التجار العمانيين كانوا يصلون بسفنهم الى هذا البحر، ومن ذلك قول المسعودي ان: «أهل المراكب والتجار من أهل البصرة وسراف وعمان وغيرهم ممن قطع هذا البحر وما ذكرناه عنهم فممكن غير ممتنع» (٧٢).

هذا فيما يتعلق بأمر البحار الشرقية التي خاض العمانيون بسفنهم مياهها، والتي تؤكد خطورتها وكثرة أمواجها ومضايقتها الجبلية على أمر واحد، هو مهارة العمانيين البحرية وسيادتهم في عالم التجارة البحرية في العصر الاسلامي.

أما من الجهة الغربية، فقد كان الخليج العربي يتصل بالبحر البربري أو بحر الزنج الذي ينتهي جنوباً بجزيرة قبلو، وبلاد سفالة، والواق واق من اقاصي أرض الزنج.

وقد وصل العمانيون بسفنهم التجارية الى الساحل الشرقي لافريقيا، واعتادوا الابحار في البحر البربري، وفي ذلك يقول المسعودي: «وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج الى جزيرة قبلو من بحر الزنج، وفي هذه المدينة مسلمون بين الكفار من الزنج، والعمانيون الذين ذكرنا من ارباب المراكب، يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبربري وهم يعرفونه ببحر بربري وبلاد جفوني» (٧٣).

وفي موضع آخر من «مروج الذهب» يقول المسعودي: «وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر (بحر الزنج) من أهل عمان عرب من الأزد، فاذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين ماذكرناه من الأمواج ترفعهم وتخفضهم فيرتجزون ويقولون:

بربري وجفوني وموجك المجنون
جفوني وبربري وموجها كما ترى (٧٤).

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية



دور عُمان كوسيط
تجاري بين الشرق
والغرب في العصور
الإسلامية

ومن الجدير بالذكر أن المسعودي ركب هذا البحر في إحدى رحلاته من صحار (سنجار) قسبة عمان مع جماعة من البحريين، كما ركب إحدى السفن في عام ٣٠٤ هـ من جزيرة قنبلو في طريق عودتها إلى عمان، وكان حاكم عمان آنذاك أحمد بن هلال (٧٥). ويؤكد المسعودي في أكثر من موضع من كتابه «مروج الذهب» على مهارة نواخذة عمان وعلى سيادتهم في بحر الصين والهند والسند والزنج والقلزم والحبشة (٧٦).

ويرجع بعض الباحثين أن قنبلو التي وصل إليها العمانيون هي مدغشقر الحالية، وإن كان فريق منهم يرجع أن تكون إحدى جزر القمر (٧٧). وكان يربط بين قنبلو وصحار مباشرة طريق

ملاحي هو نفس الطريق الذي سلكه المسعودي في رحلته التي تحدثنا عنها، وكانت الرياح تدفع السفن أحيانا بعيدا عن قنبلو فتتجه رأسا إلى الساحل الأفريقي (٧٨).

الطرق التجارية البحرية التي سلكها العمانيون في العصر الإسلامي:

كانت هناك طرق عديدة سلكها البحارة والتجار العمانيون أهمها طريقان:

الطريق البحري إلى بلاد الشرق الأقصى:

ذلك أن الحرير كان السلعة الصينية الرئيسية في تجارة الصين مع العالم الغربي، كما كانت التوابل والأفاوية والعنبر، هي السلع الرئيسية في تجارة الهند وجزر جنوب شرق آسيا. وكان هناك طريقان لنقل الحرير من الصين إلى المشرق الإسلامي ومن هناك إلى الغرب الأوروبي. أما الطريق الأول فبري (٧٩)، وأما الطريق الثاني فأعني به الطريق البحري، وهو ما يتعلق بدراستنا هذه.

وهذا الطريق البحري هو الذي كان يسلكه التجار العمانيون ذهابا وإيابا وأصبحوا ينقلهم للحرير ووسائل سلع الشرق الأقصى، همزة الوصل بين عالمين مختلفين: عالم الشرق وعالم الغرب.

ومن المسلم به أن العمانيين تمرسوا في سلوك هذا الطريق البحري، وأصبحوا سادته والعارفين بكل أسرارته، وتوصلوا إلى التعرف على مواطن الضعف فيه، ومواسم مده وجزره، وأوقات هبوب الرياح والعواصف وأفادوا من ذلك كل الفائدة، وخصصوا في جزره محطات ومراسي للتموين والاستراحة.

وتسوق المصادر العربية تفاصيل إضافية في وصف محطات هذا الطريق البحري الذي كان يسلكه العمانيون في المحيط الهندي، وأكثر من زودنا بتفاصيل وصفية عن هذا الطريق ابن خردادبة في كتابه «المسالك والممالك» (٨٠)، وابن الفقيه في كتابه «مختصر كتاب البلدان» (٨١)، وكذلك صاحب كتاب «سلسلة القوارخ» (٨٢).

وبفضل هذه النصوص أمكننا أن نقدم عرضاً مختصراً للرحلة البحرية التي كان يقوم بها التجار العمانيون إلى الهند والصين. فقد كانت السفن الصغيرة تبحر من البصرة إلى سيراف حيث تفرغ شحناتها في سفن أكبر يمكنها أن تتحمل مياه المحيط الهندي بأمواجه العاتية أحياناً أو ضحالة مياهه أحياناً أخرى، وتتجه السفن بعد ذلك إلى صحار قصبة عمان ومنها إلى مسقط وكانت المسافة بين سيراف ومسقط مائتي فرسخ. وفي مسقط كانت السفن تتزود بالمياه العذبة من بئرها المشهورة، ثم تبحر منها إلى كولم ملي الواقعة جنوب ساحل المليار بالهند. وكانت السفن التجارية تقطع المسافة من مسقط إلى كولم ملي في نحو شهر.. ومن كولم ملي تتابع السفن رحلتها إلى جزيرة سرنديب فتغادر بذلك بحر لاروي، (بحر الهند) وتبدأ بعد ذلك في الدخول في مياه بحر هركدن (خليج البنغال)، فإذا اجتازت السفن مياهه، فإنها تصل إلى جزر لنجبالوس، وكان أهلها لا يعرفون اللغة العربية، فكانوا يتفاهمون مع التجار العمانيين بالإشارة. ثم تنطلق السفن إلى كله على الساحل الغربي بشبه جزيرة الملايو، حيث تزود بالماء من الأبار العذبة، ثم تواصل السفن إبحارها إلى موضع يقال له بتومه^(٨٦) يتوفر فيه ماء عذب، وكانت السفن التجارية تقطع المسافة من كله إلى بتومه فيما يقرب من عشرة أيام، ثم تعبر بعد ذلك مضيق شلاهط، ومن هناك إلى بلاد الصنف حيث تكثر المياه العذبة، والعود الصنفي، ومن الصنف تبحر السفن إلى موضع يقال له صندر قولات، وهي جزيرة بالبحر بينها وبين بلاد الصنف مسافة كبيرة كانت السفن تقطعها في نحو عشرة أيام، وبالوصول إلى بحر صنجي أو بحر الصين تقترب الرحلة العمانية من النهاية حيث ترسو في مدينة خانفو^(٨٧).

كان ذلك هو الخط الملاحي التجاري الرئيسي من الخليج العربي إلى الشرق الأقصى، وإن كان يتفرع منه خط يبدأ من جزيرة كله إلى جزيرة الزابج وجاوة. هذا بخلاف الخط الملاحي المباشر الذي كان يربط مدن الخليج العربي، بالدبيل وبلاد السند.

وكان هذا الخط الملاحي الممتد ما بين عمان والخليج العربي وبين بلاد الشرق الأقصى يتعرض لبعض الاضطرابات والتغيرات تبعاً للظروف السياسية في البلاد التي يمر بها الطريق. فالمسعودي مثلاً يذكر أن السفن الصينية^(٨٨) اعتادت أن تصل إلى الخليج العربي إلى أن اضطرب أمر الصين، وعندئذ بدأ الصينيون يتجهون إلى كله التي كانت تقع في منتصف الطريق بينها وبين عمان، وهناك كانوا يلتقون بالتجار المسلمين والعلمانيين، ويعبر المسعودي عن ذلك بقوله: «بلاد كله وهص النصف من طريق الصين أو نحو ذلك، واليه تنتهي مراكب أهل الإسلام من السيرافيين والعلمانيين في هذا الوقت، فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم، وقد كان في بدء الزمان بخلاف ذلك، وذلك أن مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة، وكذلك كانت المراكب تختلف عن المواضع المذكورة إلى هناك، فلما عدم العدل، وقسدت النيات، وكان من أمر الصين ما وصفنا التقى الفريقان جميعاً في هذا النصف، ثم ركب هذا التاجر من مدينة كله في مراكب الصينيين إلى مدينة خانفو»^(٨٩).

والمقصود بمقولة المسعودي «اضطراب أمر الصين» الفوضى السياسية التي شملت الصين في أواخر عهد أسرة تانج (٦١٩ - ٩٠٧ م). وتذكر المصادر الصينية أن ملوك هذه الأسرة اعتادوا طوال قرنين من الزمان أن يشجعوا العلاقات التجارية بين بلادهم، وبين بلاد غرب آسيا وأوروبا وإفريقيا وفارس وبلاد العرب (التأزي كما

كانوا يسمونها^(٨٧)، والدولة البيزنطية^(٨٨). كما تذكر المصادر الصينية أن أكثر من ثلاثين سفارة عربية وصلت الصين خلال الفترة مابين أعوام (٢١هـ / ١٨٢هـ) (٦٥١ - ٧٩٨م).

من المعروف أن المدن الصينية كانت تعج في عهد أسرة تانج بالتجار والفنانين العرب الذين اهتموا بالاتجار في الحرير والجواهر واليواقيت، وكان في مدينة «YANG ZHOU، قانصو»^(٨٩)، وحدها حوالي ألف تاجر مسلم وعربي^(٩٠). أما مدينة الزيتون GUANG ZHOU فقد كان بها أكثر من عشرة آلاف مسلم.

وتؤكد المصادر الصينية أن الاسلام انتشر انتشارا واسعا في الصين زمن أسرة تانج، كذلك تؤكد أن طريقة صناعة الورق (الكاغد) وحياسة الحرير عرفتها افريقيا وأوروبا عن طريق العرب عبر الخط الملاحي التجاري العربي^(٩١).

ولكن سرعان ما دبت الفوضى في جسد هذه الأسرة الحاكمة، وبدأت سلسلة من الاضطرابات العسكرية والاجتماعية في الصين في أواخر عهد أسرة تانج^(٩٢) منذ سنة ٢٦٤هـ / (٨٧٧م) فقد اندلعت بالصين نيران ثورة اجتماعية كبيرة كانت بمثابة انتفاضة قام بها العامة، وأعلن زعيمهم نفسه امبراطورا واستولى على أهم مدن الصين التجارية^(٩٣).

يصف المسعودي تفاصيل هذه الثورة بقوله: «أن نابغا فيها من غير بيت الملك كان في بعض مدائن الصين يقال له يانشو، وكان شريرا يطلب الفتنة ويجتمع اليه أهل الدعارة والشر، فلحق الملك وأرباب التدبير غفلة عنه، لخمول ذكره وأنه ممن لايبالي به، فاشتد أمره، ونما ذكره وكثر عتوه وقويت شوكته وقطع أهل الشر مسافات نحوه»^(٩٤).

وقد أساء يانشو الى التجار العرب والعمانيين الذين كانوا يقيمون بمدن الصين التجارية، فعندما استولى يانشو وأتباعه على خانفو غوة^(٩٥)، وكانت أكبر مركز تجاري في الصين تجمع فيه العرب، قتل من أهلها خلقا لا يحصون كثرة وأحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس ممن قتل وغرق خوف السيف فكان مائتي ألف^(٩٦). ومضى هذا الشاثر يفتتح مدينة بعد أخرى ثم قصد كلا من مدينتي انموا، ومد بالقرب من التبت، وانتهى أمره بأن اختفى عقب إحدى المعارك، وقيل قتل، وقيل أحرق^(٩٧).

وترتب على هذه الأحداث المضطربة التي مرت بها الصين، أن عدل العمانيون والنواخذة العرب عن الابحار الى الصين وموانئها التجارية الهامة لفترة مؤقتة الى أن تهدأ الأمور، وأصبحت (كله) المحطة التجارية التي يلتقي فيها تجار عمان والعرب، مع تجار الصين والهند حيث كان يتم تبادل السلع والمتاجر، ثم مالبت الأمور أن استقرت في عهد أسرة سانج الصينية (٢٤٩ - ٦٧٨هـ) (٩٦٠ - ١٢٧٩م)^(٩٨).

وقبل أن ننهي الحديث عن أسرة تانج علينا أن نسلط بعض الضوء على تجارة عمان على وجه الخصوص مع الصين خلال الفترة المستقرة من حكم هذه الأسرة.

تنصف المصادر الصينية الى حد كبير في الحديث عن الدور الذي قام به عرب عمان في التجارة البحرية مع الصين في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة (العصر الاموي)، فقد ورد في تلك النصوص ذكر تاجر عربي من عمان اشترك مع عدد من التجار في رحلة تجارية الى الصين بهدف نقل شحنة كبيرة من الأخشاب. كما اشارت المصادر الصينية أيضا الى قيام تاجر عماني آخر في النصف الثاني من القرن الثاني

للهجرة برحلة من البصرة الى الصين^(١٩). ويصل سوفاجيه الى نتيجة غاية في الاهمية، وهي ان العرب الاوائل الذين استقروا في الصين كانوا يرجعون بأسولهم الاولى الى عمان التي كانت اهم قاعدة للنشاط البحري التجاري الى الهند^(٢٠).

اما في عهد أسرة سانش الصينية، فقد عادت السفن العربية والعمانية الى الابحار الى موانئ الصين للتجارة وتبادل السلع. وقد أوردت المصادر الصينية التي أرخت لأحداث هذه الأسرة أوصاف العديد من المدن والمواني العربية من خلال ما ذكره التجار العرب الذين كانوا قد وصلوا الى الصين. ومن بين المدن والبلاد التي ورد ذكرها في تلك المصادر والسجلات الصينية الشحر، مهرة، عمان، مكران، البحرين، عراق، بغداد، كاش، الموصل، خوارزم، مكة، الصومال، زنجبار، قنبلو، بجاية ومصر^(٢١).

وتتضمن المدونة الصينية الخاصة بأسرة سانش والمعروفة بسانج - ش او (تاريخ أسرة سانش) أوصافا عامة للبلاد العربي، وقد ورد ذكر مزون MA-JUN باللغة الصينية، وكذلك القطيف YA- ra- ha- chi. وتقرر هذه المدونات أن مزون (عمان) سرت سفارتين عمانيتين لأسرة سانش، الاولى في عام ٤٠٢هـ - (١٠١١م) والثانية في عام ٤٦٥هـ - (١٠٧٣م). وفي السفارة الاولى، زارت سفينة عمانية يقودها قائد اسمه ابوالقاسم، عاصمة أسرة سانش^(٢٢).

اما السفارة العمانية الثانية فقد كا يتولاها شخص اسمه هاشم بن عبيد الله الذي أهدى ملك الصين هدية تشمل مجموعة ألأء وتمور وماء ورد وأقمشة وأشياء أخرى، وقد رد ملك الصين على تلك السفارة العمانية بهديا قيمة^(٢٣). واستمرت العلاقات التجارية بين مدن الصين الجنوبية زمن أسرة سانش وبين عمان ومدن الخليج العربي حتى بعد التغيرات السياسية والاقتصادية التي أعقبت التغير في الخلافة في المشرق الإسلامي.

وفي عهد أسرة مينج الصينية (٧٧٠ - ١٠٥٤هـ) (١٣٦٨ - ١٦٤٤م) ازدادت الصلات التجارية توثقا بين عمان والصين. وتسجل بعض الكتابات الأباضية المتأخرة رحلة تاجر عماني يدعي ابو عبيدة الى الصين في منتصف القرن الثامن الهجري، وقد اشترى من الصين بعض خشب الند^(٢٤).

كما تذكر سجلات أسرة مينج الصينية أن الصينيين عابدا يترددون على بلاد العرب في رحلات تجارية، ومن ذلك رحلة تاجر صيني مسلم أوفده الإمبراطور شينج - زو CHENG- ZU (٨٠٥ - ٨٢٨هـ) (١٤٠٢ - ١٤٢٤م) والإمبراطور شوان زونج XUAN ZONG (٨٢٩ - ٨٣٩هـ) (١٤٢٥ - ١٤٣٥م) في سفارتين الى مدن الخليج العربي ومن بينها عمان بطبيعة الحال^(٢٥)، مما أدى الى توثيق العلاقات التجارية بين الصين وعمان في العصور الإسلامية.

وبقي أن نذكر أن كثيرا من المحطات التجارية التي يتوقف بها العمانيون وتبادلوا فيها السلع التجارية، كانت تتغير أهميتها ومكانتها بمرور الزمن، من ذلك على سبيل المثال ميناء سيراف التي كانت تقع على الساحل الشرقي للخليج والتي كان التجار العرب من عمان والبصرة يصلون اليها بتجاراتهم ويرحلون منها الى بلاد الهند والصين. هذه المدينة التجارية الهامة، بدأت تفقد مكانتها التجارية عندما وقعت تحت سيطرة أهل جزيرة قيس، فانتقلت الأهمية التجارية لجزيرة قيس كما سبق أن ذكرنا^(٢٦).

وقيس نفسها ازدهرت اقتصاديا وتجاريا خلال فترة لاتزيد على قرن من الزمان، ثم بدأت تضمحل لتفسح مكانها لهرمز، ويصف ابن بطوطة هرمز ومكانتها التجارية

التي قضت بها على شهرة جزيرة قيس.

ومن الملاحظ أن مدن عمان وحدها هي التي احتفظت بشهرتها ومكانتها التجارية عبر كل العصور. ولم تذكر المصادر مثلاً أن صحار في عمان قد اضمحلت وتنازلت عن مكانتها، لغيرها من المدن. بل وصفتها كل المصادر الجغرافية بدءاً من ابن خردادبة، وحتى ابن بطوطة بأنها ذات بيوت جميلة وأسواق حسنة ومساجد عظيمة^(١٠٧).

الطريق البحري إلى شرق أفريقيا :

كان النواخذة العمانيون عندما يبحرون بسفنهم التجارية^(١٠٨) من صحار أو مسقط متجهين إلى سواحل شرق أفريقيا، يلأزمون الساحل ولا يتعمقون داخل مياه المحيط بهدف التنقل بين أكبر عدد ممكن من الجزر المتناثرة قبالة الساحل الشرقي لأفريقيا سعياً لتبادل السلع معها^(١٠٩).

وكان أقصى المناطق التي تصل إليها الرحلة العمانية، أرض سفالة، وفي ذلك يقول المسعودي: «سفالة وهي أقاصي بلاد الزنج واليه تقصد مراكب العمانيين والسرايين وهي غاية مقاصدهم في أسافل بحر الزنج...»^(١١٠).

وربما يرجع السبب في توقف العمانيين في رحلاتهم جنوباً على طول الساحل الإفريقي فيما يلي بلاد سفالة عند هذا الحد، إلى توقف الرياح الموسمية عن الهبوب الجنوبي رأس كورينتس CORRIENTS الذي عرفوه بجبل الندامة، وكذلك إلى اشتداد التيارات المائية وعنف الزوابع.

ومن الجزر التي وصل إليها العمانيون في رحلاتهم التجارية بحراً إلى شرق أفريقيا جزيرة قبلو التي سبق أن تحدثنا عنها. كذلك وصلوا إلى جزيرة زنجبار^(١١١) وكان العمانيون يقيمون مستوطنات عمانية في هذه الجزر الإفريقية المقابلة لساحل أفريقيا الشرقية لحماية مصالحهم التجارية.

أهم السلع التي كان يتجر فيها العمانيون :

كان النواخذة العمانيون يملأون سفنهم التجارية المتجهة إلى أفريقيا بسلع متنوعة من منتجات الجزيرة العربية والهند وما يليها من بلاد الشرق الأقصى، في حين كانوا يحملون معهم إلى الشرق الأقصى الكثير من منتجات بلادهم، وسفالة الزنج.

وأهم هذه الصادرات العربية التي كان العمانيون يتجرون فيها^(١١٢) اللؤلؤ العماني. ويذكر الجاحظ أن حيز اللؤلؤ الصافي، العماني المستوى الجسد الشديد التحرج. وهناك أيضاً اللؤلؤ الذي كان يستخرج من بحر البحرين^(١١٣)، وكان يسمى باللؤلؤ القطري^(١١٤)، هذا بخلاف اللؤلؤ الذي كان يستخرج من مفاصات دهلك بين بر اليمن وبر الحبشة، ومن مفاص الشرجة باليمن^(١١٥)، ومن كيش وأوال وخارك^(١١٦)، واللؤلؤ الذي يصاد من جزيرة بالقرب من جبل ابن جريش بين سواكن وعذاب^(١١٧).

كذلك كان العمانيون يجلبون العنبر من شحر عمان^(١١٨). ومن عدن إلى مخا ومن زيلع^(١١٩)، أما التمر فكانت تجلب من عمان نفسها ومن البصرة^(١٢٠) واللبان والكندر من حضرموت^(١٢١)، هذا إلى جانب الجلود المجلوبة من مباح عدن واليمن من «البقري والمم والدم الثقيل...»^(١٢٢)، والقني العمانية^(١٢٣) والعقيق من مخاليق صنعاء «وأجوده ما أتى به من معدن يسمى مقري، وقرية أخرى تسمى

الهام، وجبل يقال له قساس، فيعمل بعضه باليمن ويحمل بعضه إلى البصرة» (١٢٤).

كذلك اتجر العمانيون في النحاس العماني (١٢٥)، والشب اليمني الأبيض والورس اليمني (١٢٦)، كما كانوا يجلبون الزمرد من مصر (١٢٧)، والخيول من عمان (١٢٨).

أما فيما يتعلق بالمنتجات الصينية التي كان يستوردها العمانيون، بواسطة سفنهم إلى بلاد العرب وشرق إفريقيا، فهي وفقاً لآورد ابن خرداذبة (١٢٩)، وابن الفقيه الهمداني (١٣٠) الحرير والمسك والعود والسروج والسمور والغضار والدارصيني والخولجان. ويضيف صاحب سلسلة التواريخ أن الذهب والفضة واللؤلؤ والديباج كان من أهم منتجات الصين وصادراتها (١٣١).

كذلك كان العمانيون يستوردون المنتجات الهندية من القطن والذهب والفضة والعود والصندل والكافور والقرنفل والقاقلة والনারجيل (جوز الهند) (١٣٢)، وأنياب الفيل والطيب والجواهر كاليواقيت والماس والعنبر والساج والفلل (١٣٣). وكانوا يجلبون الرصاص القلعي والعود والكافور والصندل والعاج والأبنوس والبقم والأناويه، من جزيرة كله (١٣٤).

ويشير المسعودي إلى توافر الكافور الجيد والعود والقرنفل والصندل والجوز والبسباس والقاقلة والكباتر في جزر الصنف مما كان يحملها نواخذة عمان في سفنهم إلى بلادهم (١٣٥). وتتمثل منتجات جزيرة يوتمة التي تقع في الطريق إلى الصين في العود والكافور وفي قمار العود المعروف بالقماري (١٣٦).

أما سرنديب فمن أشهر منتجاتها اللؤلؤ والجواهر والياقوت والذهب والفضة والكافور (١٣٧)، كما اشتهرت جزيرة الكلب من جزر بحر هركند بالذهب والনারجيل وقنصور بالكافور الفنصوري (١٣٨). واشتهرت جزر الدبيحات بالعنبر والনারجيل.

أما فيما يتعلق بمنتجات البلاد الإفريقية التي كان يستوردها النواخذة العمانيون وينقلونها إلى الشرق الأقصى، فمنها العاج، وكان يجهز على حد قول المسعودي: «من بلاد عمان إلى أرض الصين والهند، وذلك أنها تحمل من بلاد الزنج إلى عمان، ومن عمان إلى حيث ذكرناه» (١٣٩). وكان ملوك الصين وأمراؤها وقوادها يتخذون الأعمدة من العاج، كما استخدم الهنود العاج في نصب الخناجر، وقوائم السيوف وفي أعداد صور الشطرنج والنرد.

كذلك كان العمانيون يحملون الصبر من جزيرة سقطرى التي تقع قريباً من بلاد الزنج وبلاد العرب، ويعرف بالصبر الاسقوطري (١٤٠). ويذكر صاحب كتاب عجائب الهند أن أحمد بن هلال حاكم عمان، أهدى إلى الخليفة العباسي المعتضد بالله سنة ٣٠٦ هـ سلحفاة، كان قد أتى بها من بلاد الزنج (١٤١)، كما ورد في السجلات الصينية أنه كان يجلب إلى الصين قرن وحيد القرن من مناطق مختلفة من آسيا، ولكن أفضل ما كان يرد على الصين منه ما كان يأتي عن طريق النواخذة العرب من جزيرة زنجبار (١٤٢). وكان بيع هذه السلع وشراؤها يتم في بداية الأمر عن طريق المقايضة، وقد تطورت الأمور فبدأ التجار العمانيون في استخدام المسكوكات المعدنية، ثم استبدلت بالعملات الورقية، فقد كانت الصين أول بلاد العالم في استخدام العملة الورقية من الكاغد الصيني في حجم كف اليد، وكان كل خمسة وعشرين كاغدا يساوي دينارا (١٤٣).

واستمر الملاحون من عرب عمان والبحرين يحتفظون بتفوقهم في قيادة السفن في المحيط الهندي وبحر العرب، ويقلعون بها شرقا الى الهند أو غربا الى سواحل افريقيا الشرقية وسفالة الزنج، بحيث ظلوا حتى طليعة القرن التاسع الهجري سادة البحار الجنوبية وزعماء التجارة البحرية في المحيط الهندي، ولكن هذه الزعامة لم تلبث أن انتهت بظهور البرتغاليين في مياه المحيط الهندي^(١٤)، فكان ابن ماجد دليل فاسكو دي جاما في رحلته من ملندة الواقعة على ساحل الزنج الى قليقوط على ساحل مليبار، ودله في هذه الرحلة البحرية على الطرق الآمنة الى الهند وأن كان الدكتور انور عبد العليم ينكر ذلك ويستبعده تماما ويرجح أن يكون دليل دي جاما شخصا آخر غير ابن ماجد هو المعلم كاناكا^(١٥).

ومهما كان الأمر، فقد كان العمانيون سادة البحار الشرقية قبل ظهور البرتغاليين، وكما سبق القول، فقد كانوا سادة البحار الشرقية، وكان لنشاطهم البحري والتجاري آثار كبيرة.

الآثار المترتبة على اشتغال العمانيين بالملاحة والتجارة:

كان للدور الكبير الذي قام به العمانيون في مجال التجارة البحرية كوسطاء رئيسيين بين الشرق والغرب آثار عظيمة، فالى جانب هذا الاسهام الحضاري الرائع، الذي قام به العمانيون في مجال التجارة العالمية، فانهم أسدوا للاسلام وحضارته أجل الخدمات، وضربوا أروع المثل لأهالي البلاد الذين كانوا يتعاملون معهم تجاريا، فيفضل معاملاتهم السمحة وتمسكهم بمبادئ الاسلام الحنيف تمكنوا من كسب قلوب من كانوا يتعاملون معهم، واجتذبوهم الى اعتناق الاسلام طواعية، فلم يلبث أن انتشر بفضلهم بين شعوب جنوب شرق آسيا والصين وشرق افريقيا.

كما ترتب على قيام العمانيين بدور الوسيط التجاري أن ازدهرت تجارة مصر في العصور الاسلامية المختلفة، خاصة منذ العصر الفاطمي، وعلى الأخص في العصر المملوكي فقد اعتمدت مصر في تجارتها على التوابل التي قام العمانيون بنقلها من مواطنها وتوصيلها الى سفن مصر في بحر القلزم. وقد وفر العمانيون بذلك لمصر الاسلامية، فرصة الحصول على حاجتها من البهار والتوابل للاستهلاك المحلي وللتصدير، واعتمد الاقتصاد المصري اعتمادا خاصا على التجارة في هذه السلع على يد جماعة من التجار كانوا يعرفون بالكارمية، كذلك كان قيام العمانيين بدور حلقة الوصل بين الشرق والغرب، سببا في وفود أعداد كبيرة من علماء الأندلس وتجاره الى عمان ومنها الى سائر الموانئ المطلة على الخليج العربي مثل الأبله والبصرة والبحرين، وبهذا يكون لابناء عمان الفضل الأعظم في الاسهام في حركة التواصل والتكامل الحضاري بين أبناء العالم الاسلامي مشرقه ومغرب، فجمهور غفير من تجار الأندلس ومفكره رحل بعد زيارته لعمان الى الهند والشرق الأقصى طلبا للعلم والرزق.

كما كان لتفوق العمانيين في مجال التجارة البحرية وتسيدهم على غيرهم من الشعوب اكبر الأثر في نبوغ أبناء عمان في علوم الملاحة والفلك والجغرافيا وظهور أفراد منهم كان لهم السبق في التوصل الى أحدث النظريات والآلات العلمية في ذلك العصر، وستحدث عن هذه الآثار بشيء من التفصيل:

الانتشار السلمي للاسلام في الصين وجنوب شرق آسيا :

ورد ذكر العرب المسلمين لأول مرة في المصادر الصينية في عهد أسرة تانج (٦١٨ -

٩٠٧م). وتشير هذه المصادر الى أن أخبار قيام دولة الرسول ﷺ في المدينة في القرن السابع الميلادي وصلت الى الصين.

ويذكر بعض الباحثين أن الاسلام دخل الصين في عهد الرسول ﷺ، إذ أن بعثة اسلامية تتألف من ثلاثة أشخاص وفدوا على الصين زمن النبي ﷺ توفي منهم اثنان، أما الثالث فقد أسس أول مسجد جامع في الصين عرف بجامع «الذكرى» لا يزال قائماً حتى يومنا هذا^(١١٦) كما أقيم في خانفو أول مسجد سنة ٦هـ (٦٢٧م) كان يسمى مسجد «النارة المنورة» أو «كوانج تا» وبذلك يكون قد انشئ بعد مسجد قباء بالمدينة المنورة، بخمس سنوات.

ويذكر الصينيون أن بداية انتشار الاسلام بينهم حدثت في عهد الملك الصيني «تاي تسونج» ٦هـ - ٣٠هـ (٦٢٧ - ٦٥٠م) فقد دخل الى الصين في عهده رجل من آل البيت كان ابناً لحزمة عم الرسول ﷺ يصحب معه ثلاثة آلاف مهاجر، وإحق بهم عدد من المسلمين، أما المجموعة الأولى فقد سلكت الطريق البري بينما سلكت المجموعة الثانية طريق البحر.

ويقال انه كانت هناك علاقات سياسية بين عثمان بن عفان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين وبين امبراطور الصين، وأن الخليفة عثمان أرسل سفارة عربية الى الصين في سنة ٣١هـ (٦٥١م) استقبلها الامبراطور الصيني بكل حفاوة وترحاب^(١١٧).

من هذا العرض الموجز يتبين لنا ان الاسلام عرف طريقه الى الصين منذ بداية قيام الدولة الاسلامية في المدينة، ولكن الفضل الأعظم في نشر الاسلام انما يرجع الى التجار العمانيين في القرون الأولى من الهجرة، إذ ان الجالية العمانية في الصين كانت كبيرة العدد، وقوامها التجار المقيمون هناك، فقد ارتبط الاسلام بالتجارة وارتبطت التجارة بالدين، وكان التجار العماني يخرج في سفينته ويغيب سنوات عديدة الى ان يعود الى بلاده مرة ثانية^(١٤٨)، وأثناء ذلك كان يقيم في المناطق التي ارتبطت مصالحه التجارية بها، ومن هذه المناطق مدن الصين مثل بكين وخانفو (كانتون).

وقد وصلتنا أسماء بعض التجار العمانيين الذين ارتحلوا الى الصين في وقت مبكر وكانوا من طبقة تابعي التابعين، ومن هؤلاء أبو عبيدة عبدالله بن القاسم الذي عاش في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، وقد ارتحل الى الصين للتجارة في العود، وعاش بالصين سنوات طويلة الى أن عاد الى عمان.

ثم وصل الى الصين بعده بقليل رجل عماني آخر هو النضر بن ميمون، كان يعيش قبل ذلك في البصرة، وليس من شك في أن هؤلاء التجار العمانيين من تابعي التابعين كان لهم اعظم الفضل في نشر الاسلام في الصين^(١٤٩)، ذلك أنهم بجانب نشاطهم التجاري اعتادوا التزوج من سيدات صينيات، فنتج عن هذه المصاهرة جيل مولد من الصينيين المسلمين، مما ساعد على انتشار الاسلام، ومن مظاهر ذلك، التوسع في بناء المساجد مثل المسجد الجامع بمدينة زيتون الصينية، والتي تشير نقوشه الى أنه بني سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م)^(١٥٠).

أما فيما يتعلق بالهند فقد شارك العمانيون وكما سبق القول في فتحها بحراً منذ منتصف العقد الثاني للهجرة فقد قادهم عثمان بن أبي العاص الثقفي والي عمان والبحرين وأغار على سواحل الهند عند تانك كما وجه أخاه المغيرة الى خور الديبل عند مصب السند في سنة ١٥هـ (٦٥١م)، كذلك قام العمانيون بالتصدي للقراصنة الهنود على السواحل الاسلامية^(١٥٢).

ويذكر ابن رسته انه بالملتان (١٠٣) بالهند قوم يزعمون انهم من بني سامة بن لؤي يقال لهم بنو منبه، وانهم الملوك على الهند، وربما يرجع الى بني منبه الفضل في التوسع في نشر الاسلام في الملتان. وعن أهل الملتان وحكامها يقول الحميري: «والغالب على أهل الملتان أنهم مسلمون والحكم فيهم لأهل الاسلام، ورئيسهم مسلم» (١٠٤). وقد تعرض بنو منبه في كثير من الأحيان لغزو ملوك الهند، ويذكر ابن رسته ان ملوك الملتان من بني منبه كانوا ينتصرون عليهم ليسارهم وقوتهم وكثرة أموالهم (١٠٥).

ومن أرباض الملتان وضواحيها ربض جندراون، وكان هذا الربض كثير البيوت والمباني، وكان به مقر الأمير الحاكم، أما المسجد الجامع فقد كان بالملتان نفسها، وفي يوم الجمعة كان الأمير يخرج من جندراون راكباً الفيل الى الملتان لأداء فريضة الصلاة في مسجدتها الجامع. ويحدثنا المسعودي الذي زار مدينة صيمور بالهند سنة ٣٠٤هـ انه التقى هناك بجالية عربية تبلغ نحو (من عشرة آلاف قاطنين بياسرة وسيرافين وعمانيين وبصريين وبغداديين). ويؤكد الادريسي أن أكثرهم من أهل عمان. وكان هؤلاء التجار محل تقدير ملوك الهند (١٠٦).

وإذا انتقلنا للحديث عن انتشار الاسلام في جنوب شرق آسيا بفضل التجار والنواخذة العمانيين، نجد أن هؤلاء التجار كان لهم شرف نشر الاسلام في أرخبيل الملايو خاصة في كله (١٠٧)، وفي ميناء (ملقا). وقد نشأت (ملقا) نتيجة استقرار التجار العرب هناك وذاعت شهرتها التجارية منذ العصور الأولى للإسلام، فاصبحت منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا المركز التجاري الرئيسي على الساحل الغربي من شبه جزيرة الملايو (٢٥٨).

وكان هؤلاء التجار العرب والعمانيون يقيمون في المدن الكبرى والمراكز التجارية الهامة فاحتكوا احتكاكاً مباشراً بالأهالي مما أدى الى نشر الاسلام في تلك المراكز الحيوية الهامة. وكان التاجر المسلم يجمع بين التعليم والتجارة، فإذا ما استقر به المقام، كان ينشئ المدارس الدينية لتعليم أهالي البلاد قواعد الاسلام، ولتحفيظهم القرآن الكريم، في نفس الوقت الذي كانوا يمارسون فيه تجاراتهم (١٠٩).

ولم ينشر التجار العمانيون الاسلام في أرخبيل الملايو فحسب، وإنما وصلوا بتجاراتهم واسلامهم الى جزر الهند الشرقية، وتذكر المصادر أن شيخاً عمانياً عاش في بلاد الزابج (سومطرة) وتمكن بحكمته وذكائه وبعد نظره أن يجبر ملكها على أن يعامل المسلمين معاملة خاصة، وأسلم ملوك الزابج زمن الرحالة ابن بطوطة (١١٠).

وقد عثر في شبه جزيرة الملايو وفي جاوة على مقابر قديمة للمسلمين لها شواهد قبور تحمل نقوشاً كتابية عربية، من ذلك قبر لسيدة بمدينة جريسك GRESIK بجاوة يرجع تاريخ وفاتها الى سنة ٤٧٥هـ (١٠٨٢م).

أما الملبار فقد عرفت الاسلام عن طريق جماعة من التجار المسلمين في عام ٢٠٠هـ وقد أسلم ملكها وتوفي أثناء عودته لبلاده من رحلة الى الحجاز ودفن بظفار (١١١). ويذكر ابن بطوطة انه شاهد أثناء زيارته لمدينة قندربنا بالمليبار سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م ثلاثة مساجد مقامة بها، وكان قاضيها وصاحب الصلاة فيها رجل من أهل عمان (١١٢). وكما انتشر الاسلام في هذه البلدان على يد تجار كان أغلبهم من التجار العمانيين، فانه انتشر أيضاً في شرق أفريقيا بنفس الأسلوب.

انتشار الإسلام على أيدي العمانيين في شرق أفريقيا:

وكما سبق القول فقد ارتبطت عمان بشرق أفريقيا تجاريا منذ عصر ما قبل الإسلام، وقد توثقت تلك العلاقات بحكم التبادل التجاري الذي ترتب عليه قيام مراكز ساحلية أسسها العمانيون لخدمة الأغراض التجارية، وعن هذه الفترة المبكرة في تاريخ العلاقات العمانية / الأفريقية يؤكد مؤلف الدليل الملاحى للبحر الأريتري PERIPLUS WARIS ERYTHRAEI كثرة تردد السفن العربية القادمة من أقطار شبه الجزيرة العربية ومن بينها عمان على الساحل الشرقي لأفريقيا، كما يتحدث عن اختلاط العرب وتزويجهم من القبائل الأفريقية^(١٦٦). وعلى مدى التاريخ الطويل نظر أبناء تلك المنطقة من شرق أفريقيا إلى عمان على أنها الدولة الأم بطبيعة الحال.

ولقد ساعدت الظروف المناخية السائدة بالمحيط الهندي على نشاط الملاحه بين شرق أفريقيا وعمان كما سبق أن ذكرنا، فكثر ما دفعت الرياح الموسمية الشمالية في فترات هبوبها على منطقة الخليج في فصل الشتاء السفن العمانية من سواحل عمان إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، كذلك كانت الرياح الموسمية الجنوبية الغربية تدفع نفس تلك السفن في طريق عودتها عبر مياه المحيط الهندي إلى عمان في فصل الصيف^(١٦٧). ولم يتوغل العمانيون كثيرا قبل ظهور الاسلام داخل أفريقيا فقد اكتفوا بالاستقرار على سواحلها الشرقية، وإقامة مراكز تجارية بها، وعملوا على مقايضة الأفارقة فكانوا يحملون اليهم منتجات الهند والصين في مقابل العاج والذهب^(١٦٨). وظل الأمر كذلك إلى أن ظهر الاسلام، وقامت الدولة العربية الإسلامية، وتغير الوضع تغيرا كبيرا، فقد من أهل عمان في العصرين الأموي والعباسي بظروف سياسية قاسية دفعتهم إلى الهجرة إلى شرق أفريقيا، والاستقرار هناك استقرارا دائما وبناء أمارات عمانية إسلامية.

ومن المعروف أن الرسول ﷺ ولّى عمرو بن العاص على عمان^(١٦٩). وعندما تولى أبو بكر الصديق الخلافة ترك عمان بيد أهلها، وظل الأمر على هذا النحو حتى عصر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي ولّى على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، وإلى هذا العهد ترجع أقدم وأول الهجرات العمانية إلى شرق أفريقيا، فقد طمع الحجاج في فرض سيطرته ونفوذه على عمان فسير إليها حملات متتالية، ولكن سليمان وسعيد ولدي عباد بن عبد بن الجندى اللذين كانا يحكمان عمان تمكنا من التصدي لهذه الحملات، وحققا انتصارا باهرا على أحد قادته، وهو القاسم بن شموه المزني عند قرية حطاط الساحلية بالقرب من مسقط^(١٧٠).

وعلى الرغم من هذه الهزائم التي أوقعها العمانيون بقواته، فقد وأصل الحجاج توجيه الحملات إلى عمان، وفي سنة ٧٦هـ (٦٩٥م) وجه الحجاج جيشا كثيفا إلى عمان، لم يتمكن كل من سليمان وسعيد من مواجهته والتصدي له^(١٧١)، فخرج مهاجرين مع ذويهما وأتباعهما من عمان إلى شرق أفريقيا، وأخذت أعداد كبيرة من القبائل العمانية من الأزدي تنبعضا إلى هناك. ويبدو أنهم استقروا حول منطقة أرخبيل لامو^(١٧٢)، وفي جزيرة مافيا، لمواجهة نهر الروفيجي RUFJI جزيرة بات PATE في الشمال^(١٧٣). ولم تكن هذه الهجرة العمانية الأولى والأخيرة.

ففي العصر العباسي، طمع العباسيون في فرض سيطرتهم على عمان واشتدت حملاتهم عليها في عهد كل من أبي العباس السفاح، وهارون الرشيد ثم في عهد المعتضد العباسي، وكانت الجيوش العباسية في كل مرة تهاجم فيها عمان تعيث قسادا

وترتكب الكثير من أعمال التخريب والتدمير في المدن العمانية، من تلك المذابح التي ارتكبتها محمد بن نور قائد الخليفة العباسي المعتضد في مدينة نزوى، الأمر الذي دفع القبائل العمانية إلى الهجرة إلى شرق أفريقيا^(١٧١).

ويسجل مطلع القرن السابع الهجري هجرة عمانية جديدة إلى الساحل الشرقي لأفريقيا كان لها أكبر الأثر في تاريخ هذه المنطقة، وقاد هذه الهجرة العمانية الكبيرة التي تعد من أكبر الهجرات العربية إلى أفريقيا، سليمان بن سليمان بن مظفر النهاسي صاحب عمان، واستقبله العرب في بات استقبالا رائعا. وقد تزوج سليمان من أميرة سواحلية، هي ابنة الملك اسحاق من سلالة الشيرازيين في مملكة كلوه. وبعد اتمام مراسيم الزواج تنازل اسحاق عن الحكم لسليمان الذي أصبح أول حكام أسرة بني نبهان في الساحل الشرقي لأفريقيا. واستطاعت هذه الأسرة النبهانية أن تضم إلى حكمها معظم الساحل الشرقي لأفريقيا في أواخر القرن السابع الهجري فضمت قسمايو، وبرأوة، ومقديشو، وظلت هذه الأسرة تحكم حتى عام ١١٥٨ هـ (١٧٤٥ م)^(١٧٢).

وبفضل نزول العمانيين في السواحل الشرقية لأفريقيا انتشر الاسلام تدريجيا بين الأفارقة. ويسجل التاريخ للعمانيين الفضل الأعظم في صهر الأجناس المتعددة التي كان يتكون منها المجتمع في ساحل شرق أفريقيا في بوتقة الحضارة الإسلامية، فبتزاوج العمانيين المهاجرين وأهل البلاد الأفارقة امتزجت الدماء والنظم والأذواق امتزاجا ظهرت آثاره في أجيال يتسم أفرادها بسمات عقلية وجسمانية قريبة الشبه بالسمات العمانية، وعرف هذا العنصر الجديد، بالعنصر السواحلي الذي كان يتكلم باللغة السواحلية، ويدين بالاسلام الذي وحد بين هذه الشعوب المختلفة^(١٧٣).

ومن الجدير بالذكر أن دراسات عديدة صدرت عن اللغة السواحلية، ولهجاتها وعلاقتها باللغات الأفريقية واللغة العربية^(١٧٤). ومن هذه الدراسات يتأكد لنا ارتباط السواحلية ارتباطا وثيقا باللغة العربية منذ نشأتها الأولى، ونستطيع أن نتبين هذا الارتباط الوثيق من الطريقة التي نشأت بها اللغة السواحلية ويتمثل ذلك في قاموسها، وكذلك في بعض تراكيبيها، هذا وقد قام العرب والعمانيون بدور هام في نشر اللغة السواحلية داخل القارة وعلى امتداد ساحلها الشرقي.

ويرى بعض الباحثين أن العرب المستقرين في سواحل شرق أفريقيا ومنهم العمانيون بطبيعة الحال، مالوا إلى استخدام اللغة السواحلية رغم انتشار اللغة العربية بين الصفوة، وظلت اللغة السواحلية تكتب بالحروف العربية قرونا عديدة^(١٧٥).

وإذا كانت الهجرات العربية بوجه عام والعمانية بوجه خاص لم تتوغل كثيرا داخل القارة الأفريقية في عصر ما قبل الاسلام، واكتفت بأقامة بعض المراكز التجارية على الساحل الشرقي من القارة كما سبق أن ذكرنا، فإن هذه الهجرات في العصر الاسلامي امتدت في عمق القارة الأفريقية المتاخمة للساحل، وانتشر الاسلام نتيجة لذلك بين قبائل الجالا GALLA الذين استوطنوا الحبشة، كما انتشر الاسلام بين قبائل الصومال، وقد ساعد على انتشاره أن التجار العمانيين والعرب من حضرموت والبحرين واليمن كانوا يبنون بين أبناء البلاد تعاليم هذا الدين الحنيف بالحجة والاقناع^(١٧٦).

وازدهرت الدويلات والممالك التي أسسها العمانيون في الساحل الشرقي لأفريقيا اقتصاديا واجتماعيا، ويسجل البرتغاليون أنفسهم تلك المظاهر الحضارية الرائعة التي وجدوها في الشرق الافريقي (الذي اسلم بفضل العمانيين) أثناء حركاتهم الاستكشافية الكبرى التي قاموا بها في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وأوائل

القرن السادس عشر.

ويصف الرحالة البرتغالي دوراث باربوسا تلك المظاهر الحضارية بقوله: «ما ان وصلت سفن فاسكو دي جاما الى سفالة حتى فوجئت مفاجأة لم تكن تتوقعها فقد لقي البرتغاليون مالم يكن في حسابهم، لقوا مواني تنطن كخلايا النحل ومدنا ساحلية عامرة بالناس، وعالمًا تجاريًا أوسع من عالمهم.. كما وجدوا من البحارة العرب رجالا عبروا المحيط الهندي مرات عديدة ويعرفون من أجل ذلك دقائق مرافئه، وسجلوا هذه الدقائق في خرائط متقنة لاتقل فائدة عما كانوا يتعلمونه في أوروبا...» (١٧٧).

وإذا كان انتشار الاسلام هو أهم الآثار والنتائج المترتبة على الهجرات العمانية الى الساحل الشرقي لأفريقيا، فهناك آثار أخرى ظهرت في مختلف مجالات حياة السكان، ففي المجالين الاقتصادي والاجتماعي، قام العمانيون بنقل حاصلات المنطقة كما سبق ان ذكرنا عند حديثنا عن أهم السلع التي كان يتجر فيها التجار العرب، كما ان السكان قدموا الى التجار العرب الرقيق من أسرى الحروب الوطنية، فشكّل الزنج عنصرا هاما من عناصر السكان في الدولة العربية الاسلامية ولعبوا دورا خطيرا في حياة الدولة، فمنهم من أصبح من القواد العظام في الدولة مثل مؤنس الخادم في العراق أو من كبار الشخصيات في التاريخ ككافور الأخشيدي في مصر. كما ان الكثير منهم ثاروا على الدولة العباسية كثورة الزنج التي قامت في العراق (١٧٨) في القرن الثالث الهجري بالقرب من البصرة، وكان معظم الثوار فيها يرجعون الى أصول من الصومال وزنجبار، واستمرت ثورتهم على الدولة العباسية نحوًا من أربعة عشر عاما.

ونضيف الى ما سبق ان العرب استغلوا المناجم في الساحل الشرقي لأفريقيا فاستخرجوا الذهب والفضة والنحاس والحديد، وكانت كميات كبيرة من الذهب ترد الى العالم الاسلامي من سفالة الى حد أنها سميت بسفالة الذهب.

هذا، وقد شاعت الطرز الفنية الاسلامية في بلاد شرق أفريقيا، وتتمثل في المنشآت المعمارية، وفي الزخارف المنقوشة على الأبواب والجدران وفي مختلف فنون النقش والحفر والنحت (١٧٩). ومن الملاحظ ان حركة انتشار الاسلام في المناطق الداخلية المصاحبة لسواحل شرق أفريقيا ازدادت قوة في نهاية العصور الوسطى عندما بدأ الخطر البرتغالي في الظهور، فقد ترك المسلمون السواحل أمام الاعتداءات المتكررة عليها ولجأوا الى الداخل، مما أدى الى المزيد من التوسع في نشر الاسلام بين القبائل الافريقية المختلفة (١٨٠). وإذا كان هذا أثر التجار العمانيين في البلاد المطلة على المحيط الهندي، فقد كان لهم أيضا أثرهم في البلاد المطلة على البحر المتوسط مثل مصر وبلاد المغرب والاندلس.

تجارة عمان وأثرها على تجارة وسياسة مصر في العصور الاسلامية :

كان التجار العمانيون يقومون بدور الوسيط التجاري بين الهند والصين وجنوب شرق آسيا من جهة وبين الشرق الأدنى الاسلامي والغرب الاوروبي من جهة أخرى، وكانت مصر بحكم موقعها الجغرافي المتوسط من العالم حلقة الاتصال التجاري بين الشرق والغرب وقامت بدور رئيسي في نقل تجارة التوابل والبهار (الكارم) الآتية من الشرق الأقصى عن طريق التجار العرب والعمانيين الى الغرب الاوروبي.

وقد اعتمدت مصر في ازدهارها الاقتصادي منذ العصر الفاطمي على هذه التجارة وفقدت مصر ازدهارها الاقتصادي وبدأت حضارتها في الانحدار في أواخر عصر دولة

الممالك الجراكسة عندما اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح واحتكروا تجارة التوابل عبر البحر الأحمر وعبر موانئها الهامة كالقزم والفرما والاسكندرية ودمياط إلى الغرب الأوروبي^(١٨١).

وهكذا يرجع إلى العمانيين الفضل الأعظم في جلب سلع الشرق وأهمها التوابل إلى المراكز التجارية في الخليج العربي أو إلى بندر عدن لتحميلها سفن الكارمية عبر البحر الأحمر إلى مصر، وهم لذلك أسهموا بقدر كبير في الازدهار والرواج الاقتصادي الذي نعمت به مصر منذ القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن التاسع، وكانت التوابل المجلوبة من الهند وماليزيا تحمل في السفن العمانية والعربية لتصل إلى أيدي التجار المصريين في السفن المصرية في البحر الأحمر عن طريقين:

أما الطريق الأول، فهو أن تبحر السفن العمانية إلى ميناء عدن الذي كان طوال العصور الوسطى الإسلامية^(١٨٢)، ملتقى للسفارات، فكانت سفن الهند والصين وسيلان وقاليقوت وفارس وعمان والبحرين والحبشة تلتقي هناك في عدن، ومن عدن تصل التجارة إلى مصر. أما عن طريق البحر أو البر^(١٨٣)، فكانت السفن تخرج من ميناء الشحر في طريقها إلى عدن، وكان الطريق من الشحر إلى عدن يتفرع فرعين: طريق بري جبلي يخترق الهضبة اليمنية مارا بتعز وأب وذمار وصنعاء وصعدة، ومنها إلى مكة، وطريق سهلي ينقسم بدوره إلى فرعين أيضا: أولهما بحري يسير بمحاذاة الساحل ويربط بين المواني اليمنية التي تمتد على طول ساحل البحر الأحمر حتى جيزان شمالا، وثانيهما إلى داخل تهامة ويمر بالمدن التهامية الهامة مثل موزع وحيس وزبيد ومور ثم يلتقي بالطريق الساحلي عند جيزان، ومن هناك يواصل الطريق امتداده إلى الساحل حتى يصل إلى مواني البحر الأحمر حيث كانت السفن المصرية ترسو انتظارا لوصول هذه التوابل^(١٨٤).

ويذكر بعض الباحثين أن المسلمين في الحبشة قاموا بدور بارز في نقل تجارة الشرق الأقصى إلى مصر، فكانوا يحملون المتاجر التي ينقلها العرب بحرا من عدن إلى زيلع وعدل، وبرا إلى الشمال إلى عيذاب حيث ينتظرها التجار لنقلها إلى قوس فالقاهرة. هذا إلى جانب أن بعض التجار كانوا يسرون مع الطريق السابق إلى سواكن فقط ومنها يخترقون السهل السوداني إلى النيل النوبي حيث يصعدون بها برا إلى القاهرة^(١٨٥).

أما الطريق الثاني، فهو في صورتنا أما أن تواصل السفن العمانية المحملة بالتوابل طريقها في المحيط الهندي حتى تصل إلى مراكزها التجارية على الساحل الشرقي لأفريقيا ومن هناك تصعد سفنها حتى تصل إلى البحر الأحمر حيث تلتقي بالسفن المصرية فتحمل السفن المصرية بالتوابل وتبدأ رحلتها التجارية منذ تلك اللحظة^(١٨٦)، أو أن تواصل السفن العمانية والعربية التي تتولى نقل التوابل من جزر الهند الشرقية إلى مصر، الأبحار في مياه البحر الأحمر بمحاذاة ساحله نهارا حتى تتجنب الشعاب المرجانية إلى أن تصل إلى القزم^(١٨٧). أو عيذاب التي أصبحت بداية من العصر الفاطمي المركز الرئيسي في البحر الأحمر لتجارة الهند واليمن والحبشة.

أثر التفوق التجاري لعمان على علاقتها بالمغرب والأندلس:

ذاع صيت العمانيين وتوقعهم التجاري في عالم المحيط الهندي، حتى بلغ اسماء أهل المغرب والأندلس الذين كانوا يحكم تطرف بلادهم يتوقعون إلى زيارة المشرق الإسلامي مهد الحضارة الإسلامية ومصدر السلع النادرة والتحف النفيسة. ومن

هنا بدأت الرحلة الى المشرق، وكانت عمان من أهم أهدافها. وتتمثل علاقة المغرب الوثيقة بعمان فيما وصفها به كل من الجغرافي الشهير الشريف الإدريسي، وابن بطوطة الطنجي عقب زيارته لها في رحلته الشهيرة^(١٨٨). فالإدريسي أسهب في وصف عمان وأورد في خريطته ذكر ظفار ومسقط ونزوى وصحار وجلفار. والمطلع على كتاب نزهة المشتاق يتبين له مدى اهتمامه بعمان، خاصة إذا عرفنا أن بعض المعلومات التي سجلها الإدريسي عن عمان كانت تصله أثناء تأليفه لكتابه. أما ابن بطوطة فقد زار عمان بنفسه فجاءت أوصافه لها دقيقة ومفصلة. ويرى بعض الباحثين أن ثمة تشابها قويا بين أهل المغرب وأهل عمان يدلل أن في المغرب بعض الأسر التي تنتمي إلى أصول عمانية أمثال أسرة الغساني والحارثي والزبيدي والسالمي^(١٨٩).

أما بالنسبة للأندلس، فقد كانت الرحلة المشرقية من أهم الأهداف التي كان يضعها العلماء والتجار وطلاب العلم نصب أعينهم، وكتب التراجم تزخر بأسماء العديد من علماء الأندلس وتجارها الذين رحلوا إلى الشرق الإسلامي طلبا للعلم أو بهدف التكسب من التجارة^(١٩٠) وكانت عمان ومدنها من بين المناطق التي كانوا يمررون عليها وينزلون بها.

وقد كانت الرحلة الأندلسية إلى المشرق الإسلامي تتم بحرا من ثغور الأندلس الجنوبية الشرقية، مثل دانية والمرية ولقنت إلى الاسكندرية، ومن الاسكندرية عبر خليجها بالسفن النهرية إلى نهر النيل جنوبا حتى يصلوا إلى قوص ثم يتجهون شرقا حتى يصلوا إلى عيذاب المطلة على بحر القلزم، ثم تنقلهم السفن إلى عدن فعمان فالأيلة والبصرة عبر الخليج العربي، أو يستكملون الرحلة إلى الهند والصين. وقد يسلكون الطريق البري من دمشق إلى العراق، ومن هناك إلى الخليج وبحر الهند^(١٩١) وكانت الاسكندرية في نظر أهل المغرب والأندلس باب المغرب كما كانوا ينظرون إلى صحار قسبة عمان على أنها دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوة اليمن^(١٩٢).

ومن أشهر منتجات الأندلس التي كانت تجلب إلى المشرق الإسلامي وبلدان الشرق الأقصى زيت الزيتون^(١٩٣). ومن المعادن الزئبق والكبريت الأحمر وحجر المرقيشينا الذهبية ومعدن الكحل ومن الأصباغ القرمز والمغرة، ومن المنسوجات الثياب السندسية التي كانت تصدر إلى الهند والمنسوجات الحريرية إلى اليمن. كما راجت تجارة الرقيق الأبيض من الصقالبة والجلالقة على أيدي اليهود. أما التجار العمانيون فكانوا يحملون إلى الأندلس السلع المشرقية التي سبق أن تحدثنا عنها كالبواقيت والجواهر والآلات والحريير الصيني والغضار والتوابل والبهار^(١٩٤).

وهكذا فإن تفوق العمانيين في التجارة والملاحة البحرية، أدى إلى نبوغهم في علم الملاحة وفي كل ما يتصل به من استخدام أو اختراع آلات أو تدوين مرشدات فلكية وبحرية.

أما فيما يتعلق بالآلات الفلكية المساعدة على الملاحة والارشادات التي يستعين بها نواخذة عمان في قيادة سفنهم سواء ما يتعلق بمسار الرياح ومصادر هبوبها أو التيارات البحرية المواتية للاقلاع وحركات المد والجزر، فقد كانت متوافرة دوما لدى النواخذة والملاحين العرب منذ عصر مبكر، فمن المعروف أن علماء الفلك المسلمين أمثال محمد بن موسى الخوارزمي والبتاني والبيروني قد فاقوا علماء اليونان القدماء، وكان الملاحون العمانيون والسرافيون يستخدمون بيت الأبرة والبوصلة

الملاحية^(١١٥) ووردة الرياح أو دفاتر الارشادات البحرية التي كانت تعرف باسم رهماني، وتتضمن معلومات اضافية عن الرياح ومصادر هبوبها، وعن السواحل والشعاب والجدول الفلكية والملاحية ومواسم السفر. وقد شاهد القديس امثال هذه الدفاتر مع بعض مشايخ البحرين، وعلق على ذلك بقوله (اما انا فسرته فيه أي البحر الكبير المعروف بالهندي، نحو الفي فرسخ، ودرت على الجزيرة كلها من القلزم الى عبادان سوى ما توهت بنا المراكب الى جزائره ولججه، وصاحبت مشايخ فيه ولدوا ونشأوا من ربانيين وأشامة ورياضيين ووكلاء وتجار، ورايتهم من أبصر الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره، فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده، ورايت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها، فعلقته من ذلك صدرا صالحا بعدما ميزت وتدبرته ثم قابلته بالصور (أي بالخرايط الملاحية) التي ذكرت^(١١٦). ومن أمثلة هذه الدفاتر كتاب الفوائد لابن ماجد^(١١٧) الذي صحح فيه الكثير من اخطاء سابقيه، وسجل فيه خبراته وتجاريه التي اكتسبها من خلال اشتغاله ربانا لسنتين طويلة وكتاب المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر لسليمان المهري، ومن أشهر المرشدين من قدامى الملاحين العرب المعلم خواشير بن يوسف الازكي الذي أقبل فيما يقرب من عام ٤٠٠ هـ على سفينة هندية وسار على امتداد الساحل الشرقي والجنوبي الشرقي لأفريقيا.

ونتبين من خلال ما سجله نواخذة بحر الهند والصين وأرباب المراكب العمانية في كتب الارشاد الملاحي والدفاتر، انه كان يتعين على الملاح أو قائد السفينة ان يكون ملما تماما تاما بالظواهر البحرية، كالمد والجزر والتيارات البحرية الموسمية والمساعدة والدوامات المائية في المضائق (الدردور)، وحركات الرياح الموسمية وما يتبعها من تحرك مياه البحر.

وهكذا كان الملاحون العمانيون ملمين تماما بكل ما يتعلق بركوب البحر، وكانوا أمهر الناس في ذلك بشهادة الكتاب والمؤرخين قدامى ومحدثين، كما مهروا في صنع الأدوات والادوات التي تلزم لتأمين رحلاتهم والوصول بسفنهم الى أقصى البلدان التي تطل على المحيط الهندي وبحر الزنج والصين. وطبيعي أنهم لن يصلوا الى هذه البلدان الا على متن سفن أسطولهم البحري، ومن ثم وجب الحديث بتفصيل عن هذا الاسطول.

الفصل السادس

الأسطول العماني ودوره في تاريخ عُمان

كان لموقع عمان وأطلالها على بحار واسعة، واشتغال معظم أهلها بالتجارة والملاحة والصيد، أثر كبير في نشأة الأسطول العماني وفي بناء السفن. وإذا كان بناء السفن قد خصصنا له الفصل التالي، فانتنا في هذا الفصل سنلقي الضوء على الأسطول العماني ودوره في تاريخ عمان وخاصة في العصور الإسلامية وما تلاها.

ومعروف أن أهل عمان كانوا من الأوائل الذين اعتنقوا الإسلام في الجزيرة العربية وأخلصوا له كل الإخلاص، ولذلك فإنهم لم ييخلوا بجهودهم في سبيل نصرته وفي القيام على توسيع نطاق دولته، ومن ثم نراهم يضعون أسطولهم البحري تحت تصرف المسلمين من أجل الفتوحات الإسلامية ونشر راية الإسلام متى اقتضى منهم الأمر ذلك^(١).

غير أن الظروف السياسية المستجدة على الساحة العربية الإسلامية بنشوب الخلاف بين علي ومعاوية، وبرزو الشراة فيما بعد، ونصرهم الحق بالبد أولاً، وقد كلفهم الشيء الكثير من المال والرجال، فأصبحوا محط غضب الأمويين ثم العباسيين، مما أثر بدوره على أرضاع عمان الداخلية وبالتالي على بحريتها بشكل عام، فاضطر عدد كبير منهم للهجرة إلى شرق أفريقيا وغيرها من المناطق^(٢).

فمثلاً في عهد عبد الملك بن مروان، الذي عين الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق، أرسل الأخير قوة بحرية لاختضاع أهل عمان، فمرست تلك القوة بالقرب من الجصة على ساحل عمان، وتمكنت من مفاجأة العمانيين، بمجيئها من ورائهم، وجرت معركة وادي حطاط. إلا أن العمانيين مالبشوا أن استعدادوا زمام المبادرة معتمدين على قواتهم البحرية والبرية، فقتلوا قائد الجيش الأموي ولاد من بقي حياً من قواته بالفرار عن طريق البحر، وحاول الأمويون غزو عمان مرات عدة إلى أن تمكنوا أخيراً من هزيمة سعيد بن عباد الجلندي، فلجأ إلى الجبل الأخضر، واستطاع أن يحسم الصراع في البحر، حيث استطاعت القوات العمانية البحرية تدمير الأسطول الأموي في مياه عمان، ولاد من بقي منهم سالماً بالفرار.

وعندما نقل العباسيون عاصمة الخلافة الإسلامية من دمشق إلى بغداد، أثر ذلك على البحرية العمانية بشكل إيجابي - ووصلت البحرية العمانية إلى ذروة قوتها في عهد هارون الرشيد - إذ امتنع أهل عمان عن دفع الضريبة له، فأرسل قوات بحرية ضخمة لاختضاع عمان وذلك في عام ١٨٧ هـ / ٨٠٢ م. إلا أن البحرية العمانية قد استطاعت بالتعاون مع القوات البرية أن تتغلب على القوات العباسية وتقتل قائدها، فاستشاط هارون الرشيد غضباً وحاول الانتقام لهزيمة قواته، فعاجلته المنية، واستشرى الخلاف بين ولديه الأمين والمأمون، مما شغل العباسيين عن شؤون عمان، فنهض الإمام غسان

بن عبدالله اليمحيدي بشؤون بحرية عمان، الامر الذي وفر لها الامن والرخاء، ولم يعكر صفو ذلك سوى الخلافات القبلية (النزارية القحطانية) بين أبناء عمان.

وتصدى ائمة عمان للقراصنة الهنود الذين نشطوا ضد سفن عمان وغيرها في عرض البحر وضد ثغورها (مثل دبا وجلفار وما حولها). فشكّلوا اسطولا خاصا من السفن الصغيرة والسريعة للتصدي للقراصنة، وكان معظمها مكونا من (الزوارق والشذاءات)، ولما كان العمانيون أقدر من الهنود في الشؤون الملاحية، فقد نجحوا في حملاتهم التاديبية وتعقبوهم الى شواطئ الهند^(٢).

وفي عهد الامام المهنا بن جعفر اليمحيدي الخروصي (٨٣٩ - ٨٤١م) اجتمعت له القوتان البحرية والبرية وازدهرت التجارة ازدهارا كبيرا، وكان الاسطول العماني في عهده يتكون من ثلاثمائة مركب للعمليات الحربية ولرد كيد العدو الخارجي^(٣).

وكان الاسطول العماني بالمرصاد لكل عدو يحاول تدنيس الارض العمانية او الاعتداء على سواحلها وممتلكاتها، ففي عهد الامام الصلت بن مالك الخروصي (٢٣٧ - ٢٧٣هـ / ٨٥٧ - ٨٨١م) هاجم الاحباش جزيرة سقطرى التي كانت تابعة لعمان واحتلوها، وقتلوا الوالي العماني عليها، فجهد الامام اسطولا ضخما بلغ تعداده أكثر من مائة سفينة ونازل الاحباش وانتصر عليهم انتصارا ساحقا وحرر تلك الجزيرة^(٤). وبلغ تعداد سفن الاسطول في عهد هذا الامام نيفا وثلاثمائة بارجة حربية مسلحة بالسلاح العصري في ذلك الحين ناهيك عن القوات البرية والقوات التي كانت ترابط في الثغور العمانية^(٥).

وعندما سيطر القرامطة على الخليج في عام ٣٣١هـ / ٩٤٢م، نازل الاسطول العماني الاسطول القرمطي، واستطاع الاسطول العماني ان يتصدى للاسطول القرمطي وان يدمره تدميرا كاملا، بعد ان اتبع استراتيجية جديدة في قتاله البحري^(٦) مكنته من الانتصار وبسبب الصراع بين القرامطة والبويهيين على أرض عمان أرسل البويهيين اسطولا ضخما الى عمان في عام ٣٥٥هـ / ٩٦٥م. فهاجمت تلك السفن الاسطول العماني وباغتته ودمرت ثمان وتسعين سفينة من اصل سفن الاسطول. واستغل بنو بويه تلك الفرصة فحاولوا احتلال اراض عمانية، ولكن البحرية العمانية لعبت دورا في طردهم، وتحقيق الانتصار، وانتهى الاحتلال البويهي لعمان في ٤٣١هـ / ١٠١٩م^(٧).

وفي عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م أصيب الاسطول العماني بنوع من الضعف، فخرج أمير هرمز المسمى محمود بن أحمد الكوستي فوصل الى قلعتها، وطلب من أهل عمان الخروج، فاعتذر كهلان قائلا: (ان أهل عمان ضعفاء لا يمكنون ما يسلمونه له، فغضب أمير هرمز، وهاجم ظفار، ونهب أموال أهلها وحمل الغنائم على مراكبه)^(٨).

ورغم الضعف الذي أصاب الاسطول العماني في هذه الفترة فقد بقي يسعى في المياه العربية والدولية، ولم يجابه بمنافسة قوية ذات شأن الى ان ظهرت السفن الأوروبية في المياه العربية، فبدأ التصدي الخطير والجاد لأول مرة، وكان على الاسطول العماني ان يصمد لهذه الهجمة الضارية، المتمثلة بالاسطول البرتغالي المتفوق من حيث العدد والتسليح، وكان يحكم عمان الامام محمد بن اسماعيل الذي بدأ حكمه في ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م، حيث ظهر الاسطول المذكور بقيادة الفونسو البوكيرك البرتغالي، واستطاع الاخير ان يحيل المنطقة الواقعة ما بين رأس الجد ورأس مستندم الى حطام^(٩).

وقد حاول المماليك والعثمانيون وغيرهم من المتضررين من الاسطول البرتغالي في

مياه المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج، التصدي له في عام ٩١٤هـ / ١٥٠٨م، إلا أن الأسطول البرتغالي تغلب عليهم جميعاً وأدى ذلك إلى تغيير مسار التجارة الدولية، وانقلبت الأساليب التجارية القديمة رأساً على عقب وتحول مسارها عن الخليج والبحر الأحمر إلى رأس الرجاء الصالح.

ولم يكتف البرتغاليون بذلك بل قاموا بضرب السفن والموانئ العمانية وأحرقوا مدينتها. ففي ٩١٣هـ / ١٥٠٧م وجه الأسطول البرتغالي ضربة إلى السفن العمانية في خور جراما وأغرقها، ثم هاجم ميناء قلهاة وقريات فأباد أهلها ودمر فيها حوالي ٨٣ سفينة، ثم هاجم مسقط ودمرها وأحرق سفنها^(١١). ناهيك عن أعمال الإبادة الجماعية وتشويه الأحياء، كل ذلك أضعف العمانيين فانتهك أسطولهم واقتصادهم، بعد أن انتزعت منهم معظم مراكزهم التجارية، ولذلك أصبح العمانيون بين خيارين إما مجابهة المعتدي بكل ما يملكون أو الاستسلام. وهذا معناه الموت المحقق.

وقد حسم العمانيون الأمر وقرروا التصدي للمعتدين، وحمل راية القيادة فيهم الإمام ناصر بن مرشد اليعربي في مطلع القرن الحادي عشر للهجرة (١٠٣٤هـ / ١٦٢٤هـ)، وحشد القوات البرية تساندها القوات البحرية العمانية واستطاع أن يسترد سواحل عمان من الغاصبين مابين جلفار وظفار^(١٢). ففي ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م قام العمانيون بمهاجمة البرتغاليين في مسقط وفر من نجا منهم إلى سفنهم بعد أن أسر ٧٠٠ برتغالي، وقام الإمام بمهاجمة مستودعات الذخيرة والأسلحة البرتغالية في المدينة واستولى عليها^(١٣).

وعلى أية حال فقد تعلم العمانيون من احتكاكهم بالبرتغاليين دروساً هامة، وأدركوا نقاط ضعف بحريتهم، ونقاط القوة في بحرية العدو، ولهذا سعوا إلى مضاعفة حجم سفنهم للوقوف على قدم المساواة مع سفن العدو البرتغالية. ومع بداية القرن السابع عشر سقطت الاسرة النبهانية التي كانت تحكم عمان وجاء إلى سدرة السلطة الاسرة اليعربية.

ومن البداية أدرك اليعاربة أن قوة عمان ومنعتها تكمنان في قوة بحريتها وتماسك جبهتها الداخلية، ولذلك سعى الإمام سيف بن سلطان اليعربي لاعداد أسطول بحري قوي يتصدى به للأسطول البرتغالي كما أدرك أنه لن يتم له ذلك دون تحقيق تماسك جبهته الداخلية واستطاع أن يحقق الأمرين معاً. ففي ١٠٦٠هـ / ١٥٦٠م وبعد تحرير مسقط من البرتغاليين، بدأت مرحلة جديدة من تاريخ البحرية العمانية ومن النفوذ العماني في الخليج التي امتدت زهاء قرنين من الزمن، واستطاعت عمان أن تتحول إلى مركز تجاري وملاحي وسياسي هام بالمقاييس العالمية، وأخذ العمانيون في توسيع نفوذهم السياسي والاقتصادي إلى ما وراء البحار، اعتماداً على أسطولهم، وامتد صراعهم مع البرتغاليين إلى الأجزاء الغربية من المحيط الهندي.

وساعد العمانيين في ذلك تسلحهم بنوع جديد من السفن الحربية الحديثة، وزيادة عدد وقوة المدافع فيها، وتخلوا إلى حد كبير عن سفنهم التقليدية واستخدموا سفناً كبيرة الحجم من الطراز الأوروبي، بني معظمها في الهند. وزودت بالمدفعية الحديثة^(١٤).

وقد تابع سلطان بن سيف (١٠٥٩هـ / ١٠٩١هـ / ١٦٤٩ - ١٦٨٠م) سياسة سلفه بملاحقة البرتغاليين وضربهم في جزيرة ممباسا ووصل إلى موزمبيق (١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م)^(١٥)، وشكل انتزاع قلعة يسوع على الشواطئ الأفريقية، أكبر ضربة للبرتغاليين وذلك في ١١١٠هـ / ١٦٩٨م، ومازال الأسطول العماني يتحرك

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

هنا وهناك ضد البرتغاليين، زاوفا الرعب في قلوبهم، منتزعا منهم الموقع تلو الآخر، ونتيجة لتصاعد القوة الهولندية في الخليج فقد سعت لارث الهيمنة البرتغالية، ولكن العمانيون لم يكونوا على استعداد لاستبدال بالسيادة البرتغالية السيادة الهولندية، وبدأ الصدام بينهما في ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م وما بعدها، فأخذت البحرية العمانية تهاجم السفن الهولندية في الخليج ومياه المحيط الهندي، وتقاوم الامر بانتقال الصراع الى ما بين العرب والفرس، مما دفع بالبحارة العرب الذين كانوا يعملون على سفن فارسية الى القضاء على قادتهم الفرس، واستيلائهم على السفن، وفشل الهولنديون في نجدة الفرس^(١٦)، ويمكن تفسير ذلك بأن البحرية العمانية كانت من القوة بحيث تصدت للهولنديين والفرس وتغلبت عليهما.

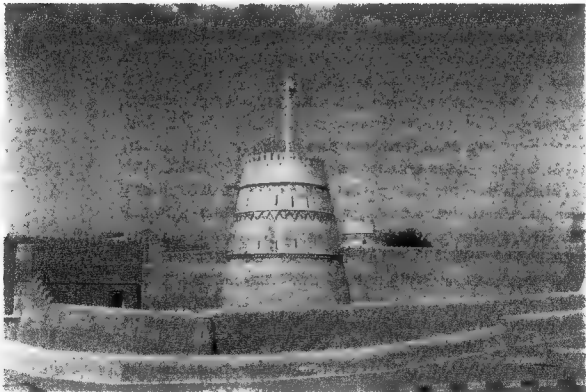
واستغل العمانيون انشغال القوى الأوروبية بتوطيد نفوذها في الهند، فوطدوا مراكزهم في شواطئ افريقيا الشرقية وجزر المحيط الهندي، وحاولوا توطيد علاقاتهم مع الدول والشعوب الاخرى، واقامة علاقات بحرية وتجارية واسعة.

وهكذا اصبح امام عمان في ١١١٢هـ / ١٧٠٠م يسيطر على قوة اقتصادية وبحرية تسيطر بدورها على منطقة تمتد آلاف الأميال عبر المحيط الهندي^(١٧).

وازداد الاسطول العماني عدة وعددا وتسليحا في اوائل القرن الثامن عشر. ويذكر لنا هاملتون: «ان قوة الامام البحرية سنة ١١٢٧هـ / ١٧١٥م كانت تتكون من سفينة بها سبعون مدفعا، وسفینتين في كل منهما ستون مدفعا، وسفينة اخرى تحمل خمسين مدفعا، وثمانية عشرة سفينة اخرى في كل منها ما بين ١٢ - ٢٢ مدفعا، وبعض الزوارق بها من ٤ الى ٨ مدافع، وان الامام قد نشر الرعب في صفوف الغزاة واساطيلهم في الساحل حتى البحر الاحمر^(١٨)».

ويقول مايلز: انه «على الرغم من تضخم الاسطول العماني الا اننا لانعرف تعداد

حسن الخندق
بالبريمي



سفنه ولكن ما نعرفه عنه ان بعضها قد بني على الطراز الاوروبي والبعض الآخر على الطراز العربي او الشرقي، ولكن بلا جدال كانت مسلحة تسليحا ممتازا ومعدة اعداداً رائعاً وتحقق هدفان في وقت واحد، الهدف الحربي والهدف الاقتصادي (تجارة - نقل - صيد الخ).

وكانت اسرة البصارية كما رأينا هي التي قادت عملية تحرير مسقط من البرتغاليين، وبنت أعظم اسطول لدولة غير أوروبية في المحيط الهندي، وامتدت سلطتها على طول الشاطئ الافريقي، ففي ١١٣٣هـ / ١٧٢٠م سيطرت على مقديشو ومباسا وجزر زنجبار وبمبا، وسيطرت على الخليج العربي وبحر العرب، ومشارف وادي الاندس وسواحل الهند الغربية^(١٩). وهكذا شكل الاسطول العماني اليد الطولى، فسيطر على تلك الممتلكات المترامية الأطراف وضرب أية قوة كانت تسعى للتمرد او الاتصال باقليم ما من اقاليم الدولة^(٢٠).

وفي عهد الدولة البوسعيدية اولى مؤسسها الامام احمد بن سعيد البحرية العمانية اهتماماً كبيراً^(٢١). واستطاع الاسطول العماني في ١١٧٠هـ / ١٧٧٥م ان يلحق هزيمة بالفرس، وتمكن الطراد (الرحماني) من ان يحطم سلسلة الحديد الفارسية في مدخل شط العرب، والوصول الى البصرة، واستطاع الاسطول العماني ان يطارد القراصنة الى سواحل مالابار ويقضي عليهم^(٢٢). ووصل عدد جيش الامام احمد بن سعيد في وقت الحرب من ١٥ - ٢٠ ألف مقاتل من المشاة وألفا من الفرسان^(٢٣).

وسيطرت البحرية العمانية على التجارة في افريقيا، وتحولت البحرية العمانية بيد الامام الى قوة يحسب حسابها في المحيط الهندي^(٢٤)، وسيطرت على سواحل افريقيا الشرقية ومدنيتي مكران وشوذبارة على شواطئ فارس، ثم جزيرة قشم في مياه الخليج وقامت بنقل جميع السلع التجارية من الجزر الفرنسية في المحيط الهندي الى الخليج، وجنت عمان من ذلك أرباحاً كبيرة من خلال تعاملها مع فرنسا.

وعلى الرغم من الاضطرابات السياسية التي عكرت صفو الأوضاع في عمان في بعض الأحيان فقد استطاعت اسرة البوسعيد ان تنشط الملاحة العمانية اعتماداً على اسطولها الذي كان يجوب المحيط الهندي، ودعمها لحركة التجارة خاصة في مسقط، ثم تنشيط الملاحة والتجارة في الخليج ما بين ١١٦٤ - ١٢١٥هـ / ١٧٥٠ - ١٨٠٠م، وقامت بتسيير الدوريات البحرية لتوفير الحماية، للأسطول العماني من القراصنة، واتصالها بالموانئ الأوروبية وغيرها مثل لندن وأمستردام ونيويورك^(٢٥).

والحقيقة فان وجود اسطول قوي كان امراً تفرضه العلاقات التجارية وظروفها في تلك الأزمنة فقد كانت حالة التنافر والصراع بل الحرب والقراصنة هي السائدة بين جميع القوى المحلية منها والأوروبية. وقد وصف تاجر تلك الايام بأنه مغامر يحمل سلطته في احدى يديه ويحمل سلاحه بيده الاخرى، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى لم تكن هناك سمات فاصلة تماماً بين تلك السفن الحربية وبين سواها من السفن، اذ ان جميع السفن كانت مسلحة بشكل أو بآخر، وفي الوقت نفسه كانت السفن الحربية تقوم بشحن السلع وتساهم في عمليات تجارية بحتة.

وتعدنا وثائق شركة الهند الشرقية الانجليزية ومشاهدات الرحالة الاوروبيين معلومات قيمة وكثيرة عن سفن عمان التجارية وعن أسطولها الحربي فمن الرسائل التي بعثت بها شركة الهند الشرقية الى الحكومة البريطانية، رسالة وصفت هذه الأوضاع التي كانت سائدة في الخليج العربي في أواخر الستينات من القرن الثامن

عشر، وذكرت القدرة البحرية لكل من القوى المحلية، في الخليج وجاء فيها ان امام مسقط يمتلك خمس او ست بوارج وغرابا^(٣٦)، يحمل بين ١٤ - ٢٠ مدفعا، كما يمتلك عددا من السفن الصغيرة والمسلحة^(٣٧)، ووصفت هذه الرسالة اسطول عمان التجاري في عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م بأنه يضم خمسين سفينة ما بين كبيرة وصغيرة^(٣٨)، وباستطاعته القيام برحلات سنوية الى مختلف مواني الشرق من البصرة غربا الى ملقا شرقا وان من بين الرحلات لهذا الاسطول التي اكتسبت شهرة وسمعة هي رحلة «اسطول البن» السنوية، اذ يأتي ذلك الاسطول بالبن من اليمن ويتجه به الى البصرة حيث يتم توزيعه من هناك الى مختلف انحاء الشرق الأدنى. ويصف «كرستين نيبور الذي زار المنطقة في عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م، العمانيين ويذكر اسطول البن هذا بشكل خاص فيقول: «العمانيون وهم اهل العرب في الملاحة يرسلون سنويا خمسين سفينة من صنف الترانكي» الى البصرة وهي مجهزة بالبن^(٣٩)». وفي ذلك الوقت بالذات، وصف الاسطول الحربي العماني بأنه يضم اربع سفن كبيرة وثمانين سفن صغيرة، وتقوم السفن الكبيرة في أوقات السلم بالتجارة مع شرق افريقيا، بينما تبقى السفن الصغيرة لحماية شواطئ عمان وموانئها^(٤٠).

وخلال العقود الثلاثة التالية حدثت زيادة هائلة في عدد السفن التجارية العمانية وفي قوة اسطول عمان الحربي. كما اخذ الاثر الاوروبي يظهر في بناء وتسليح السفن العمانية. ولذلك نلاحظ تردد هذه العبارة عند وصف السفن العمانية خلال القرن الثامن عشر «بأنها بنيت على الطريقة الأوروبية» كما ان كثرة المدافع وقوة التسليح كانا مؤشرين آخرين على الاثر الأوروبي.

وكانت تلك التطورات في صناعة السفن العمانية وفي تسليحها أكثر وضوحا خلال العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر. وقد صاحب تلك التطورات زيادة هائلة في عدد السفن العمانية الحربية منها والتجارية، فنشطت صناعة بناء السفن وكثرت وتوسعت الموانئ العمانية التي كانت تبني فيها مثل مسقط وصحار وصور، وازداد استيراد الأخشاب الصالحة للبناء من الهند الى الموانئ العمانية زيادة هائلة، ولم يكتف العمانيون بما كانت تقدمه لهم صناعتهم المحلية من سفن بل عمدوا الى شراء السفن الأوروبية من التجار وأصحاب السفن الأوروبيين العاملين في المياه الاسيوية. وبالإضافة الى كل ما سبق، لجأ العمانيون الى بناء سفنهم في الموانئ الهندية ذات السمعة المتميزة في هذا المجال مثل ميناءي بومباي وصورات.

وكان الرحالة ابراهيم برسنز في مسقط في صيف عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م وقد رأى الاسطول الحربي العماني رابضا في ذلك الميناء، لياخذ كامل استعداداته ضمن سلسلة من التجهيزات العسكرية ورفع الكفاءة الحربية للاسطول قبيل توجهه الى العراق لملك الحصار الفارسي عن البصرة.

ويقول برسنز عن ذلك الاسطول الحربي بأنه كان يضم ما لا يقل عن اربع وثلاثين سفينة، أربع منها كانت قد بنيت في بومباي، تحمل كل واحدة منها اربعة وأربعين مدفعا كما كان يضم خمس فرقاطات «FRIGATES»، تحمل الواحدة منها ما بين ثمانية عشر وأربعة وعشرين مدفعا، أما بقية قطع الاسطول فكانت «كتش KETCHES»، و«كالويت GALLIOTS».

وكانت كل سفينة من سفن هذا الاسطول تحمل عددا من المدافع يتراوح ما بين ثمانية وأربعة عشر مدفعا^(٤١)، ولعل عهد السيد سلطان بن أحمد (١٢٠٧ -

١٢١٩هـ/ ١٧٩٢ - ١٨٠٤م) خير شاهد على كل التطورات الآتفة الذكر، من حيث نوعية السفن وبنائها وعددها وقوتها. وقد وصف الاسطول التجاري في عهده بأنه كان يضم خمس عشرة سفينة كبيرة تتراوح حمولة الواحدة منها بين اربعمائة وسبعمائة طن، وإلى جانب ذلك كانت هناك مئات ومئات من السفن الاخرى المختلفة الأحجام والأصناف (٢٢) وكانت السفن الكبيرة تذهب إلى سواحل الملبار وملقا وبياتافيا، والسفن المتوسطة الاخرى تذهب إلى شرق افريقيا، والسفن الصغيرة تجوب مواني الخليج العربي والبحر الأحمر.

أما أسطول السيد سلطان بن أحمد الحربي فكان على جانب كبير من القوة والكفاءة، فسفينة القيادة فيه هي البارجة المسماة جنجانا كانت ذات حمولة ١٠٠٠ طن، وسفينة يمثل هذه الحمولة تعتبر في ذلك الوقت ضخمة جداً بالنسبة إلى كل أحجام السفن الآسيوية والأوروبية على حد سواء. وكانت هذه البارجة تحمل اثنين وثلاثين مدفعاً كما كان الاسطول يضم ثلاث سفن اصغر من هذه البارجة تحمل الواحدة منها عشرين مدفعاً، وكل هذه السفن المذكورة بنيت على الطريقة الأوروبية (٢٣)، وكان يوجد إلى جانبها عدد كبير من السفن الاخرى الاصغر حجماً وكانت كلها مسلحة تسليحاً جيداً.

وقد دعت قوة هذا الاسطول وحاجة البلاد إلى موارد مالية إلى قيام السيد سلطان بن أحمد بفرض رسم على السفن العابرة لمضيق هرمز إلى الخليج وعلى خروجها منه، مما أدى إلى إشعال نوار الحرب ساقرة بين عمان وبين الامارات الناشئة، ولم تكن الحركة الوهابية بعيدة عن دعم الامارات، وساعد العمانيين على التخلص من الضغط الوهابي، اجتياح قوات محمد علي باشا المصري الدرعية والاستيلاء عليها في عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م، ولم يلبث أن تطور الاهتمام بالاسطول العماني إلى حد كبير في القرن التاسع عشر للميلاد.

ومن غير شك فقد بلغت قوة عمان البحرية اقصاها في عهد السلطان سعيد بن سلطان (١٢١٩ - ١٢٧٣هـ/ ١٨٠٤ - ١٨٥٦م)، ولعل الجدول التالي يعطي فكرة جيدة عن الاسطول العماني خلال فترة من فترات حكم سعيد بن سلطان (٢٤)

السنة	الاسم	الوصف	المدفع	الحمولة بالطن
١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م	تاج بكس	مركب	—	٧٣٧
١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م	كارولين	فرقاطة	٣٦	٥٧٥
١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م	شاه علم	فرقاطة (١٨١ قدما و ٣ بوصات ٤١ × قدما و ٥ بوصات)	٥٦	١١١١
١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م	نوسري	درجة ثالثة	—	١٦٤
١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م	ليفربول	١٨٠ قدما و ٤٨ بوصات ٨ بوصات	٧٤	١٧١٥
١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م	سلطانة	مركب	١٢	٣١٢
١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م	تاجه	—	١٢	٢٠٢٥
١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م	نوسري	—	—	١٧٩

وهكذا شهد عهد السيد سعيد بن سلطان اهتماما كبيرا ببناء الاسطول التجاري والحربي، وكانت الموانئ العمانية مثل مطرح ومسقط وصور وشناص تشمل أهم أحواض بناء السفن من الأخشاب المستوردة من الهند وجاوة علاوة على الأخشاب العمانية الى جانب استخدام أشجار النخيل لبناء السفن الصغيرة.

وقد أمر السيد سعيد بن سلطان ببناء العديد من السفن التجارية والحربية في أحواض السفن في الهند وخصوصا في بومباي، ومن أبرز هذه السفن في تاريخ الاسطول العماني الحربي ما ذكرناه في الجدول السالف الذكر، وخاصة سفينة (تاج بكس) و(كارولين) و(شاه علم) و(ليفربول) و(سلطانة) و(تاجة). وقد أهدى السيد سعيد البارجة ليفربول الى الملك البريطاني وليام الرابع عام ١٨٢٤ هـ / ١٢٤٠ م. وأطلق عليها الأخير اسم (الامام) تكريما لمهديها السيد سعيد بن سلطان.

اما السفينة الحربية سلطنة فقد كانت من أهم قطع الحربية العمانية، وقد أرسلت الى ميناء نيويورك في الولايات المتحدة تحمّل هدايا للرئيس الأمريكي.

وكان الاسطول العماني الحربي والتجاري في الخليج العربي والمحيط الهندي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ثاني اكبر اسطول على الإطلاق ويأتي في المرتبة الثانية بعد الاسطول البريطاني، وكان لهذا الاسطول الضخم قواعد رئيسية على الساحل الشرقي للخليج العربي في مواني بندر عباس وجاسك وشامل وسياب ولنجة وجزر قشم وهرمز ولاراك، وكانت قواعده على الساحل العماني مواني مسقط ومطرح وجزيرة مصيرة. اما على الساحل الافريقي فكان لعمان قواعد بحرية في ممباسا ولامو وكوة ومركة ومقديشو وزنجبار. وكان السيد سعيد بن سلطان - سلطان عمان الذي حكم أكثر من نصف قرن دولة واسعة في الخليج العربي والمحيط الهندي - ينتقل بين ممتلكاته في عمان والساحل الافريقي، وكان يقضي فترة طويلة على ظهر السفن يتفقد بلدان هذه الدولة الشاسعة الاطراف، وفي السنوات الاخيرة من حكمه كان يفضل قضاء اطول مدة ممكنة في زنجبار يشرف على الممتلكات العمانية على ساحل افريقيا، وكانت له علاقات واسعة جدا مع زعماء القبائل الافريقية وملوك المقاطعات والجزر العديدة مثل مدغشقر وساعد على ذلك قوة اسطوله.

ومن أجل اعطاء صورة لقوة الاسطول العماني في عهده فقد ذكر احد التجار الامريكيين الذي زار زنجبار في بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر، ان السيد سعيد وصل البلاد على رأس قوة تتألف من سفينة مزودة بأربعة وستين مدفعا، وثلاث فرقاطات مزودة لكل منها بستة وثلاثين مدفعا، وسفينتين مزودة كل منهما بأربعة عشر مدفعا، وحوالي مائة مركب نقل عليها ستة الاف مقاتل. ورغم بعد الممتلكات العمانية في افريقيا عن عمان يكثر من القي ميل الا ان الاسطول العماني كان من القوة بحيث استطاع ان يحرس هذه الممتلكات الشاسعة الممتدة بين بندر عباس وزنجبار، كما استطاع ان يحرس عشرات الموانئ الواقعة على السواحل العربية والافريقية وعشرات الجزر المتناثرة في الخليج العربي والمحيط الهندي. وهكذا كانت مئات من السفن التجارية تجر ما بين الهند وجنوب جزيرة العرب

وأفريقيا يسلام.

وكان السيد سعيد بن سلطان قد أرسل سفينة عمانية في بعثة تجارية إلى نيويورك عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م، وكانت تلك السفينة التي تسمى (سلطنة) نقل سفيره أحمد بن النعمان الكعبي الذي كان أول مبعوث عربي يصل الولايات المتحدة. وقد زارت السفينة ذاتها لندن عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م تحمل السفير علي بن ناصر إلى الملكة فيكتوريا، وتشير الوثائق التاريخية إلى أن السفينة الحربية العمانية كارولين المزودة بستة وثلاثين مدفعا قد زارت مرسيليا عام ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م زيارة مجاملة حاملة الكثير من بضائع الشرق، وفي منتصف القرن التاسع عشر كان الاسطول العماني التجاري المسلح يتكون مما لا يقل عن مائة سفينة متعددة الحمولة، وكانت هذه السفن مزودة بمدافع يتراوح تعداد كل منها من عشرة مدافع إلى أربعة وسبعين مدفعا هذا بالإضافة إلى مئات المراكب التجارية الصغيرة.

ومن الجدير بالذكر أن السيد سعيد بن سلطان قضى أيامه الأخيرة يحيط المحيط الهندي على ظهر السفينة (فكتوريا) عائدا من مسقط، وقد توفي عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م على ظهرها وكانت بالقرب من جزيرة سيشل.

ولابد أن تتوارد الكثير من الأسئلة عن سر عظمة الاسطول العماني إبان عصر السيد سعيد. والجابة ليست صعبة في ضوء التطور الكبير الذي تحقق إبان عهده في حقل العلوم الملاحية، وكانت معظم هذه العلوم عمانية عربية أصلا، فقد مخر الملاحة العمانية المحيط الهندي منذ قرون قديمة واكتشفوا معظم السواحل الآسيوية والأفريقية قبل البرتغاليين والهولنديين والانجليز والفرنسيين والألمان. وقد ألف أساتذة العلوم البحرية العمانية العديد من الكتب في علوم الملاحة وفنونها، وقد ظلت كتب ومؤلفات العالم العربي الكبير أحمد بن ماجد والملاح العماني سليمان المهري دليل عمل لكل من اشتغل في قيادة السفن.

وكان الملاحة العمانية الذين ورثوا هذه الخبرة الملاحية منذ قديم العصور على نوعين، فمنهم من ورث الملاحة عن أبيه وجده، ومنهم من درس العلوم البحرية إما في الموانئ العربية أو في الهند، وكانت هناك اتصالات علمية بحرية بين عمان والإمارات الهندية الساحلية، كما كان هناك تعاون وثيق في بناء السفن. وقد عمد السيد سعيد بن سلطان إلى استقدام خبراء من بريطانيا وهولندا والبرتغال وفرنسا لتفقد السفن المصنوعة له في ترسانات صناعة السفن في بومباي.

وكانت الموانئ العمانية مهية لاستقبال السفن التجارية المختلفة من الدول الصديقة التي ترتبط معها عمان بعلاقات تجارية، والمؤلفات التي كتبها القناصل وقادة الأساطيل البريطانية والأمريكية والهولندية والفرنسية والألمانية خلال تلك الحقبة، تشير إلى التسهيلات الكبيرة التي كانت تقدمها سلطات الموانئ إلى تلك الأساطيل، وقد اثنوا جميعا على ما لاقوه من مساعدة وضيافة من قبل السيد سعيد بن سلطان وأولاده ومعتليه.

ومن أجل إعطاء مثل عن حجم الأساطيل الأجنبية التي كانت تزور الموانئ العمانية خلال فترة عهد السيد سعيد بن سلطان نذكر أن عدد السفن الأمريكية التي

زارت ميناء زنجبار عام ١٢٥٠هـ / ١٨٢٤م فقط كان ثلاثين سفينة تجارية، وقد أسست الولايات المتحدة قنصلية في زنجبار قبل اربع سنوات من تأسيس أول قنصلية بريطانية فيها.

وعند وفاة السيد سعيد بن سلطان عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م على ظهر السفينة (فكتوريا) قبالة شاطئ سيشل. كانت الدولة العمانية الشاسعة تملك اكبر اسطول تجاري وحربي في المنطقة الممتدة ما بين الخليج العربي وجزيرة مدغشقر، وكان لذلك الاسطول تواجد مهم في البحر الاحمر، كما كانت له علاقة وثيقة مع مواني بحر الصين ومواني بحر البنغال.

وإذا كان لأسطول عمان كل هذا القدر من الأهمية في تاريخها السياسي والاقتصادي، فانه بالضرورة لابد أن نتحدث عن صناعة السفن التي حققت لهذا الاسطول كل هذه الأهمية، وحققت له كل هذه القدرة وهذا التفوق الذي تميز به على مر عصور التاريخ.

الفصل السابع

صناعة السفن في عُمان

يكاد المؤرخون يجمعون على صعوبة تقديم سجل تاريخي متسلسل يوضح تطور صناعة السفن العمانية قبل وصول البرتغاليين الى مياه المحيط الهندي، ويرون ان الاعتماد في ذلك انما يكون على انواع المراكب التي تخلفت في عمان من العهود السابقة على وصول البرتغاليين، ومن بعض الاشارات التاريخية والأدبية المتفرقة في التراثين العربي والإسلامي لتطور أنواع المراكب العمانية التي كانت تستخدم قبل الإسلام وبعده، فضلاً عن الاستعانة بقرائن من مناطق أخرى من المحيط الهندي في غير عمان والخليج^(١). فالنصف الغربي من المحيط الهندي، من سيلان حتى شرقي أفريقيا، يكون وحدة ثقافية يجب تناولها كلا واحداً، فالأنماط التقليدية للسفن ترعى الحدود داخماً بين البلاد، والأدلة التي تأتي من غرب الهند قد تضارع في الأهمية تلك الواردة من الخليج العربي^(٢).

وعلى أية حال فاننا نستطيع أن نحدد دراستنا مكانياً بوضع حد فاصل بين سفن البحر الأبيض المتوسط وسفن غربي المحيط الهندي، كما اننا زمانياً نعرض للسفن العمانية قبل مجيء البرتغاليين ثم بعد مجيئهم، وأن كان هناك تداخل باستمرار للأنماط الأولى، وستتناول في هذه الدراسة التطور التاريخي لبناء السفن العمانية، ثم نتحدث عن أسماء هذه السفن وأنماطها وأنواعها، الى غير ذلك من الأمور التي تتصل بهذه الصناعة.

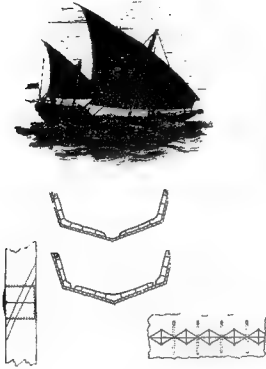
تطور صناعة السفن العمانية :

لعل الخصائص المميزة للسفن العربية في المحيط الهندي قبل التأثيرات الأوروبية كانت:

- استخدام الألياف في ربط أجزاء المراكب بدل المسامير.
- الشراع المثلث الممتد من المقدمة الى المؤخرة بدل الشراع العريض المربع.
- تشابه طري في جسم المركب.

وهذه الخصائص الثلاث موجودة في بقايا السفن التقليدية العمانية مثل البوم والزوارق والبدن، وأن كانت لا تجتمع في طراز معين من المراكب الا السنبوق^(٣).

وكان هيكل السفينة أو بدننها يصنع من خشب الساج^(٤). وكان هذا الخشب يستورد من الهند، وهو خشب شديد الاحتمال فاذا اتصل بالحديد لا يضره الحديد ولا يتضرر منه، كما انه مرن يسهل استعماله، وقد أشار اليه تيوفراستوس THEOPHRASTUS الذي عاش حوالي ٣٠٠ قبل الميلاد حيث قال: ان في جزيرة تيلوس (أي البحرين) تجاه الساحل العربي نوعاً من الخشب يبنون به سفنهم، وأنه يكاد يمتنع على الإلي اذا القي في ماء البحر، فهو يبقى اكثر من مائتي سنة اذا ظل في الماء، فاذا أخرج كان اسرع الى التلف وأن لم يتطرق اليه الا بعد حين. ويعلق جورج فضل حوراني على ذلك بقوله: ولما لم يكن في منطقة الخليج العربي مثل هذا الخشب الطويل



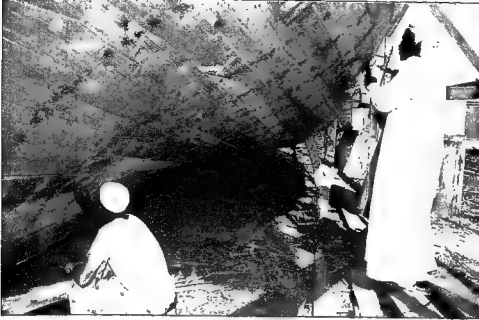
سفينة عمانية شراعية

البقاء، فمن المؤكد انه ساج مستورد من الهند^(٩). وكذلك النارجيل أو جوز الهند، فقد كان العرب يستوردونه من الهند وجزرها أو يذهبون الى مواطنه نفسها لبناء سفنهم فيها. وكانت جزر ملديف ولاكديف مسرحا لنشاط بالغ في بناء السفن^(١٠)، وقد جاء في الجزء الثاني من أخبار الهند والصين الذي اضافه أبو زيد حسن السرياني والمدون على الأرجح في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، «ان بالهند عبادا في شرائعهم يقصدون الجزائر التي تحدث في البحر فيغرسون بها النارجيل ويستنبطون الحياة، وبعمان من يقصد الى هذه الجزائر التي فيها النارجيل ومعهم آلات النجارة وغيرها، فيقطعون من خشب النارجيل ما ارادوا فاذا جف قطع الواح، ويتكون من ليف النارجيل ما يخرزون به ذلك الخشب ويستعملون منه مركبا ويحتون أدقلا (جمع دقل وهو الصاري)، وينسجون من خوصه شراعا ومن ليفه خرابات وهي القلوس عندنا (أي الحبال)، فاذا فرغوا من جميعه شحنت المراكب بالنارجيل فقصدها عمان فبيع وعظمت بركتة ومنفعته»^(١١). كما كان من الأخشاب الداخلة في صناعة المراكب العمانية القرط والسدر (وهما نوعان من شجر

السنط) وهي أخشاب صلبة، ولهذا فان صناعة المراكب في عمان كانت تعتمد اعتمادا كبيرا على أخشاب تنمو في عمان نفسها على عكس هذه الصناعة في بقية الخليج^(١٢). وكان الهيكل يثبت على أبسط وجه ممكن، فتوضع العارضة أولا على الأرض ثم تربط اليها ألواح أفقية على كلا الجانبين بحبال من ليف، وتشد هذه الألواح الى بعضها بهذه الحبال ايضا. وكانت ألواح الجانبين متلاصقة الاطراف CARVEL BUILT لان السفن التي تتركب فيها الألواح الخارجية بحيث تغطي اطرافها بعضها بعضا CLINKER - BUILT وليدة مياه شمال أوروبا، ولم تعرف في المحيط الهندي قبل القرن السادس عشر^(١٣).

وكانت الخيوط تغرز خلال ثقوب تدق على أبعاد معينة قرب أطراف الألواح المتجاورة، وكانت الألواح تثبت بالخيوط وليس بالمسامير. وقد ذكر أبو زيد السرياني مراكب العرب المخيطة في الجزء الثاني من كتاب أخبار الهند منذ أكثر من أحد عشر قرنا^(١٤). وهناك أكثر من تبرير لاستخدام الحبال بدل المسامير في تثبيت ألواح هيكل السفينة في النصف الغربي من المحيط الهندي قبل القرن الخامس عشر أو السادس عشر، منها تبريرات عقلية وأخرى اسطورية.

فالْمُؤَرِّخ البيزنطي بروتوكيوس يشير الى انتشار هذه الطريقة في القرن السادس الميلادي ويعلمها بأن التكاليف والجهد اللذين تتطلبهما الطريقة اليونانية والرومانية (أي استخدام المسامير الحديدية) جعلت العمانيين يفضلون طريقة الحبال المصنوعة من الألياف كانت موادها متوافرة وتكاليفها أقل^(١٥)، ويحاول المؤرخ البيزنطي ان يعط



صناعة السفن في
صور إحدى
الصناعات القديمة

نشأتها بقوله: لعلها انبثقت عن القوارب المصنوعة من ألياف القصب المشدودة والتي كانت معروفة في سومر خلال الألف الثالثة قبل الميلاد^(١٢).

ومع أن بروكبيوس يذكر أن صناعة الحديد كانت بالرغم من هذا - متقدمة في إيران والهند خلال العهود اليونانية والرومانية مثلما كانت في اليونان بل لعلها تتفوق عليه، إلا أن الرحالة الشهير ماركو بولو عندما زار هرمز القديمة بعد ذلك بسبعة قرون علل استخدام المسامير في السفن بعدم وجود حديد لصنعها، ولهذا كانوا يستعملون مساند خشبية^(١٣)، وفي رواية أخرى له أن صلاحية الخشب المستخدم في بناء السفن يتشقق إذا دقت فيه مسامير الحديد، ويرد على ذلك حوراني بقوله: أن خشب الساج طبع إلى حد بالغ^(١٤).

وقد أشار إلى هذه الظاهرة أيضاً جغرافيو العرب وحاولوا أن يعللوا كالأدريسي (٩٣٠ - ٥٦٠ هـ / ١١٠٠ - ١١٦٥ م) وابن جبير (٥٤٠ - ٦١٤ هـ / ١١٤٥ - ١٢١٧ م) اللذين رأيا أن المراكب المخيطة بالليف ذات القيعان المطلحة أكثر مرونة وأمناً إذا أصابت قاعاً قريباً فاصطدمت بالصخور أو جلست عليها، مما لو كانت مبنية بمسامير حديدية. فالشعاب المرجانية بالبحر الأحمر - في رأيهما - من أسباب تفضيل استخدام حبال الليف على المسامير.

ويرى المسعودي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) سبباً آخر لعدم استعمال المسامير في البحر الأحمر، إذ أن ماء يذيب الحديد فترق فتضعف فاتخذ أهله الخياطة بدلاً منها وظلت بالشحم والنورة. ويرى الدكتور أنور عبدالمعطي أنه ربما كان هذا تعليلاً مقبولاً إذ أن اشتداد الرطوبة في البحر تسبب سرعة صدأ المسامير الحديدية، ولهذا كانت مراكب اليونان القديمة تستخدم وقاية من الرصاص تصب فوق رؤوس المسامير لحفظها، كما أن بعض المراكب اليونانية والرومانية التي انتشلت مؤخراً من البحر المتوسط كانت تستخدم مسامير النحاس، أما قدماء المصريين فقد استخدموا طريقة تعشيق الخشب ببعضه ببعض أو استعمال خوابير خشبية لهذا الغرض

بالإضافة الى شد الألواح بالحبال^(١٥).

ويقال أن بهوجا BHOJA الكاتب السنسكريتي القديم، أول من قال ان في البحر صخورا من المغناطيس تجذب السفن المثبتة بالحديد الى حتقها، ثم تظهر هذه الاسطورة بعد ذلك في أكثر من كتاب، حاول بعض مؤلفيها انفسهم الذين أوردوها أن يحضوها^(١٦). وقد استغل القصاص الشعبي هذه الفكرة في حكاياته، ففي كتاب ألف ليلة وليلة تحكي شهر زاد في الليلة الثالثة والخمسين حسب النص الذي ترجم عنه جالان ألف ليلة وليلة الى الفرنسية، والليلة الرابعة عشرة طبقا للنص المنشور مطبعة القاهرة قصة الحمال مع بنات بغداد وفيها اشارة الى جبال المغناطيس التي تجتذب اليها مسامر السفن فتفكك ألواحها وتغرق^(١٧).

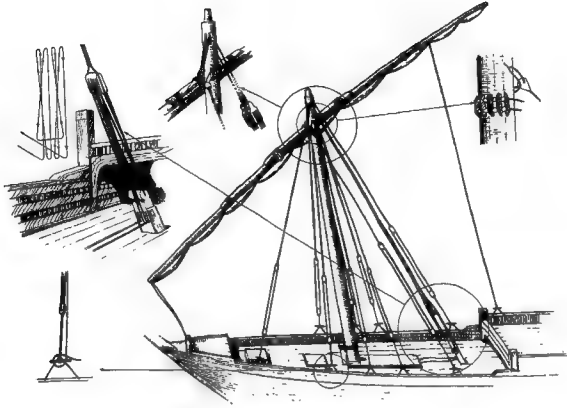
ويعلل الدكتور حسين فوزي قصة جبل المغناطيس بالتيارات البحرية المجهولة التي كانت تدفع السفن فجأة الى شاطئ صخري وتحطمها، فيعزو الملاحون، أو ربما كان المسافرين مسؤولين عن الخطأ في التفسير، هذه الحوادث الى صفات في صخور الشاطئ نفسها، لا الى قوة التيار الذي قذف بسفنهم الى البر^(١٨).

وبعد تركيب الهيكل وتثبيت الواح بالخيوط كان لا بد من مضاعفة صموده أمام تأثير البحر وعوامل الزمن، ولهذا تأتي عملية القلطة (أي سد خروز السفينة) وذلك بمزيج من القار أو الراتنج ودهن الحوت^(١٩)، أو الشحوم والنزرة وهي عجينة من الجير^(٢٠) وفي ذلك يقول ابوزيد السيرا في تكملته لكتاب أخبار الهند والصين «والصياورون اذا ظفروا بها (أي بصوت من الحيتان) طرحوها في الشمس وقطعوا لحمها وحفروا لها حفرا يجتمع فيها السودك (أي الدهن) ويغرف من عينها اذا انابت الشمس بالحرارة، ويجتمع فيباع على أرباب المراكب ويخلط بأخلاق لهم يمسح بها مركب البحر يسد خرزها ويسد أيضا ما ينفق من خرزها فيباع ودك الحوت بجملة من المال»^(٢١).

ويقول الادريسي وهو يصف الحيتان في المحيط الهندي «وذكروا (أي الربابة) ايضا انهم يتصيدون ما صغر منها، فيطبخونها في القدور، فيذوب جميع لحمها ويعود شحما مذابا... وهذا الدهن مشهور في بلاد اليمن وعدن وقارس وبحر الهند والصين، وهو عمدتهم في سد خروق المراكب»، وكان الغرض أيضا حماية القاع من دودة السفينة^(٢٢). وقد قام العمانيون بأطول رحلاتهم البحرية وأعظمها بهذه السفن المخيطة، لكن كثيرا من هذه السفن كانت سريعة التقادم سريعة الغرق اذا بدأت احداها تهبط في الماء، وحتى اذا لم تغرق السفينة، كان لا بد من قذف الماء من بطنها، لأن الواحها كانت تسمح بتسرب الماء لأنه لم يكن لها ظهر^(٢٣)، ولهذا نقرأ في كتاب مثل كتاب عجائب الهند الذي ألفه برزك شهباز الناخذة الرام هرزي في القرن الرابع الهجري قصصا كثيرة تدور حول سفن تغرق، وما رحلات السندباد السبع في كتاب ألف ليلة وليلة الا مستوحاة من مثل هذه الحوادث فهي سبع سفن غارقة.

وبمجيء السفن الأوروبية الى المنطقة في أوائل القرن السادس عشر تطور بناء كثير من السفن بحيث أخذ الحديد يحل شيئا فشيئا محل الخيوط، وإن ظلت بعض السفن تستخدم الخيوط في بنائها على السواحل التي تأخر تأثرها بالتطورات الحضارية الحديثة.

وفي الحالتين: حالة السفن المخيطة والسفن ذات المسامر، كان صانع السفن



رسم ايضاحي
لاجزاء سفينة

العماني يستخدم أدواته البسيطة مثل الأزميل والمثقاب اليدوي والمطرقة والقديم والمنشairs بأنواعها والمسحج (الفارة) وحديد القلقة، وكان هذا الصانع لا يستعين بأية تصميمات أو رسوم عند بناء السفينة، بل يعتمد على خبرته ومهارته وتعلمه من أسلافه، ولهذا فإن حرفة صناعة السفن في ميناء مثل صور كانت ذات طابع عائلي^(٢٤).

والمركب ذات الطرفين المتشابهين، والجهاز الموجه بالحبال، والتي تدخل الخيوط في بناء بعض أجزائها، كانت طرازاً منتشرة في المياه العمانية منذ حوالي مائتي عام. ومن الجائز أن تكون هذه المجموعة تمثل طرازاً حافظ على هذه الخصائص دون أن تمسها المؤثرات الأوروبية الوافدة. ولم يش صناع السفن العمانيون اضعاف لمسة جمالية على مقدمات سفنهم ومؤخراتها، وذلك بحفر أشكال زخرفية حقراً دقيقاً كالأهلة والنجوم أو الزهور وأوراق الشجر، حتى لقد كان هناك متخصصون في هذه العملية الجمالية ممن يجيدون فن الحفر وطرقه المختلفة، وهو فن لم يقتصر على السفن وحدها بل امتد إلى الأبواب والنوافذ الخشبية أيضاً.

وكانت الدفة الجانبية أو مجداف التوجيه هي النوع الوحيد من الدفات الذي عرفه العالم القديم والعالم الوسيط. وفي القرن الثالث عشر الميلادي ظهرت دفة المؤخرة في أوروبا والخليج في وقت واحد، ولعل العرب قد ابتكروا في ذلك الوقت دفة المؤخرة التي تتحرك بجهاز التوجيه بالحبال على النحو الذي كان موجوداً في وادي النيل خلال القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، والذي ظل موجوداً في مركبي

البدن والبقارة العمانية^(٢٥).

أما الصاري أو السدقل ومعناه في الأصل جذع النخلة دلالة على المادة الأصلية للصواري حول سواحل الجزيرة العربية، فقد كان يصنع في القرون الوسطى من شجر جوز الهند أو خشب الساج.. ويبدو أن الصواري كانت أطولها تصل إلى ارتفاع بعيد بالنسبة إلى أطوال السفن كما هو الحال في المراكب العربية الحديثة، إذ يذكر صاحب كتاب عجائب الهند سارياطوله خمسون ذراعاً^(٢٦).. ونستنتج من ذلك أيضاً أكثر من إشارة وردت في التراث البحري العربي للمحيط الهندي^(٢٧).

أما الأشرعة فكانت تصنع إما من سعف النخيل أو سعف النارجيل أو القطن. وفي القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي كان في صحار ومجيس على ساحل الباطنة زراعة مزدهرة في عمان وربما - كانت في عمان قبل البرتغاليين - لنسيج القماش الذي كانت تصنع منه الأشرعة، والا فإن الأقمشة كانت تستورد من الهند. وكان المركب يحمل شراعين، شراع لليل والجو العاصف، وشراع للنهار والجو المعتدل، ولم تكن هناك وسيلة لطى الأشرعة عندما يكفهر الجو وتقليل مساحتها^(٢٨).

وقد اختلفت السفن العربية بالشراع المثلث الشكل، ويشبه كثير من كتاب التراث البحري الشراع بأجنحة السمك أو زعانفه مما يوحي بأن الشراع مثلث^(٢٩)، وهو شراع بطول السفينة يتم تثبيته في المقدمة والمؤخرة، هذا بينما كان الشراع المستخدم في البحر الأبيض بوجه عام هو الشراع المربع ذو الحبال المربعة، كما كانت السفن الهندية تستخدم في القرن السابع للميلاد الشراع المربع أيضاً. ومعنى ذلك أن أهل الجزيرة العربية كان لهم دور في تطوير الشراع.

ويتفق المؤرخون على مرور الشراع بأربع مراحل في تطوره:

- الشراع المربع: وكان هذا الشراع يكاد يكون عاماً في العالم القديم، وقد ظل يستعمل حتى عهد قريب على السناييق في عدن إلى جانب استعمال الأشرعة المثلثة وبقي استعماله في المياه العمانية حتى وقت متأخر من عام ١٢١٠هـ / ١٩٧٦م^(٣٠)، ويمتاز الشراع المربع بقدرته على الرسوخ والثبات على السفن الكبيرة وتأمين استقرار المركب في البحار المضطربة، إلا أنه يصعب التحكم فيه إذا كانت الرياح معاكسة.

ولهذا كان من الطبيعي التفكير في شراع متطور يكون أقدر على الإبحار في الاتجاه العاكس للرياح، وعند تحويل مجرى السفينة في الانسهار ومجاري المياه الضيقة. وقد تم ذلك بتركيب شراع مربع يمتد من المقدمة إلى المؤخرة مع أمالة طرف مقدمته إلى أسفل، وهذا هو الشراع المربع المائل BALANCE - LUG. وقد شاع استخدام هذا الشراع بوجه خاص في بلاد الملاحة النهرية حيث المجرى محدود بخلاف الأبحار في المحيطات.

- الخطوة التالية تقصير مقدمة الشراع ورفع مؤخرته حتى يزداد امتداده الخلفي وبالتالي تزداد قدراته على استقبال الرياح، ونشأ عن هذا التطور الشراع المثلث LA-TEEN الذي نجده منتشراً في النصف الغربي من المحيط الهندي. ويرجح جورج هوراني أن العرب جاؤوا بالشراع المثلث إلى البحر المتوسط وأنه إن صح هذا عد من أياديهم الجلييلة على الحضارة، فلولا الشراع المثلث لما تمت رحلات المحيط التي قام بها المكتشفون العظام^(٣١). ويقول كلاوز في كتابه «السفن الشراعية» أنه في عام ٨٠٢هـ / ١٤٠٠م، كانت السفن في الشمال تعتمد اعتماداً تاماً على الريح المواتية، وكانت عاجزة كل العجز عن أن تمضي قدماً في وجه الريح المضادة، بل انها لم تحاول ذلك



مركب البغلة

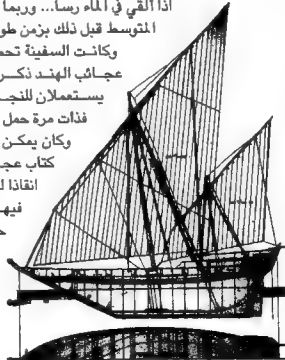
أبداً، ولكنها استطاعت قبل عام ٩٠٥هـ / ١٥٠٠م أن تقطع رحلات المحيط الطويلة التي أسفرت عن اكتشاف كولومبس لأمريكا، ومروور دياز DIAZ حول رأس الرجاء الصالح، وفتح فاسكودي جاما أبواب التجارة مع الهند (٣٢).
— ثم حدثت التعديلات الأخيرة على الشراع قبل عام ٢٨٧هـ / ٩٠٠م، وهو تصميم الجزء الأمامي للمركب بشكل مدبب وبهذا التعديل أصبح الشراع تام التثليث TRIANGLER.

وكان الأنجر أو المرساة يصنع إما من حجر في وسطه ثقب للبحال، أو من خشب يتم تفريغه ثم يصب في الفراغ رصاص مذاب فيصبح كالصخرة إذالقي في الماء رسا... وربما عرفت المراسي المعدنية كما عرفت في البحر المتوسط قبل ذلك بزمان طويل (٣٣).

رسم للقارب البغلة

وكانت السفينة تحمل على ظهرها مراكب صغيرة، ففي كتاب عجائب الهند ذكر للقارب والدونيغ أي الزورق، وكانا يستعملان للنجاة، ويبدو أن القارب كان أكبر من الدونيغ، فذات مرة حمل خمسة عشر رجلاً مقابل أربعة في الدونيغ، وكان يمكن أن يحمل ثلاثة وثلاثين. ويروي صاحب كتاب عجائب الهند أن القارب استخدم لجر مركب انقاذاً لها من الفرق بعد أن قذفت بحارتها بكل ما فيها إلى الماء ماعدا الركاب والزاد ليخفف حملها (٣٤).

كما كان العرب يحملون معهم على ظهور سفنهم مراكب صغيرة للبيع، بل أن بحار السفينة كان يصنعها فوق ظهر السفينة أو كانت تصنع على الشاطئ كالسفن



المخينة المحلية التي كانت عمان تصدرها الى اليمن في زمن يربيلوس^(٣٥)، أي في القرن الأول للميلاد.

وقد حرص الملاحون العرب على معاينة المركب بعد صنعها وقبل أن تنزل البحر لضمان سلامة الركاب، وخير مثال على ذلك ما تركه ابن ماجد في مؤلفاته وأراجيزه... فهو يقول: تأمل السفينة فوق الأرض واكتب جميع خللها^(٣٦).

وكذلك كان ينبغي تفقد آلات السفينة وأدواتها الملاحية التي تتوقف عليها سلامتها وسلامة ركابها وشحنتها. ومن أهم هذه الأدوات: الراهانج (أو المرشد الملاحي)، والحقبة (بيت الأبرة)، والفانوس والبلد (آلة سبر الأعماق)، وأدوات القياس التي يرصد بها ارتفاع النجوم. ويوضح ذلك ابن ماجد في بيتين من كتابه حاوية الاختصار:

وجدد الآلة قبل السفر كحقبة أو قياس أو حجر
والبلد والفانوس والرهانج وإن تكن سافرت كمن حجج

وعن بيت الأبرة يقول: «المغناطيس الذي عليه المعتمد ولاتتم هذه الصنعة الا به وهو دليل على القطبين»، وينوه بضرورة معاينة المكان المختص لها خشية أن يكون صانع السفينة قد أدخل بالقاعدة التي تحكم اتزان هذه الآلة فيقول: «ولس الحقبة في مكانها، وتفقّد كل التفقد أولا في نصب الحقبة، لأن من المراكب ما يكون في نجارته خلل فيعدي عن مجراها فاستدرك الأمر بأوله».

كما يعد من أدوات السفينة الأنجر وهو المخطاف أو الهلب أو المرساة الذي يثبت المركب بالقاع أو الشاطئ، وعند اشتداد الرياح وهياج البحر يوصي ابن ماجد باستخدام السلاسل مما يدل على أن الربانبة في عهده كانوا يستخدمون سلاسل الحديد لتثبيت الأنجر.

كما يهتم بسكان السفينة أي بدفتها اهتماما كبيرا فيقول: «تأمل جميع الآلات خصوصا السكان في كل حين وساعة»، وفي موضع آخر يقول: «وما صنفت هذا الكتاب الا بعد أن وقف لي خمسين سنة، وما تركت فيه صاحب السكان الا أن أكون على رأسه أو من يقوم مقامه».

ثم ينصح الربانبة بالعناية بالسفينة وبصيانتها في جميع الأوقات لايهملون خلا أصابها ولو بسيطا لثلا يتفأقم بل يسارعون إلى معالجته، كما ينهى عن شحن السفينة بما يزيد عن حمولتها طمعا في مزيد من الريح، فلا ينتج عن ذلك سوى الهلاك في عرض البحر، وفي ذلك يقول: «ولا تر خلا في السفينة وتعمله الى وقت آخر الا عند ضرورة أشد مما أنت فيه (أي بسبب أقوى) وجوّد الموسم (أي اختر الموسم الجيد الملائم للسفر)، واختصر الشحنة واحسب حسابات العارفين»^(٣٧).

ويجب أن نشير أخيرا إلى أن العادة قد جرت أن تجرى بعض الطقوس التقليدية عند الانتهاء من صنع سفينة، فمع بداية العمل تذبح عذرة، وعند الاقتراب من نهايته تقام احتفالات الرقص الشعبي لأبناء الحرفة الواحدة، يشترك في ذلك الرجال والنساء، وتقوم النسوة بعمل قلادة جبال قطنية تسلّم للرجال لتثبيتها بين المسامير منعا لتسرب المياه الى داخل السفينة^(٣٨). وهي طقوس استمرت ومورست حتى عام ١٩٨٠م، وبطبيعة الحال لم يعرف العمانيون صناعة نوع واحد من السفن، بل أنهم

تفوقوا في ذلك كل التفوق، فتعددت لديهم الأنواع والأشكال والأنماط المختلفة من السفن، وذلك حسب الغرض أو العمل الذي كان يتوخاه الربابنة أو النواخذة من هذه السفن المتنوعة. ولا يمكن معرفة ذلك بوضوح إلا إذا تحدثنا عن أنواع السفن العمانية وأشكالها وأسمائها.

أنواع السفن العمانية :

السفن العمانية كثيرة الأنواع مختلفة الأغراض، منها عابرة المحيطات ومنها كان يستخدم لصيد الأسماك، منها ما كان قاصرا على الخليج ومنها ما هو مشترك بين عمان وجنوب الجزيرة العربية، ومنها ما هو قاصر على عمان وحدها مما يبرهن على أن عمان كانت تشكل نقطة ارتكاز في تاريخ الملاحة في منطقتي الخليج والمحيط الهندي، ومنها ما لم يعد يستخدم، ومنها ما يزال مستخدما على حاله أو بعد تطويره كإدخال المحركات الآلية بعد إعادة تصميمها بما يتناسب وذلك التطوير.. ومن هذه الأنواع^(٣٩):

١ - البغلة وتسمى أيضا الشويعي، وقد كانت خلال القرن الثالث عشر الهجري أو التاسع عشر الميلادي، والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري أو العشرين الميلادي أكثر أنواع مراكب النقل العمانية والخليجية استعمالا، وكانت حمولة البغلة تتراوح ما بين مائة وخمسين وأربعمائة طن، ويبلغ طولها مائة وخمسة وثلاثين قدما، والكبيرة منها ذات قاعدة نحاسية، ولها ثلاثة صوار، كما كانت تتميز بالسطح العالي والممرات والفتحات الخمس الموجودة بها، وغالبا ما تكون مزخرفة بحفريات ونقوش دقيقة، ويقال أن آخر مركب من هذا الطراز تم بناؤه في صور عام ١٢٧١ هـ / ١٩٥٢ م. ويعتبر هذا النوع من السفن من أكثر المراكب العمانية استعمالا وكان مخصصا للأسفار البعيدة.

٢ - مركب القنجة وهو يشبه إلى حد كبير مركب البغلة، لكنه متأثر في تصميمه بالأسلوب الهندي وإن كان يتميز بالنقوش والزخرفة في المقدمة، وهي عبارة عن نقوش صغيرة مستديرة حفرت به دوائر متحدة المركز يعلوها عرف ثلاثي الأوراق، وبهذا النقوش حلقة من حديد، وهذا العرف الثلاثي علامة مميزة للقنجة. وتشترك القنجة مع البغلة في أن لها مؤخرة مربعة، وإن كانت أقل زخرفة ونقوشا، كما أنها مزودة مثل البغلة بثلاث صوار، وقد اشتهرت مدينة صور بصناعة مركب القنجة، وقد اندثر هذا الطراز من المراكب ولم يبق منه إلا مركبان يرسوان في مطرح وصور.

أما حمولة القنجة فأنها بين مائة وخمسين وثلاثمائة طن، وكان طولها يتراوح بين خمسة وسبعين ومائة وعشرين قدما، وكانت تستخدم في التجارة عبر المحيط كالبغلة.

٣ - البوم : وفي هذا القرن حل البوم تدريجيا محل البغلة، وأصبح المركب الرئيسي لنقل البضائع والركاب في المحيط الهندي عند العمانيين، وهو متشابه الطرفين، وتكاليف صنعه أقل من كل من البغلة والقنجة، وقد ظل البوم ذو الطرفين المتشابهين محتفظا بشكله كما كان قبل دخول البرتغاليين المنطقة في القرن السادس عشر الميلادي، وتراوح حمولة البوم بين أربعة وسبعين وأربعمائة طن،

كما يتراوح طوله بين خمسين ومائة وعشرين قدماً، وعرضه بين خمسة عشر وثلاثين قدماً، وهو يتميز بمقدمته المستقيمة، وتوجد على أطرافه عادة رسوم بسيطة تطل باللونين الأبيض والأسود، وهي رسوم ربما تشبه في أصولها صورة العين التي كانت موجودة على كثير من المراكب القديمة، وقد تحل مقدمة اليوم بوردة محفورة أو رسوم، أما دفة اليوم فيتم تحريكها بألة توجبه معينة.. ويضاف الى الشراع الكبير المائل في معظم مراكب اليوم شراع آخر في المؤخرة.

٤ - السنبوق : كان السنبوق من أشهر المراكب العربية في الخليج وعمان والبحر الأحمر، وهو من أكثر المراكب العمانية عراقاً وقدماء، فقد وجد في ظفار، ويتميز هذا المركب بمقدمته المنخفضة المحفورة ذات الشكل المنحني ومؤخرته العالية مما يضفي عليه شكلاً جميلاً، وكان السنبوق من المراكب المشهورة في صور حيث ظلت صناعته قائمة حتى عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م، وهو يمتاز بأكبر حجمه على عكس سنايق الخليج الصغيرة، وكان يستخدم في الرحلات التجارية البعيدة، وتتراوح حمولته من ٢٠ طناً الى حوالي ١٥٠ طناً، كما يبلغ طوله نحو ٨٠ قدماً. وسنبوق صور لا يتميز بأية زخارف فيما عدا حلية مطلية باللونين الأبيض والأسود على مؤخرته.

وكان من الشائع استخدام السنبوق في الخليج كمركب لصيد اللؤلؤ، لكنه استعمل فيما بعد في الشحن ونقل الركاب، ومن الخصائص التي بقيت فيه من أيام استخدامه في البحث عن اللؤلؤ طول خشبة المقدمة الممتدة تحت الماء وما ترتب على ذلك من قصر قاعدة المركب، وهو امر كان يتيح للمركب سهولة تحركها قرب الشاطئ.

أما السنبوق المحيط فلعله أهم المراكب العمانية لعراقته في القدم... وهو يوجد في ظفار، ويتميز بتشابه طرفيه وعدم استخدام المسامير الا في حاجز المؤخرة، كما انه يستخدم الشراع المربع القديم، فهو اذن النوع الوحيد الذي تجتمع فيه خصائص المركب التي كانت موجودة خلال الفترة السابقة على مجيء البرتغاليين. والسنابيق المخيطة جميلة الشكل دقيقة الصنع الواحها من خشب النعبة، وعرضها وسمكها متناسقان، ومعدل طول السنبوق من ٢٥ الى ٤٠ قدماً، وله دفة صغيرة ومجاديف وصار واحد، ويستعمل لصيد الأسماك، ويعمل عليه طاقم من أربعة رجال الى ثمانية.

٥ - الجلبوت أو الجلبوت، ويتميز الجالبوت بمقدمته العمودية ومؤخرته العريضة مما يدل على تأثره بالتصميم الأوروبي، ويشبه القوارب الأوروبية المسماة (جولي- بوت) التي كانت تستخدم في البحرية البريطانية، ويمكن ارجاع تسميته الى المركب الساحلي الهندي (جلبوتي) وهو اسم مشتق بدوره من التسمية البرتغالية (جالبوت). وكان شائع الاستعمال في الخليج لصيد اللؤلؤ، اما في عمان فكان يستخدم في التجارة البحرية لاسيما في صور، وربما استخدم أحياناً لصيد السمك لكن استخدامه مؤخر يقتصر بوجه عام على النقل الساحلي.

ويبلغ طول الجالبوت حوالي خمسين قدماً، وتتراوح حمولته بين أربعين وخمسة وسبعين طناً، وهو مزود بصاري واحد، طوله ما بين ٤٠ - ٧٥ قدماً أما الدفة فهي مثبتة في موضع غير مألوف، لأن مفصلاتها مثبتة في المؤخرة مباشرة وليس في

خشبية منفصلة توصل بعمود المؤخرة كما هو الحال في الأنواع الأخرى.

٦ - أبو بوز: وهو مركب شحن بسيط يشبه السنبوق الكبير في حجمه.. وهو طراز حديث من المراكب ذات المحركات الآلية نشأ عن تأثر العمانيين بالأساليب الأوروبية في صنع المراكب الشراعية.. ولم يتم بناء مثل هذا النوع من المراكب في صور منذ أكثر من ربع قرن.

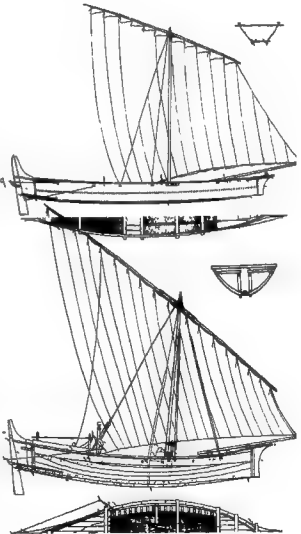
٧ - الشوعي أو الشويجي: واسمه عبارة عن لفظة هندية، محرفة لاسم أحد قوارب الصيد الهندية ويوضع على ظهر سفينة البغلة للتنقل والانتقاء عند الحاجة، وهو لا يكاد يختلف عن السنبوق الخليجي الصغير الا في حجمه، فحمولته قلما تتجاوز ١٥ طنا، ومقدمته مستقيمة بصفة عامة بعكس خشبة المقدمة المنحنية التي ينتهي رأسها أحيانا بانحناءة مزدوجة محدبة، وهو مركب ساحلي يصلح لكل الأغراض.

٨ - البدن: وهو أكثر المراكب العمانية شهرة ولا يزال يستعمل حتى الآن في صيد الأسماك والنقل الساحلي في جميع أنحاء عمان لأنه يتناسب مع الاحتياجات المحلية.. وتصميمه منخفض مستقيم، كما يمكن تمييزه بالصدر البارز والمؤخرة العالية التي تثبت عليها الدفة بالحبال. والبدن ليس له سطح لكنه يبطن بحصير من سعف النخل، وهو مسطح الشكل خفيف الوزن عند المؤخرة، ويصنع من القصب وسعف النخل ويزود عادة بصاري عمودي فريد في طريقة تثبيته. وفي أوائل هذا القرن حل استخدام المسامير في تثبيت ألواحها بدل الخيوط، مما يبدل على أنه عريق موغل في القدم، وكثيرا ما يتم صنعه بقاعدة مزدوجة تيسر سحبه الى الشاطئ في وضع أفقي، وتلك ميزة هائلة في هذا النوع من المراكب.

٩ - البتيل: كان البتيل شائع الاستعمال حتى أوائل هذا القرن في تجارة النقل الساحلي وهو صغير الغاطس، عليه نقوش دقيقة ويتميز بسرعته، ولهذا كان يستخدم في الأغراض الحربية عند بعض سكان الخليج حتى انه زود في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي بالمدايع، وهو من أكثر المراكب العمانية - بل العربية - جمالا لمقدمته الشبيهة برأس الكمان ومؤخرته المرتفعة المزخرفة بالنقوش الجميلة الزاهية، وكان له طرفان في النهاية، وقد تصل حمولته حتى مائتي طن، كما ان طوله قد يزيد على ٧٥ قدما... وكان للبتيل صاريان وأحيانا ثلاثة، ولم تعد مراكب البتيل تشاهد في عمان.

١٠ - الهوري: أما الهوري فهو قارب صغير منحوت من جذوع الأشجار يتراوح طوله عادة بين ١٠ و ٢٠ قدما، ويصنع من خشب العنبة المستورد من ساحل المليار، ويستخدم في صيد الأسماك ونقل السلع الى مسافات قصيرة، ويستخدم المجداف لتحريكه، لكن قد يستعان

رسم لمركب شحن
من نوع بدن

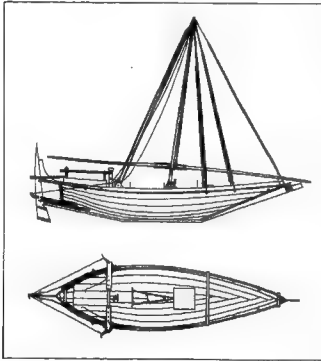


بالشرع أو المحرك البخاري... وهيكله الضيق يساعده على السير في الماء وإن كان الصيادون يخشون تعرضه للانقلاب في حالة هياج البحر. والهوري لفظة هندية الأصل، وتطلق كلمة هوري في منطقة الباطنة من عمان على القوارب الصغيرة.

١١ - الشاشة: وهو مركب صيد صغير بدائي من سعف النخيل ولحاء شجر النخيل وأغصانه وألياف جوز الهند مما يساعده على الطفو، ويتسع لشخص أو شخصين على الأكثر وعمره قصير لا يزيد على ثلاث سنوات، وطوله عشرة أقدام ولا يعمر طويلا.

١٢ - الماشوه: ورغم عدم شهرة هذا النوع من السفن في عمان فإنه اسم يستعمل للدلالة على قوارب مستطيلة صغيرة طولها عادة حوالي ٢٥ قدما تستخدم لأغراض كثيرة، وبها مؤخرات عريضة ومقدمات مستقيمة أو منحنية أو عمودية وليست لها أسطح، وهي تتحرك عادة بالمجاديف مثل الهوري، وقد تزود بشرع وصار.

وقد يستعمل لفظ (ماشوه) استعمالا عاما للدلالة على جميع القوارب الصغيرة العريضة المؤخرة والتي بدون أسطح، كما قد يستعمل للدلالة على المراكب المصنوعة من الألومنيوم بهذا الشكل.



رسم لركب البقارة

١٣ - البقارة: والبقارة أو الشاحوف لا يختلف عن البتيل كثيرا إلا في صدره ومؤخرته، فهو يتميز عنه بمقدمته المستقيمة على عكس مقدمة البتيل المدببة، كما أنها تحل بالنقوش والألوان، أما المؤخرة فهي عالية كمؤخرة البتيل لكنها ليست بارزة... وهو بصفة عامة أصغر من البتيل ولا يزال يستخدم في عمان حيث يحتفظ الكثيرون في رأس مسندم بأنواع ممتازة منه تستخدم في صيد الأسماك، كما لا تزال تستخدم الخيوط في صنعه، ويبلغ طول البقارة عادة من ٢٥ إلى ٣٥ قدما.

١٤ - الرمث أو الرمس: والرمث نوع من الصنادل كان يستخدمه صائدو الأسماك في ساحل الباطنة كما كان أهل جزيرة سوقطرة يستخدمونه في رحلاتهم إلى مسقط والباطنة في موسم صيد

الأسماك... وهو يصنع من ثلاثة جذوع أشجار تتراوح أطوالها بين ستة أقدام وتسعة، تربط إلى بعضها بالحبال، وكان الجذع الأوسط أطولها، ويتحرك الرمث بمجداف مزدوج.

١٥ - العويسية: وهو كالبدن، ولكنه استخدم في التجارة عبر البحار، وزود بصاريين ويحمل ما بين ٣٠ - ١٠٠ طن، طوله ٤٥ قدما، وعرضه ١٠ أقدام. وقد اختفى من الوجود الآن وما زالت آثاره في منطقة الباطنة من عمان.

١٦ - الزبيا : وهو من السفن الساحلية وهو كبير كالبتيل، ولكنه أقل أهمية منه.
١٧ - الزاروق : أطلقت هذه التسمية على مجموعة من المراكب العمانية مثل (البدن - البتيل - البقارة - الشاحوف)، وأطلق عليه بعض الغربيين الذين زاروا عمان اسم (جاروكه) وهذا الاسم تحريف للكلمة الأصل، ويستخدم لصيد السمك وللأعمال الحربية.

١٨ - الداو : من أكبر السفن.

١٩ - العبرة : قارب عادي ذو مجاديف.

٢٠ - الجنك : هو نوع من المراكب كان يسافر من عمان الى الهند في القرن الرابع الهجري، وشاهده ابن بطوطة في شواطئ الهند.

٢١ - الدنجة : مركب هندي الصنع، له مقدمة من نوع خاص، على عكس اليوم.

٢٢ - الغراب : (وتجمع على أغربة وغربان)، لونها اسود لطلائها بالقار وغيره، وهي من أقدم السفن الحربية، ورد ذكرها على لسان الكتاب الأوروبيين، وصنعت من الخيوط، وتعتبر نوعاً من الزاروقه.

٢٣ - الزعاميم او الزعيمات: وهو نوع من السفن العمانية القديمة انقرض مع الزمن.
٢٤ - البرشه : منها الصغير ومنها الكبير، من أصل ايطالي (BARCA)، وكانت تحمل الأموال والزاد والمدافع، وتجمع على برشات وبرش، وتعمل بالمجاديف.

٢٥ - الشذاءات والغرف: وهما نوعان متشابهان استخدمتا في التصدي لغزو القرصان البحري في العصور الوسطى والسفن من هذا النوع سريعة الحركة.

وهكذا تعددت أنواع السفن المصنوعة في عمان، وكان معظمها يصنع حسب الطرق التقليدية القديمة التي أشرنا إليها.

وبقي الحال كذلك الى مجيء السفن الأوروبية الى مياه بحر العرب والخليج وبدا للعيان تفوقها من حيث تسليحها وحمولتها نظراً لاستخدام المسامير في بنائها، عند ذلك ادرك العمانيون والعرب سر تفوقها فقلدوها باستخدامهم المسامير في بناء سفنهم. وأسهم ذلك في جعل العمانيين يبنون سفناً أكبر حجماً، مما كان لهم من قبل وأكثر تسليحاً، جابهوا بها سفن البرتغاليين المستعمرين (٤٠) وقلدوا في ذلك النماذج الأوروبية. وما ان حل القرن الثامن عشر حتى كانت جميع الأساطيل البحرية والعمانية تضم سفناً من الطراز الأوروبي، وزودت بمدفعية حديثة، بني بعضها في الموانئ العمانية كمطرح وصور وبعضها الآخر في موانئ الهند، في ترسانات لايعرف عنها شيء^(٤١).

وكانت عملية بناء السفن تتم بحسب الغرض المطلوب منها أداؤه، كالشحن، والتجارة الساحلية والخارجية وعبور المحيطات، والصيد واستخراج اللؤلؤ، ولنقل الركاب، أو ذات أغراض مختلطة فبعضها كان يعمل في التجارة والقتال مثلاً، وهذه المهمة متشعبة بدورها، فمنها: المطاردة والتصدي للقرصنة، والدخول في معارك مع البحرية المعادية، والانزالات البحرية على السواحل، وضرب القلاع والتحصينات الساحلية، وامااد السفن البحرية... الخ.

وقد اختلف ركب كل سفينة (سدنتها وبحارتها) بحسب مهامها وحجمها وتسليحها وحمولتها، فمثلاً المراكب العابرة للمحيطات، كان طاقمها مكوناً من ٢٥ -

٤٠ بحارا، ومن هؤلاء النواخذة أو الريان، ثم المعلم (ملاح أو مرشد) ثم الكراني (وهو كاتب ماسك لسدقاتها) والساهانج (مساعد ريان) والسكاني (موجه السكان أو الدفعة)، وكان في السفينة من ٢ - ٣ سكاني، ثم من ١٠ - ١٥ بحارا، ثم الباتيلي (وهو مراقب القوارب)، ثم من ٢ - ٣ ولد (وهو خدم على ظهر السفينة).
ويلاحظ مما سبق ذكره أن معظم تسميات ركب السفينة (طاقمها) فارسية أو هندية، ولقد استخدم العمانيون الفاظا فارسية أخرى للدلالة على افراد واشياء وأدوات في السفينة، مثل: البلنج (مشتقة من كلمة بلنك الفارسية التي تعني حجرة)، ثم الدفتر (وتعني صحن الارشادات الملاحية)، والديديبان (وتعني الرقيب والطليعة) والخن (تعني النقطة في البوصلة) ثم الرهماني (وهو دفتر ارشادات الملاحة).

وأطلق البحارة العمانيون اصطلاح المعلم على أمهر الملاحين في قيادة المراكب الشراعية سواء على الخطوط في أعالي البحار أو المسابرة للبرور، ودرجته أعلى من درجة الريان، ويسمى المعلم أحيانا بالاستاذ أو الرئيس.

وكما سبق القول فإن معظم المعلمين في البحر الهندي كانوا من العمانيين أو من عرب الخليج أو من الهرازمة والهندو والشوليان والزنج^(٤٧). وكانت السفن تحتاج لإدارة معقدة، فكان فيها النواخذة وعاملو المجذاف والمصلحون، والنواخذة، وهم أما ملاك للسفن أو وكلاء لهم. وعمل نواخذة عمانيون على ظهر سفن مخرت عباب بحر الصين والهند والسند واليمن والفلزم والحبشة والزنج والخليج. ولم يكن الملاحون الأوائل العمانيون يبتعدون كثيرا عن الشواطئ للدرجة التي يغيب فيها عن بصرهم، ثم بدأوا بعد ذلك يرسمون طرقهم على هدى النجوم المعروفة، وكان لابد لهم لقطع المحيط من معرفة كبيرة بالفلك، ونظرا لتطور علم الفلك في عهد المأمون وما بعده تطوروا سريعا^(٤٨) فقد استفاد العمانيون من ذلك كله، واستفادوا أيضا من البوصلة التي قسموها إلى أختان أي منازل سميت باسم مطلع ومغيب ١٥ نجما ثابتا، مع إضافة الشمال والجنوب، وقد أخذت أسماء كثيرة عن الفارسية، كقطب الجاه (كاه أي موضع)، ثم استخدم الرهماني (خطوط عرض كل ميناء ورأس، سجلت في دفاتر الارشاد البحرية)، وضمت معلومات عن الرياح والسواحل والشعاب وكل ما يحتاجه الريان^(٤٩).

ويذكر لنا التاريخ عددا من البحارة العمانيين الذين برعوا في هذه العلوم التي ذكرناها وفي قيادة السفن للأساطيل البحرية المختلفة سواء في العصور الوسطى أو الحديثة. وقد سبق الحديث عن هؤلاء البحارة وعن ريادتهم للعالم في هذا المجال.

ولقد تدرج ملاحو المراكب العمانية في وظائفها على امتداد سنتين طويلة من الخدمة عليه، الأمر الذي أكسب الواحد منهم خبرة من خلال المران والمواظبة في معظم الوظائف والأعمال التي يقوم بها على ظهر السفينة من أبسطها إلى أكثرها تعقيدا، إلى أن يصل في النهاية بعض هؤلاء البحارة إلى قيادة السفينة (نواخذة).

وهناك سؤال يطرح نفسه علينا بعد كل ما تقدم من حديث عن البحرية العمانية وهو: هل اعتمدت هذه البحرية على التجارة والنقل فقط، أم أنها سلكت سبلا أخرى بحثا عن الرزق؟

والحق أنها سلكت أضافة الى ذلك طريق صيد محار اللؤلؤ من أعماق مياه الخليج، ثم صيد الأسماك كغذاء أساسي للإنسان، ولسد حاجات أخرى لديه.

أما صيد اللؤلؤ، فإن معلوماتنا عنه في العصور القديمة قليلة وكذلك في العصور الوسطى رغم شهرة الخليج بهذه الحرفة بشكل عام. أما المعلومات عن ذلك في العصور الحديثة فهي واضحة، فهناك حوض مائي شكل مركزاً لنشاط صيادي اللؤلؤ، امتد من الكويت الى الساحل العماني على امتداد ٣٣٠ ميلاً تقريباً، ويبدو ان هذا الحوض كان وافر الانتاج منذ فجر التاريخ.

وقد قدر عدد المراكب التي تشارك في عمليات صيد محار اللؤلؤ في الخليج العربي ما بين ٣٠٠ — ٥٠٠ مركب، وعدد أفرادها من ٣٧ — ٤٠ ألف رجل، وأغنى أحواض محار اللؤلؤ كان يقع بالقرب من جزر البحرين، ثم تأتي بعدها السواحل العمانية ويعبئ أصحابها حوالي ١٥٠٠ مركب لهذا الغرض.

وكان الغواصون يغوصون الى أعماق ٢٥ — ٥٠ قدماً وحتى ١٠٠ قدماً. واللؤلؤ ثلاثة اصناف أجودها المهلي، وإذا عدنا الى مذكرات بارسونيز ١٨٩١ هـ / ١٧٧٥ م، نلاحظ أن عمليات صيد اللؤلؤ في الماضي كانت تتم بطرق أقل نظاماً وبرمجة من عصر جامع هذه المذكرات وهو القرن التاسع عشر (٤٥)، أما صيد السمك فقد برعوا فيه وساعدتهم على ذلك وفرة مصايد السمك ومراعيه في المياه العمانية، أضافة الى ذلك لم تحظ سواحل عمان بشروة زراعية كبيرة تغنيها عن الأسماك. ناهيك عن أن شواطئ عمان طويلة ومتنوعة وذاكرة بالحيوانات البحرية، ولهذا اعتاد العمانيون الاعتماد على البحر في الحصول على معظم غذائهم حتى أصبح صيد الأسماك من أهم الصناعات التي تشتهر بها عمان على مر العصور، وهي تمس قطاعاً كبيراً من سكانها، وحتى الأسماك في عمان من الوفرة بحيث ان السواحل العمانية كلها بمثابة أحواض زاخرة بالأسماك، والصيادون يمارسون الصيد بمنتهى الحذق والخبرة العالية، وهم يصطادون كل أنواعه حتى سمك القرش، ولهم في الصيد البحري أساليب وطرق متعددة:

- الأولى : مناطق البحر المفتوحة.

- الثانية : المناطق القريبة من السواحل.

- الثالثة : المناطق السطحية.

- الرابعة : أسماك الأعماق.

وهذه تختلف عن بعضها باختلاف الفصول وتحركات الأسماك، فتخرج القوارب من الصباح لتعود في المساء، وبعضها يخرج مساء يعود في الصباح، وتختلف طريقة الصيد من منطقة الى أخرى تبعاً لنوعيات الأسماك المطلوبة وطبيعة المنطقة الساحلية وعمق المياه^(٤٦).

ونظراً لعظم حجم الأسماك التي كان يصيدها العمانيون، فقد أصبح هذا السمك ومشتقاته مادة للتجارة الداخلية والخارجية، فمثلاً قبل عام ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م أرسل العمانيون قشر السمك الى الصين، ثم بعد هذا التاريخ أرسلوه الى أوروبا رأساً لصناعة الغراء، وحصلوا على العنبر من الحيتان، كما حصلوا على زيت السمك وأدخلوه في صناعاتهم المختلفة وفي تجارتهم الخارجية^(٤٧).

والخلاصة ومما تقدم من حديث عن البحرية العمانية يمكن الوصول للحقائق التالية:

- ١ - ان قوة عمان تنبع بالدرجة الاولى من قوة بحريتها، ومن تماسك جبهتها الداخلية، فبحريتها تقوى بقوة الجبهة الداخلية، وتضعف بضعفها أيضا.
 - ٢ - شكلت البحرية العمانية عبر تاريخ عمان المديد اليد الطولى والقوية لها. وكانت أداة اقتصادية هامة، أسهمت في ازدهار عمان الاقتصادي سواء عن طريق التبادل التجاري الداخلي والخارجي والنقل، أو صيد الأسماك ومحار اللؤلؤ.
 - ٣ - كان سكان الساحل العماني أكثر اتصالا مع الشعوب الاخرى مما ساعدهم على الاخذ والعطاء مع هذه الشعوب على أساس انساني منفتح.
 - ٤ - حرص العمانيون على استقلالهم والدفاع عنه بكل ما يملكون، وبرزت خلال ذلك صلابه الشراة المعهودة في دفاعهم عن المثل العليا والأرض والعرض.
 - ٥ - اتسم شعب عمان بصلابه وشجاعة نادرين مكتناه من التصدي للغزاة من جهة، ومن تحمل المصاعب وركوب الاخطار وغوارب البحار بحثا عن الرزق، فنسقلوا معهم قديما الحضارة العربية، والدين الاسلامي الى اصقاع لم تعرف الحضارة الراقية والاسلام من قبل، سواء في افريقيا أو آسيا.
 - ٦ - بقي العمانيون لهم القدر المعلن في سيادة البحار المحيطة بهم وبخاصة المحيط الهندي الى مطلع العصور الحديثة.
 - ٧ - حقق العمانيون بامكاناتهم المتواضعة الصناعية منجزات كبيرة في مجال بناء السفن التي أرادوها للأغراض المختلفة.
 - ٨ - أسهم العمانيون في تطوير العلوم البحرية، وبرز منهم قادة أفذاذ لأساطيل بحرية عمانية وعربية وغيرها قديما وحديثا.
- وباختصار شديد يمكن القول بأن تاريخ بحرية عمان يكاد يكون تاريخ عمان السياسي والاقتصادي.

هوامش الباب الرابع

●● الفصل الأول

- (١) بكير بن سعيد دراسات اسلامية في الاصول الاباضية، ص ١٩.
- (٢) بكير بن سعيد اعوش، دراسات اسلامية في الاصول الاباضية ص ٢٤.
- (٣) الطبري تاريخ الرسل والملو، ج ٥، ص ٥٨.
- (٤) بكير بن سعيد اعوش، المرجع السابق ص ٢٥.
- (٥) عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٨٢.
- (٦) شريف يحيى الامين، معجم الفرق الاسلامية، ص ١٤، البرادي: الجواهر المنقطة ص ٢٣٤.
- (٧) السمعاني، ازالة الوغاة ص ٢ - ٣.
- (٨) د. محمد رشيد العقيلي، الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ١٢٩.
- (٩) سورة التوبة، آية ١١١.
- (١٠) الاصفهاني، الاغانى، مطبعة التقدم مصر، ١٣٢٢ هجرية ج ٢، ص ٩٧. يرى البغدادي ان دعاة المذهب الاباض قد وصلوا اليمن بعد معركة النهروان (٢٨هـ) مباشرة، انظر الفرق بين الفرق دار الافاق الجديد، بيروت ط ٤، ١٩٨٠م، ص ٦١، انظر فلهوزن مرجع سابق ص ١٠٦ ومحمود اسماعيل مرجع سابق ص ٢٢.

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

- (١١) العتوبي، الانساب ووزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨١م، ص ٢٢٤.
- (١٢) المصدر السابق، ص ٣٧٨.
- (١٣) أحمد مبيدي، كشف الغمة ص ١٣١.
- (١٤) ابن عبدالحكم سيرة عمر بن عبدالعزيز ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٧م، ص ١٢٢.
- (١٥) فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨، ص ٨٨.
- (١٦) الاصفهاني، الاغانى ج ٢٠ ص ٩٧، كشف الغمة، ص ٢٤٢ - ٢٤٤.
- (١٧) خلفة بن خياط، تاريخ خليفة، تحقيق أكرم شمس، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م، ص ٥٢٨، الشاطري مرجع سابق ج ١، ص ١٢٥ - ١٢٧.
- (١٨) غاية الاماني لـ لخباز القطر النيماني، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٨م، ج ١ ص ١٢٤.
- (١٩) فلهوزن مرجع سابق ص ١٠٧ لمزيد من التفاصيل عن أراء الإباضية انظر الشعر ستاني، مصدر سابق ج ١، ص ١٨٠ - ١٨٢.
- (٢٠) الانساب ص ٣٧٨.
- (٢١) ابن عديبه الإدلسي العقد الفريد تحقيق محمد سعيد اللحيان المكتبة التجارية الكبرى ١٠٥٣ ج ٢، ص ٢٠٠ نايف معروف ادبيات الخوارج في كتاب ديوان الخوارج دار المسيرة بيروت ط ١ ١٩٨٢م - ص ٢٨٨
- (٢٢) تاريخ خليفة ص ٣٨٥ الاصفهاني الاغانى ج ٢٠ ص ٩٧ وما بعدها.
- (٢٣) الاصفهاني الاغانى ج ٢٠ ص ٩٨ نايف معروف مرجع سابق ص ٩٨.
- (٢٤) نايف معروف مرجع سابق ص ٢٨٤ - ٢٨٥
- (٢٥) مرجع سابق ص ٢٨٧
- (٢٦) المرجع سابق، ص ٢٨٧
- (٢٧) المرجع نفسه، ص ٢٨٨.
- (٢٨) تاريخ خليفة ص ٢٩٧.
- (٢٩) المصدر نفسه ص ٢٩٢ - ٢٩٤
- (٣٠) المصدر نفسه ص ٢٩٤.
- (٣١) تاريخ خليفة ص ٢٩٤ الاغانى، ج ٢٠ ص ٩٧ وما بعدها.
- (٣٢) تاريخ خليفة ص ٢٩٥.
- (٣٣) الاصفهاني الاغانى، ج ٢٠ ص ١١٣، بلوزير، معالم تاريخ الجزيرة العربية مؤسسة الصبيان، عدن ط ٣، ١٩٦٦، ص ٢٥٩.
- (٣٤) ثول الخلافة من سنة (٩٦٦-٩٩٠هـ/ ٧١٤-٧١٧م)
- (٣٥) انظر الكندي الولا والقضاة، ص ٦٦-٦٧.
- (٣٦) ولي مصر من قبل يزيد بن عبدالمك سنة ١٠١-١٠٢هـ/ ٧١٩م، ثم ورد اليه كتاب يزيد بقتايمه على افرقية سنة ١٠٢-١٠٣هـ/ ٧٢٠م ولاء هشام بن عبدالمك على افرقية حتى تولى بالقيروان سنة ١٠٩/٧٢٧ انظر البيلادري فتوح البلدان ص ٢٧٤ مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان مصر ١٩٥٩م، الكندي الولا والقضاة ص ٧٠-٧١.
- (٣٧) ابن عبدالحكم، فتوح افرقية والانلس ص ١٠٦-١١٨، «الجزائر ١٩٤٢» د. سعد زقول، تاريخ المغرب ص ٢٣٣-٢٣٤ د. محمود اسماعيل، الخلافة والخوارج ص ٢٨-٢٩، «دار العودة بيروت ١٩٧٦، محمد علي دبور، تاريخ المغرب، ج ٢، ص ١٧٠، ٢٠٧، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥ (ط مطبعة عيسى السبابي الحلبي وشركاه، مصر ١٩٦٤).
- (٣٨) البيلادري فتوح البلدان ص ٢٧٢.
- (٣٩) ابن عبدالحكم المصدر السابق ص ١٠٨، البلاذري المصدر السابق ص ٢٧٢.
- (٤٠) د. سعد زقول المرجع السابق ٢٣٥ - ٢٣٨، ٢٣٦، د. محمود اسماعيل المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠.
- (٤١) يزيد بن عبدالمك بن مروان ولي الخلافة بعد الطيفعة عمر بن عبدالعزيز سنة ١٠١-١٠٢هـ/ ٧١٩م وتولى سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣، انظر اسويعي تاريخ الخلفاء ص ٢٤٧، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ط ١، مصر ١٩٥٢.
- (٤٢) يقول البيلادري (و لما ولي يزيد بن عبدالمك ولي يزيد بن ابي مسلم مولى الحجاج بن يوسف افرقية والمغرب، فقدم افرقية في سنة اثنتين ومائة، وكان حرسه من البربر فوسم كل امرئ منهم على يده حرس فافكروا ذلك وعلوا سيرته، فذهب بعضهم الى بعض وتضافروا على قتله فخرج ذات عشية لصلابة المغرب فقتلوه في مصلاة) انظر فتوح البلدان ص ٢٧٢ - ٢٧٤.
- (٤٣) ولاء هشام بن عبدالمك افرقية سنة ١١٦هـ/ ٧٣٤م وقتل سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٠م، انظر ابن عبدالحكم فتوح افرقية والانلس ص ١٢٠.
- (٤٤) المصدر نفسه ص ١١٨، د. محمود اسماعيل، الخلافة والخوارج ص ٣٠ محمد علي دبور، تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ٣١٩.
- (٤٥) الساماني إزالة الوغاة ص ٦٤، ٦٥، ٨٣ - ١٠٠ الساماني الحقيقة والمجاز، ص ٤١، سلطنة عمان ١٩٨٠، رفعت فوزي عبدالمطلب، الخلافة والخوارج ص ٢٢ - ٢٣ (ط القاهرة ١٩٧٢).
- (٤٦) لا تريد ان نطيل الكلام عن الاحوال السياسية إلا بقدر ما نقرضه ضرورة تراطبات المعاني لانها عولجت تفصيلا في جل المراجع التي نحلل عليها.
- (٤٧) عبدالله بن ايباض المتوفى (قبل ٨٦هـ/ ٧٠٥م) : امام اهل التحقيق والعمدة عند شغب اول التفرقة، انفصل عن عبدالمطلب. الخلافة والخوارج ص ٢٢ - ٢٣ (ط القاهرة ١٩٧٢).
- (٤٨) الحكمه سنة (١٤٠هـ/ ٦٨٣م) بالصره الجيميري البعد الحضاري: ٥٢ تعليق ٤٧.
- (٤٩) جابر بن زيد (٩٢هـ/ ٧١١م) : عساني المنشأ بصري الاقامة، امام الإباضية شامي منتج في جميع علوم عصره الجيميري البعد الحضاري: ٥٠ تعليق ٤٤.

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

- (١٨) تقع المكتبة البارونية بحومة الحشان بجزيرة جربة تضم أحسن وصيد من التراث الإباضي.
- (١٩) عثر الأستاذ عمرو النامي على هذه الرسائل في المكتبة البارونية وخرجها من النسخة المخطوطة وتحت الآن بصدد تحقيقها إن شاء الله تعالى.
- (٢٠) أبو العباس أحمد الشماخي «١٥٧٢/٩٢٨» كتاب سير المشايخ ط حجرية القاهرة ١٣٠١: ٩٨ و ١٧٢
- (٢١) ن-م: ١٢٢.
- (٢٢) ن-م: ١٤٢.
- (٢٣) ن-م: ١٤٢ - ١٤٤.
- (٢٤) ن-م: ٩٨.
- (٢٥) يسع الشيخ سالم بن يعقوب هذه الرسالة أثناء إقامته في البلاد المصرية دون أن يحيل على مصدره في دفتر رقم ٢، وقد خرج الأستاذ مبارك الراشدي هذه الرسالة في الملحق الأول من أطروحة ص ٦٧٤-٦٧٩.
- (٢٦) مبارك الراشدي الامام أبويعقوب رسالة ماجستير ص ٦٧٩.
- (٢٧) ن-م: ص ٦٧٦.
- (٢٨) ن-م: ص ٦٧٩.
- (٢٩) الراشدي: ن-م: ص ٣٢٧.
- (٣٠) ن-م: ٥٩٤ - ٥٩٥.
- (٣١) الشماخي السمر: ١٢٩
- (٣٢) ن-م: ١٤٠.
- (٣٣) ن-م: ١٤١.
- (٣٤) ن-م: ١٤١.
- (٣٥) ن-م: ١٤٦.
- (٣٦) ن-م: ١٦٧.
- (٣٧) يزيد بن فندين (٢/٨) أحد المترشحين للإمامة الإباضية ضمن المجموعة التي جعل الامام عبدالرحمن الإمامة شورى بينهم ثار على الامام عبدالوهاب وتزعم حركة الفكر، الجعيري: نظام العزابة: ١٥٣ و ١٥٥.
- (٣٨) ن-م: ١٤٦ - ١٤٧.
- (٣٩) ن-م: ١٤٧.
- (٤٠) ن-م ١٤٨ أفرجان الجعيري البعد الحضاري للعقيدة الإباضية مطبعة الاوان الحديثة نشر جامعة السلطان قابوس - عمان ١٤٠٨/١٤٨٨/١٠٦ تعليق ٤٣
- (٤١) قصر يقع على مرتفع ٦٣٧ متر، قرية قديمة في جبل نفوسة غربي جادو ولي منطقة فساتو... حالها قرية تمزنا معد
- (٤٢) حسن تحقيق سير الشماخي بكترواه مرحلة ثالثة نوافقت بكلية الآداب قسم التاريخ بتونس ١٩٧٩ مرقوعة: ٥٣٠.
- (٤٣) ابن عباد المصري: (٣/٨) فقهه مفت بمصر من علماء اصحابنا من تلاميذ ابي عبيدة ابن سلام: بده الاسلام ١١٠.
- (٤٤) الشماخي السمر: ١٥٩.
- (٤٥) ن-م: ١٦١.
- (٤٦) ن-م: ١٦٢.
- (٤٧) الشماخي السمر: ٢٢٨، الجعيري البعد الحضاري ١٠٥ تعليق ٤٠ وسنعود الى ذكر عمري ان شاء الله.
- (٤٨) مقرن البوطوري: ١٢/٦ - علماء جبل نفوسة الذين اعتنوا بتكوين سير الاباضية وقد اتم كتابه في سير نفوسة سنة ٥٩٩هـ، كما يذكر ذلك الشماخي في السمر ص ٢٤٤، ٢٤٥ وكان هذا الكتاب مقفولاً حتى عثر عليه الشيخ سالم بن يعقوب وهو ما يزال مخطوطاً بمكتبته.
- (٤٩) الشماخي السمر: ١٦٥.
- (٥٠) ن-م: ١٧٥.
- (٥١) عبد الله البسالي تحفة الائمة بسمرة اهل عمان تحقيق ابراهيم لطيفي، مطبعة الشباب ط ١٣٥٠هـ - ١٠٩٨٩/١
- (٥٢) ن-م: ١٠٩/١ - ١٨٠
- (٥٣) أبو العباس احمد الدرجيني طبقات مشايخ المغرب تحقيق ابراهيم طلاي مطبعة البحث قسنطينة الجزائر - دت ٨١
- (٥٤) ابو زكريا يعقوب بن ابي بكر الوارجلاني: كتاب السيرة واخبار الائمة تحقيق اسماعيل العربي اصدارات المكتبة الوطنية الجزائر ١٢٠٩هـ/١٩٧٩ ص ٩٦.
- (٥٥) ابو القاسم الرازي: رسالة تأليف اصحابنا ملحق بكتاب الموجز لابي عمار عبدالكافي تحقيق عمار الطلاني الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٣٩٨هـ/١٩٧٨ م ٢/٢٨٤، وايو سفيان محبوب بن الرحيل كان حجة في السيرة ليكايد يشذ عنه شيء من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ولا سحر اسلمين من بعده، وهو ممن دون اخبار اهل الدعوة الجعيري: البعد الحضاري: ١٠٨ تعليق ٤٧
- (٥٦) ابن سلام: بده الاسلام. ١٠٩.
- (٥٧) الدرجيني الطبقات: ٢/٢٤٢.
- (٥٨) السمر العماني: ١٨٨ ثم ١٤٥ - ١٤٦.
- (٥٩) الجعيري: البعد الحضاري: ١٠٩ تعليق ٥٢.
- (٦٠) الناصر المرموري: ولد في مدينة القارة بوادي ميزاب وبها تتلمذ على الشيخ بويش ابراهيم، ثم تصدق للتدريس وقد عاش العمانيين في القاهرة حيث كلف بالافراف على رجة علمية هناك، ثم في القارة حيث ارسل العمانيون ثلة من اولادهم للتعليم بالوادي عضو في هيئة العزابة، علم بسير السلف كثير التحال ما يزال على قيد الحياة.

- (٩٠) أبو إسحاق إبراهيم أطفيش (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) نشأ في مدينة بسجن بوادي ميزاب، حيث درس على عمه قطب الأتمة نشط زمن الاستعمار الفرنسي فنتقل إلى تونس ثم إلى القاهرة، وهناك عمل بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية وحقق عددا من الكتب الأياضية وغيرها الجعبري البعد الحضاري ٨٤ تعليق ١٤٧
- (٩١) أبو عبدالله محمد بن بركة البهلوي العماني (ق ٢هـ/٩م) ليس لدينا كثيرا من المعلومات عنه سوى أنه من علماء عمان، وينسب إليه الجامع المعروف بجامع ابن بركة، وقد سلك فيه مسلكا منهجيا واضحا في التثليل على كل المسائل الفقهية من الكتاب والسنة والبراهين وقد نشره في الجامع الأستاذ عيسى الباروني في مجلدين سنة ١٩٧١م.
- (٩٢) كتاب الجامع لابن بركة ذكرنا أنه أخرجه نسخة المخطوط الأستاذ عيسى الباروني وطبع طبعة أولى ببيروت ١٩٧١م وعادت وزارة التراث العماني طبعه بدون تاريخ.
- (٩٣) معروف ابن قري وادي ميزاب أسسها أبو عبد الله محمد بن بكر القرطاسطي (٤٤١هـ/١٠٤٩م) في مطلع القرن الخامس، انظر تعليق ١١ من هذا البحث.
- (٩٤) السير والحوادث للعلماء وأئمة عمان تحقيق سيدة اسماعيل كاشف نشر وزارة التراث بعمان ط ١٩٨٦م
- (٩٥) العربية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ١٩٨٦/١ ٢٢١ وتقع السيرة المذكورة من ص ١٨٦ إلى ٢٢٢. ملاحظة أعمدنا النسخة المخطوطة من السير العماني وتقع السيرة من ص ٢٨٠ إلى ٤٠٣ ولم نطمع المحققة بتحليل الرسالة بل اكتفت بنقل النص ١٨٦
- (٩٥) ن.م. ٢٢٢.
- (٩٦) أبو قاسم البرادي: الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات (الدرجيني). ط حصرية القاهرة ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م ١٨٢ - ٢٠٠.
- (٩٧) محمد حسن - تحقيق سير الشماخي. ١٦٨. وقد حلل القضية في الهوامش تحليلا وافيا.
- (٩٨) بشار إبراهيم ن.م. ٣٩١.
- (٩٩) الشماخي. السير. ٢٢٩ - ٢٣٠.
- (١٠٠) انظر الجعبري نظام العراية.
- (١٠١) الشماخي. السير. ٤٢٤.
- (١٠٢) محمد بن حسن تحقيق سير الشماخي ٢٧٨. انظر فرائد الجعبري البعد الحضاري ٢٤٠ - ٢٤٤ - ٣٩٦
- (١٠٣) عمرو خليفة النامي ملاحم عن الحركة العلمية في أوجلا، محاضرة شارك بها في المؤتمر الفكري الاسلامي بوجلا، مجلة الأصالة الجزائرية
- (١٠٤) والشيخ سالم بن يعقوب نسخة بخطه من هذه الحجازية، ويبدو مما فيها من هوامش انه اعتمد فيها على عدة نسخ. مكتبته الخاصة غيزن جربة.
- (١٠٥) الدرجيني. الطبقات ٤٩٨/٢، الشماخي. السير. ٤٤٦.
- (١٠٦) هذه الكتب المذكورة توجد نسخا منها في المكتبة البارونية فان لم تكن هي بعينها فهي نسخ منسوخة عنها. وقد قامت وزارة التراث القومي والثقافة العماني بطبعها جميعها. محمد بن وصاف العماني (ق ٧هـ/١٢م) شرح كتاب الدعائم لابن النضر العماني (ق ٦هـ/١٢م) تحقيق عبد الله عامر. طب مطبعة عيسى البابي الحلبي. ١٩٨٢م يقع في جزئين: ابراهيم الحسن البسيوي (ق ٥هـ/١١م) جامع ابي الحسن البسيوي، مطابع جريدة عمان ١٩٨٤ في أربعة أجزاء. محمد بن جعفر الأركوني (ق ٩/٣) الجامع بن جعفر تحقيق عبد الله عامر. ط عيسى البابي الحلبي. القاهرة ١٩٣٦ يقع في ثلاثة أجزاء. وكل هذه الكتب في اللغة عدا ١٤٨ الأولى فهي في العقيدة (شرح الدعائم).
- (١٠٧) البرادي. الجواهر ١١.
- (١٠٨) فرائد الجعبري: نظام العراية ٢٠٣ - ٢٩٥
- (١٠٩) السامي. التلطف ٣١٠/١ ونص الرحلة ٣٠٩ - ٣١٩
- (١١٠) انظر حصاد تدوة الدراسات العمانية ٢٠٩ - ٢٤٣
- (١١١) انظر ماسبق قصة تأليف الدرجيني.
- (١١٢) أم وجبجي بحساب الجمل.
- (١١٣) فرائد الجعبري: نظام العراية. ٢٩٦.
- (١١٤) نسخ المنظومة الشيخ سالم بن يعقوب من خط الشيخ قاسم بن يعقوب الويراني اللاجيمي الجربي رحمه الله في جمادى الأولى ١٣٥٤هـ بمصر. انظر دفتر رقم ٢٢ - ٢٤ بمكتبته، بغزين جربة. والمنظومة من البحر البسيط
- (١١٥) يقع هذا المحقق في ٢٢ صفحة وقد صور لنا مشكورا الأستاذ سليمان البكي من قرية بسجن بوادي ميزاب، وهو بخط مغربي واضح جملة ونسقة لنفسه بثلثة ألحاح بن بشار بن محمد بن نيف وعشرين من ذي القعدة ١١٨٠هـ
- (١١٦) الرسالة المخطوطة نسخها الشيخ سالم بن يعقوب بمصر. دفتر رقم ٢ من ص ٨٤ - ٨٨ من الحجم الكبير
- (١١٧) السامي. التلطف. ٧٩٢/٢ - ٨٢.
- (١١٨) فرائد الجعبري: البعد الحضاري. ١٥٧.
- (١١٩) السامي. التلطف ٨٢/٢.
- (١٢٠) نرى لزاما علينا ان نتقدم بجزيل الشكر لاختونا في وادي ميزاب ان حاشا لاسلنا من يطلب منهم وثائق في شأن هذا الموضوع وافقونا بنسخ مما يمتلكون. ولعلها تتفق براساسات القطب وغيره في المرحلة التي لم تصل الى تحليل تراثها (الباحث).

●● الفصل الثاني

- (١) السامي تحفة الأعيان، ج ١، ص ٦٦.
- (٢) البرادي: الجواهر المنتقاة، القاهرة، سنة ١٨٨٤، ص ١٥٥.

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

- (٣) الضماخي كتاب السير، ص ٧٠ (طبع القاهرة ١٣٠١هـ). ومحمد علي دبور: تاريخ المغرب الكبير، ج ٢، ص ١٢٨ - ١٤٩ (طبع القاهرة ١٩٦٢م). والسيابي السمانلي: اصدق الخناجع في تمييز الإباضية من الخوارج، ص ٥٩.
- (٤) سالم السيابي: إزالة الوباء عن أتباع الشيعاء، ص ١٢ - ٢٢، ومجاهاً فيها من مراجع.
- (٥) سيدة كاشف عمان في فجر الإسلام، ص ٦٧. ومذكورة من مراجع.
- (٦) الوريلائي: كتاب الدليل والبرهان، طبعة حجرة، المطبعة البارونية بالقاهرة ١٣٠٦هـ.
- (٧) رجب محمد عبدالطيم العمانيون والملاحاة والتجارة ونشر الإسلام، مسقط سنة ١٩٨٩، ص ٢٩، ٤٠.
- (٨) من اعياد الدكتور رجب محمد عبدالطيم.
- (٩) المرجع السابق، ص ٤٠.
- (١٠) نور الدين السامي: تحفة الأعيان، ج ١، ٢٢، ٢٤، ٢٧، ٣٩.
- (١١) المرجع السابق، ج ١، ٥٦، ٥٣، ٥٦.
- (١٢) الطبري، تاريخه، ج ٥.
- (١٣) نور الدين السامي: نفس المرجع، ج ١، ص ٥٩ - ٦٠.
- (١٤) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٣٤ - ٢٢٩.
- (١٥) المرجع السابق، ج ١، ص ١٦٦ - ١٦٨.
- (١٦) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٤ - ٣٠٦.
- (١٧) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧٦ - ٣٧٧.
- (١٨) تحفة الأعيان، ج ٢، ص ٦١ - ٦٤.
- (١٩) المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٣ - ٧٥.
- (٢٠) المرجع السابق، ج ٢، ص ٨٦ - ٧٨.
- (٢١) المرجع السابق، ج ٢، ص ٩٤.
- (٢٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٠١ - ١٠٤.
- (٢٣) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٧٢.
- (٢٤) رجب محمد عبدالطيم، العمانيون والملاحاة والتجارة ونشر الإسلام، مسقط سنة ١٩٨٩، ص ٧٠.
- (٢٥) نور الدين السامي: تحفة الأعيان يسيرة أهل عمان، مسقط سنة ١٩٨١، ج ١، ص ٤.
- (٢٦) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٩٤.
- (٢٧) المرجع السابق، ج ١، ص ٣٥٢.
- (٢٨) المرجع السابق، ج ١، ص ٣٥٢.
- (٢٩) سعيد عاشور، عرض خليفات: عمان والحضارة الإسلامية، مسقط سنة ١٩٨٧م، ص ٢٢٨.
- (٣٠) رجب محمد عبدالطيم: نفس المرجع، ص ٩ - ١٠.
- (٣١) سرحان بن سعيد الأركوي: تاريخ عمان، المقتبس من كتاب كشف اللغة الجامع لاختيار الائمة، حققه عبدالمجيد حبيب القيسي (مطابع سجل العرب، ١٩٨٠) ص ١١.
- (٣٢) محمد بن عبدالله السامي: نهضة الأعيان بحرية عمان (القاهرة دت) ص ٤٥، انظر ايضا آف. سي. ولكسون، تراجم علماء عمان من القرن التاسع حتى القرن الرابع عشر الميلادي في كتاب: عمان تاريخاً وعطاء، ترجمة محمد أمين عبده (١٩٨٠) ص ٤١.
- (٣٣) ولكسون المصدر نفسه، ص ٣٣ - ٤٤، انظر ايضا الدكتور فاروق عمر: مقدمة في دراسة التاريخ العماني (بغداد، ١٩٧٩) ص ١٨ - ١٩.
- (٣٤) عبدالله بن خلفان بن قيسر: سيرة الامام ناصر بن مرشد، تحقيق عبدالمجيد حبيب القيسي (١٩٧٧) ص ١٣.
- (٣٥) ابن قيسر المصدر نفسه، مقدمة الحق، ص ٧.
- (٣٦) الأركوي المصدر السابق، ص ٩٠.
- (٣٧) الأركوي المصدر نفسه، ص ٩٧.
- (٣٨) المصدر نفسه، ص ٩ - ١٠.
- (٣٩) المصدر نفسه، ص ٤.
- (٤٠) حميد بن محمد بن رزيق: الفتوح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبدالمعظم عامر.. محمد مرمي عبده (مطابع سجل العرب، ١٩٧٧، ص ١.
- (٤١) ابن رزيق، المصدر نفسه، ص ٢.
- (٤٢) المصدر نفسه، ص ٢١٢.
- (٤٣) لقد حقق هذا الكتاب ونشره عبدالمعظم عامر (١٩٧٨).
- (٤٤) نقلاً عن فاروق المصدر السابق، ص ١٠٣.
- (٤٥) ولكسون، المصدر السابق، ٧٦.
- (٤٦) نور الدين عبدالله بن محمد السامي: تحفة الأعيان يسيرة أهل عمان، قام بطبعه وتصحيحه والتعليق عليه ابواسحاق ابراهيم لطيف الجرايري (مطبعة الشباب، القاهرة ط ٢، ١٣٥٠، ج ١، ص ٢.
- (٤٧) السامي المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٤.
- (٤٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣.
- (٤٩) ولكسون المصدر السابق ص ٧٤ - ٥.
- (٥٠) ولكسون المصدر نفسه، ص ٧٦. عن: المصدر السابق، ص ٢٤ - ٥.
- (٥١) الأركوي، المصدر السابق، ص ١١٢.
- (٥٢) السامي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٢.

- (٥٣) سليمان محمد الفنام: الوجود البرتغالي في المصادر العمانية المحلية، مصادر تاريخ الجزيرة العربية (مطبعة جامعة الرياض ١٩٧٩) ج ٢ ص ١١٦.
- (٥٤) الأركوي: المصدر السابق، ص ٩١ - ٩٢، ابن رزيق: الفتح المبح، ٢٥٤ - ٥٠، انظر أيضاً عكشة على السيار: دولة البعارة في عمان وثغر إفريقيا دار القدس، بيروت، ط ١ (١٩٧٥) ص ٤١ - ٣.
- (٥٥) الأركوي: المصدر السابق، ص ١٤١، المعولي: المصدر السابق، ص ١٥٧، ابن رزيق: الفتح المبح، ص ٣٣٦ - ٧.
- (٥٦) السالمي: المصدر السابق، ج ٣ ص ١٤٢.
- (٥٧) ابن رزيق: الفتح المبح، ص ٣٢٥ - ٦.
- (٥٨) الأركوي: المصدر السابق، ص ١١٣.
- (٥٩) السالمي: المصدر السابق، ج ٣ ص ١٠٦ - ٧.
- (٦٠) رودولف سعيد روت، سلطنة عمان حكم السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦)، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي (مطبعة جامعة البصرة ١٩٨٢)، ص ٤٢ - ٣.
- (٦١) المصدر نفسه، ص ٣٧٠، ٤٣٨.

●● الفصل الثالث

- (١) وزارة الاعلام بسلطنة عمان: عمان في عيون العالم (مسقط ١٩٨٧) ج ٢ - ١٨٨.
- (٢) المقسي: احسن التقاسيم (لبن ١٩٠٦) ص ٣٥.
- (٣) درويش، مديحة أحمد: سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (جدة ١٩٨٢) ص ٢٤ - ٥٥.
- (٤) عمان في عيون العالم ج ١ ص ١٧١، درويش: المصدر السابق ص ٢٤ - ٣٦.
- (٥) وزارة الاعلام بسلطنة عمان: عمان ١٩٨٦ ص ١٦، عمان في عيون العالم ج ٢ ص ٢٥.
- (٦) عمان في عيون العالم ج ١ ص ١٧٠.
- (٧) عمان في الآلاف الثالثة قبل التاريخ الهلالي، سلسلة تراثنا، العدد ٤١، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (٨) فولي، دونالد: عمان، مؤسسة ستايس الدولية.
- (٩) نفس المصدر.
- (١٠) الأركوي، سرحان بن سعيد: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق أحمد عبيدلي، قبرص، دلون للنشر.
- (١١) مجلة الدراسات العمانية، مختارات من الجزئين الأول والثاني ص ١٤٥، مصطفى، محمد أبوالحسن: الفن اللينيني، بيروت دار النهضة العربية، اصدار عام ١٩٧٥، ١٩٧٦، وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١٢) ميوان، مادلين هورس: تاريخ قرطاج، بيروت - باريس.
- (١٣) فولي دونالد: عمان.
- (١٤) عمان في عيون العالم ج ٢ ص ١٨٨.
- (١٥) عمان في عيون العالم ج ٢ ص ١٩٠ - ١٩١، Hawley/ op. its. jpp. 32. 33. 124.
- (١٦) البوسعيد، الرائد هلال بن محمد بن أحمد، تاريخ الحصون والقلاع في عمان، عام ١٩٨٨ م.
- (١٧) نفس المصدر.
- (١٨) السالمي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، الجزء الاول، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة عام ١٩٨٦ م.
- (١٩) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة بهلا.
- (٢٠) نفس المصدر.
- (٢١) نفس المصدر.
- (٢٢) نفس المصدر.
- (٢٣) الفلقشندي: نهاية الارب في معرفة انساب العرب، بيروت دار الكتب العلمية.
- (٢٤) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥ م.
- (٢٥) ماهر د. سعاد. حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠ م.
- (٢٦) نفس المصدر.
- (٢٧) نفس المصدر.
- (٢٨) الأركوي، سرحان بن سعيد: كشف الغمة، تحقيق أحمد عبيدلي، قبرص، دلون للنشر.
- (٢٩) السالمي، عبيدالله بن حميد: حفلة الاعيان، الجزء الاول، الكويت، دار الطباعة، الطبعة الخامسة ١٩٧٤ م.
- (٣٠) ماهر، د. سعاد: حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠ م.
- (٣١) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة صحار.
- (٣٢) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥ م.
- (٣٣) نفس المصدر.
- (٣٤) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، حصن نخل.
- (٣٥) الأركوي، سرحان بن سعيد: كشف الغمة، تحقيق أحمد عبيدلي، قبرص، دلون للنشر.
- (٣٦) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥ م.
- (٣٧) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة نزوى.
- (٣٨) نفس المصدر.
- (٣٩) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة نزوى.
- (٤٠) البوسعيد، الرائد هلال بن محمد بن أحمد، تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨ م.
- (٤١) ماهر، د. سعاد. حصاد ندوة الدراسات العمانية، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠ م.
- (٤٢) ابن رزيق: الفتح المبح في سيرة السادة البوسعديين، البوسعيد، الرائد هلال بن محمد - تاريخ الحصون

- (٤٢) والسليبي، سالم بن حمود عمان عبر التاريخ، البوسعيدي، هلال بن محمد تاريخ الحصون والقلاع في عمان.
- (٤٤) ابن دزريق الفتح المجيد، البوسعيدي، هلال بن محمد، تاريخ الحصون والقلاع في عمان
- (٤٥) ابن دزريق الفتح المجيد
- (٤٦) نورالدين السالمي تحفة الأعيان، ج ٢، الطبعة الخامسة.
- (٤٧) البوسعيدي، الرائد هلال بن محمد تاريخ الحصون والقلاع في عمان.
- (٤٨) المرجع السابق
- (٤٩) هولي، دونالد عمان، مؤسسة ستايس الدولية.
- (٥٠) مجموعة مؤلفين، الهجوم الوسيط، الجزء الثاني، بيروت، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية.
- (٥١) عمان وتاريخها البحري، اصدار وزارة الاعلام، ١٩٧٩.
- (٥٢) ماهر، د. سعاد حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة
- (٥٣) السليبي، عائشة علي دولة البعارة في عمان وشرق افريقيا، بيروت، دار القدس.
- (٥٤) ماهر، د. سعاد حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة
- (٥٥) الاكزي، سرحان بن سعيد، كشف الغمة، تحقيق أحمد عبيدي، قبرص، دانون للنشر
- (٥٦) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥
- (٥٧) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة الجلاي
- (٥٨) هولي، دونالد عمان، مؤسسة ستايس الدولية
- (٥٩) عمان وتاريخها البحري، اصدار وزارة الاعلام، ١٩٧٩ م.
- (٦٠) هولي، دونالد عمان، مؤسسة ستايس الدولية.
- (٦١) البوسعيدي، الرائد هلال بن محمد تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨ م
- (٦٢) عمان وتاريخها البحري، اصدار وزارة الاعلام، ١٩٧٩ م.
- (٦٣) ماهر، د. سعاد حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة
- (٦٤) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة الميراني
- (٦٥) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥
- (٦٦) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، حصن البريمي.
- (٦٧) السالمي، محمد بن عبيد + عساف، ناجي عمان تاريخ يتكلم، دمشق، ١٩٦٣.
- (٦٨) نفس المصدر
- (٦٩) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة مطرح.
- (٧٠) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، بيروت، مكتبة دار الهلال.
- (٧١) البوسعيدي، الرائد هلال بن محمد تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨ م.
- (٧٢) سلسلة دليل الزائرين، وزارة التراث القومي والثقافة
- (٧٣) البوسعيدي، الرائد هلال بن محمد تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨ م.
- (٧٤) هولي، دونالد عمان، مؤسسة ستايس الدولية
- (٧٥) مجلة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، والجزء السادس، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة
- (٧٦) السالمي، عبيد بن حميد، عساف، ناجي عمان تاريخ يتكلم، دمشق، ١٩٦٣ م.
- (٧٧) السالمي، حميد بن عبيد الله تحفة الأعيان، الجزء الثاني، الكويت، دار الطليعة، ١٩٦٤ م.
- (٧٨) الاكزي، سرحان بن سعيد، كشف الغمة، تحقيق أحمد عبيدي، قبرص، دانون للنشر.
- (٧٩) مجلة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، والجزء السادس، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (٨٠) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، حصن جبرين.
- (٨١) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، بيت النعمان
- (٨٢) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥ م
- (٨٣) البوسعيدي، الرائد هلال بن محمد بن أحمد تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨ م
- (٨٤) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥ م.
- (٨٥) عمان وتاريخها البحري، اصدار وزارة الاعلام، ١٩٧٩.
- (٨٦) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة مطرح
- (٨٧) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، بيروت، مكتبة دار الهلال.
- (٨٨) الاكزي، سعيد بن سرحان، كشف الغمة، تحقيق أحمد عبيدي، قبرص، دانون للنشر.
- (٨٩) هولي، دونالد عمان، مؤسسة ستايس الدولية
- (٩٠) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥
- (٩١) البوسعيدي، الرائد هلال بن محمد تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨.
- (٩٢) دريكو، اي مجلة الدراسات العمانية، الجزء ٦/١.
- (٩٣) البوسعيدي، الرائد هلال بن محمد تاريخ الحصون والقلاع في عمان، سنة ١٩٨٨
- (٩٤) السالمي، محمد بن عبيد + عساف، ناجي عمان تاريخ يتكلم، دمشق، ١٩٦٣
- (٩٥) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥
- (٩٦) ويلسون، الفشتات كولونيل سير ارنولد تاريخ الخليج، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (٩٧) المعوتري، سلمه بن مسلم الانساب، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (٩٨) الفيود، د. نافع توفيق آل المهلب بن أبي صفرة، بغداد، مطبعة الجامعة.
- (٩٩) الطبري، ابوجعفر محمد بن جرير تاريخ الملوك والأمم، بيروت.

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

- (١٠٠) الأزكوي، سرحان بن سعيد: كشف الغمة، تحقيق أحمد عبيدلي، قريش، دلمون للنشر.
- (١٠١) نفس المصدر - السالمي، عبيد الله بن حميد: تحفة الاعيان، الجزء الأول، الكويت، دار المطبعة، ١٩٨٤.
- (١٠٢) نفس المصدر.
- (١٠٣) عمان وتاريخها البحري، اصدار وزارة الاعلام، ١٩٧٩.
- (١٠٤) الأزكوي، سرحان بن سعيد: كشف الغمة، تحقيق أحمد عبيدلي، قريش، دلمون للنشر، السالمي، عبيد الله بن حميد: تحفة الاعيان، الجزء الأول، الكويت، دار المطبعة، ١٩٦٤.
- (١٠٥) عمان وتاريخها البحري، اصدار وزارة الاعلام، ١٩٧٩.
- (١٠٦) محفوظ، اللواء جمال: فن الحرب عند العرب في الجاهلية والاسلام، موسوعة الحضارة العربية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- (١٠٧) ابن بطوطة، محمد بن عبيد الله اللواتي: رحلة ابن بطوطة (المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار)، بيروت.
- (١٠٨) بربين، جاكليز، اكتشاف جزيرة العرب، بيروت، دار الكتاب العربي.
- (١٠٩) ويلسون، لعشانت كولوئيل سيم: ارنولدات، تاريخ الخليج، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١١٠) ديكو، اي: مجلة الدراسات العمانية، الجزء ٢/٦، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١١١) هولي، دونالد عمان، مؤسسة ستايس الدولية.
- (١١٢) ماهر، د. سعاد: حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠.
- (١١٣) بيغ، جيمز البرج في العمارة الاسلامية العربية، كتب دار المعارف الاسلامية (٦)، (مترجم، بيروت دار الكتاب اللبناني).
- (١١٤) دي كاردوي، بياتريس: دراسة لأثار عمان، تراثا العدد ٣٩، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١١٥) محفوظ، اللواء جمال: فن الحرب عند العرب في الجاهلية والاسلام، موسوعة الحضارة العربية الاسلامية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- (١١٦) ماهر، د. سعاد: حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠.
- (١١٧) دي كاردوي، بياتريس: دراسة لأثار عمان، تراثا العدد ٣٩، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١١٨) ماهر، د. سعاد: حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠.
- (١١٩) نفس المصدر.
- (١٢٠) البوسعيد، الرائد هلال بن محمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨.
- (١٢١) محفوظ، اللواء جمال: فن الحرب عند العرب في الجاهلية والاسلام، موسوعة الحضارة العربية الاسلامية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- (١٢٢) البوسعيد، الرائد هلال بن محمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨.
- (١٢٣) تراثا، العدد ٣٩، ٤٢، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة، مجلة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١٢٤) مجلة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، والجزء السابع، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١٢٥) نفس المصدر.
- (١٢٦) عمان في عيون العالم ج ٢ - ١٩٠ - Hawley, op. cit. p. 31, 124
- (١٢٧) Hawley, op. cit. p. 136
- (١٢٨) Hawley, op. cit. p. 32
- (١٢٩) عمان في عيون العالم ج ٢ - ص ١٩٠ - ١٩١.
- (١٣٠) Creswell, K. A. C. Fortifications in Islam before A.D 1250 Proceedings Of the British Acad-emy; no. 38, 1952 p. 91
- (١٣١) Hawley, op. cit. p. 124
- (١٣٢) Hawley, op. cit. p. 128
- (١٣٣) ابن بطوطة: رحلة (بيروت ١٩٦٤) ص ٢٧١
- (١٣٤) مورتكات (انطوان) الفن في العراق القديم (مترجم) (بغداد ١٩٧٤) ص ٢٠٠.
- (١٣٥) محمد (غازي رحيم) (تأثير الظروف البيئية على تصميم المباني عند العرب) تحت الطبع.
- (١٣٦) Hawley, op. cit. p. 160 - 161
- (١٣٧) Hawley, op. cit. p. 36 - 128
- (١٣٨) Hawley, op. cit. p. 127
- (١٣٩) Hawley, op. cit. p. 118
- (١٤٠) Hawley, op. cit. p. 121
- (١٤١) Hawley, op. cit. p. 35
- (١٤٢) Rathjens, S., Jewish Domestic Architecture in Sana'a, Jerusalem 1957 p. 42 f Hawley, op. cit. p. 112
- (١٤٣) ديمان-د (م س) الفنون الاسلامية / مترجم (القاهرة ١٩٥٨) ص ١١٠، ابن كثير (ابوالخدا) البداية والنهاية (بيروت والرياض ١٩٦٦) ج ١٤ ص ٢٩٨.
- (١٤٤) بلياس (ل. ت): (الابنية الاسلامية) مترجم، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية (مصدر) ج ١ (١٩٥٣) ص ١٢٧ - ١٢٥
- (١٤٥) ابن بطوطة: رحلة ص ٣٧١
- (١٤٦) ابن بطوطة: رحلة ص ٣٧١.

- (١٤٧) Hawley, op. cit. pp. 170 - 171
(١٤٨) Hawley, op. cit. ip 168 - 169
(١٤٩) مؤسس (حسين) المساجد/ عالم المعرفة ٣٧ (١٩٨١) ص ١٤٥ - ١٤٧.
(١٥٠) اليوسعدي، الرائد هلال بن محمد تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨.
(١٥١) هولي، دونالد عمان، مؤسسة سقايس الدولية
(١٥٢) بيچ، بروتون البرج في العمارة الحربية الإسلامية، كتب دار المعارف الإسلامية، (٦)، بيروت، دار الكتاب اللبناني،
(١٥٣) الجنابي، د. خالد جاسم، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر
(١٥٤) اليوسعدي، الرائد هلال بن محمد تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨.
(١٥٥) مجلة الدراسات العمانيّة، الجزء الثاني، تراثنا، العدد ٤٢، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة
(١٥٦) نفس المصدر
(١٥٧) الصاروخ نوع من الملاط يدخل في تركيبه الجير.
(١٥٨) السميم، جمع سم، والسمة نوع من الفراش تغطي به السفوف وأرضية الصدرات ويتخذ من سعف النخيل.
(١٥٩) ضيف، شوقي تاريخ الأدب العربي عصر الدولة والإمارات، المجلد الخامس، القاهرة - دار الهلال.
(١٦٠) خلاف، د. محمد عبدالوهاب، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي - الخاس الهجري، تونس، الدار التونسية للنشر
(١٦١) عبدالجواد، توفيق أحمد تاريخ العمارة والقنن (٣)، العصور المتوسطة الأوروبية والإسلامية، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة.
(١٦٢) هولي، دونالد عمان، مؤسسة سقايس الدولية.
(١٦٣) اليوسعدي، الرائد هلال بن محمد تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨.
(١٦٤) زهران، د. محسن فلسفة التصميم، فن التشكيل والنقد المعماري تجاه المتغيرات المعاصرة، القاهرة، دار الهلال.
(١٦٥) حماد، د. محمد، ميس فاند دورده (راشد العمارة الموضوعية)، اعلام الهندسة وأعمالهم (٣)، القاهرة، الطبعة الأولى،
(١٦٦) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥.
(١٦٧) الحارثي، عبدالله بن ناصر، بنو نبهان في عمان والأوصاع الاقتصادية في عصرهم، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٠.
(١٦٨) اليوسعدي، الرائد هلال بن محمد تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨

●● الفصل الرابع

- (١) حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادة اليوسعديين، مصدر سابق.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٤٩.
(٣) مجمع البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت سنة ١٩٧٧، ج ٤، ص ٣٩٣.
(٤) رحلة ابن بطوطة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧، ص ٢٨٤.
(٥) سالم بن حمود السبياني عمان عبر التاريخ، مسقط، سنة ١٩٨٦، ج ١، ص ٢٢ - ٢٤.
(٦) نور الدين السالمي، تحفة الأعيان، مسقط، بدون تاريخ، ج ١، ص ٢٢ - ٢٤.
(٧) كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمة، المؤلف مجهول، تاليف أحمد عبيدلي، دبلوم للنشر، قجر، سنة ١٩٨٥، ص ٢١٢ - ٢١٧، تحفة الأعيان، ج ١، ص ٢٣ - ٢٨.
(٨) كشف الغمّة، ص ٢١٨ - ٢٢٢.
(٩) تحفة الأعيان، ج ١، ص ٣٣.
(١٠) حصاد ندوة الدراسات العمانيّة ج ١، ص ٢٧٧.
(١١) صورة الأرض، ص ٤٤.
(١٢) المسالك والممالك، ص ٢٥.
(١٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج ٥، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.
(١٤) مال الله بن علي بن حبيب ملاح من تاريخ عمان، ص ٣.
(١٥) أندرو ويليامسون، حصار عبر التاريخ، ص ٢٨.
(١٦) المرجع السابق، ص ١٩ و ٢٢.
(١٧) أندرو ويليامسون، حصار عبر التاريخ، ص ١٩ و ٢٢.
(١٨) الكتابان وردا في مخطوطة عمانيّة مجهولة المؤلف حققها الدكتور سعيد عاشور وجعل عناونها (تاريخ أهل عمان) ص ٤ وما بعدها، وكذلك انظر ص ١٦ من الباب الثالث من هذا الكتاب
(١٩) عمان وتاريخها البحري، إصدار وزارة الاعلام، ص ٢٤.
(٢٠) Stephen and Handt Ronald: Arab Civilization p.396.
(٢١) Bager: History of the Imams and Sayyids of Oman: The Introduction.
(٢٢) حصاد ندوة الدراسات العمانيّة، ج ٢، ص ٣٨.
(٢٣) سلطنة عمان ومسيرة الخير، المنطقة الداخلية والوسطى، ص ١٩.
(٢٤) المرجع السابق، ص ٢٣.
(٢٥) الشيخ سعيد بن علي المفيعي، جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص ١٩٩.
(٢٦) مال الله بن علي ملاح من تاريخ عمان، ص ٢٤.
(٢٧) كتاب البلدان، ص ١١٧.
(٢٨) رحلة ابن بطوطة، ج ٢، ص ٢١٠ - ٢١١.

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

- (٢٩) عمان عبر التاريخ، ج ١، ص ٦٢.
(٣٠) المرجع السابق، يتصرف ص ١٢.
(٣١) عمان في صفحات القاري، ص ٧٤، ٣١، ٤٣ بالتوالي.
(٣٢) عمان وتاريخها البحري، ص ٧١.

الفصل الخامس

- (١) انظر عمان وتاريخها البحري، ص ٩، سلطنة عمان، وزارة الاعلام والثقافة (سابقا)، طبع ١٩٧٩.
(٢) انظر حوراني، جورج فضلو العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٢٧، ٢٨، ٢٩، ترجمة يعقوب بكر مطابع دار الكتاب بالقاهرة.
(٣) ان مياه الخليج العربي تتألف من الواقع من المياه العميقة والشواطئ المحيطة بخليجي، الخليج العربي الذي تحف به اليابسة من كل جانب وخليج عمان الذي يمتد لسانه الى داخل البحر العربي، ويؤلف هذا الخليجان، اعتمادا للمحيط الهندي، حوضا يشترق قلب الشرق الأوسط، ويلتقي طرفهما الشمالي بسهل العراق والطرق المؤدية الى البحر الأبيض المتوسط، بينما يفتح طرفهما الجنوبي على سواحل المحيط الهندي وإفريقيا الشرقية، وهكذا فإن عمان تعتبر ملتقى الأمم وأقدم طرق المواصلات الدولية، ولهذا تركت أثرا هائلا في تاريخ المنطقة وآسيا وإفريقيا.
(٤) انظر مايلز سب، الخليج وبلاده وقبائله ص ٢٤، سلطنة عمان، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
(٥) انظر حوراني، جورج فضلو العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٤٢، ترجمة د. يعقوب بكر، مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة، ثم انظر العائني، عبدالرحمن، دور العمانيين في الملاح والتجارة الإسلامية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص ٤، سلطنة عمان - وزارة التراث القومي والثقافة، سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
(٦) انظر مايلز سب، المرجع السابق، ص ٢٥ و ٢٧.
(٧) انظر حوراني، جورج المرجع السابق، ص ٤٨ و ٥٢.
(٨) عصام سفيني: الانتشار العربي في الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب، ص ٨٧.
(٩) عصام سفيني: الانتشار العربي في الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب، ص ٨٩.
(١٠) المرجع السابق، ص ٨٩.
(١١) انظر، الساسي محمد بن عياد، وتاجي عساف: عمان تاريخ يتكلم، ص ٨٠ - ٨١، دمشق ١٢٨٢ هـ.
(١٢) باقرت الحموي: معجم البلدان، مجلد ٢، ص ٤٣٥.
(١٣) المصدر السابق، مجلد ٢، ص ٢٧٨، وأرجع كذلك الى الحموي: الروض المعطار، ص ٢٢٠.
(١٤) عصام سفيني: المرجع السابق، ص ٩٠.
(١٥) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ٩٢ - ٩٣.
(١٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ١٣٩.
(١٧) فاروق عمر فوزي: الخليج العربي في العصور الإسلامية، ص ٤٤.
(١٨) فاروق عمر فوزي: انتشار العرب في العالم الخليج العربي الشرقية، ص ٧١.
(١٩) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٢١٢ - ٢١٣.
(٢٠) البلاذري فتوح البلدان، ج ٢، ص ٤٧٦، سيده كاشف، عمان في فجر الاسلام، ص ٣٥، فاروق عمر فوزي: انتشار العرب، ص ٧٢، فاروق عمر فوزي: الخليج العربي، ص ٤٢.
(٢١) فاروق عمر فوزي: انتشار العرب، ص ٧٢، وعن جريدة ابن كاوان التي فتحها عمرو بن العاص وبني بها مسجده، انظر السعدي، مروج الذهب، ج ١، ص ١٠٩.
(٢٢) البلاذري: فتوح البلدان، ج ٢، ص ٤٧٦.
(٢٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ص ٢١٤ - ٢١٤.
(٢٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٥.
(٢٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٨٤، فاروق عمر فوزي: انتشار العرب، ص ٧٤.
(٢٦) البلاذري: فتوح البلدان، ج ٢، ص ٥٢، عبادة كحيلة: العرب واليهود، ص ٤٩.
(٢٧) البلاذري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٤.
(٢٨) الثعالب: ثمار القلوب في الخصال والنسب، القاهرة ١٩٠٨ م، ص ٢٣٤.
(٢٩) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق الأستاذ محيي الدين عبدالحميد، ج ١، القاهرة ١٩٥٨ م، ص ١٠٧.
(٣٠) لمزيد من التفاصيل عن غزو رويس عنده في سنة ٥٢ هـ / ٦٧٢ م أرجع الى البلاذري، فتوح البلدان، قسم أول، ص ٢٧٨، وعن فتح القريظ عام ٥٥٥ هـ / ٦٧٥ م أرجع الى البلاذري نفس المصدر، ص ٢٧٩.
(٣١) البلاذري: المصدر السابق قسم أول، ص ١٥٠ وما يليها.
(٣٢) كانت لاخري ببحره جارية الا عن معرفته وتمت اشرافه (ابن حيان، المختصر من أبناء أهل الأندلس، تحقيق الدكتور محمود علي مكي، بيروت ١٩٧٢ ص ١٢٣، راجع التعليق في حاشية رقم ٤).
(٣٣) كان ولده خشخاش رئيسا لاسطول الأندلس في عهد الامير محمد، لذلك عرف بخشخاش البحري وتشير المصادر العربية الى بلاك في معاربة النورمانيين عندما اغارت مراكبهم على سواحل مرسية سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ فقد صدهم خشخاش وقائد بحري آخر يدعى ابن شكون في مراكب الأندلس صدمة عنيفة انتهت باستشهاده مع بعض رجاله (ابن حيان، المختصر تحقيق د/ محمود مكي، ص ٢٠٨، العنري ترصيع الاخبار وتنويع الاثار، والبستان في غرائب البلدان، الاسكندرية، تحقيق الدكتور عبدالعزيز الأهواني، مدريد ١٩٦٥، ص ١١٨،
(٢٤) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ مدينة أمرية الإسلامية، بيروت ١٩٦٩، ص ٣٠.
(٢٥) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١٤٩ - السيد عبدالعزيز سالم، التجارة البحرية في الخليج في صدر الاسلام، بحث مقدم الى مؤتمر قطر، سنة ١٩٧٦، ج ١، ص ٤٠٠.

- (٢٦) المسعودي المصدر السابق، ص ١٤٩. ويحرر مركند يقابل خليج البنغال في الوقت الحاضر.
- (٢٧) نفسه، ص ١٤٩. ويرتديب هي سريلانكا حاليا، وجزائر لنجبالوس هي نيكوبار وشلاط هي مالقة، وبلاد الصنف هي ملكة تشابا الواقعة شرقي الصين الهندية. انظر عبادة كحيلة، العرب والبحر، ص ٦٠.
- (٢٨) الأصطخري المسالك والممالك، ص ٢٠.
- (٢٩) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٤٩.
- (٣٠) المصدر السابق، ص ١٤٧. وأرجع كذلك إلى ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٨، وابن رسته. الاصلح النغسية، ص ٨٦. وعن المعوقات والأخطار التي واجهت حركة التجارة في شرقي الجزيرة العربية، أرجع إلى أحمد الطوخي، شرقي الجزيرة العربية، ص ٩٢ - ٩٩.
- (٤١) ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان، ص ١١ - سلسلة التواريخ، ص ١٠٠. ويذكر المسعودي أن الدرود عرف بدرود مسندم ويكنيه البهريون بأبي جهرة. (المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١١١).
- (٤٢) المقدسي أحسن التقاسيم، ص ١٨.
- (٤٣) المسعودي مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٠.
- (٤٤) سلسلة التواريخ، ص ١٨٧. المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٠.
- (٤٥) ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان، ص ١٢. سلسلة التواريخ، ص ٥، ص ١٨٦ - ١٨٧. المسعودي مروج الذهب، ج ١، ص ١٥١. المقدسي أحسن التقاسيم، ص ١٢.
- (٤٦) سلسلة التواريخ، ص ٧ - المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٨٨، ص ١٥٢.
- (٤٧) سرتديب، أكبر جزر بحر مركند وأعظمها، بأقصى بلاد الهند ويتوافر فيها الباقوت الأحمر والمانس ومن شواطئها يجلب العنبر واللؤلؤ والياقوت الحموي. معجم البلدان مادة سرتديب، سلسلة التواريخ، ص ١٧٢، ١٧٣، الحميري، الرص المصنوع، ص ٢٢٢.
- (٤٨) المسعودي مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٢.
- (٤٩) ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان، ص ١٠.
- (٥٠) المصدر السابق، ص ١٠.
- (٥١) المسعودي مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٢. سلسلة التواريخ، ص ٧، ٨.
- (٥٢) المصدر السابق، ص ١٥٢.
- (٥٣) سلسلة التواريخ، ص ٩.
- (٥٤) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٢.
- (٥٥) المصدر السابق، ص ١٥٢.
- (٥٦) ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان، ص ١٠.
- (٥٧) سلسلة التواريخ، ص ١٨٧.
- (٥٨) المصدر السابق، ص ٧.
- (٥٩) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٢.
- (٦٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧٨.
- (٦١) المسعودي مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٢.
- (٦٢) ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان، ص ١٢.
- (٦٣) المصدر السابق، ص ١٢.
- (٦٤) ابن رسته الاصلح النغسية، ص ١٢٨.
- (٦٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٥٧.
- (٦٦) ابن رسته الاصلح النغسية، ص ١٢٨.
- (٦٧) ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان، ص ٨.
- (٦٨) المسعودي مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٢.
- (٦٩) المصدر السابق، ص ١٥٤.
- (٧٠) ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان، ص ١١.
- (٧١) المصدر السابق، ص ١٢.
- (٧٢) المسعودي مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٥.
- (٧٣) المصدر السابق، ص ١٠٧.
- (٧٤) نفسه، ص ١٠٨.
- (٧٥) نفسه، ص ١٠٨.
- (٧٦) نفسه، ص ١٢٨.
- (٧٧) عبادة كحيلة، العرب والبحر، ص ٥٧.
- (٧٨) عجائب الهند، ص ٢٨.
- (٧٩) لمزيد من التفاصيل عن الطريق البري انظر نقولا زيادة الجغرافيا والرحلات عند العرب، ص ٢٢٠ وما يليها.
- (٨٠) ابن خردادبة المسالك والممالك، ص ٦٤ - ٧٢.
- (٨١) ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان، ص ١١ - ١٢.
- (٨٢) سلسلة التواريخ، ص ١٥ - ٢١.
- (٨٣) نفس المصدر، ص ١٨.
- (٨٤) عبادة كحيلة العرب والبحر، ص ٦٠. انظر هامش ٤٠، ٤١.
- (٨٥) اشرنا فيما سبق إلى الرأي القائل بأن تعبير السفن الصينية إنما كان يقصد به السفن التجارية العربية والإسلامية التي كانت مخصصة للرحلة إلى الصين.

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

- Yajima Hkoichi, *Maritime Activities Of Gulf People and the India Ocean World in the 11th and 12th Century*, p55-56
- ويأخذ د. عباده كحيله بهذا الرأي فيما يتعلق بالتجارة العربية والإسلامية قبل الإسلام فيما يتعلق مع المسعودي في مذهب السفن الصينية إلى الخليج العربي إلا في حالات الاضطراب التي تتعرض لها الصين (عباده كحيله، العرب والبحر، ص ٥٩ - ٦٣.
- (٨٦) المسعودي، مروج الذهب، ص ١٤.
- (٨٧) (أرجع إلى سيده كاشف: علاقة الصين بديار الإسلام. مجلة كلية الآثار، عدد ١، ١٩٧٥، ص ٣٩ - السيد عبدالعزیز سالم، التجارة البحرية في الخليج، ص ٨٠ - ٤٠٨
- (Souvaget, Relation De La Chine Et De L'Indonésie, pp XXXV - XXXVI)
- Yajima Hkoichi, *Maritime Activities*, p55- China Handbook Series- History - Translated by (٨٨) Dun J. Li, p56
- (٨٩) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ٧٠.
- China Handbook Series, History, p57 - 59, (٩٠) *op. cit*, p59, (٩١)
- (٩٢) مزيد من التفاصيل عن هذه الاضطرابات السياسية في أواخر عهد أسرة شانغ الصينية أرجع إلى Marwyn S. Samuels, and Carmencia Samuels, *Islam In The Southern Seas. The Impact Of Arabian Gulf Merchants In The South China Sea 10th - 19th Centuries*, p68 - 69
- بحث مقدم إلى ندوة قطر عام ١٩٧٦
- (٩٣) عبادة كحيله العرب والبحر، ص ٦٣.
- (٩٤) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١٢٧ - ١٢٨.
- (٩٥) خانفو (كانتون) مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من نجله يصب إلى بحر الصين وبين هذه المدينة وبين البحر مسرة ستة أيام أو سبعة، تدخل هذا النهر سفن التجارة الواردة من بلاد البصرة وسمرقند وغان وغان الهند وجزائر الزنج والصين وغيرها من الممالك بالأمسية والجهاز، وتقرب إلى مدينة خانفو وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغير ذلك من أهل الصين. (المسعودي، مروج الذهب، ص ١٢٨).
- (٩٦) المصدر السابق، ص ١٢٨.
- (٩٧) نفسه، ص ١٢٩.
- (٩٨) مكثت خمس أسر صينية الصين فيما بين آخر سنة ٩٠٧م (٢٩٥هـ) عندما سقطت أسرة تانج وحتى سنة ٩٦٠م (٢٤٤هـ) ليبدأ عهد من الاستقرار خلال فترة حكم الأسرة الجديدة سانشن (٩٦٠ - ١٢٧٩م) (٢٤٩ - ٦٧٨هـ).
- (٩٩) السيد عبدالعزیز سالم: التجارة البحرية في الخليج في صدر الإسلام، ص ٩٠.
- (١٠٠) المرجع السابق، ص ٤٠٩، *Souvaget, op. cit*, p xxxvii.
- Yajima Hkoichi, *Maritime Activities* p56, (١٠١) *op. cit* p55- 57, (١٠٢)
- (١٠٣) *ibid*, p58. وقد أشار د. عباده كحيله نقلاً عن المصادر الصينية تفاصيل سفارة عمانية نرجح أن تكون هي نفس السفارة التي تحدثنا عنها وقد قام بها الشيخ عبدالله علي حد قوله، وقد دعاه الصينيين كين ياتيو وعاش في مسدنة خانفو (كانتون) سنوات طويلة في القرن الحادي عشر الميلادي، وكان مقرها من الإمبراطور شين زونج (Shen Zong ٤٦٠ - ٤٧٨هـ) (١٠٦٧ - ١٠٨٥م) الذي عينه رئيساً لحي الأجناب بالمدينة، ويذكر د. عباده كحيله أن الإمبراطور انضم على الشيخ عبدالله العماني برتبة عسكرية كبيرة. وقد عاد الشيخ عبدالله إلى عمان سنة ١٠٧٢م (٤٦٥هـ). وقد أعاده الإمبراطور جوانا أبيض اللون ويرجوا (أرجع إلى عباده كحيله العرب والبحر، ص ٦٣ - ٦١).
- (١٠٤) السيد عبدالعزیز سالم: التجارة البحرية في الخليج، ص ٤١٠.
- (١٠٥) عباده كحيله العرب والبحر، ص ٦٦.
- (١٠٦) ج. تيس واران هارما التحارفي أرجع إلى ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٢٢، وانظر (أحمد الشامي: العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى، بحث مقدم إلى مؤتمر قطر، ١٩٧١، ص ٢٢٢ - نقلاً زياده، الجغرافيا والرمالات عند العرب، ص ٢٣٥ - ٢٣٦)
- (١٠٧) ابن بطوطة الرحلة، ص ٢٧٣. وفورم تقع على الساحل إلى الامام من رأس جسر يمتد إلى الشرق من مياه الخليج العربي، وتتمتع هيرم من المدخل الجنوبي للخليج العربي، وهي ذات أهمية استراتيجية كبرى.
- (١٠٨) تختلف سفن البحر المتوسط عن نظائرها في المحيط الهندي وبحار جنوبي آسيا في أن أخشابها الأولى ترتبط فيما بينها بمسامير بينما تخلو منها سفن العمانيين، فكان العمانيون يتخذون من الياف النارجيل حبلاً تشد الراح السفن وترتبط فيما بينها على نحو ما كان متبعاً السفن المصرية في العصور القديمة. (أرجع إلى المسعودي مروج الذهب، ج ١، ص ١٤٧، سلسلة التواريخ، ص ١٧٦، وانظر أيضاً أحمد الشامي: العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى، ص ٢٤٢، عبدالله محمد سيد: التأثيرات المصرية في الحضارة اليمنية القديمة، بحث مقدم إلى ندوة العلاقات المصرية اليمنية، لجنة تضامن الشعوب الآسيوية/ أفريقية، ١٩٩٠، ص ١١.
- (١٠٩) عباده كحيله العرب والبحر، ص ٥٥.
- (١١٠) المسعودي مروج الذهب، ج ٢، ص ٧ وسفالة لفظة أصلها سامي نحتها في اللغات العربية والعبرية، ومعناها الأرض المنخفضة، (أرجع إلى البر سيد أحمد العراقي، معالم الحضارة الإسلامية في سواحل شرق أفريقيا في العصور الوسطى، مجلة دراسات أفريقية يصدرها المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم، العدد الثاني، أبريل ١٩٨٦، ص ١٠٢).
- (١١١) عباده كحيله العرب والبحر، ص ٥٥ وما يليها
- (١١٢) الجاهظ البيان والتبيين، ج ٢ طبعة بيروت، ص ١٧.
- (١١٣) سلسلة التواريخ، ص ١٤٢.

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

- (١١٤) ابن رسته العلاقات النفيسة، ص ٨٧، السيد عبدالعزيز سالم التجارة البحرية في الخليج في صدر الاسلام، ص ٤١٢.
- (١١٥) المرجع السابق، ص ٤١٢.
- (١١٦) ابن خردادبة المسالك والممالك، ص ٦٢، المقدسي احسن التقاسيم ص ١٠٩.
- (١١٧) ابن حوقل صورة الارض، ص ٤٨.
- (١١٨) ابن خردادبة المسالك والممالك، ص ٦١.
- (١١٩) المقدسي احسن التقاسيم، ص ١٠٩.
- (١٢٠) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥٣، ٢٠.
- (١٢١) المقدسي احسن التقاسيم، ص ٨٧.
- (١٢٢) ابن حوقل صورة الارض، ص ٤٩.
- (١٢٣) ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان، ص ١٦.
- (١٢٤) المصدر السابق، ص ٣٦.
- (١٢٥) المسعودي مروج الذهب، ج ١، ص ١١٢.
- (١٢٦) ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان، ص ٣٦.
- (١٢٧) سلسلة التواريخ، ص ١٤٧.
- (١٢٨) ابن بطوطة الرحلة، ص ٢٢٨.
- (١٢٩) المصدر السابق، ص ٢٥٩.
- (١٣٠) ابن خردادبة المسالك والممالك، ص ٧١، ٧٠.
- (١٣١) ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان، ص ١٦، ٢٥١.
- (١٣٢) المصدر السابق، ص ٢٥.
- (١٣٣) [ابن بطوطة الرحلة، ص ٢٦٢].
- (١٣٤) سلسلة التواريخ، ص ٢٩، ٣٠، ١٣٩. ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥١.
- (١٣٥) سلسلة التواريخ، ص ٩٠.
- (١٣٦) المسعودي مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٤، وأرجع الى سلسلة التواريخ ص ١٧٢، ١٧٣.
- (١٣٧) ابن خردادبة المسالك والممالك، ص ٦٨.
- (١٣٨) المصدر السابق، ص ٦٤.
- (١٣٩) ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان، ص ١٦.
- (١٤٠) المسعودي مروج الذهب، ج ٢، ص ٨٠.
- (١٤١) سلسلة التواريخ، ص ١٣١، ١٣٤. اجتمع لدى جيفر اليمهني بن ائمة عمان اسطول من ٣٠٠ مركب وقد قام غلبته القوات بن مالك الخرومي (٢٣٧هـ - ٢٧٢هـ) بالسيال اسفوله الى جزيرة سقطري فانتزها من النصارى الذين كانوا قد استولوا عليها (عبادة كحيلة، العرب والبحر، ص ٤٩ عن تحفة الأعيان للسالمي وعن كتاب قصص واخبار جرت في عمان لمؤلف مجهول).
- (١٤٢) عجائب الهند، ص ٤٩.
- (١٤٣) عبادة كحيلة العرب والبحر، ص ٥٣.
- (١٤٤) المرجع السابق، ص ٢٣.
- (١٤٥) انور عبدالعليم: الملاحه وعلوم البحار، ص ١٣٢ - ١٣٦، ومن الملاحظ ان هذا الرأي ينقله عنه الدكتور عبادة كحيلة الذي ينقل ايضا الاسانيد التي ذكرها الدكتور انور عبدالعليم دون أن يشير الى صاحبها (عبادة كحيلة، عن العرب والبحر، القاهرة، ١٩٨٩ ص ٧٩ - ٨٢).
- (١٤٦) ابن خردادبة المسالك والممالك، ص ١٥٣.
- (١٤٧) بدوي عبداللطيف عوض، دور عرب الخليج في نشر الاسلام في جنوب شرقي آسيا، بحث مقدم لشدة قطر ١٩٧٦، ص ٢٣٠.
- (١٤٨) المرجع السابق، ص ٢٣١ ومايلها.
- (١٤٩) حاول الفقهاء التغلب على مشكلة غياب التجار العمانيين فترات طويلة خارج عمان مما أدى الى ظهور مشاكل تتعلق بدفع الزكاة، وأمر الإمام المهنا بن جيفر الجهمدي (٢٢٦هـ / ٢٢٧هـ) بأن يتول والي صهار جمع الزكاة من التجار عن الأكرعي، عبادة كحيلة العرب والبحر، ص ٤٦).
- (١٥٠) المرجع السابق، ص ٦٢، أحمد الطوفي شرق الجزيرة العربية، ص ٨٨.
- (١٥١) لمزيد من التفاصيل عن مدينة الزبيون (أرجع الى ابن بطوطة: الرحلة، ص ٦٣٣ وما يليها).
- (١٥٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج ٢، ص ٥٣٠. أحمد مختار العبادي: دولة سلاطين المالكي في الهند، مجلة كلية الآداب، مجلد ١٩٥٠، ص ٦٥.
- (١٥٣) عبادة كحيلة العرب والبحر، ص ٤٩.
- (١٥٤) المئات، اختلفت المصادر في تحديد موضع اللتان فيبين يرى ياقوت الحموي أنها هبلد من بلاد الهند على سعت فرتة (ياقوت الحموي معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٧٧). يرى الحميري أنها مدينة في آخر بلاد الهند، مجاورة للهند (الحميري: الروض المعطار، ص ٥٤٦). أما ابن رسته فيذكر أن اللتان تلي المنصورة من السند (ابن رسته: العلاقات النفيسة، ص ١٢٥).
- (١٥٥) الحميري: الروض المعطار، ص ٤٤٦.
- (١٥٦) ابن رسته العلاقات النفيسة، ص ١٣٥، ١٣٦.
- (١٥٧) المسعودي مروج الذهب، ج ١، ص ٢١٠.
- (١٥٨) عبادة كحيلة، العرب والبحر، ص ٦٢.
- (١٥٩) بدوي عبداللطيف عوض، دور عرب الخليج في نشر الاسلام في جنوب شرقي آسيا، ص ٢٢٥.

- (١٦٠) المرجع السابق، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.
- (١٦١) عبادة كحيلة - العرب والبحر، ص ٦٥.
- (١٦٢) المرجع السابق، ص ٦٥.
- (١٦٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٥٦٤، ولزيد من التفاصيل عن الإسلام في المليبار أرجع لنفس المصدر، ص ٥٥٦ وما يليها.
- (١٦٤) ولقد يكون مؤلف هذا الكتاب هو أحد الأفريقيين الذين عاشوا في الاسكندرية في القرن الأول الميلادي، (الرجع إلى محمد أمين - تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى، فصل من كتاب العلاقات العربية الأفريقية ١٩٧٧، نشر معهد البحوث والدراسات العربية، ص ٤٥).
- (١٦٥) عامر محمد الحجوري، تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية، بحث مقدم إلى ندوة قطر (دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، قطر ١٩٧٦، ج ١، ص ٧٧٤، جورج فاضلو حوراني، العرب والملاح في المحيط الهندي، ترجمة د. يعقوب بكر، ص ٢٤، جمال زكريا قاسم استقرار العرب في ساحل شرق إفريقيا، مجلة حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، مجلد ١٠ سنة ١٩٧٦، ص ٢٨٠ - ٢٨١، محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى، فصل من كتاب العلاقات العربية الأفريقية ص ٤٤).
- (١٦٦) عامر محمد الحجوري، تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية، ص ٧٧٥، عبادة كحيلة - العرب والبحر، ص ٥٣.
- (١٦٧) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢٧، سيده كاشف: عثمان في فجر الإسلام، ص ٢٤.
- (١٦٨) عوض عبيد الهادي العطاف: الإسلام في سواحل البحر الأحمر الغربي، مقال بمجلة دراسات إفريقية، المركز الاسلامي الأفريقي بالخرطوم، العدد الثالث، أبريل ١٩٨٧، ص ٤٧، فاروق عمر فوزي: الخليج العربي في العصور الإسلامية، ص ١٢٤ - ١٢٥، عامر محمد الحجوري: تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية، ص ٧٧٦.
- (١٦٩) (عامر محمد الحجوري: المرجع السابق، ص ٧٧٧، فاروق عمر فوزي، الخليج العربي في العصور الإسلامية، ص ١٢٤، ١٢٥).
- (١٧٠) السيد أحمد العراقي: معالم الحضارة الإسلامية في ساحل شرق إفريقيا في العصور الوسطى، مقال بمجلة الدراسات الأفريقية، المركز الاسلامي بالخرطوم، العدد الثاني، أبريل ١٩٨٦، ص ٨٢.
- (١٧١) عبادة كحيلة - العرب والبحر، ص ٥١.
- (١٧٢) عامر محمد الحجوري: المرجع السابق، ص ٧٧٧.
- (١٧٣) عبادة كحيلة - العرب والبحر، ص ٥٢ - ٥٣، محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية، ص ٤٦ - ٥٠.
- (١٧٤) سيد حامد حزين: المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرق إفريقيا، دار الجبل، بيروت ١٩٨٨ عرض الأستاذ عبد الرحمن أحمد عثمان، مقال بمجلة دراسات إفريقية، العدد الخامس أكتوبر ١٩٨٩، ص ١٢١ وما يليها. السيد أحمد العراقي: معالم الحضارة الإسلامية في ساحل شرقي إفريقيا، ص ٨٥.
- (١٧٥) يذكر الباحث سيد حامد حزين أن اللغة السواحلية تسع عشرة لهجة، وقد ذكر في كتابه أسماء شعراء كتبوا قصائد باللغة السواحلية في العصور الحديثة مثل عبيد الله بن علي بن ناصر صاحب قصيدة (الانكشاف).
- (١٧٦) المرجع السابق، ص ١٢٢.
- (١٧٧) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما بين الصحراء الكبرى، ١٩٧٥، ص ٢١، الشاطر بصيلي: سمران وادي النيل والأشلام، الهلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني، العدد الثاني ١٩٤٩، ص ٣٩ وما يليها.
- (١٧٨) عامر محمد الحجوري: تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية، ص ٧٧٨.
- (١٧٩) (السعودي: دروج الذهب، ج ٤، ص ١٩٤).
- (١٨٠) محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية، ص ٥٢.
- (١٨١) المرجع السابق ص ٥٢. وعن الولاد كمال في الأقاليم الساحلية الشرقية وعلمهم بالتجارة أرجع إلى مصطفى محمد مسعد: امتداد الإسلام والعروبة إلى وادي النيل الأوسط، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثامن ١٩٥٩، ص ٧٠ وما يليها.
- (١٨٢) نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢، ص ٣٦٩ وما يليها).
- (١٨٣) Lewis, Bernard, Egypt And Syria, The Cambridge History Of Islam. 1970, vol ١ p223 وأرجع كذلك إلى نعيم زكي فهمي، طرق لتجارة الدولية في ١٢٧ راشد الجبوري: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، الطبعة الأولى ١٩٤٨، ص ٢٣٥.
- (١٨٤) عصام الدين هيدالوف: اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، الطبعة الأولى ١٩٨٢، ص ٢٦.
- (١٨٥) عمارة اليمن، تاريخ اليمن، تطبيق د. حسن سليمان محمود، ص ٤٠ - ٤٢، فاروق عثمان أباطة: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، ١٩٧٦، ص ٢٧. ويذكر الدكتور محمد أمين صالح أن تجار عمان والخليج كانوا يذهبون من بلادهم إلى عدن لنقل البضائع من عدن إلى مكة حيث كانت تنشط تجارتهم في موسم الحج إمداد الأسواق الحجازية ببضائع الشرق الأقصى، الذي يقوم بترائرها الحجاج والتجار الذين يأتون إلى الحجاز إما للتجارة أو لاداء الفريضة (محمد أمين صالح: البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة).
- (١٨٦) محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية، ص ٤٠. ومن الممالك التي غلب عليها الإسلام في العيشة مملكة وقوات أو أوقات، وهي أوسع الممالك هناك، ومن أهم صندنها زيلع وأغلب أهلها مسلمون، وبها مخاض الزلازل ومملكة ذلك وهي جزيرة في البحر الأحمر على طريق المسافر من عذاب إلى اليمن، ومملكة شوا الإسلامية التي قامت في وسط العيشة في نهاية القرن الثالث الهجري برعاية أسرة عربية تنسب إلى قبيلة مخزوم القرشية.
- (١٨٧) يؤكد هذا الرأي ما تذكره المصادر العربية من أن سلاطين الماليك ومنهم السلطان قلاوون أرسل إلى نوابه بالتغور بأمرهم بحسن معاملة التجار القادمين من الشرق الأقصى لاغترابهم على جلب بضائعهم إلى موانئ مصر المطل على البحر الأحمر.
- (١٨٨) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٧١ وما يليها.

- (١٨٩) عبدالهادي الشاذلي الصلات التاريخية بين المغرب وعمان، طبعة تراثا (وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان) للعدد ٢٢، ص ٢١.
- (١٩٠) السيد عبدالعزيز سالم تجارة الأندلس مع العراق والخليج العربي في العصر العباسي، بحث مقدم إلى ندوة دولة الإمارات العربية، مكانة الخليج العربي في عصر الدولة العباسية سنة ١٩٩٠، ص ٦١.
- (١٩١) السيد عبدالعزيز سالم تجارة الأندلس مع العراق والخليج العربي، ص ٦٤، المقدسي: الحسن التقاسيم، ص ٩٢ - ٩٣.
- (١٩٢) المرجع السابق، ص ٦٥، وعن صحار وديي وشحر مهرة، كاسواق هامة من أهم أسواق العرب، ارجع إلى أظهر مباركوري العرب والهند في عهد الرسالة، ص ٢٨، ٢٩.
- (١٩٣) الزعري (أبوعباد محمد) كتاب الجغرافيا، تحقيق الأستاذ محمد حاج صادق، ص ٨٩، السيد عبدالعزيز سالم تجارة الأندلس مع العراق والخليج العربي، ص ٦٧ - ٦٨.
- (١٩٤) المرجع السابق، ص ٩٦، وما يليها.
- (١٩٥) لدراسة تاريخ البوصلة البحرية ومعرفة مزيد من التفاصيل عنها انظر أنور عبدالعليم ابن ماجد الملاح، ص ٣٥ - ٤٠.
- (١٩٦) المقدسي الحسن التقاسيم، ص ١٠ - ١١.
- (١٩٧) كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد، ويشتمل على ١٢ فائدة، ولابن ماجد كتاب آخر بعنوان كتاب حاوية الاختصار في أصول علم البحار.

●● الفصل السادس

- (١) حورثي جورج فضل. العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ١٠٩ - ١٠٢، ترجمة د. يعقوب بكير، مطابع دار الكتاب بالقاهرة.
- (٢) المرجع السابق، ١٠٦ و ١٧٥.
- (٣) مايلز ص. ب. المرجع السابق، ص ٧٨ - ٨١، السالمي محمد بن عبدالله ونجاشي غسان: عمان تاريخ يتكلم، ١٩٢٤، دمشق ١٩٨٢ هـ/ ١٩٦٣ م، السالمي، سالم بن حمود بن شامس: عمان عبر التاريخ، ٢، ص ١٤١.
- و ص ١٥٢ مطابع سجل العرب ٤٠١ هـ/ ١٩٨٠ م.
- (٤) السالمي، سالم بن حمود بن شامس عمان عبر التاريخ ج ٢، ص ١٥٢، السالمي محمد بن عبدالله المرجع السابق ص ١٣٥.
- (٥) السالمي: المرجع السابق، ص ١٣٧.
- (٦) السالمي: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٥٢ و ٢٠٥ - ٢٠٦ و ٢٠٧.
- (٧) مايلز ص. ب. المرجع السابق ١٢٤، ص ١١٢ - ١١٣.
- (٨) نفس المرجع، ص ١١٢ و ١٢٢ و ١٢٣، ص ١٢٤.
- (٩) السالمي: المرجع السابق، ص ١٤٩.
- (١٠) مايلز ص. ب. المرجع السابق، ص ١٤٧.
- (١١) مايلز ص. ب. ١٤٩، ص ١٥١ - ١٥٢.
- (١٢) السعيد أمين: الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة، ص ٢٠، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- (١٣) مايلز ص. ب. المرجع السابق، ص ١٩٢.
- (١٤) لانن روبرت، جران: عمان منذ ١٨٥٦ مسجلاً ومصمماً، ص ٥٠ - ٥٢.
- (١٥) السيار - عائشة: المرجع السابق، ص ٨١.
- (١٦) مايلز المرجع السابق، ص ٢١٢ - ٢١٤.
- (١٧) السالمي، محمد بن عبدالله، ناجي غسان: المرجع السابق، ١٥٤.
- (١٨) كانت مدينة مسقط وهذا ما بين ١١٦٤ - ١٢١٥ هـ/ ١٧٥٠ - ١٨٠٠ م، سفينة من الطراز الفريسي المربع الهكزل، و ٢ صواكب صغيرة، ونحو ٢٥٠ سفينة شراعية أغلبها من سفن الشحن كبيرة الحجم والحمولة إلى جانب ١٠٠ سفينة أخرى تراول نشاطها الملاحي في ميناء صور، أفسافة إلى سفن أخرى في مواني عمان، انظر لانن روبرت، المرجع السابق، ص ٥٧.
- (١٩) السيار - عائشة: المرجع السابق، ص ٨١.
- (٢٠) مايلز المرجع السابق، ص ٢٤٢، ص ٢٤٤.
- (٢١) ففي عهده كان الأسطول العماني يتألف من ١٥ سفينة من الطراز الأوروبي، و ٧٤ سفينة مقاتلة وحرس فرقاطات وعدد كبير من السفن غربية الطراز، ولي أوقات السلم كان الأسطول العماني يعمل على الخطوط التجارية والمخروجات الموجهة، وكان بإمكان هذا الأسطول أن يحمل ٢٠٠٠ رجل، وكان الأمام من هوة البحر. انظر: لانن - روبرت المرجع السابق، ص ٦٦.
- (٢٢) البوريني - أحمد قاسم الإمارات السبع على الساحل الأخضر ١٢٥.
- (٢٣) برين جاكين: اكتشاف جزيرة العرب خمسة قرون من المغامرة والعمل، ص ٢٨٤ و ٢٨٥، ترجمة قنبري للعجمي، دار الكتاب العربي - بيروت، مكتبة النهضة بقداد.
- (٢٤) هوادي فرد الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية، ص ٩٤ - ٩٥ ترجمة حازم صاغية، وسعيد مهيوب، بيروت، دار ابن خلدون، نيسان ١٩٨٧ م.
- (٢٥) السالمي محمد بن عبدالله، ناجي غسان: عمان تاريخ يتكلم، ص ١٦٥ و ١٩٤.
- (٢٦) الغراب كلمة عربية في الأصل، وكان هذا الصنف من السفن شائع الاستعمال خلال القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر على سواحل ملابار والخليج العربي والبحر الأحمر. والواقع أن هناك أنواعاً مختلفة من السفن،

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

- منها الصغيرة ومنها الكبيرة تعرف بهذا الاسم، ولكن العادة أن يكون (الغراب) سفينة ذات ثلاث ساريات. راجع حبيب زيات. معجم المراكب والسفن في الاسلام. المشرق بيروت ١٩٤٩ ص ٢٥٤.
- India Office, Factory Records, Letters from Bussra, Gambroon, etc. Letters from Bussra, vol. (٢٧) 21, September 1889.
- Lorimer, op. cit. p. 416 (٢٨)
- Robert Heron) Edinburgh (٢٩)
- الترانكي - نوع من السفن كان شائع الاستعمال جدا في الخليج العربي خاصة في النصف الأول من القرن الثامن عشر وقد انقرض الآن، وكان يسير بالجناب والشراف مما يستخدم في العرب والتجارة.
- Lorimer op. cit. p.416-17 (٣٠)
- Parsons, op. cit. (٣١) كثر سفينة ذات صاريين، والكاليوت سفينة أصغر من الفرقاطة
- Lorimer op. cit. 435 (٣٢)
- Ibid (٣٣)
- عمان وتاريخها البحري، ص ٧٧. (٣٤)

●● الفصل السابع

- (١) عمان وتاريخها البحري، ص ١٠٧، جورج فشنلو جوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى، ترجمه وزاد عليه د/ السيد يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨، ص ٢٤٠.
- (٢) المرجع السابق، ص ٢٤١.
- (٣) عمان وتاريخها البحري، ص ١٠٧.
- (٤) ساج دور تخطيط الجيم أصلها ساك في الراكرايتيه Parkrit. يقابلها في اللغات الأوروبية kake من skake الدرافيدية Dravidian وما لهجتان في شمال الهند ووسطها فأما إلى جانب السنسكريتية أو تفرعتا منها، انظر: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٢٤٤.
- (٥) المرجع السابق، ص ٢٤٥.
- (٦) المرجع السابق، ص ٢٤٧.
- (٧) Reinaud, Relation Des Voyages Par Les Arabes Et :les Persians Dans L'Inde et a la Chine (٧) Dans Le Ixe Siecle, Paris, 1845
- (٨) النص العربي ص ١٣٠ - ١٣١.
- (٩) عمان وتاريخها البحري، ص ١٥٦.
- (١٠) العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٢٤٨.
- (١١) أخبار الهند والصين، ص ٨٧ - ٨٨.
- (١٢) عمان وتاريخها البحري، ص ١٠٨.
- (١٣) المرجع السابق، ص ١١٠.
- (١٤) المرجع السابق، ص ١٠٨.
- (١٥) أنور عبدالمطلب، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٩، ص ٨٥ - ٨٦.
- (١٦) العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٢٥٥.
- (١٧) يوسف الشاروني، سنياد في عمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٥٧.
- (١٨) المرجع السابق، ص ٢١٣.
- (١٩) العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ١٥٩.
- (٢٠) الملاحة وعلوم البحار، ص ٨٤.
- (٢١) أخبار الهند والصين، النص العربي، ص ١٤٠ - ١٤١.
- (٢٢) مقتبس عن العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ١٥٩.
- (٢٣) العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٢٥٤.
- (٢٤) عمان وتاريخها البحري، ص ١٥٦.
- (٢٥) المرجع السابق، ص ١١٢.
- (٢٦) عجائب الهند، ص ٧٠.
- (٢٧) المصدر السابق، ص ٩١.
- (٢٨) العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٣٦٥، و عمان وتاريخها البحري، ص ١١٣.
- (٢٩) عجائب الهند، ص ١٠٨، مسعودي، مروج الذهب، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢، ص ٩٤، أخبار الهند والصين طبعة سوفيانية، النص العربي، ص ١٠.
- Jean Sauvaget: Relation de la Chine et de l'Inde Redige en 851.
- Paris. Societe d'edition Les Belles Lettres, 1948
- (٣٠) عمان وتاريخها البحري، ص ١١٤.
- (٣١) العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٢٧٢.
- (٣٢) Clowes, Sailing Ships. London, 1930. p.53
- (٣٣) العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٦٢.
- (٣٤) بركة بن شهريار، الدرام هرمزي، عجائب الهند، تحقيق يوسف الشاروني: رياض الريس للكتب والنشر، لندن،

- ١٩٩٠، ص ٧١.
- (٣٥) العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٢٦٢.
- (٣٦) ابن ماجد الملاح، ص ١٠٥، الملاحون وطول البحار عند العرب، ص ٢١٥.
- (٣٧) المرجعان السابقان، ص ١٠٧، ٢١٦، على التوالي، أنظر كذلك: يوسف الشاروني، سنجباد في عمان، أحمد بن ماجد بحار عماسي عظيم، ص ٤٩.
- (٣٨) حصاد ندوة الدراسات العمانية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٠، ج ١، ص ١١٢.
- (٣٩) اعتمدنا في هذا الجزء الأخير من الدراسة أساساً على الفصل الرابع عشر من كتاب: عمان دولة بحرية، ص ١١٧ - ١٥٢.
- (٤٠) عائشة السيار دولة البعارة، ص ٦٦ - ٦٧.
- (٤١) المرجع السابق، ص ٦٨.
- (٤٢) شهاب، حسن صالح، فن الملاحة عند العرب، ص ٥٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢ م.
- (٤٣) في القرنين الثامن والتاسع ترجمت كتب عديدة عن الفارسية والهندية واليونانية إلى العربية ووضع الأسطرلاب، وكتب علي بن عيسى رسالة عن الفلك قبل عام ٢١٥ هـ / ٨٢٠ م، ثم ظهر خلال القرون المتعاقبة كبار الفلكيين المسلمين.
- انظر: حوراني، المرجع السابق، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.
- (٤٤) حوراني، المرجع السابق، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.
- (٤٥) مايلز، المرجع السابق، ص ٢٤٢، ومذكرات بارسونين، عبارة عن معلومات جمعها مايلز من وثائق ويسلون وإلستد وأنيكوك وبيلي وغيرهم في القرن الخامس عشر.
- (٤٦) مايلز، المرجع السابق، ص ٢٢٧ - ٢٢٨.
- (٤٧) مايلز، المرجع السابق، ص ٢٣٠ - ٢٣٤.

الباب الخامس

عُمان في العصر الحديث

الفصل الأول : قيام دولة اليعاربة وجهود ناصر بن مرشد في توحيد البلاد.

الفصل الثاني : التفوق البحري العماني وأثره على العلاقات الخارجية في عصر اليعاربة.

الفصل الثالث : أحمد بن سعيد وقيام دولة البوسعيد.

الفصل الرابع : المؤثرات الحضارية العمانية في شرق إفريقيا في ظل دولة البوسعيدية.

الفصل الخامس : الملاحة والتجارة خلال القرن الأول من حكم دولة البوسعيد.

الفصل السادس : التنظيم الإداري في الدولة البوسعيدية.

البحوث المقدمة والمستخلص منها هذا الباب

- أولي الانتصارات العربية في العصر الحديث طرد البرتغاليين من عمان للاستاذ الدكتور محمد محمود السروجي، جامعة الإسكندرية.
- دور العمانيين في التخلص من السيطرة البرتغالية، للدكتور لطفي جعفر فرج، جامعة المستنصرية بالعراق.
- دولة اليعاربة بين الوحدة الوطنية والانتصارات الخارجية، للدكتورة محمد صابر عرب، جامعة السلطان قابوس.
- نشأة الدولة البوسعيدية، للدكتور مصطفى عقيل، جامعة قطر.
- قيام الدولة البوسعيدية... الأسباب والنتائج، للدكتور عبد اللطيف الرميحي، والدكتور فؤاد شهاب، جامعة البحرين.
- صلات عمان بشرق إفريقيا في العصور الحديثة، للدكتورة سنى محمد الطائي، إتحاد المؤرخين العرب.
- النجدة العمانية للبصرة عام ١٧٧٥ - ١٧٧٦، للدكتور طارق نافع الحمداني، جامعة بغداد.
- العلاقات العمانية الفرنسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، للدكتور صالح محمد العابد، جامعة بغداد.
- العلاقات العمانية الأمريكية في القرن التاسع عشر، للاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ، جامعة الزقازيق بجمهورية مصر العربية.
- تطور الملاحة والتجارة العمانية في الخليج العربي والمحيط الهندي، للدكتور محمود علي الداود، إتحاد المؤرخين العرب.
- بريطانيا وتقسيم سلطنة مسقط - زنجبار في ضوء الوثائق البريطانية، للاستاذ الدكتور جاد محمد طه، جامعة عين شمس.
- قراءة في كتاب تقسيم الإمبراطورية العمانية، للدكتور مصطفى عبد القادر النجار، إتحاد المؤرخين العرب.
- العلاقات الخارجية العمانية ١٨٧١ - ١٨٨٨ م، للدكتور سمير محمد طه، جامعة أسيوط بجمهورية مصر العربية.
- التفوق البحري العماني وأثره على العلاقات الخارجية في عصر اليعاربة، للاستاذ الدكتور محمد صابر عرب، جامعة الأزهر.
- المؤثرات الحضارية العمانية في شرق إفريقيا، للدكتور إبراهيم الزين صفيرون، جامعة السلطان قابوس.
- أضواء على جوانب من التأثير الحضاري العماني في شرق إفريقيا، للاستاذ الدكتور عبدالفتاح حسن أبو عليه، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.
- التطور في مجال التجارة والملاحة خلال حكم البوسعديين، للدكتور عبد الأمير محمد أمين، العراق.
- التنظيم الإداري في الدولة البوسعيدية، للدكتور عبدالله محمد عبدالرحمن، أستاذ مساعد بقسم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - مصر.

الفصل الأول قيام دولة اليعاربة وجهود الإمام ناصر بن مرشد في توحيد البلاد

ظهور البرتغاليين في مياه المحيط الهندي واحتلالهم لسواحل عمان :

تعرض العالم العربي والإسلامي منذ أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر لموجة عاتية، تمثلت في طلائع الزحف الاوروبي على الشرق... هذه الموجة التي اندفعت من البرتغال عقب خروج العرب من الأندلس، وماكانت تحمله في طياتها من حقد وما كان يشوبها من تعصب... وكانت تهدف إلى تعقب العرب في كل مكان، وضربهم في عقر دارهم، وانتزاع التجارة من أيديهم... ومما يدل على النزعة الصليبية لتلك الحملات البرتغالية ما كتبه الملك عما نويل ملك البرتغال في رسالته إلى البابا بولس الثاني عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م حيث يقول : (إنه ليس عازماً على المضي في القضاء على التجارة الملوكية فقط، بل انه سيجاهد في سبيل المسيحية حتى يجعل من مكة هدفاً لمدافعه وجنوده)^(١).

والحقيقة أن الدولة العثمانية خلال العقد الأول من القرن السادس عشر كانت هي القوة المهيمنة والقادرة على مواجهة البرتغاليين، وبينما كانت تخوض حروباً ضارية على الجبهة الشرقية من أوروبا وتحرز إنتصارات متوالية كان البرتغاليون قد تسللوا إلى المياه الشرقية في الوقت الذي كانت فيه القوى الإسلامية في المحيط الهندي والخليج العربي منشغلة بكثير من المشكلات الداخلية لذا فقد أخذت دولة المماليك على عاتقها عبء المواجهة على اعتبار أنها في مقدمة القوى التي أضمرت من الوجود البرتغالي، وبمساعادات عسكرية من البنادقة الذين حلت بهم خسائر اقتصادية فادحة بسبب تحول طريق التجارة إلى رأس الرجاء الصالح، لذا فقد راح الاسطول الملوكي يخوض حرباً غير متكافئة على الشواطئ الهندية مما تسبب في هزيمة المماليك هزيمة ساحقة في منطقة ديو ١٥٠٩م مما دفعهم إلى الإنسحاب من حلبة المواجهة ساخطين من الموقف المتخاذل للقوى الإسلامية في غرب الهند التي لم تقدم لهم يد المساعدة.

وبعد أن فتح العثمانيون مصر ورثوا فيما ورثوه من ممتلكات مصر الملوكية، خطر التهديد البرتغالي للعالم الإسلامي، وكان عليهم أن يتحركوا لمنع البرتغاليين من تطويق شبه الجزيرة العربية بعد أن سيطروا على الذراع الأيمن في الخليج العربي، وتطلّعوا غرباً للسيطرة على الذراع الأيسر وهو البحر الأحمر. وياتي البحر الأحمر في إهتمامات العثمانيين الأولى حيث توجد ممتلكاتهم في مصر

والحجاز، فساروا على الإستراتيجية العسكرية التي وضعها المالك لتأمين البحر الأحمر... على أن يستتبع ذلك تأمين الخليج.

وبعد أن ثبت البرتغاليين أقدامهم على سواحل الهند بدأوا ينفذون خططهم في تطبيق شبه الجزيرة العربية من ناحية الشرق، أي من الخليج العربي، حيث استولوا على بعض الجزر وبدأوا في مهاجمة عمان.

وكانت عمان قد مرت خلال القرن الخامس عشر بمرحلة من عدم الاستقرار، وعمت أرجاءها المنازعات بين الأمراء المحليين، مما مهد الطريق لسقوط سواحلها في أيدي الغزاة البرتغاليين الذين إتضحت لهم أهمية عمان، مثلما اتضحت لهم من قبل أهمية السواحل العربية الأخرى وشرق إفريقيا في طريقهم إلى الهند، وذلك بعد الرحلة التي قام بها المكتشف البرتغالي (فاسكو دي جاما) عام ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م... فبعد عشر سنوات توصلت النفوذ البرتغالي في زنجبار والجزر المحيطة بها مثل (ماغيبا) و(بيمبا) (٢)، ووصلت إلى عمان أول حملة بقيادة الفونسو البوكيرك عام ٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م حيث أحرقت السفن العمانية ومراكب صيد الأسماك واحتلت (مسقط) و(صحار) و(صور) و(قريات) وأقام البرتغاليون عدداً من الحصون لتوطيد نفوذهم في عمان وقاموا بإرهاب العمانيين فقتلوا وجدعوا الأنوف وقطعوا الأذان لعدد كبير من وجهاء مسقط ثم أحرقوها بالنار كما أحرقوا قلهات وطيوى ودارسيات وجلفار (٣)، ثم أسس البرتغاليون مركزاً تجارياً في جوا Goa على الساحل الغربي للهند والذي أصبح منذ ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م قاعدة لهم الرئيسية في شبه القارة واندفعوا أكثر نحو الشرق إلى جزر التوابل (إندونيسيا والملايو) ليؤسسوا للمائة سنة التالية إحتكاراً لتجارة التوابل مع أوروبا قائماً مع (٤) المحطة التجارية الكبرى التي أسسوها في ملقا Malacca.

كان غزو عمان إذن جزءاً من خطة واسعة إمتزجت فيها الجوانب الإقتصادية والدينية، ووضعها الكابتن الفونسو البوكيرك لضرب الوجود الإسلامي في البحار الشرقية، وكسر إحتكار العرب التجاري والسيطرة على تجارة الشرق التي تمر عبر المحيط الهندي وذلك بالسيطرة على منافذه المعروفة المتمثلة بصورة خاصة في البحر الأحمر والخليج العربي ومضائق (مالقا) وتحويلها إلى طريق رأس الرجاء الصالح، ولذلك فإن الغزو البرتغالي لعمان كان خطوة تهدف منها البرتغال إلى تقوية مركزها في الخليج وتأمين التموين من مياه الشرب والمواد الغذائية للقواعد البرتغالية... ولم يستطع العمانيون صدهم في أول الأمر لأنهم جاءوا بأساطيل قوية مؤلفة من سفن كبيرة ذات أسلحة نارية فتاة لم يكن لسكان المنطقة عهد بها من قبل، ولذلك عجزوا عن مقاومتها (٥).

وبعد غزو عمان على هذا النحو في عام ١٥٠٧ م بدأ التفغل البرتغالي في الخليج عام ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م حيث غزا القائد البرتغالي البوكيرك Pedro Albuquerque جزيرة هرمز، وأرغم أميرها على دفع غرامة حربية، بالإضافة إلى ضريبة سنوية تقدم للسلطات البرتغالية (٦).

لما خشى البرتغاليون من محاولة الفرس السيطرة على جزيرة هرمز، وذلك للعلاقات الودية التي تربط أميرها بشاه إيران، عاود البوكيرك غزو هذه الجزيرة مرة أخرى، ورفع عليها علم بلاده، وقضى على سيطرة أمرائها على مياه المحيط

الهندي والبحر الأحمر التي استمرت زهاء قرنين ونصف من الزمان^(٧).

ولم يكتف البرتغاليون بالإستيلاء على هرمز التي تسيطر سيطرة تامة على مدخل الخليج العربي، بل وجهوا نشاطهم العسكري الى بقية بلدان الخليج، فاحتلوا البحرين والبلدان المجاورة لها حتى الكويت^(٨). ولكن لم يلبث أن ظهر للبرتغاليين منافسون من الإنجليز والهولنديين.

النشاط الإنجليزي الهولندي في مياه الخليج وأثره في اضمحلال قوة البرتغال :

استمرت السيطرة البرتغالية في عمان منذ بداية القرن السادس عشر وحتى عام ١٦٦٠هـ / ١٦٥٠م حين استطاعت أسرة البيعارية تحرير أرض عمان بطردها البرتغاليين من معاقلمهم في مسقط ومطرح^(٩). وكان ذلك التحرير ثمرة الكفاح والإرادة العمانية التي استمرت تنافس وصراع الإنجليز والهولنديين مع البرتغاليين لتخرج منه في النصف الأول من القرن السابع عشر أقوى قوة بحرية محلية في غرب المحيط الهندي قادرة على إنهاء السيطرة البرتغالية.

وكانت إنجلترا قد برزت منذ أواخر القرن السادس عشر كقوة بحرية ضاربة بين القوى الأوروبية، وراحت تفتش عن سبيل الوصول الى مناهل الثراء الشرقية وكسر الاحتكار البرتغالي^(١٠)، فكانت (إدوارد بانونتي Edward Banouentu) أول سفينة إنجليزية قامت بزيارة زنجبار عام ١٠٠٠ هـ / ١٥٩١ م، وظهرت نتائج زيارتها بعد تسع سنوات حين تشكلت شركة الهند الشرقية الإنجليزية^(١١) التي تأسست بموجب مرسوم ملكي صدر في ١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م، والتي إقترن بها نشاط إنجلترا التجاري والبحري فيما بعد.

بدأت شركة الهند الشرقية تمارس نشاطها بدخول منطقة الخليج العربي وكان هدفها من دخولها لهذه المنطقة، بيع الاصواف الإنجليزية في إيران مقابل الحصول على الحرير، وبذلك التقت مصالح كل من الإنجليز والفرس لمهاجمة العدو البرتغالي المشترك، وقد بلغ الخطر الإنجليزي الفارسي على مركز البرتغاليين أوجه في صفر ١٠٢٢ هـ / يناير سنة ١٦٢٢ م وذلك على إثر الهجوم المشترك الذي شنه الإنجليز والفرس على هرمز^(١٢)، كذلك تعاون الإنجليز مع الهولنديين لإزاحة المنافسة البرتغالية، فنجح أسطول إنجليزي - هولندي مؤلف من ثمان سفن في دحر الأسطول البرتغالي بالقرب من هرمز في عام ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥ م^(١٣).

ومن ثم اتاحت الفرصة لظهور النشاط الهولندي في البحار الشرقية، وعلى الفور ظهر في مياه البحر العربي والخليج العربي منذ أوائل القرن السابع عشر أيضاً ونافسوا البرتغاليين منافسة شديدة كانت سبباً في إضعافهم وتقليص نفوذهم^(١٤)، بل كانوا من أكثر الدول الأوروبية إسهاماً في إضعاف النفوذ البرتغالي في البحار الشرقية خلال القرن السابع عشر بعد أن أسسوا شركتهم للهند الشرقية في سنة ١٠١١ هـ / ١٦٠٢ م، وتمكنوا في خلال وقت قصير منذ ذلك التاريخ من أن يصبحوا المنافسين الرئيسيين للبرتغاليين في تجارة التوابل^(١٥).

ولم تكن المصالح التجارية للهولنديين في المحيط الهندي والخليج العربي السبب الوحيد في وقفهم في وجه البرتغاليين، فقد كان لإغلاق ميناء (شبنونة) في وجه هولندا بعد أن انضمت البرتغال الى عرش إسبانيا في ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م، وكذلك

التعرض للسفن التجارية الهولندية في أوروبا، ولجوء البرتغال الى رفع أسعار البضائع الشرقية وخاصة التوابل لكي يجرموا على الهولنديين شراءها^(١٦)، كان ذلك كله أثره في زيادة الصدام بين القوتين، وفي تعاون الهولنديين مع الإنجليز في ضرب المصالح البرتغالية.

ومع أن التعاون بين الهولنديين والإنجليز أدى بالتالي الى ضعف النفوذ البرتغالي خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، إلا أن أيضاً منهما آنذاك لم يمتلك نفس الدرجة من النفوذ الذي تمتع به البرتغاليون في القرن السادس عشر، ويرجع سبب ذلك الى المنافسة الحادة التي ظهرت بعد وقت قصير بين هاتين القوتين^(١٧) من جهة، ونشاط ونضال القوى المحلية من جهة أخرى.

ونتيجة لذلك كله بدأ النفوذ البرتغالي يتقلص، وخرجت بلدان كثيرة من دائرة نفوذهم، وضاعت هرمز من أيديهم في عام ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م ومن ثم فقد البرتغاليون السيطرة على مياه الخليج العربي، واستغل عرب عمان هذه الفرصة وواصلوا الإعداد الجيد لطرد البرتغاليين المحتلين من البلاد.

وكان قيام دولة اليعاربة في عمان (١٠٣٤-١١٥٧ هـ / ١٦٢٤-١٧٤٤ م)^(١٨) إيذاناً بافول نجم البرتغاليين.

٢ - قيام دولة اليعاربة وجهود الإمام ناصر بن مرشد في توحيد البلاد :

قامت دولة اليعاربة في عمان في عام ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م نتيجة لظروف عديدة، منها أن البلاد كانت تعاني الكثير والكثير من الفوضى السياسية قرب نهاية عهد النباهنة، تلك الدولة التي عمرت خمسة قرون كانت الثلاثة القرون الأولى تمثل فترة قوتها، ومع اقتراب القرن الخامس عشر بدأت عوامل الضغط تعمل في كيانها كنتاج طبيعي لانقسام الدولة الى ممالك وكيانات ضعيفة عجلت بنهايتها.

وتشير المصادر العمانية الى أن تاريخ النباهنة لم يكن كله ضعفاً وإنما كانت هناك فترات قوة، حيث حكم عمان بعض الحكام العظام، لعل أشهرهم فلاح بن محسن^(١٩).

ولكن يبدو أن قوة الدولة في عصر النباهنة بدأت تنهار حينما اسند مناصب ولاية الاقاليم الى من اشتهد فسادهم، حيث اهدرت حقوق الناس وامتهنت كرامتهم، وانهارت قيم العدل والحق، ومن ثم سادت روح الانانية. ولعل اخطر ما اصبحت به دولة النباهنة هو تسرب روح اليأس الى نفوس الناس حيث راحوا يتطلعون الى التغيير مستشهدين بنماذج من الائمة العظام، وكلما تضاعفت وطأة الحكام على رعيتهم كلما تضاعف السخط بسبب الدماء التي سفكت والأموال التي أخذت ولذا فقد أجمع العمانيون على اختيار أبي الحسن بن عامر الأزدي إماماً ثم الإمام عمر بن الخطاب الخروصي وهو الذي حاز أموال النباهنة^(٢٠).

ولكن شوكة النباهنة لم تكن قد إنتهت بعد، حيث خرج سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني على الإمام عمر الخروصي ومن ثم دخلت عمان مرحلة أخرى من الحروب الأهلية الطاحنة، الى أن ظهر محمد بن إسماعيل الذي أجمع الناس على إمامته (٩٠٦-٩٣٧ هـ / ١٥٠٠-١٥٣٠ م) مما أكسبه قدراً كبيراً من الشرعية مكتسبة من القضاء على سليمان النبهاني.

إلا أن القضاء على سليمان النبهاني لم يكن كفيلاً بانتهاء شوكة النباهنة تماماً،

ولذلك لم اتسقر الأوضاع وتفاقت الأحوال عموماً وانقسم الناس وفقاً لنزاعات قبلية وبعد مباحة الإمام يركات بن محمد بن إسماعيل إماماً ظهرت معارضة مصحوبة باضطرابات وانقسامات قبلية ضاعفت من تردى الأحوال بشكل عام.

ونتيجة لهذه الاضطرابات تحولت عمان الى مجموعة من المقاطعات الصغيرة يحكمها أمراء وشيوخ، واتسمت العلاقة بينهم جميعاً بقدر كبير من التوتر. وفي هذه الأثناء اتخذ البرتغاليون هرمز قاعدة عسكرية لهم، بينما تبذرت القوة العمانية بسبب الحروب الأهلية... وفي الوقت الذي إنشغل فيه العمانيون بسبب خلافاتهم عمل البرتغاليون على مضاعفة سيطرتهم على العديد من المواقع الاستراتيجية في الخليج العربي فاستولوا على صحار ومسقط وغيرهما من الموانئ العمانية كما سبق القول، وأصبحوا يتحكمون في الخليج العربي والمحيط الهندي بأكمله، وكانت كل القوى العربية والإسلامية مستهدفة وعلى الرغم من ذلك فلم يحدث أي قدر من التنسيق لمواجهة العدو المشترك بل اتسمت العلاقات بين كل القوى العربية والإسلامية بقدر كبير من التصارع، فهامم العمانيون يواجهون الفرس ويعلنون عليهم الحرب ويستبيحون عاصمتهم، بينما المالك من قبل قد راحوا ينسقون مع البنادقة في محاولة للتصدي للبرتغاليين، أما بقية القوى العربية في الخليج كالجبور والنباهنة ومملكة هرمز فقد اتسمت علاقاتهم بقدر كبير من الصراع، بل راح كل منهم يتطلع لد نفوذه على حساب الآخر مما بدد قوة الجميع وحال دون تضامنهم.

وهكذا كان وصول البرتغاليين الى مياه الخليج وتدعيم نفوذهم في عمان بداية لحقبة تاريخية واكبتها حالة من التصدع على كل المستويات العمانية، حيث انقسمت البلاد الى كيانات ضعيفة واصبح الساحل العماني من صور الى مسقط ثم صحار وجلفار تحت السيطرة البرتغالية.

وبينما كان البرتغاليون يجهزون على كل القوى الخليجية كانت عمان تشهد مولد عهد جديد وزعامة جديدة أرسى دعائمها ناصر بن مرشد بطريقة استوعبت كل القوى العمانية.

جهود الإمام ناصر بن مرشد في توحيد البلاد :

مع بداية القرن السابع عشر كانت هناك بعض المتغيرات التي حدثت في الخليج العربي لعل في مقدمتها ظهور شركة الهند الشرقية البريطانية بما تملك من إمكانيات ونفوذ وقد استطاعت هذه الشركة أن تبديد قدراً من سياسة الإحتكار التي فرضها البرتغاليون على الخليج العربي، ثم دخلت كطرف أساسى في الصراع الدائر حينما تضامنت مع الشاه عباس في طرد البرتغاليين من هرمز عام ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م وفقاً لاتفاقية ميناب^(٢١) التي أبرمت بينهما.

وكان طرد البرتغاليين من هرمز نقطة تحول مما ضاعفت من مهمة العمانيين. فقد إستقر البرتغاليون على السواحل العمانية وضاعفوا من تحصيناتها وخصوصاً مسقط التي كانت تعد من أقوى معاقلهم القوية.

ولعل من أهم المتغيرات التي حدثت في منتصف العشرينات من القرن السابع عشر، ظهور ناصر بن مرشد كأول إمام لدولة اليعاربة، وقد إستطاع هذا الإمام أن يستوعب كل أبعاد القضية، وأن يدرك المتغيرات الجارية من حوله سواء على المستوى

العماني أو على مستوى المنطقة بشكل عام، ولذا فقد أدرك ثقل المهمة وقدر كل أبعادها حيث اعتقد أن مواجهة البرتغال لا يمكن أن تكون حاسمة إلا إذا استند إلى جبهة وطنية مترابطة ومتماسكة، وهو أمر لا يمكن تحقيقه إلا إذا خاض حروباً ضارية في سبيل توحيد كل القبائل العمانية.

وبما أن منطقة الرستاق هي التي شهدت بعث امامة ناصر بن مرشد، فقد كان عليه أن يبدأ بها، ولهذا مضى معه جمع من أنصاره نحو قلعة الرستاق وكان المالك للرستاق ابن عمه مالك بن أبي العرب اليعربي، وبعد حصار لم يدم طويلاً فتحها الإمام^(٢٢).

ولم يلبث أن أدرك الإمام ناصر أن العدو القابع على السواحل العمانية يضاعف من إمكاناته يوماً بعد يوم، وأن أية محاولة لطرده مشكوك في نتائجها دون أن يصل بالبلاد إلى حد معقول من الوحدة التي أصبحت هدفاً أساسياً، فلم يكن من المعقول أن يبادر بإعلان الحرب على البرتغاليين والبلاد مقسمة^(٢٣)، وكان لابد من توحيد البلاد ولا بد من ظهور مساعدات قدمها أفراد وقبائل أمناً بهذه الوحدة.

وقد أجمعت مصادر التراث العماني على أهمية الدور الذي قام به الشيخ خميس بن سعيد الشقسي الذي كان موضع ثقة أهل الرستاق، حيث أنه ناصر الإمام في كل خطواته بدءاً من اختياره إماماً^(٢٤)، وانتهاء بالجيش التي قادها في سبيل تحقيق الوحدة. ومن الصعب اغفال زعامات قبلية ودينية أمنت بقضية الوحدة مثال ذلك قبيلة اليعربي التي ساندت الإمام ناصر بن مرشد مادياً وبشرياً مما كان له أكبر الأثر في تأمين الحرب في بدايتها والسيطرة على كل منطقة الرستاق... لقد وضعت القيادة العسكرية المصالح العليا للبلاد فوق كل اعتبار لدرجة أن قرية (نخل) كان مالكها سلطان بن أبي العرب اليعربي (عم الإمام ناصر بن مرشد)، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هذه القرية في مقدمة المناطق التي حاصرتها قوات الإمام حتى تم فتحها بعد عدة أيام وعين عبدالله بن سعيد الشقسي والياً عليها^(٢٥).

وقد تميزت هذه الحروب التي قامت بين الإمام وبين بعض الزعامات المحلية بقدر من الحسم والاقدام الشديدين منذ بدايتها، مما ضاعف من إيمان الناس بقضية الوحدة، حتى التفوا حول الإمام مؤمنين بدعوته، وأصبحت المنافسة والسبق في معاضدة الإمام مظهرين جديرين بالتسجيل والملاحظة، وكلما تحقق قدر من الوحدة كلما تضاعف إيمان الناس بقضيتهم وتطلعوا إلى غد، حتماً سيتحقق فيه النصر على عدوهم.

ونظراً لعدالة القضية التي تبناها الإمام ناصر وانتصاراته التي لفتت الأنظار، فقد بادر أهل نزوى بدعوته إلى تملكها، ولأهمية نزوى في مخططات الإمام فقد عجل بالسير إليها بنفسه، إلا أنه على ما يبدو لم تكن تلك الدعوة تمثل رغبة بعض أهلها الذين تصدوا لمقدم الإمام وبادروه بالحرب، مما دفعه إلى العودة إلى الرستاق حيث جاءه وفد من سماء برئاسة ملكها مانع بن سنان العميري معلناً ولاءه ومبايعته. وبما أن نزوى كانت موضع تفكير أساسي في ذهن الإمام، فقد توجه إليها من سماء وادخلها وكان لعامل المباغثة أكبر الأثر في إجماع أهلها على مبايعته.

واللافت للنظر هو حرص الإمام على عدم أراقة دماء الناس، ولذا فقد كان يستخدم كل الامكانيات المتاحة من الاقتناع والحجة، وما كان يلجأ إلى الحرب إلا إذا

حتمتها الظروف وفرضتها المصلحة العامة لكافة الاهالي.

ولم يكن من الممكن أن تتحقق كل تلك الانتصارات الكبيرة الا بمعاوضة كثير من القبائل التي ناصرت الامام وهو يتأهب لفتح نزوى، التي كان بعض اهلها يضمرون له الشر كما سبق القول.

وعلى الرغم من انه وقف على نواياهم الا أنه نهى عن قتلهم مقابل اخراجهم (٣٦) من وطنهم في العقر، فلجأ الى مانع بن سنان في سمائل، وكان مانع هذا سبق وأعطى عهدا للامام، ولكن ثبت انه لم يكن صادقا في عهده، بل كان يتحين الفرصة للنيل من الدعوة وقائدها.

ونظرا لثقل المهمة التي كان يقوم بها الامام ناصر بن مرشد واستعدادا لحروب قد تطول أكثر مما كان يتوقع، لذا فقد كان يقيم في المناطق التي كان يدخلها حصنا أو قلعة بعد أن يترك احدا من اتباعه لكي يواصل مهمته في ترسيخ مبادئه ومواصلته دعوته التي اخذت تتساقط في كل أرجاء عمان. وقد حققت هذه السياسة تعاظم نفوذ الامام اضافة الى عدالته التي كانت مضرب المثل مما دفع المترددين الى القدوم اليه طالبين بسط سلطته العادلة (٣٧).

ومما يؤكد صعوبة المهمة التي مضى الامام في سبيل تحقيقها كثرة الممالك التي اقيمت على مقومات قبلية بحيث يصعب التمييز فيها بين القبلية والحكومة (٣٨). ذلك ان الحكم كان بيد شيخ القبيلة الذي كان يطلق عليه تجاوزا ملكا او اميرا، اما فكرة الدولة القومية الواحدة والادارة المركزية فهي من المفاهيم التي لم تتعود عليها القبائل في تلك الفترة.

لعل الامام ناصر كان يعول اهمية كبيرة على نزوى ولذا فبمجرد ان فتحها فضل ان يترتب لبعض الوقت ويبدو انه كان يتوقع توافد القبائل عليه تجنباً لاراقة الدماء، وقد تحقق ما توقعه الامام، حيث استجاب لدعوته اهل منح وسعد الشأن وابرا وكل المنطقة الشرقية ما عدا صور وقريات، حيث كانتا تحت السيطرة البرتغالية (٣٩).

ومن الظواهر اللافتة للنظر في سياسة الامام انه كلما حقق قدرا لا بأس به من الوحدة، راح يترتب ترقيبا لرد فعل قد يحول دون الحرب، ولعلها فرصة لاعادة ترتيب جندته ومحاولته العودة لتفقد المناطق التي دخلت في حوزته، وهي سياسة حكيمة تتعدد فوائدها على كل المستويات، ورغم ذلك فقد فوجيء الامام بتمرد منطقة الظاهرة. وقد وصل امر هذا التمرد الى حد التفكير في اغتياله، ولذا فقد استنفر هم القبائل التي لبثت دعوته، واختار الشيخ خميس بن رويشد لكي يكون قائدا للجند، وحدثت مواجهة ضارية قتل خلالها جاعد بن مرشد (شقيق الامام ناصر) (٤٠) وتشير بعض المصادر العمانية الى ان تمرد منطقة الظاهرة كان من اصعب المواقف التي واجهها الامام، حيث قتل اعداد كبيرة من قواته بسبب المباغثة وتراجع بعض القبائل عن تأييدها له، مما دفع الامام الى ان يقول بنفسه قيادة العمليات العسكرية ولعل ذلك كان سببا اساسيا في السيطرة على زمام الموقف، حيث ارتفعت معنويات الجند الذين قاتلوا بشجاعة منقطعة النظير في مناطق عبري وحسن الغبي وكافة مناطق الظاهرة.. وقد تأكد للامام ان تمرد اهل الظاهرة كان مرده الى مؤامرات ناصر بن قطن، والذي حوَصر في قلعة الى ان استنجد بالامام طالبا عفوّه. وبعد ان انتهى امر الظاهرة جاء دور الجبور الذين ادركوا ان تنامي دولة الامام يتعارض بشكل او

اخر مع نفوذهم الذي كانوا يمارسونه على كثير من القبائل التي نجحوا في اثارتها، بل بالتحالف مع بعضها للقضاء على الامام ودولته^(٣١).

وقد نعى الى علم الامام ان الجبور يخططون لقتله شخصيا، ولعلها كانت مؤامرة اشتركت فيها بعض القبائل التي كانت قد اعلنت الحرب على الامام، ودارت معركة كانت من اشد المعارك ضراوة انهزم فيها الجبور واتباعهم بعد ان قتل اعداد كبيرة منهم. ويصف الازكوي تلك المعركة قائلا : «لقد كثر القتل في البغاة حتى قيل انهم عجزوا عن دفنهم فكانوا يجعلون السبعة والثمانية في خبة»^(٣٢).

وبعد ان هزم الامام الجبور كما راينا بدأ يأخذ بسياسة النفس الطويل، ولذا فقد اخذ يبعث بالسرايا لمناوشة خصمه في مكان ما بينما كان يبيت النية لخوض حرب كبيرة في منطقة اخرى وخصوصا حينما اوشك ان يستكمل سيطرته على معظم انحاء عمان، وتنفيذا لهذه السياسة، فقد بعث بعدة سرايا يقودها محمد بن غسان النزوي، الذي صدرت اليه الاوامر لكي يتوجه الى (الجو) ناحية الريمي لكي يفتحها تمهيدا لدخول قرية لوى والتي كان يقطنها الجبور الذين كانوا يغيرون على جيش الامام كلما سنحت لهم الفرصة^(٣٣).

وكانت السيطرة على منطقة (الجو) عملية سهلة، اما لوى فقد استعصى فتحها على قوات الامام بسبب تحصيناتها وكثرة المدافعين عنها، مما اضطر محمد بن غسان النزوي الى طلب العون من القبائل القريبة من صحار، والتي كانت تتطلع الى قوات الامام وتترقب انتصاراتها بهدف التعجيل للقاء الحاسم بين العمانيين والبرتغاليين في صحار. وبعد حصار دام اسبوعا تم السيطرة على لوى، وبدأ التفكير عمليا في صحار.

وهكذا استطاع الامام ناصر بن مرشد خلال سنوات حكمه والتي امتدت حتى ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م، ان يحقق لعمان تماسكها ويؤمنها الى حد كبير من الاخطار الخارجية التي كانت تتعرض لها، وكانت محاولاته نحو الوحدة باعثة على تحقيق الامل الكبير الذي افتقرت اليه البلاد منذ زمن طويل^(٣٤). وينفرد الامام ناصر بن مرشد بين ائمة اليعاربة بتصديه لهذا الكم الهائل من المشكلات حيث حارب في جبهتين (الساحل والداخل)، وعند وفاته في (ربيع الثاني ١٠٥٩هـ / ٢٣ ابريل ١٦٤٩م) كانت كل القبائل العمانية تحت لواء واحد، وعموما فان فترة الامام ناصر بن مرشد تعتبر من اغنى وأخصب الفترات في تاريخ اليعاربة، ويعد دوره في سبيل الوحدة الوطنية اساسا لكل الانتصارات اللاحقة ضد البرتغاليين.

واذا كانت عمان منذ ١٠٣٤هـ ١٦٢٤م وحتى وفاة الامام ناصر بن مرشد ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م قد واجهت حروبا املية طاحنة الى انهاء قد انتهت مرحلة التمزق والتشتت، حيث بدأت مرحلة جديدة من الوحدة في ظل حكومة مركزية وانتهى العهد الذي كانت فيه مقسمة الى دويلات صغيرة تحت رئاسة ملوك ضعاف ارتضوا ان يحكموا دويلات هزيلة، بدلا من ان تقوي بلادهم وتتحد، وبكل المقاييس فان جهاد الامام ناصر بن مرشد في سبيل الوحدة يعد صفحة ناصعة من الكفاح والبطولات.

دور اليعاربة في القضاء على النفوذ البرتغالي في عُمان وساحل شرقي أفريقيا:

اذا كان الامام ناصر بن مرشد قد انجز تحقيق الوحدة الوطنية، الا ان الوجود البرتغالي على السواحل العمانية كان في حاجة الى امكانات جديدة تفوق تلك الامكانات

التقليدية التي استخدمها اليعاربة في سبيل القضاء على الحروب الاهلية والانصياع لسلطة الدولة الموحدة... لقد وقعت كل المعارك التي خاضها الامام ناصر بن مرشد من اجل الوحدة على اليايسة، اما البرتغاليون فقد كانوا اهل بحار، وطريقتهم في الحرب اعتمدت على السفن التي شهدت طفرة كبيرة منذ الكشف الجغرافية، ولذا فان سياستهم الاستعمارية اعتمدت على احتلالهم لكثير من المدن والقللاع والحصون التي تقع في طريق البحار والمحيطات، دون اللجوء الى التعمق في اليايسة والذي لا يتناسب وامكاناتهم البشرية.

ادرك اليعاربة مقدرة عدوهم القادم من اقصى الطرف الاوروبي كدولة بحرية خاضت معارك طاحنة في سبيل الحفاظ على مكانتها، ولذا فقد كانت العناية بالاسطول وتنمية الموارد الاقتصادية من الركائز الاساسية التي اعتمد عليها اليعاربة، ولذلك فقد طوروا اسطولهم التجاري والعسكري مستفيدين من خبرة الدول الاكثر تقدما في هذا المجال وخصوصا شركة الهند الشرقية البريطانية، حيث اقاموا معها علاقات طيبة مستفيدين من تنافسها مع السياسة البرتغالية في تلك الفترة^(٣٥) قيل ان تنشأ بينهما سياسة الوفاق الجديدة.

وبمجرد أن انشأ الامام ناصر بن مرشد اسطوله وانتهى من القضاء على جميع القوى المحلية المناوئة القى بكل ثقله في محاربة البرتغاليين حيث انتزع منهم صور وقريات، على يد ابن عمه سلطان ابن سيف اليعربي^(٣٦).

ويبدو ان انتزاع صور وقريات لم تكن مهمة سهلة، فقد كان التباين واضحا بين حجم وكفاءة القوتين المتنافستين، اضافة الى ان الوحدة الوطنية لم تكن قد تحققت بما يتناسب واعباء المواجهة التي كانت تقضي بقدر كبير من الانسجام والتضام خصوصا وان البرتغاليين كانوا قد استردوا انفاسهم منذ ان طردوا من هرمز ١٦٢٢م بسبب انشغال القبائل بالحروب الاهلية وقبل كل ذلك قد استجذت على مسرح الاحداث سياسة وفاق جديدة بين البرتغال وشركة الهند الشرقية بدءا من عام ١٠٤٤هـ / ١٦٢٤م^(٣٧). تحولت الى صداقة مثينة وتعاون بين الطرفين، وخصوصا بعد ان استرد البرتغاليون استقلالهم من اسبانيا عام ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م^(٣٨).

وكانت هذه المتغيرات السياسية، سواء المحلية او الدولية في مقدمة عوامل كثيرة جعلت اهل عمان يناضلون في ظروف اشد قسوة، الا ان نجاحهم في تحقيق الوحدة الوطنية اضافة الى المشاعر الدينية الجياشة، التي فاقت اية مشاعر وطنية او عرقية كان من اهم العوامل التي جعلتهم يقبلون على التضحية بنفس راضية وبحماس ورغبة في الاستشهاد وهي عوامل كان يفقدها البرتغاليون المتحصنون في الشغور العمانية. ان المتتبع لحركة كفاح اليعاربة ضد البرتغال يدرك للوهلة الاولى اهمية الوحدة القومية كقضية دينية وسياسية وهو ما يؤكد ان الامام ناصر بن مرشد قد ادرك تلك الحقيقة للوهلة الاولى، وفي ظل التجزئة تنمو الخلافات وتتنامى الاحقاد الى حد يهون فيه الوطن، وتتبدد القيم الكبرى في سبيل تحقيق مصالح شخصية رخيصة.

وقد ادرك ناصر بن مرشد هذه الحقيقة بوعي شديد وراى ان الوحدة هي العامل الحاسم في تحقيق اي عمل كبير، وبدونها تتبدد القوى وتتأكل كل فرص الوقيعة والشتات لابناء الوطن الواحد والعقيدة الواحدة، ونتيجة لهذه السياسة فقد شهدت

الجبهة الداخلية تفوقا ملحوظا لقوات الامام ناصر بن مرشد ساعده في توسيع نطاق نضاله ضد البرتغاليين القابعين في المناطق الساحلية، ولعل صحار كانت محورا استراتيجيا هاما في سياسة اليعاربة حيث ضربوا عليها حصارا شديدا، بينما تحصن البرتغاليون داخل القلاع والحصون وراحوا يمحطون قوات الامام بوابل من نيران مدفيعتهم، الامر الذي اطال امد الحصار مما دفع الامام الى بناء قلعة في مواجهة القلعة البرتغالية.

ومنذ عام ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م بدأ ناصر بن مرشد يجني ثمار الوحدة الوطنية، فبمجرد ان علمت القبائل بحصار صحار اخذت تسنفر هم شبابها الذين شاركوا في بناء القلعة، وخصوصا من مناطق لوى وبات وكافة المناطق المتاخمة لصحار، وبينما ضرب العمانيون حصارا متيعا حول صحار، كانت سرية اخرى قد وصلت الى مسقط بقيادة خميس بن سعيد الشقصي وبامر الامام^(٣٩)، وعلى الرغم من ان تلك السرية لم تحقق نتائج حاسمة^(٤٠)، الا انها اربكت القوات البرتغالية، سواء في صحار او مسقط مما مهد لسلسلة من الهجمات العمانية الخطيرة ضد كافة المعقل البرتغالية.

ففي عام ١٠٥٣هـ / ١٦٤٣م استولى الامام ناصر بن مرشد على مدينة صحار وبني بها حصنا مقابلا للحصن الذي يسيطر عليه البرتغاليون، كما نجح العمانيون في الحصول على عدد من السفن المتقدمة، وكذا الذخيرة والبارود من الانجليز مما ضاعف من حجم العمليات العسكرية ضد القواعد البرتغالية^(٤١)، وعموما فلم يصل حجم المساعدات البريطانية لعمان بما يتناسب وامكانات البرتغال مثل ما حدث في اتفاقية ميناب عام ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م، حيث حاربت بريطانيا بجانب الفرس لتحرير هرمز اما اليعاربة فقد حاربوا في ظروف مختلفة حيث لم يستعينوا بقوة اجنبية، اضافة الى ان البرتغال اثناء طردها من هرمز كانت في ظل التبعية الاسبانية في حين ان العمانيين قد تتضاعف جهودهم بشكل ملحوظ بعد ان استردت البرتغال استقلالها^(٤٢)، اذا كانت العلاقات العمانية البريطانية لم تحقق نتائج محددة على عهد ناصر بن مرشد، الا انها قد تطورت بشكل ملحوظ على عهد الامام سيف بن سلطان، وان كنا لا نتفق مع الرأي القائل بان الانجليز شاركوا بشكل فعال في الصراع العماني البرتغالي، وهو ما اكده احد الباحثين الاوربيين، على اعتبار ان ثمة تعاطفا انجليزيا مع العمانيين ضد البرتغاليين كما يرجع الباحث (BOXER) اسباب ذلك الى الصراعات المذهبية بين الانجليز والبرتغاليين اضافة الى سياسة الاحتكار التي مارسها البرتغاليون والتي كانت تتعارض مع مصالح شركة الهند الشرقية البريطانية^(٤٣).

ويؤكد احد الباحثين في تاريخ الخليج على عكس هذه المقولة تماما ويشير الى انزعاج الانجليز من تصاعد القوة العمانية وهو امر يتعارض مع مصالحهم على طول الخط^(٤٤) اضافة الى ان انجلترا والبرتغال كانتا قد ابرمتا معاهدة في عام ١٠٧٢هـ / ١٦٦١م^(٤٥).

وليس من المنطقي ان يشارك الانجليز في الحرب بجانب العمانيين وهم يعلمون ان قوة العمانيين تتعارض مع مصالحهم، ولعل النشاط الاقتصادي الذي تمارسه شركة الهند الشرقية البريطانية قد بدد من سياسة الاحتكار الذي كان يمارسه البرتغاليون، مما اعطي فرصة لليعاربة لكي يضاعفوا من نشاطهم التجاري والحربي، مما اتاح لهم قدرا كبيرا من المنافسة التي ادت الى تطوير سفنهم بسبب

الاحتكار الذي تعددت مجالاته سواء مع السفن الانجليزية او الهولندية او حتى مع السفن البرتغالية نفسها.

ولا شك ان التفوق البحري العماني قد اقلق الانجليز الى حد كبير، وقد عبر برانجوين Branguin وكيل شركة الهند الشرقية في بندر عباس عن هذا القلق بقوله : « ان العمانيين سيصبحون كارثة على الهند مثلما كان الجزائريون كارثة على اوروبا »^(٤٦)، بل والاكثر من ذلك فقد اخذت العلاقات تسوء بين اليعاربة والانجليز الذين اصبحت سفنهم مستهدفة من قبل اليعاربة لدرجة ان حاكم مدراس كتب الى رئاسة الشركة طالبا المزيد من السفن والجنود تحسبا لهجمات العمانيين^(٤٧) ولعل من المناسب في هذا الصدد ان تطرح سؤالا؟

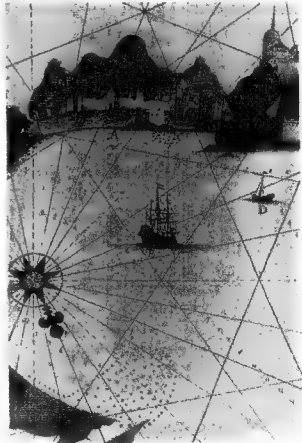
اذا كان اليعاربة قد أصبحوا خطرا على الانجليز فلماذا لم يتصد الانجليز لمواجهتهم؟

والاجابة على هذا السؤال تتلخص في ان الانجليز انشغلوا بتثبيت نفوذهم في الهند، وتضاعف انشغالهم بسبب تورطهم في حرب الوراثة الاسبانية، كما ان القوة البحرية العمانية وصلت الى درجة من القوة مع نهاية القرن السابع عشر جعلت التفكير في التصدي لها بمثابة مقامرة غير مضمونة العواقب. ومهما كان الامر فقد امتد صراع اليعاربة ضد منافسهم لفترات زمنية طويلة تباينت فيها المواقف السياسية، إلا ان اصعب الفترات واخطرها هي فترة الامام ناصر بن مرشد، حيث كان يقاتل في سبيل تحقيق وحدة وطنية قوية كبذته قادرا هائلا من الجهد والوقت كما انه استخدم كل الامكانيات المتاحة بمهارة شديدة بما في ذلك المفاوضات السياسية، التي لجأ اليها في (شوال ١٠٥٨هـ / ٢١ أكتوبر ١٦٤٨ م)، وعند وفاته^(٤٨) لم يبق تحت السيطرة البرتغالية الا مسقط ومطرح وحصن لهم في صحار^(٤٩)، وقد حاول الامام ان يسترد هاتين المدينتين وبعث بمسعود بن رمضان على رأس جيش بهدف تحريرهما، وتمكن مسعود بن رمضان من الوصول الى مطرح وضرب عليها حصارا في وقت تقشى فيه مرض الطاعون واصيب البرتغاليون بهلع شديد^(٥٠).

ولم يؤد هذا الحصار الى تحرير مسقط ومطرح وانما نجم عنه ابرام هدنة جاءت معظم بنودها في صالح العمانيين^(٥١).

وكان ابرام هذه الهدنة بمثابة اختبار عملي لقوة كل من الطرفين حيث ادرك العمانيون حالة الوهن الذي وصل اليه البرتغاليون وفي الوقت نفسه كان الامام ناصر بن مرشد في اشد الحاجة لالتقاط الانفاس واعادة تقييم الموقف. ومن جانب آخر فقد شعر البرتغاليون بنوع من الارتياح خصوصا وقد سبق لهم ان ابرموا صلحا مع الانجليز، الا انهم

تخطيط مدينة مسقط
في عام ١٦٦٩ من
كتاب مولانا (العالم
العربي) مكتبة ليدن
الجامعية



تورطوا في صراع جديد مع الهولنديين^(٥٢).

وقد تضاعفت طموحات العمانيين وأدركوا أنهم قاب قوسين أو أدنى من تحرير بلادهم من احتلال دام أكثر من مائة وأربعين عاماً. وبوفاة الإمام ناصر بن مرشد كان العمانيون قد وضعوا أقدامهم عند نهاية الطريق بعد رحلة طويلة من الجهاد والتضحيات وامتد جهادهم إلى جلفار (رأس الخيمة) التي كان البرتغاليون يحتلون إحدى قلاعها بينما الفرس بقيادة ناصر الدين الفارسي يحتلون القلعة الثانية^(٥٣).

وتشير كتب التراث العماني إلى أن ناصر الدين الفارسي هذا كان متحالفاً مع أعداء الإمام وعلى علاقة قوية مع مانع بن سنان وناصر بن قطن وهما من أكثر الزعامات المحلية عدواة للإمام، ولهذا كان تحرير جلفار يمثل رغبة أكيدة في مخططات اليعاربة، حيث قاد علي بن أحمد حملة اعتمدت على عنصر المباغته والالتفاف بشكل سريع مما أربك الحاميات المدافعة عن جلفار وعندما ضاعفت القوات العمانية من حصارها طالب البرتغاليون السماح لهم بالانتقال إلى مسقط، وهكذا بدأت تنهوى كل القوى المناوئة لليعاربة، مع ملاحظة أن كل انتصار كان يفتح المجال لمزيد من التكبر لانتصار آخر وهكذا. استطاع سلطان بن سيف الذي يبيع بالامامة (ربيع الثاني ١٠٥٩هـ / أبريل ١٦٤٩م) بعد وفاة الإمام ناصر بن مرشد أن يواصل الجهاد، حيث سبق له أن تمرس على الأعمال الحربية، حينما كان يقود بنفسه العديد من العمليات الحربية بتوجيه من الإمام الراحل وحينما أرسل عدة مرات إلى مسقط لتسليم الجزية المستحقة على البرتغاليين، ولذا فقد كان الإمام الجديد أهلاً لتولي القيادة في وقت كانت البلاد في أشد الحاجة إلى مواصلة المسيرة التي بدأها الإمام ناصر بن مرشد.

ومن البداية أخذ الإمام الجديد يعد العدة للقضاء على البرتغاليين، وأدرك أهمية الوقت كعامل هام في الأجهزة عليهم وخصوصاً بعد أن نما إلى علمه أن عدد جنودهم قد نقص نقصاً كبيراً بسبب حملات برتغالية كانت قد أرسلت إلى الهند^(٥٤) إعتقاداً بأن موت الإمام ناصر بن مرشد يعد سبباً كافياً لإرجاء أي نوايا عدوانية نحو مسقط ومطرح، إلا أن سلطان بن سيف لم يمكث إلا أياماً قليلة وأسرع متخذاً من طوى الرولة قاعدة للهجوم الشامل عليهم، بينما تحصن البرتغاليون بقلاع وأسوار عالية، حيث رابط جنودهم بعد أن ثبتوا مدافعهم الثقيلة في كل اتجاه، وزيادة في الحيلة فقد حفروا خندقاً عميقاً حول الأسوار، كما بنوا على رؤوس الجبال المحيطة بمسقط ومطرح مجموعة أبراج ثبتوا داخلها جنوداً أشداء أخذوا يمحطون القوات العمانية بوابل من نيران مدافعهم^(٥٥).

وكانت الحرب سجالاً بين الفريقين، فلم تكن للبرتغاليين قدرة على مواجهة العمانيين ولم يكن للعمانيين قدرة على دخول مسقط ومطرح، وأعتمد الجيشان على القنص كلما اتحت الفرصة لذلك، وهكذا طالبت الحرب حتى كاد سلطان بن سيف أن يتراجع عن حصاره، وخصوصاً بعد أن نما إلى علمه أن بعض القبائل بدأت تفكر في التراجع عن مساندته

ولكن حدث شيء لم يكن في الحسبان، إذ أن الإمام سلطان بن سيف قد تلقى معلومات على غاية من الأهمية من العرب القاطنين حول مسقط^(٥٦)، مكنته من دخول المدينة ولا يستبعد أن تكون هذه المعلومات كانت تعبر عن حقيقة الأوضاع داخل

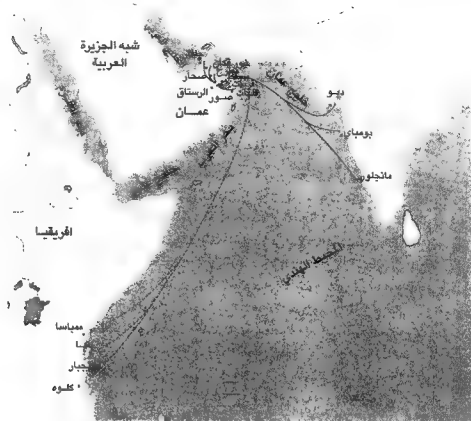
المدينة وخصوصاً عند نهاية ذي الحجة ١٠٥٩هـ / ديسمبر ١٦٤٩م وهو موعد رأس السنة الميلادية، حيث لم تكن هناك ثمة مراقبة دقيقة مما سهل على العرب مهمة التسلل الى داخل مسقط^(٥٧) وأطلقوا على أحوال البرتغاليين ونقلوا الى الإمام ما رأوه. ولم تلبث قوات الامام ان حاصرت البرتغاليين في قلعة الجلال، وبعد ان نفذت مؤونتهم اضطروا الى التسليم وتركوا القلعة^(٥٨). وهذا ما حدث في مطرح أيضاً ولم يبق للبرتغاليين غير سفينتين كانت تحاصران مسقط الا ان العمانيين تمكنوا من اسرهما، وعندما وصلت هذه الاخبار الى السلطات البرتغالية في الهند اسرعت بارسال اسطول برتغالي كبير ولكنه وصل متأخراً، فقد كانت كل القلاع وكل الحصون البرتغالية قد تهاوت وسقطت في يد العمانيين^(٥٩)، واصيب البرتغاليون بخسائر جسيمة، حيث قتل معظم جنودهم، وكل المحاولات التي قاموا بها في الهند لامداد مسقط باءت بالفشل، وبنهاية ١٠٦٣هـ / ١٦٥٢م لم يبق للبرتغاليين في الخليج الا وكانهم في كنج على الساحل الشرقي من الخليج.

ومع ذلك فلم يفقد البرتغاليون الامل في استعادة ساحل عمان، حيث راحوا يدعمون مركزهم في كنج بل واخذوا يتفاوضون مع الفرس على السماح لهم بانشاء وكالة تجارية في جزيرة هانجام، الا ان الشروط الفارسية كان مبالغاً فيها، ولذا فقد رفض البرتغاليون العرض الفارسي^(٦٠) ويؤكد لوريمر ان سبب رفض البرتغاليين للعرض الفارسي هو تطلعهم الى الساحل العربي، حيث كانت تبذل محاولات في هذا الصدد^(٦١).

وفي الوقت نفسه لم يتوقف العمانيون عن مطاردة البرتغاليين حتى، بعد ان التجأوا الى وكالتهم التجارية في كنج، والتي لم تنج من هجمات العمانيين الذين اخذوا يتعقبون عدوهم في الهند وشرق افريقيا، مما جعل خطوط الملاحه بين الوكالة التجارية للبرتغاليين في كنج وبين شرق افريقيا والهند تبدو مستحيلة في ظل السيطرة العمانية، ولذلك اضطر البرتغاليون الى الانسحاب من كنج نهائياً^(٦٢). وهكذا طرد البرتغاليون من عمان والخليج، ولاشك ان طردهم نهائياً من الخليج يعد عملاً بطولياً وصفحة مشرفة في التاريخ العماني.

لم يكتف العمانيون بطرد البرتغاليين من سواحل عمان بل شنوا عليهم حرباً تمثلت في سلسلة من الغارات ضدهم في المحيط الهندي برا وبحراً، وتعرضت المواقع البرتغالية في الهند الى تلك الهجمات... بوميبي ١٠٧٢هـ / ١٦٦١م ديو في رجب ١٠٧٩هـ / نوفمبر ١٦٦٨م وفي شوال ١٠٨٦هـ الموافق يناير ١٦٧٦م وكذلك في سنة ١٠٨١هـ الموافق ١٦٧٠م، وباسين Bassein في ١٠٨٥هـ الموافق ١٦٧٤م، وامتدت المعارك لتشمل غرب المحيط الهندي حيث خاض الطرفان صراعاً طويلاً للسيطرة على شرقي افريقيا^(٦٣). فقد اتصل سكان زنجبار الذين ربطتهم عوامل دينية وقومية مع العمانيين بالامام سلطان بن سيف من اجل تحريرهم من الاستعباد البرتغالي وبالرغم من الانتصارات التي حققها الامام سلطان بن سيف في مياه زنجبار، الا ان الجلاء البرتغالي لم يتم الا في عهد ابنه الامام سيف بن سلطان الذي وضع حجر الاساس لبحرية عمان الشهيرة التي سيطرت على جميع الساحل الافريقي الشرقي من (ممباسة) الى (كلوه) اذ سيطر العمانيون على ممباسة ١١١٠هـ / ١٦٩٨م وسيطروا على بيما وزنجبار وبته Patta وكلوه، وكانت

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث



(موزمبيق) هي الوحيدة التي قاومت الاسطول العربي المعاني وبقيت بايدي البرتغاليين الى القرن العشرين^(٦٤). وقد حاول البرتغاليون استعادة مراكزهم البحرية الضائعة وقاموا بهجوم موحد على زنجبار ومسقط في آن واحد عام ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م، ولكنهم أصيبوا بهزيمة منكرة، وبذلك انهارت آمال البرتغال في استعادة سيادتها على الخليج العربي والمحيط الهندي^(٦٥)، وأمد نفوذ عمان من جنوب الجزيرة العربية وسواحل شرقي افريقيا في الغرب الى سواحل وادي السند في الشرق. وفي هذه الفترة أصبحت مسقط تتمتع بـ (مركز التوزيع التجاري الرئيسي) لمنطقة الخليج العربي، فاصبحت واحدة من الموانئ الرئيسية في المحيط الهندي وسواحل الخليج وإيران والعراق والجزيرة العربية، وفي حدوده الغربية امتد هذا النفوذ الى البحار الافريقية المركزية، وفي الشرق لأمس^(٦٦) لدلتا الكنج.

وهكذا ظهرت قوة عمان بعد القضاء على الهيمنة البرتغالية بشكل بات يخشاه الجميع، فقد أصبحت السفن العمانية هي التي تبحث عن سفن الأعداء في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي^(٦٧)، واضطرت السفن الهولندية والانكليزية إلى تعزيز دفاعاتها خوفاً من عرب عمان^(٦٨). وقد عبر المقيم البريطاني في بندر عباس عن مخاوفه من تنامي قوة عمان بقوله، سنة ١١٠٦هـ / ١٦٩٤م : «انهم سيثبتون انهم كارتة كبرى، على الهند كالخزائن في اوروبا»^(٦٩).

وقد اشارت السلطات الصفوية ايضا الى تفوق العمانيين في هذه الفترة من خلال مذكرة رفعتها الى الحكومة الفرنسية جاء فيها : « ان تمتعهم بموقع جغرافي مهم يتيح

لهم الفرصة للسيطرة على الخليج، وهذا يفسر قوة العمانيين الذين يتمكنون بما يناهز الثلاثين قارباً من الاستيلاء على الغنائم» (٧٠).

ذلك ان الانتصارات التي حققها اليعاربة اثارت فارس التي كانت تتطلع الى وراثة النفوذ البرتغالي، ولذا فقد تعددت المواجهات العمانية الفارسية والتي جاءت في صالح اليعاربة، بدرجة ان التجارة الفارسية اصيبت بضرر بالغ مما دفع بالفُرس الى الاستعانة بالقوى الاوروبية بهدف القضاء على منافسة عمان لها في هذا الميدان، واتصلوا بالانجليز لتحقيق هذا الهدف (٧١).

واذا كان الانجليز لم يتحمسوا للعرض الفارسي خوفاً على مصالحهم الاقتصادية من الاسطول العماني، فقد توجهت فارس الى فرنسا على عهد لويس الرابع عشر وتخضعت الاتصالات عن توقيع معاهدة بينهما في عام ١١١٩هـ / ١٧٠٧م وكان من بين النصوص السرية التي احتوتها تلك المعاهدة ان يقوم الفرنسيون بارسال اسطول لمساعدة فارس في غزو مسقط، الا ان فرنسا ترددت قبل الاقدام على تلك الخطوة بنفس السبب الذي منع الانجليز من تضامنهم مع فارس، على الرغم من الدبلوماسية النشطة التي مارسها الفرس في محاولة للضغط على لويس الرابع عشر... وعموما فلم تسفر الاتصالات عن قيام تحالف فارسي فرنسي على الرغم من ابرام اتفاقية جديدة في عام ١١٢٧هـ / ١٧١٥م، ولعل ما حال دون اقدام فرنسا على تنفيذ بنود المعاهدة الجديدة تلك الفوضى التي اجتاحت فارس وما ترتب عليها من غزو افغاني لها في عام ١١٣٥هـ / ١٧٢٢م. كانت البرتغال قد ادركت في تلك الفترة ان زمن الضعف العربي قد ذهب وان مواجهة اليعاربة في كل مراحل الصراع قد باءت بالفشل وان استمرار الوضع يعني ضياع كل الممتلكات البرتغالية على سواحل الهند وشرق افريقيا ولذا فقد راحوا ينسقون مع الفرس في محاولة لقيام تحالف عسكري يكون قادراً على ضرب اليعاربة.

وقد ادرك سلطان بن سيف خطورة هذا التحالف الجديد، ولذا فقد عجل بضرب البرتغاليين وتصفية نفوذهم، وقسم اسطوله الى قسمين احدهما توجه الى شرق افريقيا حيث نجح في انتزاع ممبسا ١١١٠هـ / ١٦٩٨م تمهيدا لانتزاع الجزيرة الخضراء وكلوه (٧٢).

اما القسم الاخر من الاسطول فقد توجه الى الهند، حيث نجح في تدمير الوكالة البرتغالية في مانجالور على الساحل الهندي (٧٣).

ويعد سقوط ممبسا في يد اليعاربة نقطة تحول خطيرة في تاريخ الاسلام، فمن المعروف ان البرتغاليين قد تمكنوا من خلال تواجدهم في شرق افريقيا والهند من العمل على نشر عقيدتهم الكاثوليكية، الا ان اليعاربة كان لهم اكبر الاثر ليس في توقف هذا النشاط الكاثوليكي فقط، بل وارغام البرتغاليين على الجلاء عن جميع الساحل الذي يقع شمال خليج دلجادو.

وهكذا استطاع اليعاربة كسر شوكة البرتغاليين وانهاء سيادتهم الاحتكارية والقضاء على مراكزهم الاستراتيجية سواء على الشاطئ الافريقي او على سواحل الهند، ويقرر المؤرخ الانجليزي كوبلاند Coupland ان البحرية العمانية مع مطلع القرن السابع عشر قد وصلت الى درجة من القوة فاقت اي قوة بحرية اخرى حيث كانت الاساطيل الانجليزية والهولندية تخشاها، ويكفي ان هذا الاسطول استطاع ان

يقوم بكل هذه العمليات الناجحة في هذه المنطقة الشاسعة وان يجعل الرعب يملأ قلوب الجميع، سواء سكان البلاد الواقعة على الخليج أو المحيط أو التجار الأوربيين^(٧٤). وبكل المقاييس فقد نجح العمانيون وحتى نهاية عهد سلطان بن سيف الثاني عام ١١٣٠هـ / ١٧١٨م في ايجاد قدر كبير من التوازن الدولي انعكست نتائجه على كل المستويات، وترك انطباعا هائلا لدى الأوربيين عن هيبة الدولة، حيث عملت العديد من القوى الأوروبية على كسب ودها، ولعل الازدهار الاقتصادي الذي وصلت اليه دولة اليعاربة ومكانة اسطولها البحري كان نتاجا طبيعيا لقوة الدولة وحجم ثقلها البحري في كافة البحار الشرقية، في ظل جو مناسب من اللفة لدى عناصر السكان في عمان، حيث انعكس ذلك على كافة مشروعات التنمية الاقتصادية في شتى مناحيها وبات الناس في امن على حياتهم وارضهم في ظل سياج من الهيبة والعدل. وإذا كان اليعاربة قد نجحوا كل النجاح في تحقيق هذا الازدهار الذي ترتب على انهيار النفوذ البرتغالي وكسر احتكاره لتجارة المنطقة، فان من المفيد في هذا المجال ان نعبر للأسباب التي أدت الى انهيار هذا النفوذ ومكن اليعاربة من هذا النجاح. والحقيقة فان الأسباب التي عجلت بانهايار النفوذ البرتغالي في عمان والخليج العربي عديدة منها :

أولا : طبيعة الاستعمار البرتغالي للمنطقة التي كانت تركز على سلسلة من القواعد العسكرية الواقعة على الطريق البحري بين الهند والبرتغال، فلم يتوغل البرتغاليون في عمق البلاد التي استعمروها، وما كانوا يستطيعون ذلك لقلة عدد سكان البرتغال، ولاتساع امراطوريتهم وكان الإبقاء على تلك القواعد في أيديهم مرهون بقوة البحرية البرتغالية فلما ضعفت ضاع كل شيء.

ثانيا : كانت حركة المد البرتغالي تمثل الموجة الاستعمارية الأولى المتعشبة للغزو ونهب ثروات الشعوب وكان الميدان خاليا امامها، فلما دخلته قوة أوروبية أخرى أكثر منها قوة مثل هولندا وبريطانيا وفرنسا، ولا تقل عنها طمعا في ان يكون لها نصيب في الغنيمة يتفق مع ثقلها السياسي والعسكري، لم تقو البرتغال على الصمود امام هذه القوى الطامعة.

ثالثا : حسن اختيار العمانيين للظروف الدولية المناسبة لتوجيه ضرباتهم القاضية ضد الوجود البرتغالي في عمان فالتنافس الذي ساد العلاقات بين البرتغاليين من جهة والفرس والهولنديين والانجليز من جهة أخرى، ورغبة الفريق الثاني في القضاء على النفوذ البرتغالي وابعادهم عن الخليج ساعد العمانيين الى الحد الكبير.

رابعا : اتبع البرتغاليون سياسة الشدة والبطش في معاملاتهم للشعوب التي حكموها وقيامهم باستنزاف ثرواتها ومواردها زاد في كراهية الشعوب لهم وجعلها تتحين الفرص المناسبة للخلاص من نيرهم.

خامسا : ازدياد قوة العمانيين وثقتهم بانفسهم وتفوقهم في الملاحة البحرية اذ ادرك العمانيون حقيقة الصراع بينهم وبين البرتغاليين انه صراع بحري أولا وقبل كل شيء... ولذا فقد اعدوا اسطولا بحريا مدربا ومنظما ومعدا احسن اعداد ومن ثم امكنهم ان يتغلبوا على اهم نقاط القوة لدى البرتغاليين. وكان من اهم العوامل التي أدت الى القضاء على النفوذ البرتغالي في عمان والمحيط الهندي.

سادسا :الوحدة الوطنية باعتبارها الدرس الاول الذي التزم به ناصر بن مرشد، وبغير الوحدة لن تتحقق المصالح العليا للبلاد، وفي سبيل الالتزام بهذا المبدأ خاض الامام حروبا ضارية ضد انصار التجزئة كما سبق القول.

سابعاً :عناية اليعاربة باستثمار كل مقومات النجاح، وكانت الزراعة في مقدمة اهتماماتهم حيث شقت الافلاج وتم جلب كثير من المحاصيل الزراعية من شرق افريقيا حيث نجحت تجربة زراعتها بشكل ملحوظ مما اوجد رواجاً اقتصادياً.

ثامناً :عناية اليعاربة بتوفير كل مقومات النجاح لحركة التجارة بعد ان تم القضاء على سياسة الاحتكار التي ابتدعها البرتغاليون وباتت تجارة الخليج العربي جزءاً من حركة التجارة العالمية وهو ما عاد على عمان بطفرة اقتصادية هائلة.

تاسعاً :العودة الى الجذور العمانية الاصلية بابرار الهوية العربية والاسلامية وفي هذا المجال نجح اليعاربة بشكل ضاعف من ترابط دولتهم وادى الى طرد عدوهم. اسباب كثيرة كما نرى ادت وساعدت على القضاء على النفوذ البرتغالي سواء في عمان او في ساحل شرقي افريقيا، بل وفي المحيط الهندي كله وكما رأينا فقد كان للعمانيين في عهد اليعاربة القدح الممل والنصيب الاوفر في القضاء على هذا النفوذ الذي استمر قرابة قرن ونصف من الزمان.

وكما كان هنالك اسباب ادت الى القضاء على النفوذ البرتغالي، فهناك ايضا نتائج على درجة كبيرة من الاهمية ترتبت على ذلك وعلى خروجهم من عمان بالذات واثرت تأثيراً عميقاً على المنطقة كلها. ويمكن اجمال هذه النتائج فيما يلي.

اولاً : ان نجاح العمانيين وحدهم في اجلاء البرتغاليين من ارضهم قد رفع روحهم المعنوية وأشعرهم بقوتهم وبمدى ما يمكن ان يقوموا به وهيأت لهم هذه الفرصة ان يلعبوا دوراً بارزاً في النشاط البحري في الخليج ولاسيما منذ منتصف القرن السابع عشر وحتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ثانياً : افلح العمانيون في القضاء على سياسة احتكار التجارة التي انتهجها البرتغاليون وحققوا مبدأ حرية التجارة لجميع الاجناس، فعاد الانعاش الاقتصادي اليهم وساعدهم هذا على ان يصبحوا قوة مؤثرة في منطقتهم، بل وفي شرق افريقيا كذلك.

ثالثاً : تطلع الفرص في ان يحلوا محل البرتغاليين وان تكون لهم الزعامة في الخليج، وساعدتهم بريطانيا على ذلك لاسباب عديدة، منها وجود مصالح عامة لشركة الهند الشرقية الانجليزية في فارس وكذلك مساعدة الفرس للبريطانيين في القضاء على منافسة الهولنديين في الخليج اضعف الى ذلك عدم وجود تنظييمات عربية تلفت الانتباه والدخول معها في علاقات مباشرة في ذلك الوقت... وتترتب على ذلك دخول فارس في صراع مع العمانيين، وطلبهم المساعدة من القوى الاستعمارية الطامعة في الخليج.

رابعاً : ان زوال الوجود البرتغالي من عمان على وجه الخصوص ومن الخليج العربي على وجه العموم، اتاح للقوى العربية ان (تؤكد لنفسها زعامة الخليج) (٢٥) وظهرت هذه الزعامة بشكل واضح في القرن الثامن عشر.

خامساً : اعقب خروج البرتغاليين من الخليج العربي تحركات جماعية ادت الى وجود تشكيلات سياسية استقرت على السواحل الغربية للخليج، مثل العتوب في

الكويت وامتداد فرووعهم في قطر والبحرين.

وهكذا نرى ان هنالك نتائج عديدة وهامة نتجت عن طرد البرتغاليين من الخليج العربي، وكانت الوحدة الوطنية التي حققها اليعاربة الاوائل هي محور الزوايا في هذا النجاح العظيم، وايضا في تحقيق كثيرا من الانجازات الداخلية التي تمت في عهد اليعاربة الاوائل، وفي عهد من خلفهم من الائمة، واولهم الامام بلعرب ابن سلطان بن سيف.

الامام بلعرب بن سلطان^(٧٦):

بويغ بلعرب بن سلطان بالامامة بالاجماع يوم الجمعة ١٦ من ذي القعدة ١٠٩١ هـ / منتصف ديسمبر ١٦٨٠ م وقد سار سيرة حسنة، وكان جوادا كريما وعمر بلدة جبرين وعمق فلجها لري واستصلاح اراضيها، وقام ببناء حصن جبرين الشهير واعتنى به اعتناء كبيرا من حيث هندسة بنائه وزخرفته وتحصيناته وتقسيماته، واتخذه مقاما له ومركزا لدولته. كما انشأ فيه مدرسة اتادها الطلاب لتحصيل العلم والمعرفة.

وهكذا كانت السنوات الاولى من فترة حكم الامام بلعرب استمرارا لفترة الازدهار والاستقرار والرخاء التي نعمت بها عمان في عهد دولة ابيه الامام سلطان بن سيف، ولذلك حافظ الامام بلعرب على الدولة التي وليها بعد ابيه، واستمر في سياسة الاعمار والبناء، الا انه في السنوات الاخيرة من فترة حكمه خرج عليه اخوه سيف بن سلطان مطالبا اياه باعتزال الحكم، ومن ثم بدأت عوامل الهرم تسري في هذه الدولة منذ تلك الفترة، وبدأت الامور تسير في غير المسار الذي كانت تسير عليه بالنسبة لعملية اختيار الائمة وتوليهم في عهد اهل عمان بخروج سيف على اخيه الامام المنتخب، الذي خرج من نزوى متجها ناحية الشمال^(٧٧)، ثم عاد الى نزوى، ولكن اهله في تلك الفترة كانوا قد انحازوا الى جانب اخيه سيف بن سلطان واحالو بينه وبين دخول المدينة، وتوجه الى جبرين حيث حاصره اخوه سيف في هذا الحصن ولما طال امد الحصار ورأى اكابر عمان عجز الامام عن التصدي لآخيه استسلموا للامر الواقع ففقدوا الامامة لآخيه سيف بن سلطان بن سيف بن مالك وقد بويغ بالامامة بعد وفاة اخيه الامام بلعرب وقد واصل الامام سيرة سابقيه كما تابع سياسة مقاومة البرتغاليين بشرق افريقيا والهند. وتري المصادر التاريخية العمانية ان هذه البيعة ربما كانت تقية اي مخافة على ضياع الدولة، او مخافة وقوف سيف ضد المعارضين لامامته المنتقدين لخروجه على اخيه الامام وعليه قام سيف المعقود له بالامامة باخضاع حصون عمان ومعاقبتها فدانت الاحصن جبرين الذي كان بداخله الامام بلعرب، واخذ يقصف الحصن بالمدافع وتعددت محاولات سيف لدخول هذا الحصن، فكان رجال الامام وعساكره يردونهم على اعقابهم وقتلوا عددا كبيرا من المهاجمين. ومن ثم قرر اصحاب الرأي والمشورة من الجانبين وقف القتال ومطالبة الامام بلعرب واخيه سيف بان يتنازلا اذا ارادا حلا للامر، فاذا اقتتلا وقتل احدهما الاخر صار الامر للغالب، فان ابيا المنازلة وطال امد الحصار رجعوا الى بلادهم، ولكن هذا النزال المقترح لم يتم وانتهى الامر بوفاة الامام بلعرب في سنة ١١٠٤ هـ / ١٦٩٢ م، وتولى الامامة بعده سيف بن سلطان قيد الارض.

الامام سيف بن سلطان (قيد الارض) :

هو سيف بن سلطان بن سيف بن مالك وقد بويع بالامامة بعد وفاة اخيه وقد واصل الامام سيرة سابقة كما تابع سياسة مقاومة البرتغاليين في شرق افريقيا والهند وتشير بعض الروايات العمانية انه بعد وفاة الامام بلعرب تم تجديد البيعة له بعد ان استتابه العلماء، حيث ان الشيخ السالمي يرى ان البيعة الاولى كانت غير صحيحة لان خروجه على اخيه الامام غير جائز، ومهما يكن من امر تجديد البيعة الا ان الامام سيف واصل سياسة الائمة السابقين من اليعاربة فحسنت سيرته كما تابع سياسة مقاومة البرتغاليين في شرق افريقيا والهند، ولذلك عمل على تقوية الاسطول والجيش فامتلك قوة مكنته من مقاومة البرتغاليين وغيرهم من القوى الخارجية في مختلف المناطق التي وصل اليها الوجود العماني في تلك الفترة، وقيل ان جيشه الذي دخل الهند كان يضم تسعين الف حصان، كما بلغ عدد سفن الاسطول العماني في تلك الفترة ما يزيد على مائة سفينة اشهرها الفلك والملك وكعب رأس، وكانت السفن الكبيرة في هذا الاسطول تحوي ٧٨ مدفعاً بينما كانت السفن الصغيرة تحتوي على ما بين ٨-١٠ مدافع وبهذا الاسطول القوي تمكن من انتزاع الجزيرة الخضراء وبته في شرق افريقيا من البرتغاليين.

قد عمل الامام سيف على اعمار عمان حيث قام بحفر افلاج جديدة تزيد على خمسة عشر فلجاً كفلج البركة وفلج البزيلي في الظاهرة وفلج الحزم وافلاج جعلان بني بوحسن، على ان بعض هذه الافلاج كانت صغيرة وغير عميقة فعمل على تعميقها وتوسع في زراعة المحاصيل كالقمح والشعير والحبلة والخضروات، كما اهتم بزراعة قصب السكر وكان يشرف بنفسه على عملية الزراعة وسيرها، كما غرس عدداً كبيراً من اشجار النخيل والفواكه كالانبا (المانجو) وبعض اشجار العطور والزهور كالورس والزعفران، واستقدم من افريقيا النحل ونتيجة لهذه السياسة اتسعت الاراضي الزراعية المملوكة لبيت المال وزادت إيرادات الدولة زيادة كبيرة وتوفي الامام سيف بن سلطان في شهر رمضان سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م بعد ان وصلت عمان في عهده الى درجة كبيرة من الاستقرار والامتداد الى مناطق خارج شبه الجزيرة العربية حيث كان يمتلك قوة عسكرية ضاهت القوى الاوربية المعاصرة لها وماثلت القوى العربية الاسلامية التي كانت سابقة عليها ولذلك لقب الامام سيف بن سلطان بلقب (قيد الارض)، ويعني هذا اللقب حفاظه على الدولة وممتلكاتها وارضياتها في الداخل والخارج وما صاحب ذلك من رخاء واستقرار ومالبت ان توفي وخلفه في الامامة ابنه الامام سلطان بن سيف الثاني.

الامام سلطان بن سيف (الثاني) :

وهو سلطان ابن الامام سيف بن الامام سلطان بن سيف بن مالك بن ابي العرب اليعربي عقدت له الامامة سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م بعد وفاة ابيه مباشرة وبعد ان استتابه العلماء ذلك انه كانوا يعدون عليه بعضاً من الامور التي كان قد دخل فيها والده الامام سيف بن سلطان، وربما يقصدون بذلك خروجه على اخيه الامام بلعرب بن سلطان ويبدو ان بيعة العلماء له كانت على شروط وشروطها وعهود أخذوها عليه : منها الا يقطع في امر قليل او كثير او جليل الا برأي المسلمين واستشارتهم. وقد امتثل

لهذه الشروط وقام بأعمال كثيرة منها. بناء حصن الحزم حيث نقل إليها عاصمته، وربما كان السبب في ذلك ليس محاكاة الأئمة السابقين في بناء مواقع جديدة واختيار قرى أخرى كمراكز لهم وإنما كان ذلك لظروف استدعائها هذا البناء وهو محاولة الفرس توسيع نفوذهم في الخليج على حساب الوجود العماني بعد أن زال الوجود البرتغالي في الخليج بفضل القوة العمانية. ولذلك كان بناء قرية الحزم التي تعتبر بمثابة الخط الأول في الدفاع عن المنطقة بصفة عامة وعن عمان بصفة خاصة، نظراً لقربها من السواحل العمانية.

تحرير البحرين :

ومن أجل الأعمال التي قام بها الإمام سلطان بن سيف الثاني تحرير البحرين من الفرس الذين كانوا قد احتلوا . وقد مهد الإمام لتحقيق هذا الإنجاز بتقوية قبضته على بعض الجزر التي تقع في مدخل الخليج مثل جزيرة لاركا والقسم وهرمز، وكذلك على بعض المدن الفارسية الهامة مثل لنجة وبندر عباس ثم جهز جيشاً بقيادة الشيخ حمير بن سيف بن ماجد وزحف هذا الجيش على البحرين ودارت معركة كبيرة بين الفريقين كان النصر فيها للجيش العماني مما أدى إلى خروج الفرس من البحرين وتقلص نفوذهم في الخليج. ومن أشهر الأعمال التي قام بها الإمام لتدعيم نفوذه في البحرين بناء قلعتها المشهورة والتي تسمى قلعة عراد. وقبل وفاته كان التواجد العماني قد امتد إلى الخليج العربي كله والساحل الهندي وشرق إفريقيا كما كانت بعض بلاد العرب على البحر الأحمر تحت نفوذه.

وقد انتهت حياته بوفاته في حصن الحزم يوم الأربعاء الخامس من جمادى الآخرة سنة ١١٣١هـ/ مايو ١٧١٨م وبذلك دامت إمامته سبع سنوات وبضعة شهور. وبوفاته بدأ تصدع الوحدة الوطنية ونهاية دولة اليعاربة.

تصدع الوحدة الوطنية ونهاية دولة اليعاربة :

فقد دخلت البلاد عقب وفاة سلطان بن سيف (الثاني) في عام ١١٣١هـ/ ١٧١٨م مرحلة إتسمت بتباين الآراء وانقسم الناس إلى فرقتين، إحداهما تطالب بأحقية سيف بن سلطان بن الإمام سلطان بن سيف وكان صبيهاً لم يبلغ الحلم، ونادى بذلك اليعاربة وعامة الناس، أما أهل العلم والخبرة فطالبوا بإمامة مهنا بن سلطان بن ماجد اليعربي (٧٨)، والذي كان موضع ثقة الإمام المتوفى وزوجاً لابنته، ويقول عنه الشيخ السالمى : «لقد كان أهلاً للإمامة لكونه ذا قوة عليها ولم يكن كثير علم، ولكنه يتعلم ويسأل، ولم يقدم على أمر إلا بمشورة العلماء» (٧٩).

لقد وقع عامة الناس تحت تأثير المشاعر التي كان يحظى بها سلطان بن سيف، وعلى الرغم من أن والده سيف كان مفتقداً لمقومات الإمامة خصوصاً وإن إمامته لا تجوز في الصلاة على اعتبار أنه لم يبلغ الحلم، فكيف يكون إماماً على المسلمين، إلا أن كثيراً من الناس رفضوا نصيحة العلماء واجتمعوا بسلاحهم مهديين من يقول بعكس رأيهم، فخاف العلماء وقوع الفتنة، ولما كان موقف العلماء يتعارض مع موقف العامة فانهم لم يتمكنوا من مبايعة مهنا بن سلطان علناً. وخروجاً من الموقف الذي كان يندرج بوقوع الفتنة فقد اقترح القاضي عدي بن سليمان الذهلي حلاً قد يحمل قدراً من الخديعة الجائزة في مثل تلك الظروف حيث جاءوا بالصبي (سيف) وأوقوه أمام

جمهورية المسلمين ونادى القاضي عدى، امامكم سيف بن سلطان،^(٨٠) وهو اعلان يمكن فهمه على انه امامكم او امام بالفتح او الكسر، واعتقد العامة انهم نصبوا سيفاً اماماً الى ان هدأت العاصفة وشعر العلماء بان لديهم من القوة ما يكفي لحسم الموقف والاعلان عن رأيهم صراحة، فجاءوا بمهنا بن سلطان وادخلوه قلعة الرستاق بحضور جمع من اهل الحل والعقد ونادوا به اماماً حقيقياً عام ١١٣١هـ / ١٧١٨م. وقد حاول الامام مهنا ان يكون عند حسن ظن العلماء به فكان لا يقدم على امر الا بمشورتهم، وحاول ان ينعش الاقتصاد العماني عن طريق الاهتمام بالتجارة ولذلك جعل من مسقط ميناء حراً حيث اعفى عملية التبادل التجاري في مسقط من الرسوم المفروضة عليها مما ساعد على ازدياد حركة التبادل فانتعشت التجارة ومن ثم الاقتصاد ولكنه لم يستمر في الحكم طويلاً حتى يمكن ان تتطور سيرته وان تظهر فعالية ادارته حيث انه فوجيء بعد سنة من عقد الامامة له بخروج اليعاربة واهل الرستاق عليه بقيادة يعرب بن الامام بلعرب بن سلطان الذي توجه سرا الى مسقط ودخلها دون ان يشعر به الوالي الشيخ مسعود بن محمد الصارمي الريامي، وربما يكون يعرب قد رتب هذا الامر مع اهل مسقط خاصة وان الامام مهنا كان دخول العاصمة في منطقة (البزيلي) بالظاهرة فلما بلغه الخبر رجع الى الرستاق وحاول خداع مسقط واخراج يعرب منها، ولكنه لم يجد النصرة، وقام اهل الرستاق بحربه، ولما تأكد له تخاذل الجميع عنه طلب النزول من قلعة الرستاق على ان يعطوه الامان على نفسه ومن معه وماله ولما خرج من القلعة اخذوه وقيده هو وواحد من بني عمه وبعض اصحابه ثم تأمروا عليهم فقتلوهم غدراً وبذلك انتهت امامته سنة ١١٣٣هـ / ١٧٢١م. ونظراً للجرأة التي اتسمت بها افعال يعرب ونقضه لعهد كان قد قطعه على نفسه بسلامة مهنا واتباعه ولما كان هذا الموقف من اساسه يتعارض مع رأي العلماء ورؤساء القبائل والعشائر فقد عده العلماء باغياً ومغتصباً. وقد أدرك يعرب خطورة معارضة العلماء له بسبب المكانة التي كانوا يحظون بها في المجتمع العماني، فعمل على كسب ودهم وهو أمر لم يتحقق الا بعد مثوله امام القاضي عدى بن سليمان الذهلي الذي استتابه من جميع افعاله بعد ان دافع عن نفسه امام القاضي في انه كان محقاً في خروجه على الامام مهنا اعتقاداً منه بأحقية سيف بن سلطان (الصغير) في الامامة وخوفاً من اتساع دائرة الخلاف وحرصاً على جمع شمل الامة، ولم ير الشيخ عدى حرجاً في قبول مبررات يعرب ولذا فقد قبل توبته كما يقول السالمي وبايعوه سنة ١١٣٤هـ / ١٧٢١م^(٨١).

وبينما يقطع الشيخ السالمي بان العلماء قد بايعوا يعرب اماماً الا ان ابن رزيق يقول ان يعرب لم يكن اماماً بل الامامة يومئذ لسيف بن سلطان ويعرب قائم بأمره اذ كان سيف صغير السن^(٨٢). ووفقاً لاستقراء الاحداث فان يعرب كان مخولاً بالحكم وفقاً لوصايته على سيف الذي انتقل به الى مدينة نزوى ولعلها كانت فرصة مواتية لكي يباشر يعرب كافة السلطات متجاهلاً امر الوصاية، وخصوصاً فيما يتعلق بعلماء الشريعة الذين ادركوا بان يعرب قد اصبح الامام الحقيقي ولم يبق في استطاعتهم المضي في مناصرته خصوصاً وان اهل الرستاق لم يرضوا بـيعرب اماماً ولا وصياً واخذوا يرسلون بلعرب بن ناصر (خال سيف بن سلطان) مظهرين رغبتهم في امامة سيف بن سلطان.

وهكذا نجحت المحاولات في خلع يعرب بن بلعرب وبعد حروب دامية تمكن بلعرب بن ناصر من اجبار سائر القبائل المعارضة على اطاعة الامام سيف، وهكذا عادت الفتنة اشد مما كانت وتشقت شمل الامة بين مؤيد ليعرب بن بلعرب وبين مطالب بحق بلعرب بن ناصر كوصي على سيف بن سلطان. ولم تستقر الاوضاع في عمان منذ ذلك التاريخ فقد انقسم الناس الى فرقتين هناوية وغافرية وإنضم الى كل منهم مجموعة من القبائل العمانية وبويع زعيم الغافرية محمد بن ناصر الغافري اماما لعمان بعد أن قاتل يعرب بن ناصر بإسم سيف بن سلطان، وبعد مقتل محمد بن ناصر الغافري بلغ سيف بن سلطان الحلم وبويع بالامامة سنة ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م وتطلع الناس وكلهم أمل في سيف بن سلطان الذي صار شابا قويا وخصوصا وانه قد عاصر الكثير من الاحداث التي ادت الى انقسام البلاد وتشقت اهواء الناس، اما وقد بلغ السن التي تؤهله لتولي مهام الامامة فقد تعلق الناس به وانتظروا منه خيرا الا ان سيف كان ضعيفا بشكل افقده القدرة على القيام بمبادرة جادة بهدف اعادة الاستقرار وجمع الشمل، وهو أجل كان ينتظره الجميع بل وتفاقم الصراع في عهده بين العيارية انفسهم بشكل لم يسبق له مثيل^(٨٦).

وتشير كتب التراث العماني الى انصراف الامام الجديد عن القيام بمهامه الجادة واقدامه على ممارسة الكثير من السلوكيات التي لا تتناسب وطبيعة منصبه، ولذا عرض نفسه لعداء كثير من العمانيين وفي مقدمتهم العلماء الذين انفضوا من حوله، وعزلوه وقدموا بلعرب بن حمير اماما وذلك سنة ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م^(٨٧).

الغزو الفارسي لعمان :

وعندما عزل سيف بن سلطان عن الامامة وبويع مكانه بلعرب بن حمير استنجد سيف بالبلوش من مكران وحارب بهم بلعرب بن حمير الا أنهم هزموا ثم طلب سيف من الحكومة الفارسية في عهد نادر شاه ارسال قوات لمساعدته في اخضاع خصومه، ويعتبر نادر شاه أول من أسس من الحكام الفرس قوة بحرية في مياه الخليج وأسند قيادتها الى لطيف خان.

وكان هذا القائد يتطلع في توسعته الى الساحل العربي من الخليج، وأتخذ من طلب سيف بن سلطان سببا ينفذ منه الى احتلال عمان واخضاعها الى الحكومة الفارسية^(٨٨)، وقد رحب نادر شاه بهذه الفكرة وأمر بتشكيل قوة بحرية وبرية للتوجه الى عمان وبذل كل ما في وسعه لانجاح هذه المهمة حيث اشرف بنفسه على اعدائها وتجهيزها، كما أمر بتشكيل هيئة لدراسة المنطقة تكون عوناً للقوات الفارسية ولتمدها بالمعلومات اللازمة، وكان نادر شاه يهدف من ذلك الى ضم عمان والبحرين الى فارس اضافة الى طموحاته في السيطرة التامة على مياه الخليج^(٨٩).

وفي منتصف ربيع الاول ١١٥٠هـ / ١٤ مارس ١٧٣٧م ابحرت القوات الفارسية المؤلفة من اربع سفن كبيرة وسفینتين متوسطتين وعدد كبير آخر من السفن والزوارق الصغيرة بقيادة لطيف خان، واكتشف سيف فيما بعد ان هذه القوات لم تات لمساعدته وانما جاءت لاختضاع عمان للسيطرة الفارسية، وفي هذه الاثناء قام بعض رؤساء القبائل بالصلح بينه وبين بلعرب بن حمير على ان يتنازل بلعرب عن الامامة لسيف حقنا للدماء وانقاذاً لعمان من الغزو الفارسي^(٩٠).

وصار سيف بن سلطان اماماً للمرة الثانية واختار الشيخ احمد بن سعيد البوسعيدى مؤسس الدولة البوسعيدية (والياله على صحار، غير ان سيف لم يلبث ان أساء السيرة وأحدث أحداثاً مخالفة للشرعية الاسلامية، فعزله المسلمون ونصبوا سلطان بن مرشد اليعربى اماماً سنة ١١٥٤هـ / ١٧٤١م الامر الذي اغاظ سيفاً فجعله يستنجد بالفرس للمرة الثانية، وقد بعث نادر شاه امدادات أخرى لقواته بقيادة محمد تقى خان، وقد وعد سيف بن سلطان الحكومة الفارسية بأنه سوف يقدم ولاء الطاعة ويعترف بالسيادة الفارسية على عمان ويدفع الضرائب والأتاوات لها اذا تمكنت من اعادة حقوقه^(٨٨).

وعلى الرغم من التجارب السابقة لسيف بن سلطان مع القوات الفارسية التي جاءت الى عمان بزعم نصرته ولكنها ما جاءت الا لتحقيق اهداف توسعية، فانه طلب من هذه القوات مرة ثانية التدخل ضد بنى قومه^(٨٩)، وبهذا فانه فقد ثقة العمانيين ومنهم بعض اعوانه المقربين... اما الامام سلطان بن مرشد فقد سار الى صحار ليتعاون مع واليها أحمد بن سعيد البوسعيدى لمواجهة قوات نادر شاه.

وان دلت هذه الاحداث التي جرت في عمان من الخلافات الاسرية والعصبية القبلية والتدخل الفارسى على شيء فانما تدل على ان اسرة اليعاربة التي استطاعت ان تجعل عمان تتمتع بالازدهار والنمو الاقتصادي طيلة قرن من الزمان، قد وصلت الى نهايتها بسبب مغامرات القادة الاواخر وسوء تصرفاتهم .

هذا وقد تولى الامام سلطان بن مرشد في حصن صحار حيث يوجد احمد بن سعيد نتيجة اصابته في مواجهة مع الفرس. اما سيف بن سلطان المخلوع فقد تولى بعد ذلك بقليل بعد ان لام نفسه على فعلته الشنعاء وظهر له ان الفرس لم يأتوا لمساعدته وانما للاستيلاء على عمان واصابه من ذلك هم وحزن ولكن بعد فوات الاوان، وكان على احمد بن سعيد ان يظل في الساحة في مواجهة الفرس الذين كانوا محاصرين صحار ومسقط^(٩٠).

وقد استمر حصار القوات الفارسية لمدينة صحار تسعة اشهر واستطاع واليها احمد بن سعيد ان يقاوم الغزاة على الرغم من ان امداداته قد اوشكت على النفاد، وظلت القوات الفارسية تقذف المدينة ليلاً ونهاراً بالمدافع الثقيلة^(٩١)، فاضطر السيد احمد الى طلب الهدنة وعقدت اتفاقية بين الجانبين الفارسى والعماني في جمادى الاولى ١١٥٥هـ / يوليو ١٧٤٢م بعد ان فقد الأمل في وصول امدادات من قبل القبائل العمانية.

ولم تكن هذه الاتفاقية استسلاماً كما ذكرت بعض المصادر المحلية وغيرها، وانما كانت انتصاراً للعمانيين وكان السيد احمد بن سعيد يهدف من وراء هذه الاتفاقية الى عدة امور منها :

(١) وقف اراقة دماء المسلمين بعد ان نفذت جميع المؤن والعتاد والذخائر الحربية الموجودة في الحصن.

(٢) اعادة بناء قواته استعداداً لمواجهة الجولة الثانية بهدف التحرير الشامل.

(٣) بعد وفاة الامام سلطان بن مرشد شغل منصب الامامة حيث وجد السيد احمد بن سعيد ان اسرة اليعاربة لا يمكنها الاستمرار في ادارة الدولة فخشي ان يحتدم الصراع وتشتد الفتن في عمان نتيجة لهذا الفراغ السياسي، وخاصة اذا ما استمرت

المعارك مع الفرس.

(٤) إعادة توحيد الاقاليم والمدن العمانية التي أصبحت منقسمة الى شبه دويلات وامارات صغيرة^(٩٢) حتى يمكنه مواجهة الفرس على رأس جبهة قوية موحدة. وبذلك نجح احمد بن سعيد في توطيد مركزه وضمن تأييد القبائل العمانية، هذا الى جانب ان الحكومة الفارسية قد اعترفت رسمياً به كحاكم لعُمان حيث أصبح الطرف الرئيسي في هذه الاتفاقية.

وهكذا تزعم السيد احمد بن سعيد حركة التحرير ضد الفرس، كما احس شيوخ عُمان ان الاوضاع قد ساءت وان عُمان بحاجة الى امام قوي يستطيع ان يوحد البلاد، ولا سيما ان المذهب الاباضي لا يجيز وجود أكثر من إمام للدولة.

وقد حاول دعاة إحياء الدولة اليعربية إعادتها بعد وفاة سيف بن سلطان فاجتمع شيوخ وأعيان نزوى وعقدوا البيعة للسيد بلعرب بن حمير اليعربي في ربيع الآخر من عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م، واعلنت مجموعة من المدن العمانية ولائها للإمام الجديد مثل بهلاء ونزوى وازكي، بينما تحفظ البعض عن الاعتراف به، ولم يمض وقت طويل على هذا الإمام حتى أنصرف عنه العُمانيون^(٩٣).

وبذلك بدأ نجم أحمد بن سعيد يعلو في عُمان، وكان محل تقدير جميع القبائل العمانية والأعيان الذين كانوا يتطلعون الى تحرير بلادهم من الغزاة وإعادة الأمن والاستقرار الى ربوع عُمان.

وفيما يتعلق بالعلاقات الفارسية العمانية فبعد وفاة سيف بن سلطان فقد الفرس نصيرهم وقتل همتهم وتعاظمت المشاكل والقتال الداخلي في فارس، حيث أن حكومة نادر شاه كانت مضطرة لسحب قسم من جنودها المرابطين في عُمان لمواجهة تلك المشاكل، وهذا سهل على السيد أحمد بن سعيد تحقيق طموحاته.

ومما هو جدير بالذكر أن أحمد بن سعيد كان سياسياً فطناً، وعلى الرغم من أن الكثير من العُمانيين قد إندھشوا لما كان يقوم به من إكرام الفرس، إلا أنهم أدركوا في النهاية ما كان يدبر للفرس لتحرير بلاده منهم حيث تم له ذلك في عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م^(٩٤)، مما أدى الى عقد البيعة بالإمامة له في نفس العام. وفي ذلك يقول ابن رزيق (إن أحمد بن سعيد لما آل اليه أمر عُمان كله، وعول أهلها عليه، إجتمع أكابر الرستاق وسائر أكابر عُمان، فاتفقوا على عقد الإمامة لابي هلال الإمام العظيم، الفضل المجيد، أحمد بن سعيد بن محمد السعيدى الأزدي العُماني الإستقامى الاباضي المذهب^(٩٥)، وكان ذلك في عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م.

وبهذا تمت البيعة للإمام أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد البوسعيدى وقامت الدولة البوسعيدية على أنقاض الدولة اليعربية التي أسسها ناصر بن مرشد اليعربي في عام ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م في ظروف مشابهة لقيام الدولة البوسعيدية.



الفصل الثاني التفوق البحري العُماني وأثره على العلاقات الخارجية في عهد اليعاربة

البحرية العمانية خلال عصر اليعاربة :

لقد أصبحت الإمبراطورية البرتغالية في الشرق مع بداية القرن السادس عشر تشكل قوة بحرية ضاربة، سواء من حيث إمتدادها الهائل من سواحل البرتغال الى كاليفورنيا على سواحل الهند الغربية أو من حيث إمتلاك أقوى الأساطيل وأشدها بأساً. وقدر لدولتين عربيتين هما دولة اليعاربة في عمان ودولة الأشراف السعديين في مراكش أن يهما في الإجهاد على تلك القوة الإستعمارية الكبيرة، وبكل تأكيد فإن المؤرخ البريطاني روبرت لاندن Landen كان محققاً حينما ربط بين إنهيار النفوذ البرتغالي في الخليج وبين الضربة القاصمة التي لحقت بهم في وادي المخازن في أغسطس ١٥٧٨^(١).

إذا كان ثمة خاصية إستراتيجية واحدة تميزت بها دولة اليعاربة فهي يقينا كانت قوة بحرية مما أهلها لكي تكون قاعدة قوة طبيعية natural seat of power وبحكم حقائق الجغرافيا، التي تعد العامل الثابت في صناعة التاريخ.

لقد كان اتجاه اليعاربة ناحية البحر ضرورة إستراتيجية فرضتها الثوابت التاريخية والجغرافية وبحكم موقع دولة اليعاربة، التي كان يحدها الخليج العربي شمالاً وبحر العرب جنوباً وخليج عمان شرقاً وصحراء الربع الخالي غرباً من هنا كانت الصحراء دائماً في (ظهر) عمان تدق باستمرار على بابها الخلفي، لذا كانت قصة عمان مع الصحراء فصلاً عادياً في التاريخ العماني بينما كان البحر بمثابة الركيزة الأساسية التي شكلت كل فصول التاريخ العماني.

لقد استطاع أئمة اليعاربة سواء في فترة قوة الدولة او حتى في فترات ضعفها ان يضعوا ايديهم على العنصر الفاعل في التاريخ العماني وهو ارتباط البحر باليابس ادراكاً منهم بخطورة الموقع وأهميته، واللافت للنظر ان الحياة في ظل الخطر ليست شراً مطلقاً بل هي كثيراً ما تعد ظاهرة صحية لانها منذ وقت مبكر شحذت الوعي القومي وارهفت الحساسية واليقظة الدينية والوطنية واستبعدت احتمالات الانغلاق على الذات واللامبالاة بالعالم الخارجي.

لقد ادرك اليعاربة ان عدواً بعينه متربصاً بعمان يدفعها بقسوة ناحية الصحراء لانه يرى فيها موطن الخطر ومكمن القوة ومفتاح المنطقة وخلال هذا الصراع او المبارزة الاستراتيجية تشكلت الثوابت الأساسية التي حددت ملامح دولة اليعاربة التي اتقنت لعبة التوازن بين كل القوى المتنافسة على الخليج او مضاربتها ببعضها

البعض، وذلك على شكل تحالف عمان مع بعض الدول المتنافسة ضد خطر الدول الأخرى.

وكتيجة طبيعية لكل هذه الاعتبارات فقد اقتحم اليعاربة حياة البحر وارتبطوا به واتخذوه ركيزة أساسية ونجحوا إلى حد هائل في تكوين قوة بحرية قادرة استطاعت مد نفوذها عبر البحار الشرقية لدرجة أن بحرية عمان في نهاية القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر أصبحت لها السيادة على المحيط الهندي^(٢).

لقد أدرك اليعاربة أهمية تطوير سفنهم خصوصاً وأن السواحل العمانية كانت دائماً بيئة بحرية مهية بطبيعتها لقيام مواني بحرية ولم يكتف اليعاربة بسفنهم المحلية مثل الهوري واليفلة والسمبوق بل طوروا سفنهم مستفيدين من التقدم الهائل الذي طرأ على السفن الأوروبية ولم يكد يمضي عقد أو عقدين من القرن السادس عشر حتى أخذ العمانيون يبنون سفنهم في ملبار بواسطة المسامير ومنها انتقلت إلى أوروبا وقد أبقي العمانيون على الشراع المثلث الشكل وهو شراع يشبه أجنحة السمك أو زعانفه.

وعلى العموم فإن معظم المعارك التي خاضها العمانيون ضد البرتغاليين خلال عصر ناصر بن مرشد اقتصر في مجملها على البر كوسيلة لاستعادة المدن والسواحل العمانية وتشير إحدى الدراسات التي اعتمدت على الوثائق البرتغالية والهولندية إلى رغبة ناصر بن مرشد في السيطرة على تجارة عمان الخارجية^(٣).

ويبدو أن النشاط البحري العماني لم يمتلك ناصية الموقف تماماً إلا عقب تحرير مسقط حيث أخذ الأسطول العماني يتعقب الأسطول البرتغالي على السواحل الهندية والأفريقية في الوقت الذي كانت فيه المحادثات الدبلوماسية بين سلطان بن سيف من جانب والإنجليز والهولنديين من جانب آخر قائمة مما اتاح للعمانيين فرصة للاستفادة من الذخيرة والبارود والمؤن، لذا فإن كل المحاولات التي بذلها البرتغاليون لاستعادة مسقط قد منيت بهزائم ساحقة، لعل أهمها محاولة ١٦٥٢م في الوقت الذي تكبد فيه البرتغاليون خسائر أخرى حينما فقدوا قافلة من السفن التجارية تعرضت لعاصفة بحرية وهي في طريقها من ملبار إلى الشمال في الوقت الذي راجت شائعات بأن الهولنديين قد تحالفوا مع الامام سلطان بن سيف وأنهم يجمعون الضرائب عن النقل البحري في الخليج نيابة عنه، وعلى الرغم من عدم صحة تلك الشائعات إلا أنها تشير إلى أن المجتمع التجاري في الخليج قد أدرك مدى طموح العمانيين في احتلال مكانة البرتغاليين واحتمال مساندة الأوروبيين لتلك الطموحات^(٤).

والسلافت للنظر أنه بمجرد أن نجحت خطة الامام سلطان بن سيف في تحرير مسقط ١٦٤٩م انطلقت البحرية العمانية في شن هجمات مكثفة على معاقل البرتغاليين في الهند مما أربك قوة الدفاع البرتغالية وشهدت الفترة من ١٦٥٠م وحتى ١٦٥٢م نشاطاً بحرياً عمانياً أقلق الهولنديين والإنجليز وهو أمر لا يمكن تفسيره على ضوء اهتمامات سلطان بن سيف بالبحرية العمانية فقط وإنما وفقاً لإستقرار النشاطات التفصيلية للامام ناصر بن مرشد على اعتبار أن الوصول بالأسطول إلى هذه القوة لابد وأن يكون قد استغرق عقداً أو عقدين من الزمان ويبدو أن الجديد في عصر الامام سلطان هو الاستعانة بعدد من السفن الأوروبية الحديثة سواء بشراء بعضها أو تأجير البعض الآخر^(٥).

والجديد الذي طرأ على البحرية العمانية في عهد الامام سلطان بن سيف هو الاعتماد الكامل على السفن الحديثة واستخدام المدافع المتطورة بنفس كفاءة المدافع الأوروبية ثم استخدام السفن كبيرة الحجم على الطراز الأوروبي بني بعضها في الهند والبعض الآخر تم شراؤه من الهولنديين بعد ان حقق اليعاربة عائداً اقتصادياً معقولاً بعد هجومهم المتكرر على مواقع البرتغاليين في الهند وكانت بومباي اهم المناطق التي شهدت هجوماً متكرراً وعنيفاً من قبل اليعاربة الذين فرضوا رسوماً جمركية قدرت بـ ١٧,٥٪ على مناطق عديدة مثل جوا وبرسالور ومتقالو وباتيكالا مما وفر لهم قدراً معقولاً من الاموال التي استخدموها في تطوير سفنهم واقتناء احدث الاسلحة المتطورة وهو ما لم يكن متوفراً في عصر الامام ناصر بن مرشد^(٦).

لقد حدث تطور اقتصادي ملحوظ في عصر سلطان بن سيف وازدهرت التجارة ويسرت الثروة البحرية الجديدة اقامة حصون وتحصينات في نزوى وجبرين والرسناق والحزم مما دفع بالهولنديين الى محاولة تحسين علاقاتهم بعمان لهذا بعث المدير الهولندي (هندريك فان) برسالة من بندر عباس الى امام عمان سنة ١٦٦٥م يعرض عليه نوعاً من التعاون ضد البرتغاليين واقامة مقر للشركة الهولندية في مسقط^(٧).

لقد رد الامام سلطان بن سيف على رسالة مدير الشركة الهولندية مرحباً باقامة تعاون تجاري واقتصادي وقامت الشركة بدراسة امكانية انشاء مقر لها في مسقط لكن على ما يبدو فإن ضغوطاً شديدة قد قامت بها الدوائر الفارسية بهدف الحيلولة دون قيام تعاون عماني هولندي مشترك بل وصلت طلوحات فارس الى التفكير في احتلال مسقط بمساعدة الهولنديين وهو ما رفضته هولندا مفضلة عدم التورط في اعمال عسكرية ضد اليعاربة الذين حظوا بقدر كبير من الاحترام لدى الدوائر الهولندية.

اضافة الى ما يؤكد المؤرخ الانجليزي كوبلاند Coupland من ان قوة عمان البحرية قد اصبحت قوية لدرجة تخشاهم الاساطيل الانجليزية والهولندية ليس فقط في الخليج العربي وانما في المحيط الهندي ايضاً^(٨).

لقد قامت بعثة هولندية سنة ١٦٦٦م بزيارة عدد من المدن العربية وفقاً لتقرير هذه البعثة التي عنيت بشكل لاف بالتحصينات العسكرية فقد كانت مدينة مسقط من المدن التي شغلت حيزاً كبيراً في هذا التقرير حيث اضاف ان (مسقط مدينة يحيط بها سور ثبتت عليه مدافع مصوبة باتجاه الخليج، وبها ثلاثة حصون قرب الشاطئ وعلى الجانب الشرقي من المدينة حصن يدعى موغو بلوان وعلى الجانب الغربي حصن (مسقط) تتصل به عند قاعدة الجبل قلعة فيها سلم حجري يؤدي الى الحصن، وفي اسفل الجبل قلعتان تدعى احدهما سانت انطوني وعلى الجبل ما بين ثمانية الى تسعة مراكز للمراقبة).

لقد كان تطور البحرية العمانية بشكل لاف من خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر مؤشراً عملياً للتطور الاقتصادي الذي حققه العمانيون خلال هذه الفترة والذي شغلت التجارة فيه حيزاً هاماً وخصوصاً وان نهاية الوجود البرتغالي في عمان تعد نهاية عملية لسياسة الاحتكار التي امت بالخليج العربي والمحيط الهندي منذ بداية القرن السادس عشر والتي نجم عنها تدهور حركة التجارة بشكل ملحوظ.

وتشير بعض المصادر الاجنبية الى ان تطور البحرية العمانية بهذه الصورة المذهلة لا يمكن ان يكون مصدرها السفن المصنوعة في عمان فقط او حتى المشتركة من الانجليز والهولنديين وانما كانت هناك وسائل اخرى حيث كانت سورات في الهند مركزا اساسيا لصناعة السفن التي استخدمها العمانيون والبعض الاخر تم بناؤه في نهر السند اضافة الى سفن اخرى تم بناؤها في امكان لا يعرف الانجليز او الهولنديون عنها شيئا^(٩).

ويبدو ان القضية لم تكن سهلة المنال لان الوصول بالاسطول العماني الى الحد الذي تهابه السفن الاوروبية قد استغرق جهدا ووقتا شديدين وكانت عمليات التمويل في مقدمة الصعوبات اضافة الى القلاقل السياسية الداخلية والتي كانت تطل برأسها بين وقت وآخر، حتى في اشد فترات قوة الدولة.

ورفقا لاحد التقارير الهولندية التي عاصرت الاحداث وخصوصا في فترة سلطان بن سيف وتحديد عام ١٧٧٤م قام الاسطول البرتغالي باجراء مناورة بحرية بالقرب من مسقط ويسجل التقرير الاستعدادات العمانية ردا على هذه المناورة بانها كانت عبارة عن ثلاث او اربع سفن شراعية كبيرة مربعة وسفينتين شراعيتين وتسع او عشر سفن صغيرة وبلغ مجمل السلاح الذي تزودت به جميع تلك السفن انه لم يكن الى خمسة وتسعين مدفعا، معظمها من العيارات الخفيفة ويسجل التقرير انه لم يكن لدى العمانيين طاقم دائم من الملاحين للعمل على هذه السفن وانما كانوا يستدعون ملاحين من مراكب الصيد وبعض المراكب التجارية عند الحاجة اليهم اضافة الى عدد من البلوش الذين تم الاعتماد عليهم وكانوا هنودا وبحارة اقوياء^(١٠).

لقد كتب هذا التقرير ويلمسون Wilmssohn كمندوب عن الشركة الهولندية حينما اسندت اليه مهمة زيارة عمان ودراسة مجالات التعاون الاقتصادي المشترك واذا كان ويلمسون يبدي اندهاشا شديدا بسبب افتقاد العمانيين الى بحارة منقطعين للعمل على السفن العسكرية فان هذه الملاحظة لها دلالتها على اعتبار ان النشاط الاقتصادي والعسكري كانا متلازمين ففي وقت السلم ينصرف البحارة الى ممارسة نشاطهم الاقتصادي واذا ما تأزمت الاوضاع انصرفوا الى مهامهم العسكرية بعكس ما كان يحدث على السفن الاوروبية التي كان لها بحارة منقطعون للعمل في هذه المهمات فقط.

ولعل ذلك يضاعف من صعوبة المهمة التي قام بها البحارة الذين كانوا يبنون بيد ويحملون السلاح باليد الاخرى وهي ظاهرة لم تعرفها اوروبا ولذلك كانت موضع اندهاش الاوروبيين اضافة الى المقارنة بين السفن البرتغالية والسفن العمانية سواء من حيث التجهيزات او من حيث كفاءة المدافع فلقد كانت السفن البرتغالية اكثر تطورا ومدافعها اكثر كفاءة وعلى الرغم من ذلك فان العمانيين بامكاناتهم المتواضعة كانوا اكثر اقداما وتضحية من نظرائهم البرتغاليين.

ولعل هذا المعنى يمكن فهمه على ضوء الدوافع التي كان يقااتل من اجلها العمانيون حيث كان الجهاد من اجل الدين والوطن طريقا الى النصر والاستشهاد وهي دوافع نبيلة في زمن كان الدين عاملا اساسيا سواء لدى الافراد او الحكومات بعكس القوات البرتغالية التي ضللتها البابوية وتاجرت بمصائرها حكومة البرتغال.

اذا كان الامام سلطان بن سيف ١٦٤٨ - ١٦٧٩م قد تمكن بمهارة شديدة من

طرد البرتغاليين من مسقط وتعقبهم الى السواحل الهندية والفارسية وانزال هزائم ساحقة بهم الا انه قد نجح الى حد كبير في نفس الوقت في ان يجعل من عمان ركيزة اقتصادية كانت التجارة من اهم مقوماتها لدرجة ان ميناء مسقط قد اصبح محور التجارة في الخليج العربي والمحيط الهندي واصبح بمثابة منطقة حرة حيث ترسو السفن القادمة من اليمن وشرق افريقيا وسواحل الهند ثم تنقل السلع الى الحسا والبحرين وقطر والبصرة وكانت التمور والبن والمنسوجات القطنية والارز بمثابة العمود الفقري لتلك التجارة ووفقا لاحد التقارير المحايدة كانت مسقط هي المدينة التجارية المهمة في المنطقة ويؤكد نفس التقرير ان فترة حكم سلطان بن سيف كانت من اهم الضمانات التي مكنت العُمانيين من احراز كل هذه النجاحات^(١١).

وبوفاة سلطان بن سيف^(١٢) تولى الامامة ابنه بلعرب بن سلطان بن سيف الذي لم يفضل الإقامة في العاصمة نزوى ونقل مقر اقامته الى جبرين ومازال حصنه قائما هناك بخطوطه ورسومات جدرانه فريدا في بناه وشاهدا على ذوقه الرفيع، وتذكر بعض الروايات الأوروبية ان شقيقه سيف قد خرج عليه سنة ١٦٨٩ م وارجعت هذه الرواية الخلاف بين الشقيقين الى عزوف بلعرب عن الحرب وقيامه بعقد اتفاقية مع البرتغاليين وكانت شروطها مجحفة لحقوق العُمانيين اذ سمح لهم بافتتاح وكالة لهم في مسقط ومنع رئيس الوكالة راتباً من قبل الامام وبناء حصن لهم في خصب اذا رغبوا في ذلك مقابل السماح للسفن العمانية بزيارة الموانئ البرتغالية في الهند وان يؤدي البرتغاليون الرسوم الجمركية في مسقط، وقد قاد سيف بن سلطان جبهة المعارضة رافضا التعاون مع البرتغاليين واحتل حصون مسقط وجبرين وتمكن من السيطرة على زمام الموقف وحسم الموقف لصالحه بعد وفاة شقيقه بلعرب^(١٣).

اللافت للنظر ان المصادر العمانية على الرغم من انها اسهبت في الخلاف بين بلعرب وشقيقه سيف الا انها لم تذكر سبب هذا الخلاف لكن من المعروف ان بلعرب كان رجلا محبا للسلام رافضا للحرب ويقال انه شجع العلماء والشعراء واغدق عليهم بعطاياه^(١٤).

لقد تعددت شهادات المعاصرين والمؤرخين في وصف القوة البحرية العمانية في عهد سيف بن سلطان لدرجة ان بروس Bruce كتب عنها قائلا : (كانت قوة العرب في مسقط من حيث الشحن والقوى البشرية هائلة بدرجة تثير الرعب في نفوس الاوروبيين وكل الدلائل تؤكد انهم سيسيطرون على الخليج كله)^(١٥).

ويذكر دكتور فرائير الذي زار الخليج في عهد سيف بن سلطان ان العُمانيين قد اكتسبوا امكانات بحرية هائلة وان نشاطهم البحري قد هدد بندر عباس لدرجة ان الفرس طلبوا من الانجليز الابقاء على الاسطول الانجليزي لحماية المدينة واجيب الى طلبهم وقد ادت هذه الاحداث الى ان يتنبأ الكاتب بران جون^(١٦) بان العُمانيين قد يصبحون طاعونا في الهند كما كان المغاربة طاعونا في اوربا^(١٧).

لقد شهد العقد الاخير من القرن السابع عشر محاولات برتغالية مستمرة مستميتة لوضع قدم لهم في الخليج ففي سنة ١٦٩٠ م حاولوا عقد اتفاقية مع حكومة البصرة لكن نتائجها لم تكن مرضية وفي السنة التالية حاولوا اعداد حملة بمساندة الفرس للهجوم على مسقط لكن الفرس عاودوا وتراجعوا عن اتفاقهم ثم حاولوا احتلال هرمز واقامة علاقات وثيقة مع الفرس لكن الانجليز والهولنديين افشلوا هذه

المحاولات، وفي سنة ١٦٩٥م حاولوا احتلال هرمز بمفردهم ولكن تصدى لهم الاسطول العماني وبدد محاولاتهم^(١٨).

ويذكر لوكير lockyer في وصف دقيق لمسقط التي زارها (شاهدت في ميناء مسقط بحارة من العرب وعلمت انهم من العمانيين ولقد شاهدت واحدة من السفن العمانية وهي مجهزة بحوالي سبعين مدفعا وبندقية، كما علمت ان اقل سفينة في الحجم مجهزة بحوالي عشرين مدفعا وبندقية، ولقد علمت ان الاسطول العماني قد قام باسار واحدة من اغنى سفن كلكتا وكانت تحت قيادة الكابتن ميرفيل Murvill وعلى الرغم من اعمال الاسطول العماني ضد السفن الانجليزية الا ان الشركات التي تمتلك هذه السفن لم تقم بعمل مضاد ضد عرب عمان^(١٩).

لقد اعتقد العمانيون ان الوجود البرتغالي على سواحل فارس فيه تهديد مباشر لعمان، لذا فان اسطولا عمانيا سنة ١٦٩٥م وصل الى بندر كنج واستولى على السفن الفارسية والبرتغالية الراسية في الميناء وليس صحيحا ان السبب في ذلك هو رغبة العمانيين في جعل مسقط محور التجارة المحلية في الخليج وانهاء دور بندر كنج وانما قد تنامي الى العمانيين ان اتفاقا فارسيا برتغاليا يتم وضع بنوده في محاولة من جانب البرتغال للسيطرة على مسقط مما دفع بسيف بن سلطان باتخاذ مبداء الهجوم على اعتبار انه خير وسيلة للدفاع.

لقد اقتنع البرتغاليون الذين كانوا تنقصهم حكمة جيرانهم الانجليز والهولنديين باهمية التعاون مع فارس وخصوصا عقب الهجوم العماني على بندر كنج وكانت النتيجة المباشرة ان قسم العمانيين اسطولهم الى قسمين، سار احدهما نحو الساحل الافريقي حتى دمر المستوطنة البرتغالية في ميسا وانطلق الثاني الى حيث دمر الوكالة البرتغالية في مانجالور على الساحل الهندي وقد عزا البرتغاليون انتصارات الغاربية عليهم الى امدادات واسلحة تلقوها من الانجليز في بومباي زاعمين ايضا ان السفن العمانية كان يقود معظمها ضباط انجليز وكانت ترفع العلم الانجليزي^(٢٠).

والحقيقة ان هذا الادعاء حاولت ان تروج له الادارة البرتغالية لكن لم تثبت صحته سواء من جانب الانجليز او الهولنديين ولم تشر اليه كتابات الرحالة الاجانب خلال تلك الفترة اضافة الى ان الاسطول الانجليزي نفسه كان مستهدفا من قبل البحرية العمانية وحدثت مصادمات كثيرة بين الاسطولين سواء في عصر سلطان بن سيف او سيف بن سلطان.

على الرغم من ان الاسطول البرتغالي كان اكثر كفاءة الا ان العمانيين اعتمدوا في حروبهم على عنصر المفاجأة من خلال نظام عسكري دقيق وكانوا يراقبون تحرك عدوهم بدقة وحرص شديدين.

وخلال السنوات الاخيرة من القرن السابع عشر بذلت محاولات مستميتة من قبل فارس لتكوين اسطول فارسي هولندي مشترك لغزو عمان ولان الشاه كما يقول الهولنديون كان مشغولا الى حد كبير (بزوجاته) وكانت مبرراته غير منطقية لذا فقد صرف الهولنديون النظر عن هذا الاتفاق مما نجم عنه تدهور ملحوظ في العلاقات الهولندية الفارسية لذا لقد اهتم الفرس بتوطيد علاقاتهم بالبرتغاليين مع بدايات القرن الثامن عشر وطلبوا مساندتهم في غزو عمان وقعلا وصلت ست سفن الى فارس ويبدو ان الفرس قللوا من شأن هذه المساعدة وقد عانت هذه السفن من مشكلات

كثيرة مما اضطر الكثير من ملاحياها الى التخلي عن العمل^(٢١).

وتجمع معظم المصادر التي تناولت تاريخ الخليج خلال تلك الفترة الى انه مع نهاية القرن السابع عشر وعلى وجه التحديد ابتداء من سنة ١٦٩٤م نشط الامام سيف بن سلطان في محاربة البرتغاليين في المحيط الهندي حيث هاجم قاعدة البرتغاليين في باسين كما هاجم ساحل كجرات وميناء بومباي وكانت اكبر المعارك العسكرية معركة جزيرة سالست حيث اشتبكت القوات العمانية في صراع عنيف مع الحامية البرتغالية وانزلت بها هزائم اربكت البرتغاليين^(٢٢).

اما في سواحل شرق افريقيا فقد كان اكبر انتصار احرزهُ العمانيون هو نجاحهم في اسقاط قلعة المسيح في ممباسا ١٦٩٨م وتبع ذلك سيطرتهم على ممبا وكوه وزنجبار حتى تم طرد البرتغاليين من جميع قواعدهم الواقعة شمالي موزمبيق واصبحت هذه المنطقة من التوابع العمانية^(٢٣).

وفي تقديرنا ان الذي اعان اليعاربة على ذلك التفوق البحري ان سياسة الدول الاوربية في الفترة التي تلت انهيار السيطرة البرتغالية لم تكن قائمة على سياسة الاحتكار التجاري كما كانت عليها سياسة البرتغاليين وانما انصرفت تلك الدول الى تأسيس الشركات التجارية واقامة المستعمرات وتكوين الامبراطوريات، اما في التجارة فقد افسحت المجال للعناصر المحلية التي كانت تعمل فيها من قديم لتعمل في ظل المنافسة الجديدة الى ان تنبذت تلك القوى الى ما يمكن لهذه العناصر المحلية ان تشكله من خطورة عليها، لذا حرصت بعد ذلك على تصفيتها بهدف تأمين مواصلاتها الاستعمارية الى الهند وترتب على ذلك دخولها في علاقات مع تلك القوى المحلية ولم تكن هذه العلاقات في صالحها بطبيعة الحال^(٢٤) والحقيقة ان المؤرخين والرحالة الاوربيين قد ابدوا اهتماما ملحوظا بالتفوق الهائل الذي وصلت اليه البحرية العمانية خلال عصر سلطان بن سيف وسيف بن سلطان وراحوا يبحثون عن العوامل التي اوصلت البحرية العمانية الى هذه الدرجة من القوة ويذكر البعض ان ائمة اليعاربة قد استطاعوا بفضل صداقتهم لبعض امراء الهند ان يضمنوا جلب الاخشاب اللازمة لبناء السفن وهناك عدة اتفاقيات عقدها اليعاربة مع حاكم مقاطعة بجو في الهند لعل ذلك ما دفع جون مالكولم John Mal- colm الى الاعتقاد بان احسن الوسائل للقضاء على القوة البحرية العمانية هو قطع الصلة بين عمان وامراء الهند^(٢٥).

يمكن التعرف على المدى الذي وصلت اليه التجربة العمانية في عهد اليعاربة من خلال كتابات هاملتون Hamilton حيث تحدث عن البحرية العمانية وذكر انها كانت تتكون من مئات من السفن الكبيرة ذات الحمولات المختلفة من المدافع الكبيرة والصغيرة^(٢٦).

ويضيف الرحالة فريزر انه (من الضروري عدم استقزاز العمانيين اذ اننا لن نجني من وراء ذلك سوى ضربات تكال علينا)^(٢٧).

كما كتب الرحالة بروس bruce عن احداث عام ١٦٩٥م ان عرب عمان سوف يحرزون القيادة والنفوذ في الخليج العربي، كذلك تحدث كولومب Colomb عن التفوق الذي وصلت اليه البحرية العمانية في عهد اليعاربة^(٢٨).

واذا كانت بعض هذه الكتابات تحمل قدرا من المبالغة الا انها تعكس الى حد كبير

القوة الكبيرة التي وصلت اليها البحرية العمانية في عصر اليعاربة اضافة الى ان احترام الاسطولين الانجليزي والهولندي للنشاط البحري العماني يقدم دليلاً واضحاً على القوة التي بلغتها البحرية العمانية والتي احدثت قدراً كبيراً من التوازن الدولي ليس في الخليج العربي فقط وإنما في المحيط الهندي أيضاً.

ويقرر المؤرخ الانجليزي كوبلاند Coupland أن البحرية العمانية في بداية القرن الثامن عشر قد أصبحت تفوق أي قوة بحرية أخرى لدرجة أن الاساطيل الإنجليزية والهولندية كانت تخشى مواجهة العمانيين وبكفي القول أن هذا الإسطول قد استطاع أن يحقق كل هذه العمليات الناجحة وأن يملأ قلوب الاوروبيين رعباً سواء في الخليج أو في المحيط الهندي وأبدى كوبلاند دهشته من التفوق الذي حققه العمانيون^(٣٩).

ويضيف مايلز Miles أن اليعاربة قد صارت لهم السيادة الفعلية على المحيط الهندي وأصبحت سفنهم تنشر الرعب في قلوب الاوروبيين لمدة قرن ونصف من الزمان^(٤٠).

لقد تناولت مصادر أوروبية كثيرة موضوع النشاط البحري العماني خلال عصر اليعاربة على اعتبار أنه نوع من القرصنة مع إغفالهم تماماً ما ارتكبه البرتغاليون في بحار الشرق من أعمال شاذة وممارسات غير إنسانية ولعل هذا التعامل يرجع الى عدم إعراف القوى الأوروبية بالتنظيمات السياسية العربية في الخليج ورفض إطلاق لفظ الدولة عليها ولذا فلم تفرق هذه المصادر بين كفاح اليعاربة تحقيقاً لسيادتهم وبين ما كان يمارس من قرصنة فردية واللافت للنظر أن القرصنة تعد عملاً قومياً إذا ما ارتبطت بالاوروبيين أما إذا ارتبطت بالعرب أو المسلمين فإنها قرصنة تهدف الى السلب والنهب.

لقد مارست إنجلترا نشاطاً بحرياً يعد من صميم القرصنة حين عهدت الى مفارمين بحريين من أمثال كافندش Cavendish وفرنسيس دريك Drake وغيرهما لممارسة القرصنة ضد أسبانيا والعجيب أن هؤلاء القراصنة يكرمون من قبل الملكة اليزابيث الأولى ويمنحون الألقاب التعظيمية بإعتبارهم يقومون بأعمال قومية مجيدة، وكما حفلت سواحل الأطلنطي بعمليات القرصنة شهدت بحار الهند الكثير من تلك العمليات ولكن هذه القرصنة الأوروبية لم تكن تخشاه الدول الأوروبية وإنما كانت العمليات البحرية العمانية هي التي تخيف أوروبا ولعل ذلك ما دفع الدول الأوروبية الى التكتل فيما بينها رغم ما كان بينهم من منافسات بهدف إضعاف القوة البحرية العمانية، وبالفعل وقعت عدة إتفاقيات لعل من أهمها إتفاقية سنة ١٧٠٠م بين كل من إنجلترا وفرنسا وهولندا قسمت بموجبها المناطق البحرية التي ينبغي على كل منها أن تحافظ فيها على سلامة الملاحة فاقتصر الفرنسيون بالخليج العربي بينما اقتصرت الإنجليز ببحار الهند الجنوبية واقتصر الهولنديون بسواحل البحر الأحمر الجنوبية^(٤١).

ولعل ذلك يعد دليلاً أكيداً على أن الإنجليز لم يساعدوا العمانيين في صراعهم مع البرتغال كما ادعت بعض المصادر البرتغالية.

ومما يستدعي الإنتباه أنه بينما كانت فارس تتطلع الى وراثة النفوذ الإستعماري البرتغالي في الخليج إلا أنها وجدت نفسها في وضع المواجهة مع دولة اليعاربة ومن ناحية أخرى اخذ اليعاربة يغتفنون فرصة الإضطرابات الداخلية في فارس لكي

يؤكدوا لانفسهم السيطرة والتفوق على مياه الخليج^(٣٣).

وبينما كانت فارس تتباهى بانها القوة القادرة على شغل الفراغ بعد هزيمة البرتغاليين فانها لم تسلم من تعرض اليعاربة لمصالحها واصبحت بندر عباس هدفا عمانيا لذا فقد لجأت الى الانجليز والهولنديين طالبة المساعدة ولكن الانجليز لم يتحمسوا للعرض الفارسي خصوصاً وأن الشركة البريطانية لم تكن لديها الرغبة في التدخل عسكرياً في شؤون الخليج بسبب حاجتها الى قواتها في تنظيم وتوطيد نفوذها في شبه القارة الهندية وفي الوقت نفسه فقد حرصت على أن تحول دون استفادة الهولنديين من تأزم الموقف العماني الفارسي.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن تجارة مسقط قد تنامت بشكل ملحوظ واصبحت السفن التجارية العمانية تجوب الخليج العربي والمحيط الهندي لدرجة أن ممثلي الشركة الإنجليزية في البصرة كتبوا الى رئاسة الشركة مؤكدين أن مسقط قد أصبحت من أبرز القوى المحلية في الخليج وأن سفنها قد أصبحت تسيطر على تجارته مما يستدعي إنشاء وكالة بريطانية في مسقط^(٣٤).

وفي الوقت نفسه فقد بذلت محاولات فارسية بهدف التنسيق مع الهولنديين لضرب المصالح العمانية في الخليج بكل الطرق بما في ذلك احتلال مسقط لكن تلك الجهود باءت بالفشل ونات هولندا بنفسها بعيداً من التورط في عمليات عسكرية غير مضمونة العواقب.

وفي اصفهان ناقش الفرس مع السفير الفرنسي قضية الطموحات العمانية وعرضت فرنسا اقتراحاً غريباً وهو أنه إذا وافق الفرس على طرد الهولنديين والانجليز من بلادهم فإن فرنسا سوف تملأ الفراغ الذي كان سبباً في تدهور التجارة الفارسية وسوف يغزو الفرنسيون مسقط لصالح العرش الفارسي، ونظراً لأن الفرنسيين لم تكن لديهم القوة المؤهلة لهذه المهمة فإن الفرس لم يعملوا كثيراً على العرض الفرنسي^(٣٥).

ومما يلفت النظر أن فارس سلكت كل الطرق بهدف اضعاف عمان والقضاء على قوتها البحرية وعلى الرغم من عدم جدية العرض الفرنسي الا انها قد يثست من الانجليز والهولنديين لذا فقد عاودت الاتصال بالفرنسيين وتمخضت المحادثات بينهما عن ابرام معاهدة احتوت على عدة بنود لعل من اهمها ان يقوم الفرنسيون بارسال اسطول لمساعدة فارس لاحتلال مسقط^(٣٥).

لقد بذل الشاه جهوداً مضيئة لكي يحث فرنسا على الوفاء بعهودها لدرجة ان مبعوثاً فارسياً قد سافر الى فرنسا والتقى مع لويس الرابع عشر واطلعه على الصعوبات التي تتعرض لها فارس من قبل البحرية العمانية وناشده الوفاء بما ورد في نصوص المعاهدة الفرنسية الفارسية مقابل موافقة الحكومة الفارسية على استيلاء فرنسا على مسقط كما أكد على التزام فارس بالعمل بكل الطرق على طرد كل الدول المنافسة لفرنسا من بلاد فارس.

وفي اغسطس ١٧١٥م تم ابرام اتفاقية اخرى نص فيها على اعفاء الفرنسيين من كافة الرسوم وعدم تحديد حجم تجارتهم بيد ان هذه الاتفاقية هي الاخرى لم توضع موضع التنفيذ لان الشاه رفض التصديق عليها لخلوها من النص على قيام تحالف فرنسي فارسي بهدف احتلال مسقط وعلقت فارس المصادقة عليها الى حين وصول

السفن الفرنسية إلى بندر عباس وفي عام ١٧٢١م تم التصديق على المعاهدة وعندما بدأت فرنسا تعيد تقييم الموقف على ضوء مصالحها الخاصة اتجهت اتجاهها معاكسا حين عملت على تطوير علاقتها بمسقط ودعم تجارتها مع عمان بسبب الفوضى التي اجتاحت فارس وما ترتب عليها من غزو الأفغان لها عام ١٧٢٢م.

وعلى صعيد آخر فقد كان الوضع الدولي في المنطقة يمضي نحو مزيد من التعقيد حيث ضاعف العثمانيون من هجماتهم على السواحل الفارسية في الوقت الذي كان فيه الانجليز والهولنديون ناقلين على فارس بسبب موقفها الانتهازي ومن ثم فقد تعطلت تجارة بندر عباس وتحول الاهتمام نحو مسقط حيث لعبت الدبلوماسية العثمانية دورا هاما ولم يكن امام الشاه سلطان حسين الا معاودة التنسيق مع البرتغاليين من جديد.

لقد استفاد العثمانيون من تدهور الوضع الدولي في المنطقة وراحوا يوجهون ضربات شديدة إلى المصالح الفارسية وشن العثمانيون هجوما على نطاق واسع ضد بندر عباس ودمروا المدينتين واستولوا على السفن الفارسية والبرتغالية.

لقد استغل العثمانيون تدهور الاوضاع في فارس وضاعفوا من حملاتهم على البحرين التي كان الفرس يسيطرون عليها الا ان العثمانيين تكبدوا في البداية خسائر كبيرة قدرتها الوثائق الهولندية بالف رجل (٣٦).

وفي عام ١٧١٧م عاود العثمانيون المحاولة ثانية وتمكنوا هذه المرة من الاستيلاء على الحصن بعد حصار دام شهرا واخضعت قواتهم حصون جزيرة القسم ولارك وسيطروا على موانئ جنوب فارس ومنعوا الفرس من ممارسة الملاحة في الخليج مما أحدث قلقا شديدا لدى الدوائر الانجليزية والهولندية وخصوصا بعد سقوط هرمز هي الاخرى في قبضة البحرية العثمانية، لذا فقد بعث الهولنديون محذرين اليغارية من مغبة تدهور تجارة بندر عباس.

وفي فبراير عام ١٧١٨م جرى اتصال بين العثمانيين والهولنديين في هرمز التي اصبحت تحت السيطرة العثمانية فقد كانت السفينة هارنجتين haringtuyn في طريقها من بتافيا إلى بندر عباس وعندما دخلت نفدت منها المواد الغذائية وقرر بعض بحارتها أن يتجهوا على مركب شراعي صغير إلى لارك لشراء شيء من هناك فاستوقفهم إحدى السفن العثمانية اعتقادا بأنهم من البرتغاليين وتم نقل البحارة إلى المعسكر العثماني في هرمز وتم عرضه على ضابط عماني اكرم وفادتهم وزودهم باحتياجاتهم من الماء والطعام.

لقد قدم هؤلاء البحارة تقريرا واقيا إلى حكومتهم عن هذا الحادث الطارئ الذي ترك انطباعا طيبا لدى الدوائر الهولندية التي فضلت التعامل مع العثمانيين ورفض كل الضغوط الفارسية الهادفة إلى إضعاف البحرية العثمانية.

ومما يستلفت النظر في هذا التقرير هذا الوصف التفصيلي للقوة العثمانية المرابطة في جزيرة هرمز والتي قدرها البحارة الهولنديون بالف رجل يتنابون على حراسة الجزيرة اضافة إلى المدافع المثبتة في كل مكان ومن خلفها رجال على درجة عالية من اليقظة والاستعداد.

لقد استنفدت فرنسا كل الوسائل الداعية لاقامة تحالف فارسي انجليزي او فارسي هولندي لضرب البحرية العثمانية والاجهاز عليها وتؤكد كتابات المعاصرين

لهذه الاحداث على سوء تقدير الفرس وتناقض مواقفهم بعكس العمانيين الذين اتسموا بصدق واحترام شديدين وخصوصا في معاملاتهم لأهل الاديان الأخرى وحرية اقامة الشعائر الدينية ويذكر هاملتون Hamilton (لقد كان عرب عمان يشنون غاراتهم ضد المستعمرين والبرتغاليين على الساحل الهندي ويمرون المدن والقرى ولكنهم لم يهاجموا الكنائس ولم يقتلوا أعزلا ولا طفلا وكانوا يعاملون اسراهم معاملة وحشية)، ثم يضيف هاملتون (لقد كان العمانيون يمنحون اسراهم بدل أرزاق مثلما يعطون لجنودهم)⁽³⁷⁾.

وعلى ضوء كل ما تقدم فعله من المناسب أن نؤكد على عدة حقائق :

اولا : تلك العلاقة الوثيقة بين العمانيين والبحر، فكل الاعمال الكبيرة التي حققها العمانيون قد نجحت حينما استثمرت عناصر الجغرافيا الطبيعية ولعل عصر اليعاربة على الرغم من قصر مدته الا أنه مفخرة من مفاخر التاريخ العماني.

ثانيا : لقد استطاع اليعاربة استثمار مخزونهم الحضاري بحكم أن بلدهم قد لعبت دورا رائدا في حركة التاريخ الانساني ومن ثم فقد طاولوا الزمن مجدا وشموخا، لذا كان اسراهم على تحرير بلادهم مستفيدين من كل اشكال التناقض الناجم عن المنافسة الدولية في الخليج العربي والمحيط الهندي.

ثالثا : لقد أدرك أئمة اليعاربة أهمية البحر والمحيط كعمق امني واستراتيجي، لذا راحوا يطورون سفنهم من التقدم الهائل الذي طرأ على صناعة السفن الاوربية ولم يجدوا حرجا من الاستفادة من كل القوى المتنافسة ولم تقتصر وسيلتهم على الشراء او التاجير وانما قاموا بتصنيع السفن لحسابهم متخذين من ثغور الهند او مراكه بلادهم مكانا لتطوير سفنهم لدرجة اذهلت القوى الاوربية وقتئذ.

رابعا : لقد اجاد العمانيون بمهارة شديدة لعبة التوازنات الدولية واكتسبوا خبرة هائلة في التعامل مع القوى الاوربية المتنافسة مما اتاح لهم فرصة تحقيق اهدافهم الاستراتيجية ولعل ذلك كان في مقدمة العوامل التي اتاحت لهم تحقيق كل هذه الانتصارات سياسيا واقتصاديا.

خامسا : لقد إتسع مفهوم الامن القومي العماني متجاوزا الحدود الجغرافية، حيث أخذ العمانيون في توجيه ضربات عنيفة ضد أعدائهم في المحيط الهندي وعلى سواحل فارس وصولاً الى شرق إفريقيا مما أثار القوى الاوربية والمحلية وكان الصراع العماني الفارسي نتيجة طبيعية لهذا التوجه الجديد في السياسة العمانية.

سادسا : إذا كانت المدن الساحلية العمانية قد سجلت صفحة مضيئة في تاريخ عمان من خلال فترات الصراع العماني البرتغالي فإن الخليج العربي والمحيط الهندي قد سجلا كل الصفحات المشرقة التي امتدت الى ما يقرب من قرن من الزمان وهو ما يؤكد أن البحرية العمانية وبشهادة كل المؤرخين قد تطورت الى درجة أن القوى الاوربية قد أصبحت تخشاه وتتجنب التصادم معها.

الدبلوماسية المرنّة في عهد دولة اليعاربة :

لقد أدرك اليعاربة أهمية استثمار إمكاناتهم التقليدية بطريقة مكنتهم من مواجهة أكبر القوى البحرية في الخليج العربي والمحيط الهندي ونجح الإمام ناصر بن مرشد

في إنشاء طراز جديد من السفن ذات الهيكل الإنسيابي مستفيدا في ذلك من التطور الهائل الذي حققته البحرية الأوروبية ذات الأشعة المربعة والتي أصبحت تبني بالواح مثبتة بالمسامير.

وتبدو إمكانات العيارية في مقدرتهم الهائلة على الاستفادة من المنافسات الدولية في بحر الشرق وإدراكهم لأهمية العلاقات المتوازنة مع الدول الأوروبية التي ظهرت في الخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر.

وطبقا لما تذكره بعض المصادر فإن ناصر بن مرشد أقام علاقات مع الإنجليز سنة ١٦٤٥م بينما كان يحكم الخناق على البرتغاليين إقتصادياً وطلب من شركة الهند الشرقية إرسال مبعوث من قبلها للتفاوض وكلفت الشركة فليب وايلد Wilde بالسفر الى صحار حيث توصل الى إبرام إتفاقية مع الإمام ناصر بن مرشد تعطي للإنجليز حق حرية التجارة في مسقط وممارسة الإنجليز لشعائهم الدينية^(٣٨).

وعلى الرغم من أن هذه المعاهدة لم تحقق النتائج المرجوة بسبب تنامي المصالح الهولندية وعجز شركة الهند الشرقية البريطانية عن المنافسة وقتئذ إلا أن هذه الإتفاقية تعد بداية عملية لسلسلة معاهدات الصداقة والتجارة، التي أبرمت بين عمان وشركة الهند الشرقية البريطانية .

وتتميز دولة العيارية بأنها قد تمكنت وبمهارة فائقة من أن تستثمر إمكاناتها الذاتية، حيث إمتزجت إمكانات البحر باليابس بطريقة متناغمة شكلت منظومة رائعة أعطت عمقاً إستراتيجياً دفع بعمان الى أن تكون القوة العربية الوحيدة في منطقة الخليج القادرة على مواجهة كافة الأطماع الأجنبية والإقليمية.

ويبدو أن أئمة العيارية قد إستشعروا حجم التحديات لدرجة أنهم أخذوا على عاتقهم مسؤولية تحرير كل الشواطئ العربية ليس من النفوذ البرتغالي فقط وإنما حتى من النفوذ الفارسي أيضاً ففي سنة ١٧١٨م أعد سيف بن سلطان حملة بحرية لتحرير البحرين من النفوذ الفارسي، الذي كان قائماً منذ أكثر من قرن^(٣٩) وفي الوقت الذي وصل فيه التنافس الانجليزي الهولندي لدرجة كبيرة مع منتصف القرن السابع عشر أستطاع العمانيون كسب ثقة القوتين المتنافستين.

لقد أدرك العيارية أهمية الاستفادة من كل القوى المتنافسة بهدف تحقيق مصالح سياسية وإقتصادية ويبدو أن الامام سلطان بن سيف ١٦٤٩ - ١٦٧٩م قد أدرك بذكاء شديد قضية التوازن الدولي لذا فلم يجد غضاضة في تنمية علاقاته بالانجليز في الوقت الذي حرصت فيه شركة الهند الشرقية البريطانية على أهمية التعاون الانجليزي واستقبل الامام سلطان بن سيف الكولونيل رينسفورد Rainsford بصفته مندوباً عن الشركة (١٦٥٩) واثمرت المفاوضات عن منح الانجليز إحدى القلاع في مسقط على الا يزيد عدد الجنود بها عن مائة وإن يتقاسم الامام مع الانجليز الإيرادات الجمركية^(٤٠).

ولكن كانت هذه الاتفاقية لم تحقق قدراً يتناسب وطموحات الانجليز في الخليج وخصوصاً انها لم توضع موضع التنفيذ بسبب الضغوط الهولندية ولعلها كانت فرصة مناسبة في التراجع من قبل سلطان بن سيف الذي أدرك خطورة التنازل عن إحدى قلاع مسقط لواحدة من أكبر القوى الأجنبية وهي سياسة حرص عليها أئمة العيارية حتى نهاية دولتهم، تقديرًا منهم لأهمية المصالح العمانية والابتعاد بها عن

حلبة المنافسات الدولية.

ولعل مما يفسر تراجع سلطان بن سيف عن تنفيذ اتفاقية ١٦٥٩م مع الانجليز ذلك التفوق الهائل الذي حققه الهولنديون على الانجليز خلال الفترة من ١٦٥٤م وحتى ١٦٨٤م حيث انتزع الهولنديون معظم النشاطات الاقتصادية في الخليج وكانت اتفاقية ١٦٥٩م مع العمانيين بمثابة عمل مضاد للأنشطة الهولندية المتنامية التي وصلت قممتها سنة ١٦٦٤م حيث أصبح للهولنديين السيطرة الاولى على التجارة في منطقة هامة كيندر عباس.

وحيثما زار الدكتور جون فراير Frayer بندر عباس ١٦٧٧م وجد الهولنديين وقد سيطروا سيطرة مطلقة على تجارة التوابل وتمكنوا بمهارة فائقة - اضرت بمصالح خصومهم الانجليز - من ان يحتكروا تجارة التوابل لدرجة انهم اضطروا في احدى المرات لان يحرقوا حمولة اربع سفن ملوكة لهم بهدف ارغام التجار الفرس على قبول الاسعار التي يحددها لحمولة السفينتين الباقيتين، وقد قدر الدكتور فراير صادراتهم من المخمل والحريير الخام والسجاد الفارسي الى جانب الذهب والفضة كل عام بما يزيد على خمسين الف تومان^(١١).

لقد ادركت السياسة البريطانية حجم التحديات الخطيرة التي سببها النشاط التجاري وخصوصا في فارس لذا فقد ارتكزت الدبلوماسية البريطانية على اقامة علاقات قوية مع اليعاربة ومحاولة اتخاذ احدى القلاع العمانية كممنطقة ارتكان لتهديد المصالح الهولندية في الخليج عموما، لذا فانه من الملاحظ انه كلما نمت العلاقات الايرانية الهولندية كلما اقبل الانجليز على عمان في محاولة لتحقيق نوع من التوازن الذي فرضته طبيعة المنافسات التجارية والسياسية بين الانجليز والهولنديين.

وعموما فان رفض الامام سلطان بن سيف تنفيذ اتفاقية ١٦٥٩م لم يتسبب في توتر العلاقات العمانية الانجليزية خصوصا وأن الانجليز قد استخدموا اسلوب الدبلوماسية المرنة حرصا على مصالحهم المهددة في المنطقة.

ولا يمكن تفسير الموقف البريطاني الا في ضوء حجم المصالح البريطانية في المنطقة وان كان ذلك لم يمنح وكيل الشركة البريطانية في فارس من ان يشبه نشاط اليعاربة البصري في الخليج بحركة الجهاد العربي على الشواطئ المغربية حيث يقول (ان العمانيين سيصبحون طاعونا في الهند كما كان المغاربة طاعونا في اوروبا)^(١٢).

واذا كان الموقف البريطاني قد حددته طبيعة المصالح البريطانية في المنطقة فان الموقف العماني ايضا قد حددته طبيعة الصراع العماني البرتغالي واذا كان اليعاربة حققوا نجاحا عسكريا ملحوظا لفت انظار القوى الاوروبية المتنافسة فان ذلك قد اعتمد على جهد فائق من الدبلوماسية العمانية في محاولة للاستفادة من كل العناصر وتأتي طبيعة العلاقات العمانية الانجليزية في تلك الفترة كأسلوب ارتضاه اليعاربة بهدف حسم الصراع مع البرتغاليين.

وقد تنامت العلاقات الانجليزية العمانية بشكل لافت على عهد الامام سلطان بن سيف (١٦٤٩ - ١٦٧٩) وفي ظل العلاقات الودية بين العمانيين من جانب والهولنديين والانجليز من جانب آخر اشتد الصراع العماني البرتغالي وراح العمانيون يطاردون عدوهم في المحيط الهندي وسواحل افريقيا وسواحل الهند لدرجة انه في سنة ١٦٩٤م كثف الامام سيف بن سلطان من عملياته العسكرية

مستقلاً علاقاته القوية مع الخصمين المتنافسين (الانجليز والهولنديين) ونجح العمانيون في شن حملات مباغثة على البرتغاليين في الهند حيث هاجموا قاعدتهم في باسين كما نجحت مجموعات عمانية أخرى في شن حملات مماثلة على ساحل كجرات وميناء بومباي وكانت معركة جزيرة سالست من انجح هذه العمليات حيث نزل العمانيون على الجزيرة واشتبكوا مع الحامية البرتغالية وأنزلوا بها هزائم ساحقة^(٤٣).

وعلى الساحل الافريقي انتزع العمانيون قلعة المسيح في ممباسة ١٦٩٨م ثم تبع ذلك سيطرتهم على ممبا وكوة وزنجبار لدرجة أنهم تمكنوا من اكمال سيطرتهم على جميع القواعد البرتغالية شمال موزمبيق وأصبحت هذه المناطق جزءاً من الممتلكات العمانية^(٤٤).

واللافت للنظر أن حجم الانتصارات العمانية قد أذهلت القوى الأوروبية في الخليج العربي والمحيط الهندي لدرجة دفعت البرتغاليين الى الاعتقاد بأن سبب الانتصارات المتلاحقة للعمانيين يرجع الى المساعدات العسكرية الانجليزية والهولندية، بل وبالعكس البرتغاليون فيما هو أبعد من ذلك حيث اضافوا ان السفن العمانية كانت ترفع العلم الانجليزي وكان يقودها ضباط انجليز^(٤٥).

ولعل ادعاء السياسة البرتغالية يمكن تفسيره على ضوء مقدرة العمانيين على التعامل مع الانجليز والهولنديين، سواء من حيث نجاح البعارة في استثمار المنافسات القائمة بينهما والقدر على تحييدهما احياناً والاستفادة من اسلحتهما المتطورة في احيان أخرى او من حيث ابراز حجم التناقضات القائمة بينهما من جانب وبين البرتغاليين من جانب آخر ومقدرة الدبلوماسية العمانية على استثمار عناصر التناقض وهي جهود لا تقل عن العمليات العسكرية في الخليج العربي والمحيط الهندي.

ويعتقد أحد الباحثين الثقة Boxer بأنه كان ثمة تعاطف انجليزي مع العمانيين أرجعه الى اسباب مذهبية بين الانجليز (الانجليكان) وبين البرتغاليين المتعصبين لمذهبهم الكاثوليكي مع الوضع في الاعتبار ما خلفه البرتغاليون من سمعة سيئة بسبب سياسة الاحتكار التي بالغوا في تطبيقها مما اضر بالمصالح البريطانية ضرراً بليغاً.

ويضيف Boxer أن الانجليز لم يقدموا مساعدات كبيرة للعمانيين وإن كان بعض الانجليز قد عملوا على الاسطول العماني فان ذلك كان عملاً فردياً لافراد بصفة شخصية، تمت الاستعانة بهم كجارية لدى العمانيين وتم ذلك بعيداً عن شركة الهند الشرقية البريطانية ودون علم الحكومة البريطانية^(٤٦).

ومع تقديرنا لوجهة نظر Boxer إلا أننا نعتقد ان التعاطف الذي ابداه الانجليز للعمانيين كان تعاطفاً تكتيكياً حكمته مصالح سياسية واقتصادية يمكن فهمها على ضوء السياق التاريخي القائم وقتئذ ويمكن فهم الموقف الانجليزي على ضوء القلق الذي انتاب الدوائر البريطانية من تصاعد القوة العمانية وتأتي اتفاقية سنة ١٦٦١م بين بريطانيا والبرتغال وهي التي توجت بزواج الملك شارل الثامن من كاترين أوف برجنزا حيث نص في احدى موادها على ان يقدم الانجليز مسقط الى البرتغاليين اذا ما قدر لهم في أي وقت من السيطرة عليها، اضافة الى ان العلاقات العمانية الانجليزية

لم تكن حسنة طوال الوقت فقد اعتاد العمانيون مهاجمة السفن الانجليزية واجبار بحارتها على مشاركتهم في الهجوم على القواعد البرتغالية لدرجة أن تقريراً من الشركة الهندية البريطانية في بندر عباس قد اقر بأن الاسطول العماني يعوق تجارة الشركة وقد اعترف وكيل الشركة في بندر عباس بأن العمانيين يعوقون النشاط التجاري للشركة البريطانية ويسببون لها خسائر كبيرة^(٤٧).

وكثيراً ما حدثت مواجهات بين الاسطولين العماني والانجليزي، حيث كانت إحدى السفن الانجليزية في طريقها الى بومباي واعترضها الاسطول العماني ووقع اشتباك نجم عنه قتل احد عشر بحاراً انجليزياً وجرح ضعف هذا العدد^(٤٨).

وفي حالات كثيرة كانت تأتي مثل هذه الاشتباكات بعيداً عن توجيهات أئمة اليعاربة ولعل معظمها كان يقع لأسباب خاصة تتعلق بكل حالة وخصوصاً وأن معظم السفن مخصصاً للتجارة لم تكن تحدها علاقة خاصة، حيث كان الخليج والمحيط مجالاً حيويًا لكثير من السفن بصرف النظر عن تحديد هويتها وتشير كثير من المصادر التي تناولت تلك الفترة الى حرص أئمة اليعاربة على عدم التصادم مع الانجليز إلا أن ذلك لم يمنع من وقوع حالات تصادم أثارت حفيظة الانجليز إلا أنها لم تصل الى درجة اعلان العداء الصريح وكانت كل حادثة يتم تسويقها في ضوء علاقات التفاهم العماني الانجليزي.

وعلى الرغم من حرص سيف بن سلطان (الاول) على عدم الاعتداء على السفن الانجليزية إلا أن ذلك لم يمنع بحارة عمان سنة ١٦٩٧ م من اجبار السفينة الانجليزية (لندن) على مشاركتهم في إحدى عملياتهم العسكرية ضد البرتغال وقد عومل من رفض هذا الاجبار من الانجليز معاملة قاسية حيث تم تقييدهم ووضعهم على ظهر إحدى السفن العمانية^(٤٩).

وعندما علم الامام سيف بذلك عَنّف بحارته وعلن تقديم أية ترضية للانجليز بينما كان الانجليز وبطريقة مباغتة قد اقدموا على الاستيلاء على إحدى السفن العمانية مما اغضب الامام سيف وعلن مصادرة السفينة (لندن) وابدئ تحديه للانجليز إذا ما حاولوا تكرار هذا العمل^(٥٠).

لقد احدثت هذه المواقف العمانية ردود فعل لدى الدوائر البريطانية لكن لم تصل العلاقات الى درجة التصادم واكتفى الانجليز بتقوية اسطولهم وإعادة ترميم حصونهم في بومباي خوفاً من تكرار الهجوم العماني.

لم يكن امام الانجليز سوى الاعتماد على الدفاع بسبب انشغالهم في الهند مع القوى الاستعمارية الأخرى وحرصوا على عدم المواجهة العسكرية مع اليعاربة.

وإذا كان العمانيون قد حرصوا على ايجاد علاقات متوازنة مع الانجليز فبنفس القدر كان حرصهم على ايجاد نفس العلاقات مع الهولنديين الذين ابدوا تعاطفاً ملحوظاً مع العمانيين أثناء صراعهم مع البرتغاليين في الوقت الذي كانت تتنامى فيه التجارة الهولندية وقد تزامن ذلك مع تحرير مسقط من الوجود البرتغالي ١٦٥٠ م.

وتقديرًا للموقف الهولندي فقد قدم الامام سلطان بن سيف (الاول) مشروعاً يسهل للهولنديين نقل بضائعهم عبر الأراضي العمانية الى البصرة بدلاً من جبرون وخصوصاً وأن الشاه عباس الثاني قد بالغ في فرض ضرائب على التجارة الهولندية^(٥١).

وعلى الرغم من تحسن العلاقات الهولندية مع فارس وعودة جمبرون كمركز تجاري هام للهولنديين إلا أن ذلك لم يكن على حساب المصالح العمانية الهولندية التي راحت تتحسن يوماً بعد يوم.

وفي الوقت الذي تمكن فيه العمانيون من تحرير مسقط ١٦٥٠م راحت المفاوضات الإيرانية البرتغالية تتركز حول تأجير إحدى القواعد الفارسية للبرتغال وعرض الشاه على البرتغاليين جزيرة هانجام^(٥٢) ولكن المفاوضات لم تحقق نتائج محددة ولعل البرتغاليين كانوا يفضلون إحدى القواعد على الساحل العربي بهدف جعلها نقطة انطلاق لعودة مسقط التي كان البرتغاليون يعولون أهمية كبيرة على بقائها في أيديهم أرضاء للملكهم الذي سبق وأن أبدى أهمية كبيرة ١٦٤٩م لابقاء مسقط تحت سيطرة قواتهم وطالب بأن توجه كل الجهود للمحافظة عليها ولا يسمح للعرب بالإقامة فيها وأوصى قواته بإقامة ميناء جديد في بندر عباس ليكون نقطة انطلاق لتأمين مسقط^(٥٣).

لقد كان من الصعب العودة إلى الوراثة وكان من المستحيل أن يتراجع العمانيون عن الاستماتة في سبيل بقاء مسقط محررة وخصوصاً وقد استوعبوا تجربتهم التاريخية بطريقة عملية دفعتهم إلى أن يطوروا أنفسهم يوماً بعد يوم في الوقت الذي كان فيه الأسطول البرتغالي يلفظ أنفاسه الأخيرة.

لقد لاحظ الرحالة الإيطالي بييرو ديلافالي هبوط مستوى النظام في البحرية البرتغالية وتدهور معنويات الجنود ولم يستطع على الرغم من تعاطفه مع أخوانه الكاثوليك إلا أن يقارن بين هذا المستوى ومستوى النظام في السفن الانجليزية والهولندية إضافة إلى أن المؤرخين البرتغاليين أنفسهم قد لخصوا عوامل الانهيار الذي ألم بالبرتغال في عبارة قصيرة (أن دمار أحوالنا نابع من احتقار كبرائنا لصغارنا ومن طمع صغارنا طمعاً إغماهم عن دعوة الوطن والشرف، أن البرتغاليين قادرون على استرداد ما يخسرون ولكنهم عاجزون عن استبقائه وذلك هو بيت القصيد)^(٥٤).

وعموماً فقد اغتبط الانجليز من اختفاء البرتغاليين من حلبة المنافسة إلا أنهم ووجهوا بمنافسة الهولنديين الذين كانت تتضاعف مصالحهم يوماً بعد يوم وأبتداء من سنة ١٦٥٠م أخذت المنافسة الهولندية تهدد مصالح الشركة الانجليزية وخلال ١٦٥٢م - ١٦٥٣م أرسل الهولنديون ١٥ سفينة إلى بندر عباس قدرت حمولتها بمائة وعشرين ألف جنيه انجليزي وأستطاعوا أن يكتسحوا التجارة الانجليزية على الرغم من إصرار الشاه على عدم تساويهم في المعاملة مع الانجليز من حيث الامتيازات التجارية.

ويبدو أن الهولنديين قد نجحوا في استعادة صلاتهم التجارية الوثيقة مع فارس حيث أعيد فتح ميناء بندر عباس للسفن الهولندية ١٦٦٤م إثر مقابلة بين الشاه وبعثة هولندية في أصفهان^(٥٥).

وإذا كان العمانيون قد نجحوا في تحييد الهولنديين بهدف الإجهاد على البرتغاليين إلا أن العلاقات العمانية الهولندية لم تصل إلى درجة التحالف بل العكس هو الصحيح، حيث شعر العمانيون بأن الهولنديين يعتزمون الانفراد بتجارة الخليج بدلاً من البرتغاليين ولم يكونوا على استعداد لاستبدال النفوذ الهولندي بالنفوذ

البرتغالي خصوصا وقد اصبح اسطولهم يجوب المحيط الهندي والخليج العربي مسببا قدرا كبيرا من الدعر لدى الشركات الاجنبية.

ولعل مما ضاعف من قلق العمانيين هذا التقارب الذي بدا ملحوظا بين الهولنديين والفرس، لذا فان نهاية القرن السابع عشر قد شهدت مصادمات تمثلت في هجوم متكرر من العمانيين على السفن الهولندية التي راحت تتصدى للعمانيين الذين راحوا يشنون هجمات مباغتة على السفن الفارسية التي استنجدت بالهولنديين.

وعلى الرغم من مساندة الهولنديين للفرس في صراعهم مع اليعاربة الا أن ذلك لم يمنع العمانيين من انزال هزائم متكررة بالفرس حددت مصالحهم التجارية في كثير من المناطق الفارسية مما دفع بالهولنديين الى تقديم مشروع اتفاقية ١٧٠٥ من نص على حماية السفن الفارسية مقابل كثير من التسهيلات التي رآها الشاه محقة بمصالحه الاقتصادية، لذا فضل التعاون مع الانجليز وعلى الرغم من كل ذلك فقد بقي الهولنديون محتفظين بمركزهم التجاري في بندر عباس، بينما راحت العلاقات الفارسية الانجليزية تتنامى بشكل ملحوظ.

لقد شعر اليعاربة بأن فارس تريد أن تحقق لنفسها مصالح اقليمية في منطقة الخليج على حساب العمانيين الذين تمكنوا بمفردهم من الاجهاز على البرتغاليين ووصل الامر الى درجة استعانة الفرس بالانجليز او الهولنديين ومما ساعد فارس على تحقيق مطامعها ان شركة الهند الشرقية البريطانية كانت تؤيد فارس بحكم مصالح الشركة في فارس اضافة الى التقارب الانجليزي الفارسي على عهد الشاه عباس الكبير الناجم عن مساعدات فارس للانجليز في صراعهم مع الهولنديين.

واللافت للنظر انه بينما كانت فارس تتطلع الى وراثة الاستعمار البرتغالي في الخليج الا انها وجدت نفسها في وضع المواجهة مع دولة اليعاربة الذين اخذوا يغتزمون فرصة الاضطرابات الداخلية التي كانت تتعرض لها فارس لكي يؤكدوا لانفسهم السيطرة والتفوق كئمن للتضحيات التي بذلوها في صراعهم مع البرتغال^(٥٦).

ولقد انتاب الدوائر الفارسية قدر من الهلع والخوف لدرجة انها راحت تستنجد بالهولنديين وعندما تأكد لهم عدم المقدرة على حمايتهم راحوا يستجدون بالانجليز حيث طلبت الحكومة الفارسية سنة ١٦٩٥ من شركة الهند الشرقية الإنجليزية أن تشاركها الهجوم على مسقط مقابل منح الانجليز في مسقط نفس الامتيازات التي يتمتعون بها في بندر عباس^(٥٧)، ولكن الشركة لم تتحمس للعرض الفارسي لآوضاعها المتوترة في الهند إضافة الى التخوف من مغبة الدخول في صراع غير مضمون العواقب مع العمانيين.

وعلى ضوء المصادر التي تناولت تلك الفترة فإن مسقط مع نهاية القرن السابع عشر قد حققت نمواً تجارياً واقتصادياً هائلاً لدرجة أن ممثلي شركة الهند الشرقية الإنجليزية في البصرة وبغداد وبندر عباس بعثوا الى رئاسة الشركة مؤكدين أن مسقط قد أصبحت من أبرز القوى المحلية في الخليج وأن سفنها قد راحت تجوب الخليج والمحيط الهندي وحث كل من هاقورد وصمويل مانيستر حكومة الشركة على ضرورة تأسيس وكالة لها في مسقط حيث كانت الشركة تكتفي حتى أوائل القرن الثامن عشر

ببعض الوطنيين الذين كانوا يمثلون الشركة في مسقط^(٥٨).

والملاحظ أن فارس لم تياس من محاولة الإعتدال على القوى الأوروبية بهدف إحتلال مسقط وعلى إثر فشل محاولتها مع الإنجليز والهولنديين قررت الإلتجاء إلى فرنسا على عهد لويس الرابع عشر وتضمنت كثيراً من البنود السرية، التي تقضي بمساعدة فرنسا لفارس في إحتلال مسقط^(٥٩).

وعلى الرغم من إبرام هذه الإتفاقية إلا أن تنفيذها قد أجّل الى أن يحين الوقت المناسب، وأخذت فارس تضغط على فرنسا لبدء العمليات العسكرية بينما راحت فرنسا تتذرع بكثير من الحجج الى أن تمكنت الدبلوماسية العمانية في سنة ١٧٢١م من تطوير علاقاتها بفرنسا وزيادة حجم تجارتها مع فرنسا عن طريق مستعمراتها في جزيرة موريس ولعل السبب وراء ذلك هو الفوضى التي إجتاحت فارس وما ترتب عليها من غزو الأفغان لها سنة ١٧٢٢م مما تمخض عنه إنهيار واضح لمكانة فارس في الخليج العربي.

وبوصول نادر شاه الى الحكم وإفائه الاسرة الصفوية الحاكمة أخذ على عاتقه تقوية مركز فارس في الخليج العربي من خلال إعداد أسطول لم يكن لفارس عهد به من قبل.

ورضع نادر شاه هدفاً محدداً وهو الإجهاد على قوة اليعاربة ويبدو أن أوضاع عمان في ظل إمامة سيف بن سلطان الثاني كانت مشجعة، حيث أطلت الفتنة برأسها من جديد ولم يهمل نادر شاه طلب إمام عمان العون منه.

وأبصرت الحملة الإيرانية من بندر عباس في بداية شهر أبريل ١٧٣٧م بقيادة لطيف خان وعلى ما يبدو فإن الحملة قد نزلت أولاً في رأس الخيمة وخلال عامي ١٧٣٧م و١٧٣٨م إجتاح الإيرانيون كل عمان وسقطت مسقط^(٦٠) في أيديهم. وهكذا أخذت تنهار دعائم الدولة بشكل لافت مما يمثل ظاهرة لا تتكرر كثيراً في عمر الدولة.

ولذا فإن عصر اليعاربة يمثل حالة إستثنائية في التاريخ العماني من حيث سرعة إنفراد اليعاربة بالحكم وتمكنهم من إستثمار مقومات النجاح وإعادة الوحدة الوطنية ومقدرتهم الفائقة على مقاومة خصومهم في الداخل والخارج، كل ذلك جاء في وقت قياسي لم يستغرق أكثر من عقدين من الزمان وبنفس السرعة أيضاً أخذت الدولة تتهاوى ثم أطلت الفتنة برأسها حيث إنقسم الناس بين مؤيد لهذا أو مناصر لذلك.

وهكذا شاء القدر أن يخرج من نسيج المجتمع رجل ألى على نفسه أن يتصدى لكل عوامل الضعف ولأنه كان شخصية شديدة الانضباط شديدة الجراءة فقد اتخذ من صحار رمزاً للوطن الكبير ومن هذه المدينة انطلقت المقاومة التي قادها أحمد بن سعيد عن إقتدار لكي ينتهي عصر اليعاربة لكن من أجل أن تبقى وطناً أدياً وفاعلاً وحياً.

الوجود العماني في أفريقيا خلال عصر اليعاربة :

إذا كان ثمة خاصية واحدة تميزت بها عمان خلال تاريخها الطويل، سواء في فترات انتصارها أو انهزامها فتلك الخاصية أنها يقيناً كانت دائماً مركز دائرة، ضاقت أو اتسعت، كانت دائماً قطب قوة وقلب اقليم، ولا شك أن هذه الصفة الجوهرية التي تنطوي على متناقضات مثيرة تترد الى جذور جغرافية أصيلة، كونت في مجملها تاريخ عمان الذي لعب دوراً فاعلاً في حركة التاريخ الانساني.

والحقيقة الثابتة في فهم تاريخ اي بلد ونقطة البدء لمعرفة تاريخ اي امة هو فهم شخصيتها الاستراتيجية، ووفقا لمقولة الجغرافي العربي الشهير جمال حمدان وهو يحدد الملامح الاستراتيجية للمناطق الجغرافية المثالية، حيث يجتمع الموقع الجغرافي الامثل مع الموضع الطبيعي المثالي وذلك في توازن تناسب المثال^(١١).

وإعمال هذا التوصيف على الموقع الجغرافي لعمان وموضعها الطبيعي يتناسب الى حد كبير في القياس، حيث يتفاعل الناس مع بيئتهم الجغرافية بطريقة متناغمة، ويتحاور الماء واليابس ليشكلا معا منظومة متناغمة كونت في مجملها كل مراحل التاريخ الفاعل في تناسب دقيق وشبه محسوب.

والعمانيون منذ فجر التاريخ قد ركبوا البحر واتخذوه وسيلة للرزق والحياة وكان لرياح المحيط الهندي التجارية الموسمية اثر كبير في تدفق العمانيين نحو ساحل افريقيا الشرقي، فحينما تشتد الرياح الموسمية الشمالية الشرقية منذ منتصف ديسمبر، حتى نهاية فبراير من كل عام تتدافع السفن العمانية ذات الشراع المفرد الثلاثي الشكل خلال رحلة منتظمة الى الشاطئ الافريقي.

وما بين ابريل وسبتمبر تأخذ الرياح التجارية الجنوبية الغربية في الهبوب حيث تدفع بهذه السفن للعودة مرة أخرى مسافة الفي ميل من المحيط الهندي، وقد انتفع البحارة والتجار العمانيون بهذه الرياح مدة ثلاثة الاف سنة على الاقل وخلال عصور تاريخية طويلة ومن المؤكد ان الوجود العماني في شرق افريقيا مهد له رواد كثيرون وصلوا المنطقة منذ ازمة سحيقة، واسسوا المراكز التجارية واقاموا المدن وتفاعلوا مع البيئة الافريقية مما تمخض عنه مؤثرات عربية اسلامية شملت المنطقة من رأس جرد فون شمالا وحتى خليج دلجادو جنوبا وهي المنطقة التي اطلق العرب عليها ساحل الزنج.

ومن الصعب وضع بدايات محددة للوجود العماني في شرق افريقيا لكن من الثابت ان العصرين الاموي والعباسي قد حفلا بنشاط اسلامي مزدهر في شرق افريقيا مما يؤكد ان تواجدا عربيا كثيفا قد سبق هذه المرحلة، حيث قدم العمانيون فرادى وجماعات عبر فترات ممتدة لم تنقطع للاستيطان احيانا او للتجارة في احيان كثيرة ويمضي الزمن اختلطوا بالافارقة وتزوجوا من نسائهم واسسوا مراكز تجارية هامة^(١٢).

وتشير المصادر التاريخية الى ان هجرات عمانية كثيفة قد استوطنت الساحل الافريقي خلال عصر عبدالملك بن مروان واسس العمانيون عدة مدن افريقية كمالينده وزنجبار ومعباسة ولامو وكلوه ويات^(١٣).

ومع بدايات القرن السادس عشر الميلادي وباسباب تتعلق باوضاع عمان السياسية وانفصال الساحل عن الداخل بما يمثل استثناء في التاريخ العماني، شهد الساحل الشرقي لافريقيا موجات من الهجرة توجت بنهاية عصر النباهنة حيث قدم على الساحل الافريقي عدد من ملوك النباهنة (١٠٦٠ هـ) الذين غادروا عمان عقب انهيار دولتهم في بداية القرن السادس عشر واتخذ بعضهم من جزيرة بات وطنًا جديدا لهم خصوصا وقد وجدوا في الجزيرة اعدادا كبيرة من العمانيين، الذين كانوا قد سبقوهم الى الإقامة فيها ورحبوا بضيوفهم الجدد وتزوج واحد من ملوك النباهنة من ابنة حاكم الجزيرة السواحلي المدعو اسحاق، الذي تنازل طواعية لسهره عن حكم

الجزيرة وتعاقب النباهنة في حكم هذه الجزيرة وحققوا انتعاشا اقتصاديا هائلا مما مكنتهم من مد نفوذهم في احيان كثيرة الى مالينده وكلوه وممباسة، وفي عهدهم نشطت الحركة التجارية وتوافد على مدنهم عرب وهنود وفرس الى ان قدم البرتغاليون وراحوا ينتزعون المدن الافريقية واحدة تلو الاخرى وطبقا لرواية الاخباري السواحل بوانا كيتين ان سلطان بات (محمد الرابع) بعث الى شيوخ حضرموت مستنجدا بهم ضد البرتغاليين سنة ١٥٧٤م الا ان مؤرخا عربيا متخصصا في تاريخ الخليج ينفي ذلك مؤكدا ان استنجد سلطان بات كان بائمة اليعاربة وليس بشيوخ حضرموت^(٦٤).

واذا كان العمانيون قد استوطنوا الساحل الافريقي واصبحوا جزءا من نسج المجتمع فإن الالاف للنظر - وفقا لشهادات البحارة العرب والاجانب - هذا المستوى الحضاري والعمراني ودرجة الرقي والنظام وحركة التجارة التي وصلت اليها المدن الافريقية (لامو) و (باته) و (ملندي) و (ممباسة) و (كلوه) ويؤكد المسعودي الذي زار الساحل الافريقي في القرن الرابع الهجري ان الامارات العربية تمتد من مقديشو شمالا حتى سفالة جنوبا^(٦٥).

لقد اشداد كثير من المؤرخين الاوروبيين المتخصصين في تاريخ شرق افريقيا بالمؤثرات الحضارية لعرب عمان سواء من حيث اساليب الحياة او نشر الثقافة العربية والاسلامية او حتى ملامح المدن، التي تؤكد هويتها العربية ويعد دورات باربوسا Barbosa واحدا من هؤلاء، حيث زار الساحل الافريقي سنة ١٥١٨م وسجل اعجاب البرتغاليين بما شاهدته من مدن عامرة ومجتمعات متحضرة، اضافة الى تجارة مزدهرة مع الشرق الاقصى والهند وبلاد فارس، كما سجل انطباعه عن التناقض الواضح بين الساحل الغربي لافريقيا والساحل الشرقي.

ولعل من المناسب ان نورد وصفا دقيقا لما شاهدته باربوسا حيث يقول (ما ان وصلت مراكب فاسكو ديجاما الى سفالة شرق افريقيا حتى فوجئت بما لم يكن متوقعا حيث البحارة يضربون عباب البحر والمراية تزدهم كخلايا النحل ومدن ساحلية غاية في التقدم، ورجال لديهم دراية عالية بعبور المحيط ومعرفة دقيقة بمرافقه ولديهم خرائط متقنة لا تقل فائدة عما في يد الاوروبيين ومدن عامرة لا تقل نشاطا عن مدن البرتغال وتجارة بحرية نافعة كالذهب والعاج والخرز والجلود والاقمشة القطنية...)، لقد وجد البرتغاليون عالما تجاريا اوسع من عالمهم واكثر ثراء من بلادهم حتى السفن العربية كانت اكبر من سفن البرتغال^(٦٦).

وكان اول وصول للبرتغاليين الى ساحل افريقيا الشرقي في ابريل سنة ١٤٩٨م واكمل البرتغاليون سيطرتهم على الساحل الشرقي لافريقيا خلال السنوات الاولى من القرن السادس عشر وفشل المسلمون في درء خطرهم بسبب تفكك الممالك العربية على الساحل واقتتاد التعاون بين الممالك الاسلامية الكبرى كالممالك والعثمانيين.

وعند منتصف القرن السابع عشر كانت دولة اليعاربة قد اكتسبت مهارة فائقة في صراعها مع البرتغاليين مكنتها من تحرير كل الارض العمانية وبكل تأكيد فان رجلا كسلطان بن سيف^(٦٧) قد وضع نصب عينيه ثلاث ركائز اساسية :

اولها : ارتباط الماء باليابس اعتمادا على حقائق جغرافية وتاريخية، حيث استوعب حقائق الجغرافيا والتاريخ التي اكدت ان انفصال اليابس عن الماء يعد استثناء في

التاريخ العماني وحينما يحدث هذا الانفصال يأتي عصر التدهور والضعف والعكس صحيح فحينما يتفاعل اليايس مع الماء تأتي مرحلة الاستنفار والانتصارات ولعل الجغرافيا قد اوجدت عند العمانيين شكلا من اشكال التحدي الذي فرضه الموقع بخصوصيته الشديدة.

ثانيها : لقد ادرك الامام سلطان بن سيف ومن قبله الامام ناصر بن مرشد اهمية الوسيلة الفاعلة التي يفرضها واقع التحدي الناجم عن الموقع وهي البحرية بالغزو الاكثر شراسة يأتي غالبا عبر الماء والعدو القادم من أوروبا وسيلته الوحيدة هي السفينة.

ومن أجل ذلك كانت السفن العمانية وتطويرها ضرورة فرضها الموقع بتحدياته الصعبة، والاكثر غرابة ان البحرية العمانية فيما لا يتجاوز ثلاثة عقود ابتداء من عصر ابن مرشد ١٦٢٤م وحتى منتصف القرن الخامس من نفس القرن قد تطورت بطريقة لفتت انظار كل القوى البحرية المتصارعة في الخليج العربي والمحيط الهندي.

لقد ادرك أئمة اليعاربة طبيعة الموقع الاستراتيجي التي نجم عنها حقيقة مؤكدة وهي ان عمان قوة برمائية تضع قدما على اليايس وقدا على الماء وتجمع بذلك بين قوة البر والبحر بدرجات متفاوتة لكن بدايتها قوة بحر بحكم الموضع ولم تلبث بحكم الموضع ان أصبحت قوة بر أيضا لكن كان نداء البحر دائما أقوى تأثيرا من جاذبية القاعدة مما جعل من العمانيين قوة دفع حضاري وكان البحر وسيلته الوحيدة لتلك الهجرات التي لم تنقطع عبر مراحل تاريخه الطويل، لذا فاننا نلاحظ ان أئمة اليعاربة قد اعدوا هذه الثوابت في التاريخ العماني، لذا فان تقاعلهم وانتصاراتهم كانت مذهلة.

ثالثها : لقد ادرك أئمة اليعاربة أن مفهوم الامن القومي يتجاوز كثيرا المفهوم التقليدي ولعل تجربتهم مع البرتغاليين أعطتهم تصورا آخر يتجاوز كثيرا حدود اليايس ولذا فان محاولاتهم الناجحة في تتبع البرتغاليين وانتزاع قلاعهم وحصولهم في سواحل فارس وغرب الهند يعد ترجمة عملية لمفهوم الامن القومي ثم كانت خطواتهم التالية الى الشاطئ الشرقي لافريقيا وانتزاع الجزر والمدن الساحلية بهدف تأمين عمان من جانب واثناذ الممالك العربية خوفا على هويتها العربية والاسلامية من جانب آخر.

ومع بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر كانت عمان قد تحررت تماما من السيطرة البرتغالية مما دفع سكان شرق افريقيا الى أن يطلبوا مساعدة بني وطنهم ودينهم وهكذا بدأت عمان تواجه الاستعمار البرتغالي في شرق افريقيا واستطاع اليعاربة القضاء على سيطرة البرتغاليين في شرق افريقيا كما قضت على هذه السيطرة في كل من عمان والخليج العربي^(٨).

واعتقد أن الامام سلطان بن سيف، بعد أن حرر مسقط لم يكن في حاجة الى دعوة بني وطنه في شرق افريقيا حيث تشير المصادر التي تناولت هذه الفترة الى أنه كان ماضيا في تعقبه للبرتغاليين، ولذا فان الدعوة التي تلقاها من اهالي مباسا تزامنت مع تأهبه للسير نحو شرق افريقيا، ولذا فان سنة ١٦٥٥م شهدت هجوما عمانيا مفاجئا على زنجبار وباتوا وتمكنت البحرية العمانية من اسر عدد كبير من البرتغاليين والسيطرة على عدة سفن عسكرية وتجارية واصبحت زنجبار على ولاء تام لعمان

وقبل حكامها دفع جزية سنوية نظير حمايتهم من البرتغاليين (٦٩).

وأخذت تتوالى النجدة العمانية لشرق أفريقيا، حيث صدرت الاوامر لاسطول عماني كان يحاصر بومباي بالتقدم الى ممباسة التي استنجد سلطانها بالامام سلطان ونجح الحصار العماني في ممباسة والذي استمر ما يقارب من خمس سنوات ١٦٦٠ - ١٦٦٥ م، وعلى الرغم من تمكن البرتغاليين من التخلص من الحصار الا ان البحرية العمانية اخذت في فتح جبهات اخرى في بومباي في الوقت الذي راحت فيه السفن العمانية تتدفق نحو الساحل الافريقي مما اربك قوة الدفاع البرتغالية التي اخذت تهاجم الاهالي وتهدم اماكن عبادتهم وتدمر منازلهم وتحرق محاصيلهم بطريقة تنسم بقدر كبير من العنف والمشاعر الصليبية المدمرة.

لقد اتجه سلطان بن سيف عقب حصاره لممباسة الى جزيرتي بعيا وزنجبار وتمكن من تخليصهما من ايدي البرتغاليين الذين استبد بهم الغضب بسبب تعاون الاهالي مع العمانيين، لذا فان القائد البرتغالي كابريرا قام بمهاجمة المدنيين من سكان هاتين الجزيرتين بطريقة افقتت الى اسط المبادئ الانسانية، وعلى الرغم من ذلك فلم يستطع مواجهة العمانيين انفسهم الذين انزلوا بالبرتغاليين عدة هزائم واستطاع العمانيون خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر تحرير كل المستعمرات البرتغالية في شرق أفريقيا والتي كانت تمتد من جزيرة سقطرة شمالا وحتى دلجادوا جنوبا (٧٠).

والحقيقة ان تعاون الافارقة مع العمانيين كان وسيلة فاعلة في حسم قضية الصراع ولم يكن من قبيل المصادفة ان يرتبط سكان شرق أفريقيا بالعمانيين وان ينسلفوا معهم وانما كان ذلك لاسباب تاريخية، حيث خبر الافارقة طبيعة الشخصية العمانية، حيث لعب البحار العماني والتاجر العماني دورا اساسيا من خلال سلوكهم وقيمهم التي حظيت بتقدير كبير عند الافارقة، فلقد كانت القيم الحضارية، والاخلاق الرفيعة - التي ظلت تميز الشخصية العمانية من خلال الاحتكاك اليومي المباشر - سببا اكسب عمان سمعة حضارية كبيرة.

لعل عنصر المقارنة بين البرتغاليين والعمانيين كان من اهم الاسباب التي دفعت الافارقة الى الترحيب بالعمانيين الذين لم يستاثروا لانفسهم بميزة خاصة وإنما كانوا رسل حضارة تميزت بقيم إنسانية نبيلة، لذا فإن تزاوج العمانيين مع الإفريقيات جعلهم جزءاً من نسيج هذا المجتمع، لذا فقد كانت الفرصة مهيأة تماماً منذ عصر سلطان بن سيف ١٦٤٩ - ١٦٧٩ م لجعل شرق إفريقيا جزءاً من الوطن العماني، وعلى الرغم من ذلك فلم يقدم أئمة اليعاربة على هذه الخطوة (اعتقاداً منهم بأن رسائلهم إنسانية وحضارية، وتقديراً منهم للعديد من التوازنات الدولية وقتئذ).

ولا شك في أن نجاح اليعاربة قد ارتبط بعوامل كثيرة يأتي في مقدمتها الانسان العماني بسلوكه واخلاقه وقيمه ورصيده الحضاري الذي اكسبه ثقة المواطن الافريقي ثم تفوق العمانيين وقدرتهم على اكتساب مهارات البحر وتطوير سفنهم ومقدرتهم على استيعاب التقدم الذي طرأ على السفن الاوروبية، اضافة الى الظروف المختلفة التي احاطت بسياسة البرتغاليين الاستفزازية التي اخذت من الاحتكار وسيلة لقمع الشعوب الافريقية (٧١).

وبوفاة سلطان بن سيف ١٦٧٩ م خلفه ابنه بلعرب بن سلطان، الذي اقسم

ليحررن ممباسة او يعموتن دونها لان البرتغاليين قد اعداوا السيطرة عليها عقب عودة سلطان بن سيف الى عمان وفي عام ١٦٨٠م اعد بلعرب بن سلطان اسطولا مكونا من ثمان وعشرين سفينة ثم فرض الحصار على ممباسة التي استعصت على العمانيين بسبب استحكاماتها القوية ولانها كانت من اقوى المراكز البرتغالية في شرق افريقيا، لذا فان بلعرب اخذ يتطلع الى نقاط برتغالية اخرى فاتجه الى موزمبيق وحاصر قلعتها الا ان الحامية البرتغالية بقيادة جسباردي سوسه لاسيردا Gaspara de Sousa de Lacerda استطاعت الصمود في مواجهة الحصار العمانى.

ووفقا لكثير من الروايات التي تناولت هذا الموضوع فان العمانيين قد اخذوا في حفر سرداب في اسفل القلعة بهدف التسلل الى داخلها مما جعل الحامية البرتغالية تفكر في صد هذا التسلل بطريقة غير تقليدية حيث قاموا بوضع شحنات انفجرت بقوة هائلة مما اثار الذعر في نفوس المهاجمين ورفضوا الحصار عن القلعة (٧٢).

ويبدو ان الصراع بين بلعرب بن سلطان واخيه سيف بن سلطان قد انعكس على قضية الصراع العمانى البرتغالي في شرق افريقيا لدرجة ان مدنا محررة اعداوا البرتغاليون سيطرتهم عليها مرة ثانية مثل مالندي وغازا وباته ولامو واستخدم البرتغاليون كل وسائل الايادة الجماعية كما اتخذ القائد البرتغالي من مسجد باته مركزا لقيادته وحول الكثير من المساجد الى قواعد عسكرية وحينما استردت عمان انفساسها بعد حسم الصراع بين الشقيقتين بلعرب وسيف لصالح الاخير اعداوا نشاطهم العسكري وحققوا انتصارات هائلة لعل اهمها هو نجاحهم في اخضاع ممباسة ١٤ ديسمبر ١٦٩٨م.

لقد كانت ممباسة من اهم القلاع التي يعتمد عليها البرتغاليون، لذا فان المؤرخين الاوروبيين اعتقدوا ان سقوطها في ايدي العمانيين يعد نهاية للتفوق البرتغالي في شرق افريقيا.

ويبدو ان سيف بن سلطان قد راودته فكرة الابقاء على ممباسة كقاعدة اساسية للحفاظ على انتصاراته على البرتغاليين وهو ما فسرته البعض بان سيف كان يعتزم تأسيس امبراطورية عمانية على انقاض الامبراطورية البرتغالية ولكن ضعف مركزه في الداخل جعله يصرف النظر عن هذا المشروع وبذلك تأخر تأسيس الامبراطورية العمانية في شرق افريقيا الى مائة عام حينما قام بتأسيسها سعيد بن سلطان ١٨٠٤ - ١٨٥٦م (٧٣).

لقد كان سقوط ممباسة بداية لطرد البرتغاليين من كل الشاطئ الافريقي ففي سنة ١٦٩٦م نجح العمانيون في تحرير بمبا وكلوه وباتا وزنجبار، لقد كانت هذه الهزائم سببا لمعاودة البرتغال محاولة ضم ممباسة وجاءت حملات عسكرية من لشبونة راسا وتكررت هذه المحاولات بداية من ١٦٩٩م وخلال ١٧٠٢م و١٧١٠م ولعل اخطر هذه المحاولات كانت سنة ١٧٢٨م حيث تمكن البرتغاليون من استعادة ممباسة لمدة عامين بسبب انشغال العمانيين بمنازعاتهم الداخلية ولكن العمانيين قد استعادوا كلمتهم مرة اخرى وتمكنوا من استعادة ممباسة.

وعموما فان اليعاربة قد اخذوا على عاتقهم مهمة القضاء على الوجود البرتغالي على طول الساحل الافريقي وما كاد القرن السابع عشر يقترب من نهايته حتى ضاعف العمانيون من تواجدهم في المحيط الهندي لدرجة ان المدن الواقعة شمال رأس

دلجادو قد تخلصت تدريجيا من الحكم البرتغالي وقد ترتب على احوال السيادة العمانية بدلا من السيطرة البرتغالية انطلاقة جديدة للاسلام بما يؤكد حقيقة هامة وهي أن تدخل عرب عمان في شرق افريقيا لم يكن عاملا هاما في القضاء على السيطرة البرتغالية في ساحل شرق افريقيا فحسب بل أن أهمية هذا التدخل تكمن في أنه اتاح للدين الاسلامي المناخ الصالح دون عقبات (٧٤).

واذا وقفنا على حقيقة دوافع البرتغاليين واساليبهم في نشر مذهبهم الكاثوليكي خلال ما يقارب من قرنين اتضح لنا الدور الفاعل الذي قام به العمانيون في التمكين للاسلام من أن ينتشر بين الافارقة ولذلك يعتبر الكثيرون سقوط قلعة ممباسا سنة ١٦٩٨ م معلما هاما لا من حيث القضاء على السيطرة البرتغالية وإنما من حيث اتاحة الفرصة للملازمة لنشر الاسلام بين الافارقة (٧٥).

وإذا كان اليعاربة قد حالوا دون استمرار الهيمنة البرتغالية على الشاطئ الافريقي وضحو في سبيل ذلك توضحيات رائدة فإن سيطرة عمان على ساحل شرق افريقيا في اعقاب انهيار السيطرة البرتغالية لم تكن سيطرة فعلية بسبب المشكلات الداخلية التي تردت فيها دولة اليعاربة ودعوة الحرب الاهلية ومع ذلك فقد استطاع اليعاربة أن يرثوا البرتغاليين ويؤسسوا لهم سيادة عربية امتدت على الساحل الافريقي في الوقت الذي كانت فيه الدولة قد استنفدت معظم جهودها في صراعها ضد البرتغاليين بحيث لم يعد لديها القدرة على ممارسة سيطرتها على شرق افريقيا. وكان من الطبيعي أن ينتهز الحكام الذين تولوا الحكم نيابة عن اليعاربة في شرق افريقيا فرصة ضعف الدولة وحالة الفوضى والتفكك مما اتاح لهم فرصة الانفراد بحكم الولايات التي يحكمونها.

وكان لانتقال الحكم من دولة اليعاربة الى دولة آلبوسعيد رد فعل قوي بين حكام شرق افريقيا فاذا كان هؤلاء الحكام قد تولوا الحكم من قبل دولة اليعاربة فاما بمنعهم بعد أن سقطت تلك الدولة من أن يستقلوا بما تولوا عليه من مقاطعات. ولعل من المناسب أن نعرض وجهة نظر بعض المؤرخين الاوروبيين الذين قالوا بأن تجارة الرقيق قد انتعشت انتعاشا كبيرا في شرق افريقيا خلال سيطرة اليعاربة على المحيط الهندي (٧٦).

نستطيع أن نقول أن تجارة الرقيق ابتكار اوروبي قامت به دول وشركات، وأن العرب إذا كانوا قد مارسوا هذه التجارة فانها بجهود فردية خالصة وكان أقصى ما يصل اليه الرقيق الافريقي هو الجزيرة العربية وساحل الخليج العربي، أما تجارة الرقيق في غرب القارة - التي لم تحظ من المؤرخين الاوروبيين متما حظيت به شرق افريقيا - فقد كانت هذه التجارة تعتمد على خطط محكمة لاستغلال الثروة البشرية الافريقية وتأسست من أجل ذلك الكثير من المراكز التجارية التي ابرمت الاتفاقيات ووضعت الخطط وديرست الفتن واورقت بين القبائل الافريقية بهدف تحقيق أسوأ استغلال عرفته البشرية في تاريخها الحديث وما كان يتعرض له العنصر الافريقي من قسرة من جراء الرحلة القاسية التي كانوا يساقون فيها من غرب افريقيا الى مزارع الامريكيتين عبر مياه الاطلنطي من خلال رحلة قاسية ومريرة.

وعلى الرغم من كل ذلك فإن المؤرخين الاوروبيين تغافلوا عن هذه الحقيقة المؤلة وصوبوا جام غضبهم على العرب في شرق افريقيا بل أن كوبلاند coupland وغيره

حاولوا تحميل العرب وزر تجارة الرقيق في شرق إفريقيا باعتبارهم الوسطاء الذين كانوا يمدون المراكز التجارية البرتغالية بالعدد اللازم من الرقيق دون أن يذكر أرقاماً أو إحصائيات دقيقة مقارنة بما كان يحدث في غرب إفريقيا.

وهناك جانب آخر تعرضت له المصادر الأوروبية التي تناولت شرق إفريقيا فقد حرص الكثيرون على التهوين من دور العرب وتأثيرهم الحضاري في عصر العبودية الذين قالوا عنهم أنهم لم يهتموا بإدخال الزراعة وكان همهم هو إشباع نهمهم في تجارة الذهب والعاج والرقيق.

ولعل وجهة النظر الأوروبية هذه قد تغافلت عن حقيقة اكدها الرحالة الأوروبيون الذين زاروا شرق إفريقيا عند مقدم البرتغاليين وفي مقدمتهم دورات باربوسا - Barbosa الذي زار الساحل الإفريقي سنة ١٥١٨م وسجل إعجابه بالمراكز التجارية والحضارية وأبرز دور العرب في تنمية النشاط الإفريقي وذكر العديد من المراكز الحضارية التي أثارت اهتمام البرتغاليين أنفسهم (٧٧).

ومن الطبيعي أن يعتني العرب في شرق إفريقيا بالتجارة بحكم أنها كانت عصب الحياة الاقتصادية في نهاية العصور الوسطى وأوائل العصور الحديثة لكن بعد أن استقرت السيادة العمانية على شرق إفريقيا في بداية عهد آل بو سعيد بدأ الاهتمام بإدخال أنواع كثيرة من الحاصلات وخصوصاً في عصر السيد سعيد بن سلطان الذي حول شرق إفريقيا إلى مجتمع زراعي بالدرجة الأولى، وخصوصاً زراعة القرنفل حتى أصبحت جزيرتا ممبا وزنجبار تمدان العالم بالنصيب الأولي من ذلك المحصول.

الفصل الثالث أحمد بن سعيد وقيام الدولة البوسعيدية

التدخل الفارسي في عمان ونهاية عصر اليعاربة :

عندما توفي سيف بن سلطان ١٧١١ خلفه ابنه سلطان بن سيف الذي واصل الحرب ضد البرتغاليين كما تابع محاربة الفرس بهدف اخراجهم من البحرين وقشم ولارك وتوفي في عام ١٧١٨م وبوفاته انتهت الوحدة التي عرفتها عمان، حيث عادت الحروب الاهلية لأكثر من ثمانية عشرة عاما وانقسمت القبائل بين مؤيد لولاية سيف بن سلطان الذي كان ما يزال صبيا صغيرا لم يبلغ بعد مبلغ الرجال وبين مبايعة مهنا بن سلطان الذي وجدوا فيه شخصا حائزا على كل الشروط التي يجب توافرها في الامام بعكس سيف الذي لا يجوز له أن يؤم الناس في الصلاة فكيف يؤمهم في شؤون الحياة؟ واعتقد البعض أن في ولايته خروجا على المالوف والشرع.

ومما يستلفت الانتباه أن العلماء لم يخرجوا عن البيعة في نطاق أسرة اليعاربة، حيث كان مهنا بن سلطان ينتمي الى تلك الأسرة ولما كان موقف العلماء يتعارض مع موقف بعض القبائل العامة فأنهم لم يجزأوا على مبايعة مهنا علنا وطبقا لما ذكرته بعض المصادر العمانية فاز العلماء لجأوا الى حيلة جاءوا بالصبي سيف وأوقفوه أمام جمهور المسلمين ونادوا أمامكم سيف (بفتح الهمزة) وهو اعلان يمكن تفسيره أمامكم أو أمامكم (بالفتح أو الكسر) وبهذا أمكن تقادي موقف المعارضة حتى هدأت العاصفة فعمد العلماء الى ادخال مهنا الى قلعة الرستاق ونادوا به اماما ١٧١٩م.

وعلى الرغم مما بذله من جهود كبيرة وصادقة لما فيه خير البلاد الا أنه قد قوبل بمعارضة شديدة ولم يمض عام واحد على توليه الامامة حتى تمكن أحد المناوئين له وهو يعرب بن بلعرب من اجبار مهنا بن سلطان على التنازل عن الامامة وقتله عام ١٧٢٠م وعلى اثر ذلك انتقل يعرب الى مدينة نزوى مستصحباً معه الامام (الصبي) سيف بن سلطان وأصبح يعرب مسيطرا على عمان مؤكداً أنه لا يطالب بالامامة لنفسه لأنها من حق سيف الذي أجمع العامة على اختياره مكتفياً بالوصاية عليه رغم أنه استحوذ على السلطة متجاهلا الوصاية مما كان دافعا لخلع من قبل بلعرب بن ناصر الذي عقد الامامة لسيف للمرة الثانية عام ١٧٢٢م وتولى أمر الوصاية عليه.

ولكن الوصي المخلوع (يعرب بن بلعرب) عقد اتفاقا مع محمد بن ناصر الغافري الذي راح يحفز كثيرا من القبائل رافعا راية المعارضة مما أدخل البلاد في حرب أهلية أجهزت على الرصيد الكبير من الامكانيات العسكرية والاقتصادية التي وفرها الائمة العظام أمثال سلطان بن سيف وسيف بن سلطان ونظرا للأوضاع المتردية فقد لجأ سيف بن سلطان (الثاني) الى فارس حيث كتب الى نادر شاه طالباً العون

منه^(١) في الوقت الذي كان نادر شاه قد فرغ من الحاق الهزيمة بالأسطول العثماني في البصرة وقام باحتلال البحرين مما ضاعف من طموحه بهدف السيطرة على الخليج العربي كله^(٢).

وهكذا وجدها نادر شاه فرصة مواتية للسيطرة على مسقط بل والساحل العماني بأسره الذي كان حلم الفرس دائما.

واستجابة لتلك الدعوة بعث نادر شاه بحملة بحرية كبيرة الى مسقط بقيادة لطيف خان رافعة العلم الفارسي الأبيض ذا السيف الأحمر (مارس ١٧٣٧ م) وفي جلفار انضم سيف بن سلطان الى الفرس وزحفوا الى البريمي ثم عبري حيث ارتكب الفرس أعمال عنف عديدة مما أدى الى استياء سيف ابن سلطان من تصرف حلفائه، لذا فقد اتجه ناحية مسقط بمفرده^(٣).

وماكادت القوات الفارسية تتخلص من مقاومة بلعرب بن حمير حتى أعلن القائد الفارسي لطيف خان نفسه حاكما عسكريا مطلقا على عمان ولم يترك شيئا من السلطة لسيف بن سلطان الذي كان مشغولا بمقاتلة بقايا الجيوش الموالية لبلعرب بن حمير وبعد أن وصلت الأمور الى هذه الحال المتردية اجتمع حول بلعرب قي قاعدته بهلا جمع كبير من العمانيين المعارضين للتدخل الفارسي وكان من هؤلاء كثير من العلماء الذين كتبوا الى سيف بن سلطان ينددون باعتماده على الفرس^(٤).

ونظرا للمقاومة العنيفة التي قام بها العمانيون ضد الغزو الفارسي فقد اضطرت السلطات الفارسية الى طلب المساعدة من المؤسستين الانجليزية والهولندية في بندر عباس مثل الحبال والمراسي والأشربة وكذلك النجارين الأوروبيين المهرة ووقفا للتقارير الهولندية والانجليزية فإن المؤسستين الأوربيتين في بندر عباس كانتا تليان جميع المطالب الفارسية وتشير نفس التقارير الى ان الفرس كانوا يدفعون رشوي وأتاوات لبعض المسؤولين الانجليز والهولنديين^(٥).

وما لبث ان دب الخلاف بين الامام سيف ولطيف خان وأصبح من المؤكد ان السياسة التي اتبعها سيف لتوطيد مركزه معتمدا على اعداء بلاده لم تكن سياسة ناجحة، حيث استاء العمانيون وظهر ذلك حين فشل القائد الفارسي الجديد تقي خان من السيطرة على محصار وبعد أن حلت كارثة بالحاميات الفارسية في بهلا وازكي حين ابادها العمانيون في الوقت الذي ثار فيه الملاحون العرب في الاسطول الفارسي مما اضطر تقي خان الى التراجع بمن معه نحو جلفار (رأس الخيمة) ومن هناك وصلته نجات فارسية تمكن بواسطتها من احتلال منطقة الظاهرة.

وفي فبراير ١٧٣٨ م وقع اشتباك كبير بين القوات الفارسية والعربية قرب بهلا حقق فيه الفرس نصرا ساحقا وأصبح الطريق الى مسقط مفتوحا امام الفرس في الوقت الذي فر فيه الامام سيف الى منطقة البريمي حيث عبر عن ندمه وأبدى استعدادا لمقاومة الفرس مما أدى الى التقاف القبائل حوله لكن هذه الوحدة الوطنية لم تستمر طويلا فسرعان ما اختارت بعض القبائل سلطان بن مرشد اماما.

وفي ظل هذه الأوضاع المتدهورة حاول الفرس الاستيلاء على مسقط وتشير المصادر الهولندية الى ان عددا من السفن الهولندية قد تم الاستعانة بها للهجوم على مسقط^(٦).

وفي محاولة من سيف للتكفير عن أخطائه والقيام بعمل بطولي فقد بادر بقيادة

المقاومة العمانية التي أبدت استبسالاً شديداً وتعقبت الفرس في مياه الخليج وأعلن سيف عن تصميمه في نقل المعركة إلى داخل الأراضي الفارسية ذاتها وناشد كل القبائل العربية في الخليج تزويده بالمقاتلين مما مكّنه من الوصول إلى البحرين وبندر عباس^(٧).

يبدو أن النجاح الذي أحرزه الإمام سيف قد واكب تدهور الأوضاع في فارس حين دبت الثورات في كثير من المقاطعات مما دفع نادر شاه إلى سرعة سحب قواته من الخليج لمعالجة مشاكله الداخلية وتبع ذلك انسحاب القوات الفارسية من عمان مما أدى إلى هدوء الأوضاع في عمان حيث اتاحت الفرصة لسيف لكي يعود إلى حياته الخاصة التي أغضبت غالبية العمانيين الذين ثاروا عليه وأعلنوا خلعه عاقدين البغية لسلطان بن مرشد الذي تمكن من السيطرة على مسقط ومهاجمة سيف في بركا مما اضطره إلى الفرار إلى جلفار (رأس الخيمة) حيث نزل في معسكر الفرس معاودا الاتصال بتقي خان طالباً إليه نقل رسالة إلى نادر شاه يطلب فيها عونه لتثبيتته في الحكم وأعدا إياه بالسيادة الفارسية على جميع الأراضي العمانية.

واللافت للنظر أن سيف بن سلطان لم يستفد من تجاربه السابقة حيث ادخل بلاده في أتون حرب أهلية أضعفت من إمكانياتها معرضاً وطنه لغزو خارجي مفضلاً أن يكون آمناً في وطن محتل.

ومرة ثانية أصدر نادر شاه أوامره إلى تقي خان بأعداد حملة جديدة لغزو عمان ونجح الفرس في فرض الحصار على صحار في الوقت الذي تقدم فيه الإمام الجديد سلطان بن مرشد لمواجهة الحصار الذي استمر قرابة سبعة أشهر كلف الفرس والعمانيين الكثير من الجهود والأرواح^(٨).

وتشير بعض المصادر الأوروبية وثيقة الصلة بأحداث تلك الفترة إلى أن مساعدات هائلة قد قدمها الانجليز والهولنديون للفرس بل أن سفناً انجليزية اشتركت في حصار مسقط وعلى الرغم من سقوط المدينة في أيدي الفرس إلا أن حصونها بقيت تحت السيطرة العمانية مما كان سبباً في إلحاق هزائم ساحقة بالفرس^(٩).

أحمد بن سعيد وتحرير عمان :

لقد كانت الأطماع الفارسية في عمان فرصة مناسبة لجمع القبائل نحو تحقيق هدف محدد ولعل الدرس الأول الذي وعيه العمانيون أن الجميع خاسرون ولا أمل في تحرير البلاد إلا بعودة الوحدة الوطنية والالتفاف حول حاكم قوي يستطيع أن يستثمر مقومات الوطن الكبير وأن يحفز الناس على تحرير عمان.

لقد أعد المسرح في عمان لظهور رجل قوي شديد الانضباط استطاع أن يلعب دوراً فاعلاً في تحرير وطنه من الاحتلال الفارسي وهو الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي الأزدي، الذي يعد المؤسس الأول لدولة البوسعيد، وقد كان يشغل منصب والي صحار تلك المدينة التي شاء القدر لها أن تلعب دوراً هاماً في بعث المقاومة الوطنية واستبسال حامياتها في سبيل المقاومة التي نالت من قوة الفرس وعجلت بنهايتهم.

لقد لقي أحمد بن سعيد تأييداً كبيراً من القبائل العمانية لدرجة أن هذا التأييد كان مدعماً لشكوك الإمام سيف الذي ساورته الظنون في أن مؤامرة تدبر لخلعه عن الإمامة لذلك أصدر أوامره وكان لا يزال مسيطراً على مسقط بالقبض على أحمد بن

سعيد الذي أدرك ما يدبره له سيف فأثر التراجع وهو في طريقه إلى مسقط^(١٠).

لم يلبث سيف أن أفصح عن عداوته لأحمد بن سعيد ومن أجل ذلك فقد بعث بأسطول إلى صحار التي استعصت على المهاجمين لكن أحمد بن سعيد أثر السلامة وأعلن ولاءه للإمام سيف وقبل أن يبعث بأحد أنبائه إلى مسقط ليكون رهينة لدى الإمام لكن الأحداث ما لبثت أن تطورت بشكل سريع حيث أعلن الإمام سيف انسحابه من مسرح الأحداث بعد أن أدرك ما جره على بلاده من ويلات وظل في الرستاق إلى أن وافاه الأجل في الوقت الذي استمر فيه حصار الفرس لصحار وأصيب سلطان بن مرشد بجراحات كثيرة عجلت بوفاته هو الآخر^(١١).

وهكذا هيأت الظروف بوفاة الإمامين المتنافسين لوالي صحار أحمد بن سعيد الوصول إلى الإمامة وتبدو النظرة الثاقبة، تقديراً للظروف الداخلية والخارجية التي كانت تمر بها عُمان، حين أدرك أحمد بن سعيد أن اختيار المهادة هو أفضل السبل لإعادة ترتيب البيت العماني من الداخل بعد أن دفعت البلاد ثمنًا باهظًا للانقسامات.

وتضيق بعض المصادر العمانية أن الفرس طلبوا الصلح من الإمام بهدف تأمين خروجهم من صحار بعد أن استحال عليهم احتلالها، ولكن بعض المصادر الفارسية تنفي حدوث ذلك الصلح وتؤكد أن أحمد بن سعيد قد أبدى مرونة مع الفرس مما أكسبه ثقة تقي خان الذي انسحب من صحار لكي يعد لثورة في إقليم فارسستان ضد نادر شاه الذي كان يخوض حرباً ضارية ضد الدولة العثمانية.

وسواء أكان الفرس هم الذين رفع الحصار عن صحار أو أن أحمد بن سعيد هو الذي طالب بذلك فالنتيجة واحدة حيث انحسر الوجود الفارسي عن مدينتي مسقط ومطرح ولجأت الحاميات الفارسية إلى قلعتي الميراني والجلالي مما أتاح لأحمد بن سعيد فرصة التقاط الأنفاس تمهيداً لتحرير كل عُمان من الاحتلال الفارسي.

وتجمع كل المصادر العربية والأجنبية على أن الرجل كان يتميز بقدر كبير من الحنكة والدهاء الشديدين مما مكنه من توطيد مركزه في المقاطعات الداخلية تمهيداً لإعادة الوحدة العمانية وبعد أن استوثق من إمكانات عدوه لم يلبث أن تعدد أهمل دفع الجزية المتفق عليها ثم أبقي على جنود الحامية الفارسية في الميراني والجلالي دون راتب أو إمدادات وأمعاناً في أطباق الحصار قرر إعفاء التجارة القادمة إلى بركا من الضرائب الجمركية مما أغرى السفن التجارية على التوقف في ميناء بركا بدلاً من مسقط مما ضاعف من تدهور أوضاع الحامية الفارسية سواء لنفاذ ذخيرتها أو انقطاع مؤنّها ورواتبها^(١٢).

لقد أدرك قائد الحامية الفارسية في مسقط خطورة موقفه وبعث إلى الشاه الذي خوله اتخاذ ما يراه مناسباً ووقع الاختيار على رجل يدعى ماجد بن سلطان أحد أقرباء سيف بن سلطان حليف الفرس السابق وسافر الرجل إلى تبريز حيث تقابل مع الشاه الذي وافق على أن يعهد إليه بحكم عُمان تحت السيادة الفارسية^(١٣).

وتذكر بعض المصادر العمانية أن الظروف شاءت أن تقذف الرياح بالسفينة التي كان يستقلها ماجد بن سلطان وهو في طريق عودته إلى صحار، حيث قبض عليه وانتزع منه فرمان الشاه القاضي بتسليمه معاقلاً مسقط ومطرح حيث أرسل أحمد بن سعيد أحد أعوانه إلى قائد الحامية الفارسية في مسقط الذي أسلم إليه حصونها على اعتبار أنه موفد من قبل ماجد بن سلطان، ويحدد المصدر العماني تلك الخديعة على

اعتبار أنها بداية عملية لعهد البوسعيد ونهاية عصر اليعاربة^(١٤).

ولا يختلف المصدر العماني عن المصادر الأوروبية إلا في بعض التفاصيل لكن المصدر الأوروبي يحدد تاريخ ٢٤ يونيو ١٧٤٧م بداية لانتهاء الحماية الفارسية في مسقط حيث أشيع مقتل نادر شاه مما ضاعف من يأس الحماية الفارسية وفي أغسطس وصل إلى الشاطئ الفارسي حوالي مئتي جندي فروا هاربين بعد أن نصب لهم العمانيون كميناً أباد معظم الحماية^(١٥).

وسواء أكانت إبادة الحماية الفارسية تمت في مسقط أو في بركا فالنتيجة واحدة حيث استولى أحمد بن سعيد على مسقط ولم تبق إلا منطقة جلفار (رأس الخيمة) التي اعتمد بها الشيخ رحمة بن مطر الذي سبق وأن اعترف به نادر شاه حاكماً على هذه المدينة منذ ١٧٤٠م.

لقد اختلفت الروايات بشأن مبايعة أحمد بن سعيد بالامامة فابن رزيق لم يحدد تاريخاً للامامة وأن كان يفهم من كتاباته أن عام ١٧٤١م هو العام الذي بدأ فيه أحمد بن سعيد صراعه مع الفرس ولذا فقد اعتبر ابن رزيق أن ذلك بداية عملية لاختياره اماماً بينما مؤرخ مهم كالسالمي اعتبر العام الهجري ١١٠٨هـ الموافق عام ١٧٤٥م هو العام الذي بويع فيه أحمد بن سعيد اماماً، وعموماً فإن رواية السالمي هي الأقرب إلى المنطقة على اعتبار أنه اعتبر عام ١٧٤٤م هو العام الذي تم فيه طرد الفرس من عمان ونجاح أحمد بن سعيد في التخلص من بلعرب بن حمير وهو نفس العام الذي تمت فيه مبايعة أحمد بن سعيد.

وأن كان مؤرخ عماني آخر كالازكوي^(١٦) قد حدد تاريخاً للمبايعة هو عام ١١٦٢هـ الموافق ١٧٤٩م، وعموماً فإن أحمد بن سعيد قد بويع اماماً عقب وفاة الامامين لكنه من الثابت أن أحمد بن سعيد قد انفرد بحكم عمان منذ عام ١٧٤٤م وهو ما نعتبره بداية لامامته.

لقد أدرك أحمد بن سعيد منذ الوهلة الأولى أهمية عودة الوحدة الوطنية، لذا فقد بذل جهداً فائقاً مما يمكنه من أن يعيد لعمان وحدتها وهياً لها أن تلعب دوراً هاماً في تاريخ الخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر^(١٧).

وإذا كان الامام أحمد بن سعيد قد برز في تاريخ عمان الحديث كمؤسس لدولة البوسعيد إلا أن المعلومات الخاصة بحياته قبل سطوع نجمه تؤكد أنه كان تاجراً أميناً صادقاً مهيباً ينحدر من أسرة عربية أصيلة يعمل معظم أفرادها بالتجارة وقد تميز بجسارة نادرة وشجاعة فائقة لفتت إليه الأنظار مما يمكنه من الوصول إلى ولاية صحار كوال من قبل اليعاربة.

ولاشك أن الدور الذي قام به في تثبيت دعائم الحكم قد استغرق منه الكثير من الجهد ولعل أبرز المشاكل التي واجهته في مستهل عهده ثورات اليعاربة ضده بسبب فقدانهم الحكم ثم تمرد بعض القبائل في منطقة الظاهرة إلا أن أحمد بن سعيد استخدم أسلوب القوة حيناً واللين في كثير من الأحيان كما عمد إلى أسلوب المصاهرة بهدف التقرب مع القبائل المناوئة له ومن ذلك زواجه من أرملة سيف بن سلطان^(١٨). ومصاهرته لشيوخ بني الهلالي الذين توثقت علاقته بهم منذ أن كان والياً على صحار، كما عني بتوثيق علاقات الجوار مع القبائل العربية القاطنة في جنوب فارس ومنطقة عربستان وتحالف مع قبائل بني كعب عند شط العرب ونهر القارون

وتوطدت علاقاته مع قبائل بني معن القاطنة بالغرب من بندر عباس مما حال محاولات كريم خان الزندي السيطرة على تلك المناطق.

وامتدت علاقاته الى الهند حيث ساعد شاه علم اميرطور المغول في الهند وعاونه في حربه ضد القراصنة الذين كانوا يعوقون التجارة بين مانجالور في ساحل الهند الغربية وبين مسقط وتوجت هذه العلاقة بإبرام معاهدة ١٧٦٦ التي نص فيها على استمرار علاقات الصداقة وإنشاء دار في مسقط لمبعوث الحاكم المغولي الذي أصبح يعرف ببيت نواب^(١٩).

ويمكن القول أن البلاد شهدت لأول مرة بعد أكثر من عشرين عاما نوعا من السلطة المركزية بعد أن تمكن من توحيد القبائل المتناحرة وبادر باتخاذ الاجراءات الكفيلة بترسيخ قواعد الدولة الحديثة، حيث قام باعداد قوات مسلحة تتناسب والتحديات التي تفرضها مكانة عمان ثم قيامه بتحديث الأنشطة الاقتصادية وامتلك اسطولا حربيًا وتجاريا وفي عهده أصبحت مسقط من أهم المدن التجارية في الخليج العربي وغذا مينائها من أهم الموانئ التجارية الذي ترتاده السفن الأوروبية^(٢٠).

لقد وصلت عمان في عهد الامام احمد بن سعيد درجة من الرقي والتقدم جعلت التقارير الهولندية والانجليزية تعترف بالسيادة العمانية على كثير من شواطئ الخليج العربي والمحيط الهندي وأعترفت بفطنة وذكاء احمد بن سعيد الذي استمال اليه أبناء وطنه واتسم بالتسامح في تعامله مع الأجانب وامتد نفوذه الى شرق افريقيا، ويعترف ريسو Rissو أن عمان هي الدولة الوحيدة التي استفادت من انحدار تجارة بندر عباس وتدهور أوضاع الأوروبيين في الخليج خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر^(٢١).

ويشير تقرير هولندي صدر عام ١٧٤٩م الى ان احمد بن سعيد قد توطدت علاقاته بكل الشيوخ العرب القاطنين على السواحل الفارسية وقد تحالف هؤلاء الشيوخ الذين كانت لديهم امكانات عسكرية هائلة مع احمد بن سعيد^(٢٢).

وهكذا استطاع احمد بن سعيد أن ينقل الحرب الفارسية العمانية الى الأرض الفارسية مما أعاق حركة التجارة الفارسية وخصوصا في بندر عباس التي أخذ الهولنديون يتطلعون الى مغادرتها نهائيا.

على أية حال، وعلى الرغم من تصارع القوى الأوروبية في الخليج فإن احمد بن سعيد راح يتطلع الى تحقيق المصالح العمانية بما لا يتعارض مع التنافس الدولي في الخليج.

ونستطيع أن نقول انه اذا كانت دولة اليعاربة قد وصفت بأنها (دولة بحرية حربية) فمن المناسب وصف دولة اليوسعيد بأنها (دولة بحرية تجارية).

واذا كان احمد بن سعيد قد نجح في طرد الفرس من عمان فانه نجح أيضا في التغلب على المشاكل الناجمة عن الحرب الأهلية العمانية وتحقق له الولاء من جانب العمانيين الذين أجمعوا على مبايعته اماما تقديرا للدور الذي لعبه في تحرير عمان.

ولعل أوضاع عمان عند ظهور احمد بن سعيد تشبه الى حد كبير أوضاع عمان عند قيام دولة اليعاربة فيبينما تصدى ناصر بن مرشد لاتصار التجزئة في الوقت الذي كان يخوض فيه حربا ضارية على السواحل العمانية ضد البرتغاليين كذلك فعل احمد ابن سعيد في بداية عهده ففي الوقت الذي أخذ يتصدى فيه لبعض القبائل التي رفعت

راية العصيان كان يخوض حرباً ضارية ضد المعتدين الفرس، وكلما تحقق الانتصار على الجبهة الداخلية كلما انعكس ذلك ايجابيا على الصراع العماني الفارسي. ويجرد أن فرغ أحمد بن سعيد من تحرير بلاده بادر على الفور باتخاذ العديد من الاجراءات التي من شأنها أن تكفل ترسيخ قواعد الدولة في عمان، من ذلك قيامه باعداد قوات مسلحة واتجاهه نحو تعيين بعض الموظفين المدنيين للعمل على تحديث الأنشطة الاقتصادية في الدولة^(٢٣).

وتجمع المصادر العربية والأوروبية على أن الثمانين عاماً الأولى من حكم البوسعيديين تتميز بالازدهار الشديد وهناك عوامل عديدة ساعدت العمانيين على الأفراد بدور رائد تأتي في مقدمتها المهارة والخبرة الملاحية والتجارية حيث اكتسب العمانيون رصيدا ضخما من التجربة تعد محصلة للأحداث التاريخية والموقع الجغرافي والتراث العماني، ثم الاستقرار الذي شهدته عمان وتمتع به الموانئ العمانية في الوقت الذي سادت فيه الفوضى وعم الاضطراب اغلب موانئ الخليج، ثم تأتي شخصية احمد بن سعيد الذي تميز بدرجة كبيرة من الانضباط والحسم والقدرة على اتخاذ القرارات المناسبة، إضافة الى احترام القوى الأوروبية له وثقتها في سياسته التي جذبت الأجانب وحفزتهم على انشاء وكالات تجارية لهم في المدن العمانية وخصوصا مسقط التي أصبحت سنة ١٧٩٠ م من أهم المدن الآسيوية وفقا لتقرير أعدته شركة الهند الشرقية الانجليزية ويقدم التقرير دليلا موثقا على ان مسقط تمارس نشاطا تجاريا يفوق حجم التجارة في كل المدن الخليجية الاخرى^(٢٤).

العلاقات الخارجية للدولة البوسعيدية :

العلاقات بشرق افريقيا :

لم تكن السنوات الأولى لحكم الامام احمد بن سعيد سهلة، بسبب فترة الاضطراب وعدم الاستقرار التي شهدتها عمان نتيجة للصراعات الداخلية كما أسلفنا. الا ان الامام احمد بن سعيد وجد نفسه أمام تحديات خارجية لا يمكن تجاهلها، ومن ذلك رغبة بعض الولاة التابعين لدولة اليعاربة في استغلال سقوط الدولة للإعلان عن انفصالهم التام وتكوين دولة تابعة لهم.. وهذا هو حال محمد بن عثمان المزروعى الذي أعلن استقلاله عن الدولة العمانية، متعللا في ذلك بأن مذبذبة التي كانت تخضع لنفوذه بقيت على ولائها لدولة اليعاربة حتى سقطت ولا يعني ذلك أن تستمر تبعيتها لعمان حتى بعد سقوط أسرتها الحاكمة.. زد على ذلك فإن المزروعى كان يرى بأن مؤسسة الدولة الجديدة قد وصل الى الحكم بمجهود وطموح شخصي^(٢٥) بمعنى آخر اذا كان والي صحار قد استطاع بمجهود وقوة ارادته أن يفرض نفوذه على عمان فما الذي يمنح المزروعى والي اليعاربة من أن يضع ممبسة تحت دائرة نفوذه^(٢٦).

ولم يكن احمد بن سعيد في وضع يسمح له بتجاهل هذا التحدي الخطير لسلطته من جانب والي مغفور كالمزروعى، خصوصا وان الامام احمد الذي ينحدر من أسرة تقدر قيمة العمل التجاري، كان يدرك بأن استمرار سيطرته على شرق افريقيا من شأنه أن يعطي لعمان مكانة تجارية مميزة، هو أحوج ما يكون لها من أجل توطيد حكمه على البلاد.

وعلى ضوء ما قام به المزروعى من تمرد وشروعه في وقف ارسال الزكاة

والخراج إلى امام عمان الجديد، ومن واقع قنائة أحمد بن سعيد بصعوبة القيام بعمل عسكري ضد شرق أفريقيا في تلك الظروف، فقد قرر الامام أحمد اللجوء إلى العقل والكياسة كي يضع نهاية لهذا التمرد ويمنع انفصال مباحسة عن دائرة نفوذه.. فقام الامام أحمد بأرسال ستة من اتباعه المقربين برئاسة سيف بن خلف إلى مباحسة، حيث قدموا أنفسهم إلى المزروعي - بكل ما أوتوا من دهاء وثقة في النفس على أنهم خارجون على الامام وقالوا له ضمن ما قالوا (لقد تمردنا على الإمام وجئنا اليكم، وإننا نود الانضمام إلى جانبكم وأن نفعل ما تشاؤون، ويكون قدركم قدرنا) (٢٧) وبعد أن اقتنعوا باطمئنان المزروعي لهم، طلبوا منه السماح لهم بالذهاب إلى كلوة وبيضا لجمع الاتباع والمناصرين للهدف المشترك، وهو الاستقلال عن الامام أحمد بن سعيد، وقبل الموعد المحدد للرحيل بيوم واحد توجهوا لزيارته بهدف التوديع حيث قابلهم في قلعته، فاستغل سيف بن خلف الفرصة وقتل المزروعي وحاشيته الموجودة في القلعة (٢٨).

وعلى الرغم من هذا النجاح الذي حققه رجال الإمام أحمد في بسط نفوذ الدولة الجديدة على مباحسة، إلا أن سيطرة البوسعيدين على هذا الجزء من شرق أفريقيا لم تدم طويلا.. فسرعان ما تمكن علي بن عثمان المزروعي من الانتقام لأخيه عندما نجح في اغتيال والي الإمام على مباحسة سيف بن خلف (٢٩)، وبنتائج علي في استعادة حكم المزروعيين على مباحسة انفرد المزارع بحكم هذه المدينة الأفريقية التي قادت حركة التمرد ضد الدولة البوسعيدية في الساحل الأفريقي.. أما عن باقي المدن في شرق أفريقيا، فقد بقيت بعيدة عن سيطرة الامام أحمد بن سعيد فيما عدا زنجبار التي عين عبدالله بن حمد البوسعيدي واليا عليها (٣٠). وإذا كان الامام أحمد بن سعيد قد صادف نجاحا محدودا في شرق أفريقيا، فإنه صادف نجاحا كبيرا في التصدي لأطماع الفرس.

العلاقات بفارس :

اتسمت العلاقات العمانية الفارسية آنذاك بالتنافس من أجل الحصول على السيادة البحرية، فمن المعروف أن فارس قد سعت ومن خلال فترات مختلفة من تاريخها نحو تحجيم القوة البحرية العمانية، وقد حاولت فارس اضعاف البحرية العمانية تارة بالاعتماد على نفسها ومرات عديدة بالاعتماد على القوى الأوروبية (٣١)، فبعد حصول فارس على مساعدات عسكرية من شركة الهند الشرقية البريطانية، التجأت إلى فرنسا أبان حكم لويس الرابع عشر طلبا للمساعدة في هذا المجال... وقد تمخضت الاتصالات الفارسية بفرنسا عن توقيع معاهدة فارسية - فرنسية، كان أحد نصوصها السرية يقضي بمساعدة الفرنسيين للأسطول الفارسي لتمكينه من احتلال مسقط (٣٢). وبالرغم من عدم وضع هذه الاتفاقية موضع التنفيذ، إلا أن فارس لم تتوقف عن تقديم الأغراءات التي وصلت إلى درجة موافقتها على منح مسقط بكافة تحصيناتها إلى الحكومة الفرنسية، والتزمت أيضا ببذل أقصى ما في وسعها لطراد الدول الأخرى المنافسة لفرنسا في سيطرتها على طريق الهند (٣٣). كما نصت الاتفاقية على إعفاء الواردات والصادرات من فرنسا واليهما من الرسوم الجمركية ووضع حوافز واسعة لتشجيع التجارة الفرنسية مع فارس.. وقد تم التصديق على هذه الاتفاقية في عام ١١٣٤هـ / ١٧٢١م (٣٤)، ولكن تطور الموقف في

فارس حال دون استعادة فرنسا من هذه المعاهدة حيث تزامن توقيع هذه الاتفاقية مع تعرض فارس لغزو مسلح من قبل الأفغان^(٣٥)، مما ترتب عليه ضعفها في مياه الخليج والمحيط الهندي.

وقد حاول نادر شاه بعد أن حرر بلاده من الأفغان، تدعيم مركز فارس في الخليج العربي، مستفيداً من شك من حالة التمزق التي كانت تعيشها القوة الأولى في منطقة الخليج العربي ألا وهي عمان... كما أن المساعدات التي قدمتها الدول الأوروبية كإنجلترا وهولندا لنادر شاه أسهمت دون شك في بناء أسطول فارسي قوي على أحدث طراز.

ولقد واجه الأسطول الفارسي في عهد نادر شاه مشاكل عديدة منها اعتماده بالدرجة الأولى على المساعدات الأجنبية في بنائه، وكذلك افتقاره الى وجود الخبرات المحلية المتمرس في فنون الملاحة مما دفع بقادة الفرس الى الاستعانة بالبحارة العرب لقيادة هذا الأسطول، إلا أن كثيرين من المؤرخين يجمعون على أن نادر شاه استطاع مواجهة تلك الصعوبات نتيجة لاصراره على بناء أسطول حديث يخدم أهداف سياسته الخارجية، ولهذا فقد ارتبطت قوة الأسطول الفارسي بحياة نادر شاه الى حد بعيد. وقد تزامن اغتيال نادر شاه في عام ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م بمرور شخصية الامام احمد بن سعيد الذي تطلع منذ بداية حكمه الى تدعيم دور عمان في منطقة الخليج العربي، ولذلك اصطلحت سياسة الامام احمد في المنطقة بسياسة كريم خان زند الذي خلف نادر شاه على عرش فارس، حيث حاول هذا الأخير بعد أن نجح في توطيد حكمه في الداخل، السير على مناهج سلفه نادر شاه التوسعي في منطقة الخليج العربي.

ومن هذا المنطلق بعث كريم خان برسالة الى الامام أحمد طالباً منه دفع الجزية السنوية، متعللاً بما يدعيه بتبعية عمان الى فارس، ولكن الامام احمد بن سعيد رفض المطالب الفارسية بأسلوب رجال السياسة المتمرسين الذين يعرفون كيفية مخاطبة التطلعات الاستعمارية، فنجدته يعلن بأسلوب ملؤه الاصرار والثقة بالنفس بأن بلاده ترفض المطالب الفارسية جملاً وتفصيلاً، وضمن ذلك في خطاب ذي لهجة قوية أرسله الى كريم خان زند، جاء فيه بأن دولة عمان لا تدفع الجزية لأحد، مشيراً الى انه اذا ما أصر كريم خان على مطالبه فإن عليه ان ينتزعها بالقوة^(٣٦).

ولم يكتفِ الإمام أحمد برفض الطلب الفارسي بخطاب شديد اللمجة، بل شرع في التخطيط لاستخدام القوة التي قد يلجأ اليها عدوه، وذلك عن طريق عقد التحالفات مع خصوم الفرس وخاصة الأتراك^(٣٧)، وذلك بهدف ضرب قوة كريم خان الزندي، وقد لعب الإمام دوراً فعالاً في افشال الحصار الذي ضربه كريم خان الزندي على البصرة^(٣٨)، وعلى ضوء ذلك قرر السلطان العثماني مصطفى الثالث صرف مكافأة سنوية للإمام أحمد، تدفع له من خزانة البصرة^(٣٩)، تقديراً من السلطان لموقف الإمام الشجاع. وبسبب ضعف منافسي الإمام في منطقة الخليج العربي وموت كريم خان الزندي، استطاع الإمام أحمد بن سعيد استعادة مركز عمان القوي في منطقة الخليج العربي وإحياء أهمية مسقط التجارية في المنطقة، وقد دفعت هذه التطورات الجديدة بالقوى الأوروبية الى بذل جهود محمومة من أجل كسب مسقط.

العلاقات بالقوى الأوروبية :

كان الصراع الدولي ولا يزال صراعاً من أجل الحصول على مناطق النفوذ

والامتيازات، ولذلك لا غرابة من احتدام صراع الدول الكبرى آنذاك (بريطانيا العظمى وفرنسا) حول عمان ذات الموقع الاستراتيجي المتميز، من أجل ضمها الى مناطق نفوذها. ولقد فطن الامام احمد بن سعيد الى هذه التطلعات الاستعمارية الأوروبية، فرسم سياسة خارجية لعمان مرتكزة بالدرجة الأولى على مبدأ الحياد، وقد كتب لهذه السياسة كل النجاح عندما كانت العلاقات الفرنسية البريطانية تتميز بالاستقرار، ولكن هذا الحياد تعرض لبعض الهزات، خاصة عندما نشبت حرب السنوات السبع (١١٧٠ - ١١٧٧ هـ / ١٧٥٦ - ١٧٦٣ م) بين البلدين، ففي هذه الفترة بدأت سفن البلدين تطارد كل منهما الأخرى بالقرب من المياه العمانية.

وقد ظهرت أولى بوادر الاحراج لعمان عام ١١٧٥ هـ / ١٧٦١ م عندما حاول الكونت ديستان الانتقام من الانجليز بمحاولة الاضرار بتجارهم في الخليج، حيث تجاهل الكونت ديستان القوانين العمانية وحاول ملاحقة إحدى السفن البريطانية داخل المياه الإقليمية العمانية، مما اضطر الوالي خلفان بن محمد الى اطلاق النار على الباخرة بولوني التابعة للفرنسيين واجبارها على الابتعاد، وذلك في محاولة منه لحماية الباخرة البريطانية^(٤٠).

وبالرغم من تكرار حالات الاحراج للعمانيين الذين اضطروا الى اطلاق الرصاص على السفن الفرنسية خلال عدة مناسبات، الا ان هذا التصرف العماني لا يعكس باي حال من الاحوال ترجيح عمان للكلفة البريطانية بقدر ما يعكس رغبة في الحفاظ على حيادها وسيادتها، خصوصا وان السفن البريطانية كانت عادة ما تكون داخل المياه الإقليمية لعمان... صحيح ان البريطانيين كانوا قد دعموا مركزهم في منطقة الخليج العربي عقب خروج البرتغاليين والهولنديين وكسبوا أيضا ثقة بعض القوى المحلية، لكن الامام احمد كما يبدو، وعلى الرغم من ادراكه للموقف البريطاني الخاص في المنطقة، كان مؤمنا بأهمية الصداقة مع فرنسا، حيث وردت في إحدى رسائل الامام الى الفرنسيين بعد هذه الحوادث المجرجة، العبارة الودية التالية: «انني صديق للفرنسيين»^(٤١).

والجدير بالذكر ان الإمام احمد بن سعيد كان أول من بدأ التعامل التجاري مع جزيرة موريشيوس الخاضعة لفرنسا وبعض المستعمرات الفرنسية الأخرى^(٤٢).

حيث كانت السفن تأتي محملة بالسكر وتعود وهي محملة بالسماك والملح والبن. ونتيجة لتطور العلاقات التجارية^(٤٣) بين عمان والمستعمرات الفرنسية في المحيط الهندي في تلك الفترة، فقد أبدى الامام احمد بن سعيد رغبته في أن ينشئ الفرنسيون لهم وكالة خاصة في ميناء مسقط دون مقابل، وقد أكد الإمام هذه الرغبة لأحد المسؤولين الفرنسيين قائلا ان بلادي هي بلادكم وصداقتنا باقية كما كانت بل انها أقوى مما كانت عليه في أي وقت مضى^(٤٤) وعندما زار هذا المسؤول مسقط حظي باستقبال حافل فيها، مما دفعه الى حث حكومته في التقرير الذي رفعه لتعزيز علاقاتها بمسقط^(٤٥). ويبدو أن حكومة فرنسا لم تكن متحمسة لاقامة وكالة تجارية في مسقط وقتئذ، لكنها وتحت اصرار القنصل الفرنسي في بغداد، وكذلك حاكم موريشيوس، قررت انشاء قنصليتين احدهما في البصرة والأخرى في مسقط، وقد جاء في الكتاب الذي بعث به وزير الخارجية الفرنسي الى قنصل فرنسا في بغداد الآتي: «ان رغبة إمام عمان في اعتماد وكيل لديه، وملاحظتك عن الفوائد التي ستعود على

رعايا صاحب الجلالة في الملاحة والتجارة، وعن تسهيل الاتصال بالهند، كل ذلك جعلنا نقرر اقامة وكالة في مسقط^(٤٦)، لكن الأوضاع التي عاشتها فرنسا قبيل اثناء الثورة حالت دون انشاء تلك الوكالة في مسقط^(٤٧).

وهكذا نرى ان سياسة الحياد التي دفع بها الإمام أحمد بن سعيد، والتي سمح بموجبها لسفن الدول الكبرى بزيارة موانئ عمان والمتاجرة معها، أسهمت في تعزيز مكانة عمان التجارية التي انعكست دون شك على الوضع الاقتصادي للبلاد. وقد تعززت مكانتها أكثر بعد أن قدمت العون الفوري الى البصرة لانقاذها من السيطرة الفارسية.

وإذا كانت الإشارة قد سلفت الى هذه الناحية، الا انها اشارة سريعة وتحتاج الى شرح وتفصيل كبيرين، للوقوف على فضل عمان وقتذاك في الابقاء على الصفة العربية لهذا الجزء من أرض العرب.

القوى الرئيسية في الخليج العربي إبان النصف الثاني من القرن الثامن عشر:

احتلت البصرة ولعمان مكانة سياسية وتجارية مهمة في الخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وذلك مقارنة بالمكانة السياسية والتجارية المتدهورة التي حلت بفارس وموانئها منذ وفاة نادر شاه عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م. وعندما تسلم كريم خان الزندي العرش الفارسي (١١٦٣ - ١١٩٣هـ / ١٧٥٠ - ١٧٧٩م)، حاول استعادة ما فقدته فارس من استقرار سياسي وتجاري، الا انه وجد أن ذلك لا يمكن تحقيقه الا بالتضييق على البصرة وعمان، اللتين شهدتا حالة كبيرة من الاستقرار السياسي والتجاري في الخليج العربي على حساب الموانئ الفارسية. ووفقا لذلك فإن سياسة كريم خان مع هاتين القوتين - البصرة وعمان - قد بنيت على هذا الاعتبار، واعتبارات أخرى كثيرة، سنحاول تناولها من خلال لقاء الضوء على الامكانات السياسية والعسكرية والاقتصادية، (التجارية) التي كانت عليها هذه القوى الثلاث: البصرة وعُمان وفارس.

١ - البصرة:

حكم ولاية البصرة منذ منتصف القرن الثامن عشر، كما هو الشأن في بغداد، ولاية ممالك كان لهم بعض النفوذ المحلي، ولم يستطع الباب العالي، حتى لو أراد ذلك، أن يستغني عن خدماتهم. ذلك لأن الولاة الذين كان يعينهم الباب العالي، كما يقول أوليفيه: «كانوا لا يجسرون على المثل الى بغداد، أو كانوا يقتلون وهم في الطريق، أو كانوا يكرهون على الاتسحاب بعد زمن قليل من تسلم الولاية. ولم تقلح محاولة الاطاحة بهؤلاء الممالك، لأن الذين أرسلهم السلطان لهذا الغرض فقدوا حياتهم، أو لم يتمكنوا من اتمام مهمتهم اطلاقاً»^(٤٨).

ولذلك كانت ولايتا بغداد والبصرة تحكمان بصورة شبه مستقلة عن بعضهما البعض، إلا أن التهديدات التي تعرضت لها هاتان الولايتان أيام نادر شاه، جعل ولاية بغداد يفكرون في دمجها وجعلها تحت ادارة حكومة بغداد، وهذا ما فعله أحمد باشا وخلفاؤه منذ عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م. اذ أصبحت بغداد والبصرة ولاية واحدة مركزها بغداد، على حين حكمت البصرة من قبل متسلمين (نواب الوالي)، يتم تعيينهم

من قبل والي بغداد نفسه. وقد تتابع على البصرة عدد من هؤلاء المتسلمين، إلا أن أبرزهم كان سليمان آغا. وعلى الرغم من استبداله بمتسلمين آخرين لفترة محدودة انتهت عام ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م، إلا أنه هو الذي عاصر غزو كريم خان للبصرة عام (١١٨٩ - ١١٩٠ هـ / ١٧٧٥ - ١٧٧٦ م)، وقد أبدى شجاعة فائقة في الدفاع عنها. وكانت ولاية بغداد والبصرة في تلك الفترة تعد ثاني قوة في الخليج العربي، ولا تفوقها حجما وقوة إلا فارس، ذلك لأن بإمكان والي بغداد أن يجند بسهولة جيشا مكونا من أربعين ألفا إلى خمسين ألف مقاتل، وأن يمولهم بموارد الولاية ذاتها. فإلى جانب القوات النظامية بمختلف أنواعها وصنوفها، فقد كانت هناك القبائل العربية المنتشرة في الولاية، تجهزه وقت الحاجة بعشرة آلاف إلى اثني عشر ألف فارس. ولأجل أن يتم ذلك ينبغي أن تكون كل القبائل في حالة سلام مع والي، وأن يكون عنده المال الكافي لكي يدفع لهم بسخاء وانتظام^(٤٩).

وينطبق هذا الأمر بالنسبة للمتسلم البصرة الذي لم يكن بمقدوره الدفاع عن المدينة دون أن يستمد العون من القبائل العربية النازلة في أطراف المدينة، والتي كان من أشهرها قبيلة المنتفق، ولذلك كان هو الآخر يشد ود هذه القبيلة وصداقتها^(٥٠). غير أنه من المدهش حقا أن نرى ولاية بغداد والبصرة الأقوياء، الذين نجحوا في دحر عمليات الغزو الفارسي على أطراف حدودهم الشرقية المرة تلو الأخرى، تنقصهم القوة البحرية الكافية في البصرة، وهذا ما جعل دورهم محدودا في التأثير في أحداث الخليج العربي وشؤونه.

ذلك أن أسطول البصرة كان مكونا من خمسين زورقا أو قوارب حربية صغيرة، غير أن هذه القوة البحرية لم تكن قادرة إلا على حماية الملاحه في شط العرب ونهرى دجلة والفرات، ولم توفر الحماية البحرية اللازمة للبصرة عندما أصبحت القوارب الفارسية على مشارف المدينة^(٥١).

ومع ذلك فقد كانت البصرة مركزا تجاريا مهما، بل إنها كانت تعد واحدة من أهم مراكز التجارة في الشرق. فإليها كانت تصل البضائع الهندية، ومنها كانت ترسل هذه البضائع إلى فارس والجزيرة العربية والامبراطورية العثمانية وأوروبا. وفي الوقت ذاته، فقد كانت البصرة مركزا مهما لجمع كميات كبيرة من السلع وإعادة تصديرها إلى الهند^(٥٢)، والأهم من ذلك كله، فقد كانت هناك علاقة تجارية نشيطة بين البصرة والموانئ العمانية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وهذا ما جعل كريم خان يظن بأن السيطرة على البصرة ستساعده على إخضاع التجارة العمانية، وبالتالي إخضاع عمان كلها له^(٥٣).

٢ - عُمان :

كانت القوة الأخرى ذات الوزن في الخليج العربي إلى جانب العراق وفارس تتمثل في عمان، التي كانت قد تخلصت منذ منتصف القرن الثامن عشر من وطأة الغزو الفارسي لها.

وقد تمخض هذا الغزو وكما سبق القول عن ظهور زعيم جديد للبلاد، قام ليسترد لها استقلالها وسيادتها وما ضاع من نفوذها في الخليج العربي، وليعمل على تحقيق الوحدة الوطنية. وكان هذا الزعيم هو الامام أحمد بن سعيد (١١٥٧ - ١١٩٨ هـ / ١٧٤٤ - ١٧٨٣ م)، الذي لمع اسمه في صحار، فتصدى للغزو الفارسي، وأرغم



الفرس على الانسحاب من عمان عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م، فكوّن على عمله هذا بانتخابه اماما للبلاد، فكانت امامته بداية لحكم البوسعيديين الذين ما يزالون يحكمون عمان حتى الآن.

وكما سبقت الاشارة فقد توجدت عمان مرة ثانية تحت حكمه، واتخذ من الرسّاق عاصمة له، وسيطر على جميع المدن العمانية، وقام بنفسه بتعيين حكام لها، وحكم بيد قوية فاستطاع تحقيق الوحدة الوطنية. وعلى ذلك حاز الامام احمد باحترام رعاياه وتقديرهم، وقد خلف وراءه شهرة وصيتا ذائعين، وكان اهل صحار - بوجه خاص - مخلصين اشد الاخلاص لحاكمهم القديم، ان طالما قدموا له العون ووقفوا الى جانبه في مختلف الازمات التي واجهها بعد تولي الإمامة^(٥٤).

وما أن تم للإمام احمد بن سعيد توطيد دعائم الوحدة الوطنية، حتى حاول استعادة نفوذ عمان في الخليج العربي، فامتدت دائرته نفوذه شمالا وجنوبا وشرقا. ففي الشمال أصبح نفوذ إمام عمان يمتد على طول الخليج العربي الى حدود ثلاثمائة

ميل، وفي الجنوب امتد هذا النفوذ حتى مضيق باب المندب^(٥٥)، وفي الشرق أصبح للإمام نفوذ على الساحل الشرقي للخليج العربي^(٥٦).

وكان الفرس، على أيام كريم خان، يتابعون أعمال الإمام أحمد بغيرة وحسد، وخاصة تلك الأعمال التي زادت من نفوذه ومركزه في داخل بلاده وفي الخليج العربي. ولم يدعوا فرصة إلا ونفذوها في مضايقته ومعارضته، وقد جر هذا الأمر إلى قيام نزاع مباشر بين الإمام وكريم خان، كما سنرى.

ومع انه لا تتوافر لدينا احصائيات دقيقة عن عدد قوات الإمام أحمد بن سعيد البرية، وإن أكثر ما وردنا عنها هو من باب التخمين لا التحديد، كما أكد ذلك ابن رزقي، فعندما سأل والده محمدا عن عدد الجنود في عهد الامام أحمد أجابه بقوله إن «عدددهم كثير لا يحصى»^(٥٧)، ومهما كانت عمومية هذه التقديرات لجيوش الامام البرية، إلا انها كانت تقدر بالآلاف، وهذا ما يمكن استنتاجه من التقديرات اللاحقة التي أوردها الرحالة الايطالي فينزنزو، حيث أشار الى أن بإمكان اثمة عمان، ومن بينهم السيد سعيد، أن يجندوا ما بين ١٥ إلى ٢٠ ألفا من المشاة والى حوالي الالف من الفرسان^(٥٨). وعلى أية حال، فقد كان هؤلاء الجنود، كما أشار نيبور في أثناء زيارته لمسقط عام ١١٧٩ هـ/ ١٧٦٥ م، مسلحين بالبنادق وبالسيف والبلطات، وهم يتسلمون رواتب ثابتة من الامام^(٥٩).

على أن قوات الامام البحرية كانت أساسا لشهرته وسمعه في منطقة الخليج العربي، بل انها جعلت أعداءه، يترثون في الإقدام على أي خطوة معادية له.

ومما هو جدير بالملاحظة، أن قوة الإمام البحرية، التي كانت مؤلفة من عدد كبير من السفن الكبيرة والصغيرة، كانت تستخدم في أوقات السلم للتجارة، على حين كانت السفن الكبيرة تخصص للنقل في أوقات الحروب، ومما زاد في توسع القوة البحرية، أن التجار العمانيين كانوا يساهمون في نفقات بنائها وتسليحها، لأن الإيرادات الاعتيادية لم تكن لتسد مثل هذه النفقات الاضافية الباهظة^(٦٠).

وعلى ذلك، أصبحت قوة الامام البحرية - كما يقول لوريمر - تضارع كل القوى البحرية لسائر موانئ الخليج العربي مجتمعة^(٦١). ويمكن أن ندلل على قوة الاسطول العماني بالزيادة الكبيرة التي أصبح عليها ذلك الاسطول عندما زار بارسنوتز مسقط عام ١٧٧٥ حيث قال: «وكانت القوة الضاربة في الاسطول لا تقل عن أربع وثلاثين سفينة كبيرة، وأعداد كثيرة من السفن الصغيرة»^(٦٢).

ومنذ منتصف القرن الثامن عشر، ازدادت النشاطات الاقتصادية لعمان، وبالذات التجارية منها، حيث أصبحت مسقط واحدة من المراكز المهمة في الخليج العربي. وتعود هذه النشاطات الى ثلاثة عوامل:

١ - ضخامة حجم الاسطول التجاري العماني، الذي تزايدت أعداده ما بين عامي ١١٧٩، ١١٨٩ هـ/ ١٧٦٥، ١٧٧٥ م، حتى ان بارسنوتز قد أعجب بهذا الاسطول وسجل الملاحظة الآتية: «مسقط مدينة تجارية مهمة جدا وفيها عدد كبير من المراكب تتاجر مع سورات وبومباي وجوا، على امتداد ساحل الملبار، ومع مخا وجدة في البحر الأحمر»^(٦٣).

٢ - تشجيع الامام أحمد بن سعيد رعاياه على الاتجار مع كثير من الدول الأخرى، وهذا ما أدى الى زيادة اتصالاتهم التجارية بموانئ الخليج العربي من جهة،

وبالموانئ الهندية أو تلك التي تقع في البحر الأحمر وشرق أفريقيا من جهة أخرى^(٨٤).

٣ - ازدياد مكانة مسقط التجارية على حساب الموانئ الأخرى في الخليج، مما جعل هذه المدينة تحتل مركز الصدارة في جميع السلع والبضائع الهندية وتصديرها. ولذلك ليس من المستغرب - كما يقول أحد الباحثين المتخصصين بتاريخ الخليج -: «أن ترد إلى مسقط حوالي نصف مجمل التجارة بين الهند والخليج العربي، ومن هناك كانت توزع إلى أماكنها المقصودة»^(٨٥).

لقد تضاعفت عوامل أخرى كان لها أبلغ الأثر في ازدياد أهمية مسقط. فقد وجد التجار الأمن والحماية لبضائعهم في ميناء مسقط، حتى أن الرحالة الانجليزي بارسونز قد أعرب عن دهشته لما شاهده في هذا الميناء من بضائع كثيرة دون أن يفسها الخطر حيث قال:

«أن هناك في الوقت الحاضر - عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م - كميات هائلة من السلع والبضائع المكسدة على الطرق من غير رقابة أو حراسة عليها. إذ لا تستوعب المخازن نصف البضائع الموجودة، ومع ذلك لم نسمع عن حادثة سرقة أو سطو على هذه السلع أيا كان»^(٨٦).

كما تعد مسقط ميناء آمناً وملائماً للملاحة البحرية، ولذلك فإن معظم السفن، وبخاصة تلك التي تعود لشركة الهند الشرقية الانجليزية، كانت تتوقف في هذا الميناء لتتزوّد بالماء والمؤن، في أثناء رحلاتها ما بين الهند والبصرة^(٨٧). ويتضح تأكيد هذه الأهمية فيما أورده الرحالة الايطالي فينيززو، الذي قال: «فليس على سواحل الخليج العربي كله مكان غير مسقط يستطيع تزويد السفن بحاجتها من الماء والغذاء، وهما الأمران الضروريان للحياة وربما يعزى تفوقها التجاري الى قدرتها هذه»^(٨٨).

٣ - فارس :

كانت فارس أبرز القوى السياسية في الخليج العربي. وقد حكم هذه الدولة في هذه الفترة كريم خان الزند (١١٦٣ - ١١٩٣هـ / ١٧٥٠ - ١٧٧٩م)، مؤسس الأسرة الزندية، في جنوب فارس.

وكان كريم خان قد استفاد كثيراً من فترة القلاقل والاضطرابات الداخلية التي اجتاحت فارس بعد وفاة نادرشاه عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م، بسبب التنافس الشديد حول العرش، حيث تمكن من القضاء على منافسيه الواحد بعد الآخر، ومن ثم بسط نفوذه على البلاد جميعاً ما عدا بعض المناطق البعيدة النائية، متخذاً من شیراز عاصمة له^(٨٩).

وبعد استيلاء كريم خان على السلطة في فارس، اكتفى باتخاذ لقب وكيل (نائب الشاه)، ولكنه حكم بصورة مطلقة في حين حكم الشاه - اسماعيل الثالث - بصورة اسمية وكان محتجزاً لديه. وأمتاز عهده بنوع من الهدوء والاستقرار الداخلي قياساً بعهود من جاءوا قبله وبعده.

وعلى غرار نادرشاه فقد حاول احتلال العراق وعمان، وبهذا تكون سياسته الخارجية صورة معاكسة لسياسة نادرشاه العدوانية. غير أن مثل هذه السياسات لا يمكننا أن نعزوها الا الى رغبة الحكام الفرس في إبعاد الخطر الذي كانت تتعرض له

سلطتهم في الداخل من قبل القبائل صعبة المراس، بإشغالها بالغزو والحروب التي كانت تشن عبر الحدود^(٧٠).

. ولتحقيق مثل هذه السياسات كان على حكام فارس توفير قوة عسكرية كبيرة. غير أن مثل هذه القوة، وإن توافرت، فقد كانت تعتمد أساساً على القوات التي كانت تعدها القبائل من جهة، أو حكام الأقاليم من جهة أخرى. ويقدر بيبي عدد القوات البرية على أيام كريم خان بحوالي خمسة وأربعين ألف مقاتل. ولكن مثل هذا العدد لا يمثل إلا رقماً نظرياً، ذلك لأن القوات القبلية أو المحلية التي كان يجري إعدادها وقت الحروب قد تفوق أو تقل عن هذا العدد^(٧١). ويمكن التذليل على ضخامة القوات التي كان بإمكان فارس إعدادها وقت الحرب، بأن كريم خان استطاع أن يعد جيشاً مؤلفاً من ثلاثين ألف مقاتل عند غزوه البصرة عام ١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م، وكانت قواته تقوم بعمليات حربية في شمال العراق في الوقت ذاته^(٧٢).

أما بالنسبة للقوة البحرية الفارسية أيام كريم خان، فلم تكن هذه القوة ذات شأن قياساً بما كانت عليه أيام نادرشاه ذلك لأن كريم خان لم يحاول إعادة تجربة نادرشاه في بناء أسطول فارسي في الخليج العربي، ولكنه حاول الاستعانة ببعض الأساطيل المحلية الموجودة في الشاطئ الشرقي للخليج العربي، أو بسفن شركة الهند الشرقية الانجليزية، وذلك عند محاولة القيام بعملية بحرية^(٧٣). وعلى ذلك فقد استطاع كريم خان تجهيز ثلاثين سفينة حربية محملة بالمدافع عند غزوه للبصرة، وكانت هذه المدافع تستطيع ضرب المدينة من الماء، لمساندة محاولات الجنود الذين يقاتلون في البر. فدخلت هذه السفن مياه شط العرب في شهري مارس (آذار) وأبريل (نيسان) من عام ١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م، ووصلت مقابل البصرة في ذات الوقت الذي وصلت فيه العساكر البرية^(٧٤)، في الوقت الذي وصل فيه امتعاض كريم خان من ازدياد قوة العراق وعمان إلى القمة.

ولم تكن التطورات السياسية في العراق وعمان سبباً وحيداً لامتعاض كريم خان وحقيقه. بل إن الانتعاش التجاري الذي حظيت به عمان والبصرة، على حساب الموانئ الأخرى في الخليج، كان سبباً آخر لا يقل أهمية عن نظيره السياسي. ففي الوقت الذي بدأت فيه الموانئ الفارسية تفقد مركزها السياسي في الخليج، بسبب الفوضى السياسية التي اجتاحت فارس بعد وفاة نادرشاه، أخذ وكلاء شركة الهند الشرقية الانجليزية في هذه البلاد، ينقلون مراكزهم من المدن الفارسية الواحدة تلو الأخرى إلى البصرة وعمان، بحيث نعم البلدان الأخيران بحالة نهوض تجاري كبير بفعل ما تمتع به من استقرار سياسي، وكان انتقال مركز النشاط التجاري في الخليج العربي من المدن الفارسية إلى المدن العراقية والعمانية أحد الأسباب المعروفة لسياسة كريم خان العدوانية.

سياسة كريم خان في الخليج العربي وأثرها في العلاقات العربية / الفارسية:

وقد أدت هذه السياسة إلى تدهور العلاقات العربية / الفارسية على أيام كريم خان هذا، وذلك لأن هذا الحاكم حاول أن ينفذ سياسة توسعية، ليس فقط ضد البلدان العربية في الساحل الغربي، بل خاصة عمان والبصرة، بل وضد القبائل والقوى العربية التي كانت تسيطر على الساحل الشرقي للخليج أيضاً.

سياسة كريم خان ازاء الساحل الشرقي للخليج العربي:

وقبل التحدث عن سياسة كريم خان ازاء الساحل الشرقي للخليج العربي، لابد من الإشارة الى ان هذه المنطقة كانت واقعة تحت حكم القبائل العربية، التي عرفت باتجاهها نحو البحر وركوبه. وكان أهم هذه القبائل التي ترسم الخريطة السياسية للجزء الجنوبي من بلاد فارس في العقد السابع من القرن الثامن عشر هي ثلاث قبائل، عرب بوشهر وحاكمهم آنذاك الشيخ نصر آل مذكور وهم من عرب المطاريش العمانيين، وعرب بندريق النازلون الى الشمال من بوشهر وهم ينتمون الى عرب زعاب في الساحل العماني، وكانوا يحكمون فضلا عن ذلك جزيرة خرج، الى جانب قبائل عربية أخرى في ميناء لنجة وجزيرة حيرى القريبة منه، ثم هناك عرب بنو كعب، ومركزهم الدورق^(٧٥).

وكانت هذه القبائل، ترتبط بعلاقة نسب مباشرة مع قبائل الساحل الغربي، ولذلك فكلما حاول الفرس اخضاعها لسلطتهم، انسحبت في مراكبها الى بعض الجزر المطلة على الساحل حيث تبقى هناك ريثما تسمح الظروف بعودتها الى المناطق التي جلت عنها. والأهم من ذلك، ان هذه القبائل، كما سنرى، ارتبطت بكثير من التحالفات مع عرب عمان أو القواسم ضد الحكم الفارسي، بخاصة عندما عمد كريم خان الى وضع نهاية لحكم امارات الساحل الشرقي للخليج العربي^(٧٦).

ومع ذلك فان حدود السيادة الفارسية على الساحل الشرقي من الخليج العربي لم تكن واضحة طوال القرن الثامن عشر. وعلى الرغم من محاولات نادرشاه في اخضاع قبائل المنطقة لسيادته الا انه لم يفلح في ذلك. وفي أواخر أيامه، كما يقول كيلى، فقد صمم على تجهيز سكان الساحل الشرقي إلى شواطئ بحر قزوين واستبدالههم بقبائل من تلك المنطقة، غير ان هذا المشروع لم ير النور بسبب وفاة نادرشاه^(٧٧).

ولقد حاول كريم خان، حاكم الأسرة الزندية، منذ عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م وحتى وفاته عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، وضع حد للاستقلال الذاتي الذي كانت عليه الامارات العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي. وعلى الرغم من تمكنه من اخضاع بعض المقاطعات - بما فيها بندر عباس وبوشهر لبعض الوقت، الا ان نجاحه هذا لم يستمر لعدم امتلاكه لاسطول بحري قوي يعزز تلك المحاولات. وعند وفاته في عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م انتفضت القبائل العربية الموجودة في الساحل الشرقي على حكم شيران، وظلت خلال العشرين عاما التي أعقبت ذلك ترفض الاعتراف بسلطة أي حاكم عليها فيما عدا سلطة شيوخها القبليين^(٧٨).

ومن الجدير بالذكر ان بعض امارات الساحل الشرقي ظلت تمارس حكمها بنفسها بعيدا عن النفوذ الفارسي حتى نهاية القرن التاسع عشر. من ذلك القبائل العربية التي حكمت بوشهر وظلت سيادتها قائمة حتى عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م، وقبائل القواسم في لنجة التي حكمت حتى عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م، حينما صدر قانون في بلاد فارس وضع فيه جميع موانئ الساحل الشرقي للخليج - ومن بينها لنجة - تحت الادارة الفارسية، منها بذلك حكم القواسم في هذه المنطقة^(٧٩).

غير أن ذلك لا يعني سوى وجه واحد من سياسات كريم خان تجاه الساحل الشرقي للخليج العربي، أما الوجه الآخر فهو سياسته البحرية ازاءها، فمن المعروف ان كريم خان لم يكن يمتلك قوة برية في الخليج العربي، كما هو الشأن بالنسبة

لنادرشاه. ولذلك حاول كريم خان الاستفادة من الخبرات البحرية لسكان الساحل الشرقي للخليج العربي، أو من أساطيلهم البحرية، غير أن هؤلاء حاولوا تأكيد زعامتهم في الخليج، مفضلين أياها على مساندة كريم خان^(٨٠). وعندما لم ينجح كريم خان في الحصول على ما يريد، فقد طلب مساعدة ممثلي شركة الهند الشرقية الانجليزية لتزويده بسفينة حربية أو اثنتين للحفاظ على الأمن في الخليج العربي، وذلك مقابل منح الشركة امتيازات تجارية في فارس، وفتح وكالة تجارية في بوشهر. وكانت هذه الخطوة تستهدف فرض السيطرة البحرية على الخليج العربي، على أن تعقبها خطوة أخرى لفرض السيادة الفارسية على القبائل العربية التي تقطن الساحل الشرقي للخليج ووضعها تحت إدارة فارسية مباشرة^(٨١)، واتجه بعد ذلك إلى تكريس جهده في محاولة منه لغزو عمان واحتلالها.

سياسة كريم خان إزاء عمان :

وكانت فارس قد أصابتها حالة من التفتك الداخلي عقب وفاة نادرشاه عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م شغلت خلفاه وخاصة كريم خان، الذي انصرف للعالجة مشاكل بلاده الخاصة، بحيث ساد نوع من الهدوء على العلاقات مع عمان. وحالما تمكن من تثبيت سلطته، جدد كريم خان سياسته تجاه أقطار الخليج العربي عامة، وعمان خاصة، وعمل على الاستفادة من السفن الحربية لشركة الهند الشرقية الانجليزية وغيرها، باعتبارها السبيل الوحيد للنيل من عمان، صاحبة أقوى بحرية آنذاك. غير أن كريم خان لم يبق بشيء جوهري ضد عمان حتى عام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م، وربما يعود الفضل في احجام كريم خان عن التعرض لعمان بعد تولي الامام أحمد بن سعيد إلى سمعة هذا الامام البحرية وضخامة موارده، أكثر من أي شيء آخر^(٨٢).

على أن المتابع لسياسة كريم خان يحد أنه قد كرس جهوده بين سنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م وحتى وفاته عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م لاختضاع عمان وغزوها مرات عدة، ففي سنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م طلب كريم خان من الامام أحمد إعادة باخرة ضخمة كان قد اشتراها أخيراً من حام هرمز، باعتبار ان الباخرة تابعة للفرس، ولكن الامام رفض ذلك^(٨٣). مما أدى إلى توتر العلاقات بين البلدين.

وكان السبب الرئيسي في توتر هذه العلاقات، هو ما قام به كريم خان من المطالبة بدفع اتاوة سنوية، وما كان للامام أحمد وهو نفسه محرر عمان من الغزو الفارسي أن يستجيب لمثل ذلك الطلب، وهذا ما تعكسه رسالته الجوابية لكريم خان. إذ قال ما معناه: ان السفينة المذكورة قد تم شرائها بصورة شرعية من الشيخ عبدالله حاكم هرمز، أما بقية الادعاء حول دفع عمان اتاوة سنوية لفارس، فهو غير مشروع، وبالتالي فإذا أصر كريم خان على طلبه هذا فلن تجيبه الا طلاقات المدافع والرصاص^(٨٤).

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت فارس وعمان في حالة توتر، فقد وقعت اشتباكات بحرية متفرقة بينهما، وحوادث اعتداء فارسية على السفن البحرية العمانية، وحتى على عمان نفسها. من ذلك ما قامت به قوة فارسية تقدر بسبعة آلاف جندي، من العبور إلى جزيرة لنجة، بقصد التعرض لعمان، وعندما علم الامام أحمد بها، يادر إلى حصار الفرس في الجزيرة، فأجبروا على الانسحاب عائدين إلى بلادهم^(٨٥). وفي هذا الوقت أيضاً، استولى الفرس على سفينتين محملتين بالبذن وغيره كانتا في طريقهما إلى

البصرة. وترتب على هذا العمل أن قام أسطول الإمام عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م بغارة على ميناء بوشهر مطالبا بدفع ترضية كافية تعويضا عن استيلاء الفرس على السفينتين العمانيتين، وقد عاد الأسطول بعدها الى مسقط^(٨٦).

وفي نهاية عام ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م تجمع أسطول فارسي، بما فيه السفينة الانجليزية المغتصبة (تايجر)، للعمل ضد الإمام. إلا أن كثيرا من رجال القبائل العربية الذين استدعاهم كريم خان تخلفوا عن الاشتراك في هذا العمل، لكونه موجها ضد الامام، مما أدى الى فشل الحملة البحرية الفارسية^(٨٧).

ويجدر بنا أن نعلم بأن سبب توتر العلاقات العمانية / الفارسية لا يعود إلى ما ذكرناه فحسب، ولكن إلى ما أحرزته عمان من نفوذ في كثير من المناطق والجزر الواقعة في الخليج العربي وسواحلها الشرقية مثل شميل، ومينات وقشم وهرمز. هذا فضلا عن تمكن عمان من عقد كثير من التحالفات مع القوى العربية في غربي الخليج العربي وشرقيه، وخاصة عندما تتعرض مصالح هذه القوى للخطر، وقد أدت هذه التحالفات الى اضعاف محاولات كريم خان للسيطرة على مناطق الخليج العربي أو غزو عمان^(٨٨).

ففي سنة ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م حدث تحالف بين الامام أحمد بن سعيد وشيخ القواسم، بهدف مواجهة تهديدات كريم خان للساحل الغربي من الخليج العربي، وفي هذا الصدد جرى تنسيق بين الشيخ راشد، حاكم رأس الخيمة والشيخ خلفان حاكم ميناء مسقط، وتمكن الطرفان من مهاجمة ميناء بندر عباس وتدمير سفينتين في الميناء، فضلا عن تحطيم مستودع عسكري للذخيرة كان الفرس قد شيدوه في ميناء لنجة^(٨٩).

كما حاول حكام عمان من البوسعيد تقوية صلاتهم مع القبائل العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي في مواجهة كريم خان وتهديداته، وبالأذات قبائل كعب العربية.. والثابت أن هذه القبيلة كانت قد وصلت أوج ازدهارها وقوتها أيام إمارة الشيخ سلمان بن سلطان (١١٥٠ - ١١٨١هـ / ١٧٣٧ - ١٧٦٧م). ولما كان نشوء هذه الإمارة ونموها قد تزامن مع الصراع الدائر بين الفرس والعمانيين حول المنطقة، ولأجل أن لا تخضع هذه الإمارة لنفوذ أي من الطرفين المتصارعين، فقد سعت لتحسين العلاقة مع الدولة العربية القوية في عمان في عهد الامام أحمد بن سعيد، وتقدمت بطلب المساعدة الفنية منها لبناء أسطولها الحربي وتعزيز قوتها العسكرية، بقصد المحافظة على استقلالها والوقوف بوجه الأطماع الأجنبية^(٩٠).

وقد لقي طلب الكعبيين الاستجابة السريعة من لدن إمام عمان، الذي كان يسعى جاهدا لاقامة التحالفات مع القوى العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي وغربيه، من أجل أن تكون صخرة صلبة أمام الأطماع الأجنبية.. وعلى ذلك فقد حصلت قبيلة كعب على خبرات عمان الفنية التي أدت دورها في تعزيز أسطول كعب وتقويته، بحيث أصبح واحدا من أهم الأساطيل الموجودة في الخليج العربي آنذاك^(٩١). لم ينس الكعبيون فضل العمانيين عليهم، وعلى ذلك يذكرنا لوريير في هذا الصدد، بأن كريم خان عندما حاول أن يعتدي على مسقط عام ١١٨٧ - ١١٨٨هـ / ١٧٧٣ - ١٧٧٤م، فإنه طلب مساعدة شيخ الكعبيين، إلا أن الأخير «خرق بعضا من سفنه، وعرضها بهذه الحالة على مندوبي الوكيل كبرهان على عدم قدرته على اطاعة

الأوامر^(٩٢)، ومن الواضح أن شيخ الكعبيين أراد الاعتذار عن تلبية طلبات كريم خان نظرا لأنها كانت موجهة ضد عمان، التي تربطه وإياها روابط كبيرة.

وعلى أية حال، فإن العلاقات الجيدة بين عمان وإمارات الساحل الشرقي للخليج العربي، وبخاصة كعب قد أثارت استياء كريم خان، الأمر الذي دعاه لضرب تحالف هذه القوى حتى قبل أن يبدأ حصاره للبصرة عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م^(٩٣).

على أن انشغال كريم خان بالمنازعات الداخلية في فارس، قد جعلته يترك تصريف الشؤون البحرية للشيخ ناصر آل مدكور حاكم بوشهر الذي منحه سلطة مواصلة الحرب أو عقد الصلح مع عمان.

على أن امام عمان أظهر رغبة في السلم وإنهاء الصراع بينه وبين فارس، على أن تجري المفاوضات على أساس الصداقة والود مع الفرس، وألا تكون مشروطة بشروط تمس سيادة بلاده واستقلالها، غير أن الشيخ ناصر مبعوث كريم خان، لم يكن يحمل غير الشروط السابقة التي اعتبرها الإمام مهينة لبلاده، فرفضها رفضا قاطعا^(٩٤)، وعلى ذلك أخفقت المفاوضات التي أجراها الشيخ ناصر مع امام عمان، وبخافقه تكون العلاقات العمانية / الفارسية قد عادت إلى سابق عهدها.

وفي تلك الظروف أيضا، حدثت اتصالات وسفارات هندية مع كل من عمان وفارس، وكان غرضها الرئيسي وضع نهاية للحرب الدائرة بين الطرفين، خاصة وأنها تؤثر على حركة التجارة بين أقطار الخليج العربي والبلاد الأخرى، ومن بينها الهند، وكانت إحدى تلك السفارات قد وصلت عام ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م، بعد الاستعدادات الضخمة التي قام بها كريم خان لغزو عمان^(٩٥).

الغزو الفارسي للبصرة والنجدة العمانية:

غزو الفرس للبصرة وحصارها:

وفي هذا المقام ليس بوجدا أن نتقصى أسباب الغزو الفارسي للبصرة، وإن كان من المفيد أن نعرض لبعض الأسباب التي لها علاقة مباشرة بذلك الغزو عامة، وعلاقات عمان بالبصرة خاصة، لما تلقى من ضوء على طبيعة العلاقات العربية / الفارسية خلال غزو البصرة وحصارها.

فمعلوم أن النجاح التجاري الذي أحرزته البصرة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، قد أدى إلى انهيار تجارة الموانئ الفارسية، وبالتالي فقد كان هذا النجاح سببا لإعلان كريم الحرب على مدينة البصرة. ولو كان هذا هو السبب الوحيد لكان من الممكن تجاوزه وتخفيفه، ذلك لأن الرخاء التجاري الذي تمتعت به البصرة قد زالت معاملة كثيرا بعد حدوث مرض الطاعون المروع الذي تعرضت له هذه المدينة في عام ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م، حتى أن وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية قد وصف المدينة بعد عودته إليها في نهاية ذلك العام بقوله: لم يعد في المدينة «إلا حامية قليلة العدد وأبنية معطلة، وركود في التجارة وقليل من السكان الضعاف الذين تخطاهم المرض»^(٩٦)، غير أن الأمر كان أبعد من ذلك بكثير، طالما أن كريم خان كان يتنذر بشتى الدرائع من أجل مهاجمة البصرة واحتلالها، وهذا ما تؤكد الوقائع الآتية.

ذلك أن الهجوم الفارسي على البصرة لم يكن شيئا مفاجئا أو غير متوقع، فالهجوم على المدينة ظل التهديد به قائما لمدة سنة قبل وقوعه الفعلي، ويبدو أن السلطات

التركية الحاكمة في العراق آنذاك كانت تتوقعه كرد فعل للانتصارات التي أحرزتها على كريم خان في شمال العراق، وعندئذ أصبح معروفاً أن كريم خان سوف ينتقم لنفسه بعمل ضد بغداد أو البصرة، غير أن الثانية كانت هي أرجح الاحتمالين، غير أن الفرس بدأوا بمهاجمة شمال العراق. ولم يكن هذا الهجوم إلا جزءاً من عمليات التتويج والتفصيل الفارسية، ذلك لأنه في الوقت الذي جرت فيه تلك العمليات فإن استعدادات كبيرة قد اتخذت في فارس لغزو البصرة، وعلى ذلك لم تكن العمليات الفارسية في شمال العراق إلا من باب التتويج وحرف الأنظار^(٩٧).

وكانت الحجة الظاهرية التي ساقها كريم خان لتبرير هذا العمل هي سوء المعاملة التي كان يلقاها السزوار الفرس والضيقة التي كانت تفرض عليهم عند مرورهم بولاية بغداد وهم في طريقهم إلى الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء.. ويبدو أنه قدم إلى السلطات الحاكمة في العراق عروضاً لم يكن من الممكن قبولها، ولهذا لم تصادف غير الرفض، من ذلك ما أشار إليه أوليفيه بأن كريم خان قد «طلب من الباب العالي رأس عمر باشا (والي بغداد)، وهدد بأن يرسل جيشاً إلى دجلة والعراق إذا لم يلبوا طلبه، وإذا لم يلبوا الضريبة التي كان الباشا قد فرضها على كل حاج»^(٩٨).

ومن البديهي، كما يقول أوليفيه، فإنه من الصعب على الباب العالي أن يرضى بأحد كبار موظفي الدولة العثمانية في العراق لمجرد اتهامات فارسية، ولهذا لم يقبل تلك الاتهامات، فكان ذلك سبباً للقطيعة بينهما^(٩٩).

وكانت ذكريات التعاون بين البصرة وعمان سبباً آخر للقطيعة بين كريم خان وولاية بغداد والبصرة. فقد أشارت المصادر الوثيقة بأن الشاه الفارسي قد طلب من متسلم البصرة ومن ممثلي شركة الهند الشرقية الانجليزية - مطلع عام ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م أن يمدوه بالمساعدة البحرية لمهاجمة عمان، وإلا فإنه سيرسل قوة لتدمير البصرة^(١٠٠)، غير أن الاثنين قد اعتذرا عن تلبية طلب الشاه.

وقد أدت أوجبة الرفض التي أعدها متسلم البصرة وممثلوا شركة الهند الشرقية الانجليزية إلى قيام كريم خان باحتجاج بعض موظفي الشركة في شیراز، فما كان من متسلم البصرة إلا أن قام ببعض الاستعدادات تحسباً للتهديد الفارسي المذكور^(١٠١).

والواقع أن تعاون البصرة مع عمان كان نابعا من حس قومي أصيل، ذلك لأن متسلم البصرة لم يكن غير راغب في تقديم مساعدة للشاه الفارسي ضد امام عمان فحسب، بل إنه كان ينظر بعين الرضا والاعتباط إلى ازدياد قوة إمام عمان ومقدرته في الصمود أمام القوى الخارجية، كما أن وجود أسطول عماني قوي في الخليج العربي لا يعني الوقوف بوجه التحدي الأجنبي في المنطقة فحسب، بل إنه يؤدي إلى ضمان المصالح التجارية للبلدين، التي أصبح الطرفان يتقاسمان ثمارها^(١٠٢).

وتذهب تقارير شركة الهند الشرقية الانجليزية في البصرة إلى أبعد من ذلك، إذ أنها تشير إلى قيام أسطول كريم خان بمحاولة التعرض لمسقط عام ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م، ولكن القطع البحرية التي كانت بحوزة متسلم البصرة قد تعرضت له وتمكنت من تشتيته^(١٠٣). وهكذا تتجلى المساعدات الجدية بين البصرة وعمان، وإذا كانت التقارير المذكورة قد أشارت إلى هذه الحادثة وحدها فقط، فإن الحوليات الفارسية تتهم سليمان آغا متسلم البصرة والي بغداد بتقديم مساعدات غير محدودة إلى العثمانيين خلال هذه الفترة وتعتبرها الأساس لزيادة حقد كريم خان على البصرة وحققه^(١٠٤).

كان من الطبيعي والحالة كذلك، أن يقدم كريم خان على غزو البصرة، حيث أعد جيشاً كبيراً يقدر بثلاثين ألف مقاتل تحت قيادة أخيه صادق خان، فوصل المدينة في مطلع عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م.

أما البصرة فقد حمل لواء الدفاع عنها متسلمها سليمان آغا وأهل البصرة، الذين وقفوا بوجه الجيوش الفارسية الغازية لأكثر من سنة.. وكان سليمان هذا على جانب كبير من المقدرة، فلم يكد يسمع باستعدادات كريم خان لغزو البصرة، حتى عمل بسرعة على جمع المؤن والذخيرة، وسلح من يمكن تسليحه من أفراد الجيش والناس، وحاول زيادة كفاءة الاسطول في البصرة، وكان يعني نفسه أن يتمكن عن طريق هذه الاستعدادات إما أن يرفع الحصار، أو الانتظار حتى تتم أية محاولة من قبل والي بغداد عمر باشا في إرسال المعونة^(١٠٥).

إلا أن هذه الاستعدادات لم تمكن سليمان آغا وأهل البصرة سوى الصمود لأكثر من سنة واحدة بقليل، ووقفوا أثناءها بوجه الجيش الزاحف الذي أحاط بالمدينة من كل جهاتها، وراح يذوقها بكل ما في حوزته من مدافع، وتواصلت امداداته عن طريق سفن كريم خان التي دخلت الى شط العرب^(١٠٦) وعلى الرغم من شراسة الفرس وضخامة مدفعيتهم التي كانوا يقصفون بها المدينة إلا أن المدافعين من أهل البصرة استبسلوا في الدفاع عنها، وكانوا يردون على العدو بالمثل، وظل الأمر على هذه الحال حتى استنفدت طاقاتهم.

ولم يكن من المنتظر بعد مضي فترة طويلة من بدء الحصار الذي فرضه كريم خان على البصرة أن يرسل ولاة بغداد أية امدادات حربية لنجدة المدينة وقد جاءت هذه النتيجة في رسالة وجهها والي بغداد الجديد مصطفى باشا الى متسلم البصرة، أظهر فيها عجزه عن امداد البصرة بأية قوة^(١٠٧)، واتخذ ممثلو شركة الهند الشرقية الانجليزية في البصرة مثل هذا الموقف، إذ كانوا قد تعهدوا بحماية المدينة من ناحية النهر، ولكن عندما اشتد حصار الفرس لها، انسحبوا منها فجأة^(١٠٨)، وهذا الموقف المتخاذل الذي اتخذه الولاة العثمانيون وكذلك الانجليز، يؤكد حقيقة واضحة وهي انه لن يدافع عن الأرض غير أبنائها من شباب العرب، وألحت هذه الظروف على أهل البصرة كي يطلبوا النجدة والعون من اخوانهم عرب عمان.

النجدة العمانية للبصرة وظروفها :

لم تكن ظروف المساعدة العمانية للبصرة في سبعينات القرن الثامن عشر مرتبطة بالأحداث المتعلقة بالغزو الفارسي لهذه المدينة عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، بقدر ما كانت متعلقة بعوامل مبدئية كثيرة، يأتي في مقدمتها ادراك الإمام أحمد بن سعيد لأبعاد الأطماع التوسعية لكريم خان، سواء كانت متعلقة بالبصرة أو ببلاده، وإن احتلال أي منطقة منهما سيلحق بأبلغ الضرر بالأخرى، ولذلك سارع حالاً لتلبية الدعوة التي وجهت اليه بتقديم المساعدة^(١٠٩).

والذي يلفت الانتباه في هذا المجال أن المصادر المعاصرة منها والحديثة قد اختلفت في الجهة التي طلبت المساعدة من امام عمان، فقد أشار بعضها الى والي بغداد^(١١٠)، بينما أشار البعض الآخر الى متسلم البصرة^(١١١)، في حين أشارت أخرى الى أهل البصرة، وبالذات قبائل المنتفق^(١١٢).

إلا ان من يعن النظر في هذه الروايات جميعاً، يجد أن الأخيرة منها هي أكثر دقة

ودلالة، وذلك لأن مؤلف كتاب (تاريخ عمان) الأكثر قرباً من الحدث، قد أشار إلى هذا الأمر حرفياً بقوله: «فارس أهل البصرة إلى سيدنا الإمام يريدون منه النصر فأمدهم بالأقوام والمراكب»^(١١٣). وأشار في موضع آخر بأن النجدة العمانية حين وصلت استقبلها ثامر بن عبدالله السعدون، شيخ المنتفق قائلاً: «يا خوي (أي القائد العماني) نحن سقماء وأنتم حكام داوونا، والمعاني هو الله»^(١١٤) وهذه الرواية تدل دلالة أخرى على العلاقة التي توطدت بين أهل البصرة وأعيانها وبين العمانيين.

ومهما يكن من أمر، فقد أكمل الإمام أحمد بن سعيد استعدادات الأسطول العماني في منتصف أغسطس عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م، وكان من بين تلك الاستعدادات أن ضم إلى أسطوله سفينتي

والى بغداد المسلحتين (بجلة) و(الفرات) اللتين كانتا قد أسطحهما ممثل شركة الهند الشرقية الانجليزية إلى مسقط، ولكنه قام بتسليمهما إلى الإمام حالماً طلب اليه وإلى بغداد ذلك وقد رقع عليهما العلم العماني وأصبحتا جاهزتين للعمل^(١١٥).

وإلى جانب ذلك فقد أعد الإمام عدداً غير قليل من السفن العمانية التي وصفها لنا الرحالة الانجليزي يارسونز عندما زار مسقط وشاهد تلك الاستعدادات بنفسه حيث قال: «وكانت القوة المضاربة في الأسطول لا تقل عن أربع وثلاثين سفينة، منها أربع بنيت في يومباي تحمل أربعة وأربعين مدفعاً، وخمس سفن من نوع الفرقاطة مزودة بـ (١٨ - ٢٤) مدفعاً، والباقي سفن صغيرة يتراوح تسليح كل منها ما بين (٨ - ١٤) مدفعاً، وقد بنيت الأخيرة في ميناء مسقط وغيره من الموانئ الأخرى»^(١١٦).

أما بالنسبة للمصادر العمانية فقد قدرت قطع الأسطول العماني بثمانين قطعة بحرية، بما فيها سفينة قيادة الإمام المسماة بـ (الرحماني)، وحمل عليها كما يقول المؤرخ العماني ابن رزيق قوة مؤلفة من عشرة آلاف رجل^(١١٧)، وقد قام بقيادة الأسطول العماني هلال بن الإمام أحمد بن سعيد يرافقه شقيقه^(١١٨)، وفي الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) مر ببوشهر في طريقه إلى البصرة، وبعد بضعة أيام رسا عند مصب شط العرب.

ولما وصل الأسطول العماني إلى مصب شط العرب وجد سلسلة حديدية منصوبة على النهر، كان الفرس قد وضعوها على جهتي النهر ليحولوا دون وصول العون إلى المدينة المحاصرة عن طريق البحر، ووضعوا في المكان ذاته حامية كبيرة مزودة بالمدافع للفرس نفسه. وعلى ذلك اضطر الأسطول العماني للانتظار في ملاذ أمين حتى نهاية الشهر، دون محاولة لقطع السلسلة الحديدية، ولو حاول ذلك لكانت فرص انتصاره على كريم خان أكبر، وبخاصة وأن وصوله لم يكن متوقعاً، مما أعطى



السيدة العمانية للبصرة
١٧٧٥ - ١٧٧٦ م

الفرس فرصة الاستعداد لمواجهة^(١١٩).

لكن الاسطول العماني استطاع في النهاية حسبما يورده ابن رزيق كسر السلسلة الحديدية في مدخل شط العرب، وذلك عن طريق دفع سفينة القيادة (الرحماني) باتجاهها، حيث تمكنت من قطعها والدخول في شط العرب^(١٢٠).

وعلى الرغم من القصف المدفعي الشديد الذي قام به الفرس نحو العمانيين، فقد دخل اسطولهم بأجمعه شط العرب في منتصف رجب ١١٨٩ هـ - الرابع عشر من أكتوبر ١٧٧٥ م، وصاحب هذا الدخول فرح غامر أظهره المواطنون البصريون الذين كانوا خلف الأسوار.

ولم يكن باستطاعة قوات صادق خان ان تحول دون انزال المؤن والرجال إلى البصريين من أجل شن هجوم كبير على قوات الحصار في اليوم التالي، وفي المعركة الضارية التي دارت بين الطرفين لجأ القائد الفارسي الى منح جنوده مكافأة لشحذ همتهم في مواجهة المهاجمين العرب، فقد منح جنوده مكافأة مقدارها ثلاثة تومانات لكل شخص يقتل، وخمسة لكل أسير يعتقل، وذلك بقصد اعاقه عملية نزول الجنود العمانيين وتأمينات السفن التي كانت معهم. إلا ان هذه الطريقة لم تنجح، ذلك لأن المهاجمين العرب - عمانيين وبصريين، قد حاربوا العدو بالسلح الأبيض، وتمكنوا من اجتثاث كثير من أفرادهم، وهذه الشجاعة العالية التي أظهرها المقاتلون العرب هي التي أفضلت الهجوم الفارسي المضاد في التاسع عشر من أكتوبر، وكانت موضع اعجاب الباحثين في هذه القضية وتقديرهم^(١٢١).

وعلى الرغم من ذلك كله، فإن المعركة لم تكن حاسمة، بدليل استمرار الاشتباكات بين الطرفين خلال الشهور التالية، فضلاً عن تدفق المساعدات العمانية للبصرة، تلك المساعدات التي كان لها دور كبير في تخفيف الضغط العسكري الواقع على البصريين من جهة، ورفع روحهم المعنوية من جهة أخرى، وخاصة بعد أن أصبح للأسطول العماني وجود قوي في منطقة شمال الخليج والبصرة.

وكان من أبرز مظاهر وجود الاسطول العماني في البصرة، هو تمكنه من ضبط شط العرب، وتسهيل وصول التموينات الى المدينة المحاصرة منذ وصوله إليها في منتصف عام ١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م، غير انه بمرور الوقت أخذت مؤن العمانيين وامداداتهم تتناقص، ولم يصل اليهم المدد لا من جانب السلطان العثماني ولا من جانب والي بغداد، هذا بينما كانت الامدادات بالمؤن والرجال تتوالى على الجانب الفارسي من شيراز^(١٢٢). وفي مثل هذه الظروف قرر قائد الاسطول العماني في أوائل عام ١١٩٠ هـ / ١٧٧٦ م الانسحاب الى بلاده، خشية تأثير النقص الحاصل في المؤن على جنوده، واحتمال قيام كريم خان بالهجوم على عمان مستغلاً انشغال الاسطول العماني بمساعدة عرب البصرة^(١٢٣).

وعلى الرغم من أن الظروف التي أشرنا إليها لم تسمح للعمانيين بالبقاء في البصرة لفترة طويلة، فقد كان لتعاونهم الصادق في الدفاع عن المدينة اثره الطيب لدى سكان البصرة وحكامها، فتقرر أن تمنح عمان مكافأة سنوية من خزائن البصرة. وقد استمرت هذه المكافأة نافذة منذ عهد الامام احمد بن سعيد وحتى عهد السلطان سعيد بن سلطان^(١٢٤).

على ان الاتجاه الطبيعي للامام في تلك الظروف هو أن يقف الى جانب البصرة في

محتنها، وهذا أدى الى تعزيز العلاقة بين عمان والبصرة، فما ان زال الاحتلال الفارسي عن البصرة حتى تجددت العلاقات التجارية بينهما، وبدأ اسطول البن العماني السنوي يتوارد على المدينة كما كان عليه الحال من قبل^(١٢٥).

ومهما يكن هناك من تفسير لهذا التعاون، فقد اعتبره لاندن حلفاً قائماً بحد ذاته بين العثمانيين والعلمانيين، حيث أشار الى ذلك بقوله: «عقد احمد بن سعيد حلفاً مع العثمانيين كان يدر على خزينته مبلغاً من المال كل عام، في مقابل حماية عمان للجناح الجنوبي للعراق»^(١٢٦). والحقيقة انه لم يكن هناك حلف بالمعنى المعروف بين الطرفين، بقدر ما كان ادراكهما لقيمة التعاون البحري بينهما، وهذا ما جعل أهل البصرة مستعدين لتقديم مساعدة مالية سنوية من خزانة ولايتهم، تقديراً للجهود التي بذلها العلمانيون في الدفاع عن مدينتهم أثناء حصار كريم خان لها.

ولعل هذا السبب وغيره هو الذي جعل كريم خان يتحين الظروف للسيطرة على عمان، إذ اشار لوريير: «بأن كريم خان منذ احتلال البصرة عام ١١٩٠ هـ/ ١٧٧٦ م، طلب من قواده اعداد تقارير عن امكانية الزحف برا من البصرة الى عمان»^(١٢٧)، الامر الذي دفع الامام أحمد الى البقاء بأسطوله في الخليج العربي، تحسباً لأي خطر، غير ان الخطر الفارسي قد زال بوفاة كريم خان السزند عام ١١٩٣ هـ/ ١٧٧٩ م، واضطرار الفرس إلى التقهقر داخل بلادهم في السنة ذاتها.

وهكذا حقق الامام أحمد بن سعيد لعمان وحدتها، كما دفع عنها خطر الفرس، وتصدى لهم حين اعتدائهم على البصرة.

وكان كما قال الشيخ نور الدين السالمي (صاحب همة عالية ومطلب سام، وجراة واقدام)^(١٢٨) ويعتبر هو المؤسس للدولة البوسعيدية الباني لأركانها المشيد لمعاملها الموطن لعرشها. ولم يلبث أن توفي بعد أن حقق الآمال الكبار التي كانت تنتظره، وذلك في عام ١١٨٨ هـ/ ١٧٧٨ م^(١٢٩).

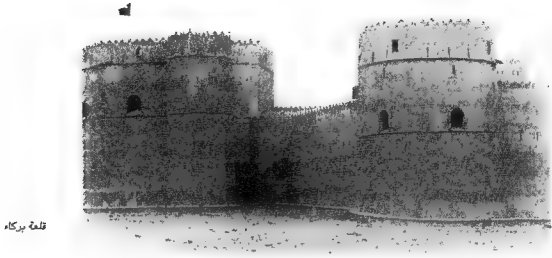
امامة سعيد بن أحمد بن سعيد (١٢٠):

كان موت الامام احمد بن سعيد خسارة كبرى بالنسبة لعمان وأهلها، وتولى الإمام بعده ابنه سعيد بن أحمد، ولم تبين لنا كتب التاريخ الصفة التي تولى بها سعيد الامامة بعد أبيه، هل كان ذلك بولاية العهد له؟ أم باتفاق من العلماء؟^(١٣٠).

ونظراً لأن الامام سعيد كان زاهداً في الحكم والإدارة فقد تولى ابنه حمد زمام الأمور واتخذ من مسقط مقراً للحكم، بينما بقي والده سعيد في الرستاق. ومع مضي الأيام تزايدت قوة ونفوذ حمد حتى أصبحت السلطة الفعلية في يده^(١٣١).

ومن أعماله التي ذكرتها كتب التاريخ انه بنى برجاً على البحر عند المدخل إلى ميناء مسقط وزوده بمدافع كبيرة رغبة منه في تحصين هذه المدينة. كما بنى قلعة بيت الفلج في روي وقلعة بحصن بركاء زودها بمدافع ضخمة للدفاع عن المدينة ضد أي هجوم خارجي، كما أمر بصنع باخرة في زنجبار سميت باسم الرحماني التي اشتهر أمرها في عهد الدولة البوسعيدية نظراً لضخامتها وبديع صنعها^(١٣٢).

يضاف الى ذلك أن حمد بن سعيد كان ملازماً للصلاة في الجماعة، مؤدياً الصلوات والنوافل منها، دارساً للقرآن، مما أدى الى ازدياد محبة الناس له، فذاع صيته وازدادت هيئته، ثم مرض ومات متأثراً بهذا المرض في الثامن من شهر رجب سنة



قلعة بركاء

١٢٠٦هـ / مارس ١٧٩٢م (١٢٤).

السيد سلطان بن أحمد بن سعيد :

وبعد موت حمد بن سعيد آلت الى السيد سلطان بن أحمد بن سعيد أمور الحكم التي كان يتولاها حمد، في نفس الوقت الذي كان لا يزال فيه سعيد قائما في الرستاق، ولم تلبث أمور البلاد ان خلصت للسيد سلطان بعد موت أخيه سعيد بن أحمد، وساس الناس سياسة محموددة وسار على وتيرة أبيه الامام احمد بن سعيد وزاد في بذل المال فكان لا يرد سائلا، ولا يدخر عن قومه شيئا يستطيع بذله لهم، فأحبه الناس ووقروه واحترموه (١٣٥).

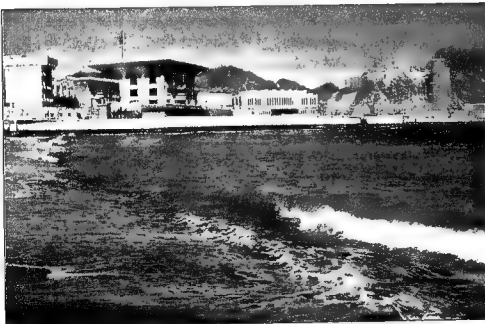
واجه السيد سلطان بن الامام أحمد بن سعيد - وهو أول من تلقب بهذا اللقب من أولاد الإمام - بعض المشاكل الداخلية والحروب القبلية ولكنه تغلب عليها بسياسته وقوة جيشه، وما لبث أن توجه الى البناء الداخلي، فقام بتحسين مدينة مسقط وذلك ببناء قلعة ضخمة على أرض الراوية لتكون حصنا لهذه المدينة، كما بنى البرج المقابل لها، والبرج الشرقي الجنوبي، وذلك في ثلاثة أشهر، وبذلك تم تحسين مدينة مسقط تحصينا كاملا (١٣٦). ثم التفت الى داخل هذه المدينة فبنى فيها قصرا ضخما وهو بيت العلم الذي بني على أرضه قصر العلم الحالي، وجعله مقره الخاص (١٣٧)، وبني حصن الفليج في الواحة المعروفة بهذا الاسم وهي واحة الفليج والتي تقع على الطريق بين بركاء ومسقط، وجعل هذا الحصن مقرا للعائلة بعيدا عن العواصف والحروب والتقلبات السياسية ولذلك أسكنه بعض أهله وكان كثيرا ما يتردد عليه ويقم فيه بعيدا عن السياسة ومشاكل الحكم (١٣٨).

اتجهت أنظار السيد سلطان بن أحمد بعد ذلك الى خارج عمان حيث راح يسترد أملاكها التي ضاعت في غفلة من الزمن، ولذلك نراه يشن حملات يستعيد بها جزائر قشم (القشم) وهرمز والبحرين (١٣٩). ويبدو ان السيد سلطان فعل ذلك اتقاء لأخطار عدة منها الخطر الفارسي والخطر الأوروبي وكذلك الخطر الوهابي الذي أطل على

عمان في تلك الفترة، وفي ذلك يذكر الشيخ سالم بن حمود السيابي أن الوهابيين غزوا عمان في تلك الأيام^(١٤١)، وتحالفوا مع أهل البحرين ولذلك كان من الضروري أن يفرض السيد سلطان نفوذه على هذه الجزر، ففتحها وولى عليها الولاة، ولم يلبث أن بسط نفوذه على الموانئ الهامة في ساحل مكران واستولى على ميناءي شهبار وجواهر مما أدى إلى توثيق الصلات بين عمان وبلوختان، وازدياد هجرة البلوش إلى عمان بأعداد كبيرة. وقد أمن السيد سلطان بلاده باستيلائه أيضاً على ميناء بندر عباس وذلك بفضل البحرية العمانية القوية. فقد ذكرت المراجع أن أسطول عمان في عهده زاد عدد سفنه عن ٥٠٠ سفينة كانت حمولتها تتراوح بين ٢٥٠ و ١٠٠٠ طن عدا ١٠٠ سفينة أخرى يمتلكها أهل صور، ويبدو أن هذه السفن كانت سفناً تعمل في التجارة وفي القتال أيضاً إذا لزم الأمر، ذلك أن المراجع أشارت إلى أن السفن الكبيرة المخصصة للقتال وحده لم تزد على ثلاث^(١٤٢).

ونظراً لقوة الأسطول العماني وقوة الجيش الذي كان لا يقل عدد جنده عن ١٢ ألف مقاتل تمكن السيد سلطان بن أحمد من رد عادية الوهابيين، واسترد نفوذه في البحرين بعد أن كان أشياخها قد دبروا حيلة أخرجوا منها واليه عليها واستعانوا بالوهابيين وحالفوهم ودخلوا تحت طاعتهم^(١٤٣).

وأزاء الصراع الدولي الذي كان قائماً في تلك الفترة بين الفرنسيين والانجليز في مياه المحيط الهندي والخليج، رأى السيد سلطان أن يستفيد من هذا الصراع لمصلحة بلاده خاصة وأن كلا الطرفين حاول أن يوطد علاقته بعمان ضد الطرف الآخر، وقد انتهى هذا الأمر إلى إبرام اتفاقية بين السيد سلطان وبين الانجليز في جمادى الأولى ١٢١٣هـ/ أكتوبر ١٧٩٨م متخلياً عن صداقته للفرنسيين لأسباب عدة، منها اعتماد عمان على الهند التي تسيطر عليها بريطانيا في ذلك الحين في مؤننتها من الأرز - وهو الغذاء الرئيسي لمعظم سكان شبه جزيرة العرب - وتكرار اعتداءات القراصنة الفرنسيين على السفن العمانية، وأخيراً قلق أمراء وحكام شبه جزيرة العرب ومنهم حكام عمان بطبيعة الحال من ازدياد النفوذ الفرنسي بعد احتلال الفرنسيين لمصر في ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م^(١٤٤).



خليج مسقط حيث يطل عليه قصر العلم.

ورغم ذلك فإن هذه المعاهدة لم توضع موضع التنفيذ الكامل في كثير من شروطها لان السيد سلطان بن أحمد لم يقطع في الواقع علاقته التجارية بالفرنسيين في جزيرة موريشيوس ولم يكن في وسعه أن يمنح أصحاب السفن العمانية من ذلك، كما أن قطع هذه العلاقات التجارية كان ضارا بمصالح رعاياه، والنتيجة الهامة التي ترتبت على هذه الاتفاقية هي قبول ممثل سياسي بريطاني في عاصمة عمان للمرة الأولى وذلك في عام ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م^(١٤٤).

وهكذا وازن السيد سلطان بن أحمد في سياسته الخارجية بين التطلعات البريطانية والفرنسية في منطقة الخليج، كما دعم نفوذه في هذه المنطقة حرصا منه على أمن وسلامة الخليج، باعتبار بلده عمان دولة بحرية تجارية. وفي نهاية هذا الجهاد الدائم وقع السيد سلطان بن أحمد قتيلا في ١٢ شعبان ١٢١٩هـ / ٣٠ نوفمبر ١٨٠٤م على يد بعض القراصنة أثناء رحلة بحرية كان يقوم بها بين البصرة وعمان^(١٤٥). وخلفه في حكم عمان ابنه الشهير السيد سعيد بن سلطان.

وقبل أن نستعرض في الحديث عن عهد السيد سعيد بن سلطان لابد أن نقف قليلا لنعرض لتفاصيل تطور العلاقات التي كانت بين عمان وبين الفرنسيين، تلك العلاقات التي كانت طيبة وقائمة بين الطرفين منذ منتصف القرن السابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر للميلاد. ذلك أن الإشارة إلى هذه العلاقات كانت إشارة سريعة الحديث عن عهد الإمام أحمد بن سعيد وعهد ابنه السيد سلطان، ولذلك كان لابد من تخصيص حديث لهذه العلاقات فيه شيء من التفصيل والتوضيح.

العلاقات العمانية الفرنسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر

بعد أن أثبت الإمام أحمد أنه ذو ارادة قوية مكنته من توحيد القبائل العمانية وتوجيه طاقاتها نحو النشاط البحري والتجاري، وفي خلال وقت قصير، عادت عمان مركزا للنشاط الاقتصادي في خليج عمان والخليج العربي.

وفي هذا الوقت كان التنافس البريطاني الفرنسي يشتد أواره في الهند والبحار الشرقية، هذا الصراع الذي كان في واقعه امتدادا لصراع القوتين في أوروبا من أجل التفوق، وفي مثل هذه الظروف، كانت عمان بموقعها المهم مهية لتصبح مركز جذب توجهت اليه أنظار البريطانيين والفرنسيين أملا في الحصول على حليف مهم ومركز افضلية، وأدرك الإمام أحمد بن سعيد ببعد نظره أن عليه أن يلتزم الحياد بين القوتين ويرفض باصرار السماح بإنشاء مركز أوروبي في مسقط كما سبق الإشارة.

وقد وجهت فرنسا اهتماما لمسقط منذ وقت مبكر، ففي سنة ١٧٠٨هـ / ١٦٦٧م، قدم المبعوث الفرنسي إلى فارس دي لالين de Lalain مقترحا على حكومته بضرورة السيطرة على مسقط والاحتفاظ بها كقاعدة بحرية مهمة^(١٤٦)، وعلى نحو أكثر وضوحا فقد كتب عدد من المذكرات ومشروعات معاهدات من المثليين الفرنسيين في فارس (أحدهم بيتر بول peter paul) من أجل عقد تحالفات، تضمنت فقرات من أجل الاستيلاء على مسقط، وقد حددت تلك الوثائق حصصا فرنسا والفوائد التي يمكن جنيها من مسقط، والسيطرة على قلعتها الميراني والجلالي^(١٤٧)، على أنه لم يتم تحقيق شيء من تلك المسودات، والمشروعات ولكن فرنسا استطاعت أن تحقق أمرا أكثر عملية باستيلائها على جزيرة موريشيوس التي أسمتها ايل دي فرانس Ile de France

France في رمضان ١١٢٧هـ / سبتمبر ١٧١٥م (١٤٨).

وكان تأسيس ايل دي فرانس (موريشيوس) كقاعدة بحرية فرنسية قد جعل من المحتم جر مسقط الى ميدان الصراع البريطاني / الفرنسي عاجلاً أو آجلاً، وذلك لان واحداً من اهداف تلك القاعدة كان الهجوم على التجارة البريطانية من جوانبها^(١٤٩)، وإذا كان الجانب الرئيسي من تلك الجوانب هو طريق الكيب المار جنوب بورت لويس، فان الجانب الثاني المهم هو الطريق الشمالي من بومباي المتجه الى مسقط في طريقه الى الخليج أو البحر الأحمر^(١٥٠). وقد اتخذ الفرنسيون من ميناء مسقط سوقاً لغنائمهم من السفن والبضائع^(١٥١). ولهذا فان مسألة الحياض وتقديم الحماية والمياه وغير ذلك كان من الطبيعي أن تثار، ومع أن عرب عمان حاولوا بأقصى جهدهم البقاء بعيداً عن ذلك الصراع وتجنب التورط مع أي من الطرفين، الا انهم أدركوا بأنه لا المصالح التجارية ولا تقاليد الصداقة والأعراف الدولية بإمكانها أن تحميهم من التورط على أيدي أوروبا المحاربة لأنه من الصعب العيش بسلام وسط ميدان المعركة^(١٥٢).

وهكذا سرعان ما شهدت عمان عدداً من المصادمات بين الفرنسيين والبريطانيين. وقد وقعت الحادثة الأولى في سنة ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م، حينما حاولت ثلاث سفن بريفاير^(١٥٣) فرنسية - وبدون اعتبار لحياض عمان - قطع الطريق على سفينة تجارية بريطانية وكرهاها على الخروج من مرفأ مسقط، ولكن الوالي خلفان بن محمد استاء من ذلك العدوان فأطلق عليها نيران قلعتي مسقط (الميراني والجلالي) مما أجبرها على الانسحاب^(١٥٤)، وقام الفرنسيون بمحاولة أخرى مماثلة في سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦١م، فقد وصلت الى مسقط سفينتا بريفاير فرنسيتان قادمتان من ايل دي فرانس (موريشيوس) وحاولتا مهاجمة سفينة بريطانية راسية هناك بتجاهل كامل لقوانين الحياض، ولكن الوالي خلفان بن محمد بادر الى انقاذ السفينة منتقماً للإهانة التي لحقت بالعلم العماني بإطلاقه النار على السفينتين الفرنسيتين^(١٥٥). ووقعت حادثة مشابهة في سنة ١١٩٢هـ / ١٧٧٨م أقشلتها الوالي نفسه، مكبداً الفرنسيين هذه المرة خمسة قتلى^(١٥٦).

وإذا كان هذا موقف والي مسقط في الدفاع عن السفن البريطانية المحتمة بالمرفأ فان هذا الموقف يجب ألا يعتبر دليلاً على انحياز عمان لجانب دون آخر، وإنما يمكن السر في تقاليد عربية متوارثة هي حماية الدخيل أو اللاجئ حتى ولو بقوة السلاح، ولا يمنع هذه الحماية اختلاف القومية والدين، فدخل السفن البريطانية ميناء مسقط هرباً من خطر الفرنسيين هو (دخالة صريحة) وتقاليد الدخالة فعل الغرائز عند القبائل العربية، والبريطانيون بطبيعة الحال لم يدفعوا أجراً لقاء تلك المساعدات المهمة^(١٥٧).

ومع ذلك فلم تؤد هذه الحوادث الى قيام عدااء بين فرنسا وعمان، فقد كان الفرنسيون عادة يسترضون الامام عما يبدر منهم ضمن حدوده أحياناً، بما كانوا يقدمونه له من أعذار وتعويضات من ناحية^(١٥٨)، وبقيام علاقات تجارية نشطة بين عمان وأيل دي فرانس (موريشيوس) طيلة النصف الثاني من القرن الثامن عشر من ناحية أخرى، وعلى ذلك فقد كانت هذه الجزيرة تصدر السكر والمنتجات الأخرى الى مسقط، وتستورد منها بالمقابل المنتجات الغذائية كالحبوب والملح والسمك والتمر والبن^(١٥٩). وكانت التجارة العمانية مع المستعمرات الفرنسية تحقق مصالح أكبر

للعُمانيين، حيث كانوا يتولون بأنفسهم نقل التجارة إلى تلك المستعمرات أحياناً، وفي أحيان أخرى كان الفرنسيون يستوردون حاجاتهم من المُون بواسطة السفن العربية^(١٦٠).

على أن العلاقات العُمانية / الفرنسية تعرضت لأزمة حادة في سنة ١١٩٥ هـ / ١٧٨١ م حينما قامت قطعة من الاسطول الفرنسي مؤلفة من ثلاث سفن بقيادة الكابتن دي شيني De cheny، بأسر الفرقاطة المسماة (صالح) ذات الخمسين مدفعاً بالقرب من صحار وهي محملة بالبضائع البريطانية من الهند في طريقها إلى البصرة^(١٦١). وأصل الحادث أن هذه السفن الثلاث بعد أن أسرت السفينة البريطانية (بكلربك Beglerbeg) دخلت مرفأً مسقط، وهناك حاولت أن تأسر سفينة بريطانية أخرى راسية هناك، ولكنها فشلت في تحقيق هدفها لدفاع الوالي عنها، وعلى الأثر انشعبت متجهة إلى أعلى الخليج حيث التقت بالسفينة العُمانية وأسرتها^(١٦٢)، وسرعان ما تهايا العُمانيون لتأكيد كرامتهم واستقلالهم بالثار من السفن الفرنسية. فبعد مرور شهرين على أسر (صالح)، اندفعت واحدة من السفن الفرنسية المذبذبة (لا فيليبين La philippine) عائدة إلى مسقط للتموين وفي الحال أمر الأمام اثنتان من سفنه بمهاجمتها، وبعد معركة دامت ساعتين أجبرت السفينة الفرنسية على الاستسلام^(١٦٣).

ولكن لم تكن هناك رغبة في مسقط ولا سيما لدى أولئك الذين تربطهم المصالح التجارية مع أميل دي فرانس، بتصعيد الصراع مع الفرنسيين، وقدّر الإمام وكبار المسؤولين بأن التنازل في هذه الحالة هو الدبلوماسية الفضلى، وعليه فقد أمر بارسال (لا فيليبين) وبصارتها إلى بورت لويس مع احتجاج شديد لحاكمها دو سويك de souillac على خرق حياد عُمان، كما كتب الإمام رسالة إلى الملك لويس السادس عشر مصرحاً برغبته في الإبقاء على علاقات الصداقة القائمة بينه وبين فرنسا^(١٦٤). وقد لقي موقف الإمام دعماً قوياً من حاكم دي فرانس، ولهذا قررت السلطات الفرنسية في باريس معالجة الأمر بحكمة فأبدت اعتذارها وأرسلت سفينتها (Courier de La France) تعويضاً للإمام عن سفينته (صالح). ومع أن هذه السفينة الفرنسية وقعت في أسر طراد بريطاني وهي في طريقها إلى مسقط، فقد عادت العلاقات حسنة بين الطرفين^(١٦٥).

والدليل على ذلك أنه في ذي القعدة ١١٩٩ هـ / سبتمبر ١٧٨٥ م، وصلت قطعة من الاسطول الفرنسي بقيادة الكونت دو روزيلي (count de Roselie) مؤلفة من الفرقاطة (فينوس Venus) ذات أربعة وأربعين مدفعاً والسفينتين (prevoyance) و (Amphitrite) إلى مسقط، وعقد الكونت اجتماعاً مع حاكم مسقط حمد بن سعيد، وطبقاً لبعض المصادر فإن حمد أذن - بالسماح الذي طال انتظاره - بتأسيس مركز فرنسي في مسقط^(١٦٦). ولكن مصادر أخرى تنفي ذلك فتذكر أن طلب الكونت بتأسيس مركز استقبال كالتطلبات السابقة بالرفض^(١٦٧).. ومهما كان الأمر فالثابت - إذا صح الأمر الأول - أن الفرنسيين لم يقوموا بإنشاء ذلك المركز.. ذلك أنه بعد سنتين من تلك الحادثة لاحظ وليم فرانكلين أثناء توقيفه في مسقط سنة ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م، بأن الحظر لا يزال قائماً، ولو أن شركة الهند الشرقية البريطانية كان لها وسيط أهلي في الميناء^(١٦٨)، وقد تم حصول البريطانيين على مثل ذلك الامتياز

مقابل المرونة التي أبدتها البنغال بالنسبة إلى احتكار الملح الذي كانت تمارسه حيث سمحت للسفن العمانية باستيراد كميات محدودة من كلكتا^(١٦٩).

والدليل الثاني على حسن العلاقات العمانية / الفرنسية هو تعويض السفينة (صالح) بسفينة أخرى، على أن هذا التعويض لم يتم إلا في سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م حينما أرسلت فرنسا سفينة ثانية هي (ايسكوريال Escorial) سميت (صالح) وأبحرت إلى مسقط ترافقها الفرقاطة (لاتيتي La thetis) وسلمت في احتفال إلى السلطات العمانية^(١٧٠). وعلى الرغم من البطء في التعويض وكون (صالح) الجديدة كما قال حمد بن سعيد صغيرة جدا ولا تعادل ربع القديمة، إلا أن هذا التصرف ترك انطباعا عميقا بتقوية مشاعر الولد نحو الفرنسيين، فلم يعرض عليهم حاكم مسقط ترحيبه بتعيين قنصل فرنسي فحسب، بل وعد بأنه سيزوده بدار إقامة رسمية بدون مقابل^(١٧١).

ولذلك فقد تطورت العلاقات العمانية / الفرنسية وقررت الحكومة الفرنسية قبل قيام الثورة الفرنسية بعام واحد ضرورة انشاء قنصلية في مسقط، وذلك لأهمية الميناء القصوى، وقد أكد روزيلي بالحاج على ذلك مشيرا إلى الروابط الوثيقة بين عمان والكيانات المحلية في الهند، معتبرا انشاء قنصلية في مسقط جزءا أساسيا للنظام البحري الفرنسي في البحار الهندية^(١٧٢).

وكانت غاية الحكومة الفرنسية من وراء ذلك تحقيق هدفين هما: اتخاذ مسقط نقطة مراقبة على النشاطات البريطانية في الهند ومصدر تموين لآيل دي فرانس في حالة تجدد الحرب مع بريطانيا عن طريق ما يحمله إليها البحارة العرب^(١٧٣)، ولكن نشوب الثورة في ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م أعاق تنفيذ ذلك الأمر بل وأدى إلى إهماله. ونلاحظ أن الفرنسيين لم ينتهزوا فرصة تسليمهم (صالح) لمسقط والعرض الذي قدمه لهم حاكمها بالمبادرة بتعيين قنصل^(١٧٤).

ولكن نشوب الحرب العامة في ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م أظهر الحاجة إلى تقوية فرنسا لنفوذها في عمان، وعليه فقد تم تبني مشروع بإنشاء قنصلية في مسقط، ذلك المشروع الذي نوقش أكثر من عشر سنوات.. ويقرر صدر في شعبان ١٢٠٩هـ / ٣ مارس ١٧٩٥ أعلنت (لجنة الأمن العام) عن تأسيس القنصلية وتعيين بوشامب M. Beau-champ وهو عالم ورحالة، لشغل ذلك المنصب^(١٧٥)، وقد ورد في التعليمات التي صدرت له في منتصف ١٢١٠هـ / أوائل ١٧٩٦م أن قنصلية مسقط إنما أنشئت للتجسس على حركة الإنجليز في الهند بدراسة الأحوال الداخلية في هذه البلاد، وكذلك لدراسة الطرق التي يمكن أن يستخدمها غزو فرنسي للشرق^(١٧٦)، ولكن لم يقدر لبوشامب أن يتسلم منصبه حيث لم يصل إلى أبعد من مصر بحلول ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م^(١٧٧) حيث قام بونابرت بإرساله إلى القسطنطينية، وهناك ألقي القبض عليه وسجن^(١٧٨)، وفي الواقع فإنه لم يتم وصول قنصل فرنسي إلى مسقط إلا في سنة ١٢١٢هـ / ١٨٩٤م حينما جاء المسير أوتافي Ottavi لتسلم مهام القنصلية فيها^(١٧٩).

وقد ثارت شكوك بريطانيا في سنة ١٢١١هـ / ١٧٩٦م من قيام حكومة عمان بالتوصل من موقفا الحيادي طبقا للتقارير التي أشارت إلى قيام سفن مسقط التجارية بنقل المعلومات عن تحركات السفن البريطانية إلى آيل دي فرانس، وإلى أن الفرنسيين كانوا يعمرون بشكل متكرر عبر مسقط وهم في طريقهم إلى فارس

والشرق الأدنى.

وعزز هذه الشكوك وأثارها، ما عرفه البرتغاليون من أن التجار العمانيين كانوا يحققون أرباحاً كبيرة من بيعهم البضائع والسفن البريطانية التي يأسرها الفرنسيون، كما أن الحصار البريطاني لجزر ايل دي فرانس وبوربون في ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٤ م (١٨٠) قد أضعف من التزايد النشط في التجارة بين مسقط وبورت لويس (١٨١). وهذا الموقف العماني من جهة، وافتقار بريطانيا لوجود مؤسسة دائمة على ساحل عمان من جهة أخرى، قد برهن على ضعف خطر لدى الجانب البريطاني في الصراع الدائر مع فرنسا، لأنه كان يعني أنه ليس بمقدور البريطانيين أن يفعلوا شيئاً لمنع استخدام مسقط كقاعدة للهجمات المدمرة لسفن الريفاتير الفرنسية على الملاحة البريطانية في المحيط الهندي، سوى محاولة استخدام القوة أو الحصول على السيطرة على ذلك الميناء، ولكن السلطات البريطانية في الهند كانت منشغلة إلى أقصى حد بمشكلاتها في الهند عن التفكير في مثل تلك المغامرة التي ستورطها في سياسات الجزيرة العربية الخطرة. ولهذا فقد كان البريطانيون راضين بالمحافظة قدر الامكان على علاقات الصداقة مع حكومة عمان، التي تسهل لهم الاستخدام الاعتيادي للطرق التجارية إلى الغرب والشمال.

ومع هذا ظلت عمان على حيادها واستمرت العلاقات التجارية نشطة بين الجزر الفرنسية ومسقط (١٨٢).

ولكن حكومة بومباي لم تثر الموضوع ثانية، حتى ظهر بونايرت في مصر سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م، وقد أضفى ظهوره على مسألة موقف سلطان عمان أهمية جديدة وملحة، فبادرت هذه الحكومة إلى اتخاذ الخطوات الجدية لكبح النفوذ الفرنسي، لا في عمان بحسب، بل في أرجاء الخليج العربي أيضاً (١٨٣). هذا في الوقت الذي كانت فيه عمان تقترب من مرحلة جديدة في تاريخها بعد أن تولى حكمها السيد سعيد بن سلطان.

السلطان السيد سعيد بن سلطان :

يعتبر عصر السيد سعيد بن سلطان وهو - حفيد مؤسس أسرة البوسعيد الحاكمة في عمان - من أزهى العصور التي مرت بعمان خلال القرن التاسع عشر أن لم يكن أكثرها ازدهاراً رغم الصعوبات الكثيرة التي واجهته في بناء الدولة، ويرى المؤرخون أن السيد سعيد بن سلطان هو بلا شك أبرز الشخصيات في أسرة البوسعيد التي لعبت دوراً في تاريخ عمان والخليج وشرق أفريقيا، ولا تكون مبالغين إذا اعتبرناه من الشخصيات الهامة جداً في تاريخ العرب الحديث والمعاصر (١٨٤).

ومنذ توليه الحكم في عمان عام ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م واجهته صعوبات شتى في الداخل كالثقلات مع بعض القبائل التي تسعى إلى نبذ السلطة والتمتع بالاستقلال كما هو حال القبائل على امتداد الوطن العربي، وكذلك مناقسة القواسم من رأس الخيمة على الملاحة في الخليج العربي، إلى جانب الصعوبات الخارجية التي واجهته والتي تمثلت في غزو الوهابيين لمنطقة الظاهرة في عمان واستيلائهم على واحة البريمي، إلى جانب محاولة الفرس منذ الأربعينات من القرن التاسع انتزاع ميناء بندر عباس الواقع على الساحل الشرقي للخليج من الحكم العماني.

ويعتبر المؤرخون بحق عهد السيد سعيد بن سلطان بأنه الفترة الذهبية في التاريخ العماني الحديث لاعتبارات مهمة:

(١) اتساع نفوذ الدولة العمانية بشكل لم تشهده من قبل بحيث أصبحت كافة المناطق الواقعة بين بندر عباس على الساحل الشرقي للخليج العربي الى ميناء زنجبار على الساحل الشرقي لافريقيا منطقة نفوذ عمان، هذا بالإضافة الى ان العديد من الجزر الواقعة في مدخل الخليج العربي والمحاذية للساحل الشرقي للخليج وكذلك الى جزر بحر العرب والمحيط الهندي بما فيها أرخبيل جزر القمر كانت تحت النفوذ العماني.

(٢) المركز المرموق الذي احتله السلطان السيد سعيد بن سلطان في المجال الدولي والاحترام الذي كان يتمتع به بين حكام أوروبا وآسيا وأفريقيا والولايات المتحدة في ذلك العصر، هذا بالإضافة الى شعبيته الواسعة بين أفراد وطنه.

(٣) استقرار الحكم العماني رغم المطامع والمؤامرات الأجنبية، ففي الوقت الذي كانت الصراعات العربية - العربية مستمرة على سواحل الخليج العربي، وفي الوقت الذي شهدت فيه الجزيرة العربية حروباً دائمة بين محمد علي باشا والحركة السلفية، وما كان يتعرض له السيد سعيد بن سلطان من تصادم المطامع البريطانية والفرنسية والفارسية، فإن السيد سعيد عمل على المحافظة على استقلال بلاده بتوازن دقيق مستخدماً الدبلوماسية أكثر من القوة العسكرية من أجل الوصول الى أهدافه. فقد اقتضت الظروف التوقيع على اتفاقيات تجارية مع فرنسا والولايات المتحدة وهولندا والبرتغال. وكانت سياسات السيد سعيد المستندة الى البراعة الدبلوماسية والمبادئ الواقعية قد جعلت عمان من أكبر الدول العربية وأكثرها نفوذاً على الإطلاق طيلة فترة حكمه.

السلطان السيد سعيد بن سلطان

(٤) قوة الاقتصاد العماني المستندة الى تقدم وتطور التجارة العمانية التي كانت تعتمد هي الاخرى على اسطول تجاري ضخم تسانده قوة بحرية متميزة، فبالإضافة الى التجارة العمانية الواسعة مع الصين وجنوب شرق آسيا والهند وسيلان وإيران، فإن السيد سعيد بن سلطان قد طور وبشكل واسع اقتصاديات ممتلكاته في شرق افريقيا لدرجة انه في النصف الثاني من فترة حكمه كان الكثير من واردات الدولة العمانية يأتي من افريقيا.

فقد كانت هذه السفن تنقل البين من اليمن وشرق افريقيا وتنقل القرنفل من زنجبار وتنقل التيل وخيوطه من ساحل دار السلام، وفي نفس الوقت الذي كانت تصدر هذه المنتجات الى دول الشرق الأوسط وأوروبا، كانت تنقل أخشاب الهند وجزر الهند الشرقية والبهارات والحريز الى أقطار الخليج العربي وإيران والبصرة واليمن.

ومن أجل تطور المصالح الاقتصادية والتجارية



كان من الضروري أن يكون لعمان اسطول تجاري كبير واسطول حربي قوي يقوم بحماية الموانئ والسواحل العمانية. وقد قام السيد سعيد بإنشاء هذا الاسطول، وأصبح لعمان اسطول حربي قوي، واسطول تجاري ضم العديد من السفن العمانية.

الاسطول العماني :

شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر اهتماما كبيرا ببناء الاسطول التجاري والحربي في عهد السيد سعيد بن سلطان وكانت الموانئ العمانية مثل مطرح ومسقط وصور وشناص تشتمل أهم أحواض بناء السفن حيث كانت تبني السفن في هذه الأحواض من الأخشاب المستوردة من الهند وجاوة علاوة على الأخشاب العمانية.. إلى جانب استخدام أشجار النخيل لبناء السفن الصغيرة.

وقد أمر السيد سعيد بن سلطان ببناء العديد من السفن التجارية والحربية في أحواض السفن في الهند وخصوصا في بومباي، ومن أبرز هذه السفن في تاريخ الاسطول العماني الحربي السفن المعروفة باسم (تاج بكس) و(كارولين) و(شاه علم) و(ليفربول) و(سلطنة) و(تاجة). وقد أهدى السيد سعيد البارجة ليفربول الى الملك البريطاني وليام الرابع عام ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م حيث أطلق الأخير عليها اسم (الإمام) تكريما لمهديها السيد سعيد بن سلطان، أما السفينة الحربية سلطنة فقد كانت من أهم قطع الحربية العمانية وقد أرسلت الى ميناء نيويورك في الولايات المتحدة تحمل هدايا للرئيس الأمريكي.

ونتيجة لجهود السيد سعيد بن سلطان في الاهتمام بالبحرية العمانية، أصبح الاسطول العماني الحربي والتجاري في الخليج العربي والمحيط الهندي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ثاني أكبر اسطول على الإطلاق ويأتي في المرتبة الثانية بعد الاسطول البريطاني. وكان لهذا الاسطول الضخم قواعد رئيسية على الساحل الشرقي للخليج العربي في موانئ بندر عباس وحاسك وشامل وسياب ولنجة وجزر قشم وهرمز ولارك، وكانت قواعده على الساحل العماني موانئ مسقط ومطرح وجزيرة مصيرة، أما على الساحل الافريقي فكان لعمان قواعد بحرية في ممباسا ولامو وكلوة ومركه ومقديشو وزنجبار. وكان السيد سعيد بن سلطان سلطان عمان الذي حكم أكثر من نصف قرن دولة واسعة في الخليج العربي والمحيط الهندي، ينتقل بين ممتلكاته في عمان والساحل الافريقي، وكان يقضي فترة طويلة على ظهر السفن يتقصد بلدان هذه الدولة الشاسعة الأطراف، وفي السنوات الأخيرة من حكمه كان يفضل قضاء أطول مدة ممكنة في زنجبار حتى يتمكن من الاشراف على الممتلكات العمانية في ساحل افريقيا.. وكانت له علاقات واسعة جدا مع زعماء القبائل الافريقية وملوك المقاطعات والجزر العديدة التي لم يتمكن من السيطرة عليها مثل مدغشقر وغيرها.

ورغم القوة البحرية التي كانت تحت أمرته فقد اتصف بالحذر الشديد، فاقصر نفوذه على السواحل ولم يغامر بالتوسع في الداخل سواء كان ذلك على الساحل الشرقي للخليج العربي أو بالنسبة للساحل الافريقي. ولكن التجار العمانيين توغلوا في داخل افريقيا ووصلوا الى ما يعرف حاليا بأواسط كينيا والبحيرات الافريقية، وتاجروا مع الأهالي ونشروا الاسلام وكانوا أول جسر ثقافي ربط بين

العرب وأفريقيا الاستوائية.

ومن أجل إعطاء صورة لقوة الأسطول العماني فقد ذكر أحد التجار الأمريكيين الذي زار زنجبار في بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر، أن السيد سعيد وصل البلاد على رأس قوة تتألف من سفينة مزودة بأربعة وستين مدفعا، وثلاث فرقاطات مزودة كل منها بستة وثلاثين مدفعا، وسفيتين مزودة كل منهما بأربعة عشر مدفعا، وحوالي مائة مركب نقل عليها ستة آلاف مقاتل... ورغم بعد الممتلكات العمانية في أفريقيا عن عمان بأكثر من خمسة آلاف ميل، إلا أن الأسطول العماني كان من القوة بحيث استطاع أن يحرس هذه الممتلكات الشاسعة الممتدة بين بندر عباس وزنجبار، كما استطاع أن يحرس عشرات الموانئ الواقعة على السواحل العربية والأفريقية وعشرات الجزر المتناثرة في الخليج العربي والمحيط الهندي.

وإذا كان السيد سعيد بن سلطان قد استطاع أن يكون هذه الدولة الواسعة، واستطاع أن يؤسس أسطولا تجاريا وحربيا قويا تمكن من خلاله من المحافظة على هذه الدولة، فإنه أيضا تمكن من إقامة علاقات دولية قوية سواء مع مصر أو مع بعض الدول الأوروبية أو مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وبالنسبة لعلاقات السيد سعيد بن سلطان بمصر وحاكمها محمد علي، فقد اتصفت العلاقات بين الرجلين بالتقدير المشترك غير المندفع، ورغم أن الرجلين كانا في مواجهة مع النشاط الوهابي في الجزيرة العربية إلا أن الرسائل المتبادلة بين السيد سعيد ومحمد علي كانت قليلة، وأن كانت قد عبرت عن إعجاب السيد سعيد بالبناء الحديث للدولة الذي أقامه محمد علي في مصر، كما عبرت عن وجود رغبة لدى السيد سعيد في إقامة علاقات أوثق مع باشا مصر (١٨٥).

وتمشيا مع هذه العلاقة الودية بين الرجلين، وانطلاقا من تقدير محمد علي لل دور الذي قام به السيد سعيد بن سلطان في مقاومة النشاط الوهابي في عمان في الفترة من عام (١٢٢١ - ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٦ - ١٨١٨ م)، فقد أحسن محمد علي وشريف مكة يحيى بن سرور استقبال السيد سعيد عندما ذهب للحج عام ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م، إذ أرسل محمد علي مجموعة من كبار ضباطه لاستقباله وتحيته، وأطلقت المدافع في جدة حينما اقتربت السفينة العمانية (ليفربول) المقلة للسيد سعيد من الميناء، وعند عودته من الحج إلى مسقط حمل معه هدايا كثيرة من محمد علي ومن شريف مكة.

واستمرت الصلات بين الرجلين ودية رغم موقف بريطانيا العظمى المعادي للنشاط المصري في الجزيرة العربية وفي الخليج العربي بصفة خاصة، ذلك الموقف الذي لم يكن باستطاعة السيد سعيد تجاهله نظرا للعلاقة الخاصة التي ربطت بينه وبين البريطانيين الذين ساعدوه ضد أعدائه، ورغم ذلك لم يأخذ السيد سعيد من محمد علي موقفا عدائيا، بل أن الوثائق المصرية تشير إلى أن السيد سعيد بعث برسالة إلى محمد علي في عام ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٤٠ م طلب فيها بالإحاح سرعة إرسال أحد الجنود العاملين على المدافع الحربية (١٨٦).

وأما علاقة السيد سعيد بن سلطان بالدول الأجنبية، فقد تمثلت في ترحيبه بعقد اتفاقية تجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م، وفي ترحيبه بوجود قنصل أمريكي في السلطنة، كما تمثلت تلك العلاقات في عقد معاهدة بين السلطنة وبريطانيا في ربيع الأول ١٢٥٥ هـ / مايو ١٨٣٩ م تعلق معظم نصوصها

بتنظيم التجارة والملاحة بين البلدين، وتقديم التسهيلات البحرية للسفن البريطانية في موانئ السلطنة، إلى جانب النص على إعطاء القنصل البريطاني في السلطنة الحق في الفصل في المنازعات التي تحدث بين الرعايا البريطانيين المقيمين فيها، كما يؤخذ رأيه في القضايا التي تنشأ بين الرعايا البريطانيين وبين العرب.

كما تمثلت علاقات السلطنة الخارجية كذلك في عقد معاهدة تجارية مع فرنسا عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م حصلت فرنسا بموجبها على نفس الامتيازات التجارية والقضائية التي نصت عليها معاهدة عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م مع بريطانيا العظمى.

ولم يرفض السيد سعيد بن سلطان طيلة فترة حكمه أي عرض تقدمت به أي دولة اقليمية أو دولية لعقد المعاهدات والاتفاقيات التجارية، فكان يفضل التجارة على أي شيء آخر، وعندما طلبت منه الدول الأوروبية وخصوصاً بريطانيا تحريم تجارة العبيد في ممتلكاته والمساهمة معها في محاربة هذه التجارة في كافة أرجاء الخليج العربي والمحيط الهندي، فإنه قبل بهذا العرض وحرّم تجارة العبيد التي كانت تدر على بعض التجار أرباحاً هائلة، وحارب بقوة نشاطات القراصنة من مختلف الجنسيات الأوروبية الذين كانوا يمارسون تجارة العبيد. وكان لموقف السيد سعيد هذا ردود فعل ايجابية في الرأي العام العالمي يومئذ، فقد أثنت الصحف البريطانية كما أشاد مجلس العموم البريطاني بجهود السيد سعيد في مجال محاربة تجارة العبيد ومراعاته لحقوق الإنسان.

وإذا كان للسيد سعيد بن سلطان هذه العلاقات مع الدول التي أشرنا إليها وتحدثنا عنها، فإن علاقاته بالولايات المتحدة الأمريكية كانت أوسع وأعمق، وكانت عمان نتيجة لهذه العلاقات هي أول دولة عربية في الخليج العربي والجزيرة العربية في العصر الحديث تقيم مثل هذه العلاقات مع هذه الدولة الكبرى. ولذلك كان من المفيد أن نخص هذه العلاقات (العمانية / الأمريكية) بحديث واسع ومستفيض.

العلاقات العمانية / الأمريكية في عهد السيد سعيد بن سلطان:

الولايات المتحدة وعلاقتها بالوطن العربي:

أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية استقلالها عام ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م، ومن ثم جاء اهتمامها بالأقطار العربية عامة وأقطار الخليج العربي والجزيرة العربية بصفة خاصة متأخراً عن اهتمامات الدول الأوروبية الأخرى مثل البرتغال وهولندا وفرنسا وبريطانيا. إذن جاء اهتمام أمريكا بالوطن العربي متأخراً عن غيرها من دول العالم بسبب تأخرها في حصولها على الاستقلال، ولأنها عندما حصلت على استقلالها تأثرت بسياسة مؤسسها الأول (جورج واشنطن) George Washington الداعية إلى العزلة، وهي السياسة التي سارت عليها الولايات المتحدة لمدة زادت عن قرن من الزمان (١٨٧).

ونتيجة لذلك جاءت علاقة الولايات المتحدة بالوطن العربي على استحياء بما يتمشى مع امكانات الدولة الجديدة، ومع رغبتها في التفرغ للبناء الداخلي على الأرض الأمريكية دون تدخل من الغير، ودون أن تنغمس في مشكلات الآخرين كما أشار إلى ذلك الرئيس جيمس مونرو James Monroe في تصريحه الشهير عام ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م.

ورغم أن أقطار الوطن العربي كانت مجهولة للأمريكيين فيما عدا ما قرأوه عنها

في الكتب مثل (الف ليلة وليلة) و(تاريخ فراعنة وادي النيل)، ورغم أن سكان تلك الاقطار كانوا يجهلون كل شيء عن الأمريكيين، فإن الولايات المتحدة كانت منذ فجر استقلالها في أواخر القرن الثامن عشر راغبة في إبرام معاهدات ودية وتجارية مع دول أوروبا تفتح أبواب التجارة أمام التجار الأمريكيين في أوروبا وأقطار شمال إفريقيا العربية، وقد نجحت بالفعل في تحقيق هذا الهدف سواء في الاقطار العربية بشمال إفريقيا أو تلك الاقطار في المشرق العربي.

و كانت دولة العلويين بالمغرب الأقصى - المملكة المغربية الحالية - أول قطر عربي يعترف باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية، وقد سارت العلاقة بين الطرفين قوية وودية منذ ذلك الحين، فنجد مثلاً أن الكونجرس الأمريكي اقترح على الحكومة في عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م عقد معاهدة صداقة وتجارة مع المغرب الأقصى، كما أنه طلب وساطة المولى محمد بن عبدالله حاكم المغرب لدى نيابات تونس وطرابلس الغرب لوقف هجمات سفنها على السفن التجارية الأمريكية العاملة في البحر الأبيض المتوسط.

وعندما انتخب جورج واشنطن رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، أشاد في رسالة بعث بها إلى الحكومة المغربية بالعلاقات الودية التي تربط البلدين منذ فجر الاستقلال الأمريكي، والواقع أن مراسلات المولى محمد بن عبدالله مع الكونجرس الأمريكي منذ إعلان الاستقلال الأمريكي تعتبر أول اعتراف دولي بحكومة الولايات المتحدة الأمريكية، ولن تنسى الولايات المتحدة ذلك للمغرب، وستكون القنصلية الأمريكية في مدينة طنجة المغربية التي قامت عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م أول قنصلية أجنبية في المغرب^(١٨٨).

ولذا كانت المغرب أول قطر عربي يقيم علاقات ودية تجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية، فإن سلطنة عمان كانت القطر الثاني الذي أقام هذه العلاقات على المستوى العربي ككل والقطر العربي الأول في منطقة الخليج والجزيرة العربية، ولعلنا نجد تشابهاً بين القطر المغربي والقطر العُماني في النظر إلى الولايات المتحدة آنذاك، بإعتبارها دولة حديثة الإستقلال عن بريطانيا ذات التاريخ الإستعماري في العالم، وعن فرنسا مثيلتها، وإعتبارها تسعى لتحقيق مصالح إقتصادية وليست لها نوايا إستعمارية واضحة، هذا بالإضافة إلى أنه لم تكن للعرب معها على الأقل خبرة إستعمارية مؤلمة تجعلهم يتشككون أو يتخفون من إقامة علاقات معها، ومن ثم سعت المغرب إلى تكوين علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة في مواجهة التآمر الإستعماري الأوروبي على المغرب، كما سعت سلطنة عمان إلى إقامة علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة تحقيقاً للتوازن مع القوى الأجنبية الأخرى الطامعة في مد نفوذها على منطقة الخليج والمحيط الهندي وشرق إفريقيا.

وكانت المصالح الإقتصادية هي محور الزاوية في السياسة الأمريكية تجاه العالم العربي. وقد دعم من هذه المصالح ومهد لها ما قام به المبشرون - أو المنصرون على وجه الدقة - من نشاط. ذلك أن البعثات التنصيرية الأمريكية أخذت تزاوّل نشاطها في الاقطار العربية منذ أوائل القرن التاسع عشر حيث بدأت تنشئ مستشفيات ومدارس وكناش في كل من مصر وسوريا ومنطقة الخليج العربي منذ عام ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م.

ومن هنا فإن عقد إتفاقية بين عمان والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م، جاء متمشياً مع سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة العربية، بمعنى أن قيام عمان بتوقيع مثل هذه الاتفاقية لا يمكن النظر اليه بإعتبار أنه عمل منفرد قامت به عمان دون غيرها من الاقطار العربية لكن عمان كان لها السبق بين هذه الاقطار في عقد إتفاق رسمي مع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أو ماسمي بالعالم الجديد حينئذ.

الإتفاقية التجارية بين عمان والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٣٣ م :
بالنسبة للنشاط الإقتصادي الأمريكي، فقد اجتذبت عمان إهتمام الأمريكيين في الثلث الأول من القرن التاسع عشر لوقوع عمان في طريق الهند والشرق الأقصى، ولأنها كانت مركزاً للعلاقات مع بقية أقطار الوطن العربي وإيران وأفريقيا^(١٨٩)، وفي شرق إفريقيا بالذات كان لها نفوذ لا يذانيه نفوذ أي دولة أخرى.

ذلك أن سلطنة عمان في عهد السيد سعيد بن سلطان تميزت بامتداداتها حتى شرق إفريقيا حيث صار لها جناح إفريقي في زنجبار الى جانب القلب الذي مقره مسقط في مدخل الخليج العربي. رغم أن زنجبار ظلت خاضعة لحكم عمان منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي، إلا أنها لم تلق العناية الكافية بالتنمية والتطور حتى إتجه اليها السيد سعيد بن سلطان في العشرينات من القرن التاسع عشر، حيث أدخل زراعة القرنفل في زنجبار واعتبره محصولاً تجارياً حيث أنشأ عدة مزارع على الأرض الأفريقية، ودفع بالتجار العمانيين للتوغل في القارة الأفريقية للمتاجرة مع الأفارقة، كما قدم مساعدات ذات أثر كبير في نجاح رحلات المستكشفين الأوروبيين الذين مارسوا عمليات الكشف داخل إفريقيا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.

وكان تطوير القسم الإفريقي للدولة العمانية في عهد السيد سعيد بن سلطان عامل جذب للقوى الأجنبية لكي تسعى الى تقوية علاقاتها بالسلطنة ككل، لكي تحصل على متاجر زنجبار بصفة خاصة وكانت الولايات المتحدة الأمريكية أول القوى الأجنبية في التطلع الى فتح أسواق زنجبار أمام التجار الأمريكيان لبيع السلع الأمريكية من ناحية، ولشراء المنتجات والسلع في الشق الإفريقي من الدولة من ناحية أخرى.

وقد بدأت مقدمات العلاقات التجارية بين عمان والولايات المتحدة الأمريكية حينما زار التاجر الأمريكي (ادموند روبرتس) Edmond Robertes الذي ينتمي الى نيوهامبشير زنجبار في عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م، متطعاً الى تحقيق كسب مادي كبير هناك، ولكنه لم يجد التسهيلات التي كان يلقاها البريطانيون الذين كانوا أصدقاء للسيد سعيد بن سلطان. ومن ثم عاد الى الولايات المتحدة الأمريكية يحمل فكرة عقد معاهدة مع الحكومة العمانية لكي تروج التجارة الأمريكية في ممتلكاتها^(١٩٠).

وقد وافق الرئيس الأمريكي (اندرو جاكسون) Andrew Jackson على فكرة عقد معاهدة تجارية بين الولايات المتحدة وعمان، وعهد الى ادموند روبرتس بإجراء المفاوضات اللازمة والتوصل الى المعاهدة المنشودة وكان وصول السفينة الأمريكية (بيكوك) حاملة بعثة روبرتس الى مسقط دليلاً ليس فقط على الإهتمام الأمريكي بكل من آسيا وإفريقيا، بل أيضاً لكون عمان دولة ذات أهمية بارزة لدى الولايات

المتحدة الأمريكية.

ولذلك تم توقيع المعاهدة التجارية بين عمان والولايات المتحدة في جمادى الأولى ١٢٤٩هـ / الحادي والعشرين من سبتمبر ١٨٣٣م، وكانت أول إتفاقية يعقدها السيد سعيد بن سلطان مع دولة كبرى. وقد صارت هذه الإتفاقية المثل الذي سارت على منواله معاهدات عمان مع بريطانيا عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م ومع فرنسا عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م. وقد ظلت الإتفاقية الأمريكية العمانية سارية المفعول حتى عام ١٢٧٨هـ / ١٩٥٨م حين بطل مفعولها واستبدلت بمعاهدة جديدة للصدقة والعلاقات الاقتصادية والحقوق القنصلية بين الطرفين وبموجب هذه الإتفاقية تمتع الأمريكيون بامتيازات إقتصادية وقضائية في ممتلكات السلطان العربية والإفريقية حيث صار التجار الأمريكيون يتاجرون في أراضي عمان الواسعة وينزلون في موانئها ويدفعون ٥٪ فقط رسوماً على البضائع التي كانوا يجلبونها الى الموانئ العمانية ويعفون من دفع أية ضرائب أخرى على الصادرات والواردات، ويعفون كذلك من رسوم الإرشاد الملاحي في موانئ عمان، كما صار من حق القنصل الأمريكي في عمان قض المنازعات التي تنشأ بين رعايا دولته، ونصت المعاهدة كذلك على حق قنصل عمان في الفصل في القضايا بين رعايا دولته في الولايات المتحدة (١٩١).

وفي تقييمنا للإتفاقية التجارية الأمريكية العمانية نلاحظ أن الإتفاقية عززت أهمية السيد سعيد بن سلطان وأبرزت قدرته على الدخول في إتفاقية مع دولة كبرى، مما جعله يميل الى تقوية علاقاته مع الأمريكيين فيعرض عليهم إمتيازات تجارية خاصة في شرق إفريقيا، على أن يقفوا بجوارهم ويساعدوه بالسلاح لإخضاع (مباشرة) لسيادته.

يضاف الى ذلك أن عقد السيد سعيد إتفاقية مع دولة مهمة جعله في موقف الندية ذلك الموقف الذي يستطيع أن يستند اليه في مواجهة القوى الكبرى الأخرى خاصة إنجلترا وفرنسا في تحقيق نفع لعمان ويمكنه من كسب مكانة دولية كما يمكن دولته من كسب إعتراف دولي كانت الأقطار الحديثة ذات الحكومات الناشئة في كل من إفريقيا وآسيا بل وأمريكا اللاتينية تسعى اليه في ذلك الحين.

وعلى الجانب الأمريكي فقد إستقبل الرئيس الأمريكي أندرو جاكسون رسالة السلطان التي حملها آدموند روبرتس مع نص الإتفاقية عند عودته الى الولايات المتحدة بكل تقدير، حيث أكدت الرسالة على تمنيات السيد سعيد الطيبة للرئيس الأمريكي ونوهت بشكره على الرسالة التي حملها اليه روبرتس والتي حملت المودة والتقدير من الرئيس الأمريكي للسيد سعيد.

ومما جاء في رسالة السيد سعيد للرئيس جاكسون. « ولقد إستجيت من كل النواحي لرغبات معالي سفيركم روبرتس وذلك بإبرام معاهدة صداقة وتجارة بين بلدينا العزيزين، هذه المعاهدة التي سنتقيد بها بكل إخلاص وأنا ومن يخلفني في الحكم، وتستطيع سيادتكم أن تطمئن بأن كل السفن الأمريكية التي ترسو في الموانئ التابعة لي ستلقى نفس المعاملة الكريمة التي تلقاها في موانئ بلادكم السعيدة التي يسود فيها الهناء، أمل من كل قلبي بأن سيادتكم ستعتبرني صديقك الدائم والحميم، وأن صداقتي لسيادتكم لن تزول مع الأيام، بل ستستمر زيادة في الرسوخ (١٩٢).

ونتيجة لما جاء في الرسالة وما احتوته الإتفاقية من نصوص تؤكد على توطيد

العلاقة مع الولايات المتحدة، فقد كان وقع هذه الإتفاقية في الولايات المتحدة طيباً، وتمت مصادقة كل من الرئيس جاكسون والكونجرس عليها دون إبطاء، كيف لا والإتفاقية لم تحمل الولايات المتحدة أي إلتزامات نحو عمان كما أن الولايات المتحدة قد أصبحت مرتبطة بصداقة إحدى القوى الآسيوية الإفريقية التي تقهر بإملاكها أسطولاً أكبر من الأسطول الأمريكي نفسه، إذ كان أسطول عمان مكوناً من حوالي خمس وسبعين سفينة مختلفة الأحجام، كل منها مزود بعدد من المدافع يتراوح بين أربعة وستة وخمسين مدفعاً، كما أن السفن العمانية التجارية - وكما لاحظها المبعوث الأمريكي روبرتس - كانت تبحر شرقاً الى الهند وسيلان وجاوة الى جانب موانئ شرق إفريقيا.

ويمكن أن نصيف بأنه على الرغم من أن هذه الإتفاقية إحتوت نصاً على أن يكون من حق القنصل الأمريكي في عمان الفصل في المنازعات بين رعاياه، وأن يكون من حق القنصل العماني - إن وجد في الولايات المتحدة - الفصل في الخصومات التي قد تنشأ بين المواطنين العمانيين هناك، فإن هذا النص كان لصالح الولايات المتحدة أكثر من كونه في صالح الدولة العمانية، إذ لم يكن من المحتمل أن يقوم مواطنون عمانيون بالإقامة والإتجار في الولايات المتحدة، غير أن هذا النص أفاد السيد سعيد بن سلطان أيضاً، إذ أعفاه من مسؤولية الفصل في الخصومات التي يمكن أن تقع بين الأجانب المقيمين في عمان، مما يجنيه كثيراً من المشاكل.

وكان رد الفعل البريطاني نحو الإتفاقية الأمريكية العمانية يدل على السياسة البريطانية نحو منطقة الخليج العربي وشرق إفريقيا والمحيط الهندي بصفة عامة، تلك السياسة التي تقوم على الإنفراد بالنفوذ دون منافس من قوة كبرى خارجية أو حتى داخلية، وفي سبيل ذلك قيدت بريطانيا مشايخ إمارات الساحل العماني وأواخر العقد الثاني من القرن التاسع عشر بمجموعة إتفاقيات أعقبت القضاء على قوة القواسم في رأس الخيمة، وهي إتفاقيات كانت تقضى بسيطرة النفوذ البريطاني دون منازع، وحرمان تلك الإمارات من عقد أي إتفاقيات حتى ولو كانت تجارية دون موافقة الحكومة البريطانية.

وبحكم الصداقة التي قامت بين السيد سعيد مع بريطانيا فقد تلقى السيد سعيد تحذيراً بريطانياً بالحسب لإطماع الولايات المتحدة في شرق إفريقيا، وبوجوب عدم قبول النشاط الأمريكي المتزايد في الممتلكات العمانية، وتفهم السيد سعيد وجهة النظر البريطانية، وعقد مع البريطانيين معاهدة تشبه في نصوصها المعاهدة مع الأمريكيين عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م.

وقد أدت الإتفاقية الأمريكية العمانية التجارية الى إزدهار التجارة الأمريكية في الممتلكات الإفريقية لعمان أكثر من إزدهارها في عاصمتها مسقط، إذ تزايد عدد السفن التي ترسو في زنجبار والتي تحمل قماشاً قطنياً أمريكياً متيناً سرعان ما شاع استعماله في شرق إفريقيا والخليج العربي والجزيرة العربية، الى جانب الأدوات المنزلية والبنادق والبارود والساعات والأحذية، وفي المقابل تحمل من زنجبار القرنفل والعاج، وصمغ الكوبال الذي يستخدم في تحضير الطلاء، ولب جوز الهند المجفف والتوابل^(٩٣).

ونتيجة لإزدياد النشاط التجاري الأمريكي في ممتلكات عمان بشرق إفريقيا فقد

إختارت الحكومة الأمريكية أحد رعاياها ويدعى (المستر ريتشارد ووترز) Richard Waters عام ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م ليكون أول قنصل أمريكي في مسقط ذاتها في عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م.

إلا أن النشاط التجاري الأمريكي مع زنجبار كان أكثر بصورة واضحة من ذلك النشاط مع مسقط، فعلى سبيل المثال زارت مسقط خلال عام ١٢٥٤-١٢٥٥هـ / ١٨٢٨ - ١٨٣٩م ثلاث سفن أمريكية فقط، بلغت قيمة البضائع التي أفرغتها في ميناء مسقط حوالي ١١٠٠ دولار فقط، وكان التمر يمثل ركناً أساسياً في التجارة الأمريكية العمانية حتى الحرب العالمية الأولى، فكانت السفن الأمريكية تنقل من مسقط كميات كبيرة منه إلى الولايات المتحدة.

وقد ظلت العلاقة بين عمان والولايات المتحدة الأمريكية ودية حتى منتصف القرن التاسع عشر، أي على مدى ما يقرب من عشرين سنة منذ عقدت الإنفاقية التجارية بين الطرفين في عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م، ولكن حدث أن اضطربت تلك العلاقة نتيجة عدة عوامل منها :

أولاً : رغبة السيد سعيد في تعديل المادة الثانية من معاهدة الصداقة والتجارة المعقودة بين الطرفين عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م والتي تنص على أن من حق التجار الأمريكيين دخول كل الموانئ الخاضعة للسلطان، وأصر السلطان سعيد على أن المادة الثانية تشير - في رأيه - إلى أن هذا الحق كان يقتصر على ميناء رئيسي واحد هو ميناء زنجبار، ولم ترغب الحكومة الأمريكية في الاستجابة لطلب السلطان فتحرم تجارها بصفة رسمية من التجارة في بقية الموانئ العمانية الإفريقية والآسيوية خشية أن تفتح هذه الموانئ أمام تجار دول أخرى.

ثانياً : الخلافات بين السيد سعيد والأمريكيين حول مدى السلطة القنصلية الأمريكية في عمان على الرعايا الأمريكيين وقد فجر هذا الخلاف إرتكاب بحار أمريكي جريمة قتل في حق مواطن عربي، كما فجره الخلاف الذي كثيراً ما ينشب بين الرعايا الأمريكيين في الدولة العمانية وبين التجار الهنود المعروفين باسم البانيان - الهندوس من غير ذوي الكتاب - والمشمولين بالحماية البريطانية^(١١٤).

وقد لعب القنصل الأمريكي في زنجبار شارلس وارد Charles Ward الذي تسلم مهام وظيفته في الجزء الأفريقي من الإمبراطورية العمانية، في المحرم ١٢٦٢هـ / ٢٤ يناير ١٨٤٦م، دوراً في سوء العلاقة بين السيد سعيد والولايات المتحدة مما أدى إلى قطع العلاقة بين البلدين في رمضان ١٢٦٦هـ - يوليو ١٨٥٠م واعتقد وارد أن القنصل البريطاني في زنجبار كان وراء سوء العلاقة بين الولايات المتحدة وعمان، وتوقع تفكك الدولة بعد وفاة السيد سعيد، وأشاع ذلك مما أغضب السيد سعيد إلى حد كبير.

ورغم أن السيد سعيد كان حريصاً على استمرار العلاقة مع الولايات المتحدة، فإنه اضطر إلى تجديد هذه العلاقة بعد أن استنفد الوسائل المتاحة لكي يحل المشكلات التي أثرت بين الطرفين... فقد بعث السيد سعيد برسالة إلى الحكومة الأمريكية في رمضان ١٢٦٣هـ / سبتمبر ١٨٤٧م إلا أنه لم يتلق رداً عليها مما دفعه إلى التمسك بتفسيره للمادة الثانية للمعاهدة المعقودة بين البلدين وكانت الرسالة تطلب ضمانات أمريكية محددة حول المدى المحدد للتجارة الأمريكية في سواحل أفريقيا الشرقية

التابعة للدولة العمانية وتطلب تحديدا للتخصصات القضائية للقنصل الأمريكي في عمان ووقف أى تدخل في الشؤون الداخلية لعُمان من جانب القنصل الأمريكي. وأرادت الولايات المتحدة ألا تفقد صداقة السلطان فأرسل الرئيس الأمريكي (ميلارد فيلمور) رسالة ودية حملها الى السيد سعيد مبعوثه الذي يدعى (الكومودور اوليك). وغادر القنصل (وارد) عمان الى الولايات المتحدة. وعندما وصل اوليك الى زنجبار في اول صفر عام ١٢٦٨هـ / اول ديسمبر عام ١٨٥١م اجتمع مع التجار الأمريكيين قبل ان يسلم رسالة الرئيس الأمريكي للسيد سعيد وعرف منهم مدى صداقة السيد سعيد وحسن معاملته لهم وأنه لم يسيء للعلم الأمريكي كما ادعى القنصل (وارد)، وانهم يتمتعون بامتيازات في عمان تفوق ما يتمتع به غيرهم من التجار الاجانب.

وعندما غادر المبعوث الأمريكي (اوليك) زنجبار ترك أثرا طيبا بين اهلها وحكامها، وتحمل القناصل الأمريكيون منذ عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م مسؤولية العمل على تحسين العلاقات بين السلطنة والولايات المتحدة الأمريكية... وبالفعل امتلأت تقارير هؤلاء القناصل بالاشادة بروح المودة التي يبديها السيد نحو الأمريكيين، وان العلاقات التجارية بين البلدين ثابتة ومستقرة (١٩٥٠م).

ومما يجدر الاشارة اليه فانه نظرا لاهتمام الولايات المتحدة بالجانب الافريقي من الدولة العمانية، فقد كان تعيين قناصل امريكيين في زنجبار في اسبق من تعيين زملاء لهم في مسقط، بل ان القنصلية الامريكية بمسقط احيانا ما خلت ممن يشغلها، واحيانا اخرى كانت تخضع لسلطات القنصل الأمريكي في زنجبار، واذا كان اول القناصل قد وصل الى زنجبار عام ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م ويدعى (ريتشارد ووترز) - السابقة الاشارة اليه - فان آخر قنصل للولايات المتحدة غادر زنجبار كان في عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م بعد ان خضعت هذه البلاد للسيطرة الانجليزية. بينما تسلم

رحلات السفينة
سلطنة الى نيويورك
واندن والسفينة
كارولين الى مرسيليا.



المستر (هنري مارشال) عمله كقنصل للولايات المتحدة في مسقط عام ١٢٥٤هـ / ١٨٢٨م، ثم الغيت القنصلية الامريكية بمسقط في المدة من ١٢٦١ - ١٢٩٧هـ / ١٨٤٥ - ١٨٨٠م، حين عين المستر (ماجبور) Magbour وهو تاجر بريطاني - قنصلا للولايات المتحدة الامريكية في مسقط، وفي عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م اعترفت به فرنسا قنصلا لها ايضا في عمان.

ورغم ان العلاقة بين عمان والولايات المتحدة خلال الفترة الممتدة من الاتفاقية التجارية لعام ١٢٤٩هـ / ١٨٢٣م ولعدة مائة عام تقريبا لم تعتبر ذات اهمية بالغة من وجهة نظر أي من الطرفين، الا ان وجودها في حد ذاته كان يبشر بعهد جديد في مجال العلاقات الدولية، وفي سياسة الود التي ربطت بين عمان والولايات المتحدة.

زيارة سفينة السيد سعيد لنيويورك :

وتمشيا مع السياسة الودية بين الامبراطورية العمانية والولايات المتحدة التي بدأت بمعاهدة الصداقة والتجارة التي عقدت بين البلدين عام ١٢٤٩هـ / ١٨٢٣م، فقد بعث السيد سعيد سفينة المسماه (سلطانة) في رحلة الى ميناء نيويورك الامريكي عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م، لتقوية العلاقات مع الولايات المتحدة، وللمتاجرة وشراء الاسلحة التي كان في حاجة اليها اثناء صراعه ضد الوجود البرتغالي في موزمبيق وقد تولى قيادة هذه السفينة ربان بريطاني يدعى (وليام سليمان) William Soliman، واختار السيد سعيد امين سره الخاص الحاج احمد بن نعمان ليكون ممثلا له في الولايات المتحدة، بل اول مبعوث عماني الى الولايات المتحدة.

وقد حمل الحاج احمد بن نعمان هدية السيد سعيد للرئيس الامريكي، وكانت هذه الهدية عبارة عن جوازين عربيين، وبعض الجواهر، وسيف مطعم بالذهب، الى جانب العطور، وقد اهدى الرئيس الامريكي للسيد سعيد باخرة كبيرة مؤثثة باثاث فاخر، الى جانب اربعة مسدسات تلقائية الدوران، وبندقيتين تلقائيتين الدوران كذلك.

كما حملت السفينة (سلطانة) اكثر من الف من اجولة التمر العماني، وحوالي عشرين بالة من السجاد الايراني، ومائة كيس من قهوة (مخا)، و ١٠٨ من انياب العاج، وحوالي ثمانين جوالا من صمغ الكوبال الراجيني، و ١٢٥ جوالا من القرنفل، والف جلد من جلود الحيوان المجففة، وقد بيعت هذه الحمولة لحساب السيد سعيد في نيويورك (١٩٦).

وفي رحلة العودة كانت (سلطانة) محملة ببضائع متنوعة من نيويورك، تتالف من ١٢٥ بالة من الملابس الرمادية تسمى (ميركاني)، و ١٢٤ ثوبا من قماش قرمزي اللون و ١٢ حقيب من الخرز الاحمر والابيض والازرق، وعشرين دسنة من القماش المطبوع، و ٢٠٠ بندقية، وبارود واطباق من الصيني، وبعض الاشياء الشخصية للسيد سعيد (١٩٧).

وعندما وصلت (سلطانة) الى ميناء نيويورك وجد ركابها العرب بعض المضايقات من بعض الامريكيين، إذ أثار منظر العرب العمانيين بملابسهم المميزة انتباه الناس في شوارع نيويورك فتعقبوهم في السير، إلا أن هذه المضايقات سرعان ما ضاع أثرها حين لقي ركاب السفينة سلطنة كل تكريم وترحيب من محافظ نيويورك ومن رئيس نادي البحرية في نيويورك، وصدرت اوامر الرئيس الامريكي، (فان



لحمد بن نعمان
أول مبعوث عماني إلى
الولايات المتحدة
الأمريكية.

بورين) Van Buren ووزير بحريته بإدخال السفينة سلطنة إلى حوض الاسطول الأمريكي، وتجهيزها للإبحار على نفقة الحكومة الأمريكية، ومن ثم شحنها بالمنتجات الأمريكية التي اشترنا إليها لتعود بها إلى السيد سعيد.

وقد استغرقت رحلة هذه السفينة سلطنة منذ خرجت من زنجبار حتى عادت إليها حوالي عشرة أشهر، وقاد رحلة العودة إلى أرض الوطن ريان أمريكي استطاع أن يجتاز بها المحيط الاطلنطي بامواجه المضطربة بسلام، عادت وعليها مبعوث السيد سعيد الحاج احمد بن نعمان بعد أن اتم مهمته على خير وجه، فكان بحق خير سفير لبلده في تلك البلاد البعيدة.

وان دلت رحلة السفينة (سلطنة) إلى نيويورك على شيء فانما دلت على رغبة كل من عمان في عهد السيد سعيد بن سلطان والولايات المتحدة الأمريكية في تقوية واستمرار العلاقات الودية بين الطرفين، وخاصة في المجالات الاقتصادية وفي المجالات التي كانت تستهوي التجار الأمريكيين أكثر من أي شيء آخر، في الوقت الذي لم تكن فيه حكومة الولايات المتحدة الأمريكية راغبة في التدخل في المشكلات

السياسية، انطلاقاً من سياسة العزلة التي سارت عليها منذ أن أعلنت استقلالها عن إنجلترا، مما يدل على أهمية العلاقات الاقتصادية بين السلطنة والولايات المتحدة في عهد السيد سعيد بن سلطان.

أهمية الصلات بين عمان والولايات المتحدة الأمريكية على المستوى الإقليمي والعالمي :

كان للعلاقات بين عمان والولايات المتحدة أثر هام على موقف كل من البلدين، فقد استفادت الولايات المتحدة بازدهار تجارتها لأكثر من نصف قرن من الزمان، بل أن هذه التجارة فاقت التجارة البريطانية في ممتلكات السلطان العماني. وقد شهدت السنوات ما بين ١٢٤٩-١٢٦٨هـ/ ١٨٢٣-١٨٥١م تصاعدا مستمرا في أرباح التجارة الأمريكية، ففي عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٢٣م كان مجموع السفن الأمريكية التي وصلت إلى زنجبار تسع سفن بينما كان عدد السفن الإنجليزية أربع سفن فقط، وارتفع عدد السفن الأمريكية التي وصلت إلى زنجبار عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م - وهي سنة وفاة السيد سعيد - إلى ست وعشرين سفينة، بينما لم يتجاوز عدد السفن البريطانية سفينتين اثنتين، وهذا يعني أن السيد سعيد قد ضمن للولايات المتحدة تطورا كبيرا لمصالحها في المنطقة.

وعلى الجانب الآخر فقد استفادت عمان من علاقتها بالولايات المتحدة في أن الوجود التجاري الأمريكي القوي في الإمبراطورية، قد جعل مسألة سيادة تلك البلاد

واستقلالها عند وفاة السيد سعيد أمرا ثابتا لا يحتاج الى نقاش، وحتى بعد انقسام الدولة بين ولدي السيد سعيد، ماجد في زنجبار ووثيني في مسقط، فقد بقيت السلطنة في مسقط بعيدة عن أي نزاع استعماري لأن سيادتها ضمنتها اتفاقيات دولية، بينما وقعت زنجبار فريسة للاستعمارين الانجليزي والاماني.

وقد اشار تقرير عن السياسة الخارجية الامريكية عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م نحو مشيخات الخليج العربي عامة وعمان خاصة (١٩٨) الى أنه « في الوقت الذي تعترف فيه الولايات المتحدة بالوضع الخاص لبريطانيا العظمى في امارات الكويت والبحرين وقطر والساحل العماني المتصالح، فان سياستنا - أي سياسة الحكومة الامريكية - نحو هذه المنطقة تعتمد على أن الوضع البريطاني الخاص في هذه الامارات، لن يؤدي الى الحاق الضرر بالمصالح الامريكية او مصالح السكان المحليين والحكومات القائمة... وان سياستنا نحو عمان تستند على واحدة من اقدم معاهدتنا التي مازالت نافذة المفعول، وهي معاهدة الصداقة والتجارة الموقعة بين الطرفين في جمادى الاولى ١٢٤٩هـ / الحادي والعشرين من سبتمبر ١٨٢٣م ».

ويشير التقرير مؤكدا على اهمية العلاقة بين الولايات المتحدة والدولة العمانية الى ان الذكرى المثوية لتوقيع المعاهدة المشار اليها والتي احييت في منتصف ذي القعدة ١٣٥٢هـ / مارس ١٩٣٤م تميزت بزيارة قامت بها بعثة دبلوماسية امريكية خاصة لمسقط، كما يشير الى انه في عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م استقبل الرئيس الامريكي (فرانكلين روزفلت) Franklin Roosevelt في واشنطن السلطان سعيد بن تيمور سلطان عمان وضييفه الخاص.

واختتم التقرير سرده للأحداث بالمقارنة بين تلك المعاهدات التي وقعتها الامارات العربية الخليجية مع بريطانيا العظمى ابتداء من اوائل القرن التاسع عشر، وبين المعاهدات العمانية البريطانية. فقد تعهدت الامارات العربية الخليجية لبريطانيا منذ عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م بالمساعدة على القضاء على القرصنة في الخليج العربي ووضع حد لدخول السلاح والرقيق الى بلادهم. وعن طريق سلسلة من المعاهدات اعطى حكام الامارات للبريطانيين حق استغلال اراضيهم مقابل الحماية البريطانية، وفيما بين عامي ١٣٢١-١٣٤٢هـ / ١٩١٣-١٩٢٣م ربط حكام الامارات العربية الخليجية انفسهم اكثر بالتعهد بعدم اعطاء امتيازات للبحث عن البترول في اراضيهم لاية دولة اخري دون موافقة وقبول البريطانيين..

بينما وافق سلطان عمان في عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م على مجرد استشارة الوكيل السياسي البريطاني في الخليج وحكومة الهند البريطانية قبل البحث عن البترول في سلطنته مما يدل على مدى استقلالية عمان في تلك الفترة ومنذ عهد السيد سعيد بن سلطان ولم يكن ذلك الا نتيجة للعلاقات الدولية القوية التي عقدها هذا السلطان مع امريكا وغيرها من الدول التي اشرنا اليها.

واذا كان اهتمام الولايات المتحدة بالذات وكما رأينا كان منصبا وبدرجة اكبر على الممتلكات العمانية، في ساحل شرقي افريقيا فان هذا الاهتمام لابد وان يقودنا الى تخصيص حديث عن هذه الممتلكات، لنعرف مدى الاهمية التي كانت لها، ولنلق على مدى الروابط التي كانت تربطها بعمان الام، وذلك منذ عهد الامام أحمد بن سعيد.

السلطان سعيد بن سلطان والعلاقات السياسية والاقتصادية مع العالم الخارجي: بعد ان خلع الامام احمد بن سعيد عمان من السيطرة الفارسية ونجح في تأسيس الدولة البوسعيدية، التفت الى ساحل شرقي افريقيا الذي كانت تربطه بعمان صلات ضاربة في اعماق التاريخ، واستطاع وكما اشرنا من قبل أن يكون له نفوذه في بعض اجزاء هذا الساحل، وحاول ان يمد هذا النفوذ الى اجزاء الساحل الاخرى، ولكنه لم يتمكن الا من تعيين ولاة على كل من مدينة كلوه وزنجبار وممباسا، ومعنى ذلك ان سيطرته على الاجزاء الاخرى لم تكن قوية لدرجة تكفي لتوثيق الروابط السياسية والاقتصادية بين عمان وساحل شرقي افريقيا كله (١٩٩).

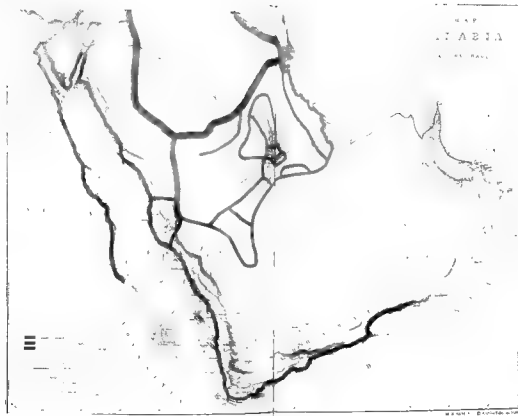
الا ان ذلك لا يمنعنا من القول ان دولة آلْبوسعيد في عهد أحمد بن سعيد قد اختطت منذ تأسيسها سياسة افريقية واضحة المعالم وقد برزت هذه السياسة بصفة خاصة في عهد السلطان سعيد بن سلطان منذ توليه الحكم (١٢٧٣-١٢٧٤هـ / ١٨٠٤-١٨٥٦م)، حتى اصبحت الدولة العمانية في عهده دولة ملاحية كبيرة تمتد ممتلكاتها من سواحل عمان الى جزيرة ممبا (الجزيرة الخضراء) وزنجبار على الساحل الشرقي لافريقيا والمنطقة الام الى منطقة الساحل نفسه في افريقيا وهي التي تحيط بممباسا ودار السلام وتمتد من شمال موزمبيق حتى الصومال (٢٠٠).

ومع ان السيد سعيد بن سلطان كان له نفوذه الواسع على معظم شرقي افريقيا ساحلا وجزرا، الا ان قبيلة المزروعى القوية في ممباسا رفضت ان تقدم ولاءها له حتى انه ارسل اليها انذارا نهائيا في سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م يأمرها فيه بالخضوع والطاعة، ولم يتهيا له القضاء التام على قوة هذه القبيلة الا في عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م بعد ان شن عدة حملات قادها بنفسه ضد ممباسا (٢٠١).

وفي تلك السنوات التي كان فيها السيد سعيد يركز على الاستيلاء على ممباسا، اعجب جدا بجزيرة زنجبار التي اصبحت الدعامة الكبرى في مشروعاته الافريقية (٢٠٢)، والواقع ان هذه الجزيرة كانت تفوق المراكز الاخرى في نقاط كثيرة، فهي ذات موقع متوسط بين موانئ شرق افريقيا الاسلامية، وقد حقق لها ذلك الموقع مركزا اقتصاديا هاما، كما ان كون زنجبار جزيرة فقد كانت تعتبر اكثر امنا من اية نقطة اخرى على الساحل ضد اي هجوم قد تتعرض له (٢٠٣)، كما ان زنجبار ذات طقس معتدل، وارضها خصبة، ولها ميناء كبير صالح للملاحة وبها اعذب مياه في شرق افريقيا على حد قول السيد سعيد نفسه (٢٠٤).

وتطورت الامور اكثر من ذلك، فلم تعد زنجبار افضل نقطة بالنسبة لمشروعات السيد سعيد في شرق افريقيا، بل اصبحت النقطة الاثيرة لديه بالنسبة لممتلكاته ككل بما في ذلك مسقط فقد جذبت زنجبار السيد سعيد اليها بطبيعتها الجذابة وطقسها المعتدل (٢٠٥)، هذا الى امكانية قيام زنجبار بتسهيل عمليات التبادل التجاري وتجارة المرور (الترانزيت) في كل شرق افريقيا (٢٠٦).

لقد كان انتقال السيد سعيد الى الاقامة في زنجبار له ما يبرره، حيث عانى في السنوات السابقة على انتقاله من بعض المشكلات الداخلية والتي كان بعضها عاثيا، اضافة الى ان الوهابيين والقواسم كانوا كثيرا ما يهاجمون سلطنته العربية (٢٠٧).



وعموما فإن القرار الذي اتخذه السيد سعيد بالاقامة في زنجبار بوصفها العاصمة الثانية لدولته المترامية يعد قرارا خطيرا وخصوصا وأن المسافة بين العاصمتين تبلغ ٢٥٠٠ ميل والوصول من عمان الى زنجبار تحكمه حركة الرياح الموسمية^(٢٠٨).

وعلى أية حال فإنه كان من المستحيل أن تسيطر حكومة عمان سيطرة فعلية على ممتلكاتها البعيدة في شرق أفريقيا، وكانت سياسة السيد سعيد الرامية الى تدعيم نفوذه في ممتلكاته الجديدة، أهم الأسباب التي دعت به الى نقل بلاطه من بلاد العرب الى زنجبار في سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م، حيث ظل مقيما بها البقية الباقية من حياته^(٢٠٩).

على أن السيد سعيد كان يعمل على تسير دفة الامور الخاصة بعمان وهو بعيد عنها، فكان يضطر كثيرا لمغادرة زنجبار لمواجهة المشاكل الناجمة في عمان وحلها^(٢١٠) ورغم انه اقام فترة طويلة في زنجبار، فقد ظلت زنجبار طيلة الحكم الطويل للسيد سعيد تابعة لمسقط رسميا.

وتجدر الإشارة الى انه قبل عصر السيد سعيد، كان معظم سكان جزيرة زنجبار من السواحلية ولكن في ظل الدولة الجديدة كثر وفود العرب للاقامة في زنجبار، ذلك ان السيد سعيد كان قد شجع هؤلاء العرب على الهجرة الى ييمبا وزنجبار^(٢١١).

ولا شك ان الدافع الاقتصادي كان أقوى الدوافع التي جعلت السيد سعيد يفضل الاقامة بصقة دائمة في جزيرة زنجبار، والواقع انه لم يكن هناك مكان آخر في ممتلكات السيد سعيد أكثر ملاءمة لتنفيذ سياسته الاقتصادية من هذه الجزيرة^(٢١٢).

ولذلك انتقل اليها ولم ينتقل الى ممباسا او كلوة او غيرها من المدن الهامة في شرق أفريقيا^(٢١٣).

وعلى أية حال فقد أكد السيد سعيد منذ البداية بأن التنمية الاقتصادية تعنيه كما يعنيه استتباب نظام الحكم والامن والاستقرار، ومن المرجح ان يكون هو اول من ادخل زراعة القرنفل الى زنجبار حتى اضحت زنجبار وييمبا في اواخر القرن التاسع عشر تنتجان معا قرابة ٩٠٪ من محصول العالم كله من القرنفل^(٢١٤).

الا ان اهتمام السيد سعيد بزراعة القرنفل كان يواكبه اهتمام كبير بالمسائل التجارية، وهكذا تطورت صورة أخرى من صور النشاط التجاري كانت موجودة قبل السيد سعيد وهي تردد القوافل العربية على داخل أفريقيا^(٢١٥)، فجابت قوافله التجارية اجزاء واسعة داخل القارة حتى وصلت الى الكونغو.

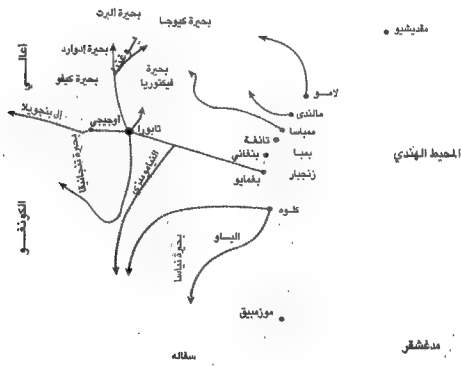
ولم تكن الاعمال التجارية هي المورد الاساسي الذي اعتمد عليه السيد سعيد في دخل الدولة من التجارة، مع ملاحظة انه لم يكن هناك تمييز بين خزانة الدولة وخزائنه الخاصة، وإنما استفاد السيد سعيد من النشاط التجاري بصورة رئيسية من موردين آخرين هما الضرائب الجمركية والاحتكار. اما من ناحية المورد الاول فتجد ان السلطان قد فرض على جميع انحاء السلطنة ضريبة على الواردات مقدارها ٥٪، وقد ارتاح الاوروبيون الى هذا النظام لانه يجنبهم اهواء اي حاكم مستقل قد يظهر على الساحل ويفرض على التجارة الاجنبية ضرائب عالية، وعلاوة على ذلك اعفيت الصادرات من أية ضرائب جمركية.

اما بالنسبة للمورد الثاني اي الاحتكار، فنجد ان السلطان قد احتكر تجارة العاج والصمغ فأصبح كلاهما سلعة اساسية يتاجر فيها لحساب الدولة، ولما كانت هاتان السلعتان تصدران في الغالب الى المواني الجنوبية، فقد اغلقت المنطقة الواقعة بين كلوة وبينجاني في وجه الملاحة الاجنبية، واصبح السيد سعيد متحكما في اسعار هاتين السلعتين عند بيعهما للتجار الاجانب في زنجبار.

ولا شك ان تزايد التبادل التجاري على الساحل قد شجع التجارة الداخلية، فكثرت عدد القوافل التي كانت تتردد على داخل القارة لجلب العاج والصمغ^(٢١٦)، وكان السيد سعيد مقتنعا بان اكتشاف داخل القارة لا بد وان يعود بالثراء على الساحل ومن ثم شجع المضاطرين العرب الذين جاءوا معه من عمان على اجتياز الطرق التجارية القديمة^(٢١٧)، والواقع ان العرب كانوا يعرفون داخل افريقيا منذ ازمة بعيدة ولكن في عهد السيد سعيد وخاصة منذ عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م نظمت الرحلات الدورية للقوافل ووصل نشاطها الى البحيرات، وشاهد ليفنجستون السفن العربية تجوب بحيرات افريقيا الوسطى مثل بحيرة فكتوريا وتنجانيقا ونياسا، كما انشئت محطات عربية على بعض الجزر القائمة وسط هذه البحيرات وعلى سواحلها مثل بوجيجي وكازانجي^(٢١٨)، كما اسست مراكز عربية في المراكز الهامة الواقعة على الطرق التجارية حيث كانت القوافل تتزود بحاجتها من المؤن وتخزن البضائع في مستودعات خاصة تحت حماية جماعات مسلحة بالبنانيق^(٢١٩).

ومن اهم الطرق التي استخدمها العرب لسير القوافل ذلك الطريق الذي يبدأ عند

طرق التجارة البرية
العمانية في شرق افريقيا
في القرن التاسع عشر.



بجمويو في مواجهة جزيرة زنجبار ويتجه جنوباً ثم ينحني في اتجاه شمالي شرقي لتجنب المرتفعات، وتقع عليه أكثر المراكز العربية على بعد ٦٠٠ ميل من الساحل، وينتهي هذا الطريق عند بحيرة تنجانيقا^(٢٢٠). وقد تردد التجار العرب على عاصمة مملكة أوغندا وأصبحوا على مقربة من التجار العرب الذين كانوا يأتون إلى هذه المناطق من السودان، وكان من الممكن حدوث اتصال بين الفريقين لولا أن ملك أوغندا كان يمنع عرب الساحل من المرور عبر مملكته، ولما انشئت المراكز العربية في الداخل اتخذت كنقطة انطلاق جديدة تخرج منها القوافل فتتمكن من التوغل إلى مسافات أبعد داخل القارة، وقد شاهد الرحالة الأوروبيون في العقد السابع من القرن التاسع عشر هذه القوافل وهي تتوغل غرب بحيرة تنجانيقا إلى مسافة مائة ميل في القسم الشرقي من حوض الكونغو، إلا أن هذا التوغل بدأ على ما يبدو في نهاية حكم السيد سعيد^(٢٢١).

والواقع أن وجود هذه المراكز العربية وسط محيط أفريقي كان يجعلها أشد تمسكاً بالتبعية لسلطان زنجبار، لا سيما وأن هذه التبعية لم تكن تكلف سكانها شيئاً من الناحية المادية اللهم إلا بعض الهدايا التي كان يحملها رؤسائهم إلى السلطان حينما يذهبون إلى العاصمة^(٢٢٢).

وهكذا يتضح أنه على طول طرق القوافل كان كبار التجار العرب يروحون ويحيثون، في حين استقر صغار التجار في العواصم الأفريقية، وانتهى الأمر بأن أمد نفوذ سلطان عُمان إلى كل ركن تقريباً في شرق أفريقيا ووسطها^(٢٢٣)، وطبقت شهرته المنطقة الممتدة من المحيط الهندي إلى الكونغو حتى أصبح من الأقوال الشائعة قولهم: «... أنفذ زامر في زنجبار رقص الناس على أنغامه في البحيرات»^(٢٢٤).

وهكذا تبلورت الأمور في هذا الطور الإيجابي من العلاقات العربية الأفريقية إلى ما هو أقوى من مجرد العلاقات، إلى طور الارتباط العربي الأفريقي، الارتباط بين مسقط وزنجبار في سلطنة واحدة يمتد نفوذها إلى كل شرق أفريقيا ووسطها، وتحت سيطرة حاكم عربي واحد اتخذ زنجبار له مقراً.

إلا أن القوى الاستعمارية لم تكن لتترك هذا النمو والازدهار للارتباط العربي الأفريقي، ومن ثم تبدأ المرحلة الثانية من مراحل هذه الدراسة وهي تقسيم السلطنة العربية الأفريقية كمرحلة من مراحل تفتيت السلطنة ككل، وللحد من الارتباط الأفريقي العربي في شرق أفريقيا الذي بلغ أوجه في عهد السيد سعيد بن سلطان.

ففي السنوات الأخيرة من حكم سعيد بن سلطان بلغت ممتلكات دولة البوسعيد أقصى اتساع لها، فقد كانت هذه الدولة تشمل عمان كما اشتملت أيضاً على بعض الأراضي الشرقية من سواحل الخليج العربي^(٢٢٥)، ومنها بندر عباس الذي استأجرته دولة البوسعيد من فارس لمدة عشرين عاماً اعتباراً من عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م^(٢٢٦)، أما بالنسبة للممتلكات الأفريقية فقد كانت تضم كل الساحل الشرقي الأفريقي من رأس جورداقوي شمالاً إلى رأس دلجادو جنوباً، هذا بالإضافة على عدة مقاطعات كانت تخضع لحماية الدولة العمانية كمقديشو ولامو ويات^(٢٢٧)، وكانت تدخل ضمن تلك الدولة الواسعة أيضاً الأراضي الداخلية التي كان يطرقها التجار العرب داخل أفريقيا وكان هؤلاء يعترفون بشيء من السيادة للسلطان. ولم تقتصر ممتلكات الدولة العمانية على تلك الأراضي التي ذكرناها وإنما امتد النفوذ العماني إلى بلاد

أخرى وإن لم يتحقق لعمان سيطرة فعلية على تلك البلاد، كجزيرة البحرين وزيلع وعدن وغيرها^(٢٢٨).

الدولة البوسعيدية منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى بداية عهد النهضة:

وكانت وفاة السلطان سعيد في العشرين من صفر ١٢٧٢ هـ / التاسع عشر من أكتوبر من عام ١٨٥٦ م نهاية لعهد حاكم عربي بارز، ومهما يكن من أمر، فلا يزال عهده يعتبر مرحلة ماجدة في إطار الحضارة التقليدية للمنطقة ونظامها الديناميكي القديم، إلا أن النفوذ البريطاني وعملية التحديث للمنطقة أثرا على البناء السياسي العام الذي أقامه، وبمعنى آخر لم يكن هناك بين أبناء السلطان سعيد من يتمتع بالكفاءة والتأييد السياسي الكافي الذي يؤهله لحكم السلطنة العربية الأفريقية والحفاظ على وحدتها مثلما كان الحال في عهد والده رغم أن السلطان سعيد كان قد عين اثنين من أنجاله نائبين عنه في كل من الجزء الأفريقي - زنجبار - والجزء الآسيوي - عمان - أثناء الفترات الطويلة التي يتغيب فيها عن الحكم. ومنذ عام ١٢٤٩ هـ / ١٨٢٣ م كان (ثويني) ينوب عن والده في العاصمة مسقط، بينما أصبح الثاني (ماجد) ينوب منذ عام ١٢٧١ هـ / ١٨٥٤ م عن والده في زنجبار، وقد أصبح لكل منهما نفوذ واسع في المنطقة التي كان يحكمها، ولكن ليس بالدرجة التي تمكنه من ضم الجزء الآخر إلى حيز نفوذه، كما لا يبدو أن السلطان سعيد قد رشح أحد أبنائه ليخلفه في الحكم بعد وفاته^(٢٢٩).

السلطان السيد
ماجد بن سعيد بن
سلطان



ولذلك ظل الصراع بين أبناء السلطان سعيد من السمات المميزة للتاريخ العماني على امتداد بقية القرن التاسع عشر، علما بأنهم كانوا قادرين بالاستخدام الذكي للامكانيات الاقتصادية والسياسية التي كانت لديهم على أن يحافظوا على دولتهم بشطريها العربي والأفريقي.

ونتيجة للاضطرابات السياسية التي اجتاحت عمان بعد وفاة السلطان سعيد، نشبت الحرب الأهلية للاستيلاء على السلطة بين ورثة السلطان المتوفى تلك الحرب التي أخذت تهدد الدولة العمانية بشطريها الآسيوي والأفريقي بالتمزق والانحيار، وخاصة بعد أن استغلت الدول الأجنبية الطامعة ذلك الخلاف والصراع الذي نشب بين الأخوين ثويني وماجد.

وقد لعبت كل من بريطانيا وفرنسا دورا متفاوتا في استغلال هذا الخلاف بين هذين الأخوين فقد تحركت قواتهما العسكرية والمسؤولون والسياسيون البريطانيون والفرنسيون على الفور لتحقيق مكاسب لمصالح بلدانهم، وقد بذلوا في ذلك جهدا كبيرا وتناقلوا بين مسقط وزنجبار بفرض الحماية والوصاية، وكانوا في حقيقة الأمر يشجعون

الخلافات بين الاخوين في وقت كانوا يظهرون فيه على انهم يبذلون سعيهم وراء التوسط لحل المشاكل.

وكان الخلاف حول كسب الموقف في اشده بين بريطانيا وفرنسا، فقد حشدتا قوات وأساطيل على السواحل العمانية والافريقية، وأظهرتا عطفاً كل على الطرف الآخر من المتنازعين، مشجعين اياهما على الاندفاع أكثر على كسب المواقف الشخصية. والثابت ان اطماع البلديين في شرق افريقيا كان واضحاً حيث حاولا مراراً ايجاد موطئ قدم لهما على الساحل الافريقي العربي، واستعملا اساليب في نشر الاشاعات والاكاذيب والافتراءات التي لا تمت للحقيقة بصلة للحيلولة دون اتفاق الاخوة على وحدة الكلمة.

وقد اتهموا السلطان الراحل على انه اعد مستندات اصولية لتقسيم الامبراطورية وتوزيعها بين ابنائه حيث اكذوا ان السلطان اوصى لخالد وبالتالي لابنه ماجد باراضي زنجبار مستقلة عن الوطن الام عمان.

وحقيقة الامر ان هناك ادلة قاطعة تدحض ان يكون السلطان الراحل قد وقع اية وصية من ذلك النوع، وكانت الامور تسير سيراً طبيعياً بين الاخوة، ولكن التدخلات الاجنبية خلقت عدم الثقة والريبة في كل عمل يصدر عن الآخر.

ومهما كان الامر فقد كانت انجلترا تؤيد تقسيم السلطنة وتعارض فكرة ضم ممتلكات ثويني الى ممتلكات ماجد، ولذلك وقفت بجانب الآخر متذرة بأن اية حرب بين الاخوين سوف تشكل خطراً على مصالحها في الطريق البحري الى الهند^(٢٣٠).

وقد حاول ثويني بالفعل إعادة توحيد السلطنة وبدأ في اعداد حملة سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م لارسالها الى زنجبار، الا ان السلطات البريطانية في الهند اسرعت بارسال الكولونيل رسل Russel وهو أحد ضباط البحرية الهندية لكي يوقف تقدم الحملة، واستطاع رسل ان يصل في الوقت المناسب مما اضطر ثويني الى التراجع الى مسقط بعد ان اغلق الاسطول البريطاني الطريق في وجهه^(٢٣١).

وتبالغ التقارير البريطانية في ابراز مسؤولية فرنسا عن هذه الازمة، وتعلل ذلك بأن فرنسا كانت تريد ان تحصل من السيد ثويني او من السيد برغش على تنازل عن بعض الاراضي في شرق افريقيا مثل ممباسا او براوة في مقابل مساعدتها لهما ضد السيد ماجد، كما ان فرنسا كانت ترغب في احياء تجارة الرقيق نظراً لحاجتها الى العمال الافريقيين للعمل في المستعمرات التي ضمتها مؤخراً^(٢٣٢)، كما ان هناك سبباً آخر جعل فرنسا تزيد من اهتمامها بزنجبار، وهو ازدياد التبادل التجاري مع الساحل الشرقي الافريقي في ستينات القرن التاسع عشر. ولا شك انه ترتب على هذه السياسة الفرنسية في زنجبار ان ازداد السيد ماجد تقرباً الى الانجليز فقاموا بدعاه، ونتيجة للدعم البريطاني للسيد ماجد، فانه اخذ يعد العدة للتخلص من منافسيه^(٢٣٣).

ولم يقف الامر عند حد تقديم المعونة البريطانية للسيد ماجد، بل حاولت بريطانيا ان تحل النزاع بين مسقط وزنجبار بطريقة يقبلها الطرفان، او يرغمان على قبولها اذا استدعى الامر ذلك. فتدخلت في ذلك النزاع الناشب بين مسقط وزنجبار بما يحقق في النهاية الهدوء والسلام بينهما، لان غير ذلك قد يؤثر على المصالح البريطانية في الطريق الموصل الى امبراطوريتها في الهند، ونتيجة لذلك ارسلت الحكومة البريطانية بعثة الى كل من مسقط وزنجبار في عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م بهدف التحقيق في اسباب

النزاع القائم بين البلدين، وقد رأس هذه البعثة الكولونيل كوجلان Coghlan المقيم السياسي في عدن^(٢٢٤).

وكان هذا هو الهدف الظاهر من بعثة الكولونيل كوجلان.. اما الهدف الحقيقي فهو تحقيق الهدوء بين البلدين بما يحول دون تدخل الفرنسيين في تلك المناطق الهامة على الطريق البحري الى الهند.

وكان كوجلان قبل قيامه بهذه البعثة، قد قسام في منتصف عام ١٢٧٦هـ / ١٦ يناير ١٨٦٠م يرافقه المستر ببادجر G.P.BADGER برحلة من عدن في البحر الاحمر، فزار بريم ومصوع وخرائب ادوليس وزلا في خليج انسلي، وقد وجد كوجلان ان الاتراك في مصوع تساورهم الشكوك بالنسبة للتحركات الفرنسية، وقد اشار كوجلان الى ان هذه التحركات الفرنسية تستحق الاهتمام الشديد من جانب حكومة جلالة الملكة، وهي في النهاية يمكن ان تؤدي الى قيام عراقيل في حالة حدوث حرب بين البلدين مما تؤثر تأثيرا خطيرا على المواصلات بين بريطانيا والهند^(٢٢٥).

وعلى اية حال ، فقد وصلت بعثة كوجلان الى مسقط في شهر ذي القعدة ١٢٧٦هـ / شهر يونيو ١٨٦٠م لتتعرف على مطالب السيد ثويني، ثم سارت الى زنجبار في سبتمبر من نفس السنة للتعرف على مطالب السيد ماجد.

وكان من نتيجة الاعمال والدراسات التي قامت بها البعثة، انها ذكرت ان الطريقة التي يتولى بها سلاطين اسرة البوسعيد الحكم، انما تقوم على اساس الانتخاب، وانه عقب وفاة السيد سعيد بن سلطان فان اهل زنجبار انتخبوا ابنه السيد ماجد حاكما عليهم^(٢٢٦)، وعلى ذلك فليس هناك مبرر لمطالب السيد ثويني في السيطرة على ممتلكات اخيه، وينبغي انن ان يبقى كل منهما سلطانا في مكانه.

وهكذا قدمت البعثة تقريرها الى اللورد كاننج Canning الحاكم العام للهند، والذي استند عليه في وضع التحكيم المشهور في عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م. وطبقا لهذا التحكيم فقد تم اقرار السيد ماجد في منصبه كحاكم على زنجبار والممتلكات الافريقية الاخرى خلفا للسيد سعيد^(٢٢٧)، كما نص التحكيم على ان يدفع حاكم زنجبار ٤٠,٠٠٠ ريال سنويا لحاكم مسقط، هذا بالاضافة الى دفع المتأخرات المستحقة عليه من العامين الاخيرين^(٢٢٨).

كما نص التحكيم ايضا على انه لا ينبغي لحكام مسقط او لقبائل عمان التدخل في شؤون زنجبار، كما اوضح كاننج بأن هذا المبلغ الذي يدفعه حاكم زنجبار الى حاكم مسقط لا يعني اية تبعية من جانب زنجبار لمسقط، وانما قصد به تحقيق المساواة بين ميراثي الاخوين، لان اراضي زنجبار اكثر غنى من اراضي مسقط^(٢٢٩).

وكتب كاننج الى كل من ثويني وماجد موضحا اقتناعه بعدالة هذه الشروط، وانه ليس فيها ما يخل بالشرف لاي منهما^(٢٣٠)، وقد ارسل السيد ثويني بن سعيد خطابا في منتصف ذي القعدة ١٢٧٧هـ / ١٥ مايو ١٨٦١م الى اللورد كاننج يشكره على هذا التحكيم ويقر بموافقه على بنوده^(٢٤١).

وهكذا ونتيجة لهذا التحكيم اصبحت العلاقة بين زنجبار ومسقط علاقة مالية فقط، اي انه كان على زنجبار ان تدفع تلك الاعانة السنوية لمسقط، وبخلاف ذلك اوضحت العلاقات واهية بين قسمي السلطنة السابقة.

ويلاحظ ان الطابع الافريقي اخذ يغلب على سلطنة زنجبار في عهد السيد ماجد

نتيجة لانقطاع الصلة بالوطن الام، وقد ساعدت سياسة ماجد على تحقيق هذه النتيجة، فقد اتخذ بعض الاجراءات التي ادت الى اضعاف الصلات بين زنجبار ومسقط ففي عام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م منع سفن مسقط من الملاحة في مياه زنجبار الا اذا ابرزت اوراقا تثبت انها تتجر في سلع شرعية، كما كتب الى مشايخ الخليج العربي بأن لا يرسلوا سفنهم بعد ذلك الى زنجبار، كما حرم السيد ماجد على سكان زنجبار تأجير المساكن للتجار العرب الآتين من شبه الجزيرة العربية، وأخيرا اوقف السيد ماجد الهدايا التقليدية التي كان يقدمها السلاطين لقبائل عمان، مما يدل على انصرافه نهائيا عن فكرة توحيد السلطنة التي اقامها والده السيد سعيد بن سلطان^(٢٤٢).

ولا شك ان مسقط كانت تحتاج الى ذلك المبلغ السنوي من زنجبار، كي تدفع قيمة ايجار ميناء بندر عباس الى فارس، وهذا هو الوجه الآخر للمشكلة، وقد تبدو مسألة بندر عباس بعيدة عن موضوع علاقات مسقط بزنجبار، الا انها في حقيقة الامر ملتصقة بها تماما^(٢٤٣)، فقد اجر الفرس على التنازل عن سيادتهم على ميناء بندر عباس^(٢٤٤)، ونظم الامر على اعتبار ان مسقط قد استأجرت بندر عباس لمدة عشرين عاما بدءا من عام ١٨٥٥م على ان يدفع العمانيون ١٦,٠٠٠ ريال سنويا قيمة هذا الايجار، الا ان الاتفاق نص على ان شاه فارس يمكنه ان يتحرر من ارتباطه اذا ما استولى على السلطة في مسقط اي مقتصب، وبالنسبة لهذه النقطة فان السيد سالم كان مقتصبا للسلطة بعد ان قتل والده السيد ثويني الذي ابرم هذا الاتفاق مع فارس. والنقطة الجوهرية في هذا الموضوع هي ان مسقط كانت تدفع لفارس القيمة الاجارية من الاعانة التي كانت تستلمها من زنجبار، وبالتالي فاذا لم تدفع زنجبار تلك الاعانة، فانه لن يكون في امكان مسقط دفع قيمة ايجار بندر عباس، كما ان الحكومة الفارسية اذا لم تستلم الايجار فسوف تنتهي ارتباطها بالتنازل عن بندر عباس^(٢٤٥).

فمسألة بندر عباس تركزت اذن ارتكازا مباشرا على العلاقات بين مسقط وزنجبار، ويقول السيد سالم نفسه بالنسبة لهذه النقطة: «ما دمت لا استلم الاعانة المستحقة لي من زنجبار والتي ضمنتها الحكومة البريطانية لوالدي فانه ليس في استطاعتي دفع قيمة الايجار المستحق لفارس من اجل بندر عباس»^(٢٤٦)، وهكذا يبدو واضحا ان الاعانة التي تدفعها زنجبار لمسقط كانت لازمة كي تدفع مسقط ايجار بندر عباس.

ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل ان السيد سالم لم يلبث ان نازع الفرس تجارتهم في الخليج، ولما لم تكن فارس في موقف يسمح لها بمواجهة ذلك فانها لجأت الى الحكومة البريطانية باعتبار انها تؤيد السيد سالم، وهي بالفعل تعترف به وتؤيده^(٢٤٧)، كي يكف عن الاضرار بالمصالح الفارسية.

وهكذا ادى عدم دفع ايجار بندر عباس، وادت الاعمال التي قام بها في الخليج، الى ان تطالب فارس بالغاء عقد الامتياز.. ومن وجهة النظر البريطانية فان فارس استغلت الموقف لتنفيذ سياستها التي ترمي الى مد سيطرتها المباشرة على الأراضي التي تحد الخليج، فهل كان هذا الاجراء متمشيا مع السياسة البريطانية؟.. واذا لم يكن متمشيا معها فما هي الوسائل التي لجأت اليها بريطانيا كي تحول دون حدوث ذلك؟ لقد كانت وجهة نظر حكومة الهند انه سيكون هناك فرق كبير بالنسبة للمصالح

البريطانية سواء كانت بندر عباس في يد سلطان مسقط أم في يد حكومة فارس، «وفي أيام حكم السيد سعيد، فإن ثقتنا فيه كانت أكثر من ثقتنا في شاه فارس الذي كان هوأيا متقلبا ولا يهيمه سوى جمع المال بأية وسيلة، أن حكومة فارس حكومة مستقرة الآن أكثر مما كانت أيام الشاه فتح علي، هذا بالإضافة إلى أن الوزير المفوض في طهران سيكون قادرا على اقناع الحكومة الفارسية بأن يتعامل معنا أي حاكم فارسي لبندر عباس إذا استعادتنا فارس، مثلما يتعامل معنا ممثلو مسقط»^(٢٤٨).

ولقد كانت عملية تقسيم الامبراطورية العمانية هي التي اشارت كل هذه المشكلات، لان عدم دفع زنجبار الاعانة السنوية لمسقط جعل الاخيرة غير قادرة على دفع قيمة ايجار بندر عباس إلى فارس، مما حدا بفارس إلى محاولة استعادة هذا الميناء ثم محاولة القيام بنشاط بحري واسع في الخليج.. وكان من نتائج ذلك تزايد وتكريس النفوذ البريطاني في المنطقة.

ولا شك ان العلاقات القائمة بين الحكومة البريطانية وبين مسقط وزنجبار وكل المشايخ والامراء الآخرين على ساحل الخليج العربي، كانت تنظمها معاهدات وارتباطات وقعا عن الجانب البريطاني ضباط بريطانيون باسم حكومتي الهند وبومباي.

وهنا ألفت مسألة الخلاف بين مسقط وزنجبار ظلالتها على مسألة ادارة تلك المناطق، فهل تستمر على تبعيتها لحكومة الهند أم تنتقل إلى التبعية المباشرة لوزارة الخارجية البريطانية، وكما قلنا ونتيجة لتحكيم كاننج ارتبط السيد مساجد بأن يدفع لآخيه السيد ثويني اعانة سنوية، وضمنت حكومة الهند دفع هذه الاعانة، فإذا ما نقلت ادارة تلك المناطق إلى حكومة الامبراطورية، فهل ستوافق حكومة جلالة الملكة على هذا الضمان وتعمل على تنفيذه، وتدفع من خزانة الامبراطورية إذا لزم الأمر؟.. ومن ناحية أخرى، هل تستطيع حكومة الهند ان تدفع هذه الاعانة دون القيام بالمفاوضات والاجراءات الاخرى الأكثر قوة لتصبح الأوضاع من وجهة نظرها؟ وقد أضافت حكومة الهند موضحة وجهة نظرها في هذه المسألة بأن العلاقات القائمة مع جنوب الجزيرة العربية ومع الخليج لها اهميتها بالنسبة لحكومة الهند، فهي تتمشى مع سياستها بالنسبة لالغاء القرصنة في البحار الهندية، «وقد وجدنا حليفنا معاوننا في هذا العمل هو السيد سعيد الذي حكم عمان أكثر من أربعين عاما وكان هو نفسه تاجرا كما كان حاكما، وكانت له سفن لها معاملات تجارية مع كلكتا ومواني غرب الهند، والعلاقات التجارية للجزيرة العربية والخليج والذين لهم قضايا وشكايات من هذه التجارة، عليهم ان يرفعوا وجهات نظرهم إلى وزراء الخارجية فقط حتى يتسنى النظر فيها، وبالنسبة لهذه النقطة ونتيجة للمعاملات القائمة مع الهند، فإنه يبدو ضروريا ان تكون علاقاتنا مع هذه البلاد عن طريق ضباط تعينهم الهند وتكون على صلة بهم.

ومع نهاية عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م عقد مؤتمر خاص في وزارة الخارجية البريطانية لبحث مسألة تجارة الرقيق الشرقية، ومثل السير جون كي وزارة الهند، وحضر ممثلون ايضا عن وزارة المستعمرات والادmirالية والخزانة، وفي ٢٤ يناير قدم هذا المؤتمر تقريراً لآيرل أوف كلارندون Earl of Clarendon وزير الدولة للشؤون الخارجية في ذلك الوقت، وفي المقطع الثمانين من هذا التقرير جاء الآتي: ...

ونحن الآن نعتقد انه يجب ابراز ان القنصل في زنجبار مسؤول مسؤولية كاملة - بالإضافة الى اعبائه الأخرى - عن الغاء تجارة الرقيق في المنطقة، ولذا يجب وضع الترتيبات المناسبة لاقتسام نفقات القنصلية في زنجبار وتوابعها مناصفة بين الخزنة الامبراطورية والخزنة الهندية^(٢٤١). هذا ما كان من امر السياسة البريطانية بالنسبة لإدارة تلك المناطق، وما تمخضت عنه المباحثات بين الاطراف المعنية بحيث لا يحدث التعارض أو التداخل بين السلطات المختلفة والمسؤولة عن هذه المناطق.

اما بالنسبة لعلاقات مسقط وزنجبار وموقف بريطانيا من هذه العلاقات، فاننا رأينا كيف ان بريطانيا كي تحافظ على الوضع الراهن في المنطقة.. فانها نظمت الامر في النهاية على ان تدفع الاعانة السنوية الى مسقط عن طريق المقيم السياسي، على ان تستعرض مرة أخرى من سلطان زنجبار، أي انه في الواقع^(٢٤٢) ودون النظر الى هذه الشكايات، ظلت زنجبار تدفع الاعانة الى مسقط، وظل الحال كذلك حتى عام ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م الى ان انتقل بعدها الحكم الى الامام عزان بن قيس وهو ينتمي الى فرع من فروع البوسعيد غير الفرع الذي ينتمي اليه السيد سعيد بن سلطان، فكان ذلك حجة قوية للسيد ماجد كي يقطع المساعدة السنوية او الاعانة السنوية لمسقط والتي كان يدفعها عن طريق المقيم السياسي.

ولكن عزان بن قيس لم يستمر طويلا في حكم مسقط، وخلفه السيد تركي بن سعيد عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م في حكم عمان. وقد اُكبت الفترة التي حكم فيها السيد تركي بن سعيد تماما نفس الفترة التي حكم فيها شقيقه برغش في زنجبار، وفي سنة ١٢٨٨ او ١٢٨٩هـ / ١٨٧١م او ١٨٧٢م كتب تركي الى برغش يطالبه بدفع معونة زنجبار وهدد بالسير الى زنجبار. وقد حلت تلك المشكلة بناء على موافقة السيد تركي سلطان عمان على توقيع معاهدة الرقيق، فقد اصدر قرير تعليماته الى مايلز بأن يدفع لتركى متأخرات المعونة وقدرها (٤٠,٠٠٠) ريال على الفور، ومتأخرات نصف عام في خلال ثلاثة اشهر من ذلك التاريخ اي في حدود عشرين الف ريال.

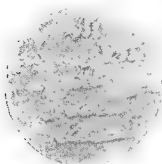
كما تم الاعياز الى روس المقيم السياسي البريطاني في الخليج بأن يدفع المعونة الى تركي بانتظام، بشرط ان يراعي تعهدهات ويراعي صداقة بريطانيا، وكانت هذه المعونة تدفع منذ سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٢م بواسطة حكومة الهند ولندن بالمشاركة فيما بينهما، وكانت تعادل ٨٦,٤٠٠ روبية، على اساس انه مبلغ يساوي ٤٠ الف ريال في ذلك الوقت. وقد استمر دفع معونة زنجبار دون انقطاع، وكانت تدفع



السلطان السيد
تركي بن سعيد بن
سلطان



السلطان السيد
برغش بن سعيد بن
سلطان



عادة قبل موعدها المحدد لتستخدمها حكومة مسقط في مواجهة ضرورتها، واستجابة لمطالب السلطان أصبحت المعونة التي كانت تدفع نصف سنوية، تدفع كل ثلاثة شهور منذ سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م، ثم أصبحت شهرية في سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م.

ومنذ اول ذي القعدة ١٣٠٠هـ / سبتمبر سنة ١٨٨٣م قررت الحكومة البريطانية نفذ يدها تماما من شؤون زنجبار بما فيها الشؤون المالية، مما ادى الى ان تقوم حكومة الهند بدفع تلك المعونة كاملة اعتبارا من تلك السنة.

والجدير بالذكر ان السيد تركي والسيد برغش اصبحا على علاقة ودية طيبة منذ الوقت الذي تعهدت فيه الحكومة البريطانية بضمان دفع معونة زنجبار، وقد ادت هذه العلاقة الودية الى ان اقترح السيد تركي فعلا في سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م ان يتنازل عن حكم عمان للسيد برغش.

وقد انزعجت حكومة الهند لهذه الانباء ايما انزعاج وأرسلت الى روس المقيم البريطاني في الخليج لتحري هذا الامر، ورد عليها انه قد تم فعلا اتصالات ومفاوضات بين السيد تركي والسيد برغش، وان هذا الموضوع اصبح سائدا بين الناس، فأصدرت حكومة الهند تعليماتها لوكيلها السياسي بانها ستتدخل في حالة وقوع محاولة لاعادة الوحدة بين عمان وزنجبار. وهذا يوضح لنا مدى خوف بريطانيا من اتحاد الدولة العمانية مرة اخرى، ويبدو ان بريطانيا ضغطت على السيد تركي حتى لا يتنازل عن حكم عمان، لانها كانت تعلم انه من الممكن ان يتخل فعلا عن الحكم، لان له سابقة في ذلك عندما ترك الامر لاخيه عبدالعزيز. وبذلك قضى على آخر امل في امكان اقامة تلك السلطنة الافريقية العربية مرة اخرى.

استمر الشقيقان بعد ان فشلت فكرة الاتحاد على علاقة طيبة وكانا يتبادلان الهدايا، فقد اهدى السيد برغش شقيقه في سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م ٢٢ الف روبية كمعونة في مواجهة الحركات الداخلية في عمان في العام السابق، وفي سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م اهداه السفينة البخارية (سلطاني) واليخت (دار السلام)، وفي منتصف عام ١٣٠٥هـ / مارس سنة ١٨٨٨م قام برغش بزيارة عمان وقضى اسبوعا في يناير بوش الحارة املا في ان يتخلص من مرض اصابه، وعامله تركي بمودة واحترام كبيرين، وتلقى منه بعد ذلك هدية قدرها خمسون الف روبية، ومات الشقيقان خلال ثلاثة اشهر من لقائهما الاخير.

وقد شهدت الفترة الاخيرة من حكم السيد تركي هدوءا حتى وفاته عام ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م بعد ان ترك وراءه مملكة تتميز بقدر من التنظيم والاستقرار هيا لابنه وولي عهده السيد فيصل ان يتولى مقاليد الحكم في جو سلمي.

وقد تولى السلطان السيد فيصل بن تركي حكم عمان في فترة شهد فيها العالم العربي موجة من ازدياد النفوذ الاستعماري الاوربي وبخاصة البريطاني والفرنسي، حيث احتلت بريطانيا وفرنسا العديد من اجزاء الوطن العربي او اصبحت تحت نفوذهما، والقليل من الدول اقلت من هذا النفوذ الاستعماري ومن بينها عمان حيث تمكن السيد فيصل بن تركي من ان يسوس دفة الحكم وسط هذه الانواء، كما اولى اهتمامه للوضع

عملة مصرية في عهد
زنجبار في عهد
السلطان السيد برغش
بن سعيد عام
١٢٩٩هـ / ١٨٨٣م.





السلطان السيد
تيمور بن فيصل



السلطان السيد
فيصل بن تركي بن سعيد

الداخلي بهدف تقوية الجبهة الداخلية.. ومن اجل ذلك كون جيشا قويا جعل قيادته لاختيه فهد الذي قام بأكثر من حملة لتوطيد الامن في ربوع عمان.

وقد اتسمت سياسة السلطان السيد فيصل بن تركي بالتوازن في علاقة عمان بكل من بريطانيا وفرنسا.. في عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م وافق على انشاء قنصلية فرنسية في مسقط، كما اعطى للفرنسيين امتيازاً بانشاء مستودع للفحم في منطقة الجصة في عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م (٢٥١)، وعندما علمت

السلطان السيد
سعيد بن تيمور

بريطانيا بذلك ارسلت المقيم السياسي في الخليج كولونيل «ميد» الى مسقط مبعوثاً من نائب الملك في الهند ثم تبعه الادميرال «دو غلاس»، وبعد مقابلتهم للسيد فيصل انتهت النقاش الى ان لعمان الحق في الارتباط بعلاقات خارجية مع اية دولة من الدول، وان عمان على استعداد لعقد معاهدات تجارية وود وصداقة مع بريطانيا، واستمر حكم السيد فيصل حتى وافته المنية في شهر ذي القعدة ١٣٣١هـ / اكتوبر عام ١٩١٣م ليخلفه ابنه الاكبر تيمور.

تولى السلطان السيد تيمور دفة الحكم في ظروف صعبة على المستويين الداخلي والخارجي حيث شهدت عمان صراعات داخلية، كما ان شبح الحرب العالمية الاولى (١٣٣٢ - ١٣٣٧هـ / ١٩١٤ - ١٩١٨م) اخذ يلوح في الافق، والازمة الاقتصادية العالمية تكاد تخنق معظم الدول.

وقد حاول السلطان السيد تيمور ان يتجنب كل ما يمكن تجنبه من هذه المصاعب والازمات، فحاول ان يخلق نوعاً من الاستقرار السياسي الذي يترتب عليه تحسين الوضع





صاحب الجلالة
السلطان قابوس العظم

الاقتصادي، ولهذا يادر بعقد اتفاقية السبب في عام ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م.

وفي اعقاب الحرب العالمية الاولى اخذت التجارة العمانية تنتعش من جديد، الا انها تعرضت لازمة بسبب الكساد الاقتصادي الذي ساد العالم في مطلع الثلاثينات، كما قام السيد تيمور باصلاح الوضع الاقتصادي بان استقدم ثلاثة من الخبراء المصريين لتطوير نظام الجمارك في مسقط، كما شكل اول مجلس للوزراء في تاريخ عمان برئاسة نادر بن فيصل، ولم يلبث ان عين ولده السيد سعيد رئيسا لمجلس الوزراء وذلك منذ عام ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م.

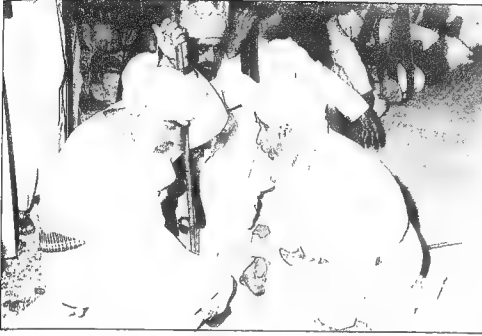
ومن الاحداث في عهد السيد تيمور، توقيع اول اتفاق بين عمان وشركة داركي للتنقيب عن النفط في السلطنة في عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م^(٢٥٢)، الا انه لم يتم اكتشاف اي من آبار البترول في عهده الذي امتد حتى عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ، حيث تنازل في ذلك العام عن الحكم لولده السيد سعيد، وذلك لاسباب صحية المت به.

وبعد تولي السلطان السيد سعيد بن تيمور الحكم وجد ان العالم يعاني معاناة شديدة من وطأة الأزمة الاقتصادية التي تجتاحه، لذلك

اختط لنفسه سياسة مالية اتسمت بعدم تحميل البلاد بما لا تطيق من الديون، لان الديون هي مكنم الداء حيث تخلق وضعاً يسمح بالتدخل في شؤون البلاد من قبل الدول الدائنة، لذلك قرر بأن ينفق في حدود امكانيات دولته، والتزم بتسديد ما على الدولة من ديون.

كما اتخذ خطوات لتدعيم علاقاته الخارجية، فقام بجولة في عام ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م زار فيها اليابان والولايات المتحدة الامريكية، واجتمع مع رئيسها روزفلت (١٣٥٢ - ١٣٦٥هـ / ١٩٣٣ - ١٩٤٥م) الذي استقبله وتبادل معه الهدايا، فكان اول حاكم عربي يزور الولايات المتحدة الامريكية، ومنها سافر الى بريطانيا حيث استقبله ملكها جورج الخامس، ثم انتقل الى فرنسا فايطاليا واخيرا الهند التي عاد منها الى مسقط^(٢٥٣). وفي عام ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م قام برحلة الى مصر واستقبله ملكها فاروق، ثم زار القدس عاصمة فلسطين.

وفي عهد السلطان السيد سعيد بن تيمور تم حدثان كبيران، اولهما هو حل الخلافات التي كانت قائمة مع المملكة العربية السعودية حول واحة البريمي ايماناً منه بوحدة التراب العماني اما الحدث الثاني فهو منح شركة تنمية نفط عمان امتيازاً للتنقيب عن النفط في السلطنة. وفعلاً تم اكتشاف النفط وبدأ تصديره منذ جمادى الاولى عام ١٣٨٨هـ / اغسطس عام ١٩٦٨م.



التقاء جلالة السلطان
قابوس بن سعيد
العظيم مع المواطنين

وقد وفر الحدث الاول الهدوء بالنسبة للجبهة الداخلية، كما وفر الحدث الثاني الدعم المالي لبداية نهضة اقتصادية شاملة لم تلبث ان بدأت في عهد ولده جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم فيما يعرف بعصر النهضة العمانية الحديثة.

واذا كنا حتى الآن قد تحدثنا عن التطورات السياسية التي حدثت في عمان منذ اواخر القرن التاسع عشر وحتى بداية عصر النهضة، فانه من المفيد ان نعرض للشق الافريقي من الدولة العمانية، نقصد بذلك زنجبار. وفي هذه الممتلكات العمانية في شرقي افريقيا، سارت الاحداث في اتجاه آخر وخاصة منذ اعلان الحماية البريطانية على هذا الجزء من الدولة العمانية في عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م.

التطورات السياسية والوجود العماني في زنجبار :

بعد اعلان الحماية البريطانية على زنجبار في عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م استقر الوضع على ان يبقى السلطان في زنجبار رمزا ادبيا للدولة، وان تكون السلطة الحقيقية بيد القنصل او المقيم البريطاني بالاستعانة بكبار الموظفين والخبراء البريطانيين.

وفي الفترة الاولى من الحماية تم تشكيل المجالس التنفيذية والتشريعية، وهي بمثابة مجالس استشارية واغلبية اعضائها كانوا معينين من قبل الادارة البريطانية.. وكان يتم توزيع مقاعد المجلس التشريعي بين الاجناس والطوائف العربية والشرارية والافريقية والآسيوية (الهندية والباكستانية)، ونتيجة لهذه الاجراءات التي اتبعتها الادارة البريطانية لتدعيم وتوسيع نطاق نفوذها في زنجبار، ظهرت الجمعيات العنصرية التي عملت كل منها على ابراز كيان الطائفة التي تمثلها والدفاع عن مصالحها^(٣٥٤).

ونتيجة لهذا الوضع استنكرت الجمعية العربية الزنجبارية اسلوب السياسة

البريطانية التي قامت على قاعدتها المعروفة في التفرقة بين افراد الشعب الواحد، فطالبت بالغاء نظام قوائم الناخبين على اساس عنصري وطائفي واستبدالها بقائمة موحدة لجميع الناخبين على اساس مبدأ الاقتراع العام، وانشاء نظام وزاري يعد للانتخابات^(٢٥٥).

وفي رمضان عام ١٣٧٤هـ/ مستهل عام ١٩٥٥م تأسس اول حزب عربي في زنجبار اطلق عليه اسم (الحزب الوطني الزنجباري) برئاسة علي بن محسن، والذي عمل متحدا مع الجمعية العربية ودعا الى انتخابات عامة على اساس شعبي لا عنصري، وطالب بريطانيا بالغاء عن الجزيرة. وفي الوقت نفسه فقد شجعت الادارة البريطانية العناصر الاخرى على تأسيس احزاب وجمعيات خاصة بهم^(٢٥٦)، وركزت على الكتلة الافروشيرازية التي قامت بتأسيس الحزب الافروشيرازي برئاسة عبيد امين كرومة والذي عرف بعدائه للعرب كمنافس للحزب الوطني قبل اجراء انتخابات عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م التي اسفرت عن فوز الافروشيرازي^(٢٥٧) بجميع المقاعد عدا مقعد واحد فاز به مرشح من المواطنين الباكستانيين.

وغلى الرغم من ذلك فقد استمر الحزب الوطني الزنجباري في المطالبة بحق الشعب في تمثيل نفسه الى ان اقرت بريطانيا مبدأ الانتخابات العامة بطريقة الاقتراع العام المباشر لكل البالغين رجالا ونساء، مع توسيع عدد مقاعد المجلس من اثني عشر الى اثنين وعشرين مقعدا، وكما اجريت الانتخابات في عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م فاز ائتلاف الحزب الوطني وحزب الشعب الذي انشق عن الافروشيرازي وشكل ائتلاف الحزبين اول وزارة وطنية في تاريخ زنجبار والمنبثقة عن ارادة الشعب واختياره^(٢٥٨).

وفي انتخابات عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م انتصر الحزبان الوطني والشعب على ائتلاف الافروشيرازي وحزب الامة الذي انشق عن الحزب الوطني، وتم تشكيل الوزارة الوطنية الثانية تحت حكم السلطان جمشيد بن عبدالله البوسعيدى، وهو احد احفاد السلطان سعيد بن سلطان، وطالبت الوزارة بريطانيا بتحديد موعد لاستقلال زنجبار^(٢٥٩).

وفي منتصف رجب ١٣٨٣هـ/ العاشر من ديسمبر عام ١٩٦٣م ضمنت زنجبار الاستقلال.. وبذلك اصبحت دولة مستقلة وعضوا في الامم المتحدة وفي منتصف شعبان ١٣٨٣هـ/ يناير من عام ١٩٦٤م قدم اول سفير زنجباري اوراق اعتماده للرئيس الراحل جمال عبدالناصر، وكان هذا هو التمثيل الدبلوماسي الاول والاخير في تاريخ زنجبار كدولة عربية مستقلة وعضو في الامم المتحدة^(٢٦٠).

والحقيقة ان الحكم العربي في زنجبار بعد الاستقلال لم يستمر طويلا فقد قامت ثورة دموية في شعبان ١٣٨٣هـ/ الثاني من يناير من عام ١٩٦٤م بقيادة (جون اوكلو) لاسقاط السلطنة العربية وعلان النظام الجمهوري برئاسة عبيد كرومي رئيس الحزب الافروشيرازي^(٢٦١)، وكانت مجازر هذه الثورة التي ذهب ضحيتها الآلاف من العرب الذين تراوحت اعدادهم ما بين ١٥ الفا الى ٢٠ الف ضحية لا تعني الا امرا واحدا، الا وهو اباداة العنصر العربي في زنجبار اباداة كاملة^(٢٦٢).

ومن المؤكد ان الحزب الافروشيرازي نجح في السيطرة على الحياة السياسية في

زنجبار، وتأكيداً لايديولوجيته التي تنادي بضرورة اقتلاع عروبة زنجبار من جذورها، فقد أعلن اتحاده رسمياً مع تنجانيقا في ذي القعدة ١٢٨٢هـ / ٢٦ أبريل في عام ١٩٦٤م وقامت بذلك جمهورية تنزانيا الاتحادية، واتخذت دار السلام عاصمة لها، ونص الدستور على أن تكون رئاسة الجمهورية من تنجانيقا ولذلك أصبح جوليس نيريري رئيس تنجانيقا آنذاك رئيساً للدولة الجديد وكان نائبه الأول في زنجبار والذي يليه في الحكم^(٢٦٣) عبيد كرومي الذي اغتيل في عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م على أثر انقلاب قاداته جماعة من العناصر المعارضة وبذلك اسدل الستار على هذه الدولة العربية الزنجبارية أو على هذا الجزء الأفريقي من الدولة العمانية.

الفصل الرابع

المؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقيا في ظل دولة البوسعيديين

لا شك ان العصر الذهبي للوجود العماني في شرق افريقيا هو عصر البوسعيديين حيث المؤثرات الحضارية عربية واسلاميا في قمة ازدهارها ويعتبر عهد السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٤ - ١٨٥٦) نموذجا رائعا لازدهار الحضارة العربية التي اتسمت بملامح انسانية وثقافية اسهمت في ترقية واثراء شتى نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهو ما يعد ردا عمليا على بعض الدراسات الاقليمية والاروروبية المتأثرة بالمنهج الاستعماري الغربي والهادفة لتشويه تاريخ العرب في افريقيا من خلال حشد الكثير من المغتربات والشبهات لتخلق نوعا من الفجوة والتباين بين العرب والافارقة.^(١)

ولا شك أن الوجود العماني في شرق افريقيا خلال عصر البوسعيديين يعد مؤثرا واضحا على اكتمال ملامح الدولة العصرية بكل خصائصها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وقد شاركت عدة عوامل فاعلة في جعل العامل الحضاري العماني عاملا مؤثرا في شرق افريقيا يأتي في مقدمتها العوامل التالية:-

١ - جهود الشعب العماني في مجالات الحضارة وخبرته الحضارية الممتدة والمتواصلة في مجال ركوب البحر والتجارة على المستويين الدولي والمحلي، بخاصة الجهد التجاري العماني مع مناطق شرقي افريقيا فلقد لعب البحار العماني والتاجر العماني دورا اساسيا مما اكسبه خبرة حضارية واسعة.

٢ - القيم الانسانية التي تمتع بها العمانيون خلال معاملاتهم التجارية وعلاقاتهم الانسانية مع السكان والتي اتسمت بقدر كبير من المرونة والتسامح والصدق مما ساهم في تقوية المناخ الحضاري المؤثر واكسب عمان سمعة حضارية كبيرة مما دفع الافارقة دون تردد الى ان ينهلوا من هذه التجربة الحضارية وان يكونوا جزءا من نسيجها الثقافي والاجتماعي.

٣- تشجيع الحكام البوسعيديين للتاجر العماني والحركة التجارية العمانية التي جابت اساطيلها التجارية ساحل المحيط الهندي والسواحل الشرقية للقارة الافريقية، فقد حرص حكام اسرة البوسعيد على توفير كافة الضمانات بهدف نجاح التجارة العمانية وكان تخفيض الرسوم الجمركية التي لم تتجاوز ٥٪ في مقدمة الاجراءات التي حفزت التجار نحو مزيد من توسيع معاملاتهم، اضافة الى الحماية التي اسداها حكام البوسعيد للبحار العماني والتاجر العماني، حيث عضدت تلك الاجراءات الحكومية جهد الشعب العماني ولم يقتصر هذا التشجيع الحكومي على العمانيين فقط

طابع بريدي، صدر
بمناخية مرور مائتي
عام على الحكم
البوسعدي في زنجبار



وانما امتد في عهد السيد سعيد بن سلطان الى التجار الاجانب من امريكيين وانجليز وفرنسيين ورعايا الولايات الالمانية والهنود وغيرهم^(٢)

٤- لقد ساهم موقع عمان وموانئها في صقل الوظيفة الحضارية للعماني الذي ارتاد البحار والمحيطات متسلحا بقدر كبير من الخبرة الحضارية التي اهلته مع كل الشعوب الآسيوية والافريقية.

والحقيقة ان العصر الذهبي للتأثير الحضاري في شرق افريقيا هو عهد السيد سعيد بن سلطان، حيث ساعد الاستقرار الذي ساد تلك الفترة وقوة شخصية الرجل ودبلوماسيته على نجاح تجربة الدولة الكبيرة في شتى المجالات المختلفة فقد كان لترسيخ ملامح الدولة العمانية في زنجبار آثار حضارية عميقة شكلت في مجملها ركائز حضارية كانت بمثابة اشعاع ثقافي وحضاري امتد ليشمل كل مناطق الساحل الافريقي.

لقد امتد التأثير الحضاري العماني في الشرق الافريقي الى العديد من المجالات المختلفة، لعل من المناسب ان نستعرض أهمها:

النظم السياسية والادارية:

ان النظم السياسية والادارية التي سادت في زنجبار وملحقاتها من الامارات التي تم تأسيسها على يد الحكام البوسعيديين تأثرت في جوهرها بما اعتاده العمانيون في بلادهم من نظم وتقاليد عربية واسلامية.

ولقد كان للسيد سعيد بن سلطان ابعاد الاثر في ارساء وتعميق مفاهيم الحكم العربي الاسلامي فقد وصفته المصادر المحلية والاجنبية بأنه من اكفأ الحكام وأكثرهم حنكة وادارة وله من عظيم الهمة وبعد الصيت ما يجعله بحق من أبرز الرواد السياسيين في تاريخ آسيا وافريقيا في القرن التاسع عشر^(٣).

لقد تجلت عبقرية السيد سعيد السياسية والادارية حينما اختار زنجبار عام ١٨٣٢ لتكون عاصمة لشرق افريقيا حيث نجح في تطويرها من جزيرة صغيرة



منظر لميناء زنجبار لي
منتصف القرن
التاسع عشر.

متواضعة لتكون حاضرة ومركز إشعاع سياسي واقتصادي لشرق أفريقيا وواوسط أفريقيا قاطبة، واستطاع العثمانيون بزعامته الحكيمة ترسيخ حكمهم في أفريقيا الذي امتد من مقديشيو شمالا وحتى رأس دلجادو Cape Delgado في جنوب الساحل الشرقي كما امتد في الاتجاه الشمالي الغربي حتى مملكة بونغندا وغربا حتى أعالي الكونغو (زائير حاليا)^(٤)

لقد كان لنفوذ دولة البوسعيديين في شرق وواوسط أفريقيا صدى على المستوى العالمي وخصوصا في مجال السياسة الخارجية والنشاط الدبلوماسي الذي شهدته هذه المنطقة لأول مرة في تاريخها.. ولعل من المناسب أن نستشهد برأي واحد من المتخصصين في حقل الدراسات الاجتماعية، حيث أمدنا بصورة دقيقة عن دور هذه الدولة العربية الأفريقية، حيث يقول: (لقد شهدت المنطقة تحركا دبلوماسيا مكثفا امتد الى إنجلترا وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.. فلقد عرفت القنصليات الأوروبية الانفتاح السياسي والاقتصادي منذ النصف الأول من القرن الماضي في الوقت الذي لم تكن فيه غالبية الدول العربية والآسيوية والأوروبية تعرف مثل هذا النوع من العلاقات الدبلوماسية، وكانت رحلة السفينة (سلطانة) للولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٤٠ بمثابة البدايات المبكرة للعلاقات العربية الأمريكية حيث حظيت باهتمام تجاري ودبلوماسي خلق بداية طيبة لاثبات الكيان العربي في الأوساط الأمريكية)^(٥)

الملامح الحضارية للحكم العثماني في شرق أفريقيا:

لقد تميز حكم البوسعيديين في شرق أفريقيا بعدة خصائص من أهمها الاستعانة بعدد كبير من المستشارين والعلماء في كافة الميادين، حيث أوكل إليهم الحكم مهمة تسيير العمل الحكومي وكانوا في مجملهم من الولاة والقضاة وكبار قادة الجيش والبحرية، وتشير المصادر المحلية والأجنبية للمكانة العالية التي تبوأها العلماء والفقهاء من كافة المذاهب، حيث سادت روح التسامح والبعد عن التعصب العرقي والمذهبي وقد خص السيد سعيد بن سلطان أهل البلاد من الوطنيين وزعمائهم بمعاملة كريمة مبنية على اللين والرفق والاحترام وكانت المساواة بين السكان بصرف النظر عن أصولهم العرقية من أهم ما يتميز به السيد سعيد بن سلطان^(٦).

والحقيقة أن كثيرا من القيم الحضارية قد سادت المجتمع الأفريقي بفضل هجرات كثير من العلماء والفقهاء الذين استقروا في المجتمع الأفريقي وكانت علاقة هؤلاء العلماء بحكام البوسعيديين من أهم المؤثرات التي اكتسبت هؤلاء الحكام قدرا كبيرا من الشرعية بحكم تأثير هؤلاء العلماء في المجتمع الأفريقي خصوصا وأن الحكام البوسعيديين قد حرصوا على أن تسود مبادئ الشريعة الإسلامية وتطبيق مبدأ المساواة بين العرب والأفارقة وفي كافة المعاملات ويبدو ذلك بشكل واضح من المنشورات التي أصدرها الحكام البوسعيديون إلى الولاة والقضاة في أنحاء الدولة، وقد أمدتنا بعض المصادر العمانية بعدد من هذه الوثائق ولعل المنشور الذي أصدره السيد ماجد بن سعيد للقضاء يعد بمثابة دستور يعكس قمة العدل والمساواة اللذين سادا الشطر الأفريقي من الامبراطورية العمانية.

ولعل من المناسب الإشارة إلى المبادئ العامة التي تضمنتها منشور السيد ماجد



على اعتبار انه يعكس مؤثرات حضارية وإنسانية من بينها التأكيد على مبدأ المساواة في التقاضي والحرص على أموال الناس وأرواحهم والتأكيد على أن ذلك يدخل في مهمة الدولة التي لديها من القوة ما يمكنها من البطش بكل من تسول له نفسه اضاءة هبة الدولة (٧)

لقد كان السيد ماجد عند حسن ظن والده وشعبه، فقد حرص على أن يسوس الرعية بنفس الطريقة التي اختطها والده السيد سعيد وقد اتضح ذلك فيما ابداه من أهمية للعدالة وحسن التعرف على مشاكل الناس والدقة في اتخاذ القرارات التي أثارت إعجاب ودهشة الجميع (٨).

لقد اتاح هذا الجهد الحضاري الفرصة لتثبيت الوجود العماني العربي في شرق أفريقيا وظل تاريخ شرق أفريقيا خلال عصر البوسعيديين جزءاً هاماً وغالياً من العالم العربي وعد العمانيون رسل حضارة وثقافة بسبب التطور الهائل الذي عم شرق أفريقيا مما اشار العديد من الدول الأوروبية التي راحت تترقب بالدولة الفتية بهدف تقسيم ممتلكاتها.

الوزراء والقضاة والمستشارون:

لقد استعان البوسعيديون بالشخصيات النابغة، حيث اختير من بينهم الوزراء والمستشارون والقضاة الذين كانوا عوناً للحكام البوسعيديين في تصريف شؤون الدولة وقد عمل بهذا التقليد منذ عهد الامام احمد بن سعيد مؤسس دولة البوسعيد وبمضي الزمن اكتسب هذا الوضع قدراً من الشرعية لدرجة انه اصبح في عهد السيد سعيد بن سلطان شيئاً أساسياً من مقومات الدولة ويأتي في طليعة هؤلاء المستشارين السيد سليمان بن حمد بن سعيد بن حمد بن خلف البوسعيدي (١٧٨٢ - ١٨٧٣) وهو من العائلات المرموقة في زنجبار التي تمتعت بالكثير من الاحترام في كل من عمان وزنجبار، وقد قام السيد سعيد بن سلطان عند وصوله الى زنجبار

بتعيين السيد سليمان البوسعيدى رئيساً للوزراء وبقي يشغل هذا المنصب حتى وفاته عام ١٨٧٣ حيث عاصر حكم السيد برغش بن سعيد وقد حظي السيد سليمان بن حمد البوسعيدى بثقة السيد سعيد بن سلطان وتمتع بنفوذ واسع لدرجة ان السيد سعيد عادة كان يعينه وصياً على الحكم كلما توجه الى عمان وذلك قبل ان يكبر اولاده ويقولوا مقاليد الحكم^(٨)

ومما يميز سياسة البوسعديين توخيهم العدالة في ادارة البلاد واختيارهم أكفا العناصر في الجهاز الاداري بصرف النظر عن هويتهم العرقية او الدينية على الرغم من ان المذهب الاباضي هو المذهب الرسمي للدولة^(٩).

ونتيجة لهذه السياسة فقد ساد جو من اللفة والتجانس والصلوات الوثيقة بين كافة الاوساط الاجتماعية وخصوصاً بين العلماء والفقهاء من الاباضية والسنين، لذلك كان من الطبيعي ان يكون بعض قضاة السيد سعيد بن سلطان في زنجبار من السنين وبعضهم من الاباضية.

وقد كان للقضاة السنين مطلق الحرية في عقد محاكمهم في منازلهم او في المساجد العامة وفي اي وقت شاءوا، الا ان القضايا الكبيرة ذات الطابع العام يتم الفصل فيها في بيت الساحل وهو المقر الرسمي للحكومة^(١٠)

وكان من ابرز قضاة السنة الشيخ محيي الدين القحطاني الوائلي (١٧٩٠ - ١٨٦٩) الذي اصبح قاضي الشافعية في زنجبار عام ١٨٣٧ وفي عهد السيد ماجد بن سعيد تولى منصب المفتي.

وتشير المصادر وثيقة الصلة بأن الشيخ محيي الدين الوائلي كان من كبار المستشارين المقربين للسيد سعيد وابنه السيد ماجد وكثيراً ما اعتمد عليه السيد سعيد في المهام الصعبة ومنها النزاعات التي نشبت في السوا عام ١٨٤٥ - ١٨٤٦ ، وقد توجهت جهوده بالنجاح حيث توصل لاتفاق سلام وعقدت هدنة لصالح السيد سعيد، وتجمع المصادر المحلية والاجنبية على ان الشيخ القحطاني كان موضع احترام وتكريم من كافة الناس في كل نواحي شرق افريقيا^(١١)

القبائل العربية في شرق افريقيا خلال عصر البوسعديين:

لقد نجح البوسعديون في جمع كلمة القبائل العربية في شرق افريقيا والقضاء على المنازعات والمشاحنات القبلية القديمة وذلك بمشاركة القبائل واستشارتهم في مهام الدولة ومشاكلها سواء في عمان او في زنجبار وملحقاتها وفي اطار هذه السياسة كان السيد سعيد بن سلطان حريصاً على توطيد علاقاته بكافة شيوخ القبائل والعشائر وكان الشيخ ناصر بن جاعد بن خميس الخروصي واحداً من هؤلاء، حيث كان من كبار علماء الاباضية في زنجبار وكان السيد سعيد يستشيريه في مهام الحكم خاصة فيما يتعلق بعمان والمشكلات التي كانت تواجه السيد ثويني والذي كان ناشطاً عن والده في مسقط طوال اقامة السيد سعيد في زنجبار وكثيراً ما كان يقوم الشيخ ناصر الخروصي بالسفر الى عمان وتقديم المشورة للسيد ثويني، وتشير المصادر الى ان الشيخ الخروصي قد نال درجة عالية من التكريم حيث أنزله السيد سعيد في قصره الخاص الى ان توفاه الله عام ١٨٤٧^(١٢)

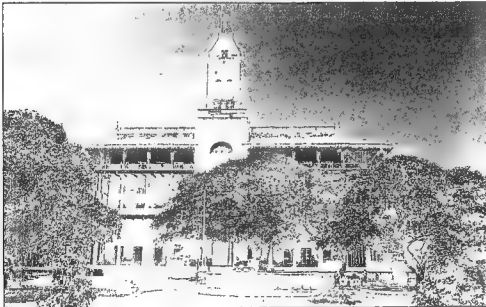
ومن بين القوى العربية ذات التأثير الكبير في زنجبار وشرق افريقيا عرب



مقر السلطان والبحر
والمسجد في زنجبار

حضر موت الذين استقروا في زنجبار وانخرطوا في خدمة الدولة البوسعيدية وكان من بين زعمائهم السيد عمر القاضي الشاطري العلوي وكان له نفوذ واسع وموضع ثقة السيد سعيد بن سلطان، والشاطريون من اولى الجماعات العربية التي استقرت واستوطنت زنجبار ومما ضاعف من اهميتهم انهم كانوا على علاقات مصاهرة مع حكام زنجبار السابقين (المويني مكو)^(١٤) وقد خص السيد سعيد هذه الاسرة الحاكمة بالكثير من الاحترام والتقدير ولم يتدخل في شؤونهم فأصبحوا سندا وعضدا للبوسعديين.

لقد تجلت مظاهر الشورى خلال عصر البوسعديين في شرق افريقيا فيما عرف بالمجالس السلطانية التي كان يعقدها حكام البوسعيد للاطلاع على مشاكل الرعية ولسماع رأي المستشارين فيما يتعلق بمصالح الدولة وكان لكل فرد حق حضور هذه



بيت المجالس
في زنجبار

المجالس التي كانت تعقد في البلاط السلطاني وقد امتدنا بعض المصادر بوصف دقيق لهذه المجالس بأنها كانت تعقد في يومي الجمعة والاثنين من كل اسبوع على فترتين الاولى في الساعة التاسعة صباحا والثانية عقب صلاة العصر وكانت هناك حرية تامة في الكلام وعندما تنتهي الجلسة ينهض الحاكم فيقف الجميع ويستأذنونه في الانصراف ويبقى في القاعة كل من يريد رؤية الحاكم لأمر ما، حتى يستدعى بمقابلة الحاكم الواحد بعد الآخر في مقابلة خاصة^(١٥)

ولعل عصر السيد سعيد بن سلطان يعد مثالا عمليا للعدل والشورى والبساطة والتسامح وهي صفات لا يتصف بها الا الحكام الصالحون فقد كان في صلاته مثالا للخشوع والورع والتقوى وكان في حياته بسيطا متواضعا بعيدا بطبعه عن التعالي والكبر والجفاء وكان لا يتورع عن الذهاب الى دار احد خدمه مهنتا بفرح او مواسيا في حزن^(١٦)

وهكذا تضافرت كل الجهود في نشر التراث الحضاري العُماني حيث انتشرت الحضارة العربية الاسلامية وغدت مدن الساحل الافريقي تعج بتلك السمات الحضارية ذات الطابع العُماني وغدت المساجد والكتاتيب في ظل السيادة العُماني تشكل قواعد ممتازة لنشر اللغة العربية بين الافارقة في الساحل الافريقي وفي كثير من المناطق الداخلية التي جابها التجار العرب العُمانيون وظل التراث العربي العُماني من كتابات وآثار عُمانيّة ومساجد^(١٧) من البصمات الحضارية الباقية ما بقيت الحضارة الانسانية.

الجيش والأسطول:

إن اتساع الامبراطورية العُمانيّة في عهد البوسعيديين قد فرض العديد من التحديات التي تتواءم وامتداد هذه الامبراطورية لعل في مقدمة هذه التحديات توفير اسباب الامن والاستقرار وحماية أطراف الامبراطورية المترامية وقد اقتضى ذلك تكوين جيش قوي قادر على خوض المعارك البرية والبحرية وقد كان السيد سعيد بن سلطان كثيرا ما يقود الجيش بنفسه لاختضاع الامارات المتمردة وحركات العصيان كما حدث في الحرب لاختضاع ممباسة وملحقاتها^(١٨).

وعلى الرغم من ان القيادة العامة للجيش من مهام السلطان الاساسية الا انه نظرا لاتساع الدولة وتعدد ثغورها وحصونها فقد اختص كل امير بقيادة الجيش في ولايته والاشراف على الحاميات والحصون في دائرة اختصاصه^(١٩).

ومن أبرز القادة العسكريين الذين اعتمد عليهم السيد سعيد في شرق افريقيا، الشيخ محمد بن جمعة البرواني.. وكان محاربا قويا حارب في ساحل مريما (تنجانيقا) وتمكن من اخضاع جميع الموانئ في هذا الساحل وتمكن من طرد الملاحشين الذين كانوا قد استولوا على هذه الموانئ من البوسعيديين^(٢٠).

اما في مجال الاسطول فقد كانت جميع سفن السيد سعيد الحربية والتجارية سفنا شراعية في البداية اذ لم يكن استعمال السفن البخارية قد انتشر بعد، ومن اشهر السفن الحربية (ليفربول) وقد بنيت في حوض السفن في بومباي بالهند عام ١٨٣٦. وكان طاقمها يتكون من مائة وخمسين بحارا وضابطا، ومزودة بأربعة وسبعين مدفعا وقد قبلها ملك بريطانيا كهدية من السيد سعيد وقد تم تغيير اسمها الى الامام

تقديرا للسيد سعيد بن سلطان وقد اهدى ملك بريطانيا للسيد سعيد السفينة (الامير الوصي)^(٢٣).

ومن اشهر ضباط البحرية في عهد البوسعيديين السيد حمد بن سليمان البوسعيدي والشيخ حسن الفارسي والشيخ احمد بن نعمان الكعبي والآخر هو الذي قام بالرحلة المشهورة على ظهر السفينة (سلطانة) الى نيويورك ١٨٤٠ كما قام برحلة الى فرنسا واشتهر عنه بأنه كان يجيد اللغتين الانجليزية والفرنسية كما كان على علم كامل بعلوم البحار خاصة في المحيطين الهندي والاطلسي.

لقد اعتمدت دولة البوسعيد على امثال هؤلاء الرجال الافاذ من ذوي الخبرات المتعددة بدليل ان الشيخ الكعبي قد تولى وزارتي الخارجية والمالية عقب وفاة الشيخ حسن الفارسي وقد توفي الشيخ احمد بن نعمان الكعبي في عهد السيد ماجد بن سعيد عام ١٨٦٧^(٢٤).

واللافت للنظر أن الاسطول كان يقوم بمهمتين اساسيتين اولهما الحرب وثانيهما التجارة واعتنى العثمانيون ببناء السفن الشراعية القادرة على الابصار في المحيط الهندي وبحر العرب واستطاعوا بسفنهم العملاقة ان يربطوا الشواطئ العمانية بالشواطئ الافريقية في اوقات هبوب الرياح الموسمية.

ان الحديث عن النظم الادارية والسياسية في عهد البوسعيديين لا يكتفل الا بالاطلاع على رأي المستشرقين والمؤرخين الاجانب الذين افاضوا في وصف شخصية سعيد بن سلطان تلك الشخصية التي فرضت هيبتها وحظيت باحترام الخصوم قبل الاصدقاء، فهيها هو الرحالة ريتشارد بيرتون الذي عاصر السيد سعيد وتعامل معه يتحدث عن صفاته القيادية قائلا (يشعر الانسان انه امام شخصية مهابة، متدين دون تعصب، لين الجانب مهيب الطلعة)^(٢٥).

النشاط الاقتصادي وتجارة القوافل الافريقية:

يعتبر النشاط الاقتصادي في شرق افريقيا من الموضوعات الهامة التي هي في اشد الحاجة الى تحقيق علمي جاد نظرا لان بعض الكتابات الاوروبية في اطار حملتها الصليبية قد عنيت كثيرا بتجارة الرقيق لدرجة ان القارىء يشعر وكأنها هي التجارة الوحيدة في شرق افريقيا^(٢٦). مع اننا نلمح بوضوح الاهداف الاقتصادية لحكام البوسعيد في شرق افريقيا وخصوصا منذ عهد السيد سعيد بن سلطان الذي اتخذ من زنجبار مقرا لحكمه في شرق افريقيا وحرص على ان يأخذ التجار الهنود الذين كانوا يساهمون بنشاط وافر في تجارة مسقط.

ويبدو ان الهنود قد حققوا نموا اقتصاديا عاليا في عهد السيد سعيد بن سلطان الذي استعان بهم واستخدم الاكفاء منهم في الاعمال الاقتصادية والادارية وكانت مراكزهم ومؤسساتهم التجارية تمتد حتى موزمبيق ومدغشقر وجزر الكومور^(٢٧).

ويبدو ان الهنود قد مارسوا نشاطا اقتصاديا اضر باقتصاد شرق افريقيا حيث كثر عددهم واخذوا يستولون على الممتلكات عن طريق الرهن او الشراء وزاد عددهم في عهد السيد سعيد بن سلطان حتى وصل الى اربعة آلاف نسمة^(٢٨)، مما دفع السيد سعيد الى ان يستقدم من عمان المئات من التجار الذين لديهم خبرة بأعمال التجارة ونجح بعضهم نجاحا كبيرا ولم يكتفوا بالاستيطان على السواحل وانما امتد نشاطهم

الى داخل افريقيا حتى صدق عليهم المثل القائل (إذا دقت الطبول في زنجبار ترقص الناس طربا في البحيرات الاستوائية)، وهو ما يشير الى أن زنجبار قد امتدت ثقافيا وحضاريا الى منطقة البحيرات الاستوائية وأن ثمة تعاملات يومية تجارية وثقافية كانت تربط زنجبار بوسط القارة الافريقية.

والحقيقة ان جهود البوسعيدين كانت واضحة في المجال الاقتصادي وخصوصا في عهد السيد سعيد بن سلطان الذي كان لنجاحه في هذا المضمار الفضل الاول في نجاح تجربته في تأسيس الدولة الكبيرة، ولا شك ان الرجل قد وضع نظاما ضرائبيا كان معمولاً به في مسقط وحقق نجاحا كبيرا وخصوصا فيما يتعلق بالنظام الجمركي حيث كانت الضريبة المفروضة على الواردات التي تأتي الى الموانئ الافريقية لا تتجاوز ٥٪ في حين اعفيت الصادرات من الضرائب، والهدف من تلك السياسة واضح وهو تنشيط حركة التجارة عن طريق فرض اقل المكوس واهونها على التجارة الخارجية.

وقد ادرك السيد سعيد أهمية تسهيل عمليات التبادل التجاري لذا فقد وضع نظاما بسيطا للنقد وخصوصا عندما وجد أن النقد المتبادل في زنجبار هو الريالات الالمانية والنمساوية والاسبانية، ورغبة منه في تسهيل عمليات التبادل التجاري استحدث نظاما نقديا جديدا يحل محل تلك العملات ولم يكد ينتهي حكمه حتى اختفت الى حد كبير تلك العملات الاجنبية وحل بدلا منها عملة جديدة استحدثها^(٢٧).

وفي عام ١٨٨٢ ادخل السيد برغش بن سعيد عملة خاصة وعليها عبارة (السلطان برغش بن سعيد بن سلطان) والتي استخدمت لأول مرة عام ١٨٨٣ ، وفي عام ١٨٨٧ اصدر السيد برغش عملة جديدة تحمل كلمة (زنجبار) ولكنها لم تستخدم الا بعد وفاته، حيث بدء في استخدامها في عهد السيد خليفة بن سعيد (١٨٨٨ - ١٨٩٠) ولذا كان البعض يطلق عليها (بيسة السيد خليفة)، واستمر الحال على هذا المنوال الى ان ادخلت العملة الفضية الانجليزية عام ١٩٣٦ ، وبقيت بيسة السيد خليفة في التداول بشكل غير رسمي والتمس المواطنون من الحكومة ان تتركها تذكارا لكراما لهذا الحاكم الكبير وقد استجابت الحكومة لرغبة الاهالي فظل التعامل بها بجانب العملة الفضية الانجليزية، الا انه كان حريصا في بعض الاحيان على ان لا يجعل الميزان التجاري ينقلب الى غير صالح بلاده او ان ينقل من بين يديه، لذا فقد شهدت سياسته الاقتصادية بعض الاحتكارات ضمانا لمركزه الاقتصادي ومن اجل ذلك فقد حرم على طول الساحل الممتد من مصب نهر البانجاي الى كلوة تصدير المطاط والعاج تحت اي علم خلاف علم مسقط ولم يثبت انه مارس احتكارا باستثناء ذلك^(٢٨).

لقد عرف عن السيد سعيد شغفه بالتجارة وحبه لممارستها ومن اجل ذلك كان يستخدم اسطوله في نقل البضائع بين آونة واخرى وكانت بريطانيا وفرنسا تستقبلان في موانئهما حمولات من البضائع الافريقية حملتها سفن السيد سعيد بن سلطان الذي اعتبرته الدوائر السياسية الخارجية رجلا على درجة عالية من الاستنارة حيث جعل من بلاده سوقا تجاريا ضخما جذب اهتمام الدول الاجنبية، ويكفي دليلا على ذلك ان زنجبار قد تحولت في عهده من مجرد ميناء صغير الى اعظم ميناء في الاطراف الغربية للمحيط الهندي كما اصبحت المستودع الرئيسي للتجارة الافريقية والاسيوية بصفة عامة، ويتضح من تقارير هامرتون Hamerton القنصل

البريطاني في زنجبار أن سكان زنجبار تضاعفوا في عهد السيد سعيد وخلال عشرين عاما قضاها السيد سعيد في زنجبار استطاع أن يجعل منها واحدة من ثلاثة أو أربعة مراكز رئيسية للتجارة في المياه الغربية للمحيط الهندي وضاعف من عائداتها الاقتصادية عشرات المرات.

اما من حيث التجارة الداخلية فقد عمل السيد سعيد على توفير كافة الضمانات لنجاحها وعلى الاخص تجارة القوافل العربية التي تمر بداخل القارة الافريقية وسلكت هذه القوافل كافة الطرق التجارية الممتدة داخل القارة وانتعشت الطرق القديمة وفي عام ١٨٤٣ وصلت اول قافلة عربية الى مملكة بوغندا Buganda على شواطئ بحيرة فيكتوريا^(٢٩)

وفي اواخر عهد السيد سعيد (١٨٥٢) تم فتح طريق تجاري جديد يربط الساحل الشرقي لافريقيا بساحلها الغربي عبر بحيرة تنجانيقا، وفي نفس العام وصلت اول قافلة من زنجبار الى المحيط الهندي الى بنقويلا Benguela على الساحل الغربي الافريقي على المحيط الهندي^(٣٠).

لقد أدى هذا التوسع التجاري الى نشأة ثلاثة طرق رئيسية لتجارة القوافل العربية:

- ١- الطريق الشمالي الممتد من ممباسا وماليندي الى هضبة البحيرات او المناطق الشرقية لدولة أوغندا الحالية، وكان هذا الطريق محفوفًا بالمخاطر بسبب تعرض القوافل التي ترتاده لهجمات قبائل الماساي Massai المحاربة.

- ٢- الطريق الأوسط ويبدأ من الموانئ المواجهة لزنجبار مثل تانفة وبنغاني وبغامويو Bagamoyo ويتجه الى وسط تنجانيقا خاصة تابورا ومنها يتفرع الطريق الى فرعين شمالا الى هضبة البحيرات الاستوائية وجنوبا الى منطقة اوجيجي وحوض نهر الكونغو وقد زادت أهمية هذا الطريق ابتداء من القرن التاسع عشر بسبب ارتفاع اسعار العاج عالميا ودخل العرب والسواحليون في علاقات ودية مع قبائل الانيامويزي Nyamezi التي تسكن هذه المنطقة من اجل تسهيل مهامهم التجارية، ويعد هذا الطريق اهم الطرق التجارية على الاطلاق نظرا لانه اكثر امنا الى جانب عوائده التجارية العالية.

- ٣- الطريق الجنوبي الممتد من كلوة عبر جنوب تنجانيقا وشمال موزمبيق الى بحيرة نياسا وتمكن العرب من التحالف مع قبائل الياو التي كانت تجلب العاج والمنتجات الافريقية الاخرى وتبيعها لتجار القوافل العربية^(٣١).

ومن السلع الاساسية التي كانت تقوم عليها تجارة القوافل العربية العاج الافريقي الذي كان يحظى بأهمية كبيرة في اوروبا وآسيا وخلال عصر البوسعيديين ازدادت صادرات العاج الذي دخل في صناعات كثيرة كالتحف والتماثيل والآلات الموسيقية والحلي وأدوات الزينة كما ظهرت مراكز تجارية اوروبية كثيرة تخصصت في صناعة العاج في ألمانيا وهولندا وبريطانيا ولذا فقد تضاعف حجم الطلب على العاج^(٣٢).

لقد ذكرت المصادر العمانية أن في مقدمة المكتشفين للبر الافريقي قبل وصول الاوروبيين كل من سعيد بن محمد العيسري وحبيب بن سالم الفقيفي واناصر بن سيف المعمرى وعيسى بن عبدالله الخروصي وعبيدالله بن سالم الخضوري^(٣٣).

ومن اجل تسهيل مهمة القوافل العمانية استطاع العمانيون تأسيس مراكز

تجارية دائمة في تابورا (وسط تنجانيقا) وأوجيجي (على تنجانيقا) وكدسوا فيها السلاح والمواد الغذائية لمساعدة قوافل التجارة العربية، واللافت للنظر ان هذه المراكز قد تطورت فيما بعد الى امارات اسلامية اصبحت تابعة لسلطان زنجبار^(٢٤)

ويذكر الرحالة هنري ستانلي ان بلدة تابورا التي تقع على بعد ألف كيلومتر الى الغرب من ساحل افريقيا الشرقي كانت تمثل اهم مركز تجاري لتجارة مسقط وزنجبار في وسط افريقيا^(٢٥)

ومن العمانيين الذين طبقت شهرتهم الأفاق ووردت سيرته في المصادر الاجنبية حميد بن محمد المرجبي وكذلك وكيله محمد بن خلفان البرواني حيث لعبا دورا عاليا في تجارة العاج وأسسوا امارة عربية اسلامية واسعة الارحاء في أعالي الكونغو بسطت نفوذها التجاري والسياسي حتى بداية السيطرة الاوروبية اضافة الى مساهمتهما مع غيرهما من عرب عمان في تأسيس المدن في كل من كاسونجو Kasongo ونيانجوي وبنفس التخطيط والعمارة العربية في زنجبار والساحل الشرقي لافريقيا^(٢٦)

لقد كانت المعاملات التجارية في البداية تتم عن طريق المقايضة ويقدر الرحالة كمية العاج التي كانت تشتري بنحو ألفي دولار في الداخل كانت تباع في الساحل بنحو سبعة آلاف دولار، وفي عام ١٨٥٩ قدر القنصل البريطاني في زنجبار حجم الصادرات البريطانية للعاج بنحو ٤٤٨,٦٠٠ رطل قيمتها ١٤٦,٦٦٦ جنيهها استرليني^(٢٧)

لقد حققت تجارة القوافل الافريقية رواجاً اقتصادياً للافارقة انفسهم وكان للعرب فضل لفت نظر الافارقة لاهمية العاج لدرجة ان ملوك بوغندا Buganda قد احتكروا جمع العاج من المناطق المجاورة لمملكتهم، من اجل ذلك منعوا العرب من التواجد في مناطق نفوذهم^(٢٨)

ومع ذلك فقد توقفت علاقة ملوك بوغندا بسلطين البوسعيديين لان زنجبار قد اصبحت مصدرا من مصادر القوة لهم تيسر لهم الحصول على الاسلحة والسلع الحيوية خاصة الاقمشة القطنية وقد هيا هذا لتجار زنجبار مكانة مرموقة في ممالك بوغندا وبنينورو Panyoro لدرجة ان بعض هؤلاء التجار قد اصبحو من المستشارين المقربين لهؤلاء الملوك ومن ثم فقد اسهم هذا النشاط التجاري الاقتصادي في ازدياد النفوذ السياسي لهذه الممالك الافريقية كما افسح الطريق لكثير من المؤثرات الحضارية العمانية في كافة المجتمعات الافريقية^(٢٩)

لم يقتصر اهتمام الاوروبيين بالشرق الافريقي على التجارة وحدها بل ان نشاطا آخر قد ظهر بصورة مكثفة تمثل في البعثات التنصيرية التي ارتبطت بالبعثات الكشفية الاوروبية وتغلغل المنصرون الاوروبيون في مقاطعات الشرق الافريقي منذ منتصف القرن التاسع عشر ونجحوا في تأسيس عدة مراكز تنصيرية لعبت دورا هاما في الحياة الدينية والاجتماعية للافارقة.

الحياة الاجتماعية:

على الرغم من التنوع والتعدد في الاصول العرقية والعادات والتقاليد واللغات التي تشكل المجموعات التي كونت مجتمع زنجبار وشرق افريقيا في القرن التاسع عشر، الا انه نتيجة للتجانس الديني والحضاري الذي عم هذه المنطقة في ظل دولة

البوسعيدين، فقد اكتسب المجتمع الجديد الكثير من سمات التمازج والانصهار في بوتقة هذه الدولة العربية الإسلامية.. ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ذلك الموقف المتعين بالساواة والتسامح والاحترام للأعراف والعادات المحلية الذي أبداه الحكام البوسعيديون.. وقد كان هذا من الأسباب الأساسية التي دفعت الأفارقة للاستجابة العفوية الإيجابية للإسلام خاصة في المجتمعات التي ارتادها العمانيون في منطقة الظهير الأفريقي.. يقول المغربي:

«... ومن جميل أخلاق سلاطين زنجبار عدم التعصب في الجنسية والأديان فجميع الاجناس النازلة بزنجبار من غير الجنس العربي قد قابلهم سلطان زنجبار بغاية الاحترام والمواساة في جميع امور الحكومة وغير ذلك، ومهما تصفحت تاريخ زنجبار لا تجد فرقا بين العرب وسائر الاجناس»^(٢٩)
وقد أشار مراقب انجليزي منذ أكثر من مائة سنة الى هذه الظاهرة التي استرعت انتباهه في المجتمعات الأفريقية حيث قال:

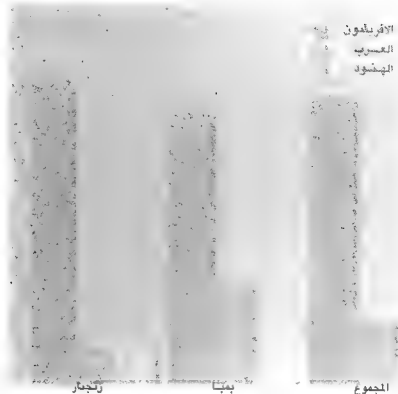
«... كيفما كانوا، وحيث ما ذهبوا.. فإن الدعاة المسلمين اظهروا رفقا وتعاطفا واحتراما للعادات والعصبيات المحلية.. الشيء الذي كان — دون ريب — أحد أسباب نجاحهم والذي يحسن بمبشرينا ومعلمينا أن يقلدوه»^(٣٠)
وتتكون المجموعات السكانية الرئيسية في زنجبار من الأفارقة والعرب والهنود، هذا والى جانب هذه المجموعات هناك بعض القمرين والصوماليين والنوبيين وغيرهم (٤١) .. ويوضح آخر احصاء اوردته المصادر الرسمية للسكان في زنجبار وجزيرة بيمبا عام ١٩٤٨م أن عدد السكان قد بلغ ٢٦٤ ألف نسمة موزعة على النحو التالي.

جزيرة زنجبار	جزيرة بيمبا	النسبة الكلية
للجزيرتين		
الأفارقة	٧٩,٣٪	٧٥,٧٪
العرب	٩,٣٪	١٦,٩٪
الهنود	٨,٨٪	٥,٨٪ ^(٣٢)

وقد كان أكثر العرب المهاجرين من عمان الى جزيرة زنجبار في فترة السيد سعيد بن سلطان، من قبيلة الحرث والذين وصفهم المغربي بأنهم أسهموا في ترقية الحياة الاجتماعية في هذه الجزيرة معدا أهم فروع هذه القبيلة في قوله:
«.... أقاموا فيها العمران الطائل وهم البراوة، والخناجرة والغيوث، والمحارمة، والسمرات، والمراهبة، وأولاد نادي، والمطارقة وأهل سناو والأعاسرة على الأكثر وان كان غيرهم من القبائل شاركهم في سكنى هذه الجزيرة وكلهم أباضية المذهب»^(٣٣)
ويلاحظ من المصادر المحلية والأجنبية بأن هناك أعدادا كبيرة من العمانيين الذين هاجروا الى تلك البلاد منذ قديم الزمان اضافة الى هذه الفئة من المهاجرين الجدد التي تتمثل في العديد من القبائل العمانية التي هاجرت بعد انتقال السيد سعيد واستقراره في زنجبار عام ١٨٣٢م^(٣٤)

أما المجموعات الأفريقية في التركيب الاجتماعي في جزيرة زنجبار فأهمها تلك المجموعة التي تطلق على نفسها (الشيرازيين) وهي تنقسم الى قسمين: المخاديم (Mahadimu) والتبمباتو (Tumbatu) وهم بمثابة السكان الأصليين في الجزيرة^(٣٥)

المجموعات السكانية
الرئيسية في جزيرتي
رسمًا ومسا عام
١٩٤٨ م



ومن الناحية الاجتماعية، فهم أقرب الى العرب في العادات والتقاليد وأكثر ميلا لهم وذلك بفضل التمسك بالعقيدة الاسلامية.. وما يؤيد هذا التقارب بين الفئتين كثرة التزاوج والمصاهرة بين العرب والشرازيين^(٤٦).

وهناك ايضا المجموعات السكانية الافريقية الاخرى الوافدة من داخل القارة وهم يمثلون معظم القبائل الافريقية الساحلية والداخلية تقريبا.. فمنهم النياموزي (Nyamwezi) والسكومو (Sokomo) والزامو (Zaramu) والهايا (Haya) والياو (Yao) والانقوني (Angoni) والماكوندي (Ma'onde) والقوقو (Gogo) .. وفدت هذه القبائل الى جزيرتي زنجبار وبمبا في اعداد كبيرة للعمل في مزارع القرنفل منذ ان تم التوسع في زراعته في القرن التاسع عشر.. وقد ارتبط البعض الآخر بالعمل في نقل البضائع والسلع في فترة تجارة القوافل التي اشرفنا اليها آنفا، الا ان ارتباطهم بالزراعة والارض قد كان اكثر مما ادى الى استقرارهم نهائيا في زنجبار وبمبا^(٤٧).

وتأتي في قمة الهرم الاجتماعي في زنجبار وشرق افريقيا الطبقة الحاكمة من السلاطين وكبار المستشارين والوزراء والولاة ويأتي بعدهم من حيث النفوذ والمكانة الاجتماعية كبار التجار والصفوة المستنيرة من العلماء والتي تمثل القيادة الفكرية والدينية وتعمل في مجال القضاء والتعليم والمهام الاستشارية في بلاط السلاطين^(٤٨).

ومن الآثار الاجتماعية البعيدة المدى للوجود العماني في المناطق التي اصبحت خاضعة لسلطة البوسعيديين في شرق وأواسط افريقية، الدور الحضاري المتميز الذي قاموا به في نشر العادات التي تتعلق باللبس والازياء، وبالتالي محاربة عادة العري البدائية والتي كانت منتشرة في كثير من المناطق الداخلية في البر الافريقي.. فـالمجتمعات الافريقية لم تقتدي بهم في العقيدة واللغة فحسب بل قلدوهم في

ملبسهم وأزيائهم.. فلم تعد القبائل الأفريقية ترتضي العري بل ارتدوا الملابس العربية البيضاء الفضفاضة الطويلة ووضعوا العمام على رؤوسهم.. ومما لا شك فيه أن الأثر العربي والروح الإسلامي قد انعكس جليا على أزياء الرجال والنساء على حد سواء.. فبالنسبة للرجال نجد أن (الكنزو) (Kanzu) يمثل الزي المميز للرجال في المجتمع السواحي والمجتمعات الأفريقية بالداخل وهو عبارة عن الثوب العربي الإسلامي الذي يتدلى إلى الأقدام وإلى مرفق اليدين وغالبا ما يكون من قماش أبيض (وهو نفس الثوب العماني الذي يسمى الدشداشة)^(٤٩).. ولقد ارتبط هذا الزي بالإسلام في أفريقية ولما يكتمل هذا الزي في المنطقة السواحلية وغيرها من المجتمعات الإسلامية في أوغندا وتنجانيقا والزائير في شرق وأوسط أفريقيا بغير (الكوفية)^(٥٠).. مما أكسب المسلمين والافارقة مظهرا متميزا وقدرًا كبيرًا من الوقار والحشمة.

أما بالنسبة للأسر السواحلية المنحدرة من أصول عربية عمانية والمرتبطة بتلك الأصول، فالسيف والخنجر المعقوف كانا من الأشياء الضرورية لإكمال وتمام الأزياء.. ويتضح مما سبق أن أزياء الرجال كانت أشبه ما تكون بالزي العربي العماني وأن المواطن السواحي قد استعمل هذا الزي بكل ملحقاته وتقاصيله حتى مطلع القرن الحالي^(٥١)

أما أزياء النساء فهي الأخرى تعكس الأثر العربي العماني والروح الإسلامي.. فمن أهم الأزياء السواحلية التي ترتبط بهذا الجانب العبادة النسائية السوداء أو ما يسمى بالسواحلية (البوي بوي) (Buibui) ويتكون من قطعتين الجزء الرئيسي يلف حول الجسم ويغطيه حتى القدمين والجزء الثاني وهو عبارة عن عصا من الحرير يلف بها الشعر ويشبه هذا الزي إلى حد كبير العبادة النسائية المستعملة في عُمان والخليج العربي^(٥٢).

وفي دراسة نموذجية قامت باحثة أوروبية بتحليل الملامح والخصائص الاجتماعية لهجرات العمانيين إلى أواسط أفريقيا منذ القرن الماضي، وقد توصلت الباحثة إلى نتائج أهمها أن هذه الهجرات أدت إلى تكوين مستوطنات ومجتمعات حضرية ذات صبغة عربية إسلامية^(٥٣).. وتوجد هذه المجتمعات العمانية المستقرة في كل من رواندا وبوروندي علاوة على الأقاليم الشرقية لزائير (اقليمي كيفو وشابا)^(٥٤) وجاءت الطبيعة الحضرية لهذه المجتمعات نتيجة للنشاط الاقتصادي الذي كانت تقوم به الأغلبية العظمى من العمانيين الذين كانوا ولا يزالون يعملون في مجال التجارة ويعيشون في العواصم مثل كيجالي وبوجمبورا^(٥٥).

ومن الظواهر الاجتماعية الجديرة بالتسجيل روح الاندماج والانصهار التي تميز بها هؤلاء النفر من أهل عمان في هذه المجتمعات الأفريقية التي هاجروا إليها نتيجة لعملهم التجاري وكفاحهم الدؤوب في البحث عن سبل العيش الكريم.. فقد ذكرت الباحثة على سبيل المثال بأن الذكور كانوا أثناء ترحالهم كثيرا ما يتزوجون نساء من الأفريقيات سواء في القرى والمدن التي كانوا يمرون بها أو يتزوجون من بنات رؤساء القبائل الأفريقية دعما لعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية في تلك المناطق.

ولقد شاهدت الباحثة إحدى تلك الحالات في بلدة أوفيرا التي تقع على الجزء الشمالي الغربي من بحيرة تنجانيقا حيث تزوج ثلاثة من الأخوة العمانيين ثلاثا من

النسوة الافريقيات^(٩٦).. هذا التجانس الاجتماعي الذي تم في هذه الفترة من الحكم البوسعيدي له دلالات ومغزى عميق في تاريخ العلاقات العربية الافريقية.. ان هؤلاء الرواد من العُمانيين من حملة مشاعل الحضارة العربية الاسلامية في مجاهل القارة الافريقية، ضربوا مثلاً رائعاً في الاندماج والانسجام الايجابي حيثما كانوا يقيمون بين من يتصلون بهم من الجماعات الافريقية بالمشاركة الفاعلة في حياتهم الاجتماعية (وتوثيق صلاتهم بهذا المنهج والاسلوب الاسلامي الذي لا يعرف التفرقة والفصل العنصري.. ونتيجة لهذا الموقف الى حد كبير انصهر سكان هذه المجتمعات في شرق افريقيا في الدم العربي.. هذه الرغبة في الزواج والمصاهرة بالاضافة الى هيبة الاسلام وثراء حضارته تعلقان لنا حقيقة ان الكثيرين من الافارقة يشعرون بفخر الانتماء الى النسب العربي اضافة الى هويتهم الاسلامية^(٩٧).

الحياة الدينية والثقافية:

انتشار الإسلام :

وغني عن القول ان قمة الدور الحضاري الذي أسهم به عرب عمان في القرن الماضي قد كان في مجال الدعوة الاسلامية.. فقد شهدت فترة البوسعديين مرحلة مهمة من مراحل انتشار الاسلام في شرق افريقيا، حيث اشرق نور الاسلام لأول مرة في ربوع أوغندا وأعالى نهر الكونغو وفي رواندا وبوروندي وذلك فضلاً عن المناطق الداخلية في تنجانيقا.. في هذا العهد قد أصبحت زنجبار مركز اشعاع اسلامي منذ ان اتخذها السيد سعيد بن سلطان حاضرة الحكم العماني في شرق افريقيا عام ١٨٢٢م.. وعن هذا المفهوم يحدثنا احد العاملين في حقل الدعوة الاسلامية في تاريخنا المعاصر، عن انطباعاته حين قام بزيارة الجزيرة في عام ١٩٧٢م فيقول:

«... وهكذا مضى الحكم الطويل برخائه وبؤسه.. وقد كان الكل مسلمين ولا زال الاسلام حتى يومنا هذا هو الدين السائد في الجزيرة كلها . وتتميز زنجبار عن سائر مقاطعات شرق افريقيا بظاهرتين:

الأولى: بروز المظاهر الاسلامية في شتى أنحاء الجزيرة.

الثانية: الطابع العربي في مظاهر المدينة الخارجية كالمباني والطرقات ويعود ذلك الى أصالة الاسلام في سكانها بصورة تكاد تشمل جميع السكان على اختلاف أجناسهم والتي تولى المسلمون الحكم فيها خلال عهود طويلة متقدمة.. ومما يغني عن الاسهاب فيما تعرضنا له حول الاسلام ان زنجبار وشقيقتها (بيمبا) تضمنا على صفرهما ٣٧٥ مسجداً، وبهذا نعلم اذا استعرضنا عدد السكان ان لكل مائة شخص مسجداً واحداً باستثناء النساء.. وقد كانت زنجبار وفي زمن ليس ببعيد، منتدى افريقيا الشرقية، فقد أنجبت الدروس والتي تلقى في أروقة المساجد نخبة من الرجال الأفذاذ الذين بلغوا اعلى المستويات العلمية (الدينية)^(٩٨).

وقد تم انتشار الاسلام في العهد البوسعيدي عن طريق قوافل التجار العُمانيين القادمين من زنجبار والمدن الساحلية الاخرى ويطلق عليهم في المصادر المحلية والاجنبية لقب (الزنجباريين) وقد كان ذلك قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وذلك عن طريق التسرب السلمي بدعوة قامت على الاقتناع الذي كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولا ولا طولاً الايمانهم العميق.

ولعل اهم الدعاة العمانيين الاوائل الذين تركوا اثرا بعيدا ومهما بالنسبة لانتشار الاسلام في اوغندا هو الشيخ احمد بن ابراهيم العامري.. ويعتبر وصول هذا التاجر من زنجبار الى بلاط الملك (سنا) (Sunna) في مملكة بوغندا معلما بارزا ونقطة تحول في تاريخ المملكة اذ يعتبر هذا الحدث بداية دخول الاسلام في اوغندا.. وتشير المصادر بأن الشيخ احمد بن ابراهيم من اوائل التجار المسلمين الذين وصلوا تلك المملكة . وقد وضع ذلك من مذكرات امين باشا التي اورد فيها بأن الشيخ احمد اخبره بأن اول زيارة له لبوغندا قد تمت في عام ١٢٦٠ هـ الموافق ١٨٤٣ م^(٥٩).

وتتفق المصادر المحلية والاوربية بأن هؤلاء التجار العرب ورحلاتهم التجارية وما يتم فيها من تبادل للمنافع والسلع كان يصحبه دائما تبادل في الآراء والافكار مما افسح المجال لانتشار الاسلام في تلك البقعة النائية والمناطق الاخرى في اواسط افريقيا.. ولعل اهم ما وقع في هذه الفترة واشارت اليه المصادر موقف الشيخ احمد بن ابراهيم الشجاع الذي ابداه في البلاط الملكي تجاه بعض الممارسات المهيجة والوحشية التي تتمثل في قتل وسفك دماء الأبرياء من رعايا الملك وذلك تمشيا مع متطلبات وطقوس الديانة الوثنية الافريقية لوباري (Lubaare) التي كان يعتنقها اهل بوغندا وعلى رأسهم الكباكبا (الملك) الذي يمثل السلطة الزمنية والروحية في نظام ذلك المجتمع.. وفي احدى المرات اصدر الكباكبا اوامره بالقيام بهذه المذبحة وذلك تمشيا مع طقوس الديانة التقليدية وروحها المهيجة الوثنية.. فما كان من الشيخ احمد بن ابراهيم الا ان وقف متحديا الكباكبا وسط دهشة الحاضرين مخاطبا ومعاتبا اياه قائلا:

«... مولاي ان هؤلاء الرعايا الذين تسفك دماءهم كل يوم بغير حق انما هم مخلوقات الله سبحانه وتعالى الذي خلقك وانعم عليك بهذه المملكة»^(٦٠)

وكانت دهشة الحاضرين اقوى واشد عندما تميز الكباكبا بضبط النفس واجاب الشيخ احمد بأن ألهمته هي التي منحتهم هذه المملكة واستمر الشيخ احمد في شجاعة ورباطة جأش يكرر له ويركز على فكرة الله اكبر الواحد الاحد الى ان بدأ الكباكبا يتساءل في حيرة عن الله هذا الذي يتحدث عنه الشيخ احمد والذي يعتبره الخالق للكون وما حوى والذي له ما في السماوات والارض.. ورويدا رويدا انفتحت قلب وعقل الكباكبا وطلب من الشيخ احمد ان يعلمه عن هذا الذي لا مكان فيه للشرك وعبادة وتقدیس الافراد مثل الكباكبا واستجاب الشيخ احمد لرغبته ومضى يعلمه في صبر وناة وركز بصفة خاصة على مسألة التوحيد والحياة الاخرى والبحث وموضوع الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

وهكذا بدأ يتعلم مبادئ الدين الاسلامي وتشير المصادر بأن الشيخ احمد قد استطاع ان يعلمه اربعة اجزاء من القرآن الكريم قبل وفاة الكباكبا في عام ١٨٥٦ م.. وبذلك انفتح الباب على مصراعيه بعد هذه الخطوة المباركة لتمهد الطريق لانتشار الاسلام في اوغندا والمناطق المجاورة.^(٦١)

هذه القضية نموذج لعمل الطلائع من الدعاة المسلمين من العمانيين في ربوع القارة الافريقية وشخصية الشيخ احمد بن ابراهيم العامري نموذج رائع للداعية المسلم يدعو للعجاب ويجذب له افئدة الناس.. اخلاقه قوية سامية وشخصيته مؤثرة جذابة وفيه كرم الشجاعة وايشار لا يخشى في الله لومة لائم

وببإشار دعوته مع تجارة يزاولها او احيانا يتفرغ للدعوة والتعليم فيلفت الناس حوله من يوم الى يوم فينجذب الناس للدعوة الاسلامية.

هذا الاساس المتين الذي وضعه الشيخ احمد ومن اتى بعده من التجار الزنجباريين والسواحليين قد اتضحت معالمه في صحوه اسلامية شاملة في عهد الكابكا موتيسا الاول (١٨٥٦ - ١٨٨٤) .. فقد ابدى موتيسا حماسا منقطع النظير للاسلام وعمل على نشره ليس وسط قومه في مملكة بوغندا فحسب، بل تعداها الى الممالك المجاورة عندما كتب الى كاباريجا (Kabarega) ملك اقليم بنيورو (Bunyoro) داعيا وناصحا بالدخول في الاسلام واصدر توجيهاته الى الاقاليم باعتراف الدين الاسلامي واقامة شعائره وتشبيد المساجد وقد اتضح النفوذ الاسلامي الكبير بالمكانة المرموقة والمتميزة التي لقيها التجار العمانيون في عهده واتخاذهم مستشارين له وتبادل الهدايا والرسائل مع سلاطين زنجبار الذين عاصر منهم كلا من السيد ماجد والسيد برغش ابني السيد سعيد بن سلطان.. كما منح بعض السواحليين ولايات ليقوموا بادارتها وتصريف شؤونها.. ليس هذا فحسب بل ادخل لأول مرة العمل بالتقويم الهجري في كافة انحاء المملكة وامر بالتحلي والالتزام بالآداب والاخلاق الاسلامية في المعاملات اليومية والاجتماعية^(١٢)

ان الدور الذي اسهم به العمانيون في انتشار الاسلام في شرق واوراسط افريقية في عهد البوسعيديين لا يزال ينتظر المزيد من البحث والدراسة خاصة من وجهة النظر العربية الاسلامية لشحة المصادر التي كتبها المسلمون في هذا المجال . فهناك الكثير من الجنود المجهولين نجد اخبارهم متناثرة ومتفرقة خاصة في المصادر الاوروبية المتمثلة في الوثائق الحكومية الرسمية وتقارير بعثات الاراساليات التنصيرية.. وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منها الدور الذي قام به الشيخ خميس بن جمعة والذي اسلم على يديه الملك موتيسا والشيخ عبدالرحمن بن عبيد بن حمود الذي كان مندوبا شخصيا للسيد برغش بن سعيد سلطان زنجبار في بلاط الملك كاباريجا عاهل بنيورو كما كان ايضا من مستشاريه المقربين.. وقد قام الشيخ عبدالرحمن بن عبيد بن حمود بجهود واضحة في مجال الدعوة الاسلامية عن طريق اقامة المساجد وتزعم الجالية الاسلامية من التجار الزنجباريين والمسلمين الوطنيين^(١٣)، ولا ننسى في هذا الاطار الدور الريادي الذي قام به اشهر التجار العمانيين الشيخ حميد بن محمد المرجبي ومعاونه ووكيله الشيخ محمد بن خلفان البرواني وما قاما به من تأسيس اماره عربية اسلامية في منطقة اعالي الكونغو والتي كانت تابعة وتدين بالولاء لسلطنة زنجبار الاسلامية^(١٤) وقد اشار الشيخ المغربي لهذا النشاط بوضوح ولكن في اختصار شديد عندما ذكر:

«.. ومما لا ريب فيه ان العرب العمانيين من رعايا السيد سعيد هم الذين شيدوا المراكز في داخلية البر الافريقي للتجارة وتسلطوا على طرقها وبنوا المستعمرات العربية، وجعلوها مركزا لنشر الديانة الاسلامية، ونشر سلطة زنجبار»^(١٥).

وفي المراجع الحديثة التي اهتمت بالنشاط العربي في اواسط افريقيا تعرض البعض للدور الذي قام به عرب عمان في انتشار الاسلام والذي جاء نتيجة لنشاطهم التجاري في منطقة الكونغو.. وفي تفسيره لهذه الظاهرة ذكر احد هذه المراجع بأن العرب لم يستخدموا ضغطا سياسيا على الوطنيين ولم يقوموا بقرض حضارتهم

ودينهم ولكنهم حققوا كسبا دينيا بجانب الكسب الاقتصادي وذلك بدخول الوطنيين الاسلام سلميا دون اكراه.. وقد علل ذلك بأسباب في مقدمتها مكانة العرب في نظر الافارقة وما لاحظوه من عدم التعصب او النظرة المتهافئة تجاههم، هذا اضافة لروح التسامح اذ لم ينكر الاسلام عليهم تقاليدهم الاجتماعية.. وأشار نفس المرجع الى ان الوطنيين قد سارعوا للدخول في الاسلام عتقا لهم لان المسلم لا يسترق^(٦٦) أسهم العمانيون ايضا في دخول وانتشار الاسلام في منطقتي رواندا وبوروندي.. وسبق ان اشرنا الى الدراسة التي اجرتها باحثة اجتماعية فرنسية في كلتا المنطقتين.. ولعل ابرز ما توصلت اليه هو خصائص المجتمع الاسلامي الذي تكون نتيجة لهجرات قبائل الحرث العمانية في تلك المناطق من اواسط افريقيا.. وقد انتشر الاسلام ايضا في هذه البلاد بالوسائل السلمية التي افرزتها المعاملات والمصاهرة.. وقد تبلور بمرور الزمن مجتمعات حضرية اذ ان الاغلبية العظمى من المهاجرين العمانيين قد كانوا يعيشون في المدن الكبيرة.. وعلى سبيل المثال ذكرت الباحثة بان ثلاثين بالمائة من مسلمي رواندا يقيمون في كيجالي بينما يقيم سبعون بالمائة من مسلمي بوروندي في بوجومبورا عاصمة البلاد^(٦٧).

العلماء في زنجبار وشرق افريقية:

من الاشياء الجديرة بالاشادة والتقدير في دولة البوسعيديين هذا الاحترام والتكريم الذي لقيه العلماء من سلاطين زنجبار.. وقد كان هذا سمة بارزة ارسى قواعدها السيد سعيد بن سلطان مؤسس الدولة الذي خص العلماء من كافة المذاهب برعايته واحترامه.. ان روح التسامح الديني والمذهبي قد كانت من الخصائص المميزة لهذه السياسة والتي انعكست بصورة ايجابية في الصلات الطبية والوثيقة التي سادت بين علماء المذهب الاباضي - وهو المذهب الرسمي للدولة - والمذهب الشافعي الذي تتبعه الاغلبية من السنين في شرق افريقيا^(٦٨).. قد برزت هذه الروح في اوساط العلماء والفقهاء والقضاة من الجانبين في ظهورهم على قدم المساواة في مجالس السلاطين وفي تعيينهم لمناصب الدولة وتخاذهم مستشارين للسيد سعيد وابنائهم من بعده^(٦٩).

فالعلماء والفقهاء هم القوة المحركة في زنجبار في مجالات حيوية متعددة.. فقد كان في مقدمة واجباتهم تطبيق حكم الشرع في زنجبار وملحقاتها كما اوكلت اليهم مهام التربية والتعليم والارشاد وبالتالي الاشراف على النظام التعليمي واشاعة القيم الاسلامية في مجتمع زنجبار وشرق افريقيا^(٧٠).. ومن ثم فقد افردوا حيزا كبيرا من وقتهم في الاطلاع الواسع والتبحر في دراسة العلوم الشرعية الاسلامية كما اسهموا بالتأليف ووضع المصنفات والشروح في شتى فروع العلوم الاسلامية.. ومن هذا المنطلق ولتحقيق الهدف المنشود فقد قاموا بالرحلات العلمية للاحتكاك والافادة من مصادر المعرفة الاصلية في المعاهد العلمية الكبيرة ومراكز الدراسات الاسلامية في الاراضي المقدسة وعمان وحضرموت.. وبمرور الايام قد كونوا لانفسهم مركزا مرموقا ومستقلا لا يقل عن المراكز الاسلامية التقليدية الاخرى في العالم الاسلامي^(٧١).

وقد أسهم هؤلاء العلماء في نشر الوعي والثقافة الاسلامية تدريسا وتأليفا ونشاطا اجتماعيا وتعلمذ على ايديهم اعداد غفيرة من سكان زنجبار والمناطق

الداخلية في شرق افريقيا.. وسنقدم في هذه الدراسة باقة مختارة من هؤلاء العلماء، برزوا في القرن الماضي واستمر نشاط بعضهم وتواصل عطاؤهم، ومن تتلمذ عليهم حتى منتصف هذا القرن.. وقد خلفوا الكثير من المؤلفات المخطوطة والقليل المنشور باللغتين العربية والسواحلية في شتى الموضوعات المتعلقة بالتراث الاسلامي في شرق افريقية والذي لا يزال مهماً وينتظر الاهتمام بجمعه اولاً ثم العناية بتحقيقه ودراسته.

ومن العلماء الذين ترددت أسماؤهم في المصادر والمراجع الاوروبية والقليل النادر الذي وصلنا بالعربية تلمع بعض الاسماء من امثال الشيخ محي الدين بن شيخ القحطاني (١٧٩٠ - ١٨٦٩)^(٧٢) والشيخ علي بن خميس بن سالم البرواني (١٨٥٢ - ١٨٨٦م) والذي تتلمذ على ايدي صقوة علماء الاباضية في زنجبار في عهد السيد برغش بن سعيد من امثال الشيخ يحيى بن خلفان الخروصي والشيخ محمد بن سليمان المذنري والشيخ خميس بن سالم الخصيبي^(٧٣)، ومن مشاهير العلماء ايضا السيد منصوب بن علي (١٨٦٣ - ١٩٢٧م) والشيخ علي بن عبدالله بن نافع المزروعى (١٨٢٥ - ١٨٩٤م)^(٧٤) والشيخ عبدالعزيز الاموي (١٨٣٢ - ١٨٩٦م)^(٧٥) والشيخ عبدالله بن محمد باكثير الكندي (١٨٦٤ - ١٩٢٥م)^(٧٦) والشيخ احمد بن سميح (١٨٦١ - ١٩٢٥م) والشيخ الامين بن علي بن نافع المزروعى (١٨٩١ - ١٩٤٧م)^(٧٧).

التربية والتعليم :

اما في مجال التعليم فقد كانت نواته الاولى وبداياته المبكرة تتمثل في المدرسة القرآنية (الكتاب) وحلقات الدرس في المساجد ودور العلماء والتي كانت تشكل في مجملها القاعدة الاساسية للتعليم الاسلامي التقليدي في زنجبار والمراكز الاسلامية الاخرى في شرق افريقيا مثل بمبيا ولامو وممباسا ومالندي وكوة^(٧٨).. فقد كانت هذه المؤسسات التربوية التي ارتكز عليها التعليم على امتداد المجتمع السواحلي في شرق افريقيا والتي ما زالت تؤثر تأثيرا واضحا على صياغة الانسان الافريقي المسلم وعلى تكوين الثقافة السواحلية.. فقد ارتبطت المراحل الاولى في التعليم في المجتمع السواحلي بالاسلام لذلك نجد ان التعليم قد اتبع نهجا اسلاميا واضحا في طريقته ومضمونه.. ويظهر ذلك بجلاء في المراكز التي اشرنا اليها والتي يؤمها الطلاب من الجنسين حيث يدرسون القرآن الكريم والتفسير والفقه ومبادئ اللغة العربية كما تهدف الدراسة الى غرس القيم الاسلامية وتعليم السلوك القويم^(٧٩).. ولعل اصدق ما يبرر لنا هذا الجهد التعليمي والمنهج الذي اختطه وسار عليه بعض العلماء في شرق افريقيا، ما قام به الشيخ الامين بن علي المزروعى والذي يعتبر نموذجا حيا لجهود ودور العلماء في مجال التربية والتعليم.. فقد جاء في مقدمة احدى المخطوطات النادرة التي تناولت تاريخ شرق افريقيا ما يلي الضوء على جهود هذا العالم العماني واسهامه الكبير في هذا المجال الحيوي.. ومما جاء في المقدمة:

«... فلأجل الدعوة الى الحق والى ترك الباطل، ولأجل الارشاد العام للخاصة والعامه، كان يدرس دائما في بلدة ممباسا وفي جميع البلدان التي زارها، وفتح مدرستين واحدة في ممباسا واخرى في قرية (غوي) من اعمال ممباسا، انفق عليهما من جيبه الخاص ومن تبرعات اهل الخير وقليل ما هم.. ولأجل هذا ألف نيفا وثلاثين كتابا طبع بعضها وبعضها الآخر لم يطبع.. بعضها باللغة العربية واكثرها باللغة

السواحلية التي تكتب بالحروف اللاتينية اذ هي الشائعة الاستعمال في شرق افريقية، والتي هي في ظلام دامس وحاجة قصوى الى من يخرجها من الظلمات الى النور، فدخل فيمن عناهم عز من قائل عليم:

﴿... ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين﴾

صدق الله العظيم.

ولو لم يكن له الا كتابه في الفقه المسمى (هداية الأطفال) المقرر تعليمه في جميع مساجد شرق افريقية ومدارسها لكفاء مآثرة كبيرة في الدنيا وذخرا جليلا في الآخرة.. فضلا عن ان له تأليفه في التفسير وفي احاديث الرسول ﷺ وفي جميع مهمات ابواب الفقه..^(٨٠)

وهكذا نلاحظ انه في ظل سلطنة زنجبار الاسلامية قد لعب العمانيون وغيرهم من عرب حضرموت دورا رائدا في نشر التعليم في الساحل الشرقي الافريقي واصبحت زنجبار في القرن التاسع عشر ملتقى للعلم وطلابه ومركز اشعاع للمناطق الساحلية والبر الافريقي.. فلذلك جذبت اعدادا كبيرة من العلماء والطلاب والدارسين وفدوا من شتى انحاء شرق افريقيا ومن مناطق نائية وبعيدة مثل جاوة وجزر الهند الشرقية هذا فضلا عن عمان وحضرموت.. وتطورت المناهج وطرق التدريس لتشمل كافة التخصصات في العلوم القرآنية والتفسير والفقه والعلوم الشرعية قاطبة، هذا اضافة الى علوم اللسان العربي كالنحو والبيان والشعر، وقد كانت وسائل طرق التدريس اشبه بما كان يطبق في عمان وحضرموت والمدن المقدسة بالحجاز وكذلك الازهر الشريف الذي اصبح فيما بعد النموذج المثالي الذي يحتذى في الاوساط العلمية في زنجبار.. ومن اشهر المراكز العلمية التي اشتهرت ذلك المعهد الذي ارتبط بمسجد جوفاء في زنجبار (Maskiti Gofu) وقد قام بتأسيس هذه المدرسة احد افراد اسرة آل جمل الليل وهي من الاسر المعروفة بالعلم والفضل خاصة في مجال الدعوة الاسلامية في شرق افريقيا^(٨١)

ونتيجة لهذا الجهد التعليمي الذي ازدهر في العهد البوسعيدي قد تم تعليم الكثير من الافارقة وعلى ايدي تلاميذ هؤلاء العلماء الافذاذ من المسلمين والمستعربين تمت مواصلة مسيرة التعليم وبالرغم من ان الطابع الاسلامي قد هيمن على التعليم في المنطقة السواحلية وفي شرق افريقيا على وجه العموم الا ان عرب عمان قد كان لهم قصب السبق في نشط هذا النوع من التعليم واللغة العربية كانت هي وسيلته الرئيسية.. لذا نجد ان المؤشرات الثقافية العربية الاسلامية تنتشر في المنطقة عن طريق المعلم العربي وقد كان لهذا الاسهام العماني في هذا المجال في شرق افريقيا نتائج ايجابية.. فمن اهم النتائج الايجابية انه ازال الامية اولا وربط المجموعات الافريقية المختلفة ببعضها البعض ثانيا ثم مهد الطريق لارتباط هذه المجموعات بالعالم العربي والاسلامي ثالثا.. ومن نتائج ذلك ايضا ان المجموعات الافريقية المسلمة اصبحت تعبر عن رغبتها في الانتماء والارتباط بالعنصر العربي في صور مختلفة تنعكس في تراثها^(٨٢)

انشاء المطبعة السلطانية في زنجبار وظهور الصحافة:

ومن التطورات التي ساعدت كثيرا على النهضة العلمية في شرق افريقيا تأسيس المطبعة السلطانية في زنجبار في عهد السلطان برغش بن سعيد والذي حكم في الفترة

(١٨٧٠ - ١٨٨٨ م) وقد قامت هذه المطبعة بنشر العشرات من الكتب العمانية وبخاصة المؤلفات الدينية^(٨٦).. وقد حدثنا مصدر عماني محلي كان عميق الصلة بسلاطين زنجبار المتأخرين، عن دور هذه المطبعة في نشر التراث الديني والأدبي مشيدا بمآثر السلطان برغش في هذا المجال.

«... وقد أنشأ في زنجبار مطبعة عربية لطبع الكتب الدينية والأدبية وسائر العلوم وهي باقية إلى الآن ولو لم تطبع هذه المطبعة شيئا إلا كتاب هيمان الزاد وقاموس الشريعة وحاشية الترتيب ومختصر الخصال، وجامع البسيوي وإزالة الاعتراض ومنظومة مدارج الكمال، فكيف وقد طبعت عددا كثيرا من الكتب»^(٨٧).

هذا الانجاز الكبير في مجال الطباعة والنشر قد مهد السبيل لتطور جديد كانت له آثار بعيدة المدى في مجال التوعية ونشر الثقافة العربية الإسلامية.. فقد شهدت سلطنة زنجبار في العهد البوسعيدي ظهور الصحافة لأول مرة في تاريخها بل في تاريخ شرق إفريقيا بأسرها.. وهكذا فقد كان مولد الصحافة العمانية في زنجبار حيث أنشأوا صحفا منها (الفلق) و(النهضة) و(الإصلاح) وغيرها.. وقد كان من أبرز رؤساء التحرير لتلك الصحف الناشئة في المهجر رجال من أمثال الشيخ الأديب أحمد بن حمدون الحارثي والشيخ الخطيب هاشل بن راشد المسكري والشيخ عبدالله بن حمود الحارثي والشيخ الداعية الأمين بن علي المزروعى.. وقد كان يكتب في هذه الصحف الكثيرون من أدباء عمان وكتابها سواء ممن كانوا بزنجبار أو أولئك المقيمين في عمان^(٨٨).. وقد قامت هذه الصحف بدور ملحوظ في النهضة الأدبية وتوعية المسلمين في شرق إفريقيا بأمور دينهم ودنياهم وبالأخطار التي تتعرض لها المجتمعات الإسلامية في تلك الفترة، والمبادئ والقيم التي ينبغي التمسك بها للحفاظ على هويتهم العربية الإسلامية^(٨٩).

انتشار اللغة العربية والثقافة السواحلية:

انتشرت اللغة العربية بين قطاعات مختلفة من السكان في شرق إفريقيا وكانت لغة الصفوة المتعلمة والمستنيرة، كما كانت لغة التجارة والإدارة والحكم والأدب.. أما بالنسبة لعامة الناس من المسلمين الأفارقة فقد اكتفى معظمهم بالقدر اليسير من هذه اللغة الذي يمكنهم من ممارسة شعائر وتعاليم الإسلام وتلاوة القرآن الكريم.. ومن الملاحظ أن انتشار اللغة العربية قد سار جنبا إلى جنب مع انتشار الإسلام.. وقد اندهش الرحالة الأوروبيون عندما اكتشفوا أن موتيسا وكاباريجا وكثيرا من الرؤساء الأفارقة يجيدون الحديث باللغة العربية والسواحلية في آن واحد^(٩٠).. وفي ما عدا ذلك ظل التعامل اليومي بين عامة الناس خاصة في المناطق الداخلية في شرق إفريقيا يتم بواسطة اللغة السواحلية المفهومة بالكلمات العربية التي تعبر عن المفاهيم الإسلامية.. والواضح أن هذه (الامبراطورية) قد اتخذت اللغة السواحلية لغة لها إلى جانب اللغة العربية التي كانت بمثابة لغة البلاط والدواوين الحكومية.. فحكاهم المناطق العربية الإفريقية كانوا عربا من عمان، يدينون بالإسلام ويتحدثون بالعربية.. فمن البديهي أنهم صبغوا عاصمتهم زنجبار باللون العربي الإسلامي وأن تلك العاصمة ذات الطابع العربي الإسلامي صارت مركز إشعاع ثقافي وإداري وسياسي أثر في أركانها النائية.. وبالتالي سارت اللغتان العربية والسواحلية جنبا إلى جنب مع النفوذ العماني في جميع المناطق التي

وصل إليها نفوذ العمانيين في شرق إفريقيا^(٨٨)

فالثقافة السواحلية في صورتها المطلقة والتي ما نزال نجدها في الجزر والمناطق الساحلية وبعض الحواضر والمدن في اواسط افريقيا تنعكس في العقيدة الاسلامية واسماء الاشخاص والعادات والتقاليد والملبس والازياء والمعمار والآداب والفنون والامثال وقيل هذا وذاك في اللغة.. وهي لا تخرج عن كونها ثقافة افريقية عربية مسلمة^(٨٩) ومن ثم اصبحت كلمة سواحلي تطلق على كافة سكان الساحل الشرقي الذين تربطهم بالعالم العربي علاقات ثقافية وتجارية.. وجل هؤلاء السكان كانوا قد اعتنقوا الاسلام وانسجموا مع نمط العيش والتقاليد العربية والاسلامية.. ولكن في مرحلة النفوذ العماني في ظل دولة البوسعيديين والتي جاء في ركابها تنشيط وانتظام الحركة التجارية الى داخل القارة الافريقية، وكثرت وتعددت القوافل وقوامها التجار والجند وخبراء الدرب والحمالون والعديد من القبائل الافريقية ذات المصلحة في هذا النشاط الاقتصادي، كل هؤلاء ربطتهم لغة تخاطب مشتركة واحدة الا وهي اللغة السواحلية.. وبالتالي.. قد صاحب حركة القوافل التجارية انتشار هذه اللغة الى اواسط افريقيا^(٩٠).

وقد كان لهذا الدور والاسهام العماني في هذه الفترة نتائج ثقافية وفكرية وسياسية بعيدة المدى في التاريخ المعاصر.. فاللغة السواحلية تعتبر من اهم اللغات المستعملة في افريقيا اليوم حيث تحتل المكانة الثانية بعد اللغة العربية من حيث انتشارها وعدد الناطقين بها.. انها اللغة القومية في جمهورية تنزانيا الاتحادية واللغة الرسمية في جمهورية كينيا.. كما تستعمل على نطاق واسع في الجنوب الصومالي وأوغندا وفي المناطق الحضرية بروندي وبوروندي وكذلك في شرق الزائير وشمال الموزمبيق وجزر القمر.. ويقدر عدد الناطقين بها على اختلاف مستوياتهم بأكثر من اربعين مليون نسمة.. وتدرس اللغة السواحلية في الجامعات ومعاهد اللغات في افريقيا واوروبا وامريكا وآسيا كما اتخذتها منظمة اليونسكو لغة عمل في نشراتها.

الفصل الخامس

الملاحة والتجارة خلال القرن الأول من حكم دولة البوسعيد

يتميز تاريخ عمان خلال القرن الأول من حكم البوسعديين بالنجاح المنقطع النظير الذي حققه العمانيون في مجال الملاحة والتجارة. وإذا جاز وصف دولة أسلافهم اليعاربة بأنها «دولة حربية بحرية» فيمكن وصف دولة البوسعديين بأنها «دولة بحرية تجارية» إن لم تكن امبراطورية تجارية.

وهناك عدد من العوامل منها المحلية ومنها العالمية ساعدت العمانيين على القيام بدور متميز في مجال التجارة والملاحة، خلال القرن الأول من عمر الدولة البوسعيدية ومن تلك العوامل: المهارة والخبرة الملاحية والتجارية. وقد اكتشف العمانيون ذلك عبر حقبات التاريخ الطويلة، فهي حصيلة الاحداث التاريخية والموقع الجغرافي والتراث الخالد.

وعامل مهم آخر: هو الاستقرار الذي شهدته عمان بشكل عام وتمتعت به موانئها بشكل خاص، في الوقت الذي سادت الفوضى وعمّ الاضطراب اغلب موانئ المناطق الاخرى. فقد توفرت للموانئ العمانية وفي مقدمتها مسقط حكومة قوية وحازمة وسلطة عادلة، وفرت الحماية والامن والاطمئنان لجميع العاملين في التجارة.

وتجارة كبيرة وناجحة على هذا النحو لا بد وان تكون لها سفن تجارية كثيرة وسفن حربية قوية تحافظ على امن وسلامة السواحل والموانئ العمانية وتحمي الملاحة في عرض البحار، وقد توفر للعمانيين كل من هذه السفن وتلك.

وكل ما سبق ذكره يمثل عوامل ذاتية محلية ساهمت في نجاح التجارة العمانية، ويبقى عامل مهم آخر لا يقع في نطاق هذه العوامل، وانما له صلة بالتطورات التي حدثت في مجال التجارة الآسيوية والعالمية بشكل عام وفي مجال «تجارة المواني الآسيوية على وجه التحديد. وهذه التجارة التي كانت قائمة بين المواني الآسيوية الى الشرق والى الغرب من شبه القارة الهندية، كانت تجارة كبيرة وغنية، وقد كانت كذلك عبر عصور التاريخ المختلفة. والذي حدث ان جزءاً رئيسياً من تجارة المواني الآسيوية وقع بيد العمانيين خلال الفترة آنفة الذكر. وهذا الجزء من التجارة هو ذلك الذي كان قائماً بين شبه القارة الهندية من جهة، والخليج العربي والبحر الاحمر وشرق افريقيا من جهة اخرى. وقد حدثت السيطرة العمانية على هذه المنطقة من الناحية التجارية نتيجة لانسحاب الاوروبيين العاملين في التجارة خاصة الانجليز منهم من هذه المناطق، واتجاههم شرقاً نحو الصين بشكل رئيسي، وأحدث هذا التطور فراغاً في ميدان التجارة القائمة غرباً وسرعان ما ملأ التجار الآسيويون ذلك الفراغ، وكان التجار العمانيون في مقدمة أولئك التجار.

وقد يكون حجم التجارة التي كان يتولاهم التجار العمانيون وتحملها السفن العمانية يفوق حد التصور. واصبحت مسقط المركز الرئيسي لتجمع السلع وتوزيعها

في غرب المحيط الهندي، ومن أهم موانئ هذا المحيط أن لم تكن أهمها على الإطلاق، بل صارت من الموانئ العالمية الهامة. وكانت الثروة التي حصل عليها العُمانيون خلال تلك الحقبة من تاريخهم هائلة وجسيمة، وقد قيل أن حجم تجارة العُمانيين في السكر والبن، بخلاف السلع الكثيرة الأخرى التي كانوا يتاجرون بها، كغليل بأن يجعلهم أغنياء ومرفهين، قالين المستورد من ميناءي الحديد والمخا وهو يقرب من نصف الكمية المنتجة سنوياً في اليمن كلها، يكفي لسد الحاجة لهذه المادة في إيران وبلاد العرب والعراق وإرمينيا وناضول، كما يكفي لسد جزء من الطلب في سوريا والقسم الأوروبي من الدولة العثمانية وألمانيا وبولندة وروسيا وشمال أوروبا. أما المستورد من السكر من باتافيا فهو يكفي لسد الحاجة الملحة لهذه المادة في إيران والعراق وإرمينيا وجزيرة العرب والناضول.

وتجارة بهذه السعة والأهمية وثروة بهذا الشكل تطلبتا من البوسعيديين سياسات معينة تحفظ للعُمانيين منزلتهم التجارية المتميزة. وتصون لهم مكاسبهم الاقتصادية الثمينة، وتتخلص تلك السياسات في أمور عدة منها:

١ - حرصهم على الاحتفاظ بتفوقهم البصري وجهدهم في الوقوف في وجه التهديدات الخارجية والتزامهم بحماية سواحل عمان وموانئها، بل صيانة الملاحة وتوفير الأمن الملاحي في المنطقة كلها.

٢ - محاولتهم بسط نفوذهم على أماكن ذات أهمية استراتيجية وتجارية خاصة في الخليج العربي وشرق أفريقيا. وقد رأوا في تلك الأماكن ضرورة لتعزيز مكانة دولتهم التجارية وتوسيعها.

٣ - تبنيهم سياسات تجارية خاصة أُرادوا من ورائها تنسيق الفعاليات التجارية القائمة بين سواحل الهند والخليج العربي والبحر الأحمر وشرق أفريقيا، وتنظيم تلك الفعاليات بالشكل الذي يضمن للعُمانيين سيادتهم وتفوقهم التجاري والملاحي. ومن خلال هذا الفصل يمكننا أن نرى كيف وإلى أي مدى طبق البوسعيديون هذه السياسات، ولا يتم ذلك ولا يمكن توضيحه إلا من خلال الحديث عن التطورات التي حدثت في مجالي التجارة الملاحية في عمان وفي المحيط الهندي كله.

التطورات في مجالي التجارة والملاحة خلال العهود الأولى من حكم البوسعيديين:

كان أحمد بن سعيد آل بوسعيد حاكم صحار قد نجح وكما سبق القول في تحرير بلاده من الغزو الفارسي، وبويع له بالامامة في عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م، واستمر في الحكم حتى وفاته في عام ١١٩٧هـ / ١٧٨٣م، وقد تمتعت عمان خلال فترة حكمه وحكم خلفائه بالقوة والرفاء وبشيء من الأمن والاستقرار.

وقد يكون حكم البوسعيديين في عمان، في كثير من الوجوه، استمراراً لحكم أسلافهم اليعاربة (١٠٣٤ - ١١٥٣هـ / ١٦٢٤ - ١٧٤٠م)، ولكن هناك بعض الأمور المميزة لكل من الحكّمين، فدولة اليعاربة يمكن أن توصف باختصار بأنها «دولة بحرية حربية»، ومثل هذا الوصف ملائم جداً لتلك الدولة العُمانية^(١)

فقد كان أسطول اليعاربة أقوى أسطول محلي في منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر، بل وفي المحيط الهندي، ووصف ذلك الأسطول في عام ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م بأنه يضم خمس سفن كبيرة تستطيع أن تحمل ١٥٠٠ رجل^(٢)، وفي عام ١١٢٧هـ / ١٧١٥م

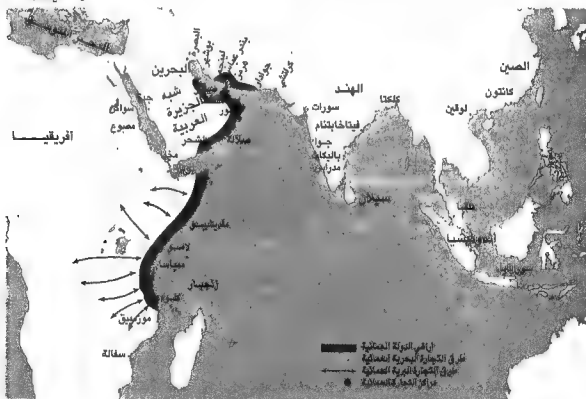
وبناء على وصف «هاملتون A. Hamilton»، فإنه كان يضم سفينة كبيرة تحمل أربعة وسبعين مدفعا، وسفینتين تحمل كل واحدة منهما ستين مدفعا، وسفينة تحمل خمسين مدفعا، وثمانى عشرة سفينة صغيرة يتراوح عدد ما تحمل كل واحدة منها ما بين أربعة وثمانية مدافع^(٢). وبهذه القوة البحرية المتميزة حقق اليعاربة الكثير من النجاح في مجالي السياسة والحرب.

وكان الجهاد ضد البرتغاليين من السمات المميزة لعهد اليمانية، ولعل الصراع الذي خاضوه ضدهم في منطقة الخليج العربي خير مثال لمسيرة العمانيين ولطبيعة تاريخهم خلال ذلك العهد. فلم ينجح العمانيون نتيجة ذلك الصراع في تحرير عمان كلها من الهيمنة البرتغالية فحسب، بل أنهم نجحوا كذلك في مطاردة البرتغاليين في مناطق الخليج العربي الأخرى وطردوهم منها، ثم ملاحظتهم في معاقبتهم في الهند وشرق أفريقيا⁽⁴⁾.

والحقيقة فانه لم تكن هناك قوى محلية واحدة^(٢) في المحيط الهندي، وفي المياه المحيطة بذلك المحيط تضاهي قوة عمان البحرية في ظل حكم اليعاربة أو تقترب منها لدرجة ان السواحل الفارسية كانت تواجه تهديدا مستمرا من الاسطول العماني، كما ان اجزاء مهمة من السواحل العربية للخليج العربي ومن جزر ذلك الخليج خضعت لسيادة العمانيين. وليس هناك دليل على قوة العمانيين وبأسهم اوضح من خوف الانجليز والهولنديين من البحرية العمانية. لدرجة انهم طلبوا من وكلائهم في المنطقة ان يتجنبوا القيام بأى عمل يسئ الى العمانيين او يؤدي الى استفزازهم^(٣).

على ان تاريخ عمان شهد تغيرا هاما في ناحية واحدة على الاقل خلال حكم البوسعيديين الا وهو ازدياد اهمية دور العمانيين التجاري وتوسع نشاطهم الملاحي،

الدولة العمانية
وطرقها التجارية في
القرنين الثامن عشر
والتاسع عشر



خاصة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وفي العقود الاولى من القرن التالي. وقبل الاغاضة في الحديث عن الفعاليات التجارية والملاحية العمانية في تلك الحقبة من الزمن التي هي قيد البحث، يفضل المقاء نظرة على الاوضاع العامة وعلى الامور المستجدة في المنطقة وتحديد وضع العمانيين بالنسبة لها. واثرت تلك الاوضاع والمستجدات في النشاط التجاري والملاحي العماني.

فقد حدثت تطورات هامة وكثيرة بالنسبة الى الاوروبيين وإلى القوى المحلية في شبه القارة الهندية وفي منطقة الخليج العربي. ففي الخليج اختفى الوجود البرتغالي والهولندي بشكل يكاد يكون تاما، ولم يحقق الفرنسيون نفوذا سياسيا وعسكريا وتجاريا ذا شأن، سواء في شبه القارة الهندية أو في الخليج العربي على الرغم من محاولاتهم المضنية. هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فقد استطاع البريطانيون ممثلين في شركة الهند الشرقية الانجليزية فرض هيمنتهم عند منتصف القرن الثامن عشر على اقليم البنغال في الهند، خاصة بعد انتصارهم في معركة «بلاسي Plassey» في عام ١٧٥٧ وأعقب تلك المعركة امتداد هيمنة هذه الشركة الى اقاليم الهند الاخرى. وهذا الوضع الجديد للشركة في الهند دفعها الى زيادة اهتمامها بمنطقة الخليج العربي بشكل لم يسبق له مثيل، وذلك نظرا للروابط التجارية الكبيرة والهامة التي تربط هذه المنطقة بشبه القارة الهندية بشكل عام وباقليم البنغال بشكل خاص.

وإذا ما وضعنا القوى الأوروبية جانبا ونظرنا الى وضع القوى المحلية في الخليج العربي، فانبأ نلاحظ ظهور بعض القبائل ذات النفوذ في المنطقة الى جانب القوة العمانية.

ففي الجزء الجنوبي من الخليج العربي ظهر القواسم الذين تنامت قوتهم^(٧) بعد ان استحوذوا على جزء من اسطول نادرشاه، وذلك بعد موت الاخير وإنهاء الحكومة المركزية في فارس، وسرعان ما استخدم القواسم ذلك الاسطول لخدمة اغراضهم الخاصة ولتحقيق طموحاتهم^(٨). وفي أعالي الخليج كان هناك شيوخ ميناء بوشهر الذين قدر لهم كذلك السيطرة على جزء آخر من اسطول نادرشاه. وإلى جوار اولئك الشيوخ كان هناك حكام ميناء بندر ربيق الصغير وجزيرة خرج القريبة منه. وأبعد الى الشمال كان هناك عرب العتوب الذين استطاعوا خلال العقود الاخيرة من القرن الثامن عشر ترسيخ اقدامهم في اجزاء مهمة من شمال الخليج، خاصة في الكويت والبحرين. وقد وجه العتوب جل طاقاتهم للتجارة والملاحة وحققوا نجاحا كبيرا في هذين المجالين^(٩).

وتبقى هناك في اقصى شمال الخليج قبيلة كعب الشديدة البأس الرابضة على ضفاف شط العرب والمنتشرة في حوض نهر الكارون^(١٠).

ولعل الاهم من كل ما سبق ذكره بالنسبة للعمانيين ظهور الدعوة الوهابية في نجد وتوسع انتصارها في كثير من الاتجاهات وتهديدهم عُمان، ثم تحالفهم مع القواسم ذلك التحالف الذي خلق وضعاً صعباً للغاية امام العمانيين فبينما قام الوهابيون بالضغط عليهم من البر، تولى حلفاؤهم القواسم تهديد السواحل والموانئ العمانية. وقد لا تكون الصورة متكاملة دون ذكر العثمانيين الذين كانوا يحكمون العراق المطل على الخليج وكذلك الفرس. ولعلنا من المفارقات القول بأن الدور الذي لعبه كل من اولئك وهؤلاء في شؤون الخليج كان محدودا الى حد كبير، وبشكل لا يتلاءم مع

مكانة الامبراطوريتين العثمانية والفارسية، وسبب ذلك القصور يرجع الى عوامل عديدة، في مقدمتها عجز تلك الامبراطوريتين العثمانية والفارسية، وسبب ذلك القصور يرجع الى عوامل عديدة في مقدمتها عجز تلك الامبراطوريتين في مجال القوة البحرية والملاحية^(١١).

وعلى اية حال، وعلى الرغم من تعقد الوضع الذي جثنا على ذكره، وعلى الرغم من كثرة القوى المتصارعة في المنطقة، لم يفقد العمانيون حيويتهم وابداعهم واصالتهم، فقد نجحوا في التعايش مع الاوضاع الجديدة واستطاعوا الحفاظ على كيانهم وحماية مصالحهم والصمود امام خصومهم الكثيرين، ليس هذا فحسب، بل ان العمانيين في عهد البوسعيد تمكنوا من توجيه طاقاتهم الى التجارة فحققوا انجازات هائلة قد تفوق حدود التصور في هذا المجال. وهذا هو لب الحديث وموضوعه. ومن البداية نستطيع القول بأنه اذا كانت دولة اليعاربة قد سبق وان وصفت بأنها «دولة بحرية حربية» فمن المناسب وصف دولة البوسعديين بأنها «دولة بحرية تجارية».

وقد تضافرت عوامل كثيرة ادت الى نجاح العمانيين والى تفوقهم في مجال التجارة والملاحية خلال القرن الاول من حكمهم، ولعل في مقدمة تلك العوامل ومن أهمها مهارة العمانيين وخبرتهم الملاحية والتجارية المتميزة، وقد اكتسب العمانيون هذه الخبرة وتلك المهارة خلال حقبات التاريخ الطويلة، فهما حصيلة الاحداث التاريخية والموقع الجغرافي والتراث الخالد^(١٢). والعامل الآخر المهم هو الاستقرار النسبي الذي شهدته عمان بشكل عام والمواني العمانية بشكل خاص من ناحية واضطراب الاحوال وتدهور التجارة في أغلب مواني الخليج الاخرى من ناحية ثانية، فقد كان ميناء بندر عباس عند مدخل الخليج العربي هو الميناء الرئيسي في المنطقة وكان محور النشاط السياسي والتجاري والملاحي لمدة تزيد على قرن ونصف. ولكن هذا الميناء اخذ يفقد الشيء الكثير من أهميته عند منتصف القرن الثامن عشر. ويرجع ذلك الى حالة الفوضى التي سادت فارس بعد اغتيال نادرشاه في عام ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م^(١٣)، اذ لم يعد للسلطة المركزية - ان وجدت مثل تلك السلطة - تأثير في مجريات الاحداث في هذا الميناء، وكما ان الحكام المحليين الصغار تنافسوا على الهيمنة عليه، والاكثر أهمية من ذلك ان الجزء الاكبر من اسطول نادرشاه والذي كانت بندر عباس إحدى قواعده الرئيسية كان قد وقع وكما سبق القول في يد القبائل العربية المحيطة بالميناء، واستعرت الحرب بين تلك القبائل. وقد حدث هذه الحرب من ناحية وتعسف الحكام الفرس وجشعهم من ناحية اخرى من النشاط التجاري والملاحي في بندرعباس، وتركزت شركة الهند الشرقية الهولندية هذا الميناء في عام ١١٦٥هـ / ١٧٥٢م، وفعلت الشركة الانجليزية الشيء نفسه في عام ١١٧٧هـ / ١٧٦٣م وتفرقت بقية التجار واتجهوا الى مواني اخرى، وكان لمسقط قسط وافر منهم، كما نقلت شركة الهند الشرقية الانجليزية مقرها الرئيسي في منطقة الخليج العربي من بندر عباس الى البصرة، وتهافت التجار على هذا الميناء حتى صار لسنوات عديدة محور النشاط التجاري والاقتصادي في المنطقة. وفي هذا الوقت بالذات اخذت الاوضاع في الاستقرار على بعض اجزاء السواحل الفارسية، واستطاع كريم خان زند مد نفوذه اليها، وكان وضع ميناء بوشهر في أعالي الخليج يبشر بازدهار تجاري.

وخلال انتقال الوكالة الانجليزية من بندر عباس الى البصرة في ابريل ١١٧٧هـ /

١٧٦٣م، توقف وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية «و.اي.برايس» في بوشهر، وعقد اتفاقاً مع شيخها الشيخ سعدون سمح للشركة بموجبه بفتح مقر لها في الميناء. وقد أقر كريم خان ذلك الاتفاق وصادق عليه وفتح المقر^(١٤)، ولكن سرعان ما تدهورت الأوضاع بسبب الحرب التي كانت دائرة بين الفرس والمير مهنا في الاماكن المحيطة ببوشهر، وتورط الانجليز والهولنديون فيها في نهاية الامر، مما عرقل الحركة التجارية في هذا الميناء الى حد كبير، والاهم من هذا ان الفرس والانجليز الذين تحالفوا ضد المير مهنا سرعان ما نشب خلاف بينهم ادى الى قيام كريم خان بالابحار الى حلفائه العرب بالتعرض للملاحة في الخليج، وانتهى الامر بانسحاب الانجليز في عام ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م من ميناء بوشهر، واكتفوا بالحفاظ على مقرهم الرئيسي في البصرة^(١٥).

ولكن الأوضاع في البصرة كانت هي الاخرى آخذة في التردى بل حلت بها الكوارث والمصائب، فازدياد قوة المير مهنا حاكم جزيرة خرج وميناء بندر رقيق، والحرب المستمرة بينه وبين الهولنديين والانجليز والفرس، عرقل الحركة التجارية في الاجزاء الشمالية من الخليج العربي، الامر الذي كانت له آثاره السيئة على التجارة. والاهم من ذلك ما حدث من صراع بين قبيلة كعب القوية والعثمانيين وقيام هذه القبيلة بالتعرض للملاحة في شط العرب، بل ومحاصرتها البصرة في كثير من الاحيان، ثم الحرب الطاحنة التي نشبت في عام ١١٨١هـ / ١٧٦٧م بين كعب من ناحية والانجليز والعثمانيين من ناحية اخرى، تلك الحرب التي كادت ان تضع حدا لاي نشاط تجاري لعدد من السنين^(١٦).

وتوالى الكوارث على البصرة فحل بها الطاعون عام ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م، وما كادت المدينة تصحو من الآثار المدمرة لذلك الوباء حتى داهمتها بلية اخرى متمثلة في حصار الفرس واحتلالهم لها في عام ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م، ذلك الاحتلال الذي كانت له نتائج المفجعة بحيث توقف كل نشاط تجاري تقريبا خلال الحصار والاحتلال. فقد قطعت البصرة عن بقية انحاء العراق، كما توقفت القوافل التي كانت تخرج منها متجهة الى حلب والى غيرها من الاماكن. وعندما انتهى الاحتلال الفارسي للبصرة كان الامر يتطلب سنوات طويلة كي تستعيد هذه المدينة انفاسها وتشفى من جراحها وتستعيد مكانتها التجارية ونتيجة لكل ما سبق من احداث انتقل النشاط التجاري من البصرة الى مواني اخرى في المنطقة، منها الكويت والبحرين وبوشهر، والاهم من كل هذه المواني ميناء مسقط.

وخلال العقدين او الثلاثة الاخيرة من القرن الثامن عشر كان الميناء الاخير اكثر المواني ملائمة للتجارة. فالى جانب كل العوامل المشجعة للتجارة والتي سبق ذكرها كان في الميناء حكومة قوية قادرة على حفظ الامن والنظام، وسلطة عادلة اتسمت بالعدل والتسامح ووفرت الحماية والاطمئنان لجميع التجار دون تمييز. فلا عجب بعد هذا ان احتشد في مسقط التجار والصرافون واصحاب السفن وربابنتها والمضاربون من كل الاجناس والاديان، فهناك العرب والفرس والهنود على اختلاف مللهم ونحلهم، وهناك الارمن واليهود والاوروبيون من مختلف القوميات^(١٧) والامثلة كثيرة ومتواترة على تسامح السلطات العمانية وعلى عدالتها وعلى جو الامان الذي كان يسود المواني العمانية وعلى سبيل المثال يقول «ابراهيم برسنتر» الذي زار

مسقط في عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م أن التجار كانوا يتركون سلهم في الطرقات خلال الليل مطمئنين تماما إلى توفر الأمن وإلى يقظة رجاله^(١٨). ويصف التقرير الذي رفعه كل من «صموئيل مانستي S.Manesty» و «هـ جونز H.Jones» إلى شركة الهند الشرقية الانجليزية والحكومة البريطانية، السلطات العربية في منطقة الخليج العربي عامة وفي مسقط بشكل خاص فيقول:

«من المعروف بشكل عام أن الحكومات العربية تتمتع بقسط وافر من الاحترام وهذا ينطبق بشكل خاص على حكومة مسقط، فهي من ناحية شديدة جدا في تطبيق العدالة، ولكن عدالتها تخفف من وطأة تلك الشدة. ويقدم الامام حاكم البلاد في الرستاق بعيدا عن مسقط، وله مندوب عنه في هذا الميناء، ويدعى المندوب الحالي الشيخ خلفان، ويتولى هذا الشيخ رعاية التجار المقيمين في مسقط والغريباء المترددين عليها بشكل يستحق عليه الشكر والثناء، وهو إلى جانب ذلك يمكن الاتصال به ويسهل الوصول اليه. ويبيدي الشيخ خلفان اهتماما خاصا وديا بكل مطالب التجار ومطالبهم، ويحرص كل الحرص على تطبيق العدالة ولذا يعتقد الجميع أن ممتلكاتهم آمنة غاية الأمان فحياتهم بعيدة كل البعد عن أي خطر وهم مصانون من أي نوع من الاهانة والتمييز»^(١٩).

وهناك امر مهم آخر كان يتوقف عليه إلى حد كبير نجاح التجارة أو فشلها.. في ازدهارها أو ركودها في أي ميناء، ألا وهو الضرائب. وقد اتسمت سياسة حكومة عمان في هذه الناحية بمميزات هامة هي: الاعتدال والمساواة والثبات. فقد قيل أن سلطات مسقط كانت تتقاضى ٦,٥٪ على جميع السلع دون تمييز بين تاجر وآخر وفئة وأخرى^(٢٠). ومكن هذا التجار من ممارسة نشاطهم التجاري وهم على علم ومعرفة من امرهم دون خوف من ظلم أو تعسف أو زيادة أو نقصان ولعل الأمر يصبح أكثر وضوحا إذا ما قورن هذا الحال بالمواني التي كانت خاضعة للسلطات الفارسية والعثمانية، ففي الأولى لم يشك التجار من فداحة الضرائب فحسب، بل كانوا يتظلمون من التعسف في جبايتها وكذلك من الجور والابتزاز، وكانت الضرائب عرضة للزيادة والنقصان تبعا لأمزجة المسؤولين وجشعهم.

ولم يكن الأمر بأحسن حال في ميناء البصرة الذي كان خاضعا للعثمانيين، فقد كانت الضرائب توصف هناك بأنها فادحة^(٢١) والضرائب العالية دفعت كثيرا من التجار في أواخر القرن الثامن عشر إلى نقل سلهم التي يراد حملها عن طريق القوافل إلى حلب عن طريق الصحراء وتغريغها من السفن في الكويت لتعمل من هناك إلى حلب متجاوزة بذلك البصرة.

ولجا تجار آخرون إلى ايصال سلهم بطريقة أو بأخرى إلى شط العرب، وحملها إلى هناك تحت جنح الظلام أولا إلى البصرة ومنها سرا إلى الزبير لتنتقل من هناك إلى حلب. وقد أدى هذا النوع من السلوك الذي اتبعه بعض التجار إلى زيادة اربابهم، ولكنه في الوقت نفسه ألحق الضرر بالتجار الشرفاء الذين كانوا يعرضون عن اتباع هذه الأساليب غير المشروعة^(٢٢).

وأضافة إلى ما سبق، فلم تكن هناك مساواة في الضرائب التي تفرضها السلطات العثمانية. فبينما كانت تلك الضرائب لا تقل بأي حال من الأحوال عن ٧,٥٪ بل تزيد عن ذلك كثيرا على التجار المحليين وعلى جميع التجار الآسيويين الآخرين، فإنها لم

تكن تتجاوز [٣٪] على أغلب التجار الاوروبيين^(٢٣)، وذلك تمشيا مع الامتيازات القديمة التي منحها السلطان العثماني لاولئك الاوروبيين. وهذا التباين في الضرائب جعل التجار الاوروبيين في وضع افضل في مجال المنافسة، وألحق الضرر بالتجار الآخرين.

وعلى الرغم من حالة الركود الاقتصادي التي سادت منطقة الخليج والمناطق المجاورة لها في اواخر القرن الثامن عشر، فإن التجارة بقيت هنا كبيرة وغنية كما كانت دائما، لأن هذه التجارة لم تكن تعتمد على الطلب المحلي المحدود، بل كانت تمون بلدانا شاسعة، عن طريق الخليج العربي وطريق البحر الاحمر، وهما من طرق التجارة العالمية التقليدية منذ اقدم العصور، فالسلع الآسيوية القادمة الى سواحل هذين الممرين المائيين كانت تنقل بواسطة القوافل الى العراق والجزيرة العربية وفارس وآسيا الصغرى وبلاد الشام، لتحمل من هناك الى أماكن أخرى بعيدة، وليرسل جزء منها الى سواحل البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود لتجد سبيلها الى اوروبا. وكذلك كانت موانئ الخليج العربي والبحر الاحمر مراكز لتجميع السلع من كل البلدان السالفة الذكر لتشحن منها الى شرق افريقيا وسواحل شبه القارة الهندية وما يليها شرقا. وتجارة هذا شأنها لا يمكن الا ان تكون كبيرة مهما كانت المتاعب وحالات الركود التي كانت تتعرض لها خلال حقبات معينة من تاريخها، وهي دائما وأبدا مصدر للثروة والرفاه للقائمين بها. وهذه كانت الحال عندما قدر للجزء الاكبر من هذه التجارة أن يقع بيد العمانيين، وأن تصبح مسقط المركز الرئيسي لهذه التجارة، فتقدو بذلك اهم ميناء في منطقة المحيط الهندي بل من أهم الموانئ في العالم.

وتعدنا وثائق شركة الهند الشرقية الانجليزية وتقارير الرحالة الاوروبيين بمعلومات قيمة عن سفن عمان التجارية وعن أسطولها الحربي، ففي إحدى الرسائل التي بعثت بها شركة الهند الشرقية الى الحكومة البريطانية والتي سجلت فيها اوضاع الخليج العربي في اواخر الستينات من القرن الثامن عشر، نوهت بعمان واهمية مسقط التي يمتلك امامها ست بوارج كبيرة تحمل كل بارجة منها ما بين ١٤ - ٢٠ مدفعا، كما يمتلك امام مسقط عددا كبيرا من السفن الصغيرة ذات التسليح الجيد^(٢٤).

ووصف أسطول عمان التجاري في عام ١٧٦٥م بأنه يضم خمسين سفينة ما بين كبيرة وصغيرة وباستطاعته القيام برحلات سنوية الى مختلف موانئ الشرق من البصرة شرقا وحتى ملقا غربا^(٢٥).

ومن بين الرحلات التي أعطت الاسـ سول التجاري العماني شهرة كبيرة رحلة (أسطول البن) حيث يأتي الأسطول بالبن من اليمن ويتجه به الى البصرة، حيث يتم توزيعه من هناك الى مختلف أنحاء الشرق الأدنى، ويصف كرسطين نيبور - الذي زار المنطقة في عام ١٧٦٥م - العمانيين قائلا: «العمانيون هم امهر العرب في الملاحة يرسلون سنويا خمسين سفينة من صنف الترانكي^(٢٦) الى البصرة وهي محملة بالبن»^(٢٧).

ومع نهاية القرن الثامن عشر حدث تطور هائل سواء في عدد السفن التجارية العمانية او في قوة أسطول عمان الحربي، والحقيقة ان الطفرة الهائلة التي طرأت على

صناعة السفن الأوروبية ابتداء من القرن السادس عشر قد افادت بشكل ملحوظ صناعة السفن الآسيوية عموماً، إلا أنه مع نهاية القرن الثامن عشر كانت عمان قد قطعت شوطاً كبيراً في الاستفادة من التطور الذي شهدته دول أوروبا عموماً والتأثيرات البرتغالية خصوصاً وكانت واضحة على هياكل السفن التي تميزت مؤخرتها بالشكل المربع واستخدام المسامير بدلا من الخيوط مما أكسب السفن قدراً كبيراً من المتانة.

ويرى وهـ. مورلاند أنه منذ عام ١٥٠٧م بدأ عرب عمان يبنون سفنهم على غرار السفن البرتغالية وقد لاحظ البوكيرك نفسه هذه الظاهرة في صناعة السفن الهندية^(٢٧).

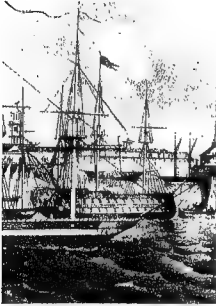
ويلاحظ أن كثيراً من الرحالة الأوروبيين قد لفت نظرهم التطور الذي طرأ على السفن العمانية لدرجة أنها قد أصبحت تشبه كثيراً السفن الأوروبية وأصبحت معظمها تبني في الموانئ العمانية مثل مسقط وصحار وصور وازداد حجم استيراد الأخشاب من الهند إضافة إلى شراء السفن الأوروبية من التجار وأصحاب السفن والأوروبيين، إضافة إلى إقدام العمانيين على بناء بعض سفنهم في الموانئ الهندية ذات السمعة المتميزة مثل مينائي بومباي وسورات.

وقد شاهد أحد الرحالة في صيف عام ١٧٧٥م الأسطول العماني وهو يتأهب للسفر نحو البصرة لرفع الحصار الفارسي عنها وقد أحصى عدد السفن وأنواعها قائلاً: «لقد شاهدت في ميناء مسقط ما لا يقل عن أربع وثلاثين سفينة، أربع منها كانت قد بنيت في بومباي، تحمل كل واحدة منها ما بين ثمانية عشر وأربعة وعشرين مدفعاً، أما بقية قطع الأسطول فكانت تسمى كتش Ketches وكاليكوت Gallcots يتراوح ما تحمله كل سفينة ما بين ثمانية وأربعة عشر مدفعاً»^(٢٨).

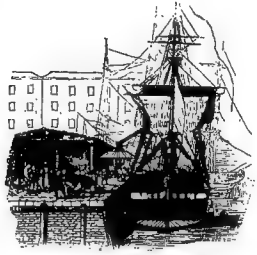
ولعل عهد السيد سلطان بن أحمد ١٧٩٢ - ١٨٠٤م خير شاهد على التطور الذي وصلت إليه السفن العمانية سواء من حيث نوعية السفن وبنائها أو من حيث عددها وقوتها والإمكانات التي وصل إليها الأسطول التجاري الذي كان يضم خمس عشرة سفينة كبيرة تتراوح حمولة الواحدة منها ما بين أربع مائة وسبع مائة طن إضافة إلى مئات السفن المختلفة الأحجام والأصناف^(٢٩)، وكانت السفن الكبيرة تذهب إلى سواحل الملبار وملقا وباتافيا والسفن الصغيرة والمتوسطة تذهب إلى شرق أفريقيا وبقية موانئ الخليج والبحر الأحمر.

أما أسطول السيد سلطان بن أحمد الحربي فكان على جانب كبير من القوة والكفاءة حيث كانت سفينة القيادة المسماة جنجانا ذات حمولة ألف طن وتحمل جنجانا اثنين وثلاثين مدفعاً كما كان الأسطول يضم ثلاث سفن أصغر قليلاً من جنجانا تحمل الواحدة عشرين مدفعاً وكل هذه السفن بنيت على الطريقة الأوروبية^(٣٠)، إضافة إلى مئات السفن الصغيرة وجميعها مسلحة تسليحاً جيداً.

وتعتبر فترة السيد سعيد بن سلطان ١٨٠٤ - ١٨٥٦م من أزهى الفترات وأعظمها حيث بلغت قوة عمان البحرية والتجارية بما يتناسب والامتداد الهائل الذي وصلت إليه الدولة بامتدادها الآسيوي والأفريقي^(٣١).



السفينة الحربية (ليفربول) المسلحة بأربعة وسبعين مدفعا وقد أعدها السيد سعيد إلى الملك وليام الرابع



السفينة مسطانة في لندن - رسم ظهر في مجلة Illustrated London News في ١٨ يونيو ١٨٤٢

والحقيقة أن النصف الأول من القرن التاسع عشر يعتبر من أغنى الفترات التاريخية، حيث شهدت البحرية العُمانية تطورا هائلا وقد عني السيد سعيد بن سلطان ببناء السفن في الموانئ العمانية مثل مطرح ومسقط وصور. وكذلك امر السيد سعيد بن سلطان ببناء العديد من السفن التجارية والحربية في احواض السفن في الهند وخصوصا في بومباي ومن ابرز هذه السفن في تاريخ الاسطول العماني الحربي (تاج بكسر) و(كارولين) و(شاه علم) و(ليفربول) و(سلطنة) و(تاجه) وقد اهدى البارجة لليفربول الى الملك البريطاني وليام الرابع عام ١٨٢٤ وقد اطلق عليها الاخير اسم (الامام) تكريما لمهديها السيد سعيد بن سلطان، اما السفينة الحربية سلطنة فقد كانت من اهم قطع الاسطول العماني وقد ارسلت الى ميناء نيويورك في الولايات المتحدة تحمل هدايا للرئيس الأمريكي. لقد اصبح الاسطول العماني خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر على درجة كبيرة من القوة حيث جاء ترتيبه ثاني اكبر اسطول، يأتي في المرتبة الثانية بعد الاسطول البريطاني.

ومن أجل اعطاء صورة عن قوة الاسطول العماني فقد ذكر التجار الأمريكيون الذين زاروا زنجبار في بداية الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ان السيد سعيد وصل البلاد على رأس قوة تتألف من سفينة مزودة بأربعة وستين مدفعا وثلاث فرقاطات مزودة كل منها بستة وثلاثين مدفعا وسفینتين مزودتين كل منهما بأربعة عشر مدفعا وحوالي مائة مركب نقل عليها ستة آلاف مقاتل، ورغم بعد الممتلكات العمانية في افريقيا عن عمان بأكثر من خمسة آلاف ميل الا ان الاسطول العماني كان من القوة بحيث يحرس هذه الممتلكات الشاسعة الممتدة ما بين بندر عباس وزنجبار كما يحرس عشرات الموانئ الواقعة على السواحل العربية والافريقية وعشرات الجزر المتناثرة في الخليج العربي والمحيط الهندي.

ومن حسن الحظ فقد توافرت معلومات وتقديرات كثيرة ومفصلة وعلى جانب من

الصحة، وهي تعطي فكرة جيدة عن طبيعة التجارة وحجمها في مياه المحيط الهندي بشكل عام وعن تجارة الخليج العربي والبحر الأحمر بشكل خاص، وقد جاءت تلك المعلومات والتقديرات في عدد من التقارير الرسمية^(٢٢)، وفي كتب بعض الرحالة والمهتمين بشؤون التجارة، ومن هذه التقارير تقرير وضعه «مالكولم H.Malcolm» لشركة الهند الشرقية الانجليزية والذي قدر فيه حجم تجارة الخليج بـ ١٦٠٠٠٠٠٠ روبية، وكانت قيمة التجارة بين الهند والخليج تكون الجزء الأكبر من هذا المبلغ^(٢٣). قبل صموئيل مانستي وهارفرد جونز وله أهمية خاصة، وذلك للمعلومات المفصلة عن التجارة بين الهند والخليج، ولما ورد فيه من حديث عن أهمية مسقط وعن الدور الهام للعُمانيين في مجال التجارة والملاحة، فهو يقول ان عمان ذات الطبيعة المجدبة والارض الفقيرة، حولتها التجارة الى بلاد غنية ومرفهة، فالثروة التي حصل عليها العُمانيون هائلة وجسيمة لا سيما بالنسبة الى استيرادها البين من ميناءي الحديدية والمخا والسكر من باتافيا، واستيراد هاتين المادتين وحده يكفي لجعل العُمانيين اغنياء جدا. فالبن المستورد يقرب من نصف الكمية المنتجة سنويا في اليمن كلها وهي تكفي لتلبية الطلب في فارس وبلاد العرب وبلاد ما بين النهرين وكردستان وارمينيا والاناضول، كما تكفي لسد شيء من الطلب عليها في سوريا والقسم الاوروبي من الدولة العثمانية والمانيا وبولندا وروسيا وشمال أوروبا^(٢٤)، أما المستورد من السكر فهو بكميات كبيرة جدا ايضا وفي بالحاجة الملحة لهذه المادة في فارس وكردستان وارمينيا والجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين والاناضول^(٢٥). ويستطرد هذا التقرير فيذكر ان الاتصال بين مسقط ومواني الخليج العربي والبحر الأحمر كان يتم بواسطة السفن العمانية، أما الاتصال بالهند فيتم بالسفن العمانية، اضافة الى السفن التي يمتلكها التجار الآسيويون الآخرون والاروبيون ويذكر التقرير ايضا ان العُمانيين كانوا يقودون السفن العمانية، وأنهم ملاحون نشطون يطوفون البحار ويصلون الى ساحل الكروماندل الى ساحل الملبار^(٢٦)، وإلى ميناءي بومباي وسورات، وأنهم وصلوا حتى كلكتا في السنوات الأخيرة، وكانوا يحملون الى الاماكن السابقة مقادير كبيرة من اللؤلؤ والملح الصخري والكبريت والنحاس والزنبرنج والعفص والزعفران والبخور والفواكه المجففة وأنواع مختلفة من الاعشاب الطبية وسلع أخرى كثيرة.. كما كانوا يأخذون معهم لتغطية مشترياتهم كميات كبيرة من النقود الفضية والذهبية وفي العودة الى مسقط كانوا يجلبون معهم من تلك الاماكن كميات كبيرة لا يستهان بها من الانسجة القطنية والقطن الخام والصوف وخشب الصندل والفلفل والزنجبيل والهيل وجوز الطيب والقرفة والمسك والكافور والذئله والكرم والحديد والصلب والرخاص والصفيق والزيت والسمن والارز وسلع كثيرة أخرى. وأما السفن الأوروبية فكانت ترد الى مسقط كل عام وتحمل منها الى الهند وإلى باتافيا مبالغ كبيرة من النقود الفضية والذهبية واللؤلؤ وكميات من الكبريت والملح الصخري والنحاس والزنبرنج، وتحمل السفن العمانية المتجهة سنويا الى ميناءي الحديدية والمخا مقادير كبيرة من تمر البصرة واللؤلؤ وأنواع الانسجة الهندية^(٢٧).

وينتهي التقرير حديثه عن مسقط بهذا التوقع والتعقيب:
«فيبدو بوضوح، وذلك من المعلومات الآتفة الذكر ومن الاوضاع العامة في عمان،

ان تجارة مسقط هي تجارة مهمة جدا وواسعة، ومن الممكن - وذلك بالنظر الى المكاسب التي يحققها هذا الميناء - ان نستنتج ان تجارة مسقط هذه لا بد وان تبقى مزدهرة الى الابد... وحتى خلال الفترة الحالية التي تتسم بكساد التجارة وشحة النقود في كل من الدولتين العثمانية والفارسية ينشط تجار مسقط في مجال العمل التجاري في الموانئ المختلفة، وتزداد مبيعاتهم ومشترياتهم ويزدادون ثراء واندفاعا لاقتحام مياه جديدة وامكن بعيدة^(٢٨).

وتجارة بهذه السعة والاهمية وثروة بهذا الشكل كانت جديرة بأن تتطلب من البوسعديين سياسات معينة تحفظ للعمانيين منزلتهم التجارية المتميزة، وتصور لهم مكاسبهم الاقتصادية الثمينة، وتتلخص تلك السياسات في هذه الامور:

١- حرصهم على الاحتفاظ بتفوقهم البحري، وجهدهم في الوقوف في وجه التهديدات الخارجية، والتزامهم بحماية سواحل عمان وموانئها، بل وصيانة الملاحة وتوفير الامن الملاحي في المنطقة كلها.

٢- محاولتهم بسط نفوذهم على امكن ذات اهمية استراتيجية وتجارية خاصة في الخليج العربي وشرق افريقيا. وقد راوا في تملكهم لهذه الامكن ضرورة لتعزيز مكانة دولتهم التجارية وتوسيعها.

٣- تبنيهم سياسات تجارية خاصة ارادوا من ورائها تنسيق الفعاليات التجارية القائمة بين سواحل الهند والخليج العربي والبحر الاحمر وشرق افريقيا، وتنظيم تلك الفعاليات بالشكل الذي يضمن للعمانيين سيادتهم وتفوقهم التجاري والملاحي. وقد نجحت هذه السياسات كما رأينا الى حد كبير، وتمثل هذا النجاح في ذلك الازدهار التجاري الذي شهدته عمان في تلك الفترة، وازداد هذا الازدهار تالفا في النصف الاول من القرن التاسع عشر للميلاد، اي في عهد السيد سعيد بن سلطان (١٢٧٣ - ١٢٧٤هـ / ١٨٠٤ - ١٨٥٦م).

ففي النصف الاول من القرن التاسع عشر وصل التطور التجاري اوجه في الدولة العمانية، ويرجع هذا التطور الى عوامل عديدة:

(١) - القيادة العمانية المتمثلة في شخص السيد سعيد بن سلطان الذي كانت فترة حكمه الطويلة قد اتسمت بالاستقرار والعلاقات الدبلوماسية الطيبة مع مختلف الدول، حيث كان لعمان علاقات دبلوماسية وقنصلية مع اكثر من عشرين دولة، من بينها بريطانيا والولايات المتحدة وهولندا وفرنسا والبرتغال واسبانيا والمانيا.

ورغم التوسع الكبير الذي وصلته البحرية العمانية في عهد السيد سعيد، الا ان الحروب التي خاضها كانت قليلة بالنسبة لفترة حكمه الطويلة وامتداد دولته الواسعة. وكان يستخدم الاسطول الكبير لحراسة طرق التجارة والمحافظة على البضائع المختلفة. وكان السيد سعيد على استعداد لدفع الاموال الى القبائل العربية في الربع الخالي التي كانت تهدد السواحل العمانية لا لضعف منه، بل لان ما كان يدفعه من اموال وان كان كبيرا احيانا، الا انه اقل بكثير من الارباح الهائلة الناجمة عن استقرار الاوضاع وتدفق التجارة وسلامة الطرق البحرية.

(٢) - الاسطول العماني المتطور والذي كان يصل الى ابعد نقطة في بحر الصين وخليج البنغال والمحيط الهندي وسواحل افريقيا والبحر الاحمر والسواحل الاوروبية والامريكية.

(٣) - نجاح دبلوماسية السيد سعيد بن سلطان التي استقادت كثيرا من الصراعات الاقليمية والدولية القائمة، ومن ثم فقد استطاع السيطرة على الوائي الشرقية للخليج العربي مثل بندر عباس ولنجة وقشم وهرمز، وعلى بعض سواحل كرمان مثل ميناء جوادر، كما استغل الصراعات المستمرة بين الدولة العثمانية ومحمد علي باشا الكبير، وكانت له علاقات حسنة مع الاخير الذي وافق على منح العمانيين امتيازات بحرية واسعة في البحر الاحمر، كما كان للسيد سعيد بن سلطان علاقات حسنة للغاية مع امراء الهند وسيلان وجزر المالديف ومدغشقر.

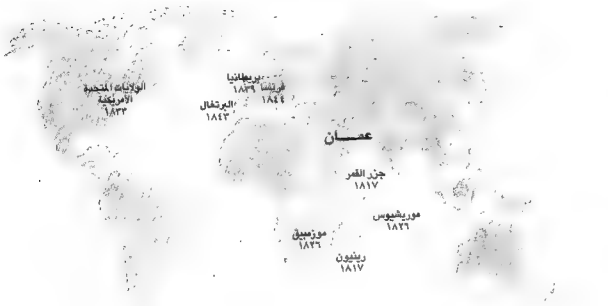
ولم يرفض السيد سعيد بن سلطان طيلة فترة حكمه اي عرض تقدمت به اي دولة اقليمية او دولية لعقد المعاهدات والاتفاقيات التجارية، فكان يفضل التجارة على اي شيء آخر، وعندما طلبت منه الدول الاوروبية وخصوصا بريطانيا تحريم تجارة العبيد في ممتلكاته والمساهمة معها في محاربة هذه التجارة في كافة ارجاء الخليج العربي والمحيط الهندي، فانه قبل هذا العرض وحرم تجارة العبيد التي كانت تدر على بعض التجار ارباحا هائلة، وحارب بقوة نشاطات القراصنة من مختلف الجنسيات الاوروبية الذين كانوا يمارسون تجارة العبيد. وكان لموقف السيد سعيد هذا ردود فعل ايجابية في الرأي العام العالمي يومئذ، فقد اثنى عليه الصحف البريطانية، كما اشد مجلس العموم البريطاني بجهوده في مجال محاربة تجارة العبيد ومراعاته لحقوق الانسان، وقد وقع السيد سعيد نفسه على اتفاقيات ثنائية ودولية بهذا الخصوص.

(٤) - التطور الزراعي الكبير الذي شهدته ممتلكات عمان في افريقيا وخصوصا في زراعة القرنفل والقطن ونبات التيل، والثروات الهائلة التي تجمعت لدى العمانيين من التجارة والزراعة في افريقيا، وكان للسيد سعيد وكلاء يجمعون الضرائب في كافة ارجاء الساحل الافريقي.

(٥) - العلاقات التجارية المتطورة مع العديد من الدول، فقد عقد السيد سعيد بن سلطان اول معاهدة تجارية مع الجنرال ديكان حاكم جزيرة فرنسا (جزر القمر) في ربيع الاول ١٢٢٢هـ / السادس عشر من يونيو عام ١٨٠٧م، وفي هذه المعاهدة اعترف بالحياد العماني في الصراع الذي كان قائما بين فرنسا وبريطانيا، كما تعهدت فرنسا بعدم التعرض للسفن العمانية مقابل الموافقة على قبول وكيل تجاري فرنسي في مسقط، كما عقد السيد سعيد بن سلطان معاهدة تجارية عام ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م مع حاكم جزر البوربون (دي يونيون) منحت فيها كل بلد منهما الانصاف التجارية للآخرى.

وفي المحرم ١٢٤٢هـ / ١٠ سبتمبر ١٨٢٦م اصدر السيد سعيد والسيد روبرت فاركوهر حاكم موريشيوس اعلانا مشتركا لتشجيع التجارة بين بريطانيا وعمان، وفي نفس العام وقع سيف بن احمد بالنيابة عن السيد سعيد اتفاقية تجارية مع الجنرال سابسيانو اكسافير بوتيلهو حاكم موزمبيق البرتغالي، وقد أكدت هذه الاتفاقية على الصداقة بين عمان والبرتغال، واستعداد الطرفين لتسهيل التجارة ومرور السفن بين البلدين، وتنظيم الاوراق التجارية التي يحملها تجار البلدين وحددت ضرائب الواردات لتجارة البلدين بـ ١٪ من قيمة السلع.

وفي العام التالي ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م عقدت اتفاقية تجارية اخرى تعهد السيد



الاتفاقيات التجارية في عهد السلطان السيد سعيد بن سلطان.

سعيد فيها بمعاملة البرتغاليين أسوة بالانجليز والفرنسيين بالنسبة الى الضرائب التجارية. وتم توقيع هذه الاتفاقية في شهر ربيع الثاني ١٢٤٩ / الحادي والعشرين من سبتمبر ١٨٣٢ وفي زنجبار تم التوقيع على اتفاقية تجارية اخرى بين السيد سعيد والمبعوث الامريكي ادموند روبرتس تعهدت فيها الولايات المتحدة بحصر بيع الاسلحة لحكومة السلطان في زنجبار، وعدم بيعها لاي طرف آخر في افريقيا، وتعهدت الولايات المتحدة كذلك بقبول دفع نسبة ٥٪ كضرائب من قيمة السلع الامريكية المتجهة المصدرة الى عمان وممتلكاتها، كما تعهدت بمنح السفن العمانية التي تقوم برؤية الموانئ الامريكية معاملة الافضلية، ومنح السلطان الولايات المتحدة حق تعيين قنصل مقيم في زنجبار.

وفي عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م تعهدت ملكة نوسي بي وهي احدى الجزر الافريقية، بقبول حماية السيد سعيد بن سلطان مقابل منه ٢٠ ألف دولار و ٥٪ من الضرائب الجمركية.

وتم التوقيع في الرابع عشر من المحرم ١٢٥٥هـ / الحادي والثلاثين من مارس ١٨٣٩م على اول معاهدة تجارية عامة بين بريطانيا وسلطان عمان بعد معاهدة ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م، وقد وقعها السيد سعيد عن الجانب العماني كما وقعها الكابتن روبرت كوكان عن الجانب البريطاني، وكان الاخير قنصلا في مسقط، وقد شملت هذه المعاهدة مواضيع تجارية شتى متبادلة كما شملت التعاون في القضايا القنصلية ومحاربة تجارة العبيد.

وفي شوال ١٢٥٩هـ / ٢٠ نوفمبر ١٨٤٣م توصل السيد سعيد بن سلطان مع الحكومة البرتغالية الى اتفاقية حول تنظيم الزيارات التي تقوم بها السفن العمانية للموانئ البرتغالية، واشتملت هذه الاتفاقية على تنظيم الاوراق الخاصة بتلك السفن،

وبعد سنة واحدة أي في عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م توصل السيد سعيد إلى معاهدة صداقة مع فرنسا وقعتها عن الجانب الفرنسي مسيو رومان ديفوسي حاكم مدغشقر وبوربون، وهي مشابهة في محتواها لمعاهدة الصداقة والتجارة التي عقدها عُمان مع بريطانيا والولايات المتحدة، وقد تعهد السيد سعيد في هذه المعاهدة بالموافقة لفرنسا على السماح لها ببناء مخازن في زنجبار.

وقد بذلت الحكومة البريطانية جهوداً دبلوماسية عديدة مع سلطان عُمان من أجل بذل المساعي الحميدة مع شيوخ إمارات الخليج العربي وإقناعهم بتحريم تجارة العبيد وقد أكد السيد سعيد تعهداته السابقة بتحريم تجارة العبيد ومنع الأطراف الأخرى من استخدام الموانئ العمانية على الساحل الأفريقي لهذا الغرض، كما كتب رسائل إلى مشايخ البحرين وقطر والكويت بالمشاركة في الحملة الدولية ضد تجارة العبيد، وأمر حكامه في الموانئ الشرقية للخليج العربي بمصادرة كافة السفن التي تساهم في تجارة العبيد، ومعاقبة الأشخاص أو الشركات التي تتعامل في هذه التجارة. وفي الوقت الذي تبرع فيه السيد سعيد بالمساهمة الفعالة في منع تجارة العبيد، كانت الحكومة البريطانية تدفع مائتي ألف باوند استرليني لملك إسبانيا مقابل قبوله بمبدأ منع تجارة الرقيق.

وقد وافق السيد سعيد على قرار البرلمان البريطاني رقم ٢٨ لعام ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م الخاص بمنع تجارة العبيد، وكان هو الحاكم الوحيد في المحيط الهندي الذي وضع كل ثقله مع القوانين والترتيبات الدولية لمنع تجارة العبيد، بينما كان البرتغاليون والاسبان يرفضون تطبيق هذه القوانين.

ونتيجة لنشاط الأسطول العماني وازدياد قوته، فقد ازدهرت التجارة العمانية في منطقة الخليج العربي وخصوصاً في المدن الساحلية التي كانت خاضعة للسيد سعيد، وفي اتفاقية بين السيد سعيد وشاه فارس عقدت في شعبان ١٢٧٢هـ / أبريل ١٨٥٦م منع بمقتضاها سلطان عُمان صلاحية تعيين حكام عرب من عُمان لموانئ بندر عباس وقشم وهرمز ولارك ولنجة لمدة عشرين سنة، وأن يدخل في ترتيبات معينة لتنفيذ ذلك مع حاكم فارس مقابل منحة سنوية للشاه مقدارها ستة عشر ألف تومان، وتعهد السيد سعيد أن لا يقبل وكلاء أجانب في هذه الموانئ.

وقد تصاعدت حركة التجارة الدولية داخل سلطنة السيد سعيد بين سلطان الواسعة بشكل لم يسبق له مثيل، وقد رافق النشاط التجاري وتقدم الملاحاة تطور انتاج اللؤلؤ من مصايد اللؤلؤ التابعة للبحرين وقطر والكويت وابوظبي، وكان الخليج العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر يعتبر السوق الدولية الرئيسية لتجارة اللؤلؤ، وكان التجار المحليون والهنود والانجليز والفرس يتنافسون على شراء اللؤلؤ من الخليج العربي باعتبار أن أنواعه هي الأجود والأفضل والأكثر ندرة في العالم وقد تنافس أيضاً حكام فارس والدولة العثمانية وأمراء مصر والهند وملوك أوروبا على شراء اللؤلؤ الخليجي، وانضم اليهم الاغنياء في امريكا الوسطى والجنوبية.

وقد ذكرت المصادر التاريخية أن السلطان سعيد نفسه كان يحتفظ بثروة هائلة من اندر انواع اللؤلؤ، وقد ذكرت الوثائق أن بعض زوجات المسؤولين والاجانب الذين زاروا عُمان والتقوا بحريم السلطان، اذهلهم انواع اللؤلؤ التي كانت تترزين:

بها نساء القصر.

وهكذا اتخذت السلطنة العمانية الشاسعة الاطراف التي اصبحت دولة آسيوية / افريقية، من المحيط الهندي مجالا حيويا لنفوذها، ووسعت هذا النفوذ في كافة ارجاء الخليج العربي وعلى طول الساحل الافريقي والبحر الاحمر، ولكنها لم تلبث ان تأثرت اوضاعها بوفاة ابرز ابنائها في التاريخ على الاطلاق، السيد سعيد بن سلطان على ظهر سفينته (فكتوريا) في عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م قبالة ساحل سيشل.

إذ بوفاته وكما سبق القول، شهدت الدولة العمانية صراعات دامية داخل اسرة البوسعيد انتهت عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م باتفاقية تقسيم البلاد بين الاخوين، فاصبح ثويني حاكما لعُمان وتوابعها وممتلكات عُمان في الخليج العربي، بينما اصبح ماجد حاكما مستقلا لزنبار وممتلكات عُمان في شرق افريقيا، وقد جرى التوصل الى هذه الاتفاقية بعد توسط اللورد كاتنج وزير الخارجية البريطانية، وقد وجدت الدول الأوروبية الكبرى وخاصة فرنسا وبريطانيا والبرتغال الفرصة في الاسراع بالسيطرة على اجزاء من الدولة العمانية.

وخلال الفترة (١٢٧٣ - ١٢٧٩هـ / ١٨٥٦ - ١٨٦٢م) وهي فترة الصراع بين الاخوين ثويني وماجد، انقسم الاسطول التجاري والحربي على نفسه، وقام الاخوان بالتنافس لبيع قطع هذا الاسطول الى الدول الأوروبية التي سيطرت بسرعة على معظم الجزر الواقعة في أرخبيل زنجبار وجزر القمر كما سارع حكام فارس رغم هزلة موقفهم الداخلي بانهاء الوجود العربي على الساحل الشرقي للخليج العربي. ورغم استمرار الدور العماني في التجارة الدولية الا ان غياب القائد وانهايار الاسطول وانقسام الدولة، ادى الى انتكاسة عامة أثرت بصورة مباشرة على صورة الدولة العمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

وفي النهاية نستطيع القول بأن القيادة الفذة للسلطان سعيد بن سلطان، جعلت من عُمان إحدى القوى الدولية الرئيسية في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي، وقد كرمه زعماء العالم يومئذ، وعقد أكثر من عشرين معاهدة واتفاقية مع دول العالم المهمة، وفتح علاقات دبلوماسية وتجارية مع كافة القوى الدولية والمحلية الرئيسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

وفي عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م انتخبته الجمعية الملكية الآسيوية في لندن عضوا شرف فيها لمساهمة في تقدم العلوم البحرية وبناء السفن والملاحة، ولدوره في تطور التجارة وإشاعة السلم والاستقرار على سواحل الخليج العربي والمحيط الهندي. ومن الممكن القول بدون تردد أو ريباء بأن السيد سعيد بن سلطان كان أشهر حاكم عربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وقد برزت شهرته وحكمته وشجاعته العديد من أقرانه الذين عاصروه من كبار زعماء العالم المتمدن. وكان اسطول عُمان في عهده من أقوى الاساطيل الموجودة في المحيط الهندي، كما بلغت تجارتها في عهده قمة الازدهار.

والحقيقة أن هذا النجاح وذلك الازدهار في مجالي الملاحة والتجارة في تلك الفترة من عهد الدولة البوسعيدية، لا بد وأن يقودنا حتما الى الحديث عن ملامح أخرى للحضارة العمانية خلال العصور التاريخية المختلفة.

الفصل السادس

التنظيم الإداري في الدولة البوسعيدية

يعتبر التنظيم الإداري للدول العُمانية خلال الفترة التي يهتم بها البحث الحالي، ما بين ١٧٤٤ - ١٩٩٤م أثناء حكم الأسرة البوسعيدية، أحد المظاهر الحضارية التي ارتبطت بفترات ازدهار الدولة العمانية.. حيث توضح الحقائق التاريخية أن ثمة علاقة تبادلية بين هذا الازدهار ونوعية التنظيمات الإدارية الموجودة ودرجة الكفاءة والفاعلية لمؤسسات الدولة وأجهزتها المختلفة.. وهذا بالفعل ما تؤكد نتائج تحليل دراسة التراث التاريخي العماني في الفترات الماضية والسنوات الأخيرة.

وتعد بداية عقد السبعينات نقطة تحول كبرى في تاريخ المجتمع العماني المعاصر، نتيجة للنهضة الشاملة التي تشهدها السلطنة في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.. فلقد امتدت الدولة بتغيير النظام الإداري التقليدي وبناء التنظيم الإداري الحديث ذي الطابع العقلاني الرشيد، الذي يقوم على أحدث النظم الإدارية الحديثة والمتطورة واعتباره أحد المقومات الأساسية التي تنهض عليها عمليات التنمية الشاملة.

وعموماً وبالرغم من طول الفترة التاريخية التي سوف يهتم البحث بمعالجة التنظيم الإداري بها والتي تقدر بقرنين ونصف من الزمان إلا أننا سوف نعرض لهذه الفترة بصورة موجزة.

ونبدأ بعهد الإمام أحمد بن سعيد بن محمد البوسعيد مؤسس الدولة البوسعيدية وتتميز فترة حكم هذا الإمام بالعديد من المميزات والخصائص الإدارية والتنظيمية التي كانت بمثابة المقومات الأساسية التي ساهمت بالفعل في ازدهار الدولة العمانية في العديد من النواحي الإدارية والتنظيمية ونورد منها^(١):

السمات العامة والشخصية:

كان الإمام أحمد بن سعيد يتميز بالعديد من الصفات والخصائص القيادية، فكانت لديه كفاءات إدارية وبعد بصرية مميزة ساهمت في ترشيحه ليكون والياً على صحران من قبل الإمام سيف بن سلطان اليعربي، كما كان تاجراً نشطاً لديه الكثير من تقدير الأمور المالية والتجارية، ولديه ادراك عميق للظروف الداخلية والخارجية.. ومن ناحية أخرى كان يمتاز بالشجاعة والكرم والبراعة الإدارية وانتصاره للحق والعدل، والاصر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالفعل لقد ساعدت تلك الخصائص والسمات العامة لشخصية الإمام أحمد على أن يحقق الوحدة الوطنية العمانية ويجمع شمل القبائل بشتى الوسائل والتوفيق بينها.

تعيين الولاة والقيادات الإدارية:

اهتم الإمام أحمد بن سعيد بتعيين الولاة في انحاء الدولة العمانية وحرص على

اختيار الولاة من ذوي الكفاءات الادارية العالية، والذين لديهم خبرة كافية مما ساعد في عمليات ادارة شؤون الدولة.. ومن ناحية اخرى سعى الامام احمد لتدريب ابنائه على ادارة الامور السياسية والتنظيمية حتى يكسبهم المهارات القيادية العليا، وقد تم تعيين عدد منهم في مناصب الادارة مثل مناصب الولاة وكان من اهم الولاة والقيادات الادارية الذين اداروا شؤون الحكم في عهده، خلفان بن محمد بن عبدالله البوسعيدى الذي عين والياً على مسقط، ولتنظيم اخذ العشور والاموال والخراج والضرائب الجمركية في الموانئ العمانية، كما عين عددا من الولاة في شرق افريقيا واستطاعوا ان يعيدوا الحفاظ على الامن ومنهم الوالي محمد بن جاعد البوسعيدى.

مجال العدل والقضاء والامن :

سعى الامام احمد بن سعيد من اجل الاستقرار والامن الداخلي للبلاد وجمع شمل القبائل عن طريق استتباب الامن، حيث عين خميس بن سالم البوسعيدى على عسكر مسقط ومطرح ولكي يرسى قواعد العدل والانصاف بين الناس خلال فترة حكمه، كان يختار اشهر القضاة وانصفهم للعدل والحق، وكان من بينهم القاضي المشهور الشيخ العالم محمد بن عامر بن عريق العدواني.

مجال الجيش والأسطول البحري :-

كان من اهم انجازات الامام احمد بناء جيش كبير احسن تنظيمه واعداده من حيث القيادة والرجال والسفن، واعتمد في بناء الجيش على العمانيين بصفة خاصة كما كان للجيش جانب نظامي وآخر احتياطي مما يعكس طابع الادارة والتنظيم الذي كان يتميز به الجيش والاسطول البحري، واستطاع الجيش العماني طرد الفرس الذين احتلوا بعض نواح من عمان عام ١٧٢٧م ، وبفضل قوة الاسطول البحري قضى على الكثير من حركات القرصنة في الخليج والمحيط الهندي لتأمين حركة التجارة.. كما استطاع بفضل مهارة الجيش التنظيمية والادارية، ان يضم المنطقة الشمالية الغربية من عمان في نطاق التوحيد تحت راية حكمه، كما استطاع الجيش يلبي نداء الدولة العثمانية لرد الخطر الفارسي عن البصرة وجنوب العراق ويقهر الفرس في منطقة شط العرب الامر الذي نتج عنه حدوث تقارب كبير في العلاقات الدولية الودية مع الدولة العثمانية^(٢).

المجال التجاري والاقتصادي:

ظهرت النواحي التنظيمية والادارية على النشاط التجاري فيفضل انشاء الاسطول البحري التجاري تمكن الامام احمد من جعل منطقة الخليج والساحل العماني منطقة تجارية حرة.. واختار القيادات الادارية التي تتميز بالكفاءة في مجال الحسابات والامور المالية مثل الجمارك والخراج، فلقد عين رزيق بن نجيب بن سعيد بن غسان لتنظيم الحسابات المالية في الموانئ العمانية، واعيد ترتيب النظام الجمركي على السفن والبضائع الداخلية والخارجية.

مجال العلاقات الدولية:

حقيقة ليس من السهل الفصل بين عمليات التنظيم الاداري في المجالات التجارية او الاسطول البحري او التجاري دون فهم العلاقات الدولية التي كانت توجد خلال

تلك الفترة.. فلقد كان الامام احمد يحرص على وجود العلاقات الدولية العمانية في صورة ودية مع العديد من الدول التي كانت تربطها علاقات تجارية واقتصادية مثل الهند وبريطانيا والدولة العثمانية وكان الامام احمد يحرص على تأمين حركة التجارة، ورد الخطر الفارسي عن البصرة وذلك بفضل قوة الجيش والاسطول، وتعزيز العلاقات الدولية من جانب آخر.. ولقد نظمت العديد من الاتفاقات التجارية الهامة التي اخذت طابعا مميزا عن طريق ما يعرف حاليا بالتمثيل التجاري لتنشيط النواحي الاقتصادية والتجارية والدولية كما حدث بين عمان والهند على سبيل المثال هذا بالإضافة الى ان الامام احمد حرص على وجود علاقات ودية متزنة مع كل من بريطانيا وفرنسا لتأمين الاراضي العمانية.

تلك هي اهم ملامح التنظيم الاداري للدولة العمانية في عهد الامام احمد بن سعيد والتي من الصعب فهمها دون تحليل كافة المجالات التي ساهمت في عمليات تنظيمها واعادتها وطبيعة الازدهار الاقتصادي والتجاري وباختصار كانت فترة حكم الامام احمد من اهم الفترات التاريخية التي شهدت تطورا اداريا وتنظيميا وبكفاءة عمانية حققت اسهامات متعددة في البناء الاداري والتنظيمي الذي شهدته الدولة العمانية.. ونستطيع فيما يلي ان نعرض لاهم نواحي هذه الاسهامات^(٢).

الناحية العسكرية :

استطاع السيد سلطان بن احمد ان يبني اسطولا عسكريا ضم العديد من السفن الكبيرة العلاقة بالاضافة الى السفن المتوسطة والشرعية التي استطاعت ان تحقق الامن والاستقرار والسيادة البحرية العمانية في الخليج والمحيط الهندي وسواحل شرق افريقيا اما الاسطول التجاري البحري للسلطنة فكان قوامه ست عشرة سفينة متوسطة الحجم وخمس سفن شرعية وخمسة وخمسين مركبا صغيرا.. كما سعى السيد سلطان بأن يحقق نوعا من الكسب التجاري لعمان، بعد ان نجح في استئجار ميناء بندر عباس من الشاه في عام ١٧٩٤م مقابل ايجار سنوي يحدد في الواقع ان المهارة التنظيمية للاسطول البحري العماني تركت آثارها في تأمين السواحل العمانية على جميع مناطق الخليج.

الناحية التجارية :

بالاضافة الى ما سبق من تنظيم الاسطول البحري العماني فقد تحقق الكثير من مظاهر الازدهار التجاري للموانئ العمانية بصفة عامة ولمسقط بصفة خاصة.. كما تركزت معظم الانشطة التجارية في ايدي فئات التجار العمانيين.. وقدرت عموما حجم المعاملات التجارية للدولة في عهد السيد سلطان في العام بأكثر من مليونين ونصف المليون جنيه استرليني، حصلت مسقط على أكثر من نصف هذه القيمة كما استطاع السيد سلطان ان يعيد ترتيب نظام الجمارك على البضائع التي وصلت الى حوالي ٦,٥٪ وساهم ذلك في ازدهار الموارد المالية للدولة وايضا حصيللة الضرائب على المنتجات الزراعية الاخرى، وحصيللة الخراج من شرق افريقيا.

ويرى بعض المحللين^(٣)، ان عهد السيد سلطان من الناحية التجارية يعكس طبيعة التنظيم الاداري واهياء مركز مسقط التجاري، كما تحققت عوائد عالية للموارد المالية نتيجة للنظم والاجراءات المالية التي استحدثت خاصة في فترة الثمانينات

والتسعينات من القرن الثامن عشر.. كما لم تقتصر حركة التجارة العمانية على الدول التقليدية الأوروبية مثل إنجلترا وفرنسا ، ولكن كانت لكثير من المصانع الهولندية علاقات تجارية مع عمان والعديد من كبار التجار في مسقط.

العلاقات الدولية :

احرز السيد سلطان العديد من العلاقات الودية الخارجية بفضل سياسته بتوسيع نطاق التجارة مع بريطانيا وفرنسا وهولندا والعديد من الدول الاخرى المجاورة .. كما شهدت هذه الفترة عدم استقرار في العلاقات الدولية بين كل من الوهابيين والقواسم^(٥) ولكن استطاع السيد سلطان ان ينظم علاقاته الدولية مثل اسلافه من الحكام العمانيين^(٦) لضمان استقرار المنطقة وتسهيل عمليات الزواج التجاري.. وعموما استطاع السيد سلطان ان يوجد علاقات ودية بين الدولة العمانية وعدد من الدول الخارجية مثل الدولة العثمانية وبريطانيا وفرنسا وخاصة بعد وصول نابليون الى مصر كما ان السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٤ - ١٨٥٦) بفضل اهتمامه بالنواحي التنظيمية والادارية قطع شوطا بعيدا في بناء الدولة الحديثة. ونظرا لاهمية تلك الفترة نحاول فيما يلي ان نلقي ببعض الاضواء على طبيعة البناء التنظيمي والاداري الذي شمل مجالات متعددة خلال حكم السيد سعيد بن سلطان وهي باختصار:

الناحية العسكرية : انعكست مظاهر اهتمام السيد سعيد بن سلطان على تنظيم اسطوله العسكري نتيجة لاستحداثه كثيرا من النظم الادارية والتنظيمية .. وكان يوزع اوقات وجوده بين كل من مسقط وبقية ممتلكات الامبراطورية العمانية في شرق افريقيا وكان حريصا على ان يدرّب ابنائه على فنون الادارة والحكم فكان دائما يترك لواحد منهم مقاليد الحكم اثناء سفره ، وكرس جزءا كبيرا من موارد الدولة لانشاء الاسطول العسكري والتجاري، ومن ناحية اخرى وبفضل عمليات التنظيم الاداري في فترات السلم كان يستخدم هذا الاسطول بالكامل في الامور التجارية، وقد بلغت قوته من الرجال بنحو عشرين الف مقاتل^(٧).

ناحية العدل والقضاء: شمل التنظيم الاداري للسيد سعيد ايضا نظاما متميزا في مجال العدل والقضاء فكان حريصا على اختيار الولاة سواء في عمان او الجزيرة الخضراء او زنجبار.. وقد بلغ عدد ولاته بالجزيرة الخضراء ثمانية ولاة اما القضاء فكان منهم سعيد بن حمد بن خلفان الحبسي وسيف المعولي وسعيد بن عبدالله بن عبدالسلام .. اما في زنجبار فكان من اهم الولاة الذين عينهم السيد سعيد، هم سليمان بن حمد بن سعيد البوسعيد الذي حضر عملية المفاوضات بعد ذلك بين السيد برغش وبريطانيا وكان من اهم رجال السياسة والدولة من ناحية التنظيم والادارة واساليب الحكم، هذا بالإضافة الى ولاة زنجبار من امثال ناصر بن حمد بن سعيد البوسيدي ثم حمد بن سيف بن بدر البوسيدي^(٨).

الناحية التجارية والاقتصادية : استطاع السيد سعيد بن سلطان ان يوزع المراكز التجارية للدولة العمانية وان يعيد تنظيمها، ولم يكرسها فقط في مدينة مسقط ولكنها احتفظت بأهميتها التجارية الرئيسية في منطقة الخليج.. فمنذ عام ١٨٢٠ اعطى السلطان سعيد اهتماما كبيرا الى زنجبار واتخذ منها مركزا لحكم الشق الافريقي من الامبراطورية العمانية واستطاعت هذه المنطقة ان تجني ثمار هذا الاهتمام خاصة

بعد ان استحدثت محاصيل زراعية جديدة لم تكن معروفة من قبل مثل القرنفل وجوز الهند وبصفة عامة أصبح ميناء زنجبار ميناء تجاريا مفتوحا للتجارة العالمية تحت السيادة العمانية وكان جذب لكثير من التجار الهنود والبريطانيين والامريكيين ومن ناحية اخرى لقد ساهم ذلك الرواج الاقتصادي لزنجبار في زيادة موارد الامبراطورية العمانية الى ضعف ما كانت توفره الاراضي العمانية الاسيوية.

وبصفة عامة ساهمت حدود الدولة العمانية الواسعة في استغلال الموارد المالية التي كانت تقوم اساسا على التجارة.. وأشارت بعض التقديرات الى ان دخل الدولة العمانية بلغ عام ١٨٤٠ حوالي ٦١٠ آلاف ريال نمساوي (او ما يوازي ١٢٠ الف جنيه استرليني) كما ساهمت موارد اخرى في زيادة موارد الدولة الاقتصادية التي كانت تتوفر بصورة منتظمة مثل الضرائب الجمركية والايارات والارباح التجارية وغيرها، علاوة على ذلك مبيعات محصول القرنفل التي كان يملكها السلطان في زنجبار والتي قدرت بمبلغ ٢٠٠ الف ريال نمساوي ويمثل هذا المبلغ الاخير نحو ثلثي الدخل الاجمالي للدولة^(٩).

العلاقات الدولية : لقد تصدت الدولة العمانية لعدد من الاضطرابات الداخلية والخارجية خلال عهد السيد سعيد ولكن تميز نظام الحكم الاداري للدولة العمانية بطابع التحديث والترقي.. استطاع عن طريقه ان يحافظ السيد سعيد على ممتلكاته الدولية بواسطة دبلوماسيته المعهودة واستغلال الامكانات الاقتصادية لتأمين سلامة الدولة .. كما اظهر السيد سعيد تعاونا مع البريطانيين اتسم غالبيةه بالطابع التجاري السلمي وتعاون معهم في محاربة تجارة الرقيق^(١٠) وخلال عهد السيد سعيد ابرمت الكثير من الاتفاقيات الدولية مع الهند والولايات المتحدة، عام ١٨٢٣ وبريطانيا ١٨٣٩ وفرنسا ١٨٤٤^(١١) وتجيء اهمية هذه الاتفاقيات من ناحية تركيزها على التنظيم التجاري والعلاقات الودية بين الدولة العمانية وهذه الدول .. كما تعكس ايضا مظاهر اهتمام الدولة بتحسين مواردها الاقتصادية والتجارية وزيادة حركة الموانئ التجارية والعائد الاقتصادي لها.

وبصفة عامة ، نستطيع القول ان هناك بعض العوامل التي ظهرت خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر وشهدتها الدولة العمانية وحدثت نوعا من الازدهار الاقتصادي والتجاري والعسكري نتيجة لاهتمام حكام الدولة البوسعيدية وتطوير البناء الاداري والتنظيمي وتأمين ممتلكات الدولة الواسعة ومن اهم هذه العوامل:

اولا: تنظيم الاسطول التجاري والعسكري العماني، وزيادة نشاط حركة الملاحة البحرية وتأمين الطرق التجارية في المحيط الهندي حتى سواحل اندونيسيا شرقا والساحل الشرقي لافريقيا غربا.

ثانيا: المساهمة الايجابية للطبقة التجارية العمانية وتنظيمها للحركة التجارية والاقتصادية للدولة العمانية، والاستفادة من ظهور الركود الاقتصادي في الموانئ الايرانية والخليجية الاخرى، وظهور مسقط واعتبارها الميناء التجاري الهام في منطقة الخليج.

ثالثا : زيادة الموارد المالية بواسطة حكام الدولة البوسعيدية وخاصة تنشيط الموارد التجارية والاقتصادية^(١٢).

فبالرغم من تقسيم الامبراطورية العمانية بعد وفاة السيد سعيد الى قسمين

اساسيين جزء آسيوي وآخر افريقي (زنجبار) الا ان اهتمامات الحكام البوسعديين استمرت وكانت ذات تأثير قوي على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وخاصة تحت حكم السيد ماجد (١٨٥٦ - ١٨٧٠) والسيد برغش (١٨٧٠ - ١٨٨٨).

ولقد حدث العديد من التغيرات التي شهدتها الدولة العمانية منذ بداية السبعينات من القرن التاسع عشر وحتى بداية العشرينات من القرن الحالي وساهمت في تحديد طبيعة البناء الاداري للدولة وخاصة تحت حكم السلطان تركي وابنه السلطان فيصل.. فلقد استحدث السلطان السيد تركي بن سعيد العديد من النظم الادارية التي نظم بها الجهاز الاداري للدولة واعتبرها بعض المصلين اعادة تنظيم المؤسسات الادارية والمالية نظرا لسعي السلطان بأن يجمع ما بين النظم التقليدية الموجودة والاساليب الادارية الحديثة ولقد ساهم في ذلك عاملان اساسيان هما:

أولا: سعى السلطان السيد تركي لتحسين الجهاز الاداري والحكومي لتحقيق الاستقرار الداخلي للدولة العمانية.

ثانيا: تعزيز نفوذه وسيادة الدولة العمانية امام القوى الاوروبية المتصارعة على منطقة الخليج ومن اهم الملامح والسمات التي شهدتها التنظيم الاداري للدولة في عهد السلطان تركي هي^(١٢):

(١) - الشخصية القيادية للسلطان .. توصف شخصية السلطان تركي بانها كانت شخصية تتمتع بكفاءة مميزة وذات حماس مستمر مما جعله قادرا على السيطرة على مقاليد الامور في البلاد.

وفي نفس الوقت حرص على مشاركة مسؤولية الحكم مع العديد من كبار افراد العائلة الحاكمة والاستعانة ببعض الاعيان وشيوخ ورؤساء القبائل ورجال اعمال مسقط البارزين.. الا ان ذلك لم يمنعه ايضا من اعتماده على بعض المستشارين الاجانب في مجالات الخبرة الحديثة.

(٢) - الوزير والوزراء .. تعتبر هذه الوظيفة من الوظائف الادارية والسياسية الهامة، وخاصة ان الوزير كان يعتبر المساعد الاول للسلطان وغالبا ما يشغل هذا المنصب احد افراد الاسرة البوسعيدية ممن كان يتمتع بشخصية قوية من امثال السيد عبدالعزيز بن سعيد.

(٣) - المستشارون والخصوصيون.. شغل هذا المنصب الهام الولاة وقادة الجيش وحظي اصحاب هذا المنصب بمكانة عالية لدى السلطان تركي نتيجة لكفاءتهم الادارية والتنظيمية مثلما حدث لمكانة سليمان بن سويلم الذي عمل واليا لصور وظفار.

(٤) - الولاة.. اتسمت حكومة السلطان السيد تركي بانها استحدثت الطابع المركزي في العديد من ادارات الحكم وتنظيماته المختلفة وان كانت قد جمعت الادارات الاقليمية للدولة على النمط المركزي واللامركزي في نفس الوقت والذي يتمثل في نظام الولاة.. ففي المناطق الساحلية كان يتم تعيين الولاة عن طريق السلطان وكانوا يتمتعون بصلاحيات واسعة من اجل تنفيذ كافة المراسيم والامام السلطانية في كافة المجالات الادارية والعسكرية والمالية وكان مركز الولاة يتحدد حسب المنطقة الجغرافية وكان من اكثرها اهمية حسب الترتيب، مسقط ومطرح وصحار وظفار وسمائل.. ولقد كان من اصعب وظائف الولاة منصب والي صحار



عملة مضمونة في مسقط في عهد السلطان السيد فيصل بن تركي عام ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م

نظرا لانه يعمل تحت اشرافه ولاة مساعدون من مناطق اخرى تابعة له مثل صحم ولوى وشناص.. كما كان الوالي ايضا يشرف على المسؤولين في المناطق الاستراتيجية والممرات الداخلية الجبلية.. اما في المناطق الريفية فقد كانت تحدد الوظيفة للوالي حسب اهمية المنطقة.. وفي كثير من الاحيان كان السلطان يختار ولاته من ذوي الكفاءات الادارية بصفة عامة للاشراف على الادارات الحكومية بالدولة.

ومن اهم الادارات الحكومية التي كانت تشكل بقية البناء التنظيمي الاداري للدولة هي ..

- ادارة القضاء والعدل.. وكان يتولى اعمالها رجال السلطان وقضاته وكان السلطان يشرف بنفسه على القضايا الكبرى والجنائيات .. اما بقية الجرائم الصغرى فيترك فيها الحكم للولاة عن طريق القضاة ولم تكن تتوافر هيئات للمحاكم او قانون مكتوب حيث ان القانون الاساسي هو الرجوع الى القرآن الكريم وحسب ما تقتضيه نظم الشريعة الاسلامية.. وعموما في القضايا المعقدة والكبرى والاختلافات القبلية كان يحرص السلطان على ان يتولى الفصل فيها.

- ادارة شؤون المالية.. كان السلطان يستعين لادارة هذه الدائرة بالولاة ويعاونهم العديد من الموظفين الحكوميين وفئة التجار ورجال الاعمال ومن اهم الموارد المالية للدولة الحصيلة الجمركية على الواردات وقد وصل دخل الجمارك ١١٠ آلاف ريال نمساوي في العام واستمر هذا الدخل خلال فترة السلطان تركي من ميناء مسقط ومطرح.. كما سعى السلطان لانشاء دوائر جمركية اخرى في ميناء صور.. اما دخل ميناء جواهر فقد قدر بنحو ٢٠ - ٣٠ الف ريال نمساوي في العام.. كما كانت تنظم دائرة الشؤون المالية جباية الزكاة على الحاصلات الزراعية المصدرة للخارج وقدرت في عام ١٩٠٠ بنحو ٦٢ الف ريال نمساوي، هذا بالإضافة لضريبة الزكاة وبيت المال التي كانت تحصل من ايجارات الاراضي والبلاوي والعقارات الحكومية، ومن ناحية اخرى كانت تسهم المساعدات من زنجبار في زيادة موارد الدولة المالية.

- ادارة الجيش وشؤون الامن.. كثيرا ما كان يشرف السلطان تركي على عمليات الاعداد والتنظيم للجيش والعمليات العسكرية يعاونه في ذلك كبار مساعدين وولاته، ورجال الحاشية الادارية وبصفة عامة كان لا يوجد فصل بين التنظيمات الادارية المدنية والعسكرية.. وعموما كان الجيش النظامي يتكون من اكثر من الف رجل موزعين على الحاميات العسكرية كما كانت تتولى القبائل حماية ورعاية الحاميات في المناطق الداخلية.. ولكن لم يحاول السلطان ان يجدد كثيرا في الاسطول البحري العماني الذي تأثر كثيرا نتيجة تقسيم الامبراطورية العمانية وأن كان قد اهدى بعض افراد الاسرة الحاكمة في زنجبار بعض السفن واليخوت لتعزيز الاسطول العماني البحري.

تدل الحقائق التاريخية ان السلطان السيد تيمور بن فيصل ورث العديد من المشكلات المالية والاقتصادية عقب وفاة السلطان السيد فيصل بن تركي بالإضافة للجو المتوتر في العلاقات العمانية البريطانية والاضطرابات الداخلية، وساهمت تلك الظروف مجتمعة في تشكيل نوعية التنظيم الاداري للدولة العمانية في منطقة الساحل، ولكن في نفس الوقت لم تمنع تلك الظروف ايضا من ادخال بعض التعديلات والمحاولات من قبل السلطان لتطوير الجهاز الاداري للدولة حتى

تستطيع الادارات الحكومية مواجهة الازمات المتلاحقة.. وفي الواقع لقد شهدت الفترة ما بين ١٩١٣ — ١٩٢٠م عدم استقرار في الاوضاع الداخلية مما اثر على انشغال السلطان تيمور في تهديتها، كما شهدت تلك الفترة ايضا نوعا من التوتر المالي الاقتصادي نتيجة لتغير اسعار النقد العالمي والحرب العالمية الاولى.. ولكن السلطان سعى الى استقرار الوضع الداخلي للبلاد.. وفي عهد السلطان السيد تيمور بن فيصل تم التوقيع سنة ١٩٢٠ على اتفاقية السبب بين الشيخ عيسى بن صالح الحارثي ممثلا للامام وبين السيد تيمور بن فيصل^(١٤).

ومع بداية العشرينات سعى السلطان السيد تيمور في تدعيم الموقف المالي لمسقط وتطوير الادارات الحكومية ورفع كفاءتها وبالرغم من احتفاظها بكثير من سماتها التقليدية الادارية السابقة الا انه عين بعض الكفاءات الادارية الاوروبية والمصرية والهندية الى جانب الكفاءات العمانية ايضا، وان كان ذلك لم يمنع في نفس الوقت من زيادة النفوذ البريطاني وخاصة في مجال تاثير مستشاريه في الاساليب والسياسات الادارية والتنظيمية للدولة.. وعلى اية حال نحاول فيما يلي ان نشير بايجاز الى اهم الملامح الادارية والتنظيمية التي تبنها السلطان تيمور منذ بداية العشرينات وهي^(١٥):

(١) - مجال السلطة التنفيذية والادارية العليا.. في اطار تطوير السلطان تيمور للجهاز الاداري للدولة حرص ان يشكل مجلسا من القيادات التنفيذية العليا من العمانيين، ففي عام ١٩٢١م شكل السلطان مجلسا وزاريا يضم اربعة وزراء للمالية والعدل والاوقاف وبرئاسة شقيقه السيد نادر بن فيصل.

وحرص السلطان السيد تيمور ان يحضر اجتماعات مجلس الوزراء بصفة مستمرة لاتخاذ القرارات التنفيذية والسياسية والادارية (الهامة) لمواجهة التحديات المالية والاقتصادية والامنية والخارجية.. وفي عام ١٩٢٩ تولى السيد سعيد بن تيمور رئاسة مجلس الوزراء وكانت البداية الاولى للاعداد لممارسة الحكم وادارة شؤون البلاد التي طالما رغب السلطان تيمور ان يتركها له مع بداية الثلاثينات.

(٢) - مجال الشؤون المالية والاقتصادية.. مع بداية العشرينات وضع السلطان السيد تيمور ميزانية مالية سليمة، ظلت بدون اي عجز مالي منذ عام ١٩٢٣م خاصة بعد ان اعلن السلطان حالة من التقشف الاقتصادي في الدولة لمواجهة الازمات المالية والاقتصادية التي كانت تتوالى بصفة مستمرة خلال تلك الفترة التاريخية.. وعين بعد ذلك ثلاثة من المصريين لادارة نظام الجمارك في مسقط واعادة تنظيمه من الناحية الادارية والتنظيمية لتحسين مستويات الدخل للميناء في حين شغل منصب الوزير المالي الايرلندي رونالد مالكولم.

وقد تأثرت الظروف المالية بالظروف الخارجية فبعد نهاية الحرب العالمية الاولى حدث نوع من الانتعاش الاقتصادي الى حد ما ونتيجة لجهود السلطان السيد تيمور استطاع ان يحرز المزيد من التقدم لمواجهة الازمات المالية ولكن لم تدم تلك الفترة طويلا نظرا لتعرض البلاد لازمة مالية نتيجة للازمة العالمية التي ظهرت في بداية الثلاثينات وتشير بعض التقديرات الاحصائية عن قيمة تجارة عمان في بداية العشرينات ١٩١٩ / ١٩٢٠ كانت تقدر بنصف مليون جنيه استرليني وبالتحديد (٥٧٥,٦٠٣) جنيه استرليني.. ولكن ارتفع ذلك الرقم الى (٦٢٧,٨١٧) جنيه

استرلينيًا في عام ١٩٢٥/١٩٢٦.. وما لبث أن انخفض إلى (٤٧٤,٢٠٢) جنيهات استرلينية في العام التالي مباشرة ووصل إلى (٣٦٤,٩٠٥) جنيهات استرلينية في عام ١٩٣٣/١٩٣٤ ولكنه ارتفع مرة أخرى إلى ٤٠٠ الف جنيه استرليني بعد زوال نتائج الازمات الاقتصادية العالمية في الثلاثينات^(١٦).

ومن اهم الاحداث التي ظهرت بعد تولي السلطان السيد سعيد بن تيمور الحكم هي اعادة توحيد البلاد العمانية بعد انهيار الامامة عام ١٩٥٥، كما اثرت الاوضاع الاقتصادية التي شهدتها عمان، منذ بداية الثلاثينات وقلة الموارد المالية، نتيجة لفترات عدم الاستقرار الداخلي وعدم تجديد الاسطول البحري والعسكري العماني حتى يتلاءم مع طبيعة التكنولوجيا في عالم المواصلات وظهور السفن البخارية، والازمات النقدية المتتالية، وغير ذلك من الظروف الخارجية والعلاقات الدولية المتوترة في المنطقة وخاصة صراع الدول الغربية على بسط نفوذها على الخليج، وعموما ساهمت كل تلك العوامل بالطبع في ضعف طبيعة الجهاز الاداري والتنظيمي للدولة، ولم يعد قادرا على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية وتنظيم الشؤون الادارية والمالية للدولة، مما افقدها الكثير من مواردها المالية الاقتصادية ونحاول فيما يلي ان نشير الى نوعية التنظيم الاداري للدولة خلال عهد السلطان سعيد بن تيمور في ضوء الظروف الاقتصادية والاجتماعية وذلك بصورة موجزة^(١٧):



عملة مضمونة في عهد السلطان السيد سعيد بن تيمور

(١) - الجهاز الاداري والتنفيذي.. ظل الوضع الاداري ونوعية البناء التنظيمي للسلطنة على ما هو عليه منذ بداية العشرينات، واستعين ببعض المستشارين الاجانب في ادارة شؤون البلاد ولكن تقلد منصب نظارة الشؤون الداخلية السيد احمد بن ابراهيم وهذه هي النظارة الوحيدة التي كانت توجد في البلاد قبل عام ١٩٧٠م وعاونته في شؤون الادارة بعض الكوادر الادارية والمهنيين.. وبصفة عامة ظل السلطان سعيد لفترات طويلة في صلالة وبقي السيد احمد باعتباره الوزير المسؤول عن القيام بكل مهام السلطة ويساعده في ذلك الولاة.. اما نظام الرقابة الادارية التي كانت توجد في المناطق الداخلية فكانت متروكة لشيوخ ورؤساء القبائل وكانت مسؤولياتهم تحت اشراف السلطان من خلال الولاة.

(٢) - مجال ادارة الشؤون الاقتصادية والتجارية.. لقد عاشت البلاد في اوضاع اقتصادية ضعيفة نتيجة للازمات الاقتصادية المالية المتوالية منذ اواخر القرن الماضي.. ولكن بدأت بعد منتصف الثلاثينات عمليات التنقيب عن البترول وتم اكتشافه بكميات تجارية ١٩٦٣م وانشئت شركة تنمية نفط عمان عام ١٩٦٤م وتم بالفعل تصدير اول شحنة عام ١٩٦٧م ولكن قبل ذلك تدل بعض المؤشرات الاقتصادية على ان تجارة مسقط كانت ضعيفة للغاية في بداية الستينات ومثلت جملة الواردات ٢,٧ مليون جنيه استرليني في حين بلغت الصادرات ٧٠٠ الف جنيه استرليني.. كما ظهرت بعض القوانين التي حدثت من حركة النشاط التجاري بين المناطق الساحلية

والداخلية في السلطنة وكانت لها نتائج سلبية على حجم التجارة كما ارتفعت الضرائب الجمركية حتى وصلت في بعض الأحيان إلى ٣٠٪ مما اعاق الكثير من عمليات النشاط التجاري.

(٣) - إدارة التنمية.. انشئت إدارة التنمية عام ١٩٥٩م لتشرف على ثلاثة قطاعات وهي الصحة والزراعة والاشغال العامة بالإضافة الى الخدمات الاجتماعية.. ففي مجال الصحة انشئت بعض العيادات والمستشفيات، وكان انسبها مستشفى البعثة الامريكية في مطرح.. وفي المجال الزراعي، انشئت مزرعتان تجريبيتان فقط في كل من نزوى وصحار، ولكن لم تكن لهما نتائج ايجابية بسبب ضعف الامكانيات المادية.. وفي مجال التعليم وقبل عام ١٩٧٠م بلغ عدد المدارس ثلاثا فقط، وان كانت اول مدرسة انشئت في السلطنة في عام ١٩١٤م وانشئت الثانية عام ١٩٤٠م واسمها المدرسة السعيدية وفي عام ١٩٥٩م انشئت أخرى بنفس الاسم.. كما انشئت بعد ذلك المساكن الادارية وعدد من المشروعات الصغيرة الحجم في مجال الكهرباء ومياه الشرب.

(٤) - المجال العسكري.. سعى السلطان السيد سعيد بن تيمور الى تطوير الجيش من الناحية الادارية والتنظيمية وخاصة في اواخر الستينات لمواجهة الظروف الداخلية وبدأت عمليات تزويد الجيش بالخبراء والمتخصصين للتدريب ورفع قدراته القتالية والنظامية وانشئت بعض فرق الجيش كنواة لقوات عمان البرية وقوات السلطان المسلحة.

(٥) - مجال العلاقات الدولية.. اتسع نظام العلاقات الدولية في اواخر عهد السلطان سعيد بن تيمور بالمقارنة بفترات سابقة.. فكانت توجد علاقات مع بريطانيا والهند وايضا مع بعض الدول الاخرى وهي فرنسا والمانيا الاتحادية وبدا في تطوير معاهدة الصداقة بين السلطنة والولايات المتحدة في عام ١٩٥٨م لتحل محل معاهدة عام ١٨٢٣ ولكن لم يوجد تبادل في العلاقات مع العديد من الدول العربية، فلم تدخل السلطنة جامعة الدول العربية الا في عام ١٩٧١م وايضا لم تمثل تماما في هيئة الامم المتحدة الا في اكتوبر من نفس العام بفضل جهود حكومة جلالة السلطان قابوس وبداية العهد الجديد في البلاد.

وعموما، تلك اهم ملامح البناء التنظيمي والاداري لسلطنة عمان في عهد السلطان السيد سعيد، والذي يعكس طبيعة الظروف والوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتجارية الداخلية والخارجية..

هوامش الباب الخامس

●● الفصل الأول :

- (١) محمد مصطفى زيادة، مصر والحروب الصليبية.
- (٢) د/ محمود علي الداود . تاريخ السيادة العمانية في المحيط الهندي، مجلة كلية الآداب، عدد ٥، نيسان ١٩٦٢، ص ٢٦٠
- (٣) محمد رشيد عباس، التطورات السياسية في عمان وعلاقتها التاريخية، رسالة ماجستير (بغداد، ١٩٨٨)، ص ١٤
- (٤) مهال محمد العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٨٣٠ (بغداد - ١٩٧٦) ص ٢١ - ٢٣
- (٥) عبدالامير محمد أمين ، القوى البحرية في الخليج العربي (بغداد - ١٩٦٦)، ص ٥ .
- (٦) سيد نوفل، الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربي، وجنوب الجزيرة، الطبعة الثانية، معهد الدراسات العربية العليا، القاهرة، ١٩٦١، ص ٤٢ .
- (٧) سيد نوفل، المرجع السابق.

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث

- (٨) عبدالله صالح المطوع ، عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان، مخطوط، ورقة ١٧، ١٨ .
- (٩) محمد عبدالله السالمي، عمان تاريخ يتكلم (دمشق ١٩٦٢)، ص ١٩١ .
- (١٠) د / صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ - ١٨١٠ ، بغداد - ١٩٧٩ - ص ٧-٨ .
- (١١) د / محمود علي الفاود، المصدر السابق، ص ٢٦ .
- (١٢) العابد، صالح محمد دور القواسم، ص ٢٤ - ٢٦ .
- (١٣) م.م، ص ٢٧ .
- (١٤) امين عبدالامير محمد ، المصدر السابق ، ص ٥ .
- (١٥) العابد ، صالح محمد دور القواسم ، ص ٢٨ .
- (١٦) Encyclopedia Britannica, London, 1987, Vol. 15, p. 98.
- (١٧) Abdul Amir Amin, British interests in the "Persian Gulf" (Leiden, 1967) p. 14.
- (١٨) حميد بن محمد بن رزيق . الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، تحقيق عبدالمنعم عامر مري، ص ٢٥٠ .
- (١٩) حميد بن محمد بن رزيق . الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، تحقيق عبدالمنعم عامر، د / محمد مري، من مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان ١٩٧٧، ص ٢٥٠ .
- (٢٠) سرحان بن سعيد الازكوي . تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف اللغة الجاسع لخبار الامة، تحقيق عبدالجيد القيسي، مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ١٩٨٠، ص ٧٥ - ٧٦ .
- (٢١) ميباب منطقة ذات اهمية تقع على السواحل الاثرياني عند مدخل الخليج، لوريير دليل الخليج القسم الجغرافي ج ٤، ص ١٥٢٦ .
- (٢٢) سرحان بن سعيد الازكوي . مصدر سبق ذكره، ص ٩٨ - ٩٩، عائشة السيار . دولة البعارة، ص ٤٦، ناز القيس، لنتان
- (٢٣) ابن رزيق . مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٢، الازكوي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩ .
- (٢٤) ١٠٢٤ هـ / ١٦٢٤م .
- (٢٥) حميد بن محمد بن رزيق . مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٦، جمال زكريا قاسم . مرجع سبق ذكره، ص ١٢٩، عائشة السيار، مرجع سبق ذكره، ص ٤٩ .
- (٢٦) نور الدين السالمي . مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٥، سرحان بن سعيد الازكوي، ص ٩٨ - ٩٩ .
- (٢٧) نور الدين السالمي . مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٥
- (٢٨) روبرت جيران لاند . عمان مسيراً ومعيماً، ترجمة محمد اسين عبدالله، ص ١٩٩ .
- (٢٩) نور الدين السالمي . مصدر سبق ذكره، ص ٥ - ٦ .
- (٣٠) نور الدين السالمي . المصدر السابق، ص ٦ - ٧، الازكوي . مصدر سبق ذكره، ص ١٠٠، عائشة السيار ص ٢١
- (٣١) سرحان بن سعيد الازكوي . مصدر سبق ذكره، ص ١٠١
- (٣٢) نفس المصدر السابق، نور الدين السالمي . مصدر سبق ذكره، ص ١٠١
- (٣٣) سرحان بن سعيد الازكوي . مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢ - ١٠٣، السيابي . عمان عبر التاريخ، ج ٣، ص ٢٠١ .
- (٣٤) لوريير دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ٢، ص ١٢٢
- (٣٥) S.B. Miles Countries and Tribes of the Persian Gulf vol. II p. 196 - 197.
- (٣٦) حميد بن محمد بن رزيق . الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٥، الازكوي، ص ١٠٦، السالمي ج ٢، ص ١٢٧ - ١٢٨
- (٣٧) لقد نجح البرتغاليون في ابرام هدنة مع الانجليز عام ١٦٢٤م اقتصرت في بدايتها على اعادة العلاقات بين مستعمرات الدولتين
- (٣٨) د / صلاح العقاد . التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ٤٥، القاهرة ١٩٨٣
- (٣٩) سرحان بن سعيد الازكوي . مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥ - ١٠٦، السيابي . مرجع سبق ذكره، ج ٣، ص ٢٠٧ .
- (٤٠) Kelly, J., Britain And The Persian Gulf p. 15, London 1968.
- (٤١) Miles ap. cit p. 218.
- (٤٢) مصطفى عقيل التنافس الدولي في الخليج العربي، ١٦٢٢ - ١٧٦٣، ص ١٠٩ .
- (٤٣) د / جمال زكريا قاسم . الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص ١١٧ .
- (٤٤) نفس المرجع السابق
- (٤٥) لوريير . مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٦٤
- (٤٦) Wilson A. The Persian Gulf, p. 194.
- (٤٧) فالح خنظل . الفصل في تاريخ الامارات العربية، ص ١٠٢
- (٤٨) اشهر الروايات تقول انه توفي في ١٥ ربيع الآخر ١٠٥٩هـ الموافق ٢٢ فيبرلي ١٦٤٩ .
- (٤٩) حميد بن محمد بن رزيق . الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، ص ٢٧٧ .
- (٥٠) لوريير . مصدر سبق ذكره، ج ٢، القسم التاريخي، ص ٦٣ - ٦٦ .
- (٥١) د / جمال زكريا قاسم . الخليج العربي في عصر التوسع الاوروبي الاول، ص ١٠٦، Boxer C.R. Some aspects of the Struggle between The Omanis and The Portuguese 1650 - 1730 p. 27.
- (٥٢) د / طارق نافع الحمادني . دور عرب عمان في اقضاء البرتغاليين عن الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن السادس عشر، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد ١٣، ص ٢٧٧ .
- (٥٣) عبدالله بن خلفان بن قبيص . سيرة الامام ناصر بن مرشد، تحقيق عبدالجيد القيسي، ص ٤٦، الازكوي، ص ١٠٤ .
- (٥٤) د / طارق نافع الحمادني . مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٩

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث

- (٥٥) ابن رزيق : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨٤ .
- (٥٦) يمكن الرجوع الى تفاصيل هذا الهجوم من خلال قصة طريفة وردت في معظم كتب التراث العماني مثل ابن رزيق مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٦ ، نور الدين السالمي ، ج ٢ ، ص ٦٥ .
- (٥٧) لوريير : مصدر سبق ذكره ، ج ٢ ، القسم التاريخي ، ص ٦٢٦ .
- (٥٨) ابن رزيق : مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩٠ .
- (٥٩) د/ طارق نافع الحمادي : دور عرب عمان في القضاء البرتغاليين عن الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن السابع عشر ، ص ٢٨١ .
- (٦٠) مصطفى عقيل : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ١٦٢٢ - ١٧٦٣ ، ص ٢٤ .
- (٦١) لوريير : مصدر سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٦٧ .
- (٦٢) مصطفى عقيل : مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٥ .
- (٦٣) العابد ، صالح محمد : دور القواسم ، ص ٤٠ .
- (٦٤) د/ محمود علي الداود : المصدر السابق ، ص ٢٦١ ، مفاء عبدالعزيز كريم . الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية ، رسالة ماجستير ، ١٩٨٨ ، ص ١١٦ .
- (٦٥) د/ محمود علي الداود ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ .
- (٦٦) العابد ، صالح محمد : دور القواسم ، ص ٤٢ .
- (٦٧) كريم ، مفاء عبدالعزيز ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .
- (٦٨) السيار ، عائشة : المصدر السابق ، ص ١٢٧ .
- (٦٩) العابد ، صالح محمد : دور القواسم ، ص ٤٢ .
- (٧٠) كريم ، مفاء عبدالعزيز ، المصدر السابق ، ص ١١٦ .
- (٧١) جمال زكريا قاسم : الخليج العربي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٧ .
- (٧٢) سعيد بن علي المفيري : جبهة الاخير في تاريخ زنجبار ، ص ١٩٥ ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ .
- (٧٣) عائشة السيار : مرجع سبق ذكره ، ص ٧٦ .
- (٧٤) عائشة السيار : مرجع سبق ذكره ، ص ٧٨ .
- (٧٥) جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .
- (٧٦) ما ورد عن الائمة بلعرب بن سلطان وسيف بن سلطان وسلطان بن سيف الثاني هو استخلاص قام به سالم بن محمد المعبري من المصادر التاريخية العمانية .
- (٧٧) ربما يقصد بملحمة الشمال مدينة الرستاق ومنطقة اللبائنة
- (٧٨) تحفة الاعيان في سيرة اهل عمان ، ج ٢ ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٥ ، حميد بن رزيق : مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠١ .
- (٧٩) الشيخ نور الدين السالمي : مصدر سبق ذكره ، ص ١١٥ ، ج ٢ .
- (٨٠) بلغة الهمة اي في مراجعتكم ، بينما سمع العامة امامكم بالكسري خليلكم .
- (٨١) نور الدين السالمي : مصدر سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ١١٧ .
- (٨٢) حميد بن محمد بن رزيق : مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٢ .
- (٨٣) سالم السبيعي : عمان عبر التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٠٢ - ١٠٤ .
- (٨٤) المرجع السابق ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .
- (٨٥) محمد حسن قدوس : نادر ثامه ، طهران ١٣٣٩ هـ ، ص ١٢٢ .
- (٨٦) مصطفى عقيل : التناقص الدولي في الخليج العربي ، ص ٢٧٧ .
- (٨٧) نور الدين السالمي : تحفة الاعيان ، ج ٢ ، ص ٩٨ .
- (٨٨) جمال زكريا قاسم : دولة اليوسعيد ، ص ٤ .
- (٨٩) Lockhart, Laurence : Nader Shah, a critical study based mainly upon contemporary sources, London, 1938, p. 184.
- (٩٠) نور الدين السالمي : تحفة الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .
- (٩١) ويندل فيليبس : تاريخ عمان ، ص ٧٧ .
- (٩٢) الاذكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف اللغمة ، ص ١٤٩ .
- (٩٣) سرحان بن سعد الاذكوي : المرجع السابق ، ص ١٥١ .
- (٩٤) راجع التفاصيل في هذا الموضوع ، الفتحة المبيّن ، ص ٣٤٤ ، ويندل فيليبس : تاريخ عمان ، ص ٧٨ ، سرحان الاذكوي ص ١٥٢ .
- (٩٥) ابن رزيق : الفتحة المبيّن في سيرة السادة اليوسعيين ، ص ٣٥١ .

●● الفصل الثاني :

- (١) عبد الهادي التازي ، الصلات التاريخية بين المغرب وعمان ، حصاد ندوة الدراسات العمانية ، ج ٢ ، ص ١٣١ .
- جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول ، ص ٩٦ .
- (٢) Miles: Countries Tribes of the Persian Gulf, p. 161.
- (٣) ب.ج. سلوت ، عرب الخليج ١٦٠٢ - ١٧٨٤ م ، ترجمة هادية خوري ، من إصدارات دولة الامارات ، ص ١٤٦ .
- (٤) نفس المرجع السابق ، ص ١٧٤ ، ص ١٧٥ .
- (٥) Miles: op. cit. p. 221.
- (٦) ب.ج. سلوت ، عرب الخليج ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٧٨ .

- (٧) نفس المرجع السابق، ص ١٧٨.
- (٨) د. صلاح العقاد، د. جمال زكريا قاسم، زنجبار، مرجع سبق ذكره، ص ٢١.
- (٩) Miles: *op. cit.*, p. 224.
- (١٠) ب. ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٧، ص ١٩٩.
- (١١) نفس المرجع السابق، ص ١٩٦، ص ١٩٧.
- (١٢) يقال إن الوفاة حدثت ١٦٧٩ م بينما تذكر بعض المراجع أنها سنة ١٦٨٠ م.
- (١٣) ب. ج. سلوت، عرب الخليج، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٦.
- (١٤) حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المنيب في سيرة السادة اليوسفيين ص ٢٩٢، ص ٢٩٤.
- (١٥) د. عائشة السيار، مرجع سبق ذكره، ص ٦٨، ص ٦٩.
- (١٦) وكيل شركة الهند الشرقية البريطانية في إيران.
- (١٧) لوريير، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ١، ص ١٢٢.
- (١٨) ب. ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٧.
- (١٩) نفس المصدر، ص ١٢٦.
- (٢٠) لوريير، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١٦، ص ١١٧.
- (٢١) ب. ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٦.
- (٢٢) Guillain: tome, p. 320.
- (٢٣) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، سبق ذكره، ص ١١.
- (٢٤) عبد الفتاح إبراهيم، على طريق الهند، بغداد، ١٩٣٥ م، ص ٣٠.
- (٢٥) Morrier, James: A Journey through Persia, Armenia and Asia Minor to Constantiple, 1809, p. 375.
- (٢٦) Guillain: *op. cit.*, tome 11, p. 528.
- (٢٧) د. جمال زكريا، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، مرجع سبق ذكره، ص ١١٤.
- (٢٨) نفس المرجع السابق، ص ١١١ - ١١٥.
- (٢٩) د. جمال زكريا، د. صلاح العقاد، زنجبار، مرجع سبق ذكره، ص ٣١.
- (٣٠) Miles: *On the border of Great Desert, A Journey in Oman*, p. 161.
- (٣١) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، ص ١١٥.
- (٣٢) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي، مرجع سبق ذكره، ص ١١٦، ص ١١٧.
- (٣٣) Miles, vol. 11, London, 1919, p. 150.
- (٣٤) د. جمال زكريا، المرجع السابق، ص ١١٨.
- (٣٥) ب. ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٤.
- (٣٦) د. جمال زكريا، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، ص ١١٨.
- (٣٧) ب. ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٧.
- (٣٨) Alexander Hamilton: *A New Account of East India*, vol. 1, p. 57.
- (٣٩) Skeet, John: *Muscat and Oman, The end of an Era*, London, p. 65.
- (٤٠) Kajari, Firouz: *Le Sultan de Oman*, p. 165 - 167.
- (٤١) Skeet, John: *Muscat and the Oman, the end of an Era*, London, 1974, p. 65.
- (٤٢) ب. ج. لوريير، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ١، ص ١١١.
- (٤٣) د. عائشة السيار، دولة البعارة في عمان وشرق إفريقيا، ١٦٢٤ - ١٧٤١، ص ١٧٠.
- (٤٤) فالح حنظل، الفصل في تاريخ الإمارات العربية، ج ١، ص ٩٨.
- (٤٥) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، ص ١١١.
- (٤٦) د. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص ١١١.
- (٤٧) نفس المرجع السابق.
- (٤٨) Boxer, C., *New light on the relationship of Oman and the Portuguese 1650- 1730*.
- (٤٩) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص ١١٢.
- (٥٠) لوريير، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ١، ص ١١١.
- (٥١) لوريير، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧.
- (٥٢) نفس المصدر، ص ٢٧.
- (٥٣) د. عائشة السيار، دولة البعارة، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٦.
- (٥٤) لوريير، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٦٧.
- (٥٥) نفس المصدر السابق، ص ٦٦.
- (٥٦) نفس المصدر السابق، ص ٦٨، نقلا عن أسيا البرتغالية، المجلد الثالث، ص ٢٨٢، ترجمة ستيفنسن لكتاب فرياي سومو.
- (٥٧) Sadunaha, *State Papers op. cit.*, p. 524 Miles: *op. cit.*, p. 212.
- (٥٨) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، ص ١١٥.
- (٥٩) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، مرجع سبق ذكره، ص ١١٦، ص ١١٧.
- (٦٠) London 1919, p. 150, Miles, Samuel: *The Countries and Tribes of the Persian Gulf*.
- (٦١) نفس المرجع السابق، ص ١١٨.

- (٦٠) كانت أهمية مسقط التجارية والاستراتيجية تتضاعف يوماً بعد يوم لكنها لم تكن قد اتخذت بعد عاصمة لعُمان
(٦١) د. جمال حمدان، شخصية مصر، الجهاد الثاني، القاهرة، ١٩٨١، ص. ٦٩٠، ص. ٦٩١.
(٦٢) Ingrams, H. *Arabia and the Isles*, London, 1960, p. 3 - 4.
(٦٣) د. جمال زكريا قاسم، الأسطول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، القاهرة، ١٩٧٥، ص. ٦١.
(٦٤) نفس المرجع السابق، ص. ٦٢.
(٦٥) للمصري، مروج الذهب، ج ٢، ص. ٢٩، ص. ٤٣.
(٦٦) بازل دافيدسون، أفريقيا تمت أضواء جديدة، ترجمة جمال حمدان، بيروت، ١٩٦٥، ص. ٢٦٤، ص. ٢٦٥.
(٦٧) حيث تشير بعض المصادر إلى أنه تولى الإمامة ١٦٤٩ وفي مصادر أخرى ١٦٥٠.
(٦٨) Krapf, Lewis: *Travels, Research and Missionary Labours during an Eighteen Years Residence in Eastern Africa*, London, 1860, p. 522.
(٦٩) د. عائشة السيار، دولة اليعاربة، مرجع سبق ذكره، ص. ٩٥.
(٧٠) د. جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، مرجع سبق ذكره، ص. ١٠٩.
(٧١) Hofer, M.F. *L'Univers, Histoire Et Description de tous les peuples Afrique Orientale et Centrale*, Paris, 1848, pp. 163 - 166.
(٧٢) د. عائشة السيار، مرجع سبق ذكره، ص. ٩٧.
(٧٣) د. جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ص. ١١٠.
(٧٤) عبدالرحمن بدوي، أفريقيا والثقافة العربية عند ١٤٨٠، مجلة نهضة أفريقيا، السنة الرابعة، أكتوبر ١٩٦٦ م.
(٧٥) د. جمال زكريا قاسم، الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ص. ١١٢.
(٧٦) Coupland, R. *East Africa and its Invaders from the Earliest times to the Death of Sayyid Said in 1856*, pp. 17 - 22.
(٧٧) بازل دافيدسون، مرجع سبق ذكره، ص. ٢٦٥.

●● الفصل الثالث :

- Lockhart, I. *Nadir Shah, A critical study based only upon contemporary Sources*, p. (١) 182, London, 1938.
(٢) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، ص. ٤٢.
(٣) ب.ج. سلوت، عرب الخليج، مرجع سبق ذكره، ص. ٢٩١.
(٤) د. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص. ١٢٩.
(٥) ب.ج. سلوت، عرب الخليج، ص. ١٩٢.
(٦) نفس المرجع السابق، ص. ٢٩٢.
(٧) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، ص. ١٤، صالح حفظل، مرجع سبق ذكره، ص. ١٧٦.
(٨) حميد بن محمد رزيق الفتح الميبي في سيرة السادة البوسعيديين، ص. ٣٤٨.
(٩) ب.ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص. ٢٩٥.
(١٠) يعمدنا ابن رزيق أن الحيلة التي دبرها سيف بن سلطان كادت أن تنتج لولا ما لقيه أحمد بن سعيد من تحذيرات ابن رزيق وقد اكتشف أحمد بن سعيد المؤامرة لذا فقد حرص على رد الجميل لابن رزيق وذريته من بعده.
(١١) سالم بن حمود السيابي، ج ٢، ص. ٤٨.
(١٢) د. جمال زكريا قاسم، مرجع سبق ذكره، ص. ١٤٢.
(١٣) فالح حفظل، الفصل في تاريخ الإمارات العربية، ج ١ ص ١٧٨ - ص ١٧٩.
(١٤) السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج ٢، ص. ١٤٨ - ص. ١٤٩.
(١٥) ب.ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص. ٢٢٧.
(١٦) مرحان بن سعيد الأركوني، تاريخ عُمان المقتضب من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق عبدالجيد القبيسي، ص. ١٥٥.
(١٧) د. محمود علي الداود، محاضرات في التطور السياسي لقضية عُمان، القاهرة ١٩٦٤، ص. ٢١ - ص. ٢٢.
(١٨) ابن رزيق، الفتح الميبي في سيرة السادة البوسعيديين، ص. ٣٢٠.
(١٩) دونالد هولي، عُمان ونهضتها الحديثة، ترجمة فؤاد حداد وعادل صلاح، بدون تاريخ، ص. ٤٤.
(٢٠) د. علاء الدين نورس، السياسة الإيرانية في الخليج العربي في عهد كريم خان ١٧٥٧ - ١٧٧٩، بغداد، ١٩٨٢، ص. ٥٦.
(٢١) ب.ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص. ٢٢٤.
(٢٢) نفس المرجع السابق، ص. ٢٢٤.
(٢٣) جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠ م، ج ١، ص. ٢١ - ص. ٢٢.
(٢٤) Marine Records: vol. 891, August 15, p. 178.
(٢٥) جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص. ٢٠٨.
(٢٦) وندل فيليبس، تاريخ عُمان، مترجم، (مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٩) ص. ٧٩.
(٢٧) المرجع السابق، ص. ٧٩، انظر أيضاً، جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عُمان وشرق إفريقيا ١٧٤١ - ١٨٦١ (القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٧).
(٢٨) صادق عبدواني، الدولة العمانية... نشأتها وإندهارها، حصاد ندوة الدراسات العمانية، مسقط سنة ١٩٨٠، ص. ٦٩.

- (٢٩) ونيل فيليس المرجع السابق، ص ٨٠.
- (٣٠) محمد مرسي عبدالله: أمارات الساحل وعُمان والدولة السعودية الأولى (١٧٩٣ - ١٨١٨)، ج ١، (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٨)، ص ٨٧.
- (٣١) لقد سمت فارس وخصوصاً في عهد نادر شاه إلى إنشاء أسطول بحري مميّز، انظر لذلك Lockhart L. The Navy of Nadir Shah, *Proceedings of the Iranian Society*, vol 1, London, 1936.
- (٣٢) جمال زكريا قاسم المرجع السابق، ص ١١٨.
- (٣٣) المرجع السابق، ص ١١٨.
- (٣٤) المرجع السابق، ص ١١٩.
- (٣٥) انظر مصطفى عقيل الخطيب: التنافس الدولي في الخليج العربي (١٦٢٢ - ١٧٦٢) بيروت: المكتبة المصرية، (١٩٨١)، ص ٢٧١. وكذلك George Curzon, *Persia and the Persian Question*, vol 1 London Longmans, Green and Co. 1892, p. 375.
- (٣٦) صادق عبدواني المرجع السابق، ص ٦٦.
- (٣٧) روبرت لاندن المرجع السابق، ص ٧١٠.
- (٣٨) ص ب مايلز الخليلج .. بلداته وقبائله (مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٦) ص ٢٢٧. انظر أيضاً: مصطفى عبدالقادر الجبار: التاريخ السياسي لشبكة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب، دراسة وثائقية (البصرة: منشورات جمعية الدفاع عن عروبة الخليج، ١٩٧٤) ص ٥٧-٥٨.
- (٣٩) سالم بن حمود السبيعي: عمان عبر التاريخ (مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٦) ص ١٥٤.
- (٤٠) مايلز المرجع السابق، ص ٧١.
- (٤١) بالإضافة إلى العلاقات التجارية التي تربط عمان بجزر موريشيوس فقد كانت هناك أيضاً علاقات ودية بين الحاكمين وكثيراً ما تبودلت الهدايا بينهما.
- (٤٢) مايلز المرجع السابق، ص ٢٢٦.
- (٤٣) تجدر الإشارة هنا إلى أن العلاقات الفرنسية العمانية مرت ببعض حالات الفتره خاصة عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨١م وعندما استولى القرصنة الفرنسيون على السفينة (الصالح) ذات الخمسين مدفعاً والتي كانت في رحلة تجارية من الهند إلى البصرة. وقد احتج الامام على هذا التصرف وطلب الفرنسيين بدفع تعويض ثلثة مئتي ألف روبية، ونتيجة للجهود التي بذلها روسو للتوصل الفرنسي في بغداد، فقد أرسلت فرنسا السفينة *thetig* لها إلى مسقط حيث قدمت كتعويض للامام عن السفينة الصالح ومعه خطاب اعتراف من الحكومة الفرنسية، انظر صادق عبدواني، المرجع السابق، ص ٧١.
- (٤٤) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص ١٨١، وما يسترعي الانتباه هنا أن الامام أحمد كان قد رفض عرضاً مماثلاً تقدم به الانجليز لإقامة وكالة تجارية لهم في مسقط في السنة ذاتها، مما يفسر لنا عمق العلاقات العمانية الفرنسية في تلك الفترة.
- (٤٥) كتب هذا المسؤول الفرنسي روزيلي حول هذه النقطة قائلاً: «إن أهالي مسقط فيما يظهر في يومين الفرنسيين ويكرهون الانجليز بسبب تسلطهم وكبريائهم». انظر: جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص ١٨١.
- (٤٦) صلاح العقاد: المرجع السابق، ص ٦١.
- (٤٧) يميز بعض المؤرخين تلك فرنسا في إقامة وكالة تجارية لها في مسقط إلى اهتمامها المنصب على طريق البحر الأحمر للوصول إلى مستعمراتها في المحيط الهندي. انظر: بدر الدين الخصومي: المرجع السابق، ص ٤٩.
- (٤٨) أوليفيه: رحلة أوليفيه إلى العراق (١٧٩٤ - ١٧٩٦)، ترجمة الدكتور يوسف جبي (مطبعة للمجمع العلمي العراقي ١٩٨٨)، ص ١٠٠.
- (٤٩) أوليفيه: المصدر نفسه، ص ٩٥ - ٦٠.
- (٥٠) د/ مصطفى أبوحكمة: تاريخ الكويت الحديث (١٧٥٠ - ١٩٦٥) (مطبعة ذات السلاسل، الكويت ط ١، ١٩٨٤) ص ٤٣ - ٤.
- (٥١) أوليفيه: المصدر السابق، ص ١٠٦، انظر أيضاً جون. ب. كيلي: بريطانيا والخليج (١٧٩٥ - ١٨٧٠)، ترجمة محمد أمين عبدالله (١٩٧٩)، ج ١، ص ٦٥، د/ عبدالأمر محمد أمين: القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر (مطبعة أسعد، بغداد ١٩٦٦) ص ١١ - ١٢.
- (٥٢) أمين: المصدر نفسه، ص ١٠.
- (٥٣) ج. ج. لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي (مطابع علي بن علي الدوحة، قطر د.ت)، ج ١، ص ٢٣٦.
- (٥٤) لوريمر: المصدر نفسه، ص ٢٠، ص ٦٥، انظر أيضاً س. ب. مايلز الخليلج بلداته وقبائله، ترجمة محمد أمين عبيد الله (امون للتجليد والطباعة، ط ٢، ١٩٨٦)، ص ٢٢٣.
- (٥٥) Abraham Parsons, *Travels in Asia and Africa* (London, 1808), p. 209.
- (٥٦) د/ جمال زكريا قاسم: الخليج العربي: دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي ١٥٠٧ - ١٨٤٠ (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥)، ص ١٤٩ - ٥٠.
- (٥٧) حميد بن محمد بن رزيق: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبدالنعم عارود/ محمد مرسي عبيد الله (القاهرة، ط ٢، ١٩٨٢)، ص ٣٦٥.
- (٥٨) فينيزنر: اللقب بالشيخ منصور، تاريخ السيد سعيد - سلطان عمان - ترجمة د/ محمود فاضل (الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٨)، ص ٨٤.
- (٥٩) نقلاً عن لوريمر: المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٥٦.
- (٦٠) فينيزنر: المصدر السابق، ص ٨٤ - ٥.
- (٦١) لوريمر: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٢٥٠.
- (٦٢) Parsons, *op. cit.*, p. 206.

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث

- (٦٣) انظر عن تطور صناعة السفن العمانية وروبرت جيران لانغن عمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصرياً، ترجمة محمد أمين عبدالله (١٩٧٠) ص ٥٧، سلطة عمان، وزارة الثقافة والإعلام، عمان وتاريخها البحري (انجلترا، ١٩٧٩) ص ٧٤
 حيث وردت ترجمة حرفية لرواية باروسنز. Parsons, op. cit. p. 207.
- (٦٤) مايلز المصدر السابق، ص ٢٢٢، انظر أيضاً 207 Parsons, op. cit. انظر أيضاً كيلي المصدر السابق، ص ٢٨
 (٦٥) د/ عبدالأمر محمد أمين الصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٧٧٨، ترجمة هاشم كاظم لارم، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة (مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٧)، ص ٢٢٢
- (٦٦) Parsons, op. cit. p. 207
 (٦٧) Parsons, op. cit. p. 208
- (٦٨) تاريخ السيد سعيد، سلطان عمان، ص ٧٩
- (٦٩) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر الدراسة الحديثة التي قدمها بيري في كتابه الموسوم (كريم خان الزند) John R. Perry, Karim Khan Zand: A History of Iran, 1747 - 1779 The University of Chicago Press, (1979), PP. 13 - 149.
- (٧٠) لوريير المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٥٩٧
- (٧١) Perry, op. cit. p. 279.
- (٧٢) الشيخ رسول الكركوكلي دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوارة، نقله عن التركية موسى كاظم نورس (دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت)، ص ١٤٩ - ١٥٠، أمين، القوى البحرية، ص ٦٤
- (٧٣) كاظم باقر علي البحرية الفارسية في الخليج العربي (١٨٤٨ - ١٩٠٧)، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة (مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٤) ص ٣٧
- (٧٤) أوليفيه المصدر السابق، ص ١٠٦
- (٧٥) د/ جمال زكريا قاسم الانعاعات الايرانية في الخليج العربي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد العشرون (١٩٧٣) ص ١٧٥.
- (٧٦) كيلي المصدر السابق، ج ١، ص ٦٩ - ٧٠
- (٧٧) كيلي المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٩.
- (٧٨) كيلي المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٩، ٢٥، ٧٠.
- (٧٩) لوريير المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٦٩، ٧٠.
- (٨٠) لاندن المصدر السابق، ص ٢٨.
- (٨١) د/ عبدالعزيز عبدالقني أبراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانية دراسة وثائقية (الرياض ١٩٨٢) ص ١١٤.
- (٨٢) لوريير المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٩٤
- (٨٣) مايلز المصدر السابق، ص ٢٢٦.
- (٨٤) Francis Warden, Historical sketch of the rise and progress of the government of Muscat 1694 - 1891 In selections from the records of Bombay Olearnd Press, England, 1982, p. 170.
- حيث سنشر إليها ملخصاً، انظر أيضاً لوريير المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٥٠، قاسم الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي، ص ١٥٠
- (٨٥) مؤلف مجهول كتاب تاريخ عمان، بشر ضمن الفصل الثامن من كتاب تاريخ عمان المغنيس من كتاب كشف الغمة للجامع لأخبار الأمة، تأليف سرحان بن سعيد الأزكوي، حققه عبدالجيد حسيب القيسي (مطابع سجل العرب، ١٩٨٠) ص ١٥٨.
- (٨٦) Warden, B.G.S.R. op. cit, p. 170.
- (٨٧) لوريير المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٥، ج ٢، ص ٦٥٠، ج ٥، ص ٢٤١٩.
- (٨٨) قاسم الخليج العربي، ص ١٤٦، انظر أيضاً: فاضل محمد عبدالمسيح جابر: عمان في عهد أحمد بن سعيد (١٧٤٩ - ١٧٨٢)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد (١٩٨٨) ص ١٢٠.
- (٨٩) B.G.S.R. op. cit, Historical sketch of the Joasseem Arab Tribes of Oman, vol. xxiv, p. 301.
- أيضاً أبراهيم المصدر السابق، ص ١١٤
- (٩٠) جابر: المصدر السابق، ص ١٢٩، انظر أيضاً: مصطفى عبدالقادر النجار التاريخ السياسي لامارة عربستان (١٨٩٧ - ١٩٢٥) (دار المعارف بمصر، ١٩٧١) ص ٤٥.
- (٩١) النجار المصدر نفسه، ص ٤٥.
- (٩٢) دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ٥، ص ٢٤١٩ - ٢٠.
- (٩٣) قاسم الخليج العربي، ص ١٥١.
- (٩٤) B.G.S.R., op. cit, Historical Sketch of Muscat, vol. xxiv, p. 170. انظر أيضاً لوريير المصدر نفسه، ص ٢٤١ - ٢٤٠، ج ١، ص ٢٤١.
- (٩٥) Perry, op. cit. p. 271.
- (٩٦) نقلاً عن ستيفن هيمسي لوتكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله إلى العربية جعفر خطاط (دار الكشف، بيروت ١٩٤٩) ص ١٧٧.
- (٩٧) Perry, op. cit. p. 192.
- (٩٨) رحلة أوليفيه إلى العراق، ص ١٠٤.
- (٩٩) أوليفيه المصدر نفسه.
- (١٠٠) لوريير المصدر السابق، ج ٤، ص ١٨٤٥، ج ٥، ص ٢٦٢٩، أمين القوى البحرية، ص ٦٢ نقلاً عن: Letters From Bussora Gombroon, etc., vol. 17, May 1, 1774.

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث

- (١٠١) لوريمر - المصدر السابق، ج ٤، ص ١٨٤، وعلاوة على ما ذكرناه استناداً إلى المصادر الفارسية فقد رفض الباشا (والى بغداد) أيضاً السماح للجيش الزندي باجتياز بلاده من أجل أن يسير على الشواطئ العربية مساندة لحملة زكي خان البحرية ضد عمان، على الرغم من أن مثل هذه الحملة لم يكن من المتوقع قيامها، لهذا السبب وغيره - كما يقول بيري - فقد أراد كريم خان أن يتحرك ضد البصرة، perry, op. cit, p. 172.
- (١٠٢) أمين القوى البحرية، ص ١٦٢، p. 172, perry, op. cit,
- (١٠٣) Ibid, p. 159.
- (١٠٤) Ibid.
- (١٠٥) حول استعدادات متسلم البصرة يلاحظ كتاب الكرككلي، المصدر السابق ص ١٥٢، وأوليفي المصدر السابق، ص ١٠٦.
- (١٠٦) أوليفي المصدر نفسه.
- (١٠٧) حول رسالة والي بغداد إلى متسلم البصرة، انظر عثمان بن سند البصري، مطالع السعود بطيب أخبار والي بغداد، اختصره الشيخ أمين بن محمد الطولاني المدني بعنوان خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق ١١٨٨ - ١٢٤٢هـ (الطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٧، ص ١٠).
- (١٠٨) أمين القوى البحرية، ص ٧٠.
- (١٠٩) لوتريك المصدر السابق، ص ١٧٩، مابيز المصدر السابق، ص ٢٢٧.
- (١١٠) مابيز - المصدر نفسه، سلطنة عمان، وزارة الثقافة والأعلام، عمان وتاريخها البحري، ص ٧٤، صالح محمد العابد، البصرة في سنوات الحقبة ١٧٧٥ - ١٧٩٩، المصدر، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث (١٩٨٥)، ص ٤٥.
- (١١١) صالح مختار المصدر في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة (دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، دت) ص ١٠٩، ص ٢٢٩، د. عبدالعزيز سليمان فواز، فاود باشا (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧)، ص ٢٢٣.
- (١١٢) مؤلف مجهول كتاب تاريخ عمان، ص ١٥٨، G.p. Badger، جابر: المصدر السابق، ص ١٢٠.
- (١١٣) مؤلف مجهول المصدر السابق، ص ١٥٩.
- (١١٤) المصدر نفسه، ص ١٥٩.
- (١١٥) Parsons, op. cit, p. 206.
- (١١٦) Ibid.
- (١١٧) الفتح المبين، ص ٣٧.
- (١١٨) تشير كثير من المصادر، دون تجميع، إلى أن الامام أحمد بن سعيد قد قاد الاسطول العماني بنفسه، إلا أن المصادر المعاصرة الأصلية تؤكد بأن قيادة هذا الاسطول كانت لمجاهد بن سعيد وليس للإمام أحمد، المؤلف المجهول المصدر السابق، ص ١٥٩.
- (١١٩) أمين القوى البحرية، حاشية ٣٥، ص ٨٥، perry, op. cit, p. 180.
- (١٢٠) ابن رزيق المصدر السابق، ص ٢٧٠.
- (١٢١) للاطلاع على مزيد من التفصيلات حول هذا الموضوع راجع: perry, op. cit, p. 181.
- (١٢٢) Badger, op. cit, p. 170؛ أنظر أيضاً مؤلف مجهول المصدر السابق، ص ١٥٩.
- (١٢٣) أمين القوى البحرية، ص ٧٢، مختار المصدر السابق، ص ١٠٩، ص ٢٣١.
- (١٢٤) غيلز نزو المصدر السابق، ص ٦٨، ابن رزيق المصدر السابق، ص ٢٧٠، ص ٤٢٨.
- (١٢٥) لوريمر المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٥٢.
- (١٢٦) عمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصحراً، ص ٥٤.
- (١٢٧) دليل الخليج، ج ٢، ص ٦٥٢.
- (١٢٨) نور الدين السالمي تنمية الأعيان، ج ٢، ص ١٧٣.
- (١٢٩) سالم السبياني عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ١٤.
- (١٣٠) ما ورد عن إمامة سعيد بن أحمد وعن السيد سلطان بن أحمد من أبعاد الدكتور رجب محمد عبدالحليم.
- (١٣١) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٢١ - ٢٢٢.
- (١٣٢) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٢٥ - ٢٢٥.
- (١٣٣) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٤١.
- (١٣٤) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٤٢ - ٢٥٢.
- (١٣٥) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٥٧ - ٢٦٧.
- (١٣٦) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٦٩.
- (١٣٧) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٩١.
- (١٣٨) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٩١.
- (١٣٩) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٦٨.
- (١٤٠) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٦٨.
- (١٤١) صلاح العقاد دور سلطان بن أحمد البوسعيدي في تاريخ عمان الحديث، بحث ضمن كتاب فعاليات ومناشط المنتدى الأدبي لعام ١٩٩٠/٨٩، مسقط، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.
- (١٤٢) سالم بن حمود السبياني نفس المرجع، ج ٤، ص ٢٩٤، ٣٠٢، ٣٠٢ - ٣٠٢.
- (١٤٣) صلاح العقاد نفس المرجع، ص ٢٨٠ - ٢٨٢.
- (١٤٤) المرجع السابق، ص ٢٨٢ - ٢٨٤.
- (١٤٥) سالم بن حمود السبياني نفس المرجع، ج ٤، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.
- (١٤٦) Ian Skeet, Muscat and Oman, London, 1974, p. 40.
- (١٤٧) Ibid., pp. 40 - 1.
- (١٤٨) يعود الفضل في تأسيس هذه القاعدة الخطيرة إلى لابوردونيه La Bourdonais (١١١١ - ١١٦٧هـ / ١٦٩٩ -

- ١٧٥٢م) الذي عين حاكماً عليها في ١٧٣٥م، فقد نجح خلال فترة حكمه لها (١٠ سنوات) في أن يخلق منها قاعدة استعمارية مزدهرة، إذ نظم الأهلية الاستراتيجية للجزيرة وطور ميناءها الطبيعي الممتاز، وأنشأ فيها صناعة السفن، وركز جهده لتقويتها بكل السبل إضافة إلى إنشاء عاصمة جديدة، وهي بورت لويس، واستطاع أن يوجه صرة قاسية للبريطانيين في الهند خلال حرب الوراثة النمساوية (١١٥٣هـ - ١١٦١هـ / ١٧٤١ - ١٧٤٨م) لتفصيلات أكثر انظر G.A. Ballard, *Rulers of the India Ocean* (London, 1927), pp. 248 - 259.
- وكانت هذه الجزيرة تحتل أهمية عظيمة في نظر فرنسها واعتبرها الفرنسيون مفتاح المحيط الهندي وكانت هذه الجزيرة تحتل أهمية عظيمة في نظر فرنسها واعتبرها الفرنسيون مفتاح المحيط الهندي (Herbert Richmond, *The Navy in India, 1763 - 1783* (London 1931), p. 122.
- (١٤٩) الأهداف الأخرى مراقبة التطورات في الهند، وتحرير الأماة الهنود ضد الوجود البريطاني، واتخاذها قاعدة لتحديد القوات والأسلحة فيها لغزو الهند في ظروف مناسبة
- S P. Sen; *The French in India, 1763 - 1810* (New Delhi, 2nd ed 1971) p. 533; G.S. Graham, (١٥٠) *Tides of Empire* (Montreal 1972), p. 59.
- Coupland, *East Africa and its Invaders* (Oxford, 1961), p. 84. (١٥١)
- Zeki Saleh, *Mesopotamia 1600 to 1914* (Baghdad 1957) P. 51. (١٥٢)
- البريطانيات privateers هي السفن المخوفة من قبل الحكومات بمهاجمة سفن العدو والاستيلاء عليها بأسلوب قراصني، وهذا هو الأسلوب الذي فضله واتباعه فرنسا في صراعها البحري في المحيط الهندي ضد بريطانيا المتفوقة بحرية، وقد كلفت فرنسا غاراتها البحرية خلال حروب الثورة الفرنسية، وتمكنت من إيقاع خسائر جسيمة للبريطانيين، ففي الفترة (١٧٧٢ - ١٧٩٧م) أسر الفرنسيون ٢٢٦٦ سفينة بريطانية من مختلف الأبحام انظر G.B. Malleson; *Final French struggle in India and on the Indian Seas* (London 1878), p. 813.
- (١٥٤) في السنوات الثلاث التالية أسروا ١٢٠٠ سفينة أخرى
- C.C. Lioed; *Armed Forces and the Art of War Navies, The New Cambridge Modern History*. (Cambridge. 1965) vol. ix, p. 76.
- وكجاءه مضاد أصدرت الحكومة البريطانية مرسوماً في ١٧٩٨، أصبحت فيه الرفقة المسلحة لكل السفن أمراً إلزامياً. وبنت أساطيل للدعم في المناطق الخطرة كما زادت من حجم قوتها البحرية فارتفع عدد البصارة البريطانيين من ٢٤٠٠٠ بحار سنة ١٧٩٢ إلى ١٢٠٠٠٠ بحار في سنة ١٧٩٧. (Ibid, pp. 78 - 84).
- أكثر من عمليات البريطانيين الفرنسية ينظر
- G.B. Malleson, *Final French Struggle in India and on the Indian Seas* (London 1878) pp. 79 - 157. Coupland, p. 85; Saleh, p. 51. S.B. Miles, *Countries and Tribes of the Gulf*, London, 2nd imp., 1966) p. 268
- ويخطي مايلز وسكيت بتحديدهما تاريخ هذه الحادثة بسنة ١٧٩٤.
- Miles, pp. 269 - 70; Saleh, p. 51. (١٥٥)
- Miles, pp. 274 - 5. (١٥٦)
- Saleh, p. 52. (١٥٧)
- ibid, pp. 52 - 3. (١٥٨)
- Miles, p. 270; Coupland, p. 84. (١٥٩)
- (١٦٠) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي (القاهرة، دون تاريخ) ص ٤٤
- Skeet, p. 41. (١٦١)
- Miles, p. 277; Coupland, p. 85; Saleh, p. 53. (١٦٢)
- Miles, pp. 277 - 8; Coupland, p. 85. (١٦٣)
- Coupland, p. 85. (١٦٤)
- Miles, p. 278 Saleh, *op. cit.*, p. 53. (١٦٥)
- H. Prentout; *Île de France sous Caen, 1803 - 1810* (Paris 1901), 332; Coupland p. 86. (١٦٦)
- Miles, p. 282. (١٦٧)
- William Feankline; *Observations made on a tour from Bengal to Persia in the years 1780 - 1788* (London, 1790), p. 37. (١٦٨)
- J. Kelly, *Britain the Gulf 1795 - 1880*. (Oxford 1968) p. 65. (١٦٩)
- Miles, p. 278; Coupland, p. 86. (١٧٠)
- Prentout, p. 325. (١٧١)
- ibid, p. 332; Coupland, p. 87. (١٧٢)
- (١٧٣) العقاد التيارات السياسية، ص ٦٤
- Skeet, p. 41. (١٧٤)
- Coupland, pp. 87 - 8. (١٧٥)
- (١٧٦) العقاد، التيارات السياسية، ص ٦٦.
- (١٧٧) يعال د. العقاد تأخر بوشامب إلى أن تعليماته كانت تقتضي طوافه أولاً بالبائع الأسود والشام ومصر ودراسة الطرق المؤدية إلى الهند، كما أن بوشامب وجد مروراً قويا في النهاية للاعتذار عن أداء مهمته في مسقط بسبب الشعور المعادي لفرنسا الذي ساد العالم الإسلامي في إثر الحملة الفرنسية على مصر، المصدر السابق ص ٦٦.
- Coupland, p. 89. (١٧٨)
- Skeet, p. 42. (١٧٩)
- (١٨٠) للتفاصيل انظر للمؤلف، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي، ص ٢٨٢ - ٢٨٤
- Kelly, p. 65. (220) coupland, p. 90. (١٨١)
- ibid., from Broker at Muscat to Duncan, Dec. 27, 1797. (١٨٢)

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث

(١٨٣) د. صالح محمد العابد موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي (١٧٩٨ - ١٨١٠) بغداد ١٩٧٩، ص ١٢٦ - ٧٩

(١٨٤) د/ صلاح العقاد التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ١١٦.

(١٨٥) نفس المرجع، ص ١٢٩

(١٨٦) دار المحفوظات التاريخية محافظ الحجاز رقم ٢٦٩ وثيقة ٣٨ بتاريخ ١١ ذوالقعدة ١٢٥٥ هـ

(١٨٧) د/ سميان بطرس العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين، ج ١، ص ٢٧٦

(١٨٨) د/ جلال يحيى المغرب الكبير، العصور الحديثة، ص ٧٤.

(١٨٩) لوريمر دافيل الخليج، القسم التاريخي، ج ٢، ص ٢٢٨.

(١٩٠) د/ ريتشارد ستيفنس - استعراض لبداية العلاقات الأمريكية الخليجية والتفصيلية مع سلطنة عمان و مسقط (١٨٢٣ - ١٨٥٦ م)، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ص ١٢٢.

(١٩١) نفس المصدر، ص ١٢٥.

(١٩٢) نفس المصدر، ص ١٢٦.

(١٩٣) دونالد هولي عمان وبهضتها الحديثة، ص ١٨٧.

(١٩٤) د/ ريتشارد ستيفنس المرجع السابق، ص ١٢٠.

(١٩٥) نفس المصدر، ص ١٢٢.

(١٩٦) دونالد هولي المرجع السابق، ص ١٨٨.

(١٩٧) نفس المصدر، ص ١٨٩.

(١٩٨) Memorandum prepared in the Department of State (secret) Washington, March 15, 1946, Current U.S. Policy toward the Arab principalities of the Persian Gulf and the Gulf of Oman.

(١٩٩) روبرت جيمز لانسن عمان منذ عام ١٨٥٦ مسبقاً ومصيراً ترجمة محمد أمين عبدالله، بيروت ١٩٧٠، ص ٥٤.

(٢٠٠) رودولف سعيد روث سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦)، ترجمة هبة المجيد حسيب القيسي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٢٨، ص ٤٢ - ٤٤.

(٢٠١) ل. هولنجرورث - مرجع سبق ذكره، ص ٥.

(٢٠٢) Zoe Marsh & G. W. Kingsourth - An Introduction to the History of East Africa, Cambridge, (٢٠٢) The University Press 1965. p. 25

(٢٠٣) د. صلاح العقاد - د. جمال قاسم - زنجبار، ص ٦٠.

(٢٠٤) Zoe Marsh & G. W. Kingsourth. op. cit. p. 25.

(٢٠٥) د. جمال زكريا قاسم - دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا (١٧٤١ - ١٨٦١) ص ٢٠٨.

(٢٠٦) Coupland, R. East Africa And Its Invaders (From The Earliest Times To The Death Of Sayy-id Said In 1856) p. 295.

(٢٠٧) جمال زكريا قاسم - مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٨.

(٢٠٨) Zoe Marsh & G. W. Kingsourth op. cit. p. 25.

(٢٠٩) Coupland, R. op. cit. p. 6.

(٢١٠) د. جمال زكريا قاسم - مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٦.

(٢١١) F.B. Pearce - Zanzibar. p. 215.

(٢١٢) Coupland, op. cit. p. 297.

(٢١٣) F.B. Pearce - Zanzibar. p. 215.

(٢١٤) Zoe Marsh & G. W. Kingsourth op. cit. p. 26.

(٢١٥) د. صلاح العقاد ود. جمال زكريا قاسم - زنجبار، ص ٢٤.

(٢١٦) د. صلاح العقاد ود. جمال زكريا قاسم - زنجبار، ص ٧٦ - ٧٧.

(٢١٧) فولنجرورث - مرجع سبق ذكره، ص ٦.

(٢١٨) د. صلاح العقاد ود. جمال زكريا قاسم - زنجبار، ص ٧٧.

(٢١٩) د. السيد رجب حراز - بريطانيا وشرق إفريقيا من الاستعمار الى الاستقلال معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١، ص ٢٢.

(٢٢٠) د. صلاح العقاد ود. جمال زكريا قاسم - زنجبار، ص ٧٧ - ٧٨.

(٢٢١) R. Burton. Zanzibar, City, Island And Coast vol. 2. p. 151

(٢٢٢) د. صلاح العقاد ود. جمال زكريا قاسم - زنجبار، ص ١٢٠.

(٢٢٣) د. السيد رجب حراز - مرجع سبق ذكره، ص ٢٢.

(٢٢٤) فولنجرورث - مرجع سبق ذكره، ص ٧. ود. صلاح العقاد ود. جمال زكريا قاسم - المصدر السابق، ص ٧٩. انظر كذلك د. السيد رجب حراز - مرجع سبق ذكره، ص ٢٢.

(٢٢٥) جمال زكريا قاسم - مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٤.

(٢٢٦) I.O.L. Political & Secret Dep. B. 2. Confidential, Zanzibar, Muscat and Persia. Memo by political secretary J.W. Kaye. July 1st. 1968. p.3.

(٢٢٧) جمال زكريا قاسم - مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢٢٨) Burton. Zanzibar, City, & Coast Vol. 1. p. 307 - 308.

(٢٢٩) Robert Nunez Lyne : Zanzibar In Contemporary Times, London, 1950. p. 44 - 50.

(٢٣٠) هلم ل. هولنجرورث - زنجبار، ص ١٢.

- (٢٢١) د. صلاح العقاد، ود. جمال زكريا قاسم - مرجع سبق ذكره، ص ١٢١ .
 Russel (Mrs. Charles, E.B.) General Rigby, Zanzibar and the Slave Trade, p.p. 159 - 160. (٢٢٢)
 (٢٢٣) د. جمال زكريا قاسم - مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .
 I.O.L. Political & Secret Dep. B. 8. Memo on the Turkish Claim to Sovereignty over the Eastern shores of the Red Sea and the whole of Arabia, and on the Egyptian Claim to the whole of the Western Shores of the same sea, including the African Coast from Suez to Cape Guardafui, printed for the use of the F.O. - Hertzlet, March 10, 1874.
 I.O.L. Political & Secret Dep. B. 2. Confidential memorandum by Eastwick, (٢٢٤) July 15. 1968. p. 1.
 Aitchison, *op. cit.* vol. xi. p. 225. (٢٢٥)
 I.O.L.B. 2. Memo, on Muscat and Zanzibar Affairs, H.B. Freyer, July 20, 1868, p.1. (٢٢٦)
 Aitchison, *op. cit.* vol xi. p. 225 (٢٢٧)
 I.O.L.B. 2. Memorandum by Captain W.M.S. Eastwick, July 15 1968.p.6. (٢٢٨)
 Aitchison, *op. cit.* vol xi. p. 75. (٢٢٩)
 (٢٣٠) د. صلاح العقاد، ود. جمال زكريا، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٠ .
 I.O.L. Political & Secret Dep. B. 2. Confidential. memo. Zanzibar, Arabia and the Persian Gulf. T. Princep. I.O. July 15, 1868. p.4. (٢٣١)
 Lyne, *op. cit.* p. 45. (٢٣٢)
 I.O.L. Political & Secret Dep. B.2. Confidential Zanzibar, Muscat and Persia. (٢٣٣) memo. By Political & Secret Dep. J.W. Kaye. July 1st 1868. p. 4.
 I.O.L. Political & Secret Dep. B.2. Confidential. Memo Zanzibar, Arbia and the Persian Gulf H.T. Princep, 1868 p.45. (٢٣٤)
 I.O.L. Political & Persia. memo. By Political Secretary, J.W. Kaye. July 1st. (٢٣٥) 1868. p.3.
 I.O.L. Political & Secret Dep. B.2. Confidential Memo. Zanzibar, Arabia and the Persian Gulf. H.T. Princep, I.O. July, 15, 1868. pp. 4-5. (٢٣٦)
 I.O.L. Political & Secret Dep. B.2. Confidential. Memo. Zanzibar, Arabia and the Persian Gulf. H.T. Princep, I.O. July 15, 1868. pp. 1-2. (٢٣٧)
 I.O.L. Political & Secret Dep. B.14. Memorandum. M.O.L. Zanzibar Agency and Consulate Expenses, A.W.M. August 17, 1867. (٢٣٨)
 (٢٣٩) د. صلاح العقاد، ود. جمال زكريا قاسم - مرجع سبق ذكره، ص ١٦١
 (٢٤٠) المصدر السابق، ص ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤
 D. Arky Exploration Company (٢٤١)
 J.E. Peterson, *Oman in the Twentieth Century*, Croom Helm, Kent, 1984, p. 53. (٢٤٢)
 (٢٤٣) سني محمد علي عبدالجبار العثاني: العثمانيون في شرق إفريقيا، مجلة التوثيق الاعلامي، المجلد السابع، مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٢٠ .
 (٢٤٤) د/ جاد محمد طه: العلاقات العربية الافريقية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٣٧ .
 (٢٤٥) هذه الجمعيات هي: ١- الجمعية العربية. تأسست عام ١٩٢٥ وتمثل المصالح العربية. ب- الجمعية الشيرازية. تأسست عام ١٩٢٠م لتعثيل السواحليين الذين يسمون انفسهم بالشيرازيين ج - الجمعية الافريقية. تأسست عام ١٩٢٩ لتعثيل الافارقة في ساحل افريقيا الشرقي، وهم من الوشيين والسيحيين. د- الجمعية القمرية. وأعضاؤها من جزر القمر. هـ- الجمعية الوطنية الهندية. تأسست عام ١٩٢٤م وتضم الجالية الهندية في زنجبار. و- جبهة تحرير زنجبار. انظر: زنجبار عبر التاريخ (بدون تاريخ) ص ١٢ - ١٥ .
 (٢٤٦) المرجع السابق، ص ٢٢
 (٢٤٧) المرجع السابق، ص ٢٤
 A. History of Africa 1918 - 1967, Moscow, 1968, p. 371. (٢٤٨)
 (٢٤٩) جبهة تحرير زنجبار، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠ - ٣١ .
 A History of Africa, *op. cit.* (٢٥٠)
 (٢٥١) جبهة تحرير زنجبار، المرجع السابق، ص ٢٣ - ٢٤ .
 (٢٥٢) د/ عبدالمكك عويط. الحزب الواحد والتطبيق الاشتراكي في تنزانيا، السياسة الدولية، العدد الثالث القاهرة، ١٩٦٧ .

●● الفصل الرابع :

- (١) جمال زكريا قاسم - تاريخ العرب في افريقيا سبيل للتقارب ام للتباعد، ضمن كتاب العرب في افريقيا (الجزء التاريخي والواقع المعاصر) القاهرة ١٩٨٧، ص ٢٤، ٢٥ .
 R. Coupland, *The Exploitation of East Africa 1856 - 1890*. (London, 1939). p.4 (٢)

- (٣) سعيد بن علي المغربي - جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبدالله عامر ١٩٧٩، ص ١٣٩ - ١٦٥.
- عبدالله بن صالح الفارسي - اليوسفيون حكام زنجبار، ترجمة محمد أمين عبدالله، ص ١٦٤، ١٦٥.
- (٤) إبراهيم الزين صافرون .. "F.B. Pearce "Zanzibar: The Island Metropolis of Eastern Africa." (London, 1920) p. 119 - 120. "The Omani and South Arabian Muslim Factor in East Africa" (Riyadh, 1405H - 1984). p. 23 - 25.
- (٥) سعيد بن حامد حريز، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢١، ٢٢.
- (٦) المغربي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥ - ١٥٠، ص ١٨٠ - ١٨٤.
- (٧) المغربي، المصدر السابق، ص ٢١١ - ٢١٢.
- (٨) الفارسي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣.
- (٩) المغربي، المصدر السابق، ص ١٧٤ - ١٨٠.
- (١٠) الفارسي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣.
- (١١) الفارسي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣.
- (١٢) المغربي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٤.
- (١٣) الفارسي، المصدر السابق، ص ٧٥.
- B.G. Martin Notes on Some Members of the Learned Classes of Zanzibar and East Africa in the Nineteenth Century" *The International Journal of Africa Historical Studies*, Vol. IV, Part 3, (1971) p. 525 - 545.
- J.M. Gray "The Hadimu and Tumbatu of Zanzibar", *Tanzanian Records*, Nos, 18 and 82, (١٩٤١) 1977, pp. 135, 137 and 139.
- (١٥) الفارسي، المصدر السابق، ص ٥٦ - ٦١.
- (١٦) السيدة سالة بنت سعيد بن سلطان. مذكرات اميرة عربية، ترجمة عبدالمجيد القبيسي، سلطنة عمان، ١٩٨٣، ص ٦٠.
- (١٧) د. جمال زكريا قاسم، دولة اليوسفيين، ص ٢١١.
- (١٨) الفارسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤ - ١٢٥.
- (١٩) المغربي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٨ - ١٢٦.
- (٢٠) المغربي، المصدر السابق، ص ١٥٩.
- (٢١) الفارسي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠.
- (٢٢) المغربي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥.
- (٢٣) القاسمي، مرجع سبق ذكره، ص ٥٩.
- R.F. Burton *The Lake Regions of Central Africa*, (London, 1860), vol. II, p. 194 - 195.
- R. Coupland, *East Africa and its Invaders*, Oxford, 1938, (٢٤).
- R. Coupland, *The Exploitation of East Africa*, (London, 1939).
- J.S. Trimmingham, *Islam in East Africa*, (Oxford, 1964).
- R. Coupland, *East Africa and its Invaders*, pp. 302 - 303 (٢٥).
- (٢٦) د. جمال زكريا قاسم، دولة اليوسفيين في عمان وشرق إفريقيا، ١٧٤١ - ١٨٦١.
- R. Coupland, *East Africa and its Invaders*, p. 304 (٢٧).
- (٢٨) د. جمال زكريا قاسم، دولة اليوسفيين في عمان وشرق إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٤.
- (٢٩) نفس المرجع السابق، ص ٢١٥.
- (٣٠) سيد حامد حريز، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.
- (٣١) محيي الدين محمد مصيلحي، النشاط التجاري في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر حتى بداية السيطرة الأوروبية على المنطقة، ص ١٧٩ - ١٨٢.
- W. Beachey, "East Africa Ivory Trade in the 19th Century," *Journal of African History*, vol 8,2, (1967).
- (٣٣) المغربي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٧ - ٢٢٠.
- (٣٤) نفس المصدر، السابق، ص ١٥٩، ص ١٦٠.
- H.M. Stanley, *Through the Dark Continent*, (London, 1878) Vol. II, p. 362. (٣٥)
- (٣٦) المغربي، المصدر السابق، ص ٢٢٣.
- (٣٧) محيي الدين مصيلحي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٤.
- (٣٨) نفس المرجع السابق، ص ١٩٧ - ١٩٨.
- The Omani and South Arabian Muslim Factor in East Africa*, pp. 133 - 153. (٣٩)
- (٣٩) المغربي، المصدر السابق، ص ٦٣.
- (٤٠) مدثر عبدالرحيم، الاسلام والتجانس الاجتماعي في إفريقيا، المركز الاسلامي الافريقي، الخرطوم ١٩٨٥ العدد الاول ص ١٦.
- (٤١) إبراهيم الزين صافرون، كتاب صادر عن دار النشر بجامعة الخرطوم (١٩٨١م).
- The Sudanese Muslim Factor in Uganda*.
- (٤٢) حريز، المرجع السابق، ص ٢٧.
- (٤٣) المغربي، المصدر السابق، ص ١٩٩.

- (٤٤) المغربي، ن.م.، ص ٧٨، انظر أيضا B.G. Mastin, *op. cit.* p. 572.
- (٤٥) انظر: J.M. Gray, *op. cit.* p. 135 - 137.
- (٤٦) الفارسي، المصدر السابق، ص ٥٦ - ٥٨ .. المغربي، المصدر السابق، ص ١٦٧، حريز، المصدر السابق، ص ٢٧.
- (٤٧) حريز ن.م.، ص ٢٩. B.G. Martin, *op. cit.* p. 526.
- (٤٨) الفارسي، المصدر السابق، ص ٦٢ - ٩٩. B.G. Martin, *op. cit.* p. 525 - 545.
- (٤٩) محمد حسن الميبروس، السلطان سعيد والملقات العربية الأفريقية، المؤرخ العربي، العدد ٢٧، ١٩٨٨، ص ٢٦.
- (٥٠) انعامي صغيرون، 191 - 190، 147، 145. The Omani and South Arabian Muslim Factor in East Africa, p. 145.
- (٥١) حريز، المرجع السابق، ص ٥٢.
- (٥٢) سالة بنت سعيد، المصدر السابق، ص ١٢٧ - ١٢٧، ٢٢٢.
- (٥٣) كوليت ميزون، (هجرات الحرث الى اواسط القارة الافريقية) وزارة التراث القومي والثقافة، العدد ٦١ نوفمبر ١٩٨٤، ص ٦.
- (٥٤) نفس المرجع، ص ٦ - ٧.
- (٥٥) ن.م.، ص ٧.
- (٥٦) كوليت ميزون، المرجع السابق، ص ١١.
- (٥٧) مدثر عبدالرحيم، المرجع السابق، ص ١٨ - ١٩.
- (٥٨) محمد الحداد، حقائق عن العرب والاسلام في افريقيا الشرقية، ١٩٧٢، ص ١٢٢ - ١٢٤.
- (٥٩) John Gray "Emin Diaries," Ext. 1, *Uganda Journal*, vol. 25 No. 1, (1961), entry for August 11, (1876), p. 10.
- (٦٠) Apolo Kagwa, "How Religion Came to Uganda," Mengo Notes, Vol 3, No. 5, (1٠) (May, 1902).
- (٦١) الزين صغيرون، لحات تاريخية عن انتشار الاسلام في اوغندا، ص ٢٢.
- (٦٢) ن.م.، ص ٢٣.
- (٦٣) F.O. 403/108 Emin Pasha to Colonel Euan Smith, Wadelai, August 20, 1887.
- (٦٤) F.O. 403/97 Acting Consul - General Holmwood to the Marquis of Salisbury Zanzibar, January 8, 1887.
- (٦٥) See also F.O. 403/127 Report by Mr. H.H. Johnston, Her Majesty's Consul on the Nyassa - Tanganyika Expedition 1889 - 90, Note With Reference to the Arabs in Central Africa, p. 34 - 39.
- (٦٥) المغربي، المصدر السابق، ص ١٥٩.
- (٦٦) مرقص، المرجع السابق، ص ٢٢٨.
- (٦٧) كوليت ميزون، المرجع السابق، ص ٨.
- (٦٨) المغربي، المصدر السابق ص ١٦٦ و ١٧٤، الفارسي، المصدر السابق، ص ٧٣.
- (٦٩) الفارسي، ن.م.، ص ٧٢ - ٨٠.
- (٧٠) B.G. Martio, *op. cit.* p. 526 - 527.
- (٧١) The Swahili - Speaking Peoples of Kenya's Coast, 1895 - 1965, (Nairobi, 1973), p. 159 - 168.
- (٧٢) الفارسي، المصدر السابق، ص ٧٥ - ٧٦. المغربي، المصدر السابق ص ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ - ١٢٣.
- (٧٣) B.G. Martin, *op. cit.* p. 535. انظر: (٧٤) الفارسي، ن.م.، ص ٧٢ - ٧٤، الزين صغيرون، المرجع السابق، ص ١٧ - ١٨.
- (٧٥) الفارسي، المصدر السابق، ص ٧٧ - ٧٩.
- (٧٦) انظر: B.G. Martin, *op. cit.* p. 538 - 539.
- (٧٧) الفارسي، ن.م.، ص ٧٢ - ٨٠.
- (٧٨) الزين صغيرون .. ن.م.، ص ١٦ - ٢٤.
- (٧٩) حريز، المرجع السابق، ص ٥٧ - ٥٨.
- (٨٠) الزين صغيرون، التراث العربي الاسلامي في شرق افريقية، دراسة اولية لمخطوط تاريخ الزراعة في افريقية الشرقية، تأليف الشيخ الامين بن علي المزروعى، مجلة عالم الكتب، المجلد السادس، العدد الثاني، الرياض، ١٩٨٥، ص ١٩٠ - ٢١٨ والمخطوط ٥.
- (٨١) المغربي، المصدر السابق، ص ٣٠ - ٣٠٧. الفارسي، المصدر السابق، ص ٩٧ - ٩٨.
- (٨٢) حريز، المصدر السابق، ص ٥٨.
- (٨٣) B.G. Martin, *op. cit.* p. 535.
- (٨٤) المغربي، المصدر السابق، ص ٢٣٣.
- (٨٥) احمد الفلاحي، التأليف والنشر في عمان مجلة عالم الكتب، المجلد الثالث، العدد الرابع، الرياض ١٩٨٢م.
- (٨٦) احمد عيشة سالم، 159 - 168, p. 159. The Swahili - Speaking Peoples of Kenya's Coast, 1895 - 1965.
- (٨٧) ومن المصادر والمراجع الأوروبية التي علفت على هذه الظاهرة:

- 1 - Col. C. Chaille *Central Africa*, (London, 1876), p. 106.
- 2 - J.M. Gray *The Diaries of Emin Pasha - extract II, Uganda Journal*, Vol. 25, No.

2, 159. (1960 - 1961).

(٨٨) حريز ، المرجع السابق، ص ٨٨ - ٨٩.

(٨٩) حريز - بحث الثقافة السواحلية أصولها ومقوماتها وتطورها ضمن كتاب العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الإفريقية تونس ١٩٨٥ ، ص ١٥٢ .

(٩٠) حريز ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٤٤ .

●● الفصل الخامس :

(١) للتفاصيل عن تاريخ عمان في عهد اليعاربة انظر: حميد بن محمد بن رزيق الفتح المين في سيرة السادة الموسعدين، تحقيق عبدالمنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م ، نور الدين عبدالله بن حميد السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، القاهرة، ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م ، عبدالله بن خلفان بن قيصر: سيرة الإمام ناصر بن مرشد، تحقيق عبدالجديد حسوب القيني، ١٩٨٢ ، سالم بن حمود بن شامس عمان عبر التاريخ ٤ ج ١٩٨٢، وبالنسبة للمراجع الاجنبية انظر بشكل خاص

B. Miles, *The Countries and Tribes of the Persian Gulf*, 2 vols. 1919; J.G. Lorimer, *Gazeteer of the Persian Gulf*, etc. 2 vols. India 1908.

Lorimer, *op. cit.*, vol p. 403. (٢)

A. Hamilton, *A New Account of the East Indies (1688 - 1723)*, 2 vols. 1727. vol. 1, pp. 43 - 45 (٣)

Miles *op. cit.* vol. 220. (٤)

(٥) المقصود بالقوى المحلية هنا هي القوى غير الأوروبية والأسطول المحلي هو الاسطول غير الأوروبي.

Lorimer, *op. cit.*, p. 402. (٦)

(٧) انظر صالح محمد العابد دور القواسم في الخليج العربي، بغداد ١٩٧٦م.

(٨) الدكتور عبدالأمير أمين : القرى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد ١٩٦٦م.

(٩) د/ عبود خليفة الصباح : شأنة الكويت وتطورها في القرن الثامن عشر، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد السادس والاربعون، السنة الثانية عشرة

(١٠) مصطفى عبدالقادر التجار التاريخ السياسي لامارة عربستان، منشورات دار المعارف بمصر ١٩٧٦م.

(١١) عبدالأمير محمد أمين نفس المصدر

(١٢) عمان وتاريخها البحري، اصدار وزارة الاعلام والثقافة، سلطنة عمان ١٩٧٦م.

(١٣) عبدالأمير محمد أمين المصالح البريطانية في الخليج العربي (١٧٤٧ - ١٧٧٨) بغداد سنة ١٩٧٧ ، ص ٤٦ - ٥٠

(١٤) نفس المصدر ، ص ١١٩ - ١٢١ .

(١٥) نفس المصدر ، ص ١٧٠ - ١٧٢

(١٦) عبدالأمير محمد أمين: القرى البحرية في الخليج العربي ، ص ٤٠ - ٤٥

A Parsons, *Travel in Asia and Africa* : London 1808, p. 220. (١٧)

ibid. (١٨)

Marine Records, Vol. 891, August. 15, 1790. Report on Trade of Arabia and Persia by Samuel Monesty and Harbord Jones . (١٩)

ibid. (٢٠)

ibid. (٢١)

ibid. (٢٢)

ibid. (٢٣)

India Office : Factory Records, Letters from Bussors Giambrook. (٢٤)

Letter from Basra, vol. 21, September 1769.

Lorimer : *op. cit.*, p. 416 (٢٥)

(*) الترانكي نوع من السلح كان شائعاً في النصف الاول من القرن الثامن عشر وكان يسير بالمجاذف والشرائح معا.

Lorimer : *op. cit.* p. 416 (٢٦)

R. Boxer : Portuguese Conquest and Commerce in Southern Asia, London, 1933, p. 428 (٢٧)

Parsons : *Travel in Asia and Africa*, London, 1808, p. 220 (٢٨)

Lorimer : *op. cit.*, p. 435. (٢٩)

ibid. (٣٠)

(٣١) عمان وتاريخها البحري ، ص ٧٧

F.R. Letters, etc. 21, 1800 Report on the State of Trade between Persia and (٣٢)

India and suggestion as to the means of improving it by Captain J.

Malcom, Marine Record, vol. 891, August 15, 1790, Report on the commerce of Arabia and Persia by Samuel Monesty and Harford Jones"; Early.

Parliamentary Papers Related to India collection no. 2, Dec. 1791. Third Report of the Select Committee appointed to take into consideration the Export Trade from Great Britain to The East Indies.

Factory Records, Letters etc. Vol. 21, 1800 (٣٣)

Marine Records, Vol 891, August, 15, 1790 (٢٤)

Ibid. (٢٥)

Ibid. (٢٦)

Ibid. (٢٧)

Ibid. (٢٨)

●● الفصل السادس :

- (١) لمزيد من التفاصيل أرجع الى
 - سالم بن حمود بن شامس السيباني، عمان عبر التاريخ (جزء ١) وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط المطبعة الشرقية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م، ص ١١٢ - ١١٥
 - روبرت جيران لاندن، عمان منذ ١٨٥٦، ترجمة محمد أمين عبيدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، مطروح، المطبعة الشرقية ١٩٨١، ص ٥٣ - ٥٤
 - ونديل فيليبس، تاريخ عمان ترجمة محمد أمين عبيدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، روي، المطبعة العالمية (الطبعة الثالثة) ١٩٨٩، الفصل الثاني.
 - عبدالمجيد القيسي، مقدمة لكتاب مذكرات أميرة عربية - بقلم السيدة سائلة بنت السيد سعيد بن سلطان.
 - سلطان مسقط وزنجبار، (الطبعة الخامسة) وزارة التراث القومي والثقافة، مطابع أمون ١٩٨٥ ص ١٥٠
 - حميد بن زريق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبدالمعظم عامر ومحمد مرسى، وزارة أثارث القومي والثقافة، مطابع سجل العرب ١٩٧٧ ص ٣٥ - ٨٧
 - الشيخ نور الدين عبيدالله السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الاستقامة بدون تاريخ، ص ١٥٠ - ١٦٨.
 - احمد بن حمود المعمرى، عمان وشرق إفريقيا، ترجمة محمد أمين عبيدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، مطابع سجل العرب ١٩٨٠، ص ٧٠
- (٢) - انظر، صامق حسن عديواني، الدولة العمانية نشأتها وتطورها وازدهارها، حصاد ندوة الدراسات العمانية المجلد الثاني، دو الحجة ١٤٠٠هـ / نوفمبر ١٩٨٠، وزارة التراث القومي والثقافة، مطابع سجل العرب، ١٩٨١، ص ٥٠ - ١٢٩
- ايضا انظر لاندن مرجع سابق، ص ٥٤.
- (٣) - لمزيد من التفاصيل انظر عديواني، مرجع سابق، ص ٧٦ - ٨٧ السيباني، مرجع سابق، ص ٧٠، وايضا عبدالمجيد القيسي، مقدمة لمذكرات أميرة عربية، مرجع سابق.
- (٤) - لمزيد من التفاصيل حول حجم التجارة والجمارك وتعميرة الدخل خلال تلك الفترة
Risso, P. Oman & Muscat: Early History, Croom Helm, 1986, pp 100 - 102, & 107.
- (٥) - عديواني، مرجع سابق، ص ٨٠ - ٨٢
- كما يجد القاري مزيدا من التحليلات ايضا في المرجع التالي
- زهدى عبدالمجيد سمور، تاريخ عمان السياسي في النصف الاول من القرن التاسع عشر، ج ٢ الكويت، منشورات دار السلاسل للفصل الرابع ١٩٨٥.
- (٦) - انظر ايضا 9 و 8 chapters, Risso, *op. cit.*
- (٧) - يجد القاري مزيدا من التحليلات عن الحياة العسكرية والاقتصادية والعلاقات الدولية في المرجع التالي
د / سلطان بن محمد القاسمي، تقسيم الامبراطورية العمانية ١٨٥٦ - ١٨٦٢م، دبي، مطابع البيان التجاري، ١٩٨٩
- خاصة الفصل الاول
- (٨) - لمزيد من التفاصيل أرجع الى
 - الشيخ سعيد بن علي الفهري، جبهة الاخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٦، ص ٢٤ - ٢٥٠
 - (٩) - لاندن، مرجع سابق، ص ٥٨ - ٦٠
 - (١٠) - لمزيد من التفاصيل انظر، جمال زكريا قاسم، الاصول التاريخية لقضية عمان، مجلة العربية للدراسات التاريخية، العدد ١٢ القاهرة ١٩٦٥ / ٦٤.
 - (١١) - انظر في هذا الصدد
 - عديواني، مرجع سابق، ص ١١٣ - ١١٨، فيليبس، مرجع سابق، ص ١٢٤ - ١٢٨، وايضا المعمرى ص ٢٨
 - القاسمي مرجع سابق ص ٢٢ - ٦٨
 - (١٢) - انظر لاندن، مرجع سابق، ص ٥٥
 - (١٣) - انظر، لاندن، مرجع سابق، ص ٣٠٤ - ٣٤٩.
 - (١٤) - يجد القاري مزيدا من التحليلات حول معاهدة السبب في المراجع التالية
 - المعمرى، ص ١٢١ - ٢٢، وفيليبس، ص ١٨٩، وجمال قاسم، ص ١٨٠ - ١٨١ وايضا لاندن، ص ٣٥٨.
 - (١٥) - فيليبس، مرجع سابق، ص ١٧٨ - ١٨١
 - (١٦) - أرجع لمزيد من التفاصيل الى لاندن، ص ٣٥٥ - ٣٦١.
 - (١٧) - اعتمدنا في تحليلنا لتلك الفترة على المراجع التالية
 - المعمرى، مرجع سابق، ص ١١٧ - ١٢٧، ونديل فيليبس، مرجع سابق، ص ١٧٩ - ١٨٢، ولاندن، مرجع سابق، ص ٢٦٧ - ٣٦١ وايضا لمزيد من التعامل انظر جمال زكريا قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥ - ١٩٧٧، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث للدراسات العربية ١٩٧٤، خاصة الفصل السابع.

[illegible]

السرم (تلق): ٢٩٠
 الصا: ٢٢، ٢١
 الحسن بن علي (رمي انه عته): ١٢٣
 الصراء: ٢٤٤
 الحموي (ياقوت): ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ١٩١، ٢٩٩
 حبيب بن اهلان بن ابي صفر: ١٦٩، ١٣٢، ١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥
 حيدرة (بن عباد): ١٥٧، ١٥٨
 حيدرة بن الحسن البرقي (الغضائفي): ٣٦، ٣٨، ١٣٠، ١٣١
 حسان بن ثابت الانصاري: ٤٢
 حشوروش القفلي: ٢٤٠
 حشوروش: ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢،

[illegible]

[illegible]

أسماء الباحثين الذين تقدموا ببحوث لنדوة عمان في التاريخ المنعقدة خلال الفترة من ٢٤-٢٧/٩/١٩٩٤،

- د / ابراهيم الزين صغريو
- استاذ التاريخ - جامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان
- د / احمد شلبي
- استاذ متفرغ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية
- د / أمال محمد خليل
- استاذة التاريخ - كلية البنات - جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية.
- د / أمل الرياني
- المستشار بوزارة الخارجية - دولة البحرين
- د / جاد محمد طه
- عميد كلية الآداب - جامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان
- د / جويس زكريس
- خبير آثار بجامعة جنوب غرب ميسوري - امريكا
- د / خالد العزي
- عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق
- د / خليل شاكر حسن
- استاذ التاريخ - جامعة المستنصرية - عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق
- د / رأفت غنيمي الشيخ
- رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الزقازيق - جمهورية مصر العربية
- د / رضا جواد الهاشمي
- استاذ التاريخ - جامعة بغداد - جمهورية العراق
- د / رمزية محمد الأطرقي
- استاذة بمعهد التراث العلمي - جامعة بغداد - عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- د / زبيده عطا
- رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة المنيا - جمهورية مصر العربية.
- د / سحر السيد عبدالعزیز
- استاذة مساعد - كلية الآداب - جامعة الاسكندرية - جمهورية مصر العربية
- د / سعد بن سعيد الصمدي
- استاذ بكلية اللغة والعلوم الاجتماعية - جامعة ابها - المملكة العربية السعودية.
- المهندس / سعيد بن محمد الصقلاوي
- سلطنة عمان
- د / سمر محمد طه
- استاذ التاريخ - كلية الآداب - جامعة سوهاج - جمهورية مصر العربية
- د / سنى محمد الطائي
- عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- د / السيد عبدالعزیز سالم
- استاذ التاريخ - كلية الآداب - جامعة الاسكندرية - جمهورية مصر العربية
- د / سيده اسماعيل الكاشف
- استاذة التاريخ - كلية البنات - جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية
- د / شاكر محمود عبدالمنعم
- استاذ التاريخ - جامعة المستنصرية - جمهورية العراق
- د / صالح محمد العابد
- استاذ التاريخ - جامعة بغداد - جمهورية العراق.
- د / صباح ابراهيم الشبيخي
- استاذة التاريخ - جامعة بغداد - جمهورية العراق
- د / طارق نافع الحمداني
- استاذ التاريخ - جامعة بغداد - جمهورية العراق
- د / عبدالامير محمد أمين
- استاذ التاريخ - جامعة اليرموك - الاردن.
- د / عبدالحميد الوالي
- وكالة الانباء العمانية - سلطنة عمان.
- الفاضل / عبدالله بن ناصر الحارثي
- جامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان
- د / عبدالله محمد عبدالرحمن
- استاذ مساعد بقسم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة الاسكندرية - جمهورية مصر العربية
- د / عبداللطيف الريمحي
- مدير عام مكتب معالي الشيخ / رئيس الوزراء بدولة البحرين

- أ.د / عبدالفتاح حسن ابو عطيح
- استاذ بكلية العلوم الإسلامية - جامعة الامام محمد بن سعود - المملكة العربية السعودية.
- د / عبدالقادر حمود القحطاني
- قسم التاريخ - كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية - جامعة قطر - دولة قطر.
- د / عبدالنعم عبدالصمد سلطان
- استاذ التاريخ بكلية الآداب - جامعة سوهاج - جمهورية مصر العربية
- أ.د / عبدالنعم محمد حسنين
- استاذ التاريخ - كلية الآداب - جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية.
- أ.د / علي منصور نصر
- استاذ التاريخ - جامعة البحرين - دولة البحرين
- د / غازي رجب محمد
- عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- د / فريحات علي الجبيري
- استاذ التاريخ - جامعة القيروان - تونس
- د / فؤاد شهاب
- استاذ التاريخ - جامعة البحرين - دولة البحرين.
- د / فوزي رشيد
- عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- د / لطفي جعفر نرج
- استاذ التاريخ - جامعة المستنصرية - جمهورية العراق
- د / محمد باقر الحسيني
- عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- د / محمد حرب فريزات
- استاذ التاريخ - كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية - جامعة قطر - دولة قطر.
- د / محمد رمزي
- استاذ التاريخ - جامعة دمشق - الجمهورية العربية السورية.
- د / محمد سميد شكري
- استاذ التاريخ - جامعة عدن - الجمهورية اليمنية.
- د / محمد صابر عرب
- استاذ التاريخ - جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية.
- أ.د / محمد محمود السروجي
- استاذ متفرغ بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية - جمهورية مصر العربية.
- أ.د / محمد علي الفاراد
- عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق
- أ.د / مصطفى الشكعة
- استاذ متفرغ بكلية الآداب - جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية.
- د / مصطفى عبدالقادر النجار
- اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- د / مصطفى عفيف
- استاذ التاريخ - جامعة قطر - دولة قطر
- د / منير يوسف طه
- المشرف العراقي - دار الآثار والتراث - جمهورية العراق.
- د / ناهض عبدالرزاق دفت
- استاذ مساعد بقسم الآثار - كلية الآداب - جامعة بغداد - جمهورية العراق.
- الاستاذ / يوسف الشاروني
- جمهورية مصر العربية.
- أ.د / يوسف حسن غوانمه
- عميد كلية الآداب - جامعة الأردن - المملكة الأردنية الهاشمية
- أ.د / يوسف نعيصه
- استاذ التاريخ - جامعة دمشق - الجمهورية العربية السورية.

أسماء المشاركين في ندوة عمان في التاريخ المنعقدة خلال الفترة من ٢٤-٢٧/٩/١٩٩٤م

- الفاضل / احمد جلال تدمري
- مدير الدراسات والوثائق - الديوان الاميري - رأس الخيمة - دولة الامارات العربية المتحدة.
- أ.د / احمد عبدالرحيم مصطفى
- جامعة عين شمس - كلية الآداب - قسم التاريخ - جمهورية مصر العربية

- أ د / أحمد عبدالرزاق
- رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية.
- أ د / أسامة ناصر النقشبندى
- رئيس دائرة وسام المؤرخ العربي - اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- الأستاذ / اسماعيل الحاج عبدالحليم
- استاذ التاريخ الاسلامي - الجامعة الوطنية بكوالالمبور - ماليزيا.
- الفاضلة / أمّة راشد الحمدان
- رئيس قسم البحوث بمركز التراث الشعبي - دولة قطر.
- أ د / ايمن فؤاد سيد
- استاذ تاريخ الدراسات العليا - جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية.
- د / الشيجاني بن حمادي بوريقة
- دكتور دولة في الأدب - استاذ تعليم عالي بجامعة الزيتونة - الجمهورية التونسية.
- د / خالد الخليفة
- جامعة البحرين - دولة البحرين.
- أ د / رجب عبدالحليم
- استاذ ورئيس قسم التاريخ - معهد الدراسات الافريقية جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية.
- د / سمير صفيقي
- استاذ مشرف في دائرة التاريخ - الجامعة الامريكية - الجمهورية اللبنانية.
- أ د / سيد احمد علي الناصري
- رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية.
- د / شربين عبدالنعم محمد حسنين
- استاذة بكلية الآداب - جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية.
- أ د / صالح علي باصره
- رئيس قسم التاريخ بكلية التربية - جامعة عدن - الجمهورية اليمنية.
- أ د / عبدالرحمن راشد الشمالان
- استاذ التاريخ جامعة الملك سعود - عضو الجمعية التاريخية السعودية - المملكة العربية السعودية.
- أ د / عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم
- رئيس قسم التاريخ - جامعة العين - دولة الامارات العربية المتحدة.
- د / عبدالعزيز بن صالح الهلاي
- استاذ التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية.
- أ د / عبدالكريم كريم
- رئيس قسم جمعية المؤرخين المغاربة - جامعة محمد الخامس - المملكة المغربية.
- أ د / ليبد ابراهيم احمد
- مدير بيت الحكمة - جامعة بغداد - جمهورية العراق.
- أ د / محمد حسنين ربيع
- عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية.
- أ د / محمد جاسم حمادي المشهداني
- الامين العام المساعد لاتحاد المؤرخين العرب - بغداد - جمهورية العراق.
- أ د / محمد عميره
- عميد معهد التاريخ - جامعة الجزائر - الجمهورية الجزائرية
- أ د / محمد المختار بن احمدو
- الامين العام لرابطة المؤرخين الموريتانيين - موريتانيا
- د / محمد مرسي عبدالله
- مدير مركز الدراسات والوثائق - ابوظبي - دولة الامارات العربية المتحدة.
- د / مفيد الحايدي
- رئيس قسم التاريخ - جامعة دمشق - الجمهورية العربية السورية.
- أ د / ناصر العولقي
- نائب رئيس جامعة صنعاء - الجمهورية اليمنية.
- أ د / نيقولا زياده
- استاذ مشرف في دائرة التاريخ - الجامعة الامريكية - الجمهورية اللبنانية.
- أ د / يوسف فضل حسن
- استاذ التاريخ بجامعة الخرطوم - جمهورية السودان.
- أ د / يوسف محمد عبدالله
- نائب رئيس هيئة الآثار ودور الكتب - صنعاء - الجمهورية اليمنية.
- أ د / يونان لبيب رزق
- رئيس قسم التاريخ - كلية البنات بجامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية.

اللجنة الرئيسية المشرفة على اعداد كتاب عمان في التاريخ

رئيس اللجنة	- معالي / عبدالعزيز بن محمد الرواس
نائب الرئيس	- سعادة / حمد بن محمد الراشدي
عضو اللجنة	- سعادة الشيخ / يحيى بن عبدالله النبهاني
، ،	- الفاضل / احمد بن سعود السيابي
، ،	- الشيخ / سيف بن سعود البطاشي
، ،	- الشيخ / محمود بن زاهر الهنائي
، ،	- سعادة الشيخ / احمد بن عبيد الكعبي
، ،	- الفاضل / محمد بن سعيد الوهيبي
، ،	- الفاضل / سيف بن حمد المسكري
، ،	- الفاضل / خليل بن حمدان طبعش
، ،	- الشيخ / مهنا بن خلفان الخروصي
أمين سر اللجنة	- سعادة / سالم بن محمد العبري
مساعد أمين سر اللجنة	- الفاضل / عبدالله بن ناصر الرحبي

● قام باستخلاص النص وترتيب الأبواب والفصول:

- د. محمد صابر عرب

- د. رجب محمد عبدالعليم

● التصميم والخراج: د. بيتر فاين

● تنفيذ التصميم والخراج: «العمانية للإعلان والعلاقات العامة» ص.ب: ٢٢٠٢ رمز بريدي: ١١٢ مسقط

● التنظيم الإداري للندوة: عبدالله بن شويح الحوسني

● شارك في مراجعة ومتابعة طباعة الكتاب: سعاد بنت محمد الحارثي - سالم بن سعيد الحبسي

إن تاريخ الحضارة الإسلامية يشهد بـ
أمثلة السمو الأخلاقي والشجاعة والبطولات إلى جانب
المهارات البحرية والاهتمام بالعلوم والأعمال الجادة
الدوائية - والتي تضافرت جميعها لتصل الدولة
العمانية إلى ما هي عليه الآن

ومن خلال تسجيلهم للجهود الكبيرة التي بذلها
أسلافنا العمانيون المتميزون ، فإن المؤرخين الذين
قاموا بتجميع هذا السفر ، يذكروننا بأجداد ومنجزات
أولئك الأسلاف ، ويتيحون لنا الفرصة لتفهم أعمق لما
قامت عليه عمان الحديثة من تجربة إنسانية ثرية

إن كتاب «عمان في التاريخ» هو نتاج الجهد الكبير
الذي بذل من أجل كتابة أول تسلسل تاريخي لعمان
بأسلوب بحثي حديث. لقد استغرق هذا العمل جهد
كبار العلماء العرب الذين قاموا بإجراء دراسات
موسعة. قامت بمراجعتها لجنة خاصة ، طرح بعدها
هذا العمل للنقاش على مدى أربعة أيام بجامعة
السلطان قابوس في سبتمبر عام ١٩٩٤م.

وقد شارك في الندوة أكاديميون من مختلف
المؤسسات العلمية في العالم العربي.

ينقسم الكتاب إلى خمسة أجزاء مترتبة على شكل
أبواب يضم كل باب منها مظاهر معينة من التاريخ
العماني.

فالجزء الأول من الكتاب يهتم بالظواهر الجغرافية
والبيئة البشرية إلى جانب الدراسات المتصلة بالبيئة
الأرضية والاجتماعية والسياسية للدولة العمانية أما
الجزء الثاني فيعود بالقارئ إلى الحقبة المبكرة من
تاريخ عمان مع وصف للهياكل الاجتماعية في تلك
الحقبة.

الجزء الثالث يحدثنا عن الوضع في الدولة منذ فجر
الإسلام وحتى أيام الرحالة ابن بطوطة في القرن
الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي.

ومن خلال الفصل الرابع يستعرض لنا الكتاب
الشخصية الفريدة لعمان من مختلف الجوانب
التاريخية. فالأباضية قد لعبت دورا كبيرا في تشكيل
المجتمع العماني، كما أننا نستطيع أن نتعرف على عدة
مظاهر حضارية للتراث العماني من خلال فن المعمار
والتقاليد البحرية.

الباب الخامس للكتاب ينتقل بنا من تأسيس دولة
اليعاربة وجهود الامام ناصر بن مرشد لتوحيد الدولة
إلى استعراض كامل للدولة البوسعيدية منذ نشأتها
حتى بزوغ فجر سلطنة عمان الحديثة.

إن كتاب «عمان في التاريخ» هو أكثر المعالجات
شمولية للتاريخ العماني والتي تم نشرها حتى الآن،
فهو لا يقدم لنا مجرد صورة للماضي العريق لعمان،
ولكنه يعتبر مرجعا هاما لكل الذين يحاولون
التعرف على حاضر الجزيرة العربية من خلال
دراستهم لتاريخها.



كتاب «عُمان في التاريخ» يعد
أكثر المحاولات المطبوعة شمولاً
لرصد تاريخ عُمان
وهو لا يعطي صورة متكاملة
لتاريخ هذا البلد العريق فحسب
بل يمثل مرجعاً أساسياً
لكل الذين يحاولون فهم
حاضر الجزيرة العربية
من خلال دراسة
تاريخها

ISBN 1-898162



9 781898 162162

